تاريخ الأدب العربي

تأليف

الدكتور عمر فروخ

الجزء الثاني

الأعصر العباسية

الأدب المحدث إلى آخر القرن الرابع الهجري

دار العلم للملايين

تاريخ الأدب العربي

تاريخ الأدب العربي

الأعصر العباسية

الأدب المحدَث : الى آخر القرن الرابع الهجري

١٣٢ ــ ٣٩٩ هـ (٧٥٠ ــ ١٠٠٨ م)

تأليف

عمر فروخ

عضو مجمع اللغة العربية في القاهرة

عضو المجمع العلمي العربي في دمشق

و جمعية البحوث الاسلامية في بومباي

دار العلم للملايين

ص.ب : ١٠٨٥ - بيروت

تلكس : ٢٣١٦٦ - لبنان

دار العلم للملايين

مؤسسة ثقافية للتأليف والترجمة والنشر

شارع مار الياس - خلف ثكنة الحلو
ص.ب: ١٠٨٥ - تلفون: ٣٠١٤٤٥ - ٨٦٣٤٧٤
برقيًا: ملايين - تلكس: ٢٣١٦٦ ملايين
بيروت - لبنان

الطبعة الأولى ١٩٦٨

الطبعة السابعة

نيسان/أبريل ٢٠٠٦

فهرست تفصيلي للموضوعات

٣ — تجزّؤ الخلافة والعودة إلى الخصائص القديمة

مقدمة

يتناولُ هذا الكتابُ تاريخَ الأدبِ العباسيّ إلى آخرِ القرن الرابعِ الهجْريّ ، بعدَ أن كان قد صدَرَ أخٌ له من قبْلُ تناوَلَ الأدبَ القديمَ منذ مَطْلَعِ الجاهليـة إلى سقوط الدولة الأمويّة [1] .

هذا الكتاب في قسمه الراهنِ لم يتناولِ الأدباءَ الوُجْدانيّين فقَط ، بل تناول النُقّاد واللّغويّين والنّحاة ومؤرّخي الأدب ثمّ نَفَراً من مؤرّخي الدول أيضاً ، إمّا لِصِلَةِ هؤلاء كلّهم صلةً مباشرةً بالأدب وبتاريخ الأدب ، أو لأنّ مُطالِعَ هـذا الكتابِ يحتاجُ أحياناً إلى خصائصِ هؤلاءِ فأردتُ أن أسهّل عليـه الوصولَ إلى أشياءَ من حيـاةِ هؤلاء وخصائصِهِم من غيرِ أن يَرْجِـعَ إلى مصادرَ أخرى (إلاّ إذا أراد التقصّي) .

---

١ تـاريخ الأدب العربي : الأدب القديم ، ٧٧٦ صفحـة ، بيروت (دار العلم للملايين) ١٣٨٥ هـ (١٩٦٥ م) .

ولا ريبَ في أن هذه الفترة التي يُعالِجُها هذا الكتابُ ، من العصر العبّاسي ، هي ذِرْوَةُ العصر العبّاسي في الأدب الوُجْداني وفي زَهْــو الشعر العربي والنثر . من أجل ذلك قــد أورِدُ الترجمة لأديبٍ وليس لــه من الشّهرةِ إلاّ قصيدةٌ واحــدةٌ أو عدد من الأبيات : لقد كانت هذه القصيدة أو تلك الأبيات ، في رأيي ، تُمَثِّل عَبقريةً في أحدِ جوانبِ الحياة العربية في الفترة التي تَتَناولُها الصفحاتُ التي بين يَديِ القارىء .

ولم يكن بالإمكان أن أتنــاولَ جميعَ الأدبــاء الذين كان بالامكانِ أن أتناولهم ، ومَعَ ذلك فقــد اخترتُ مــن هذه الفَتْرة نحوَ مِائتَيْ أديب : ما بين ناثرٍ وشاعرٍ وناقد ولغويّ ونَحْويّ ومؤرّخ . ومع العلم بأنّ العملَ في العصر القديم كانَ أصعبَ لنُدْرَةِ المادّة ، فــان العمل في الفترة العبّاسية أشدّ تعقيداً لِتَشَعّب أسبابِ النقد واختلافِ الآراء في قيمة الأدب الجيّد .

ولا يزال القــارىء يرى أنّني أذهب في التــأليف مذهبَ الإيجــاز والتركيز وأتَنَكّبُ طريقَ الإنشاء المُتَمَطّي والكلامَ الذي لا حاجةَ اليه في التعبير عن المقاصد . وكذلك لا يزال القارىء يرى أنّني أعْنَى بالأحداث البارزة في حياة الأديب ، ذلك لأنّ هذه الأحداثَ تفسّر كثيراً من غوامض أدب الأديب ثم تؤكّدُ جوانبَ كثيرةً من سبيلهِ في التفكير والتعبير .

ولعلّ القارىءَ يظنّ أن الأدب العبّاسي لا يحتاجُ إلى مِثْلِ

الشَّرح الذي احتاج إليه الأدبُ القديم . إنّ ذلك ظنّ الكثيرين من الذين يُعانون الأدب . ولكنّ الواقعَ يخالف ذلك : إن الأدبَ العبّاسي أكثرُ ميْلاً إلى التأنّق والتكلّف وإلى صناعة التعبير . من أجل ذلك كانت آراؤه أحياناً أشدّ إيغالاً في الغموض من آراء الشاعر القديم الذي كان يجري في إنتاجه الوُجْداني على السليقة ثمّ لا يَغْمُضُ علينا شعرُه خاصّةً إلاّ في ناحيتين : بُعْدِ بيئته البَدْوية عن بيئتنا الحَضَرية ثمّ وُرودِ الكلماتِ التي كانتْ مألوفةً في زمنهِ وبيئتهِ وَهيَ اليومَ غيرُ مألوفةٍ في زمننا وبيئتنا . انّ كثيراً من الصّوَرِ البلاغية (في الشعر العبّاسي خاصة) تحتاج إلى شرحٍ وافٍ وتمثيل عليها كافٍ حتّى تَضِحَ في ذهن القارىء المُعاصِرِ ، ولو كان أحياناً من الذين يُعانون الأدبَ .

• • •

وهنا موضعُ ملاحظةٍ ضرورية :

ذَكَرَ نَفَرٌ من الذين أخذوا الكتابَ الأوّلَ أنني أوْرَدتُ فيه كثيراً من الشعر المعروفِ . ولقدْ غابتْ عن هؤلاءِ أمورٌ :

أوّلاً – لَقَدْ غَفَلَ هؤلاءِ عن أنّ الكتاب الأوّل قد جَمَعَ تراجمَ ومختاراتٍ لأكثر من خمسينَ أديباً في الجاهلية وحدَها ، مع أنّ الأسماءَ المعروفةَ المُتَداوَلة – حتى

في الكتبِ المؤلّفة – لا تَبْلغ إلى ثُلُثِ هذا العدد في معظم الأحيان . فالجديد اذن كثير .

ثانياً – ان هذا الكتابَ كتابٌ في تاريخ الأدب ، والمشهور المعروف من نتاج الأديب هو المُعْتَمَدُ في إبراز الخصائص وفي تبْيان قيمة الناثر والشاعر في مراتب الأهمّية والعبقرية بالإضافة إلى أثر هذا النِتاجِ المشهور المعروف في إظهار الصوَرِ العامّةِ للأدبِ عموماً ولصاحبِ ذلك النِتاج خصوصاً .

ثالثاً – إنّ المختاراتِ الطَريفةَ تكونُ طريفةً بالنِسَبِ والإضافاتِ ، فقد يكون البيتُ من الشعر طريفاً عندكَ غيرَ طريفٍ عند غيرك ، وقد يكون طريفاً عندك اليومَ غيرَ طريفٍ عندك أنتَ غداً ، ذلك لأنّك كنت في حال من الحزن فاستَجدتَ بيتاً فيه معنىً تَراءى لك فيه حالُكَ ثمّ أصبحتَ فَرِحاً لا يَقَعُ ذلك البيتُ من نفسك كما كان قد وَقَعَ منها بالأمسِ .

رابعاً – حتّى الطريفُ الطريفُ فانّه لا يبقى على الزمن . جاء الشاعر العظيمُ أبو تمّامٍ فاختارَ مجموعاً من شعر الشعراء القدماء – ومن شعر الشعراء المُقِلّين خاصّةً – سمّاه « ديوانَ الحَماسة » . ولقدِ اختارَ أبو تمّامٍ في ديوانِ الحماسةِ لآلىء الشعرِ العربي حتّى قيل فيه إنّه كان

أشعرَ في اختيارِ « ديوان الحماسة » منــه في شعرِه الذي نَظَمَهُ . ثمّ جــاء بعدَ ذلك بأمدٍ رجــلٌ لا نكاد نَعْرِفُ غيرَ اسمِه ، ولا نكادُ نَثِقُ مــن مَعْرِفتِنا اسمَهُ ، ثم نحْنُ لا نَعْرِفُ العصرَ الذي عاشَ فيه على التأكيد . هذا الرجلُ أبو زيدٍ القُرَشِيّ جمعَ نحو خمسين قصيدةً من شعر القدماء (في الجاهلية والإسلام) في مجموعٍ سمّــاه « جَمْهَرة أشعــار العرب » ، فكان في هــذا المجموع أشهرُ قصائدِ العَصْرين وأكثرُهــا تَداولاً بين الناس . ومع ذلك فكلّ من أرادَ أنْ يُصَوِّر صورةً للشعر في الجاهلية وفي صدر الإسلام ، فإنّما كــان يعتمدُ « جمهرةَ أشعار العرب » اعتماداً كبيراً ، وربّما أشارَ إلى « ديوان الحماسة » بين الحين والحين .

وعلى كلّ فإن في هذا الكتاب اشياءَ كثيرةً جديدةً لم تكن سائرةً على الألسن .

وأرجو أن أكون قد حقّقت بعض ما أمّلت .

ولا بدّ من كلمة هنا تتعلّق بالمصادر والمراجع التي اعتمدتُها في التأليف :

إن عدداً من المصادر والمراجع التي اعتمدتُها لم تكنْ مــن الطَبَعات المشهورة ، بل مــن تلك التي اتّفق أن كانتْ بين يَدَيّ . من هذه مثلاً :

وفَيات الأعيان لابن خلّكان (في ثلاثة أجزاء) ، القاهرة (وان لم يُذكَر اسمُ القاهرة) مطبعة الوطن ١٢٩٩ هـ .

فَوات الوَفَيات لابن شاكر الكُتُبي (في جزءين) ، بولاق ١٢٨٣ هـ .

يتيمةُ الدهــر للثعالبي (في أربعة أجزاء) (بنفقة علي محمّد عبد اللطيف صاحب المكتبة الحسينية المصريــة) ، مصر (مطبعة الصاوي) ١٣٥٤ هـ .

• • •

وآتي الآنَ إلى تفسيرِ شيءٍ مــن خُطّة العمل في المصادر والمراجع مَعَ ذكر عدد من هذه المصادر والمراجع .

نلاحظ أن في كلّ ترجمة تقريباً أربعة أرقام :

١ — ترجمة الأديب ،

٢ — خصائصه الفنّيّة ،

٣ — المختار من آثاره ،

٤ — المصادر والمراجع

ثمّ نلاحظ أن بعض التراجم تخلو مــن هذه الأرقام ، ذلك لأن هــذه التراجم تعود إلى لُغويّين ونُحاةٍ ومؤرّخين، مــن الضروريّ وجودُهم في هذا الكتاب كي أوفّرَ عــلى القارىء

الرجوعَ إلى المصادر أو إلى مراجعَ أخرى . وأنـا لا أستشهد عادة بشيء من آثار أصحاب هذه التراجم ، إمّا لأنّه ليس لهم آثارٌ ألبتّـة أو لأنّ آثارهم ليست ذات أثر مباشرٍ في تاريخ الأدب . أمّا إذا أنا وَجدتُ من الضروريّ الاستشهادَ بشيء من آثـار هؤلاء ، فـانّني حينئذٍ أجري تراجمهم مجرى سائر التراجم وأثبت الأرقام الأربعة .

ويَجِدُ القارىء في القِسْم المَوْسوم بالرقم « ٤ » ثلاثـةَ أشياءَ :

أ – الكُتُبَ المطبوعة من مُصنّفاتِ صاحب الترجمـة (إذاً كان له مثل هذه الكتب) .

ب – الكتبَ التي أُلّفت عن صاحب الترجمة ، مسبوقـاً أولُها بنجمين صغيرين : ••

ج – الأماكن التي تُعالج ترجمـة ذلك الأديب أو تذكر خصائصه أو يرد فيها شيء من آثاره .

وحباً بتوفير شيء من المِساحة عَمَدتُ إلى الاختصار التالي، مثلاً :

٤ – كتاب الطبقات الكبير (نشره جماعة من المستشرقين) ؛ ليدن (بريل) ١٣٢١ هـ (١٩٠٤ م) وما بعدها = الطبقات الكبرى ، بيروت (دار بيروت ودار صادر) ١٩٥٧ – ١٩٥٨ م .

تفسير ذلك : اسم الكتاب : « كتاب الطبقات الكبير » ،
ولا أذكر اسم المؤلف لأنّ مؤلّف هذا الكتاب
هو صاحب الترجمة نفسه (محمّد بن سعد) .
ولكن بعد اسم الكتاب مباشرةً أورد بين هلالين
كبيرين (......) اسمَ الذي نشر الكتاب أو
حقّقه أو أشرف على طبعه أو أسماء الذين فعلوا
ذلك (هذا إذا كان للكتاب المذكور ناشر أو
محقّق الخ) . بعد ذلك يأتي اسم البلد الذي
طُبع فيه الكتاب (وهو هنا) « ليدن » .
وبعد اسم البلد يأتي بين هلالين كبيرين اسم
الطابع ، وهو هنا « بريل » . ثمّ يأتي تاريخ
الطبع بالسنة الهجرية وبالعام الميلادي ، إذا كان
ذلك معروفاً أو إذا آستطعت أنا أن أصِلَ اليه .

ونلاحِظُ هنا ما يلي « = الطبقات » . ومعنى
ذلك أن الكتاب نفسه قد طبع طبعة ثانية باسم
آخر ....

وعلى الصفحة ٣١٤ مثلاً نلاحظ ما يلي :

٤ – البخلاء (نشره فان فلوتن) ، ليدن (بريل) ١٩٠٠ م ،
القاهرة (الساسي) ١٣٢٣ هـ (١٩٠٥ م) ؛ (نشره
مكتب العوامري والجارم) ، القاهرة (دار الكتب)
١٩٣٨ ؛ (نشره مكتب النشر العربي) ، دمشق (مطبعة ابن
زيدون) ١٩٣٨ م ، دمشق (دار اليقظة) ١٩٦٣ م ، .... الخ
ومعنى ذلك أن كتاب البخلاء طبع مرات عديدة وفي أمكنة

عديدة . ونحن نلاحظ أن عدداً من الطبعات لا يُشْرِفُ عليها أحدٌ (أو لا يُذْكَرُ عليها أنه أشرف عليها أحد) فأكتفي حينئذٍ بذكرِ اسمِ مكان الطبع وتاريخِه إذا كان ذانك معروفينِ أيضاً .

أما إذا كان الكتاب مطبوعاً مرّة واحدة فإنّ عنوانه واسم مؤلّفه ومكان طبعه وتاريخ طبعه تأتي كلّها في سطر مستقلّ أو سطرين مستقلّين أو أكثر حسب الحاجة.

وبعدَ أن أنتهي من سرد الكتب المطبوعة التي ألّفها صاحب الترجمة (بحَسْبِ ما وَصَلَ إليه اطّلاعي) آتي إلى سَرْدِ الكتب المؤلّفة عنه (ويَسْبِق الكتاب الأوّلَ منها نَجْمان صغيران ٭٭) . وأنا في العادة لا أُثْبِتُ كتاباً في هذا القسم إلاّ إذا كان يتعلّق كلّه بصاحب الترجمة أو بوجهٍ من أوجه نِتاجه الأدبيّ (على أنّني قد تساهلت مرّتين أو أكثرَ فأثْبَتّ كتاباً يتناول بالبحث أديبينِ أو ثلاثةً في الأكثر) . وكذلك تساهلت أحياناً فأوْرَدتُ عدداً من المقالات من مجلّة المَجْمع العلمي العربي في دِمَشْقَ ومن عدد آخرَ من المجلاّت حينما رأيتُ أن تلك المقالاتِ ضروريةٌ ضرورةً يجوز أن أخالِفَ من أجلها القاعدةَ التي كُنْتُ قد وَضَعْتُها من قبلُ بألاّ أذكرَ إلاّ الكُتُبَ .

غير أنّني لم أجِدْ حاجةً إلى إيراد المُوجزاتِ التي فُرِّعَتْ

من كتابِ الأغاني مَثَلاً أو من كتاب العِقدِ الفريد ، وان كان عدد منها مخصوصاً بأديبٍ أديبٍ .

وكذلك أغفلتُ طَبَعاتٍ « تجاريةً » ليسَ فيهـا ضَبْطٌ ولا عناية .

وبعدَ الانتهاءِ من إيراد الكتب المطبوعة التي أُلِّفَتْ عــن صاحبِ الترجمــة آتي إلى ذكر الصفحات المتعلّقة بصاحبِ الترجمة في عدد من أمّهات المصادر والمراجع . ولم أر هنا أيضاً أنْ استَنْفِدَ هذه المصادرَ والمراجع ، وخصوصاً بعـــد أن حَرَصْتُ على أن أوردَ أرقامَ الصفحات التي تتعلّق مباشرةً بصاحبِ الترجمة في كتاب « تاريخ الأدب العربي » من تأليف كارل بروكلمان (في الأصل الألماني) فَهُوَ يحاول أن يُثْبِتَ كُـــلَّ ما ألّفه الأديبُ وما أُلِّفَ عن ذلك الأديب وظهر مطبوعاً في كتاب أو مجموعٍ أو مجلّةٍ أو مخطوطاً أيضاً . وكذلك حَرَصْتُ على أن أثْبِتَ من كتاب « تاريخ آداب اللغـــة العربية » لجرجي زيدان (وان كـــانَ هذا الكتابُ قد فَقَدَ اليومَ كثيراً مـن قيمته الأولى : برُغْمِ التعليقاتِ التي أضافَها الدكتور شوقي ضيف اليه هنا وهناك) تلك الصفحات المتعلّقـةَ بالأديب المقصود .

ويحسن أن نَعْلَمَ أن في كتابنا هذا تراجمَ لأدباءَ لم يَرِدْ لهـــم ذِكْرٌ في كتابِ جرجي زيدانَ ولا في كتابِ كارل بروكلمان .

لم يكن ثمّتَ سبيلٌ إلى ذِكْرِ جميعِ المصادرِ والمراجع التي اعتمدتُها في وضع هذا الكتاب في المدة الطويلة التي وُضِعَ هذا الكتاب في خلالها ، ولا أن أُثبِتَ أيضاً بعدَ كلٍّ ترجمة جميعَ الكتب التي رَجَعْتُ إليها في إعداد كل ترجمة . ولكن لم يكن بُدٌّ من إثبات عدد من المصادر المشهورة القريبة التناول على سبيل الإشارة التي تُساعد الباحثَ المتقصّيَ على التوسّع حينما يريد التوسّع ، إمّا في الحواشي أحياناً وإمّا بعد ذكر الكتب في العادة . ومعَ أنّ ذِكْرَ الكتب التي ألّفها صاحبُ الترجمة وذكرَ الكتب التي أُلِّفَتْ عنه (إذا كان هنالك مثل تلك الكتب) تفيان بكلّ حاجةٍ وتُغْنِيانِ بعدَ ذلك عن ذِكْرِ المصادرِ العامّةِ والمراجعِ ، فإنّني حَرَصْتُ على أن أُثبِتَ بعدَ كلّ ترجمة (سواء أكان ثمّةَ كُتُبٌ ألّفها صاحبُ الترجمة أو أُلِّفَتْ عنه أو لم يكن) عدداً من المصادر والمراجع العامّة ما أمكنني ذلك ، كما يلي (ص ٥٦١) :

الفهرست ١٣٢ ، ١٣٤ ؛ يتيمة الدهر ٢ : ٢١٨ – ٢٨٦ ؛ معجم الأدباء ٢ : ٢٠ – ٩٤ ؛ شذرات الذهب ٣ : ١٠٦ وما بعدها ؛ بروكلمان ١ : ٩٥ ، الملحق ١ : ١٥٣ – ١٥٤ ، ٢ : ٣١٦ – ٣١٧ ، النثر الفنّي ٢ : ٢٩٠ – ٣٠١ .

إذا كانت الصفحات دالّة على كتاب واحد ، نحو (الفهرست ١٣٢ ، ١٣٤) أو على أجزاء من كتاب واحد ، نحو (بروكلمان

١ : ٩٥ ، الملحق ١ : ١٥٣ - ١٥٤) فـإنّ الفصل بين الأجزاء يكون حينئذ بفاصلة (،) ، أمّا القاطعة (؛) فتدلّ على الفصل بين كتابين .

هذه المصادرُ العامّةُ والمراجع التي كنت أشير اليها في الأسطر السابقة هي :

إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب (راجع ، تحت ، معجم الأدباء) .

أشعار أولاد الخلفاء لأبي بكرٍ الصولي ، القاهرة (مطبعة الصاوي) ١٩٣٦ م .

إعلام النبلاء بتاريخ حلَبَ الشهباء ، تأليف محمّدِ راغبِ الطبّاخ ، حلب (المطبعة العلمية) ١٩٢٣ - ١٩٢٦ م .

أعيان الشيعة ، تأليف محسن الأمين ، الطبعة الثانية ، بيروت ١٩٦٠ م وما بعدها . - بدأت الطبعة الأولى من هـذا الكتاب تظهر في دمشق ، عـام ١٩٣٦ م ، ثم أخذت تظهر في بيروت . وقد ظهر منها ثمانية وأربعون جزءاً . من أجل ذلك حرَصْتُ في أكثر الأحيان عـلى أن أذْكُرَ بعد الجزء المثبت بعد الترجمة تاريخ طبع ذلك الجزء تسهيلاً على المراجع . ومع أن هذا الكتاب واسع جدّاً يكاد يستنفدُ كلّ ما حفِظَتِ المصادرُ والمراجع عن أصحاب التراجم التي أوردها العلاّمةُ (عبد) المحسن

الأمين ، فإن الوصول إلى كلّ شيء في هـذا الكتاب ليس سهلاً ، وخصوصاً في التراجم المستفيضة . ولكن لا غنى للباحث عن هذا الكتاب .

الأغاني لأبي الفرج الاصفهاني .

– لهذا الكتاب الآن خمس طبعات :

طبعة دار الكتب المصرية في القاهرة . وهـذه طبعة محقّقة ، ولكن طُبع منها ستّةَ عشَرَ جُزْءاً (١٩٢٧ – ١٩٦١ م) ؛

طبعه بولاق في عشرين جزءاً (١٢٨٥ هـ) .

جزء وُسِمَ بالجزء الحادي والعشرين (فيه تراجم سقطت من طبْعة بولاق جمعها المستشرق برونو) ، ليدن (بريل) ١٣٠٥ هـ .

طبعة بتصحيح أحمد الأمين الشنقيطي طبعها محمّد الساسي في القاهرة (بلا تاريخ) – وهي واحد وعشرون جزءاً تتألف من الأجزاء العشرين من طبعة بولاق ومن الجزء الموسوم بالحادي والعشرين الذي أخرجه برونو . وأجزاء طبعة الساسي مقسّمة كأجزاء طبعة بولاق ، والصفحات في كلّ جزءين متقابلين من الطبعتين متقاربة جداً ، وفي بعض الأحيان لا تختلف .

وقد أشرت مرّة واحدة في هذا الكتاب إلى طبعة دار الثقافة في بيروت .

إنباه الرواة على أنباه النُحاة ، تأليف أبي الحسن عليّ بن يوسف القِفْطي (بتحقيق محمّد أبي الفضل إبراهيم) ظهر منه ثلاثةُ أجزاء (إلى آخر حرف الهاء : الهَيْثَم بن عَدِي) ، القاهرة (دار الكتب المصرية) ١٣٦٩ – ١٣٧٤ هـ (١٩٥٠ – ١٩٥٥ م) .

بُغْية الوُعاة في طَبَقات اللغويّين والنُحاة ، تأليف جلال الدين عبد الرحمن السيوطي (عُنِيَ بتصحيحها محمّد أمين الخانجي بقراءته على أحمد بن الأمين الشنقيطي) ، مصر (مطبعة السعادة) ١٣٢٦ هـ .

تاريخ آداب اللغة العربية ، تأليف جرجي زيدان (طبعة جديدة علّق عليها الدكتور شوقي ضيف) ، القاهرة (دار الهلال) ١٩٥٦ – ١٩٥٨ م .

تاريخ بغداد ، تأليف الخطيب البغدادي ، القاهرة (مكتبة الخانجي) ١٩٣١ م .

تاريخ الكامل لابن الأثير ، ليدن (بريل) ١٨٥١ – ١٨٧١ م . وقد اضْطُرِرْتُ أحياناً إلى الرجوع إلى طبعة القاهرة (١٣٠٣ هـ) . – بما أن تاريخ الكامل لابن الأثير حوليّات (مرتّب على السنين) فانّ الوصول إلى أماكن الاستشهاد في الطبعات المختلفة ليس كبير الصعوبة .

التاريخ الكبير : (تهذيب) تاريخ ابن عساكر اختصره أحمد بدران وغيره ، دمشق ١٣٢٩ – ١٣٣٢ هـ .

تتمة اليتيمة للثعالبي ، طهران (مطبعة فردين) ١٣٥٣ هـ .

حُسْنُ المحاضرة في أخبار مِصْرَ والقاهرة ، تأليف جمال الدين عبد الرحمن السيوطي ، مصر (مطبعة الموسوعات) ١٣٢١ هـ .

شَذَرات الذهب في أخبار من ذَهَبَ ، القاهرة . (مكتبة القدسي) ١٣٥٠ – ١٣٥١ هـ : وقد أعيد طبعها بالتصوير في بيروت (المكتب التجاري) – لا خلاف في صفحات الطبعتين ، ولا ذِكْرَ على طبعة المكتب التجاري لسنة الطبع .

طبقات الشعراء ، طبقات ابن المعتزّ ، لعبد الله بن المعتزّ (تحقيق عبد الستّار أحمد فرّاج) القاهرة (دار المعارف) ١٩٥٦ م .

طبقات الزبيدي ، طبقات النحويّين واللغويّين (تحقيق محمّد أبي الفضل ابراهيم) ، القاهرة (سامي الخانجي) ١٩٥٤ م .

الفهرست لابن النديم (استخرجه غوستاف فلوغل) ، ليبزغ ١٨٧١ م . = وقد أعادت طبعه بالتصوير مكتبة خيّاط في بيروت ١٩٦٤ م .

فوات الوفيات (راجع ، فوق ، ص ٢٠) .

القاموس المحيط للفيروزابادي (نصر الهوريني) ، مصر (المكتبة الحسينية المصرية) الطبعة الثانية ١٣٤٤ هـ .

معجم الأدبــاء في عشرين جزءاً (مطبوعات دار المأمون) ، القاهرة (مطبعة دار المأمون) ١٣٥٧ هـ (١٩٣٨ م) .

النثر الفنّي في القرن الرابع ، تـأليف زكي مبارك ، القــاهرة (دار الكتب المصرية) ١٣٥٢ هـ (١٩٣٤ م) .

نَكْت الهِميْان في نُكَتِ العُمْيان للصَفَدي (وقف عــلى طبعه أحمد زكي) ، القاهرة (المكتبة التجارية) ١٩١١ م .

نور القَبَس المختصر من المُقْتَبَس في أخبــار النحاة والأدباء والشعراء ، اختصار أبي المحاسن بــن يوسف اليغموري (عني بتحقيقه رودولف زلهايم) ، فيسبادن (شتاينر) ١٩٦٤ م .

الوافي بالوفيات للصفدي (استخرجه نفر من المستشرقين) خرج منه أربعــة أجزاء من حرف الميم (أسماء المحمّدين) ، دِمَشْق واستانبول وفيسبادن ١٩٣١ – ١٩٥٩ م .

كتاب الورقة لأبي عبد الله محمّد بن داوود الجرّاح (تحقيق عبد الوهّاب عزّام وعبد الستّار أحمد فرّاج) ، القاهرة (دار المعارف) ١٩٥٣ م .

وفيات الأعيان (راجع ، فوق ، ص ١٢) .

• • •

بروكلمان [1] ،

Geschichte der arabischen Litteratur, von Carl Brockelmann, Leiden (Brill) 1943 - 1949.

بروكلمان ، الملحق

Geschichte der arabischen Litteratur, Supplementbände, von Carl Brockelmann, Leiden (Brill) 1937 - 1942.

Enc. Isl. (new ed.) [2]

---

١ لكتاب بروكلمان هذا طبعة أولى ظهرت في برلين ١٨٩٢ – ١٩٠٢ م . الاستشهاد في هذا الكتاب بالطبعة الثانية الجديدة من كتاب بروكلمان .

٢ تظهر « دائرة المعارف الإسلامية » (باللغات الانكليزية والفرنسية والالمانية) في طبعة جديدة ، ظهر منها إلى الآن من أول حرف الهمزة إلى كلمة « حيل » ، ليدن – لندن ١٩٦٠ م وما بعد . والطبعة التي أرجع اليها عادة هي النسخة الانكليزية. وربما رجعت أيضاً إلى الطبعة الأولى .

مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

١ - وَحدة الخِلافة
والشِعْرُ المُحْدَث

العصر العبّاسي

العصر العبّاسيّ هو العصر الذي بدأ في التاريخ السياسي سَنَةَ ١٣٢ هـ (٧٤٩ م) بسقوط الدولة الأُمويّة في الشام وقيام دولة بني العبّاس في الكوفة (العراق) . وينتهي العصر العبّاسي في التاريخ السياسي بسقوط بغدادَ على يد هولاكو التتريّ في سنة ٦٥٦ هـ (١٢٥٨ م) .

هذا التحديد عُرْفيّ قليل الصلة بالحقيقة التاريخية : إن هذا العصر قد بَطَلَ أن يكون عبّاسيّاً منذ أيامِ الخليفة المتوكّلِ الذي جاء إلى عرش بغدادَ في آخرِ سَنَةِ ٢٣٢ هـ (٨٤٧ م) والقوّادُ الاتراك يَمْلِكون الدولة من جميع جوانبها ، ثم لم يَكُنْ للخليفة المنصوبِ على عرش بغدادَ بعد المتوكّل من الأمر شيء .

وكَثُرَتِ الدّوَلُ والدّوَيْلاتُ في العصر الذي نسمّيه عبّاسيّاً : كان بَعْضُها دولاً غيرَ عربيةٍ ولا عبّاسيّة تَنْبُعُ في أطراف الخلافة ثم تستقلّ بما تحت يَدِها ، وربما مدّ بعضُها نفوذَه إلى بغدادَ نفسِها

غير أن حظّ الأدب كان غير حظّ السياسة . إنّ الخصائص العبّاسية في الأدبِ قد ظلّتْ سائدةً في النِتاج الوُجْداني من الشعر والنثر إلى سقوط بغدادَ في يد التَتَرِ ثم إلى الفتح العُثْماني للبلاد العربية ٩٢٣ هـ ، ١٥١٧ م) ثم إلى مطلع القرن الثالثِ عَشَرَ الهجريّ (التاسعِ عَشَرَ الميلاديّ) . ولا يزالُ نَفَرٌ كثيرون من الناثرين والناظمين يَنْهَجون النهجَ العبّاسيّ في الأدب أصالةً أو تقليداً . والأصيلون من هؤلاء همُ الأدباء الذين يَخْلُدون في حياتنا الأدبية .

أمّا في هذا الكتاب فسنَجْعَلُ العصرَ العبّاسيّ يتّصل إلى السَّنَةِ التي فتَحَ فيها السلطانُ سليمٌ الأولُ العثمانيّ مصرَ (٩٢٣ هـ ، ١٥١٧ م) وقضى على المَنْصِبِ الرَمْزيّ الذي كان العبّاسيون قدِ احتفظوا به في مصر بعد سقوط دولتهم في العراق .

هذه الحِقْبَةَ الطويلةَ من سنة ١٣٢ إلى سنة ٩٢٣ للهجرة تنقسم من الناحية السياسية والأدبية أيضاً فتَرَاتٍ متفاوتةً في الطول وفي الأهميّة . فإذا نحن اعتبرنا تلك الفتَرَاتِ وما كان فيها من الدول التي اتّسع نفوذها في أقسام مختلفة من بلاد الخلافة الإسلامية وجدْناها التاليةَ :

الفترةَ العبّاسية الأصيلة (نفوذٌ فارسي ثم تركي)	١٣٢ — ٢٣٤ هـ
عصرَ الدويلات ودولةَ بني بُوَيْهٍ (فارسيةٌ شيعية)	٢٣٢ — ٤٤٠ هـ
دولة السلاجقة (تركية سنّيّة)	٤٢٩ — ٥٧٩ هـ
الاتابكةَ آلَ زَنْكي (من السلاجقة)	٥١٦ — ٦٣٩ هـ
الدولة الأيوبية	٥٥٥ — ٧٣٢ هـ
دولتَيِ المماليك : المماليكَ البحرية	٦٤٨ — ٧٨٤ هـ
المماليكَ البرجية	٧٨٤ — ٩٢٣ هـ

في الفترة العبّاسية الأصيلة

انتقلتِ الخلافةُ ، في سنة ١٣٢ هـ (٧٤٩ م) ، من الشام إلى العراق : من بني أميّةَ الذين كانت دولتهم عربيةً عَصَبيّةً إلى بني العبّاس الذين أصبحت دولتهم دينية جامعة . وقد كانت البداوة غالبةً على المجتمع الأُمَويّ تتَبَدّى في المُثُلِ العُلْيا التي كانت بَدَوِيّةً جاهلية ، وفي اللغة أيضاً فقد كان عددٌ من معاني الأدب إسلامياً جديداً . أمّا الأسلوبُ الذي آستهوى الأُمويّين فقد ظلّ جاهلياً . وأما المجتمعُ العبّاسي فقدِ آستبحرتْ فيه الحضارةُ وانتشرَ التَرَفُ ، وإنْ كانتْ طبقاتٌ كثيرةٌ قد ظلّتْ بعيدةً عن تلك الحضارة وعن ذلك الترف . أما الدولة والحكم فقد كانا متنازَعَيْن بين أصحابِ تيّارَيْنِ : بين العَلَويين الشيعة يُظاهِرُهم الفُرْسُ وعَرَبُ الجَنوب عامّةً ، وبين العبّاسيين يَعْضُدُهم أهلُ السُنّة والجماعة وأبناء الدولة .

وفي ما يلي رؤوسُ الاحداث السياسية في تلك الفترة :

كان المقصودَ من الدعوة إلى آل محمد أن يتولى العَلَويّون [1] الخلافـة . ولكن العبّاسيين – وهم أيضاً من نسل العبّاس عمِّ الرسول كما كان العلويون من نسل أبي طالب عمّ الرسول – استطاعوا أن يستبدّوا بالأمر وأن يبـايعوا واحداً منهم هو أبو العبّاس عبد الله بن محمد بن علي بن عبد الله بن عبّـاس المشهورُ بأبي العباس السفّاح . وتتبّع السفّاح بني أمية وأنصارهم بالقتل والتشريد حتى خلّص الأمرُ للعبّاسيين . في هذه الاثناء كان السفّاح قد اتخذ الكوفـة عاصمةً له ثم هجرها لأنها كانت مركزاً للعلويين وأنصارهم واتخذ الأنبار (على الفُرات في شماليّ العراق) عاصمة جديدة . وحكم السفّاح أربع سنوات ثم توفي سنة ١٣٦ هـ (٧٥٤ م) فخلفه أخوه أبو جَعْفَر المنصورُ ، وكان أسَنّ منه ولكن كانت أمّهُ أمَةً فتأخر عن السفّاح لأن أمّ السفّاح كانت حرة .

كانت الأنبار متطرفة في العراق فبنى المنصور بَغدادَ سنة ١٤٥ هـ وجعلهـا عاصمة الدولة العباسية بعيدة عن الشام ، ولكنها كانت قريبة من فارس ومن الجوالي الفرس في العراق نفسه . وقد نَبَغَت في أيام المنصور حركات دينية كالراوندية وحركة سُنْباذ اللتين كانتا تحملان طابعاً مجوسياً من الشيوع في المال والنساء وطابعاً وثنياً من تأليه البشر . فأخذ المنصور هذه الحركات بالشدة وقتل رؤساءها والداعين اليها وكثيرين من أنصارها .

ولعل أهم ما حدث في أيام المنصور أن تولى الوزارةَ خالدُ بن بَرْمَكَ ثم استمر بعدَه ابنُه يحيى وحفيداه الفضلُ وجعفر يتولّونها حتى نكبهم هرون الرشيد سنة ١٧٨ هـ (٨٠٣ م) بعد أن استبدّوا بكل سلطة في الدولة وبعد أن طغت أسباب الحياة الفارسية على بغداد . فانصرف الناس بعد نكبة البرامكة عن أوجه الحضارة الفارسية وعادوا إلى التظاهر بالميل إلى البداوة وإلى العصبية العربية : منهم من فعل ذلك خوفاً من أن يُتّهم بمثل ما اتُّهِم به البرامكة فيصيرَ أمره إلى ما صار أمرهم اليه ، ومنهم من فعل ذلك مُصانعة لأرباب الدولة فإنّ الناس على دين ملوكهم .

---

[1] الدعوة إلى آل محمد : أن يأتي إلى الخلافة رجل من نسل محمد رسول الله . والعلويون : نسـل علي بن أبي طالب .

وكَثُرَ العُمْرانُ في أيام هرونَ الرشيدِ واستبحرتِ الحضارة وعمَّ الترف وازدهرتِ العلوم والآداب وعَظُمَت هيبة الدولة . ويُعَدّ عصرُ هرونَ الرشيدِ ذِرْوةَ القوة السياسية للعرب وأزهى ما بلغت اليه عصورهم في العُمران والحضارة والأدب والعلوم .

وخلف هرونَ الرشيدَ ثلاثةٌ من بنيه : الأمينُ والمأمونِ والمُعْتَصِم . وكان الرشيد قد قسم الامبراطورية سنة ١٧٥ هـ (٧٩١ م) بين الأمين والمأمون ، فأوصى للأمين بالملك على غرب الامبراطورية (بغدادَ وما يقع غربَها) حيثُ يسود العنصر العربي ويكثر أنصار الأمين ، وأوصى للمأمون بالملك على شرقيّ الامبراطورية (ما يقع شرق بغداد) حيث يكثر العنصر الفارسي وأنصار المأمون . ويبدو أن القسمة على هذا الشكل كانت راجعة إلى أن أمَّ الأمين كانت عربية بينما أمّ المأمون كانت فارسية . وسَرْعانَ ما نَشِبَ النزاع بين الأخوين وانتهى بمقتل الأمين سنة ١٩٩ هـ (٨١٣ م) وإعادة وَحْدة الامبراطورية تحت سلطة المأمون . ولكنّ المأمونَ انقلب بعد مقتل أخيه على السياسة الفارسية العَلَوية وترك عاصمته مَرْوَ (في خُراسان) وعاد إلى بغداد سنة ٢٠٤ هـ . غير ان النفوذ الفارسي في الدولة والجيش والحياة لم يَضْعُفْ . فلما جاء المعتصم سنة ٢١٨ هـ (٨٣٣ م) فتح أبواب الجيش للاتراك ليقاوم بهمُ النفوذَ الفارسي . ولكن لما كثر الجُنْد الاتراك في بغداد كثر شَغَبهم فيها فبنى لهم المعتصمُ مدينة سامَرّا (على أربعين كيلومتراً شَمالَ بغداد) لتكون لهم معسكراً . ويَحْسُنُ أن نذكرَ أن أمّ المعتصم كانت تركية . من أجل ذلك أصبحت سامرّا ، في فترة من الزمن ، عاصمةً للخلافة العباسية . وقد حدث في خلافة المعتصم حَدَثان هامّان : القضاءُ على فتنة بابَكَ الخُرَميّ وقطع دابر الفتن السياسية الدينية ، ثم فتحُ عَمُّورِيّة (في آسيةَ الصُغرى) وخَضْدُ شوكة الروم .

وخلف المعتصم اثنانِ من أولاده : الواثقُ سنة ٢٢٧ هـ (٨٤٢ م) والمُتَوَكِّل سنة ٢٣٢ هـ (٨٤٧ م) ، ولم يحدُثْ في أيامهما إلاّ اتساعُ نفوذ الاتراك في الجيش ، حتى صار رؤساء الجند يتلاعبون بالخلفاء فيقتلون من شاءوا ويُوَلّون من شاءوا . وقد بدأ استعلاؤهم بقتل المتوكل نفسه ، سنة ٢٤٧ هـ (٨٦١ م) ، ثم لم يبق للخلافة زهوٌ بعد ذلك ولم يبق للخلفاء سُلطان .

التطور الاجتماعي في العصر العباسي

إن البيئة العربية لم تنقلب فجأة ، بل بدأ التبدل فيها منذ خرجت جيوش الفتح إلى أقطار العالم في الشرق والغرب ، ومنذ أخذ الاسلام يسود بين غير العرب ، ومنذ شرع البدو يتخلّوْن عن سكنى البادية وينزلون الحواضر ، ومنذ شُغف الفاتحون العربُ الساميّون بالجمال الآري فتزوجوا الفارسيات والتركيات والروميات . إلا ان هذا التبدّل التدريجي كان قد بلغ معَ قيام الدولة العباسية مبلغاً لفت الانظار وغطى على خصائص الشعر البدْوي الاولى .

١ ـ وقد نُتج من ذلك **احتكاكُ العرب بغيرهم من الامم** واقتباسهم أموراً كثيرة من أوجه الحضارة المادية ومن أساليب التفكير . ثم ان المواليّ (المسلمين من غير العرب) الاولين احتفظوا بكثير من أساليب تفكيرهم ومن عاداتهم في الجدال خاصة ، وأخذوا يتساءلون عن كثير مما في الإسلام من فروض وأحكام وعقائدَ ـ بعد الموازنة بينها وبين ما عرفوا في أديانهم القديمة ـ كالتفريق بين ذات الله وصفاته ، والبحث في شأن الجنة والنار وفي أعمال الانسان ، وهل هو مُخَيَّر يأتي أعماله حُرّاً مختاراً أم مُسَيَّر مُجْبَرٌ على أعماله . وهكذا نشأت منذ أواسط العصر الأموي حركة الاعتزال ثم اتسعت في العصر العباسي اتساعاً كبيراً . والاعتزال حركة فكرية تقوم على أن العقلَ وحدَهُ حَكَمٌ في جميع الأمور حتى في العقائد .

ولم يَضِقْ صدرُ الإسلام بهذه الحركة ، لأنها حركة أصيلة فيه ، ولكنّ أهلَ الدولة حملوا الامر على ظاهره فكانوا إذا ضاقوا ذَرْعاً بخصم سياسي ثم وجدوا عنده شيئاً من حرية الفكر قالوا عنه إنه زِنْديق وأخذوه في الظاهر بهذه التهمة بينما هم كانوا في باطنهم ينقمون منه خصومتَه السياسية .

٢ ـ وكان أبعدَ الاسباب أثراً في تبدل المجتمع الإسلامي **الزّواجُ بغير العربيات** ، فقد تبدلت به الحياة البيتية في المطعم والملبس وآداب السلوك ، وفي نشوء جيل له عُمومة عربية وخُؤولة فارسية أو رومية أو تركية . وبينما كان العرب الاولون خُلّصاً لا يَرَوْنَ للأمم على العرب فضلاً في شيء ، أصبح الجيل المُوَلّد الجديد يتعصب أيضاً لخؤولته ويرى أن العرب ليسوا أفضل من

سواهم في كل شيء . هذه التسوية بين غير العرب وبين العرب هي التي سمّاها أهلُ الحميّةِ العربيةِ « الشعوبيةَ » .

وكان في البيئة العبّاسية طبقة أثّرت في حياة المحدَثين تأثيراً عميقاً ، تلك هي طبقة الجواري . والجارية في الأصل هي الفتاة ، أو الفتيّة من النساء ، ولكنها أصبحت تطلق على الإماء — أي الجواري المملوكات . على ان الجواري في العصر العباسي لم يكُنّ يُمتَهَنّ في خِدمة البيوت ، أو اننا نحن لا نعني هؤلاء منهن . بل كان هنالك استاذون واستاذات يعلمون الجواريَ أصنافَ العلوم كالفِقه والكلام وأنواع الفنون كالغناء والرقص والشِعر ، حتى انهنّ كُنّ يُتَّخذْن للمباهاة والمناظرة . وقد يبلغ ثمن جارية مثل هذه مئات ألوف الدراهم أو الدنانير . وقد زعموا ان محمداً الامين أغرى ابنَ عمه جعفراً بمليون دينار حتى رضي أن يبيعه جارية عنده اسمها بَذْل . وقد كان بعض هؤلاء الجواري شاعرات .

ورغب الناس في الزواج بالجواري فأنْجَبْنَ الأولاد ، وكثيراً ما كان أبناء الجواري أشهرَ وأقدر من أبناء الحرائر ، نعد لك من هؤلاء المنصور والرشيد والمأمون والمعتصم .

إلا أن كثرة الجواري في بيوت الخلفاء والأمراء وفي مراتع اللهو كان أيضاً مَدعاة إلى الفساد الاجتماعي الذي أنتنَتْ منه البيئة العباسية . ولقد زاد في هذا الفساد نشوء طبقة الغِلمان والخِصيان .

٣ — وكثر التَعَرّب (التشبّه بالعرب) بين الموالي ، وبلغ من إعجابهم بالعرب أنهم كانوا يُلفّقون لأنفسهم أنساباً عربية ، فأبو تمّام الرومي أصبح حبيب بن أوْس بن الحارث بن قيس ... بن عَديّ بن عمرو بن الحارث بن طيء بن أدُد ... بن سَبَأ بن يَشْجُب بن يَعْرُب بن قحطان (تاريخ بغداد ٨ : ٢٤٨) . وهكذا أصبح المسلمون من الترك والفرس والروم يشعرون شعوراً قومياً عربياً : فاللغة العربية أصبحت لغتَهم ، والتاريخ العربي تاريخَهم ، والحياة العربية حياتهم . حتى إن الذين لم يدخلوا في الإسلام بل ظلوا في أهل الكتاب من النصارى واليهود والصابئة كانوا لا يختلفون في شعورهم الظاهر عن المسلمين في شيء ، وربما تسمّوْا بالأسماء الإسلامية وتكَنّوْا بالكُنى العربية .

٤ – والعرب في الأصل ، إلا أقلّهم ، بَدْوٌ رُحّلٌ يحملون عصبيّاتهم وعداواتهم معَ خيامهم وينتقلون بها من مكان إلى آخر لا يذكرون إلا صلةَ النسب أو ما هو بمعنى النسب من الولاء والحِلْف . فدعاهم النزول في الحضر إلى الترف واللهو وإلى ضَياع كثير من محامدهم الأولى من الفطرة الخيّرة والشجاعة والنجدة ، ثم انتشر بينهم كثير من مساوئ المدنية كالشراب والانغماس في اللذات وتناسي الوفاء ومسايرة أهل السلطان حقاً أو باطلاً . وقد كان لسكنى الحضَر حسنات أيضاً منها اتساع العُمران واستبحار العلم وازدهار الفن وكثرة الأسفار التي سهّلت معرفةَ بعضِ الأمم بعضاً ومعرفةَ ما كان عند كل أمة منها من وجوه الحضارة والثقافة .

٥ – إن شكل **الدولة والحكومة** الذي كان للعرب قبل الإسلام لم يصلح للامبراطورية الجديدة وللمجتمع الجديد . وكان للبلاد المفتوحة حكومات فلم يستنكف العرب أن يستفيدوا مِنَ اختبار من نَزَل في تلك البلاد قبلهم من الدول ، فاستعانوا بالأنظمة القديمة وبرجال الدول القديمة . وبما ان الفرس هم الذين ساعدوا العبّاسيين على نيل الخلافة لم يكن مستغرباً أن يُلْقيَ العبّاسيون قِيادَ دولتهم إلى الفُرس جُملة ، حتى أصبحت الدولة العبّاسيّة فارسية في كلّ شيء ، وحتى أصبح الفُرس والخُراسانيون خاصة يُدْعَوْن « أبناء الدولة » . فأثار ذلك نقمة العرب والشيعة منهم خاصة على العبّاسيين .

الأدب العباسي وخصائصه

إن الأدب الذي ساد في صدر الدولة العبّاسية يسمّى **الأدبَ العباسي** نسبةً إلى الدولة التي قيل في أيامها ، ويسمّى **الادب المُولَّد** لأن معظم الأدباء في ذلك العصر كانوا مُولّدين (مَوْلودِينَ من أبوين أحدُهما عربي والآخر غير عربي) ، أو **الادب المُحْدَث** لأن أولئك الادباء كانوا مُحْدَثين (جُدُداً أو متأخّرين بالاضافة إلى أدباء الجاهلية وأدباء العصر الاموي) . ثم ان الادب نفسه كان ، بهذا المعنى ، مُولّداً : لم يكن عربياً خالصاً في معانيه وأسلوبه ،

فقد دخل في الادب العربي فنونٌ وأغراض ومعانٍ لم يألفها الادب العربي من قبلُ كالغزل المذكر والخمريات والتوفّر على الاوصاف الحضرية واهمال العصبية العربية البدوية . ثم «دالت دولة الجمل والطلل» ، وقام على انقاضها «دولة الرياض والحسان» ؛ وزالت من الشعرِ المطبوع بالطابع الجديد آثارُ التقليد للأقدمين والإحترامِ لهم وحلّ مكانها النفور من حياتهم وأغراضهم ، لا منهم ، وبدأ الابتكار . ثم مات التستّر والكناية وظهر مكانهما التصريح وقِلّة المبالاة .

أما الأُسلوب فدخل عليه شيء من الضّعف في معرفة خصائص الألفاظ وفي التركيب أيضاً ، ولكن اكتسب رِقّة في التعبير ودخل عليه التكلّف بالإكثار من الصناعة (الجِناس والطِباق خاصة) . **وتطوّر النثر في العصر العباسي تطوراً كبيراً وبدأ التأليف** على ما نعرف اليوم .

وحدث تطوّر آخر في الشعر ، إذ مال المُحدَثون إلى الأوزان القصيرة وإلى نظم المُقَطّعات : الأبيات المعدودة في أغراض محدودة ، كما أحبّوا القوافيَ التي كانت إلى ذلك الحين مهجورة أو شبه مهجورة ، فَبَنَوْا بعض مقطّعاتهم على ما عَذُب من الذال والطاء والضاد ، فلم تنفر في السمع ، لأنهم لم يطيلوا القصائد فيُضطروا إلى الإستعانة بقوافٍ غريبة .

الالفاظ الجديدة

إن البيئة العباسية بما جد فيها من مظاهر الحضارة المادية ومن أوجه الثقافة الأجنبية خاصة وبما حدث فيها من جوانب الحياة الاجتماعية اقتضت ألفاظاً جديدة للتعبير عن تلك المظاهر والأوجه والجوانب . وقد تجلّت العبقرية اللغوية في العرب عن ثلاثة أنواع من الالفاظ : **الالفاظ المولّدة** وهي صيغ مشتقّة من جذور عربية نحو «تلاشي» أي اضمحل ، و «استأهل» بمعنى استحق ، و «الإيقاع» أي الضرب على الدف ونحوه على نظام معين ، وكذلك لفظة «أدب» الدالة على الإنتاج الراقي من الشعر والنثر . وربما كان التوليد في استعمال صيغة عربية قديمة لتأدية معنى جديد ، نحو : استعرض ، فان معناها الجاهلي «قتل بالسيف» فاستُعمِلت في العصر العباسي بمعنى «تَصَفّح الأوجه المختلفة في شيء

ما » كقولنا اليوم : « استعرض القائدُ الجيشَ » .

ثم حدث في البيئة العباسية مظاهرُ ومعانٍ لم يجدِ العرب لها في لغتهم ألفاظاً تؤديها من قرب أو من بُعد فعرّبوا ألفاظها الآجنبية ، أي أجْرَوْا اللفظ الأجنبي في صيغة عربية قَدْرَ الامكان ، نحو « أندزاه » الفارسية فانها أصبحت هندسة و « كليما » اليونانية فانها أصبحت إقليم . فهاتان وأمثالهما هي **الالفاظ المعرّبة** .

وبقي عدد من الكلمات لم يمكن تعريبها أيضاً فظلت مدة على لفظها الأجنبي ، نحو « أباذميا » و « اسطقس » و « اسطرونوميا » ثم أوجدت لها ألفاظ عربية هي « الوباء ، العنصر ، والهيئة أو الفلك » . ثم بقي ألفاظ لم يجد العرب حاجة إلى تعريبها أو لم يتأتَّ لهم تعريبُها نحو قانون ، جغرافية ، أسطرلاب ، كاغد ، الخ . وهذه كلها تسمّى **الالفاظ الدخيلة** لأن العجمة ظلت ظاهرة عليها .

المذهب البغدادي والمذهب الشامي

انقسم الشعراء ، منذ الجاهلية ، فريقين : فريقاً أخذ شعرَه بالتنقيح والتهذيب مثل أوْسِ بن حَجَر وزُهَير بن أبي سُلْمى والنابغة الذُبياني ، وفريقاً جرى في نظم الشعر على السليقة مثل طرفة وعنترة والخنساء . وكانت قيمة شِعر الفريق الثاني بالمعاني التي فيه ؛ أما تراكيبهم فكانت تتعقّد أحياناً حتى تكاد تَسْتَغْلِق كما نرى في شِعْرِ طرفة ، أو تضعف حتى تَرِكَّ كما نرى في شِعْر عنترة . أمّا الفريق الاول فكانت قيمة شِعْرهم في « العناية بالتعبير عن المعاني » وفي « تَطَلُّب التشابيه والاستعارات وإخراجها مخرجَ الصور الشعرية » .

وعاش المذهبان إلى العصر الأُموي : فالأخطل كان من الذين يأخذون شعرَهم بالتنقيح ، بينما عمرُ بن أبي ربيعة كان يجري في شعره على السليقة . فلما جاء العصر العبّاسي كان الميل فيه إلى نظم الشعر سليقةً وطبعاً كما نرى عند بَشّار بن بُرد وأبي نُواسٍ وابن الرومي . وبما أن مُعْظَمَ الشعراء الذين كانوا يفضّلون المعنى على اللفظ كانوا يعيشون في بغداد ، فقد عُرِفَت طريقتُهم بِاسْم

المذهب البغدادي . ثم كان هنالك شعراءُ مالوا إلى « التأنّق » في اللفظ » ؛ وبما أن مُعْظَم هؤلاء كانوا ممن نشأوا في الشام ثم اتفق أنِ انتقلوا إلى بغداد مثل أبي تمّام وتلميذه البحتري ، أو كانوا من الذين آثروا الشام في السُكْنى مثل ديك الجن الحمصي استاذِ أبي تمّام ، ومثل المتنبي وأبي فِراسٍ والمعرّي ؛ فقد سمّيت طريقتهم في الشعر المذهب الشامي . ويحسن أن نشير هنا إلى أن نفراً من شعراء بغداد كمُسْلِم بن الوليد والشريف الرضي كانوا من أتباع المذهب الشامي . ثم انا كثير ما نجد لأتباع المذهب الشامي مقاطع وقصائد تجري على المذهب البغدادي ، كما نرى للبغداديين أبياتا يتأنّقون فيها ويُغالون .

خصائص الشعر الشامي

من أبرز خصائص الشاعر الشامي الجِدّ فقلما مال الشاعر الشامي إلى الهزل أو المرح في شعره . ومنها اعجابه بالفنون القديمة كالنسيب القديم ، سواء أأحبّ حباً عفيفاً أو حباً مادياً أو لم يُحِبّ قَطّ . ومنها الفخر بالعرب في شعره ، سواء أكان عربياً كالبحتري والمتنبي ، أو فارسياً كمسلم بن الوليد ، أو رومياً كأبي تمّام . ومنها الحماسة (الفروسية ووصف المعارك) سواء أكان فارساً وخاض المعارك كالمتنبي وأبي فراس ، أو جباناً كالبحتري . ومنها تكلف المعاني البعيدة والغوص عليها . ومنها تكلّف الألفاظ الغريبة . ومنها تكلّف التشابيه والاستعارات والبديع (الجناس والطباق) خاصة ، حتى أن الشاعر الشامي لَيُحاوِلُ ألاّ يُخْلِيَ بيتاً له من ضَرْب من ضروب البديع . ومنها الإتكاء في التشابيه والاستعارات على قضايا المنطق والنحو والفقه وغيرها من العلوم . من أجل ذلك ظلت القصيدة عند الشاعر الشامي على شكلها القديم تجمع فنوناً مُتَعَدّدة .

أمّا سببُ اتّساعِ المذهبِ الشاميّ منذُ صدرِ العصر العبّاسيّ فراجعٌ إلى أن خصائصَ الادب المُحْدَثِ (ومُعْظَمها على المذهب البغدادي) كانت شائعةً في شعر شعراءَ اتّهِموا بالزندقة حيناً وبالشُعوبية حيناً آخرَ ثمّ كانوا من الذين يفضّلون الحياةَ الفارسية ومِمّن نالوا حظوة عند رِجال الدولةِ الفُرْسِ ، فلمّا

نكَبَ الرشيدُ البرامكةَ (راجع ، فوق ، ص ٣٥) حدثت رِدّة إلى الحياة البَدْوية وإلى خصائص الشعر البَدْوي (وهذه جانبٌ من المذهب الشاميّ) . ولمّا أصرّ الخلفاء والوزراء والأمراء على أن يُمْدَحوا بشعر على المذهب القديم مَعَ الوقوف على الاطلال لم يَجِد الشعراءُ المتكسّبون بُدّاً من موافقة هؤلاء على هَواهم وإن لم يكنْ ذلك رأياً لهم ، كما كان شأنُ أبي نواس مثلاً . وكذلك كان ثمّت شعراءُ لم يشاءوا أن يتركوا المذهب البغداديّ ولو أدّى ذلك إلى أن يَخيبوا عند الممدوحين ويَخسروا دَخْلَهم من المديح بالشعر ، كما كان شأنُ ابن الروميّ .

الوصف في العصر العباسي — وَحدة الموضوع

اتّسع الوصف في العصر العباسي اتساعاً كبيراً وتناول مظاهر البيئة الجديدة : الهياكل والجنائن ، والمطاعم والملابس ، والخمر والزهر . ثم تعرّض الشعراء للأحوال الفكرية والاجتماعية من إدخال مدارك النحو والمنطق والفلسفة في الشعر ومن وصف مجالس الغناء . وكذلك اتسع التحليل النفسي ، إذ أخذ الشعراء خاصة ينظرون إلى ما وراء أعمال الانسان الظاهرة فتكلموا في الصبر والمكر واستقرأوا شعور السكران والغضبان والثاكل والمهزوم والغني والمتكبر والكريم والبخيل ، كما نرى عند معظم الشعراء ، وعند أبي نواس وابن الرومي على الاخصّ . ولقدِ اقتضى ذلك كلّه أن يحاول الشاعر أن يستوفيَ كثيراً من عناصر الوصف والتحليل في مكان واحــد من قصيدته وفي أبيات متتالية فنشأ شيء من وَحــدة الموضوع أو برزت وحــدة الموضوع في الشعر العباسي بروزاً ظاهراً .

اتّساع الفنون الأدبيّة — في الشعر والنثر

إذا نحنُ استثنَيْنا الغزلَ المُذكّر وحدَه فإننا لا نَجِدُ في الشعر العبّاسيّ فنّاً لم يكن في الجاهليّة أو لم يكن له صلةٌ بفنّ جاهليّ . فالفخر والمديح والرثاء والغزَل والأدب (الحِكْمة) والوصف والزُهد والمُجون فنونٌ معروفةٌ أصولُها في الشعر الجاهليّ .

تضاءل الفخرُ القبليّ القديمُ واتّسع الفخر الشخصيّ بالنفس وخصائصها الذاتيّة والاخلاقية وبنتاجها الشعري . وكذلك اتّسع المديح بالشجاعة والكرم وشَرَف الأصل وأصالة الرأي وزادت عليه خصائصُ منها المَقْدِرة في لَعِبِ الشِطْرنج مثلاً ، كما نرى عند ابن الرومي ، ومنها المدح الغزليّ ، كما نرى عند أبي نُواسٍ في مدح الامين . وأصبحت خِدمةُ الإسلام في الحرب والإدارة والعدل من عناصر المدح العبّاسي . وكثيراً ما كان الشعراء يَمُنّون على الممدوحين أنهم يمدحونهم وأنهم ينظمون فيهم شعراً يَعْجِزُ غيرهم عن مثله ، كما نرى عند أبي نواس وابن الرومي وعند المتنبي فيما بعدُ .

ورقّ ٱلإِعتذار الذي رأيناه عند النابغة الذبيانيّ واتّسع فيه العتاب الرقيق الذي نراه عند البُحتريّ . وكَثُرَ الزهد والأدب (الحكمة) وأصبحا فنّين يعالجهما نفرٌ من الشعراء في قصائدَ أو مقطّعاتٍ تامّة ، واتّسع القول فيهما في الاغراض والأسلوب .

وكان الطَرْدُ (وصف الصيد) معروفاً في الأدب القديم فأصبح في العصر العبّاسي باباً مستقلّاً . ولم يقتصرِ الطردُ على الصيد فحَسْبُ بل تناول كلّ ما يتعلّق بالحَيَوان حتّى وَصْفَ « قِتالِ الديَكَة » ، كما نرى عند أبي نواس . وكذلك الخمر أصبحت فَنّاً قائماً بنفسه مستقلاً في القصائدِ والمقطّعات ، مَعَ ما يَتْبَع ذلك من آداب المُنادمة مثلاً .

أما الفنّ الذي نستطيع أن نقول إنّه نشأ في العصر العبّاسي بعدَ أنْ لم يَكُن فهو الغزلُ المذكّر : إنّه إعجابٌ بالذكور نَظَريّاً وعَمَليّاً لم يكنْ موجوداً عند الأُمويّين ولا عند الجاهليّين . وأمّا الذي دعا إلى نشأة هذا الفنّ في الشعر فهو مزيج من الحاجة والأُلفة والتَرَف تَسَرّبَ إلى العرب من الفُرسِ مَعَ مجيء جيوش أبي مُسْلِمٍ الخُراسانيّ . وقد ذكر الجاحظ سبب انتشار هـذه الفاحشة بين العرب في « كتاب المعلّمين » فقال حمزة الاصفهاني [1] :

« إنّ الشعراء قاطبةً من أيّام مولد الشعر قُبيلَ الإسلام في آخر بني أمَيّةَ كان تَشْبيبهم بالنساء لا غيرَ ، إذ كانت دواعي عِشْقِهم من جهة النساء .

---

[1] كتاب المعلمين مفقود ، ولكنني عثرت على صفحة منه منسوخة في مخطوطة لديوان ابي نواس من جمع حمزة بن حسن الاصفهاني Hss. in der Staatsbibliothek zu Berlin, Nr. 7532

فلمّا أقبلت المُسَوِّدة [1] من المشرق مَعَ أهل خُراسانَ أحْدِثَ فيهم اللِواطُ لارْتِباطِهِمُ [2] الغِلْمانَ فشبّب شعراءُ الدولة ..... بالذُكران . وكان لحدوث هذه الفاحشة في الخراسانيّين سببٌ حكاه الجاحظ في كتاب المعلّمين ، زعم ... :

« أنّ السببَ الذي أشاع اللواطَ في أجْناد خراسانَ خروجُهُم في البُعوث [3] مَعَ الغلمان ، وذلك حين تَعَذّر عليهِم اصطحابُ النساء والجواري حين سنّ أبو مُسْلِم (الخراسانيّ) صاحبُ الدولة في تلك العساكر ألاّ يَصْحَبَها النساءُ خِلافاً على بني أميّةَ في إخراجهم النساءَ مَعَهم في العساكر ؛ ولم يكن لهم بُدّ من غِلمانٍ يخدمونهم .... فتعوّد القومُ ذلك في أسْفارهم فلم يَقْفُلوا منها إلى منازلهم إلاّ وقد تمكّنت منهم ....

« ولو كانت هذه الشهوةُ شائعةً في الاعراب لتَعَشّقوا الغلمانَ بهــا ، ولو تعشّقوا الغلمان لَنَسَبوا بهم [4] ولَتَهاجَوْا ولَتَفاخروا ولَتنافسوا (فيهم) ؛ ويجري في ذلك من الشرّ ما لا يَخْفى مكانُه » .

أما النثرُ فكان أكثر تطوّراً واتّساعاً في العصر العبّاسي من الشعر .

نشأت التوقيعاتُ ، وهي جُمَلٌ قِصارٌ مُقْتَبَسة أو مُنْشأة كان الخلفاء خاصّةً يُوقّعون بها (ومن هنا جاء اسمُها) في آخر القِصَص (الرِقاع والاوراق التي تُعْرَضُ عليهم وفيها اقتراحٌ بعملٍ أو طَلَبٌ من مُحتاجٍ أو حُكْمٍ من قضاءٍ أو مَبْلَغ من المال للصَرْف والإنفاق) . ومَعَ أن التوقيعاتِ كانت معروفةً منذ عصر الخلفاء الراشدين ، فانها اتّسعت في العصر العبّاسي اتساعاً جَعَلَتها خاصّة من خصائصِ هذا العصر . فمن التوقيعات العبّاسية مَثَلاً : شكا أهلُ الكوفة إلى أبي جَعْفَرٍ المنصور سوءَ مُعاملة عامِلِهِم (المكلّفِ بجمع الضرائب منهم) فوقّع أبو جَعْفَرٍ في أسفل رُقْعَتِهِم التي رفعوها اليه في هذا الشأن : **كما تكونون يؤمّرُ عليكم** (المقصود : ان المنصور ردّ طلب أهل الكوفة فلم يقبل بتبديل العامل) .

---

١ المسودة : دعاة بني العباس سَمّوْا أنفسهم بذلك بعد أن اتّخذوا ثياباً سوداً وراية سوداءَ خلافاً لبني أمية الذين كانت رايتهم بيضاء .

٢ ارتبط الخدم والخيل : جعلهم قريبين منه لخدمته .

٣ البعث : الجيش الذاهب إلى الحرب .

٤ نسب وشبب : تغزل .

واتّسعت الكتابةُ الديوانية (تبادلُ الرسائلِ بين الخلفاء والولاة ، الخ) – كما كثُرت الرسائل الإخوانية – فقلّ بذلك شأنُ الخطابة .

التدوين والتأليف خاصّة

أمّا المظهرُ الأدبيّ الذي برز في العصر العبّاسيّ بُروزاً عظيماً فكان التدوينَ .

كان الادبُ القديم قائماً على الرواية (يتَناقَلُه الناسُ من طريق اللسان) . أما في العصر العبّاسيّ فغَلَبَ التدوينُ وجعل الرُواةُ والعلماءُ يُدوّنون (يَكْتُبون) ما يَسْمعونه وما يَخْطُرُ في بالِهم .

ويتناول التدوين جوانبَ عديدةً :

أ – إثبات الرِواياتِ كما سُمِعَتْ (وخصوصاً فيما يتعلّق بالحديث وبالتاريخ) .

ب – إثباتَ معاني الروايات ، بعد إيجازِ ما طال منها أو ما تكرّر فيها (وخصوصاً فيما يتعلّق بتاريخ الأدب وبالأحوال الاجتماعيّة ، عند تعدّد الروايات) .

ج – تنسيقَ الرواياتِ (جمعَ المُتَشابه منها ما أمكن في محلّ واحد) كما نَجِدُ في كتابِ الكامل للمبرّد مثلاً . على أن هذا التنسيق لم يكنْ جامعاً ، فقد يَنْسى المدوّنُ أمراً فيعودُ إلى ذِكْره في مكان تالٍ .

د – التأليفَ ، وذلك أن يَضَعَ المدوّنُ نِظاماً معيّناً لمادّته الأدبية أو العِلمية ، كما نرى في كتاب كَليلةَ ودِمْنَةَ لابن المُقفّع وكتابِ الحَيَوانِ للجاحظ .

هـ – النقل : وقد اتّسع النقلُ في العصر العبّاسي ودُوّنَ المنقولُ من الحِكَم وآدابِ السُلوك وفنون العلم والفلسفة ، عن اللغة الفارسية والسُريانية واليونانية والهندية .

و – وربمّا كان الذي يُدوّن الرواياتِ يُبدي رأياً بعدَ رأيٍ في صحّة الرواية أو في قيمتها أو يفسّرُ ما يدوّنُ من بعض الشعر أو النثر ،

وذلك طليعةُ النقد . ثمّ ان هؤلاء جعلوا في كتبهم مقاطعَ خاصّةً بالنقدِ اللغوي أو البلاغي أو الأدبيّ . ثمّ نشأت ، فيما بعد ، كتب النقد .

المذاهب اللغوية والأدبية

إن جميع بحوثِ العربِ في اللغة (في الألفاظ والتراكيب وفي صيَغ الكلمات المختلفة وفي الإعراب ، وفي ما ورَدَ عن العرب وما لم يَرِدْ ، وفي ما ورد عن قبيلة دونَ قبيلة) إنما قُصِدَ بها ضبطُ لُغة القُرآن **حتّى يظلّ القُرآنُ يُقرأ كما نَزَلَ على الرسولِ فقرأه الرسولُ على المسلمين الاولين** . ويَحْسُنُ أن نعلمَ أن جمعَ أشعار العرب الجاهليين وأخبارَهم وأمثالَهم إنما قُصِدَ به أيضاً ما قُصِدَ من جمع لُغاتِهم (في ألفاظهم واعرابها) .

ولا ُبدّ ، في فَهْمِ ما يسمّيه مؤرخو التاريخ والأدب «الاختلاف بين علماءِ البَصْرة وعلماءِ الكوفة» في ذلك كلّه ، من اعتبار ما يلي :

(١) اللغة تتطوّر بالإضافة إلى الأمكنة والأزمنة حتى تَظَلّ موافقةً لحاجاتِ المتكلّمين بها . وقد اختلفتِ اللغةُ العربية بحَسْبِ ذلك بين القبائل الشّمالية نفسها قليلاً ، كما اختلفت من لُغةِ العَرَبِ الجَنوبيّين (لغة القبائل اليَمَنيّة) كثيراً حتى أصبحَ أهلُ اليمن قبلَ الإسلام يتكلّمون لغةً مُخالفةً لِلُغةِ مُضَرَ (عرب الشّمال) .

(٢) لمّا نَزَلَ القرآنُ الكريمُ نزل بلغةِ قريشٍ — أفصح قبائلِ العربِ عند علماءِ اللغة — فعُدّ كلّ ما بَعُدَ عن لغة قريشٍ ، في لفظه وصيغته وإعرابه ، غريباً نادراً في اللغة العربية .

إنّ علماء اللغة لمّا جَمعوا ألفاظ اللغة لم يَجْمعوا ألفاظَ مُضَرَ فقطْ ، بل جمعوا كلّ ما سَمِعوه من البَدْو لأن البَدْوَ كانوا في رأي أولئك العلماء **يتكلّمون سَليقةً ولا يُخطئون** . من هذا **الافتراض** انطلقَ العلماء يُصنّفون الألفاظَ فصيحةً وغريبةً وحُوشيةً ودَخيلةً .

(٣) إن الذي نسمّيه «اختلافَ الرواة» ليس في الواقعِ سوى تَمَسّكِ كلّ

فريقٍ بما سَمِعَ في البيئة المحيطة به ، ويبدو أن الفرقَ بين رأي علماء البَصْرة وبين رأي علماء الكوفة في طرُقِ اشتقاق الألفاظ وفي الدفاع عن بعض أوْجُه الإعراب وفي إقامة الأدلّة على رأي دون رأيٍ إنما هو من عَمَلُ العُلَماء المتأخّرين ، بدأ مَعَ المُبَرِّدِ وثَعْلبٍ في الاغلب .

لمحة تاريخية :

جاء عُمَرُ بنُ الخطّاب إلى الخِلافة (١٣ هـ) ثم بُنِيَت البصرة والكوفة في العامين التاليَيْنِ فأنزلَ عُمَرُ في الكوفة أنصارَ المَدَنيّين وآلِ أبي طالب الذين كانوا يُريدون الخلافة بعد رسول الله للإمام عليٍّ ، وأنزلَ في البصرة خصومَهُمُ السياسيين . وجاء الإمامُ عليٌّ وثارتِ الحربُ بينه وبين عائشةَ وطلحةَ والزُبير في مَعْرَكة الجَمَل ، فكان أهلُ الكوفة مَعَ الإمامِ عليٍّ وأهلُ البصرة مَعَ عائشةَ وطَلحةَ والزُبير .

ولقد اتّفق أن يكونَ أهلُ الكوفة مُخالفين لأهلِ البصرة في اللّغة والنَحْو أيضاً .

وأقْدَمُ مَنْ شَغَلَ بالَه بالنحو فيما ثَبَتَ من التاريخ أبو عُمَرَ عيسى بنُ عُمَرَ الثَقَفيّ (ت ١٤٩ هـ ، ٧٦٦ م) ، وكان من أهل البصرة [٤] قيل إنه ألّف في النحو كتابين ولكنّهما لم يَصِلا إلينا . وقيل إن المُبَرِّدَ رأى منهما أوراقاً ، وقال ياقوتٌ الروميّ إنه لم يَرَهما ولا رأى من رآهما .

واتّجاه عيسى بنِ عُمَرَ في اللغة والنحو هو الاتّجاهُ الذي عُرِفَ به علماء اللّغة والنحو البصريون : **التمسّكُ بالنّص والمَثَلِ كما سُمِعا من البَدْو** من غير تحكيمٍ لِقاعدةٍ أو تذليلٍ لِمَنْطِق . من أجل ذلك تبقى اللّغة بألفاظها وتراكيبها وإعرابها عند البصريين أمثلةً مُفْرَدة كلّ لفظةٍ صحيحةٌ بنفسها لأن العرب (البَدْوَ والجاهليين منهم خاصةً) قد جاءوا بها على ذلك الوجه المَخْصوص . إننا مثلاً نجمع « باب » على « أبواب وبيبان وأبْوِبة » (أما أبوبة فجَمْعٌ نادر : لم يُسْمع كثيراً) . أما ناب (السِنّ التي في الفمّ) فتُجْمع على أنْيُب وأنياب ونُيوب . وكذلك دف ، رفّ ، صفّ فانّها تجمع على دفوف ، رفوف ، صفوف ليس إلاّ ذاك ، أما كفّ فانها تجمع على أكفّ

وكفوف وكُفّ . ولا يجوز عند البصريين أن نجمع كلّ كلمة من الكلمات التي ذكرت إلاّ على ما سمعنا في جمعها عن العرب ؛ فلا يجوز أن نجمع « ناب » على نيبان (قياساً على بيبان في جمع باب) ، كما لا يجوز أن نجمع دَفّ وصَفّ على أدُفّ وأصُف (قياساً على أكفّ) . أما علماء الكوفة فقالوا : إن ذلك جائز ، فما دام الاسم دَفّ موازياً في صيغته للاسم كَفّ فيجوز أن نَجْمَعه على أدُفّ كما جمعنا كَفّ على أكُفّ !

وكان للبصريين رأي أشدّ خطَراً من ذلك : كانوا يأخذون بالتواتر . إذا كَثُرَ سَماع اللفظ كانت كَثْرة سَماعه عندهم دليلاً على صِحّته : إن الجمع « أبواب » عندهم جمعٌ صحيحٌ يجوز لنا أن نَسْتَعْمله في كلامنا . أما الجمع « أبوبة » فهو نادر أو شاذّ قد قَبِلْناه من الأعرابي الذي قاله ، ولكننـا لا نستعمله نحن في كلامنا ؛ فإذا استعمله أحد في نثر أو شعر عَدَدْنا ذلك « خطأً » منه . أما الكوفيون فاحترموا اللفظ الواصل اليهم من الأعراب سَواءٌ أسُمِعَ هذا اللفظُ من الأعراب ألفَ مرّةٍ أو سُمِعَ من أعرابيٍّ واحد مرّةً واحدةً ، ذلك لأن الأعراب — في رأي الكوفيين — يتكلّمون سَليقةً فلا يُخْطئون ، فنحن نَقْبَلُ كلّ ما وَصَل إلينا عَنْهم على مُسْتوىً واحدٍ من الصحة والأصالة. ثم يخطو الكوفيون خُطْوةً أبعدَ فيعدّون ذلك الذي سُمِعَ من أعرابيٍ واحد مرّةً واحدةً أساساً للقياسِ عليه فيُجيزون أن نقولَ أنْيِبَةٌ (في جَمْعِ ناب) وأجورة (في جمع جار) وأتوجة (في جمع تاج) .

ويبدو أن لهذا الاختلاف في الرأي ، بين البصريين والكوفيين ، وجهاً من التَعْليل : كانتِ البصرةُ أقربَ إلى البادية حقيقةً ومَجازاً ، وكان الأعراب أكثرَ وروداً على البصرة ، وبالبصرة كان المَرْبِدُ الذي كان العربُ يتوافدون إليه للبيع والشِراء ولإنشادِ الشعر وإلقاء الخُطَب : لقد كان مربد البصرة عكاظَ العراق . من أجل ذلك كان علماء البصرة أكثرَ لقاءً للبدو وأكثرَ أخذاً عنهم . ثم ان الكوفة كانت أكثرَ إيغالاً في العراق وأكثر سواداً (أرضـاً مزروعة) وأشدّ صِلة بغَيْرِ العَرَبِ (بالآراميين والفرس) **فاعتاض العلماء الكوفيون عن سَماع الأعراب بالاتّجاه نحو القياس المَنْطِقي .**

على أن هذا لا يَعْني أن البصريين اكْتَفَوْا بالسَماع ولم يَلْجأوا إلى القياس البَتّةَ ، ولا أنّ علماء الكوفة لَزِموا القياسَ ولم يَتَزَحْزَحوا عنه إلى قَبول

السّماع . إن علماء المذهبين قد أخذوا في أوّل الأمرِ بالمبدأين : مبدإ السّماع ومبدإ القياس ؛ ولكنّ المتأخرين من علماء البلدين اتّخذوا اللّغة والنّحوَ مَيْدانَ مَعْرَكة لُغَوية كما كانوا قد اتّخذوا الخلافة مَيْدان معركة سياسية دينية .
والواقع أن أهلَ البَلاط العبّاسي كانوا يُفضّلون الرأيَ من العلماء الكوفيين على الرأيِ من العلماء البصريين ، بقَطعِ النّظر أحْياناً عن صِحّة الرأي نفسهِ ، لأن أهلَ الكوفة كانوا شيعةً لبني العباس .

ثم يَحْسُنُ أن نعلم أن العلماء من البصريين والعلماء من الكوفيين لم يَلْزموا بَلَدَيْهِم ، فقد أخذوا ينتقلون – مُنْذُ أواسطِ القرن الثالث للهجرة (العاشر للميلاد) – إلى بَغْدادَ ، ثم أخذوا يتزحزحون عن تشدّدِهم شيئاً فشيئاً ليأخذوا بالتلفيق بين المذهبين .

من وجوه الخلاف بين الكوفيّين والبصريين

– يأتي رأي الكوفيين ثم يتبعه رأيُ البَصْريين (بين هلالين) :

قال الكوفيون : الاسْمُ مُشْتَقٌ من الوَسْمِ – بمعنى العَلامة (وقال البصريون: الاسم مُشتق من السُمُوّ – بمعنى العلوّ) .

- المبتدأ مرفوع بالخَبَر ، والخبر مرفوع بالمبتدأ (المبتدأ مرفوع بالابتداء ، والخبر مرفوع بالمبتدأ) .
- المفعول به منصوب بالفاعل (الفاعل مرفوع بالفعل ، والمفعول به منصوب بالفعل أيضاً) .
- نِعْم وبِئْس اسْمانِ (نعم وبئس فِعلانِ ماضيان لا يتصرّفان) .
- يجوز بِناءُ اسْمِ التفضيل من السّواد والبَياض على أفْعَلَ ، نحو أبْيَض : أشدّ بياضاً (لا يجوز) .
- المصدر مشتقّ من الفِعل (الفعل مشتقّ من المصدر) .
- الاسم المُنادى المفرد مُعْرَب مرفوع بغير تنوين (... مَبْنِيّ على الضمّ ومَوْضِعه النصبُ لأنه مفعول به .
- فعل الأمر مُعْرَب مجزومٌ (فعل الأمر مَبْنِيّ على السكون) .

• « حتى » حرف نصب تَنْصِبُ الفعلَ المضارع بعدها (« حتى » حرف جر يُنْصَبُ الفعلُ المضارع بعدها بحرف النصب « أنْ » مُضْمراً) .

مخضرمو الدولتين

المخضرم هو الرجل الذي عاش في عصرين . والمخضرمون باطلاق هم « الشعراء الذين كانوا في الجاهلية ثمّ أدركوا الاسلام » . أما مخضرمو الدولتين فهم الذين اشتهروا في دولة بني أميّة ثم أدركوا دولة بني العبّاس .

عبد الله بن المقفع

١ – كان داذويه (والدُ عبدِ اللهِ بنِ المقفّع) رَجُلاً فارسيّاً مجوسياً أصلُه من قريةِ جورَ (فيروزاباد اليوم) ، جاء إلى البصرة وتَوَلّى فيها بعضَ أعمالِ الخَراج ، في أيام الدولةِ الأموية ، فاحْتَجَنَ شيئاً من المال (سرقه) ، فَضَرَبَهُ الحجاجُ بنُ يوسفَ فتقفعتْ يدهُ (تجمّع باطنُها) فعُرِفَ بالمُقَفّعِ .

وفي البصرةِ رُزِقَ داذويه وَلداً سمّاهُ روزبه اسْماً فارسيّاً ولقّبه أبا عمرٍو تقرّباً إلى أهل البيئة العربية التي كان يحيا فيها .

نشأ روزبه في البصرة نشأةً عربيةً إلى جانبِ الثّقافةِ الفارسية التي وَرِثَها من أسرتِهِ . وفي أواخرِ العصرِ الأمويّ أصبح كاتباً في خدْمَةِ آل هُبيرةَ ، مُختصّاً بداوودَ بنِ عُمَرَ بنِ هُبيرة أخي يزيدَ بن عمر والي البصرة والكوفة (١٢٩ – ١٣٢ هـ) . غير أن نجمَه لم يتألّقْ حتى اتّصلَ بعيسى بن علي عمّ الخليفةِ العبّاسيّ أبي جعفرِ المنصور ووالي الاهواز (١٣٣ – ١٣٥ هـ) وأسْلَمَ على يَدَيْهِ وتَسمّى بعبدِ الله وتلقّب أبا محمّدٍ . ومُنْذُ ذلك الحينِ أصْبَحَ يُدْعى عبدَ الله بنَ المُقَفّعِ .

ولكنّ عبدَ اللهِ بنَ المقفّعِ لم يَعِشْ في الإسلام طويلاً ، فقد أوْعَزَ

أبو جعفرٍ المنصورُ إلى سُفْيانَ بن مُعاويةَ بن يزيدَ بنِ المهلّبِ والي البصرة (١٣٩ – ١٤٥ هـ) بقتله ، قيل لأنه كان على الزَّنْدقة ، وقيل بل أراد المنصورُ أن يَسْتدرِجَ عمّه عبدَ الله بنَ عليّ ، وكان قدْ ثارَ عليه سَنَةَ ١٣٧ هـ ، فعَهِدَ إلى ابنِ المُقفّعِ أنْ يكتُبَ اليه رِسالةً يُؤمّنه فيها (أماناً ظاهراً) . ولكنّ ابنَ المقفّع بالغ في التأكيدِ والصّراحة حتّى لم يَدَعْ مَجالاً لِتَأوّلِ شيء ، إذ قال (على لسانِ المنصور) : « وإنْ أنا نِلْتُ عبدَ الله بن علي أو أحداً ممن أقْدمُه معَه بصغيرٍ من المكروه أو كبير ... سراً أو علانية ... فأنا نَفيٌّ من محمدِ بنِ علي بن عبد الله ... وقد حَلّ لجميعِ أمةِ محمّد خلْعي وحَرْبي والبَرَاءةُ مني » . وقيل بل ألّف ابنُ المقفع كتابَ كليلة ودِمْنةَ تعريضاً بالمنصور وتلميحاً اليه .

وكان مقتلُ عبدِ اللهِ بنِ المقفّعِ في البصرة سَنَةَ ١٤٢ هـ (٧٥٩ م) .

٢ – كان ابنُ المقفّع شديدَ الذكاء ، عقلُه أكبر من علمه ، دقيقَ المُلاحظة بارعاً في مُعالجة الموضوعاتِ المادية الحِسّيّة والعقليةِ المُجردةِ مَعَ سَعَةٍ في المعرفة واتّزانٍ في الأحكام وإصابةٍ في الرأي .

وابن المقفّع بارع في البحث والتحليل وفي سردِ القِصَص وضَرْبِ الأمثال . ثم إنه يأتي بالبحث وبالقِصَص والأمثال متداخلةً في استطراد مُحكَمٍ : يبدأ قِصةً فإذا سار فيها شَوْطاً انتقل إلى غيرها ، ثم ينتقلُ على هذا الشكلِ إلى ثالثةٍ ثم إلى رابعةٍ فخامسةٍ في بعض الأحيان . ويكون البحث والتحليل والحِكَم موزّعةً بين أقسامِ القِصةِ الواحدة وبين الأمثال المضروبة . فإذا استوفى ابنُ المقفّع مَدى الفِكرة التي يُعالجها عاد فأتمّ القِصةَ الأخيرةَ ثم التي قَبْلَها فالتي قبلهما حتى يعودَ إلى القِصة الأولى فيُتِمّها . وهكذا يَحْمِلُ ابنُ المقفع القارئَ العاديَّ على قِراءةِ البحثِ والتحليل وهو يُحاولُ أن يَتَتَبّعَ أقسامَ القِصةِ والأمثالَ المضروبةَ .

والألفاظُ عند ابنِ المقفّع فصيحةٌ إلّا إذا اضْطُرّ إلى استعمال ألفاظٍ فنيّةٍ مثل شُبّهَ (التَبَسَ ، اختَلَطَ) ، مِرْية (شكٌّ ، رَيْب) ، خافِر (ناقِض للعَهْدِ) ، السِباخ (الأرضُ المُهْملة) ، السِرْجين (الزِبْل) . والتركيب عنده صحيحٌ سهلٌ ، إلا أن جُمَلَه طويلةٌ متعانِقَةٌ مما يُؤدّي أحياناً إلى شيءٍ من الغُموض في التعبير . وابن المقفع بارعٌ في التَصَرّفِ بأحرفِ الجرّ

الكثيرة وبأسماء الموصول . وأسلوبه خالٍ من الصناعة ، إلا ما يقعُ له منها عفواً مرةً بعد مرةٍ وفي مواقفِ التهكمِ في الأكثر .

كان ابن المقفع كاتباً مترسّلاً (موظّفاً في الديوان أيام بني أمية) . ولكنّ شهرته تقومُ على كتاب كليلةَ ودِمنة ، وهو أشهرُ كُتُبه وأعظمُها وأدلُّها على أسلوبه وأجلُّها في تاريخ الكتابة الأدبية . وعليه تقومُ شهرتُه الأدبية .

في كتاب كليلةَ ودِمنةَ أربعُ مُقدّماتٍ ثم خمسةَ عشرَ باباً تدورُ حولَ أسئلةٍ يُلْقيها ملِكٌ من ملوك الهند يَدْعونه دَبْشَليمَ على فيلسوفٍ مُعاصر له يزْعُمون أنّ اسمَه بَيْدَبا . وقد أجاب بَيْدبا على هذه الأسئلةِ بأجوبةٍ مُناسبة ثم ضرب على ما أجاب به أمثلةً واستخرجَ من كل شيء مَغزىً صرّح به تصريحاً أو تركه ملموحاً .

وفي هذا الكتاب يتعلّمُ الأُمراء كيفَ يحكُمون الرعايا وكيف يتّقي بعضُهم بعضاً وكيف يتعايش الناسُ فيما بينَهم أو يَسيرون على طاعةِ أولي الأمرِ منهم . وعُمْدَةُ الكتاب أن ثمةَ مُثُلاً عليا ثابتةً من طاعة السلطان وحُسْنِ الصداقةِ ومن الصِدْق في القول والعمل ، ومن أدب الضيافة .

ولابن المقفع كتبٌ أخرى ضاع بعضُها وبَقِيَ بعضُها الآخر . وكل هذه الكتب أقلّ أهميةً من كتاب كليلة ودمنة :

كتاب الأدب الصغير : مجموعُ حِكَم يَسوقُها ابنُ المقفع مجردةً من القِصَص والأمثال ، على خلاف أسلوب كليلة ودِمنة . وبعض هذه الأقوال مذكور في كتاب الأدب الصغير وفي كليلة ودمنة معاً كالقطعة المشهورة : « ... ما الإخوانُ ولا الأعوان ولا الأصدقاء إلا بالمال ... » . أما كلامه فموَجّهٌ إلى العامّةِ أكثرَ منْهُ إلى الحُكّام والوُلاة . والكتاب مجموعٌ من كلامِ الناس وحِكَمِ الشعوب . وسُمّيَ « الصغيرَ » دلالةً على حجْمه لا تعْييناً لمادّته وأهمّيّته .

الأدب الكبير : مجموعُ حِكَم أكبرُ من « الادب الصغير » ، وفيه كلام مبسوطٌ على الصِلة بين الحكام والرعية أكثرَ مما في الأدب الصغير . ثم فيه أمور تتعلق بالمخالقة بين الناس أنفسِهم .

ويظهرُ أن ابنَ المقفع أحبَّ أن ينظّمَ آراءه هنا أكثرَ مما فعَلَ في « الأدب

الصغير » فأعطانا « بابَ السلطان » و « بابَ الصديق » . لقد حاول فعلاً أن يضم بعض الآراء إلى ما يشاكلها .

أمنقولٌ كتابُ كليلة ودمنة أم موضوع ؟

هنالك ثلاثُ نَظَريات :

(١) الكتاب منقول عن اللغة الفهلوية : إن عبد الله بن المقفّع أعلن في « باب عرض الكتاب » ، وهو مقدمة وضعها بنفسه ، أن الكتابَ هنديّ الأصل ، نقله الفُرس إلى لغتهم ، ثم جاء هو فنقله من الفهلوية (الفارسية القديمة) إلى العربية .

(٢) وقال آخرون ان الكتاب غير معروف في الآداب القديمة — بهذا الشكل — وما « دَبْشَليمُ الملك » ولا « بَيْدَبا الفيلسوف » ولا « فُورُ ملكُ الهند » إلا أعلامٌ منسوبةٌ إلى زمنٍ لم تكن فيه وأمكنة لا تعرفها . ثم ان ما في الكتاب من احتقارٍ للثور ومن آياتٍ قرآنيةٍ كريمةٍ وأحاديثَ نبويةٍ شريفة ومن آراءٍ لا شك في أنها من صُلْبِ الفقه الإسلامي ، يدُلّ على أن الكتاب نشأ في بيئة إسلامية عربية مَحْض . على أن الرَّغبة التي كانت آنئذ في الكتب المنقولة لا الموضوعة ، وأتهامٌ عبد الله ابن المقفّع — فيما يقال — بكُره أبي جعفرٍ المنصور حمَلاه على أن يَنحل كتاب كَليلةَ ودِمْنَةَ لبيدبا الفيلسوف الهندي وأن يقول إنه نقله من اللسان الفهلوي إلى اللسان العربي .

(٣) على ان تتبّعَ بعضِ الباحثين أثبتَ ان « القِصَصَ » الواردةَ في كتاب كليلةَ ودِمْنَةَ معروفة بأعيانها أو بأشباهها عند اليونانِ وعند الفرس وعند الهنود وعند اليابانيين[١] : وعلى هذا يكونُ عبدُ الله بن المقفّع قد أَستقى « القِصَصَ » من الأدب الفارسي والهندي ثم ساقها سِياقاً هو أوجده ، واستَخلص منها العِبَرَ التي يُريدُها هو وأضاف اليها أو حذفَ منها . فيكون كتاب كليلة ودمنة إذَنْ غيرَ منقولٍ عن اللغة الفارسية إذا اعتبرنا أن النقل إنما هو وضع الآراء الأجنبية

---

١ راجع مجلة الامالي (بيروت ٣ : ١٧) ٢٨-٨-١٩٤١ ، ص ٢ - ٦ .

في لغة عربية معَ التقيّد بكل شيء . وكذلك لا يكون الكتاب مُؤلَّفاً تأليفاً مستقلاً إذا اعتبرنا ان ذلك يقتضي الابتكار والاستقلال عن المجاري الأجنبية الخارجية . وهكذا يكون عبدُ الله بن المقفّع – حَسْبَ هذه النظرية – قد استقى رُوحَ الكتاب من مصدرٍ أجنبي ثم صاغه صياغة عربية تلائم البيئة العربية .

٣ – مختارات من كتاب كليلة ودمنة :

– من باب عرض الكتاب (وهو من إنشاء ابن المقفّع وليس من الأصل المَقُولِ إنه منقول) ، وفيه وصفٌ لكتاب كليلة ودمْنة والغايةِ من وضعه . وهذا الفصل يمثل الأسلوب الأصيل لابن المقفّع . وفي أسلوب هذا الفصل ونَسَقِه دليل على النظرية الثالثة في أصل كتاب كليلة ودمنة :

"هذا كتاب كَليلةَ ودِمْنَةَ . هو ممّا وضعته علماءُ الهند من الأمثال والأحاديث التي ألهموا أن يُدخلوا فيها أبلغ ما وجدوا من القول في النحو الذي أرادوا . ولم يزلِ العلماء ، من كل أمّةٍ ولِسان ، يلتمسون أن يُعْقَلَ عنهم ويحتالون لذلك بصنوف الحِيَلِ ويبتغون إخراج ما عندهم من العِلَل في إظهار ما لديهم من العلوم والحِكَم ، حتى كان من تلك العلل وضعُ هذا الكتاب على أفواه البهائم والطير ، فاجتمع لهم بذلك خِلالٌ . أما هم فوجدوا مُنْصَرَفاً في القول وشِعاباً يأخذون منها ووجوهاً يسلكون فيها .

وأما الكتابُ فجَمَعَ حِكْمةً ولهواً . فاختاره الحكماء لحكمته والأغرارُ للهوه . والمتعلم من الأحداث ناشطٌ في حفظ ما صار إليه من أمر يُرْبَط في صدره ولا يدري ما هوَ ، بل عرَف أنه قد ظهر من ذلك بمكتوب مرقوم ، وكان كالرجل الذي لما استكملَ الرجوليةَ وجدَ أبويهِ قد كنزا له كنوزاً وعَقَدا له عُقَداً [١] استغنى بها عن الكدْح فيما يعمله من أمر معيشته فأغناه ما أشرف عليه من الحكمة عن الحاجة إلى غيرها من وجوه الأدب .

"فأول ما ينبغي لمن قرأ هذا الكتاب أن يَعرِفَ الوجوهَ التي وُضعت له والرموز التي رُمزت فيه ، وإلى أيّ غايةٍ جرى مؤلفه فيه عندما نَسَبَهُ إلى البهائم وأضافه إلى غيرِ مُفصح ، وغير ذلك من الأوضاع التي جعلها أمثالاً . فإنّ قارئه متى

١ العقدة (بضم العين) : الضيعة والعقار (بفتح العين) ، أي الأراضي والأبنية التي يتخذها الانسان ملكاً له.

لم يفعل ْ ذلك لم يَدْرِ ما أريد بتلك المعاني ولا أيَّ ثمرة يجتني منها ولا أيُّ نتيجة تحصل له من مقدّمات ما تضمنه هذا الكتاب . وإنه إن كانت غايته منه اُستتمامَ قراءته والبلوغَ إلى آخره دون تفهّمِ ما يقرأ منه لم يَعُدْ عليه شيءٌ يرجع اليه نفعه ...

«وكذلك من قرأ هذا الكتاب ولم يفهمْ ما فيه ولم يعلم غرضَه ظاهراً وباطناً لم ينتفع بما يبدو له من خطه ونَقْشِه . كما لو أنّ رجُلاً قُدِّمَ له جَوْزٌ صحيح لم ينتفع به إلاّ أنْ يكسِرَه ويستخرجَ ما فيه . وكان أيضاً كالرجل الذي طلب عِلْمَ الفصيح من كلام الناس ، فأتى صديقاً له من العلماء له علمٌ بالفصاحة فأعلمه حاجتَه إلى علم الفصيح . فرَسَمَ له صديقُه في صحيفة صفراءَ فصيحَ الكلام وتصاريفَه ووجوهَه ؛ فانصرف بها إلى منزله ، فجعلَ يُكثر قراءتها ولا يَقِفُ على معانيها ولا يعلم تأويلَ ما فيها حتى استظهرها كلَّها . فاُعتقد أنه قد أحاط بعلم ما فيها . ثم إنهُ جلس ذات يوم في مَحْفِلٍ من أهل العلم والأدب فأخذ في مُحاورتهم ، فجرتْ له كَلِمةٌ أخطأ فيها . فقال له بعض الجماعة : إنك قد أخطأتَ ، والوجه غير ما تكلّمتَ به . فقال : كيف أُخطىء وقد قرأتُ الصحيفةَ الصفراءَ وهي في منزلي ؟ فكانت مقالته هذه أوْجَبَ للحُجّة عليه ؛ وزاده ذلك قُرْباً من الجهل وبُعْداً من الأدب ...

«وقد يُقال إن العلم لا يَتِمّ إلاّ بالعمل ، وأنّ العلم كالشجرة والعملَ به كالثمرة . وإنما صاحبُ العلم يقوم بالعمل لينتفعَ به ، وإنْ لم يستعملْ ما يعلمُ فليس يُسَمّى عالماً . ولو أن رجلاً كان عالماً بطريق مَخوفٍ ثم سلَكه على علمٍ به سُمّيَ جاهلاً .

«وأقلّ الناس عذراً في اُجتناب محمود الأفعال واُرتكاب مذمومها مَنْ أبصر ذلك وميّزه وعرَف فضلَ بعضه على بعضٍ . كما أنه لو أنّ رجلين أحدُهما بصيرٌ والآخر أعمَى ساقهما الأجلُ إلى حُفْرةٍ فوقعا فيها كانا ، إذا صارا في قعرها ، بمنزلة واحدة . غير أن البصير أقلُّ عذراً عند الناس من الضرير ، إذ كانتْ له عينانِ يُبْصِرُ بهما ؛ وذاك بما صار إليه جاهلٌ غير عارف .

«وقد ينبغي للناظر في كتابنا هذا ألاّ تكونَ غايتُه التصفحَ لتزاويقه ، بل يُشْرِفُ على ما يتضمن من الأمثال حتى يأتيَ عليه إلى آخره ، ويَقِفَ عند كل مَثَلٍ وكَلِمة ويُعْمِلَ فيها رَوِيّته ، ويكونَ مِثْلَ ثالثِ الإخوةِ الثلاثة

الذين خلّف لهم أبوهم المال الكثير فتنازعوه (اقتسموه) بينهم. فأما الاثنان الكبيران فإنهما أسرعا في أتلافه وإنفاقه في غير وجهه. وأما الصغير فإنه عندما نظر ما صار اليه أخواه من إسرافهما وتخليهما من المال أقبل على نفسه يُشاورهـا وقال : يا نفسُ، إنما المال يطلُبه صاحبُه ويجمعُه من كل وجه لبقاء حاله وسلاح مَعاشه ودُنياه وشرفِ منزلته في أعين الناس، واستغنائه عما في أيديهم، وصرفه في وجهه من صِلَة الرَحِمِ والإنفاق على الولد والإفضال على الإخوان. فمن كان له مالٌ ولا يُنْفِقُه في حقوقه كان كالذي يُعَدّ فقيراً وإن كان مُوسِراً. وإنْ هو أحسَنَ إمساكَه والقيامَ عليه لم يَعْدَمِ الأمرينِ جميعاً، من دُنيا تَبْقى عليه وحمدٍ يُضاف إليه. ومتى قصد إنفاقه على غير الوجوه التي حُدّت له لم يلبثْ أن يُتلفَه ويبقى (هو) على حَسرة ونَدامة. ولكنَّ الرأيَ أنْ أمْسِكَ هذا المال فإني أرجو أن ينفعني الله به ويُغْني إخوتي على يَدَيّ فإنما هو مالُ أبي ومال أبيهما. وإنّ أولى الإنفاق على صِلة الرَحِمِ وإنْ بَعُدَت، فكيف بإخوتي. فأنفذَ فأحضرهما وشاطرهما ماله.

«وكذلك يجب على قارئ هذا الكتاب أنْ يُديم النظرَ فيه من غير ضَجَرٍ، ويلتمسَ جواهرَ معانيه، ولا يظُنَّ أنّ نتيجتَه إنما هي الإخبار عن حيلة بهيمتين أو مُحاورة سَبُعٍ لثورٍ، فينصرفَ بذلك عن الغرض المقصود ويكون مَثَلُه مَثَلَ الصيّاد الذي كان في بعض الخُلُج يصيد فيه السمك في زَوْرق. فرأى ذات يوم في عَقيق الماء صَدَفة تتلألأ حُسناً فتوهمها جوهراً له قيمة. وكان قد ألقى شبكته في البحر فاشتملتْ على سَمَكة كانت قُوتَ يومه، فخلاّها وقذف نفسَه في الماء ليأخذَ الصدفة؛ فلما أخرجها وجدها فارغةً لا شيءَ فيها مما ظنَّ. فندِم على ترك ما في يده، للطمع، وتأسفَ على ما فاته. فلما كان اليومُ الثاني تنحّى عن ذلك المكان وألقى شبكته فأصاب حوتاً صغيراً ورأى أيضاً صدفة سَنيّةً فلم يلتفت إليها وساء ظنّه بها فتركها. واجتاز بها بعض الصيّادين فأخذها فوجد فيها دُرّة تساوي أموالاً ....

«... ويَنْبغي للناظر في هذا الكتاب أنْ يعلَمَ أنه ينقسم أربعةَ أغراض :

"أحدُها ما قُصِدَ فيه إلى وَضْعه على ألْسِنَةِ البهائمِ غير الناطقةِ من مُسارعة أهل الهَزْل من الشبان إلى قراءته فيستميلُ به قلوبَهم، لأن هذا هو الغرضُ بالنوادر من حِيَل الحيوانات.

"والثاني إظهار خيالات الحيوانات بصنوف الأصباغ والألوان ليكون أنساً لقلوب الملوك ويكون حرصهم عليه أشد للنزهة في تلك الصور .

"والثالث أن يكون على هذه الصفة فيتخذه الملوك والسوقة فيكثر بذلك انتساخه ولا يبطل فيخلق على مرور الايام ؛ ولينتفع بذلك المصور والناسخ أبداً .

"والغرض الرابع ، وهو الأقصى ، مخصوص بالفيلسوف خاصة".

٤ – كليلة ودمنة :

طبعات كليلة ودمنة كثيرة (بروكلمان ١ : ١٥٢ ؛ الملحق ١ : ٢٣٣ وما بعدها) منها : (ده ساسي) ، باريس ١٨١٦ ؛ (شولتس) ، ليدن ١٨٧٦ ؛ القاهرة (بولاق) ١٢٥١ هـ ؛ (شيخو) ، بيروت (المطبعة الكاثوليكية) ١٩٠٤ م ؛ (محمد حسن المرصفي) ، القاهرة (المطبعة التجارية) ١٩٣٥ ؛ بيروت (المطبعة الاهلية) .... ؛ بيروت (المطبعة الادبية) .... ؛ (طه حسين وعبد الوهاب عزام) ، القاهرة (دار المعارف) ١٩٤١ م ؛ كليلة ودمنة (مهذبة مادة وأسلوباً بقلم الياس زخريا) ، بيروت (دار الاندلس) ١٣٨٢ هـ (١٩٦٣ م) .

الدرة اليتيمة : الادب الكبير (شكيب أرسلان) ، بيروت (المطبعة الادبية) ؛ الطبعة الثانية ١٨٩٧ م ؛ (عني بضبطها شاهين عطية) ، بيروت (مكتبة صادر) بلا تاريخ .

الادب الكبير والادب الصغير (يوسف أبو حلقة) ، بيروت (مكتبة البيان) ١٩٥٦ م ، ثم ١٣٨٠ هـ (١٩٦٠ م) .

الحكمة المدنية : الادب الكبير (محمد حسن المرصفي) ، القاهرة (مطبعة الحمزاوي) ١٣٣١ هـ (١٩١٣ م) .

الادب الصغير (أحمد زكي) ، القاهرة ١٣٢٩ هـ ؛ القاهرة (دار المعارف) ١٩٣٢ م .

الادب الوجيز للولد الصغير (ترجمة وتحقيق محمد غفراني الخراساني) ، القاهرة ، بلا تاريخ .

** نتائج الفطنة في نظم كليلة ودمنة لابن الهبّارية ، بعبدا – لبنان ١٩٠٠ م .
ديوان الصادح والباغم لابن الهبّارية ، مصر ١٩٣٦ م .
ابن المقفّع تأليف خليل مردم ، دمشق (مطبعة الاعتدال) ١٩٣٠ م .
ابن المقفّع ، تأليف عبد اللطيف حمزة ، الطبعة الثانية ، القاهرة (دار الفكر العربي) ١٩٥٩ م .
ابن المقفّع ، تأليف سليم الجندي ، دمشق .
ابن المقفّع وكتاب كليلة ودمنة ، تأليف عمر فرّوخ ، بيروت (مكتبة منيمنة) الطبعة الثانية ، ١٣٦٨ هـ (١٩٤٩ م) .
شرح حال عبد الله بن المقفّع ، تأليف عبّاس اقبال ، برلين ١٩٢٦ م .
ابن المقفّع ، تأليف حنّا الفاخوري ، بيروت (دار المعارف) ١٩٥٧ م .
عبد الله بن المقفّع : دراسة في الادب والتاريخ ، تأليف جورج غريّب ، بيروت (دار الثقافة) نحو ١٩٦٦ م .
كتاب مضاهاة أمثال كتاب كليلة ودمنة بما أشبهها من أشعار العرب ، استخراج أبي عبد الله بن حسين بن عمر اليمنيّ (نشره محمد يوسف نجم) ، بيروت ١٩٦١ م .
الفهرست ١١٨ ؛ بروكلمان ١ : ١٥٨ ، الملحق ١ : ٢٣٣ – ٢٣٧ ؛ زيدان ٢ : ١٥٢ – ٢٥٦ .

هلال بن الأسعر المازنيّ

١ – هو هِلال بْنُ الأسعر بن خالد بن الأرقم من بني مازن بن مالك بن عمرو بن تميم ، من أهل بادية البصرة . ويبدو أنه كان يتّجِرُ وأنه زار المدينة بشيء من تجارته .

كان هلال بن الأسعر رجلاً طويلًا عظيمَ الجِسْمِ قويّاً أكولاً رَوَوْا عنه الأعاجيبَ في الصِراع والطعام . ومعَ ذلك فقد كانَ يَتَصَبّرُ على الجوع صبراً طويلاً . وكذلك كان فتّاكاً قتلَ مرّة رجلاً من بني جَلاّن من بكر بن وائل كان جاراً لبني عمّه ، فطلبه الحجّاجُ بن يوسفَ وتخلّى عنه قومُه حتّى قبَضَ عليه الحجّاجُ وحبَسَه مُقيّداً . غير ان هلالاً استطاع ، في حديثٍ طويلٍ ،

أن يَهْرُبَ ثم يَصِلَ إلى اليمن حيث بَقِيَ مُدّةً طويلةً جداً . ثم عاد إلى بلاده .

وعاش هلال بن الاسعر المازنيّ دهراً طويلاً حتّى أدرك الدولةَ العبّاسية ، وقد رآه أبو عمرو بن العَلاء (ت ١٥٤ هـ) ميتاً (غ ٣ : ٧٠) . ولعلَّ وفاة هِلالٍ كانت بين ١٤٥ و ١٥٠ هـ (٧٦١ – ٧٦٦ م) .

٢ – هلال بن الاسعر المازني شاعرٌ وراجزٌ قديمُ الاسلوبِ جاهليّ النَّفَسِ ، ولكنّ شعره عذْبٌ كثير السّهولة أحياناً ، وبعض ألفاظهِ غريبٌ . أما فنونه فهي الحماسة والرثاء وشيء من الغزل وبعض الحكمة .

٣ – المختار من شعره :

– كان رجل من بني مازن يقال له المُغيرة بن قَنْبر يَعولُ هِلالَ بن الأسعر ويُفْضِل عليه (يحسن اليه) فمات فقال هلالٌ يرثيه :

ألا ليتَ المُغيرةَ كان حيّـاً ... وأفنى الناسَ كلَّهُمُ الفناءُ .
لِيَبْكِ على المُغيرةِ كلُّ حيٍّ ... إذا أفنى عرائِكَها اللِقاء [1] .
فتى الفِتيانِ فارسُ كلِّ حربٍ ... إذا شالتْ وقد رُفِعَ اللواء [2] .
لقد وارَى جديدُ الأرضِ منه ... خِصالاً عَقْدُ عِصْمَتِها الوفاء [3].
فصبراً للنوائب إن ألَمّتْ ، ... إذا ما ضاق بالحَدَثِ الفضاء .

---

١ العريكة : السنام (الرجل العظيم في قومه الشريف) . اللقاء (في القتال) : الحرب .

٢ شالت الناقة : رفعت ذنبها (هياجاً للقاح) . شال ذنب الناقة : ارتفع . شالت الحرب : (تجمعت أسباب نشوبها ، تهيأ الناس للحرب) . رفع اللواء (استعداد للسير إلى الحرب) .

٣ جديد الأرض : القبر المشقوق جديداً (غ ٧ : ٥٣ ، الحاشية ١) . الخصال جمع خصلة (بفتح الخاء) : الفضيلة . العصمة (بكسر العين) : القلادة . عقد عصمتها الوفاء – يشبه الشاعر الممدوح بعصمة (قلادة) يعقد أحد طرفيها بطرفها الآخر الوفاء (هو وفي أمين في جميع خصاله ؛ أو أن رأس خصاله كلها الوفاء) .

فان تَكُنِ المَنيّةُ أقصَدَتْــه   وحُمَّ عليه بالتَّلَفِ القَضاء[1] ،
فقد أُودى بــه كرمٌ وخِيرٌ   وعَوْدٌ بالفضائل وابتِداء[2] .

— وقال هِلالُ بنُ الأسعرِ المازني ، لمّا هرّبَ إلى اليمن ، يُعاتِبُ قومه :

بني مازنٍ ، لا تَطْرُدوني فإنّني   أخوكم وإنْ جَرّتْ جرائرَها يدي[3] ؛
ولا تُثْلِجوا أكبادَ بكرِ بن وائلٍ   بتَرْكِ أخيكم كالخَليع المُطرَّد[4] ،
فإنّ القريبَ ، حيثُ كان ، قريبُكُم ؛   وكيفَ بقَطْعِ الكفّ من سائر اليد !
وانّي ثَقيلٌ حيثُ كنتُ على العِدا ،   وانّي —وإن أُوحِدتَ— لستُ بأوْحد[5] .

٤ — الأغاني ٣ : ٥٠ — ٧٢ .

رؤبة بن العجّاج

١ — وُلِدَ أبو الجحّاف أو أبو العَجّاج رُؤبةُ بن العجّاج ، سنة ٦٥ هـ

١ المنية : الموت . أقصدته : قتلته فجأة (أقصد السهم إنساناً : أصابه في مقتل فصرعه فوراً في مكانه) . حم القضاء : حل الأجل المحتوم والوقت المقدر المعلوم . التلف : الموت هدراً (حتف الانف : بلا قتال ، بلا سبب ظاهر) .

٢ أودى بـه : هلك بهلاكه . الخير (بكسر الخاء) : الخير (بفتح الخاء) . — مات ومات معه الخير والكرم ، ومات معه الابتداء بالفضـائل (جمع فضيلة : الدرجة الرفيعة في الفضل) . والأصوب أن تكون الفواضل (الايادي الجسام الجميلة : الاحسان على الآخرين احساناً كبيراً جليلا) . الابتداء بالفواضل : أن تحسن إلى انسان لأول مرة (من غير أن تكون قد عرفته) . العود : تكرار الاحسان مرة بعد مرة .

٣ جرت (جنت ، أذنبت ، ارتكبت) جرائرها (جمع جريرة : الجناية ، الذنب) . جرت جرائرها يدي : (جنيت جنايات كثاراً عظاماً حملتم انتم تبعتها) .

٤ لا تثلجوا (تبردوا) أكباد (المقصود : قلوب) بني بكر بن وائل (لا تجعلوهم يفرحون أو يشمتون) بترك أخيكم (بأن تتخلوا عني وأنا أخوكم : واحد منكم) . الخليع : المخلوع ، الذي تبرأ منه قومه . المطرد : الذي يطارده (يتبعه) الوالي (الدولة) من مكان إلى آخر للقبض عليه أو لقتله .

٥ أوحد الرجل (بضم الهمزة بالبناء للمجهول) : تركه قومه وحده مع أعدائه (راجع القاموس ١ : ٣٤٣ ، السطر الثالث من أسفل) . لست بأوحد : لست وحيداً منفرداً وحدي (بل معي شجاعتي) . راجع قول المتنبي :

أطاعن خيلا من فوارسها الدهر   وحيداً ؛ وما قولي كذا ومعي الصبر !

(٦٨٥ م) ، في بادية البصرة ونشأ فيها أعرابياً جافياً يأكلُ الفأر (غ ١ : ٨٧) ثم سكن البصرة .

وظهَرَ رُوْبةُ في الحياة العامة باكراً : لما وَجّهَ الحجّاجُ إلى عبد الملك نَفَراً من الشعراء ، في سنة ٧٦ هـ (٦٩٦ م) فيما يبدو ، كان فيهم العجّاجُ . وصحب رؤبة والده في هذه الرحلة ؛ ثمّ تطوّف كثيراً في البلاد ، بين العراق واليمامة وخُراسان ، يتكسّب بشعره ، وقد صَحِبَ جيوشَ الفَتْحِ الذاهبةَ إلى المشرق قبل أن يَبْلُغَ الثلاثين من عُمُرِه .

في سنة ٩٤ هـ (٧١٣ م) عاد محمد بن القاسم الثقفي من السِنْد ظافراً فمدحه رؤبة . وفي السنة التالية ذهب إلى خُراسان ، ومدح نفراً من الذين اشتركوا في الاضطرابات التي حدثت في خراسان بعد موت قُتيبةَ بن مُسْلِم الباهلي ٩٦ هـ (٧١٥ م) . وكان هجاؤه للمُهلّب ومدائحه في مَسْلمة بن عبد الملك ، قاتل المهلّب ١٠٢ هـ (٧٠٢ م) ، تدل على أنه كان قَيْسيَّ الهوى مُعادياً لليمانية في الشعر على الأقل . ومدَحَ رُوبةُ عبدَ الملك بن قيس الذيبي والِيَ السِند سنة ١٠٥ هـ (٧٢٣ م) ، كما مدح خالدَ بن عبد الله القَسْريَّ في ولايته الثانية على العراق كلّه وعلى خراسان والسند (١٠٥ – ١٢٠ هـ) . ومدح أيضاً محمدَ بن الاشعث الخزاعيّ حينما كان في كرمان ، سنة ١٢٩ هـ (٧٤٧ م) ، والياً على فارس في الأغلب . ولرؤبة مدائحُ في نَصْر بن سيّارٍ آخرِ وُلاةِ الامويين على خراسان ، وفي مروان بن محمد آخر الخلفاء الأمويين .

لما جاءت الدولة العباسية أخذ رؤبة بمدح نفرٍ من رجالِها فمدح أبا العباس السفّاح وسُليمان بن علي والي البصرة (١٣٢ – ١٣٧ هـ) وأبا جعفرٍ المنصورَ .

ولما خرج ابراهيم بن عبد الله بن الحسن على المنصور ، سنة ١٤٥ (٧٦٢م) ، فارق رُوبةُ البصرةَ – خوفاً من الفتنة – إلى ناجية ، وهي موضع على الطريق بين البصرة والمدينة ، فلم يكد يصل اليها حتى توفّي (١٤٥ أو ١٤٧ هـ) .

٢ – كان رؤبة بن العجّاج من رُجّاز الإسلام وفُصَحائهم والمذكورين المقدّمين فيهم بصيراً باللغة قَيّماً بغريبها ، ولذلك كَثُرَ الاحتجاجُ بشعره فرَوَى عنه أبو عبيدة وأبو عمرو بْنُ العلاء وخَلَفُ الأحمرُ والنَضْر بن شُميل .

وشِعر رؤبة كله رجَز ؛ وأراجيزُ روْبةَ طوالٌ جيادٌ ، وهو جيّد

الكلام كان إذا نظم أرجوزة موقوفة (ساكنة) كان إعرابُها واحداً [1] . ورؤبةُ بارعٌ في وصف الإبلِ أكثرَ منه في وصفِ الخيل . وله أيضاً مدائح . ولكن بما أن الرجز ليس طيّعاً للرواية وللسيْرورة على الألسن ، فقد ضاع كثير من شعر رؤبة ، كما قلت شهرة رؤبة نفسه .

٣ – المختار من رجزه :

– مَنْ كان ذا بَتٍّ فهذا بتّي مُقَيِّظٌ مُصَيِّفٌ مُشتّي [2]

أخذتُه من نَعَجاتٍ ستِّ .

– إذا العجوزُ غَضِبتْ فطلّقِ ، ولا ترَضّاها ولا تَمَلَّقِ ،

وأعْمُدْ لأخرى ذاتِ دَلٍّ مُونِقِ لَيّنةِ المَسِّ كمسّ الخِرْنِقِ ،

إذا مضت مثل السياط المُشَّقِ [3] .

– وقال يمدح أبا مسلم ويُعَرِّضُ بمروان بن محمد ، وكان يلقّب بمروانَ الحمارِ :

ما زالَ يأتي الأمْرَ من أقطارِهِ على اليمين وعلى يَسارِهِ ،

مُشَمِّراً لا يُصطَلَى بنارِهِ ، حتى أقرَّ المُلكَ في قَرارِهِ ،

وفرَّ مروانُ على حمارِهِ [4] !

٤ – ديوان رؤبة في Sammlung Altarabischer Dichter , Berlin 1903

---

[1] أي لو أردت أن تقرأ الارجوزة متحركة (غير ساكنة) القوافي لكانت جميع قوافيها مفتوحة أو مكسورة أو منصوبة .

[2] البت : الطيلسان من خز (حرير) ونحوه . القيظ : أشد أيام الحر . – من كان يلبس طيلساناً من حرير ، فأنا ألبس هذا الثوب في القيظ وفي الصيف (الربيع والخريف؟) وفي الشتاء ، وهو من صوف (أخذته من ست نعجات لي) .

[3] العجوز : الزوجة . واعمد لأخرى : تزوج امرأة ثانية . الدل : الدلال والغنج . مونق : جميل ، يعجب الناظر . الخرنق : الأرنب . السياط : قضبان الكراث . المشق : المشوقة الطويلة . إذا مضت : إذا سارت (تبدو طويلة مشوقة القوام) .

[4] المشمر : المستعد للأمور . لا يصطلى بناره (ناره شديدة الحرارة) : لا يقاوم ، لا يخالف أمره .

• الاغاني ٢١ : ٨٤ (طبعة الساسي ٩١) ؛ معجم الادباء ١١ : ١٤٩ — ١٥١ ؛ وفيات الاعيان ١ : ٣٣٣ — ٣٣٤ ؛ شذرات الذهب ١ : ٢٢٣ ؛ بروكلمان ١ : ٥٦ — ٥٧ ، الملحق ١ : ٩١ — ٩٢ .

أبو الهِندي

١ — هو غالبُ بن عبد القُدّوس بن[١] شَبَث بن رِبْعيّ ، من بني رِياح ابن يَرْبوع بن حَنْظلةَ . وهو عربيّ نزل خُراسانَ ثم انتقل إلى سِجِسْتان واستقر بها ، ولكنه كان يزورُ خراسان من حين إلى حين .

بَلَغَ أبو الهنديّ أشُدَّه في الدولة الأموية وحَجّ في أحد المواسم مَعَ نَصْرِ بن سَيّارٍ . ولقد شُهِرَ بحبّه للخمر والاستهتارِ بشُربها وبالجُرأة على المعاصي .

ومات أبو الهندي في إحدى قُرى مَرْوٍ (طبقات ابن المعتز ١٣٨) بخُراسان ، في أوائل الدولة العباسية .

٢ — كان أبو الهنديّ شاعراً مَطبوعاً فصيحاً جَيّدَ البديهة جَزْلَ الشعْرِ حَسَنَ الالفاظ لطيفَ المعاني ، وقد اسْتَفْرَغَ شِعْرَهُ في وصف الخمر ؛ وهو أول من وصفها من شعراء الإسلام فجعل وصفَها وُكْدَه . ويبدو أن أبا نواسٍ أخذ كثيراً من معاني أبي الهندي (غ ٢١ : ٢٧٧) . وفي خَمْرياتِ أبي الهنديّ ظَرْفٌ ومَرَحٌ وتفصيل في الوصفِ واستهتارٌ مَعَ اتّكالٍ على عفو الله يوم القيامة .

٣ — مختارات من شعره :

— قال أبو الهندي في وصف الخمر وزِقّها :

---

١ في طبقات ابن المعتز (ص ١٣٦) هو عبد الله بن ربعي بن شعيب بن ربعي . وقيل اسمه غالب ، أو عبد المؤمن .

تَصبّغُ بوجهِ الراحِ والطائرِ السّعْد   كُمَيْتاً ، وبعدَ المَزْجِ في صِفة الوَرْدِ .
تَضَمّنهـا زِقٌ أزبُّ كـأنّـه   صريعٌ من السّودانِ ذو شَعَرٍ جَعْدِ [١] .
ولمّـا حَلَلْنا رأسَه من رِباطه   وفاضَ دَماً كالمِسْكِ أو عَنْبَرِ الورد .
وجدناه في بعضِ الزوايـا كـأنّـه   أخو قِرّة يَهْتَزّ من شِدّةِ البرد :
أخو قِرّة يُبدي لنا وجهَ صَحْفَـة   كلونِ رقيق الجِلْد من ولد السِنْد .

– ومما ينسب إلى أبي الهندي ، وقد وُجِدَ مكتوباً على قبره :

اجعلوا – إنْ مِتّ يوماً – كَفَنـي   وَرَقَ الكَرْمِ ، وقَبْري مَعْصَرهْ .
إنـنـي أرجو من اللهِ غـداً   – بعد شُرْبِ الراحِ – حُسْنَ المَغْفِرهْ !

٤ – ٥٥ طبقات ابن المعتز ١٣٦ – ١٤٣ ؛ الاغاني (الساسي) ٢١ : ١٧٧ – ١٨٠ ؛ فوات الوفيات ٢ : ١٥١ – ١٥٢ .

سُديف بن مَيمون

١ – كان سُديفُ بنُ مَيْمونَ مولىً أسودَ لِامْرأةٍ من بني خُزاعةَ من أهل مكّة . وكان لهذه المرأة الخُزاعية زَوْجٌ من آل أبي لَهَبٍ . فلما شَبّ سديفٌ انتقل من وَلاءِ اللهبيين إلى ولاء الهاشميين .

وكان سُديفٌ شديدَ التعصّب على بني أمَيّةَ يُجادِلُ أنصارهم في الحجاز ويُسابّهُمْ ويُشارّهم . فلما سقطتْ دولةُ بني أمية وجاءت دولةُ بني العباس وَفَدَ سديفٌ من مكّة على أبي العبّاس السَفّاح في الحِيرةِ وأنشدَهُ قصائدَ يَحُضّهُ فيها على الانتقامِ من الأُمويينَ وعلى قَتْلِ أعقابِهم ، فكانت قصائدُ سديفٍ سبباً في غَدْرِ السفاحِ بِمَن كان قد أمّنهم من الأُمويين .

ولكن سديفاً كان أميلَ إلى العلويين منه إلى العباسيين . فلما ثار النفسُ

١ الزق : وعاء من جلد الخمر . أزب : قصير الشعر .

الزكية (وهو محمد بن عبد الله بن الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب) في المدينة سنة ١٤٥ هـ (٧٦٢ م) بايعه أهلُ مكّة والمدينة. وكان سديف في مَن بايعه. وقُتِلَ النفسُ الزكية وشيكاً فنهض أخوه ابراهيمُ للأخذ بثأره وثار على العباسيين في البصرة، ولكنه قُتل في سَنة ١٤٥ هـ نفسها.

بعدَ ذلك ٱستتر سديفٌ مدةً ثم وفَدَ على المنصور بقصيدة يعتذر اليه فيها (راجع غ ١٤ : ١٦٢). ولكنّ المنصور لم يَقْبَلِ ٱعتذارَهُ لِأنّ شعرَه كان لا يزال دالاً على مُشايعته لآل عليّ. ثم ان المنصورَ كتب إلى عبد الصمد بن عليّ والي مكّة (١٤٦ — ١٤٩ هـ) بأمره بقتل سديف. فقتله. وقيل بل مات سديف حتْفَ أنفه (في أيام المنصور).

٢ — سديفُ شاعرٌ مطبوعٌ مُقِلٌّ من شعراء الحجاز ومن مُخَضْرَمي الدولتين، كان أديباً بارعاً وشاعراً مُفْلِقاً مُحْسِناً وخَطيباً مِصْقَعاً ذا عارضةٍ وجَدَل. وأكثر شعرِه الهجاء والمدح والغزل.

٣ — مختارات من شعره

— لما صارتِ الخلافة إلى العبّاسيين وَفَدَ سديف على السفّاح، وعنده بنو أمية، فأنشده :

أصبحَ المُلْكُ ثابتَ الآساسِ ... بالبَهاليلِ من بني العباسِ [1].
لا تُقيلَنَّ عبدَ شَمْسٍ عِثاراً ... واقْطَعَنْ كلَّ رَقْلَةٍ وغِراسِ [2].
ولقد ساءني وساءَ سِوائي ... قربُهم من مَنابرٍ وكراسي.
فاذْكروا مَصْرَعَ الحسين وزَيْدٍ ... وقتيلاً بجانب المِهْراسِ [3]،
والقتيلَ الذي بحَرّان أضحى ... رَهْنَ رمسٍ وغُربةٍ وتَناسِ [4].

١ البهاليل جمع بهلول (بالضم) : السيد الجامع لكل خير.
٢ الرقلة : النخلة التي علت إلى ما فوق يد الواقف. الغراس : الشجرة التي غرست حديثاً.
٣ الحسين بن علي ؛ زيد بن علي بن الحسين قتل أيام هشام بن عبد الملك. ثم حمزة بن عبد المطلب قتل في غزوة أحد (والمهراس ماء قرب أحد).
٤ قتيل حران هو ابراهيم بن محمد بن علي رأس الدعوة العباسية.

ذُلُّها أظهرَ التوَدّدَ منها ؛ وبها منكمو كحزِّ المواسي .
أنزلوهــا بحيثُ أنزلهــا اللهُ : بمدارِ الإتعاسِ والإنكاس .

– ثم دخل سديف على السفّاح في اليوم التالي فإذا بنو أمية عنده كحالهم بالأمسِ ، فأنشده قصيدةً جاء فيها :

يا ابنَ عمِّ النبيِّ ، أنت ضياءٌ إستبَنّا بك اليقينَ الجليّا ،
لا يغُرَّنْكَ ما ترى من أناسٍ ، إنّ تحتَ الضلوعِ داءً دَوِيّا [1] .
جرِّدِ السيفَ وارفَعِ العفوَ حتى لا ترى فوق ظهرِها أمَوِيّا [2] .
بطَنَ البُغضَ في القديم فأضحى ثاوياً في قلوبهم مطْوِيّا ،

٤ – •• الاغاني ١٦ : ١٣٥ – ١٣٦ ؛ شذرات الذهب ١ : ١٨٧ – ١٨٨ .

ابن مَيّادة

١ – هو أبو شُرَحْبيل أو أبو شُراحيل الرَّمّاح بن أبردَ بن ثَوْبان بن سُراقةَ من بني سعد بن ذبيان من أهل نجد . وكانتْ أمّه ميادةُ صَقْلبيةً من أهل إسبانية الذين سكنوا المغرب (غ ٢ : ٢٦٤) ، زوجة نَهْبل – وهو عبدٌ لرجلٍ من بني كلب في الشام – فاشتراها بنو ثَوْبان وقَدِموا بها إلى نجد [3] فاستولدهــا أبردُ أولاداً منهم الرمّاح وثَوْبان وخليل وبشير . وكانت ميّادة امرأةَ صِدْقٍ .

وبلغ ابنُ ميّادةَ أشُدّه فكان رجلاً طويلاً عظيمَ الجسم أحمرَ سبْطاً (حسن القامة) طويل اللحية لبّاساً عطِراً كثيرَ المغامرات في طلب النساء .

١ الداء الدوي : الثابت الشديد .
٢ هذه رواية الأغاني . وفي طبقات ابن المعتز (ص ٤٠) والشعر والشعراء (ص ٤٨٠) : « فضع السوط وارفع السيف » فجعلهــا محقق الكتاب : فضع السيف وارفع السوط . فوق ظهرها : فوق ظهر الأرض .
٣ يقول ابن ميادة : « بحرة ليلى حيث ربتني اهلي » ، وحرة ليلى قرب المدينة .

وأشهر مغامراته كانت في سبيل امرأة هي أم جَحْدر بنت حسان المُرّيّة أحبّها وأحبّته زمناً ، ثم تقاطعا ثم تواصلا فاشتهر أمرُهما فزوّجها أبوها رجلاً من أهلِ الشام رَحَلَ بها عن نَجْد . فلَحِقَ بها ابن ميّادة إلى الشام . ثم مات الشامي زوجُ أم جحدر ومات ابنٌ كان لها فعادت إلى نجد . ثم تُوُفِّيَتْ هي في حياة ابن ميّادة .

وابن ميّادة أدرك أعقاب عصر المُناقضات فهاجى الحَكَمَ بن مَعْمَر الخُضْري زماناً ثم تصالحا ، وكذلك هاجى عُلَّفة بن عقيل وغلبه .

ولا نَعْرِف إشارة إلى حياة ابن ميّادة قبل أن اعْتَمَرَ (زارَ مكّة حاجّاً) في رجب من سنة ١٠٥ هـ (آخر ٧٢٣ م) ، في الشهر الأخير من خلافة يزيدَ ابن عبد الملك . ثم مرّت عِشرونُ سَنَةً قبل أن يتّصل بالوَليد بن يزيد (١٢٥ـ ١٢٦ هـ) وينال عنده حظوة . ثم اتصل ابن ميّادة بعبد الواحد بن سليمان بن عبد الملك والي المدينة (١٢٧ ـ ١٣٠ هـ) ومدحه وصَحِبه .

ولما جاءت الدولة العبّاسية وتولّى المنصورُ الخلافةَ ، ١٣٦ هـ (٧٥٤ م) ، أراد ابن ميّادة أن يمدحه ، ولكن لم يَفِدْ عليه لأن المنصور لم يكن راغباً في المديح ولا كان يُعطي الشعراء على المديح . غير أنه اكْتَفَى بمدح وُلاةِ المدينة فمدح رِياح بن عثمان بن حيّان المرّيّ لما ولي المدينة سَنة ١٤٤ هـ (٧٦١ م) . غير أن رِياحاً قُتِلَ وَشيكاً في ثورة النفس الزكية (١٤٥ هـ) . فلما وَلِيَ جعفرُ بن سليمان بن علي بن عبد الله المدينةَ ، سنة ١٤٦ هـ ، مدحه ابن ميّادة .

وكانت وفاة ابن ميّادة سنة ١٤٩ هـ (٧٦٦ م) .

٢ ــ ابنُ مَيّادةَ شاعرٌ فصيحٌ يَحْتَجّ الرّواةُ بشعره ، وهو يُجيدُ الرّجزَ والقصيدَ ولا يُنَقّحُ شعرَه . قال شيخ عالم من بني غَطَفانَ ، قوم ابنِ ميّادةَ والنابغةِ ، عن ابن ميّادة : إنه كانَ أشعرَ غَطَفانَ في الجاهلية والإسلام ، وكان خيْراً لِقَوْمه من النابغةِ لم يَمْدَحْ غيرَ قريشٍ وقيسٍ . وكان النابغةُ إنما يَهْذي باليمن مُضَلّلاً حتى مات (غ ٢ : ٢٦٩) . أما فنون ابنِ ميّادةَ فالمدحُ والرثاء والهجاء والمناقضات والنسيب ، وكان عِرّيضاً للشّرّ يُحبّ المُهاجاة .

٣ – المختار من شعره :

– قال ابنُ ميّادةَ يفتخر بنسبه من أبيه وأمّه :

أنا ابنُ أبي سَلمى ، وجَدّيَ ظالمٌ ، وأمّي حَصانٌ أخلَصَتْها الأعاجمُ .
أليسَ غُلامٌ بينَ كِسرَى وظـالمٍ بأكرمَ مَنْ نِيطت عليه التّمائم [1] ؟

– وله أيضاً بيتانِ في مثل ذلك الفخر انتحلهما الفرزدق (غ ٢ : ٢٦٧) :

لَوَ انّ جميعَ الناس كانوا بتَلْعة ، وجئتُ بجَدّي ظالمٍ وابن ظالمٍ [2] ،
لظلّت رِقابُ الناسِ خاضعةً لنا سُجوداً على أقدامِنا بالجماجمِ !

– وقال يتشوق إلى أم جَحْدر :

فأعْجَبُ دارٍ دارُها ، غيرَ أنـني إذا ما أتيتُ الدارَ تَرجِعُني صِفْرا [3] ،
عشيّةَ أثني بالرِداءِ على الحَشى ، كأنّ الحشى من دونِهِ أُسعِرَتْ جَمْرا [4] .
يَميلُ بنا شَحط النّوى ، ثمّ نَلتقي عِدادَ الثُّرَيّا صادفت ليلةً بَـدْرا [5] .
ألا ليتَ شِعْري ، هل إلى أمِّ جَحْدرٍ سبيلٌ ؟ فأمّا الصبرُ عنها فلا صبرا !
فان يكُ نَذرٌ راجعاً أمَّ جَحْـدرٍ عَلَيّ ، لقد أوذَمْتُ في عُنُقي نَذْرا [6] .
وإنّي لأستَنْشي الحديثَ مِنَ اَجْلِهـا لأسْمَعَ منها ، وهي نازحةٌ ، ذِكرا [7] .
واني لأستَحْيِي من اللهِ أن أرى – إذا غَدَرَ الخِلاّنُ – أنْوي لها الغدرا !

٤ – •• الاغاني ٢ : ٢٦١ – ٣٤٠ ؛ معجم الادباء ١١ : ١٤٣ – ١٤٨ .

أبو نُخَيْلَةَ الراجز

١ – قال ابنُ قُتيبةَ : « اسْمُه يَعْمُر ، وإنّما كُنّيَ أبا نُخَيْلَةَ لأنّ

١ نيطت عليه (علقت في عنقه) التمائم (جمع تميمة : الحرز) . يقصد أكرم الناس .
٢ تلعة : مسقط الماء من الجبل .
٣ ترجعني (تردني) الدار صفرا (خائباً) .
٤ أسعرت : أوقد عليها ، أشعلت .
٥ عداد الثريا صادفت ليلة بدراً : مرة في كل شهر . (المقصود : نادراً) .
٦ راجعاً : راداً . أوذم : أوجب .
٧ استنشى الحديث : بحث عنه ، أثاره من جانب خفي . – لأسمع ، في عرض (بضم العين) الحديث ، ذكرا منها لي (حتى اسمها تذكرني) .

أمّه ولدتْه إلى جَنْب نَخْلة »[1] . أمّا الاصفهاني فقال[2] : « أبو نخيلة اسْمُه لا يُعْرَفُ له اسمٌ غيرُه ، وله كُنْيتان : أبو الجُنيد وأبو العرماس » . وهو ابن عَدَنَ بْنُ زائدةَ بن لَقيطٍ من بني سعدِ بْنِ زيدِ مَناةَ بْنِ تميمٍ ، ولذلك يُعْرَف بالسعديّ .

تعرّض أبو نخيلةَ لغضب أبيه فنفاه أبوه فخرج يَطْلُبُ الرزقَ لنفسه فتأدّب في البادية حتى شَعَرَ وقال رَجَزاً كثيراً وقَصيداً . ثم إنّه اتّصل بمَسْلَمَةَ ابن عبد الملك ومدحه فوصله مَسلمةُ بالخلفاء فأغْنَوْهُ ، وقد نال حَظْوة كبيرة عند هِشام بن عبد الملك . ولمّا انْقَضَتْ دولةُ بني أميّة وجاءت دولة بني العبّاس جعل أبو نُخَيْلة يمدح بني العبّاس ويهجو بني أميّة ، وسَمّى نفسه شاعرَ بني هاشم .

ثم إن أبا نخيلة نظم أرجوزةً يمدح بها أبا جعفرٍ المنصورَ ويحضّه فيها على تحويل ولاية العهد من ابنِ عمّه عيسى بن موسى إلى ابنه محمّدٍ المَهْديّ ، فغَضِبَ عيسى بنُ موسى ودبّر مقتلَ أبي نخيلة . وبما أن المنصور قد حَمَلَ عيسى بن موسى على أن يَخْلَعَ نفسَه من ولاية العهد ، سنة ١٥٠ هـ (٧٦٧ م) فان مقتل أبي نخيلة يجب أن يكون قد وقع قُبيل ذلك .

٢ — أبو نُخيلةَ الراجزُ شاعرٌ مُكثر غَلَبَ عليه الرَجزُ ، سَهْلُ الشعرِ ظاهر المعاني . وفنونه المديح والهجاء وشيء من الغزل التقليدي .

٣ — المختار من شعره :

— قال أبو نخيلة الراجز يمدح مَسْلَمَةَ بنَ عبدِ الملك :

أمَسْلَمَ ، إنّي — يا ابن كلّ خليفةٍ ، ويا فارسَ الهيجا ويا جَبَلَ الارضِ[3] ،

---

١ الشعر والشعراء ٣٨١ .

٢ الاغاني (الساسي) ١٨ : ١٣٩ . وفي تاج العروس (٨ : ١٣١) : ابو نخيلة السعدي أو الحماني (وبكسر الحاء) ، وهو اسمه ، وكنيته أبو الجنيد بن حزن بن زائدة بن لقيط بن حمان بن عبد العزى (بضم العين) بن كعب بن سعد بن زيد مناة من تميم .

٣ يا جبل الارض : الجبل الذي يرسو على الأرض فيمنعها من أن تميل (راجع سورة النحل ، ١٦ : ١٥ : « وألقى في الأرض رواسي أن تميد بكم » ؛ راجع أيضاً سورة الأنبياء ، ٢١ : ٣١ وسورة لقمان ٣١ : ١٠) : أنت ، يا مسلمة ، الجبل (القائد العظيم) الذي يحفظ ملك بن أمية .

شكرتُك ، ان الشكر حَبْلٌ من التقى ؛ وماكلّ من أولَيْتَه نِعمةً يَقْضي [1] .
وألْفَيْتَ ، لمّا أن أتيتُكَ زائراً ، عليّ لِحافاً سابغَ الطول والعرضِ [2] ،
وأحْيَيْتَ لي ذكْري وما كان خامِلاً ؛ ولكنّ بعضَ الذكرِ أنْبَهُ من بعض [3] .

– ونظم أبو نخيلة أرجوزة يحضّ فيها المنصور على نقلِ ولايةِ العهد إلى ابنه محمّدٍ المهديّ مطلعُها :

لم يُنْسني ، يا ابنةَ آلِ معْبَدِ ، ذكْراك تكْرارُ الليالي العُوَّدِ .

عرّض فيها بعيسى بن موسى فقال :

ليسَ وليّ عهدِنا بالأسْعَدِ عيسى ، فزَحْلِقْها إلى محمّدِ ،
فقد رَضينا بالغُلامِ الأمْرَدِ وقد فرّغْنا غيرَ أن لم نُشْهِدِ ،
وغيرَ أنّ العَقْدَ لم يُؤكّدِ . فلو سَمِعْنا قولَكَ : أمْدُدْ أمْدُدِ [5] !
فنادِ للبَيْعَةِ جمعاً نَحْشُدِ في يومِنا الحاضر هذا أو غدِ [6] .
ورَدِّهِ منكَ رِداءً يَرْتَدِ ، فهو رِداءُ السابقِ المُقَلَّدِ [7] .

٤ – •• طبقات ابن المعتزّ ٦٢ – ٦٧ ، الاغاني ١٨ : ١٣٩ .

---

١ وما كل من أوليته نعمة (أسلفت اليه نعمة) يقضي (يفي بحقها لك من الشكر) .

٢ الزائر : طالب العطاء – كان الشعراء الوافدون على الأمراء للتكسب يسمون (بضم الياء وفتح الميم المشددة) السؤال (بضم السين وتشديد الهمزة) فسماهم خالد بن برمك « الزوار » (الفخري ، المطبعة الرحمانية بمصر ، ١١٣) ؛ الاغاني ٣ : ١٧٣ .

٣ أنبه : أشهر .

٤ الامرد : الشاب . فرغنا : تمت عزيمتنا (؟) . لم نشهد : لم نعلن ذلك على الناس ولم نقل لهم : اشهدوا على هذا الامر .

٥ العقد : العهد ، العزيمة . وكد العهد وأكده : أوثقه ، ثبته ، قيده باليمين ، الخ ... فلو قلت لكل واحد منا : أمدد (مد يدك للمبايعة) لمددنها (لكنت أول من مد يده ، يبايع) .

٦ – وإذا أردت فاننا نأتيك بجموع كثيرة تبايع أيضاً .

٧ رده (من الرداء) ألبسه (ثياب الخلافة) يرتد (يلبسها ، يكن أهلا لها) . المقلد : السابق من الخيل . فهو رداء السابق المقلد (؟) .

سعيد الدارميّ

١ ــ هو سعيدٌ الدارميّ من بني تَميم ، ويَرْجِعُ نسبُه إلى سُويدِ بن زيد الجاهليّ . وهو من أهل مكّةَ نشأ فيها شاعراً ومُغنيّاً ، وكان ظريفاً حَسَنَ المُنادمة على ما كان فيه من البُخل .

يبدو أن الدارميّ كان شابّاً في أيام عمرَ بن عبد العزيز (٩٩ ــ ١٠١ ﻫ) ثم عاش إلى الدولة العبّاسية ومدح عبدَ الصمد بن عليّ (غ ٣ : ٤٨ ــ ٥٠) ، وعبدُ الصمد كان والياً على مكّة (١٤٦ ــ ١٤٩ ﻫ) ثم على المدينة (١٥٦ ــ ١٥٩ ﻫ) . وكذلك مدح مُحمّد بنَ ابراهيمَ الإمامِ ، وكان محمدُ بن ابراهيم والياً على مكّة مرّتين : مرّةً من سنة ١٤٩ ــ ١٥٨ ﻫ ثم مرّة في أيام الرشيد ، سنة ١٧٨ ﻫ ، ولا أحْسَبُ أن سعيداً الدارميّ أدركها .

وخرجتْ للدارمي في أواخر حياته قَرْحة في جوفه (أو صدره) فبزق منها بزقة خضراء فتشاءم من ذلك وخاف ألا يعيشَ بعدها . ولعلّ وفاته كانت نحو سنة ١٥٠ ﻫ (٧٦٧ م) أو بعدها بقليل .

٢ ــ سعيدٌ الدارمي شاعر مُقِلّ ومُغَنّ قليل الشهرة ، وله أصواتٌ (أغانٍ) قليلةٌ . وشعره الواصل إلينا سَهْل عَذْب فيه مَرَح وشيء من الهَزْل . وفنونه المدح والغزل والزهد .

٣ ــ المختار من شعره :

ــ تقوم شهرة سعيد الدارمي على بيتين من الشعر قالها وغنّاهما .

جاء في الاغاني (٣ : ٤٥ ــ ٤٦) : أن تاجراً من أهل الكوفة قدم المدينة بخُمُر [١] فباعها كلّها وبَقِيَت السُودُ منها فلم تَنْفُقْ . وكان (هذا التاجرُ) صديقاً للدارمي فشكا اليه أمره ــ وقد كان (الدارمي) تَنَسّك وترك الغِناء وقول

---

١ الخمر (بضم فضم) جمع خمار (بكسر الخاء) : غطاء تستر المرأة به رأسها (شعرها) وعنقها وأعلى صدرها .

الشعر ، فقال له : لا تَهتمَّ بذلك فانّي سأُنفقُها لك حتى تبيعها أجمع . ثم قال (الدارمي) :

قُلْ لِلْمليحةِ في الخِمارِ الأسودِ : ماذا صَنَعْتِ براهبٍ مُتَعَبِّدِ ؟
قد كان شمّر للصلاةِ ثيابَه حتّى وقَفْتِ له ببابِ المسجدِ !

وغنّى فيها ، وشاعَ (أمرُها) في الناسِ وقالوا : قد فَتَكَ الدارميّ ورَجَعَ عن نُسْكه . فلم تَبْقَ في المدينة ظَرِيفةٌ إلاّ ابْتاعَتْ خِماراً أسود حتّى نَفِدَ ما كان مَعَ (التاجر) العِراقيّ منها .....

—وقال الدارمي بيتين وغنّاهما (وهما صوتٌ من المائةِ الاصواتِ المُختارة) [1] :

أفِقْ ، يا دارميّ ، فقد بُليتا ، وإنّك سوف تُوشِكُ أن تَموتا .
أراكَ تَزيدُ عِشْقاً كلَّ يومٍ ، إذا ما قُلتَ إنّك قد بَرِيتا

٤ — •• غ ٣ : ٤٧ — ٥٠ ، زيدان ١ : ٣٤٣ .

أبو عمرو بن العلاء

١ — هو أبو عَمرو زبّان بن العَلاء بن عمّارٍ المازني ، وُلِدَ في مكّة سنة ٦٧ هـ (٦٨٧ م) ، وقيل سنة ٦٥ هـ . قرأ العلمَ في مكّة والمدينة وفي البصرة والكوفة : قرأ على أنَس بن مالك وعلى الحسن البَصْري وسعيد بن جُبير وأخذ النحوَ عن نَصْر بن عاصم الليثي . وفرّ أبو عمرو مَعَ أبيه من الكوفة خوفاً من الحَجّاج ، ولكنّهما عرَفا في أثناء فرارهما أن الحجاج مات ٩٥ هـ (٧١٥ م) . ولعلّهما عادا وشيكاً إلى العراق .

وكانت وفاة أبي عمرو بن العلاء في الكوفة سنة ١٥٤ هـ (٧٧١ م) .

---

[1] برئ (بفتح الباء وكسر الراء) : تخلص من دائه (انجلى عشقه : مر الزمن الذي يمشق الانسان فيه عادة) .

٢ — أبو عمرو بن العلاء أحدُ القُرّاء السبعة ؛ وقد قال الجاحظُ (البيان والتبيين ١ : ٣٢٠ — ٣٢١) فيه :

فأمّا أبو عمرٍو فكان أعلمَ الناس بأمورِ العربِ ، معَ صِحّة سَماعٍ وصدق لسان . حدّثني الاصمعيّ قال :

جلستُ إلى أبي عمرٍو عَشْرَ حِججٍ ما سَمِعْتُه يَحْتَجّ ببيتٍ إسلامي . قال (الاصمعي) وقال (أبو عمرو) مرّة : لقد كَثُرَ هذا المُحْدَثُ وحَسُنَ حتّى لقد هَمَمْتُ أن آمرَ فِتيانَنا بروايته ، يَعْني شِعرَ جَريرٍ والفرزدق . وحدّثني أبو عبيدة قال : كان أبو عمرو أعلمَ الناس بالغريبِ والعربيةِ وبالقرآنِ والشعرِ وبأيامِ العرب وأيام الناس » .

ولأبي عمرٍ من الكتب : كتاب مرسوم المصحف ، شرح ديوان الخِرنق .

٣ — المختار من كلامه :

— أبو عمرو بن العَلاء ورَجُلٌ من مُضَرَ[١] :

فاخرَ مضريّ يمانيّاً فعَلاهُ اليمانيّ[٢] فقال أبو عمرو : قُلْ له :

لنا النُّبُوّةُ والخِلافة ، والكَعْبة والسِدانة والسِقاية ، واللِواء والرِفادة ، والنَدْوة والشّورى ، والهِجْرة وفَتوح الآفاق . وبِنا سُمّيتِ الانصارُ أنصاراً[٣] ، ومنّا أولُ من تَنْشَقّ عنه الأرضُ ، وصاحبُ الحَوْض ، وأوّل

١ مجالس العلماء للزجاجي (بتحقيق عبد السلام محمد هارون) ، الكويت (وزارة الارشاد والأنباء) ١٩٦٢ ، ص ٢٣٣ . مضر هم عرب الشمال في مقابل اليمن عرب الجنوب .

٢ علاه اليماني : غلب اليماني المضري في الفخر والجدال .

٣ — يقصد : كان محمد رسول الله والخلفاء (الراشدون والأمويون والعباسيون) من عرب الشمال . والكعبة في مكة (مركز الثقل من عرب الجنوب : قريش) والسدانة (الولاية على الكعبة) والسقاية (اسقاء الناس في أيام موسم الحج) واللواء (قيادة الحرب) والرفادة (اطعام الناس في موسم الحج) والندوة (دار الندوة : مجمع الاشراف الذين كانوا يحكمون مكة) والشورى (أهل الحل والعقد الذين يتشاورون في أمر الحكم بين الناس) والهجرة (انتقال المسلمين الأولين من أهل مكة المضريين إلى —

شافعٍ ومُشفَّعٍ ، وأولُ من يدخلُ الجنّة [1] . و (منّا) سيّد ولَدِ آدمَ وأكرمُ الناسِ أباً وأمّاً ، وأخاً وأختاً ، وجدّةً وجدّاً ، وعمّاً وعمّةً ، وخالةً وخالاً [2] . ومنا الأسباطُ ، ولنا الملوكُ ، وفينا الأنبياءُ . فمن عزّ منكم فنحن أعززناه ، ومن ذلّ منكم فنحن أذللناه [3] .

– الشاعر والخطيب (البيان والتبيين ١ : ٢٤١) :

قال أبو عمرو بن العلاء : كان الشاعرُ في الجاهلية يُقدَّمُ على الخطيب لفرْطِ حاجتهم إلى الشعر الذي يُقيِّدُ عليهم مآثرَهم ويُفخِّمُ شأنَهم ويُهوّلُ على عدوّهم ومن غزاهم ويُهيّبُ من فُرسانهم ويُخوّفُ من كثرة عددِهم ، ويَهابُهم شاعرُ غيرِهم فيُراقبُ شاعرَهُم . فلما كثُرَ الشعرُ والشعراءُ واتّخذوا الشعرَ مكسبةً ورحَلوا (به) إلى السُوقةِ وتسرّعوا إلى أعراضِ الناسِ (بالهجاء) صارَ الخطيبُ عندهم فوقَ الشاعر . ولذلك قال الاول : الشعر أدنى مُروءة السَّرى وأسرى مروءة الدنيّ [4] .

٤ – ** الفهرست ٢٨ ؛ طبقات الزبيدي ٢٨ – ٣٤ ؛ بغية الوعاة ٣٦٧ ؛ شذرات الذهب ١ : ٢٣٧ – ٢٣٨ ؛ معجم الأدباء ١١ : ١٥٦ – ١٦٠ (ترجمة منقولة من « طبقات القرّاء ») ، بروكلمان ١ : ٩٧ ، الملحق ١ : ١٥٨ ، زيدان ١ : ١١٤ . Enc . Isl . (new ed) I 105 - 6

= المدينة ، وكان أهلها يمانية) وفتوح الآفاق (قيادة جيوش الفتح في صدر الإسلام) ، كل هذه كانت لعرب الشمال . وبنا سميت الانصار أنصاراً : أهل المدينة يفتخرون بأن اسمهم الأنصار (الذين نصروا رسول الله) . ولكن لولا هجرة أهل مكة المضريين إلى المدينة لما أصبح اسم أهل المدينة « الانصار » .

١ هذه صفات محمد رسول الله . تنشق عنه الأرض : يبعثه الله من الموت يوم القيامة . صاحب الحوض : الذي يقف على الحوض يوم القيامة يسقي الناس . الشافع : الذي يطلب العفو عن ذنوب الناس يوم القيامة . المشفع : الذي تقبل منه الشفاعة يوم القيامة .

٢ وهذه أيضاً صفات لرسول الله ، وكلها يمكن أن تفسر إلا قوله « واخاً وأختاً » لأن محمداً رسول الله كان واحداً وحيداً (لا أخ له ولا أخت) .

٣ الاسباط : أبناء بنت الرجل (أبناء فاطمة بنت محمد رسول الله) . الملوك : الخلفاء . الأنبياء : محمد رسول الله واسماعيل وسواهما ممن هم من الفرع الشمالي من العرب .... منكم (منكم ، أيها اليمانية ، عرب الجنوب) .

٤ الاول (الناقد) الاول : القديم . أدنى (أقل) مروءة (شرف) السري (الشريف ، إذا مدح غيره بالشعر) وأسرى (أكثر ، أشرف) مروءة الدني (إذا مدح غيره) .

أبو عطاء أفلحُ بنُ يَسارٍ السِندي

١ — وُلِدَ أفلحُ بن يَسارٍ في السِند ، غربيَّ الهِند (في باكستانَ اليومَ) ثمّ انتقلَ مَعَ أبيه إلى الكوفة فنشأ فيها مولىً لبني أسَد بن خُزيمة أو مملوكاً على الاغلب . ولمّا حَسُنَتْ حالُه فيما بعد كاتبَ مواليه على أربعة آلافِ دِرْهَمٍ فأعتقوه .

كانَ أفلحُ بنُ يَسارٍ أسودَ وفي لسانه لُكْنَةٌ واللُّثْغَة[1] ، وكان يغضب إذا عرّضَ به أحدٌ من أجلِ ذلك . ثم انه اتخذ غُلاماً فصيحاً يُنْشِدُ عنه اشعارَه وسمّاهُ عَطاءً وتَكنّى به .

كان أبو عطاء من أنصارِ الأمويّين شَهِدَ مَعَ غلامِه عطاء قتال المُسَوِّدة إلى جانب بني أميّة . وقد قتل عطاء ، ٨ المحرّم ١٣٢ هـ (٢٧–٨–٧٤٩ م) ، لما انهزم يَزيدُ بن عُمَرَ بن هُبيرة أمام قَحْطَبَةَ بن صالحٍ أحدِ قوّادِ العبّاسيين ؛ وهرب أبو عطاء من الأنبارِ التي هي قُرْبَ الكوفة إلى واسط .

ولما قامت دولةُ بني العبّاس حاولَ أبو عطاءٍ أن يتّصل بأبي العبّاسِ السفّاح ، ثم مَدَحَ العبّاسين وعرّض بالأمويين ، ولكنّ السفّاح لم يُلْقِ اليه بالاً ؛ فأنقلبَ أبو عطاءٍ يهجو العباسيين . ولم ينل أبو عطاء رِضا المنصور فتخفّى منه زَمَناً . ولمّا تُوُفّيَ المنصورُ ظهر أبو عطاء في الناس ولكنّه مات بعدَ قليل . وقيل بل توفي في أواخر خِلافة المنصور[2] .

٢ — كان أبو عطاء السِنديّ شاعراً فَحْلاً من مُخَضْرَمي الدولتين مُكثِراً مُجيداً حاضرَ البَديهةِ حَسَنَ التَصرّفِ في فنون الشعر . ومَعَ أن شِعره الذي وَصَلَ إلينا قليلٌ ، فإنّ فيه مَدْحاً ورثاءً وهِجاءً وحِكمةً وغَزَلاً . وكان ينبغي أن يكون فيه أيضاً خمرياتٌ لأنه كان يشرب الخمر . وشعر أبي عطاء فصيح الألفاظ متين التركيب مَعَ سُهولة وعُذوبة ، وعلى بعضه نفحة قديمة .

---

١ كان ابو عطاء يلفظ الجيم زاياً ، والشين سيناً مهملة ، والظاء زاياً ، والعين همزة ، والحاء هاء .
٢ توفي أبو جعفر المنصور في أوائل الحجة ١٥٨ هـ (أوائل تشرين الأول ٧٧٥ م) . وفي فوات الوفيات (١ : ٩٥) أن أبا عطاء توفي بعد ١٨٠ هـ (٧٩٦ م) ، ولا وجه لذلك .

٣ ـ المختار من شعره :

ـ قال أبو عطاء يرثي يزيدَ بنَ عُمَرَ بنِ هُبيرةَ حين قتله أبو جعفرٍ المنصورُ بواسط بعد أن أمّنه :

ألا إنّ عَيْناً ، لم تَجُدْ يومَ واسطٍ عليك بجاري دَمْعِها ، لَجَمودُ ؛
عَشيّةَ قام النائحاتُ ، وشُقّقَتْ جُيوبٌ بأيْدي مأتَمٍ وخُدود [١] .
فان تُمْسِ مَهجورَ الفِناءِ فرُبّمـا أقامَ به بعدَ الوفودِ وُفودُ [٢] .
فإنّكَ لم تَبْعَدْ عَلى مُتَعَهِّدٍ ؛ بلَى ، كُلّ من تَحتَ التّرابِ بعيد[٣] !

ـ وقال في الفقر والغنى وطلب الرزق وفي نظر الناس إلى الفقر :

إذا المرء لم يَطْلُبْ مَعاشاً لنفسه شكا الفقرَ أو لام الصديقَ فأكثرا ،
وصار على الأدْنَيْنَ كَلاًّ ، وأوشكتْ صِلاتُ ذوي القُربى له أن تَنَكّرا [٤] .
فسِرْ في بلادِ الله والْتَمِسِ الغِنى تَعِشْ ذا يَسارٍ أو تموتَ فتُعْذَرا .
وما يُدرِكُ الحاجاتِ ، من حيث تُبْتَغى ، من الناس إلاّ من أجَدّ وشَمّرا .
ولا تَرْضَ من عيشٍ بدونٍ ، ولا تَنَمْ. وكيفَ ينام الليلَ من بات مُعْسِرا !

ـ وقف أبو عطاء بباب السَفّاح ومعه قصيدة في مدح بني هاشم فيها :

إن الخِيارَ من البَرِيّةِ هاشمٌ ، وبنو أميّة أرذلُ الأشرار .
وبنو أميّة عودُهم من خِرْوَعٍ ، ولهاشمٍ في المجد عود نُضارِ [٥] .
أما الدُعاةُ إلى الجِنان فهاشم ، وبنو أميّة من دُعاة النارِ .
وبهاشم زَكَتِ البلادُ وأعْشَبَتْ، وبنو أميّة كالسَراب الجاري .

ولكن لم يؤذن له بالدخول فانصرف وقال :

يا ليتَ ظلمَ بني مَروانَ عاد لنا ، وأن عدلَ بني العبّاس في النارِ .

---

١ المـأتم : النساء المجتمعات لوفاة إنسان .
٢ الفناء (بكسر الفاء) : باحة البيت .
٣ المتعهد : الذي يدأب على زيارتك للعناية بك .
٤ الأدنون : الأقارب . كلا : عالة ، عبئاً .
٥ الخروع : نبات هش الاغصان ، ضعيف . نضار : شجر لا تسقط أوراقه في الشتاء ، قوي .

– وقال في الغزل ، وعليه نفحة قديمة :

ذكرتُكِ والخَطّيّ يَخْطُر بيننا وقد نَهِلَت منّا المُثَقَّفَةُ السُّمْرُ[1] .
فوالله ، ما أدري وإنّي لصادقٌ ، أداءٌ عَرَاني من حِبابِكِ أم سِحرُ[2] ؟
فان كان سحراً فاعذريني على الهوى ، وان كان داءً غيرَه فلكِ العُذرُ !

٤ – الاغاني (بولاق) ١٦ : ٨١ – ٨٧ ، فوات الوفيات ١ : ٩٣ – ٩٥ ؛
Islamic Culture, July 1949, p. 137 بروكلمان ١ : ٦٢ .

حَمّاد عَجْرَد

١ – هو أبو عَمْرو (أو أبو يحيى) حَمّادُ بنُ عُمَرَ بنِ يونسَ بن كُلَيب ، أصله ومنشأه في الكوفة ثم انتقل إلى واسطٍ . وهو مولىً لبني سُوأة ابن عامرِ بنِ صَعْصعة .

عاش حمادٌ رَدْحاً في العصر الأموي ونادم الخليفةَ الوليدَ بن يزيد ، (ت ١٢٦ ﻫ = ٧٤٤ م) ثم أدرك الدولةَ العبّاسيّة . ويذكر الاصفهاني (غ ١٣ : ٩٦) أن أبا جَعْفَرٍ المنصورَ ولّى محمدَ بنَ أبي العباس السفّاح على البصْرة ، فقَدِمَها محمدٌ ومَعَهُ نَفَرٌ من الشعراء والمُغنين والنُدَماء منهم حمّادُ عجردٍ . وكان حمادٌ من قبلُ مُؤدِّباً لمحمدٍ . ثم ان حماداً جاء إلى بَغدادَ في أيامِ المَهْدي ، بعدَ سنة ١٥٨ ﻫ (٧٧٥ م) ، وجاء اليها معه نفر من الشعراء المُجّان منهم مُطيعُ بنُ إياسٍ ويحيى بن زِياد . وكان هؤلاء كلّهم مُجّاناً مُتّهَمين بالزندقة .

كان حمادُ عجردٍ صديقاً لعددٍ من الشعراء مرّةً ومُهاجياً لهم مرة أخرى : من هؤلاءِ الشعراء والِبَةُ بن الحُبابِ ، وقد عرَفَهُ بلا ريبٍ في الكوفة ؛ ومن هؤلاء بَشّارُ بن بُرْدٍ ، وقد عرفه في بغدادَ .

---

١ الخطي : الرماح . نهلت : شربت ، أسالت دمي . المثقفة السمر : (الرماح) المستقيمة الضامرة (الشديدة) .
٢ الحباب (بكسر الحاء) : المحبة .

ويبدو أن حمادَ عَجرْدٍ كان من الذين نالَتْهُمْ نِقمةُ الدولة على الزندقة فَاضْطُرَّ إلى أن يبتعدَ عن بغدادَ ، فطال تَطَوُّفُهُ في البلادِ ثم مَرِضَ ومات ، قيل بينَ البصرة والأهواز ، وقيل في شيرازَ بفارسَ . وكانت وَفاتُهُ في الاغلب سنة ١٦١ هـ (٧٧٨ م) . وقيل بل قُتِلَ .

٢ — كان حمادُ عجردٍ شاعراً مُحْسِناً مُجيداً عَذْبَ الشعر ظريفاً . وكانت أغراضُ شِعْرِه المدحَ والرثاء والهجاءَ والوصف ، وله وصف بارعٌ للطبيعة وغَزَلٌ ؛ وقد سَبَقَ أبا نواسٍ في الغزل المُذَكَّر . وهجاؤه مؤلم .

٣ — المختار من شعره :

— لحمّادِ عَجرْدٍ في بشارِ بن بُرْدٍ أهاجٍ كثيرةٌ كثيرةُ المُجونِ والإقذاع . وممّا يجوزُ الاستشهادُ به من ذلك قولُه :

إنْ تاهَ بَشّارٌ عليكُمْ فقَدْ أمْكَنْتُ بشّاراً من التيهِ .
وذاك إذ سَمّيْتُه بِاسْمِهِ ، ولم يكُنْ حرّاً تَسَمّيه [1] .
فصار إنساناً بذِكْري لهُ ، ما يَنْبَغي [2] من بعدِ ذِكْريه !
لم أهْجُ بشّاراً ، ولكنّني هَجَوْتُ نفسي بهجائيه .
لم آتِ شيئاً قطّ فيما مضى ، ولست فيما عِشْتُ آتيه :
أسْوَأَ في الناس أُحْدوثةً من خَطَأٍ أخْطأتُه فيه :
فأصْبَحَ اليومَ ، لسَبّي له ، أعْظَمَ شأناً من مَواليه !

— وشَرِبَ حمادُ عجردٍ الخمرَ بفارسَ مَعَ نَفَرٍ من أبناء الملوك فقال في ذلك :

ربَّ يومٍ بفَسَاءٍ ليس عندي بذَميمِ
قد قَرَعْتُ العيشَ فيه مَعَ نَدْمانٍ كريمٍ [3] ،

---

١ ولم يكن رجلا حراً حتى يستحق أن تسميه باسمه .

٢ كذا في الأصل . ولعلها : يبتغي : يريد ، يطمع

٣ الندمان (بفتح الميم) : النديم .

في جِنانٍ بين أنهارٍ وتعريشِ كُرومِ ،
نتعاطى قهوةً تُشْخِصُ يقظانَ الهُمومِ [1]
بنتَ عشرٍ تتركُ المُسكِرَ منها كالأميمِ [2] .
فيها دأباً أحتسي ، ويُحيّيني نديمي [3] ،
في إناءٍ كسرويّ مُستخِفٍ للحليمِ [4] ،
شربةً تعدلُ منه شربتيْ أمِّ حكيمِ [5] .
عندنا دهقانةٌ حنّانةٌ ذاتُ همِيمِ [6]
جمعتْ ما شئتَ من حُسنٍ ومن دلٍّ رخيمِ [7] ،
في اعتدالٍ من قوامٍ وصفاءٍ من أديمِ [8] ،
وبنانٍ كالمداري وثنايا كالنجومِ [9] .
لم أنلْ منها سوى غمزةِ كفٍّ أو شميمِ ،
غيرَ أنْ أرقصَ منها عكنةَ الكشحِ المَضيمِ [10] .
ويلتا ! أظلِمُ منها [11] خدَّها ، ألطمُ رحمِ .

---

١ أشخص الشيء : أزعجه ، أزاله عن موضعه ، أبعده .

٢ الاميم : الذي شج رأسه (فغاب عن الوعي) .

٣ دأباً : دائماً .

٤ في إناء : بإناء . كسروي : منسوب إلى كسرى (ملكي ، ثمين) . مستخف للحليم : يستميل العاقل (الذي لا يشرب الخمر) الى أن يشرب به .

٥ تعدل : تساوي . أم حكيم : لعلها خمارة كانت تسقي بكؤوس كبيرة .

٦ دهقانة : سيدة فارسية تملك أرضاً (ويكون عندها حانة للخمرة) . حنانة : الكثيرة الحنو والتي تقبل على من يعرض عنها ، والتي كان لها زوج . هميم : المطر الضعيف (القاموس) ، ذات اهتمام .

٧ الدل : الدلال ، الدلع المستحب . الرخيم : اللين ، السهل .

٨ صفاء الاديم : صفاء لون الجلد (كناية عن صغر السن والجمال) .

٩ البنان (جمع بنانة) : رؤوس الاصابع ، والمقصود هنا : الاصابع . كالمداري : كالمشط ، كأسنان المشط (طويلة ومستقيمة) . وثنايا كالنجوم : أسنان بيض تلمع .

١٠ كنت أجس (ثنية) الكشح (الخصر) المضيم (النحيل) .

١١ ويلتا : ويلي ، ويح لي ، ما أقساني . أظلم : اعتدى . لعلها : ألطم . أو : إني أظلم خدها حتى حينما ألطمه لطمة خفيفة للتحبب .

وبِنَفْسي ذاكَ ، يا أسـ ـودُ ، من خَدٍّ لَطيمِ [1] .

٤ – ٥ تاريخ بغداد ٨ : ١٤٨ – ١٤٩ ؛ الاغاني ١٤ : ٣٢١ – ٣٨١ ؛ معجم الأدباء ١٠ : ٢٤٩ – ٢٥٤ ؛ وفيات الاعيان ١ : ٢٩٤ – ٢٩٦ ؛ زيدان ٢ : ٨٤ – ٨٥ .

حَمّادٌ الراوِيةُ

١ – هو أبو القاسم حَمّادُ بن أبي ليلى سابورَ (وقيل : مَيْسرة أو هُرْمُز) ابنِ المُباركِ بن عُبيد ، أصله من الدَيْلَم ومولده في الكوفة نحو سنة٧٥ هـ (٦٩٥م) [2] ، ولذلك يُعْرَفُ بحمّاد الديلمي وحمّادِ الكوفيّ . ثم هو مولى مِكْنَفِ بنِ زيدِ الخيلِ بن مُهَلهِلٍ الطائي (الشعر والشعراء ١٧٥) ، وقيل مولى بني شَيْبان (غ ٦ : ٧٠) أو مولى بكر بن وائل (ياقوت ١٠ : ٢٥٨) . أما لقبه حمّاد الراوِيَةُ فجاء من أنه كان يحفظ عدداً كبيراً من القصائد الجاهلية .

نشأ حمادٌ الراويةُ في الكوفة يُعاشر المُجّانَ كحمّادِ عَجْرَدٍ وحمّاد بن الزبرِقان ، وكانوا كلّهم يُرْمَوْنَ بالزندقة .

ونال حمّادٌ الراوِيةُ حَظْوةً عند خلفاء بني أميّةَ : كانوا يسألونه عن أخبار الجاهليين وأشعارِهم وكان يُجيبهم – وخصوصاً هشامَ بن عبد الملك (١٠٥ – ١٢٥ هـ) والوليدَ بن يزيد (١٢٥ – ١٢٦ هـ) – ثم أدرك خِلافةَ المَهْديِّ [3] العبّاسي سنة ١٥٨ هـ (٧٧٥ م) . ولعلّ وفاته كانت سَنَةَ ١٦٠ هـ أو بعد ذلك بقليل [4] .

---

١ أسود : هو الاسود بن خلف كاتب عيسى بن موسى . وبنفسي ذاك من خد لطيم : ما أجمل ذلك الخد حين يحمر من أثر اللطمة الخفيفة للتحبب .

٢ الفهرست ٩١ .

٣ في معجم الأدباء (١٠ : ٢٢٦) : ولد حماد الراوية سنة ٩٥ هـ ثم توفي سنة ١٥٥ هـ . ولا وجه لرواية الاغاني (٦ : ٩٣) ورواية المرزباني (الموشح ٢٣٨ – ٢٣٩) من وفود حماد الراوية على زياد ابن أبيه (ت ٥٣ هـ) .

٤ غ ٦ : ٧٠ ؛ وفيات الاعيان ١ : ٢٩٢ .

٢ – قال ابن سَلاّمٍ [١] : « كان أولَ من جَمَعَ أشعارَ العربِ وساق أحاديثَها حمّادٌ الراويةُ ، وكان غيرَ موثوق به : كان يَنْتَحِلُ شعرَ الرجل غيرَه ويزيدُ في الاشعار » . وقد كان أعلمَ الناس بأيامِ العربِ وأشعارِها وأخبارِها وأنسابِها ولغاتِها ، وهو الذي جَمَعَ السبعَ الطِوالَ [٢] أو المُعَلّقاتِ السبعَ . ولكن يُقالُ إنّ معرفته بالعربية كانت قليلةً فقد كان يلحن [٣] . ولم يُرَ لحمّادٍ كتابٌ ، وإنما رُوِيَ عنه وصُنِّفت الكتب بعده [٤] .

٣ – المختار من آثاره :

– روى الاصفهاني (غ ٦ : ٦٩) صوتاً من المائةِ المختارة لحمّادٍ الراوية ، وهو البيتان التاليان :

تَنَكَّرَ من سُعْدى وأقْفَرَ من هِنْدِ   مُقامُهما بين الرَّغامين فالفَرْدِ ،
مَحَلٌّ لسُعْدى طالَما سَكَنَتْ به   فأوْحَشَ ممّا كان يَسْكُنُهُ بَعدي .

٤ – الاغاني ٦ : ٦٩ – ٩٥ ؛ معجم الأدباء ١٠ : ٢٥٨ – ٢٦٦ ؛ وفيات الأعيان ١ : ٢٩٢ – ٢٩٤ ؛ شذرات الذهب ١ : ٢٣٩ ؛ بروكلمان ، الملحق ١ : ٥٠ ، ٩٨ ؛ زيدان ٢ : ١١٩ – ١٢١ .

الحُسينُ بن مُطيرٍ الأسديُّ

١ – هو الحُسينُ بنُ مُطيرِ بن مُكَمَّلٍ ، وكان مكمّلٌ مولىً لبني أسد فأعتقوه .

كان الحُسينُ بن مُطير من ساكني زَبالة ، من التغلبية وداره بها . ويبدو أن مولده كان بين سنة ٩٠ وسنة ٩٥ هـ (٧٠٩ – ٧١٣ م) ؛ وقد وَفَدَ على الوليد

١ طبقات الشعراء ١٤ س ، (القاهرة ، دار المعارف ١٩٥٢) ٤٠ – ٤١ .
٢ غ ٦ : ٧٠ ؛ وفيات الاعيان ١ : ٢٩٢ .
٣ الفهرست ٩١ .
٤ الفهرست ٩٢ .

ابن يزيد (١٢٥ – ١٢٦ هـ) ومدحه ، ثم أدرك بني العبّاسِ فوَفَدَ على مَعْنِ ابن زائدةَ ، وهو والٍ على اليمن (١٤٠ – ١٤٩ هـ) . ولعله توفي في أوائل خلافة المهدي ١٥٨ – ١٦٩ هـ (٧٧٥ – ٧٨٥ م) .

٢ – كان الحُسين بن مُطيرٍ في زيّهِ وكلامه يُشْبِهُ مذاهبَ الأعراب وأهل البادية ، وهو شاعر من مخضرمي الدولتين فصيحٌ مُقَدَّمٌ في الرَّجَز والقصيد ، ومن المُكْثِرين المُجيدين . وهو بارعٌ في المدح والفخر والوصف والغزل والنسيب وفي الاغراض الوُجْدانية . وقد أطبق ابن المعتز (طبقات ١١٨) وأبو هلالٍ العَسكريّ (ديوان المعاني ٢ : ٦) على أن الحُسين بن مُطيرٍ أحذقُ الشُعراء في وصف السحاب .

٣ – المختار من شعره :

– قال الحسين بن مُطير يرثي معن بن زائدة الشيباني :

ألِمّا على مَعْنٍ وقولا لقبرِه : سقتْكَ الغوادي مُرْبِعاً ثم مُرْبِعا [1] .
فيا قبرَ معنٍ ، أنت أولُ حُفْرةٍ من الارض خُطّت للسّماحة مَضْجَعا .
ويا قبر معن ، كيف واريتَ جودَه ، وقد كان منه البَرّ والبَحْر مُتْرَعا ؟
بلى ، قد وَسِعتَ الجودَ والجودُ ميّتٌ ؛ ولو كان حيّاً ضِقْتَ حتى تَصَدّعا [2] .
فتىً عيشَ في مَعْروفِه بعدَ موته ، كما كان بعد السيل مَجراه مَرْتَعا [3] .
ولمّا مضى معنٌ مضى الجود فانقضى ، وأصبح عِرنين المكارم أجْدعا [4] !

– وله في الغزل والنسيب :

لقد كُنْتُ جَلْداً قبل أن تُوقِدَ النّوى على كَبِدي ناراً بَطيئاً خُمودُها !
وقد كنتُ أرجو أن تموتَ صَبابتي إذا قَدُمَتْ أيّامُها وعُهودها .

---

١ الغادية : الغمامة في الصباح . المربع : الغيث العظيم .
٢ تصدعا : تتصدع : تتشقق ، أيها القبر .
٣ – لا ينبت العشب ويكون مرعى إلا إذا جاء السيل ثم ذهب .
٤ – .... قطع أنف المكارم (لم يبق أحد يأتي المكارم) .

فقد جعلت في حبّة القلب والحَشا عِهادَ الهوى تُولي بشوق يُعيدها :
بسودٍ نواصيها وحُمرٍ أكفُّها وصُفرٍ تراقيها وبيضٍ خُدودها [1] .
مُخَصَّرةُ الأوساطِ زانتْ عُقودَها بأحسنَ ممّا زيّنتْها عُقودها !
يُمَنّيننا حتّى ترفَّ قلوبُنا رَفيفَ الخُزامى باتَ طَلٌّ يَجودها [2] .

٤ ــ •• طبقات ابن المعتزّ ١١٤ ــ ١١٩ ؛ الاغاني ١٦ : ١٦ ــ ٢٧ ؛ معجم الادباء ١٠ : ١٦٦ ــ ١٧٨ ؛ فوات الوفيات ١ : ١٨٥ ــ ١٨٦ .

أبو دُلامةَ

١ ــ كان أبو دُلامةَ زَنْدُ بنُ الجَوْنِ أسودَ حَبَشيّاً مَوْلىً لبني أسد ، نَشأ في الكوفة في أواخر دَوْلة بني أميّة . غير أنه قال الشعر ونَبَغَ فيه في دَوْلةِ بني العبّاس فاتّصل بالسفّاحِ والمنصور والمَهْديّ . وكانت وفاتُه سَنَةَ ١٦١ ﻫ (٧٧٧ م) في الأغلب .

٢ ــ كان أبو دُلامةَ رجلاً فيه دُعابةٌ وظَرْفٌ مُتّهماً بالزَنْدقة فاسدَ الدين مُولَعاً بالشراب . وكان شاعراً مَطْبوعاً مُكثِراً مُقْلِقاً صاحبَ بَديهة سَهْلَ التركيبِ عَذْبَ الكلامِ قريبَ الإشارة ظاهرَ المعاني . وفنونُه المشهورةُ المدحُ والرثاء والعتاب والهجاء ، وقد هجا نَفْسَه ، والطَرْدُ . ثم له عَدَدٌ من الأغراض الوُجدانية الدائرة في الهَزْلِ وفي النُفرة من القِتال خاصّةً .

٣ ــ **المختار من شعره :**

ــ قال أبو دُلامة يرثي أبا العبّاس السفّاح ، وكانت وفاته بالأنبار :

أمسَيْتَ بالأنبارِ ، يا ابْنَ مُحَمّدٍ ، لم تستطع من عُقرِها [3] تَحْويلا .

---

١ التراثب : جوانب الصدر .
٢ رف : لمع من النضارة (انتشى ، فرح) . بات طل يجودها : سقاها مطر معتدل ينعشها من غير أن يجرفها بشدته .
٣ العقر : وسط الدار وأصلها .

مات النّدى إذْ مِتَّ ، يا ابن محمد ، فجعَلْتَه لك في الثّراء عَديلا [1] .
اني سألتُ الناس بعْدَكَ كلّهــم فوجدتُ أسْمَحَ من سألتُ بخيــلا !
ألِشَقْوتي أخّـرْتُ بعدَك لِلّـتي تَدَعُ العزيزَ من الرجالِ ذليـلا .
فَلأحْلِفَنّ يمِينَ حقٍ بَـرّةً باللهِ ، ما أعْطِيتُ بعدَك سُولا [2] .

— وقال يمدح المنصور ويذكر شيئاً من أمر زوجته :

أذابَكِ الجوعُ مذ صارتْ عيالتُنــا على الخليفة منه الرِيّ والشّبَعُ [3] .
لا والذي ، يا أميرَ المؤمنين قضــى لك الخِلافةَ في أسبابِها الرِفَعُ [4] ،
ما زلتُ أُخلِصُها كَسبْي فتأكلُه دوني ودون عِيالي ، ثم تضطجعُ .
شوهاءُ مَشْنَـأةٌ في بطنها ثَجَلٌ ، وفي المفاصل من أوصالهـا فَدَعُ [5] .
ذكَرتُها بكتابِ اللهِ حُرمَتَنــا — ولم تكُنْ بكتابِ الله تَنْتَفِــعُ [6] —
فاخرَنْطَمَتْ ثم قالت ،وهي مُغْضَبَةٌ : أأنتَ تتلو كتابَ الله ، يا لُكَعُ [7] ؟
اخرُجْ تَبَغّ لنا مالاً ومُزْدرَعاً كما لِجيرانِنا مالٌ ومُزْدَرَعُ [8] ،
واخْدَعْ خَليفتَنا عنها بمَسْألةٍ ؛ انّ الخليفةَ للسُّؤالِ ينخدعُ !

— وقال يهجو نفسَه (على سبيل التجريد : مُخاطبةِ الانسانِ نفسَه) :

ألا أبْلِــغْ اليك ، أبا دُلامَــهْ — فلستَ من الكِرامِ ولا كَرامَــهْ —
إذا لَبِسَ العِمامةَ كان قِرداً ، وخِنزيراً إذا نَزَعَ العِمامَــه .

---

١ الثراء : التراب . عديل : مثيل ، كفؤ . الندى : الكرم .
٢ السُّول = السؤل : السؤال : (ما طلبت شيئاً من أحد بعدك فأعطانيه) .
٣ العيالة = الإعالة : مؤونة أهل البيت (الانفاق على العيال) .
٤ ... من أسباب اختيارك خليفة ما فيك من الرفع (جمع رفعة – بكسر الراء) : ما فيك من أوجه الرفعة والسمو والفضل على الناس .
٥ أخلصها كسبي : أعطيها ما أكسبه من مال (لها وحدها) .
٦ مشنأة (في القاموس ١ : ١٩ مشنأ يستوي فيها المذكر والمؤنث والمفرد والجمع) : قبيحة . ثجل (في القاموس ٣ : ٣٤١ الثجلاء : المزادة الواسعة = وعاء من جلد للماء) . الفدع : انحناء في رسغ (بضم الراء) اليد أو الرجل .
٧ اخرنطم : رفع أنفه استكباراً وغضباً . اللكع : اللئيم ، الأحمق .
٨ تبغ = ابتغ : اطلب . مزدرع : أرض للزراعة .

جَمَعْتَ دَمامةً وجمعت لُؤْما ، كذاك اللؤمُ تتبعه الدمامه .
فان تَكُ قد أصبتَ نعيمَ دنيا ، فلا تَفْرَحْ فقد دَنَتِ القيامه !

– جِيءَ بأبي دُلامة سكرانَ إلى الخليفة المنصور أو المهدي فعاقبه بأن أخرجه معَ رَوْح بن حاتم المهلبي إلى حرب الخوارج . ثم ان رَوْحاً أمره بأن يَخْرُجَ إلى بِرازَ رجل من الخوارج فقال :

إني أعوذ بِرَوْحٍ أن يُقَدِّمَني إلى البِراز فتَخزى بي بنو أسدِ .
إن البرازَ إلى الأقران أعْلَمُهُ مما يُفَرِّقُ بين الروح والجسد .
إنّ المُهَلَّبَ حُبَّ الموتِ أوْرَثَكُمْ ، وما وَرِثْتُ اختيارَ المَوْتِ عن أحَدِ .
لو أن لي مُهْجَةً أخرى لَجُدْتُ بها لكنّها خُلِقَتْ فَرْداً فلم أجُدِ !

٤ – • طبقات ابن المعتزّ ٥٤ – ٦٢ ؛ الاغاني ١٠ : ٢٣٤ – ٢٧٣ ؛ تاريخ بغداد ٨ : ٨٨ – ٩٣ ؛ معجم الأدباء ١١ : ١٦٥ – ١٦ ؛ وفيات الاعيان ١ : ٣٣٨–٣٤٣ ؛ شذرات الذهب١ : ٢٤٩ – ٢٥٠؛ بروكلمان١ : ٧٢ – ٧٣ ، الملحق ١ : ١١١ ؛ زيدان ٢ : ٨٣ – ٨٤ .

ابن المولى

١ – هو ابو عبد الله محمّدُ بنُ عبد الله بن مُسْلِم مولى بني عمرو بن عَوْفٍ الانصاري ، كان مَنْزِلُه بقِباء شمالَ المدينة وكانَ رجلاً ظريفاً عفيفاً نظيفَ الثياب حَسَنَ الهَيْئة . وإذا صحّت روايات الأغاني التي تجعل ابن المولى يمدح عبد الملك بن مروان (ت ٨٦ هـ = ٧٠٥ م) فيُكْثِرُ ويمدح المهديّ العبّاسي الذي جاء إلى الخلافة في آخر سَنَةَ ١٥٨ هـ (٧٧٥ م) ، فإن عُمُرَ ابن المولى يكون قد طال حتّى زاد على مِائَةٍ وهو نشيطٌ يطوفُ البلاد ويَقْرِضُ الشعرَ .

ولمّا انصرفَ يزيدُ بن حاتم من حرب الأزارقة (الخوارج) مَدَحَهُ ابن المولى ، ثم مدحه لمّا تولّى مِصْرَ في آخرِ سَنَةِ ١٤٤ هـ (أوائل ٧٦٢ م) ، سار اليه من المدينة فَلَقِيَهُ في الطريق ثم وَفَدَ عليه في مِصْرَ ومدحه ، فأعطاه يزيدُ عِشرين ألفَ دينارٍ واعتذر اليه . وفي مصر مرض ابن المولى حتى أشفى على الهلاك .

ولما وَلِيَ المَهديّ الخلافةَ وحجّ مدحه ابن المولى فأعطاه المَهديّ جائزة سنيّة استطاع ابن المولى أن يبني ببعضها بيتاً في المدينة . وكذلك قال ابن المولى المديح في الحسن بن زيد لمّا تولّى الحسنُ بن زيد المدينةَ (١٥٠ — ١٥٥ هـ) كما مدحه في أيام المَهديّ أيضاً . وعلى هذا كلّه يجب أن يكون ابن المولى قد عاش إلى سنة ١٦٠ هـ (٧٧٧ م) أو إلى ما بعد ذلك قليلاً .

٢ — ابن المولى شاعرٌ مُجيد من مُخَضرمي الدولتين الأموية والعبّاسية ومن مَدّاحي أهليهما ، ويدورُ شعره على المدح والغزل . أما مدحه فقد قال معظمه في يزيدَ بنِ حاتم ؛ وأما غزله فمعظمه في قوس كانت له سمّاها ليلى ثم جعل يتغزّل بها كيلا يتغزّل بنساء الناس فيأثمَ . وشِعره عفيف متين السبك على النهج القديم .

٣ — المختار من شعره :

— وَفَدَ ابن المولى على يزيد بن حاتم في مصر ومدحه بقصيدة يقول فيها :

يا واحدَ العرب الذي أضحى وليس له نَظيرْ ،
لو كان مثلُكَ آخَرٌ ما كان في الدنيا فقير !

— ومدح الخليفة محمداً المَهديّ بقصيدة عرّض فيها بالمطالبين بالخلافة من آل أبي طالب :

وما قارع الاعداءَ مثلُ محمّدٍ إذا الحرب أبدتْ عن حُجول الكواعب[١] .
فتىً ماجد الأعراق من آل هاشمٍ تَبَحْبَح منها في الذُّرَى والذوائب[٢] .
أشَمُّ من الرهْط الذين كأنهم لدى حِندِسِ الظّلماء زُهْرُ الكواكب .
إذا ذُكِرتْ يوماً مناقبُ هاشمٍ ، فإنّكمُ منها بخير المناصب .
ومن عِيب في أخلاقه ونِصابه ، فما في بني العبّاس عيب لعائب[٣] .

١ حجول الكواعب : بيوت النساء ، الخدور — إذا أوشك الاعداء أن ينتصروا ويستبيحوا الأموال والأعراض .
٢ تبحبح : جلس في البحبوحة (بضم الباء) : وسط الدار ، أي تمكن في المقام : كان مقامه ثابتاً مكيناً . الذرى (الرؤوس) والذوائب (ضفائر الشعر) كناية عن أسمى المقامات وأشرفها .
٣ النصاب : الأصل والنسب .

وانّ أميرَ المؤمنين ورهطَه ... لأهلُ المعالي من لُؤَيِّ بن غالب ،
وما نقموا إلاّ المودّةَ منهمُ ... وأنْ غادروا فيها جزيل المواهب [1] ،
وأنّهم نالوا لهم بدمائهم ... شفاءَ نفوسٍ من قتيل وهارب .
وانّ أميرَ المؤمنين لَعائدٌ ... بأنعامه فيهم على كلّ تائب .
إذا ما دَنَوْا أدناهمُ ، وإذا هَفَوْا ... تجاوز عنهم ناظراً في العواقب [4] .

٤ — ٥٥ غ ٣ : ٢٨٦ — ٣٠٢ ؛ الصفدي ٣ : ٢٩٦ — ٢٩٧ .

اسماعيل بن عمّار

١ — هو اسماعيلُ بنُ عمّارِ بنِ عُيَيْنَةَ بن الطُفيل من بني كَعب بن مالك ابن ثَعلبةَ بن دُودانَ بن أسد بن خُزيمةَ ، من أهل الكوفة ، وقد كان مُدْمِناً للشّراب مُولَعاً بسماع الغناء . ولا نَعْرِفُ من أخباره إلاّ نتَفاً .

يبدو أنه كان لاسماعيلَ بن عمّارٍ شيءٌ من النشاط السياسي ، فقد اتّهمَهُ يوسفُ بنُ عُمَرَ والي العراق (١٢٠ — ١٢٦ هـ) بأنه من الخوارج (غ ١١ : ٣٧٥) . ثمّ إنه أُتِّهِمَ (١٢٨ هـ) بأنه كان يجتمع بدُعاة عبد الله بن يحيى وأبي حمزةَ المُختار بن عَوْفٍ الازديّ ، فحُبِس عاماً كاملاً . فلمّا تولّى الحَكَمُ بنُ الصَلْت أطلقَ سَراحه .

وكان في الكوفة رجلٌ يقالُ له ابن رامينَ عنده جَوارٍ منهن سَلاّمة الزرقاء وسُعدى ورَبيحة ، فكان أصحاب الشّراب والغناء يأتون إلى ابن رامين ليشربوا ويستمعوا إلى جواريه . وكان اسماعيل بن عمّار مُغْرماً بهنّ كلّهن ولا سيما ربيحةَ (وكانت تَلْثَغُ في الزاي والسين) . وقد اتّفق أن ابن رامين ذهب مَعَ

---

١ وما نقموا (أي آل أبي طالب) إلا المودة منهم (أي رأوا بني العباس يعاملون جميع بني هاشم من أنصارهم وخصومهم بالمودة ، بما تقضي عواطف القرابة) وأنهم كانوا كرماء جداً على ذوي قرباهم .

٢ هفا : أخطأ ، أذنب . تجاوز عنهم : عفا عنهم . ناظراً في العواقب (في لتهجة الأمر) : إذا هو عاقب جميع الكارهين له من بني هاشم فانه يقتل قوماً كثيرين منهم ، وهذا يجعل بني هاشم ضعافاً .

جواريه إلى الحجّ في أيام ولاية محمّد بن سليمانَ بن عليٍّ على مكّةَ ، في خلافة أبي جعفرٍ المنصور ، فاشترى محمدُ بنُ سليمانَ سلامةَ الزرقاءَ بمائة ألفِ درهمٍ . ويبدو أن ذلك قد زاد في تشوّقِ إسماعيلَ بنِ عمّارٍ إلى سلاّمةَ وزميلاتِها . ثم يَحْسُنُ أن نُشيرَ هنا إلى أن سلاّمةَ الزرقاءَ (ذاتَ العينين الزرقاوين) هذهِ غير سلاّمةَ زميلةِ حَبابةَ جاريتَيْ يزيدَ بنِ عبدِ الملك الأمويّ (١٠١ – ١٠٥ هـ) .

ولعلّ وفاةَ إسماعيلَ بنِ عمّارٍ لم تتأخرْ عن سَنَةِ ١٦٥ هـ (٧٨١ م) .

٣ – المختار من شعره :

– قال اسماعيل بن عمّار في جَواري ابن رامين :

هل من شِفاءٍ لقلبٍ –لَجّ– مَحزونِ ... صَبا وصَبَّ إلى رِئْمِ ابنِ رامينِ [١] :
إلى ربيحةَ إن اللهَ فضّلَها ... بحُسْنِها وسَماعٍ ذي أفانينِ [٢] ،
وباحَ قلبيَ منها مَضْحَكٌ حَسَنٌ ... ولَثْغَةٌ ، بَعْدُ ، في زاي وفي سينِ [٣] .
أنتِ الطبيبُ لداءٍ قد تَلَبّسَ بي ... من الجَوى فانْفُثي في فيَّ وارْقيني [٤] .
لا أنسَ سَعْدَةَ والزرقاءَ يومَ هُما ... باللُّجِّ شَرقيَّهِ فوقَ الدكاكينِ [٥] .
تُغَنّيانِ ابنَ رامينٍ على طَرَبٍ ... بالمِسْجَحيِّ وتشبيبِ المُحبّين [٦] .

---

١ لج في الأمر : لزمه وأبى ان ينصرف عنه ، تمادى فيه . صبا : مال إلى ، اشتاق . صب : أحب ، عشق . رئم : الغزال الأبيض . رئم ابن رامين (كناية عن ربيحة المغنية جارية ابن رامين ، شبهها بالرئم، أي بالغزل الابيض ، لجمالها وحسنها ورخامة صوتها) .

٢ مضحك : فم .

٣ الافانين : انواع .

٤ تلبس بي : خالطني ولزمني . الجوى : ألم الحب . نفث : نفخ . في : فمي . رقاه : قرأ عليه شيئاً من القرآن ليشفيه من شر او من مرض نفسي .

٥ انس = انسى (لا وجه لجزمها – والأصوب : لم انس) . اللج : جانب الوادي ، معظم الماء (لعل هاتين المغنيتين كانتا تغنيان بالعراء على الجانب الشرقي من نهر الفرات في الحيرة – يحسن ان نعلم ان دجلة والفرات لم يكونا في ذلك الزمن قد اتصلا وشكلا شط العرب على ما هي الحال اليوم) . الدكان : مصطبة او بناء من خشب مرتفع قليلا يقف عليه الخطيب او المغني الخ .

٦ المسجحي : غناء ابي عثمان سعيد بن مسجح (راجع غ ٣ : ٢٧٦ – ٢٨٤) ؛ ولعل الشاعر قد قصد بالغناء المسجحي الذي يجتمع فيه فن الغناء مع رخامة الصوت والتطعيم باللحن الأجنبي . التشبيب : الغزل .

أذ ذاك أنعَمُ أمْ يومٌ ظَلِلْتُ بـهِ   فِراشِيَ الوردُ في بُستان شُورين [١]؟
– نُسقَى طِلاءً لعِمرانٍ يُعتِّقُه   يمشي الأصحاءُ منه كالمجانين [٢] ،
يَزِلّ أقدامَنا من بعدِ صِحّتِهما   كأنّها ، ثِقلاً ، يُقلَعْنَ من طينِ [٣] .
نمشي وأرْجلُنا مَطْوِيّةٌ شَلَلاً   مشي الإوَزّ التي تأتي من الصين [٤] ،
أو مَشْيَ عُميانِ دَيْرٍ ، لا دليلَ لهم   سوى العِصِيِّ ، إلى يوم السعانين [٥] ،
في فِتْيةٍ من بني تَيْمٍ لَهَوْتُ بِهِمْ :   تَيْمِ بن مُرّةَ لا تَيْمِ العَدِيِّين ،
حُمْرَ الوُجوهِ كأنّا مَن تَحَشَّمنا   حسناءُ شمطاءُ جاءت من فلسطين [٦] !

– كان لإسماعيلَ بنِ عمّارٍ جارٌ ينهاه عن السُكْر وعن هجاء الناس فلم يرتدع اسماعيلُ ، فبنى ذلك الجارُ مسجداً مُلاصقاً لبيت اسماعيلَ وكان يَجلِسُ فيه مَعَ قومٍ من أولي السِتر والصلاح [٧] عامّةَ نهارِهم . فكان اسماعيلُ لا يقْدِرُ أن يَشْرَبَ في داره ولا أن يَدْخُلَ دارَه أحدٌ ممن كان يألَفُهُ من مُغَنٍّ أو مُغنّيةٍ أو غيرِهما من أهل الرِيبة . وكان الجارُ يتولّى شيئاً من أمور الوَقْف للقاضي في الكوفة ، فقال اسماعيل يهجوه :

بنى مسجداً بُنْيانُه من خِيانةٍ ؛   لَعَمْري ، لَقِدْماً كنتَ غيرَ مُوَفَّقِ [٨] .

---

١ أنعم (اسم تفضيل من النعيم) : أهنأ ، أجمل ، أكثر سعادة وسروراً . شورين أو سورين : رجل (فارسي) كان له بستان في الكوفة يقدم فيه الخمر والدجاج المشوي ....

٢ الطلاء : الخمر . عمران = عمران بن موسى بن طلحة بن عبيد الله (راجع غ ١١ : ٣٦٦ ، الحاشية الثامنة) .

٣ ثقلا : من ثقلها (من عجزنا عن رفعها ونقلها – لأن الخمر قد خدرتها) .

٤ نمشي وأرجلنا مطوية : لا نستطيع المشي منتصبي القامة .

٥ يوم السعانين أو الشعانين : عيد النصارى يأتي في الربيع . مشي عميان .... : بتأن وهدوء (يتحسسون مواضع أقدامهم كيلا يعثروا ثم هم يعثرون) .

٦ تحشمنا : حياؤنا ، استحياؤنا (من حالتنا ونحن عاجزون عن المشي الصحيح السليم) ، فكانت تحمر وجوهنا خجلا . حسناء شمطاء جاءت من فلسطين ....

٧ الصلاح : التقوى وحب الخير . اولي (أهل) الستر : الذين يقل المال في أيدهم .

٨ بنيانه من خيانة : (الشاعر يتهم باني المسجد بأنه بنى مسجده من مال كان قد سرقه من أموال الوقف) .

كصاحبةِ الرّمّانِ ، لمّا تصدّقتْ   جرَتْ مثلاً للخائنِ المُتصدّقِ[1] –
يقولُ لها أهلُ الصلاحِ نَصيحةً:   رُوَيْدَكِ ، لا تزْني ولا تتصدّقي !

٤ – ** الاغاني ١١ : ٣٦٤ – ٣٨١ .

صالحُ بن عبدِ القُدّوس

١ – هو صالحُ بنُ عبدِ القدّوسِ بنِ عبدِ اللهِ بن عبدِ القُدّوسِ الأزديّ من أهلِ البصرة ، كان يَجلِسُ في مَسْجِدِ البصرة للوعظِ ويَقُصُّ الأخبارَ . غير أنه كان يُزيّنُ الثَنَويّةَ (الدينَ الفارسيّ القديمَ) . فلما اشتهر أمره بالزندقة استقدمه المَهْديّ من البصرة ، ولكنّه استطاع أن يَهْرُبَ إلى دِمَشق . وجِيء به إلى بَغدادَ مقبوضاً عليه فقَتَلَهُ المَهْديّ بيدِهِ ، سَنَةَ ١٦٧ ه (٧٨٣ م) ثم أمرَ بهِ أن يُعلّقَ بِضْعَةَ أيامٍ للناس .
وكان صالحُ بنُ عبد القُدّوس قد أسَنّ ثم عَميَ في آخرِ أيامه .

٢ – صالحٌ بنُ عبد القُدّوس شاعرٌ مُكثِرٌ مُجيد وأديبٌ فاضلٌ . قال ابن المعتز (طبقات ٩٠) : « وله في الزُهْد في الدنيا والترغيب في الجنة والحَثّ على طاعة الله والأمر بمحاسن الاخلاق وتذكّر الموت والقبر ما ليس لأحد ؛ وكان شِعْرُهُ كلّه أمثالاً وحِكَماً . ويَمْدَحُ الجاحظُ شِعْرَ صالحٍ ولكنه ينتقد ازْدِحامَه بالحِكَم ويقول (البيان والتبيين ١ : ٢٠٦) : « لو أن شِعْر صالحِ ابن عبد القُدّوس وسابقٍ البربريّ[2] كان مُفرّقاً في أشعار كثيرة لصارتْ تلك الاشعارُ أرفعَ مما هي بطبقات ، ولَصارَ شعرُهما نوادِرَ سائرةً في الآفاق . ولكنّ القصيدةَ إذا كانتْ كلّها أمثالاً لم تَسِرْ[3] .

---

١ كصاحبة الرمان (لعلها امرأة كانت من قصر الرمان في واسط – بين البصرة والكوفة – كانت تزني وتربي أيتاماً . والبيت المشهور في الرواية :
ومطعمة الايتام من كسب فرجها ؛   رويدك ، لا تزني ولا تتصدقي ؛
٢ ابو سعيد سابق بن عبد الله البربري شاعر مغربي الأصل من موالي بني أمية سكن الرقة ووفد على عمر بن عبد العزيز ، وله في الزهد أشعار جياد .
٣ لم يسر على الألسنة : لم يشتهر .

٣ – المختار من شعره :

– من أبيات صالح بن عبد القدّوس في الحكمة :

لا تَدْخُلَنْ بنَميمَةٍ بين العصا ولِحائِها .
– وإنّ عَناءً أن تُفَهِّمَ جاهلاً ويَحْسَبُ ، جهلاً ، أنه منك أعلمُ .
متى يَبْلُغُ البُنْيانُ يوماً تَمامَه إذا كُنْتَ تَبنيه وغيرُك يَهْدِمُ !
– والشيخُ لا يَتْرُكُ أخلاقَه حتى يُوارى في ثرى رَمْسِه .
إذا ارْعَوَى عادَ إلى جَهْلِه كذي الضَّنى عادَ إلى نُكْسِه .

– وأشهرُ شِعرِه قصيدتُه البائية (معجم الأدباء ١٢ : ٨) ، ومنها :

صَرَمَتْ حِبالَك بعدَ وصْلِكَ زينبُ ، والدهرُ فيه تَصَرُّمٌ وتَقَلُّبُ .
فدَعِ الصِبا فلقد عَداكَ زمانُه ، واجْهَدْ فعُمْرُك مرّ منه الأطيب .
واحْذَرْ مُعاشرةَ الدنيء فإنّها تُعدي كما يُعدي الصحيحَ الأجرب :
يلقاك يَحْلِفُ أنه بك واثقٌ ؛ وإذا تَوارى عنك فهو العَقْرَبُ .

٤ – •• طبقات ابن المعتزّ ٩٠ – ٩٢ ؛ تاريخ بغداد ٩ : ٣٠٣ – ٣٠٥ ؛ معجم الأدباء ١٢ : ٦ – ١٠ ؛ فوات الوفيات ١ : ٢٤٥ ؛ بروكلمان ، الملحق ١ : ١١٠ – ١١١ ، زيدان ٢ : ١٠٠ – ١٠١ .

بَشّارُ بن بُرْدٍ

١ – أصلُ بشارٍ من طُخارِسْتان في أقصى خُراسان وقع جَدّه يَرْجوخ في سَبْيِ المُهَلَّبِ بن أبي صُفْرة حينما كان والياً على خُراسان (٧٨ – ٨٢ هـ) فأهداه إلى امرأته خَيْرةَ بنتِ ضَمْرةَ القُشَيْرية ، وكانت تقيم بضيعة لها بالبصرة . ولمّا وصل يرجوخ إلى البصرة كان معه طِفْلٌ صغيرٌ له اسمه بُرْد . ولما بلغ بردٌ مَبْلَغَ الرجال زوّجته مولاته خيرةُ فتاةً من بني عُقَيل ، فُولِدَ له بَشّارٌ سَنَةَ ٩١ هـ (٧١٠ م) في الأغلب .

وليدَ بَشّارٌ أكْمَهَ (لا يُبْصِرُ) ونشأ على الفقر ، وكان شِرّيراً يُنازع أترابَه. ثم بدأ قولَ الشِعر وهو لا يزال حَدَثاً وأخذ يهجو الناسَ . ويتَم بَشارٌ من أبيه وهو بعدُ صغيرٌ . ثم قضى بشار مُعْظَمَ حياتِه في البصرة وتلقّى فيها ضُروباً من العلم تَسَرَّبَ اليه مَعَها كثيرٌ من الزندقة . وفي البصرة تَعَرَّضَ بشارٌ بجريرِ بنِ عَطِيّةَ بالهجاء (نحو ١٠٠ هـ = ٧٢٠ م) ولكن جريراً استَصْغَرَهُ فأعْرَضَ عنه .

لم يَنَلْ بَشارٌ حَظْوةً في العصر الأُموي لأنه كان مولىً . غير أنه مَدَحَ يزيدَ بنَ عُمَرَ بنِ هُبيرة ، سنة ١٢٨ هـ (٧٤٤ م) ، بعدَ أنِ اشْتَرَكَ يزيدُ في حرب الضحّاك بن قَيْسٍ الشَيْباني الخارجي بالقصيدة المشهورة : جفَا وُدُّه فازْوَرّ أو مَلَّ صاحبُه !

ولما جاءتِ الدولةُ العباسية لَقِيَ شِعْرُ بَشارٍ حَظْوة ، ولكنّ السَفّاحَ والمنصورَ كانا مشغولَيْنِ بتثبيت أركانِ الدولة فلم يُلْقِيا بالاً للشعراء . غير أن بَشاراً نال حظوة عند خالدِ بن بَرْمَكَ وزيرِ السَفّاح ، ثم عند الخليفة المَهْدِيّ . وطال لسانُ بَشارٍ بالهجاء وتناول وزيرَ المَهْدِيِّ يعقوبَ بنَ داوودَ والمَهْدِيَّ نفسَه ، فاتُّهم بالزندقة وبأنَّ غزلَه فاحشٌ يدعو إلى الفِسق ثم قُتِلَ في البصرة نحو سنة ١٦٧ هـ (٧٨٢ م) .

٢ — كان بشار شُعوبياً زنديقاً يميل إلى التفكير الحرّ ويأخذ بالشك وبالجبر . وقد أوْرَثَته عاهتُه تبرُّماً بالناس ونِقمة عليهم. وكان معَ فِسقه مَرِحاً خفيفَ الروح حلو الحديث .

وبشّار رأس المُحدَثين ، أي أولُ الشعراء العبّاسيين المكثرين المجيدين ، وبذلك يرتفع كثيراً فوق معاصريه من الشعراء مخضرمي الدولتين الذين شَهِدوا الدولة الأمويّة والدولة العبّاسية . وبَشارٌ شاعرٌ مُكثر مطبوع متنوع الأغراض كثير المعاني المختَرَعة يمزج الجِدّ بالهزل ويجيد التهكّم ، إلّا أن شِعره متفاوت في الجودة .

وكان بَشار من المتفنّنين في الشِعر القائلين في أكثر أجناسه وضروبه (غ ٣ : ١٣٩) ، ولكنه بَرعَ في الفخر والغزل والهجاء والحكمة . وكذلك كان «خطيباً وصاحب منثور ومُزدَوِج ، وله رسائلُ معروفة» (البيان والتبيين ١ : ٤٩) .

٣ – المختار من شعره :

– قال بشارُ بن بُرْدٍ في الوصف والحكمة (على الأسلوب القديم) :

إذا كُنتَ في كلّ الأُمور مُعاتِباً صديقَكَ لم تَلْقَ الذي لا تُعاتِبُهْ .
فعِشْ واحداً أوْ صِلْ أخاكَ فإنّـه مُقارِفُ ذَنْبٍ مرّةً ومُجانبه [١] .
إذا أنتَ لم تشرَبْ مِراراً على القَذَى ظَمِئتَ ؛ وأيّ الناس تصفو مَشاربه .
ومَنْ ذا الذي تُرْضِي سَجاياه كلّها كَفَى المَرْءَ نُبْلاً أن تُعَدّ مَعائبه .
وجَيْشٍ كجُنْحِ الليل يَزْحَفُ بالحصى وبالشّوك والخَطّيّ حُمْراً ثَعالبه [٢]
غَدَوْنا له والشمسُ في خِدر أمّها تُطالعُنا والطَّلّ لم يَجْرِ ذائبه [٣] ؛
بضَرْبٍ يذوقُ المَوْتَ من ذاقَ طَعْمَهُ وتُدْرِكُ مَنْ نَجّى الفِرارُ مَثالبه [٤] .
كأنّ مُثارَ النَّقْعِ فوقَ رؤوسِنا وأسيافَنا ليلٌ تَهاوى كَواكبه [٥] !

– وقال يمدح عُقْبَةَ بن سَلْمٍ (على الأسلوب المُحْدَثِ) :

حَرّمَ اللهُ أن ترى كابْنِ سَلْمٍ عُقْبةِ الخيرِ مُطْعِمِ الفُقَراءِ .
إنّما لَذّةُ الجَوادِ ابْنِ سَلْمٍ في عَطاءٍ ومركَبٍ لِلِقاءِ [٦] .
ليسَ يُعْطيكَ للرجاءِ ولا الخَوْ فِ ، ولكن يَلَذّ طَعْمَ العَطاء .
يَسْقُطُ الطيرُ حيثُ يَنْتَثِرُ الحَبّ ، وتُغْشَى مَنازلُ الكُرَماء !

– ومن أبرعِ الهِجاء في اللفظ المُهذّب والمَعْنَى المُؤلم هجاءُ بشّارٍ لعُبيد الله

١ قارف الذنب : ارتكب الذنب ، أتى ذنباً . جانب الشيء : تركه .
٢ كجنح الليل : شديد السواد (لكثرة سلاحه) . الحصى : العدد الكثير . الشوك : السلاح . الثعالب : النصال في رؤوس الرماح . حمراً ثعالبه : رؤوس رماحه حمر لكثرة ما عليها من دماء الاعداء .
٣ والشمس في خدر أمها : لم تطلع بعد . والطل لم يجر ذائبة : في الصباح الباكر قبل أن تطلع الشمس ويذوب الندى الذي كان قد جمد على أغصان الشجر في أثناء الليل .
٤ من وصلت اليه ضربات سيوفنا مات ؛ ومن هرب لحقته المثالب (المثلبة : العار) .
٥ كأن الغبار الاسود الذي يغطي رؤوسنا في المعركة ليل ، وكأن أطراف سيوفنا التي يكثر نزولها على رؤوس الاعداء شهب تسقط من السماء .
٦ مركب اللقاء : لقاء الاعداء في الحرب .

ابن قَزْعَةَ :

خَليليّ من كَعْبٍ ، أعينا أخاكما ١ على دَهْرِه ، إنّ الكريمَ مُعينُ
ولا تَبْخَلا بُخْلَ ابنِ قَزْعَةَ ، إنه — مَخافةَ أن يُرْجى نَداه — حَزين .
كأنّ عُبيدَ اللهِ لم يَلْقَ ماجِداً ولم يَدْرِ أنّ المُكْرُمات تَكون .
إذا جِئْتَه في حاجةٍ سَدّ بابَه فلم تَلْقَهُ إلاّ وأنتَ كَمينُ !

— وقال بَشارٌ يهجو الخليفةَ المَهْدِيّ ووزيرَه يعقوبَ بنَ داوودَ :

بَني أُمَيّةَ ، هُبّوا ، طالَ نَوْمُكُمُ ؛ إنّ الخَليفةَ يعقوبُ بنُ داوودِ .
ضاعتْ خِلافَتُكم ، يا قومُ ، فالْتَمسوا خليفةَ اللهِ بين الزِّقّ والعودِ !

— بما أن بَشاراً كانَ أعْمَى فانه كثيراً ما كان يُرَدِّدُ أن الجَمال يُعْرَفُ من طريقِ الأُذُنِ أحسنَ مِمّا يُعْرَفُ من طريق العَيْنِ أو مِثْلَما يُعْرَف بالعين على الأقلّ :

يا قومُ ، أُذْني لِبَعْضِ الحَيِّ عاشقةٌ ؛ والأُذْنُ تَعْشَقُ قبلَ العينِ أحْيانا .
قالوا « بِمَنْ لا تَرى تَهذي ؟ » فقلتُ لهم : « الأذنُ كالعينِ تُوفي القلبَ ما كانا ! »

٤ — ديوان بشّار بن برد (لناشره محمّد الطاهر عاشور) ، القاهرة (لجنة التأليف والترجمة والنشر) ١٣٦٩ — ١٣٧٦ هـ (١٩٥٠ — ١٩٥٧ م) .

المختار من شعر بشّار للخالديّين (بدر الدين العلويّ) ، مصر (مطبعة الاعتماد) ١٩٣٤ م .

•• بشار بن برد : شعره وأخباره ، تأليف حسنين القرنيّ ، القاهرة (المطبعة العربية) ١٩٢٥ م .

بشّار بن برد ، تأليف أحمد حسين منصور ، القاهرة (المطبعة الرحمانية) .

بشّار بن برد ، تأليف ابراهيم عبد القادر المازني ، القاهرة (دار إحياء الكتب العربية) ١٩٤٤ م .

---

١ يقصد نفسه .

بشّار بن برد، تأليف عمر فرّوخ، بيروت (مكتبة منيمنة) ١٣٦٩هـ(١٩٤٩م).
بشّار بن برد ، تأليف محمّد النويهي ، القاهرة (مكتبه النهضـة المصرية) ١٩٥١ م
بشّار بن برد ، تأليف طه الحاجري ، بيروت (دار المعارف) بعيد ١٩٥٠ م .
الفهرست ١٥٩ ؛ الاغاني ٣ : ١٣٥ — ٢٥٠ ، ٦ : ٢٤٢ — ٢٥٣ ؛ تاريخ بغداد ٧ : ١١٢ — ١١٨ ؛ وفيات الأعيان ١ : ١٥٦ — ١٥٨ ؛ شذرات الذهب ١ : ٢٦٤ — ٢٦٥ ؛ بروكلمان ١ : ٧٢ ، الملحق ١ : ١٠٨ — ١١٠ ؛ زيدان ٢ : ٦٣ — ٦٦ ؛ محاضرات المجمع العلمي العربي في دمشق ٢ : ١٨١ — ٢٠٣ .
Enc. Isl. (new ed.) I 1080 - 82

ابراهيم بن هَرْمَةَ

١ — هو ابراهيم بن عليّ بن سَلَمَةَ بن عامر بن هُذيل من فِهر (قُريش) وقيل من قَيْس عَيْلان .

وُلِدَ ابن هَرمة سنة ٩٠ هـ (غ ٤ : ٣٩٧) في المدينة ونشأ فيها وكان قصيراً دَميماً أرمصاً [١] ، ومن البخلاء .

أدرك ٱبنُ هَرمة جَريراً (ت ١١٥ هـ = ٧٣٣ م) . ولما تولى عبدُ الواحد ابن سليمان بن عبد الملك مكّة والمدينة (١٢٧ هـ = ٧٤٥ م) مدحه ابن هرمة [٢] . ولما تولى المنصور الخلافةَ وَفَدَ اليه وامتدحه ١٤٠ هـ (٧٥٧ م) .

وكان ابن هَرْمةَ شَغوفاً بالشَراب مشتهراً به فأخذه مرةً خثيمُ بن عراك صاحب الشرطة في المدينة [٣] .

يقول ابن المعتز (طبقات ٢٠) أن ابن هرمة بقي إلى آخر أيام المنصور ؛ وفي الاغاني أن ابن هَرمة مدح المنصور سنة ١٤٠ هـ ثم عُمّرَ طويلاً (غ ٤ : ٣٩٧)

---

١ الرمص : قذى يجتمع في أطراف العين .
٢ طبقات ابن المعتز ٢٠ .
٣ كان خثيم صاحب الشرطة لزياد بن عبد الله بن عبد المدان الحارثي الذي كان والي مكة والمدينة (١٣٣ — ١٣٦ هـ) من قبل السفاح ، ثم أصبح والي المدينة (١٣٧ — ١٤١ هـ) من قبل المنصور .

ووفد على المَهْديّ (غ ٤ : ٣٧٠) . ومرض ابن هرمة قبل موته . ولعل وفاته كانت سنة ١٧٠ هـ (٧٨٦ م) .

٢ – ابن هَرمة من ساقَة الشعراء (آخرِ الشعراء القدماء الذين يَحْفِل بهم الرُواة والنُقّاد) ، كان شاعراً متكسباً مَدَحَ الفاطميين والأمويين ومدح العباسيين . وشِعْره جَزْلُ الألفاظِ مَتينُ السَبك ِ قديم المعاني مرةً ومُحْدَثُ المعاني مرة أخرى ، وفي شعره شيء من الصناعة . قال الجاحظ (البيان والتبيين ١ : ٥١) : « ولم يكن في المُوَلّدين أصوبَ بديعاً من بشّارٍ وابن هَرمة» . وفنون ابن هرمة المدحُ والهجاء والفخر والحكمة ، وله أوصاف بَدْوية في السحاب وفي الأثافي [١] والرماد وفي الكَلْب عند مجيء الضيوف . وله أيضاً حكمة .

٣ – المختار من شعره :

– قال الجاحظ (البيان والتبيين ٣ : ٣٧٢) : ولما مدح ابن هرمة أبا جعفر المنصور أمر له (المنصور) بألفي درهم فاستقلّها . وبلغ ذلك أبا جعفر فقال : أما يرضى أني حقنت دمه وقد اُستوجب إراقتَه ، ووفّرت مالَه وقد اُستحقّ تلفه ، وأقرَرْته وقد استأهل الطردَ ، وقرّبته وقد استجزى البعدَ ؟ أليس هو القائلَ في بني أميّة :

إذا قيل : مَنْ عند رَيْب الزمان ... لِمُعْتَرّ فِهرٍ ومُحتاجِها [٢] ،
ومن يُعْجِلُ الخيلَ يومَ الوغى ... بإلجامها قبلَ إسراجها ؟
أشارتْ نِساءُ بني مالكٍ ... إليك به قبلَ أزْواجها !

– قال ابن هَرمة : فاني قد قلت فيه أحسن من هذا ! قلت :

إذا قلت : أيُّ فتىً تَعْلَمونَ ... أهشُّ إلى الطعن بالذابل [٣] ،
وأضْرَبُ للقِرْنِ يومَ الوغى ، ... وأطعمُ في الزمن الماحل ؟
أشارت إليك أكفُّ الورى ... إشارةَ غَرْقَى إلى ساحل !

---

١ الأثافي : الحجارة التي تنصب عليه القدر (بكسر القاف) فوق النار.
٢ المعتر : المحتاج الذي يتعرض الناس بحاله من غير أن يسأل بلسانه .
٣ الذابل : الرمح (النحيف ، القاسي ، الجاف) الجيد .

– واستجاد ابن قتيبة (ص ٤٧٤) لابن هرمة قوله :

قد يُدْرِكُ الشرفَ الفتى ورداؤهُ خَلَقٌ ، وجَيْبُ قميصهِ مرقوعُ [١].
إمّا تَريْني شاحِباً مُتَبَذِّلاً كالسيفِ يَخْلَقُ جَفْنُهُ فيَضيع ،
فلَرُبَّ ليلةِ لَذّةٍ قد بِتُّها وحَرامُها بحَلالها مَدفوع !

– واختار له أبو تمّام في الحماسة (٤ : ١٥٨٠) وأبو هلال العَسكريُّ في ديوان المعاني (١ : ٣٣ ؛ راجع الحيوان ١ : ٣٧٧ – ٣٧٨) في صفة الضيف وصفة الكلب الذي تَعوّد رُؤْية الضيفان :

ومُسْتَنبِحٍ تستكشط الريح ثَوْبَهُ لِيَسْقُطَ عنه ، وهو بالثوب مُعْتَصِمُ [٢].
عَوى في سَوادِ الليل ، بعدَ اعتسافهِ ، لِيَنْبَحَ كلبٌ أو لِيَفْزَعَ نُوَّمُ [٣].
فجاوَبَهُ مُسْتَسْمِعُ الصوتِ للقِرى له مَعَ إتيانِ المُهِبّين مَطْعَمُ [٤] ؛
يَكاد إذا ما أبْصَرَ الضيفَ مُقْبِلاً يُكَلِّمُهُ ، من حُبِّهِ ، وهْوَ أعْجَمُ !

٤ – •• الفهرست ١٥٩ ؛ طبقات ابن المعتزّ ٢٠ – ٢١ ؛ الاغاني ٥ : ٢٥٩ – ٢٦٥ ؛ بروكلمان ١ : ٨٣ ، الملحق ١ : ١٣٤ . اعيان الشيعة (ط ٢) ٥ : ٣٠٣ – ٣١٢ .

الأُحَيمِرُ السّعديُّ

١ – هو الأُحَيْمِرُ بنُ فُلانٍ [٥] بنِ الحرثِ (!) بن يزيدَ السّعديّ ، كان لصّاً جَريئاً كثيرَ الجِنايات فخَلَعَهُ قومُهُ . وخاف الأحيمرُ من الوالي جعفرَ

١ خلق : متهرئ ، قديم . الجيب : فتحة الثوب عند العنق .
٢ استنبح الرجل الكلب : استدرجه إلى النباح . تستكشط الريح ثوبه : تحاول نزعه . معصم : متمسك .
٣ – عوى الضيف بعد أن اعتسف الليل (لقي في السفر ليلا مشقة) . ليفزع منه النائمين فيستيقظوا ليستقبلوه أو لينبح كلب فيستيقظ أصحابه .
٤ فجاوبه مستسمع (كلب) منتظر قدوم الضيوف . وهذا الكلب يأكل إذا ورد على أصحابه مهبين (ضيوف في الليل يوقظونهم من نومهم) .
٥ «فلان» كناية عن جهل الرواة لاسم صاحب الاسم .

بن سُليمانَ [1] فخرج في الفَلَوات وقِفار الأرض وأوغل فيها كثيراً . ويقول ابن قُتيبة (ص ٤٩٦) : « وهو متأخِّرٌ قد رآه شُيوخُنا » [2] . وإذا صحّ أن الأحيْمِر قد كان من شُعراءِ الدَّولتينِ الأموية والعبّاسية (المؤتلف ٣٦ – ٣٧) ، فيجبُ أن يكونَ قد أسَنّ ، إذ يبدو أنه عاش إلى نحْو سنة ١٧٠ هـ (٧٨٦ م) .

٢ – يبدو لنا من القِطعة التي وَصَلَتْ إلينا من شِعْر الأُحَيْمِر أنّ الأحيمر كان برُغْمِ بَداوته وجَفائه ولُصوصيّته شاعراً فصيحَ الألفاظ واضحَ المعاني نبيلَ النفسِ ثاقبَ الرأيِ . ومطلعُ هذه القِطعةِ مشهورٌ جداً .

٣ – المختار من شعره :

– قال الأحيْمِرُ السعدي يرى الأُنْسَ في الوِحْدة ويتكرّه لِقاءَ الناس :

عَوى الذِئبُ فاستأنَسْتُ بالذئبِ إذ عوى ؛ وصَوّتَ إنسانٌ فكِدت أطيرُ [3] .
رأى الله أنّي للأنيس لَشانِيءٌ ، وتُبْغِضُهم لي مُقلة وضَمير [4] .
فلِلّيْلِ ، إنْ وارانيَ الليلُ ، حُكْمُهُ ؛ ولِلشّمْسِ ، ان غابت، عَلَيَّ نُذور [5] .

---

١ كان جعفر بن سليمان بن علي بن عبد الله العباسي والياً على مكة (١٦١ – ١٦٣ هـ) والمدينة (١٦١ – ١٦٦ هـ) ثم على البصرة (بعد ١٧٣ هـ) .

٢ شيوخنا : أساتذتنا الذين نأخذ عنهم العلم .

٣ استأنس : ذهب توحشه (قا ٢ : ١٩٨) : زالت عنه رهبة الوحشة والانفراد . صوت : صات وأصات (نادى) – إذا ناداني إنسان ليؤانسني ... طار طائره : غضب . والطيرة (بكسر الطاء أو بكسر الطاء وفتح الياء) والطور (بضم الطاء) : ما يتشاءم به الإنسان من الفأل الرديء (قا ٢ : ٨٠) .

٤ الأنيس : المؤانس (الذي يصاحب الانسان ليزيل عنه الوحشة) وكل مأنوس به (كل ما ألفه الإنسان واطمأن اليه) . شانئ : مبغض . وتبغض مقلتي (عيني) الناس (أي إذا رأيتهم) . وضميري : سري داخل خاطري (أي أكره أن يخطر الناس في بالي) .

٥ ان وأراني الليل (غطاني) : إذا جاء الليل جعلت له علي الحكم (رضيت به) .... ثم أقضي نهاري أتمنى غياب الشمس وأكثر من النذور (أقول : إذا غابت الشمس فسأعطي مالا أو بعيراً أو ثوباً أو شيئاً آخر) فإذا غابت الشمس أصبح علي الوفاء بنذور كثيرة لكثرة ما قد كنت تمنيت غياب الشمس في أثناء النهار (حباً بمجيء الليل) .

وإنّي لأستَحْيِي لِنَفْسِيَ أن أرى أمُرَّ بحبلٍ ليس فيه بَعِير [1] ،
وأنْ أسألَ العبدَ اللئيمَ بعيرَهُ ، وبُعرانُ ربّي في البِلاد كثير [2] .

والبة بن الحُباب

١ – هو أبو أسامةَ والبةُ بن الحُباب الأسديّ ، أصلُه من دِمَشْقَ ومولدُه ومسكنه في الكوفة . وفي هجاء أبي العتاهية لوالبةَ أنّ والبةَ كان صغيرَ الرأس [3] أبيضَ اللّون مُشْرَباً بحُمرةٍ أشقرَ الشعر يُشْبِهُ الروم [4]

لما وَلّى أبو جعفرٍ المنصورُ على الاهواز أبا بُجيرٍ الاسديّ ، في نحو ١٤٧ هـ (٧٦٤ م) ، اصطحب أبو بُجير والبةَ . في تِلْكَ الرِحلة التقى والبةُ بأبي نواسٍ في البصرة واصطحبه ثم خرّجه في الشعر . ومن والبةَ تعلّم أبو نواسٍ كثيراً من فنونِ الشعر ومن أوجهِ الحياةِ الماجنة .

وقَدِمَ والبةُ في أواخر أيامِه إلى بَغدادَ ، في أيام المَهْدِيّ ، وهاجى فيها بَشّاراً وأبا العتاهية فغَلَبَاه فعاد إلى الكوفة وخَمَلَ ذِكْرُهُ بعد ذلك .

ويبدو أن والبة تُوُفِّيَ وَشيكاً بعد ذلك ، قُبيل سنة ١٧٠ هـ (٧٨٦ م) . وقد رثاه أبو نواس .

٢ – كان والبةُ بن الحُباب طيّبَ النادرة عارفاً بأيام العرب بارعاً في فنون الأدب ، وكان فاسد الدين مَرْمِيّاً بالزندقة . وهو شاعر غَزِلٌ رقيقٌ وصّاف للخمر وللغلمان ، وله في المُجون والفَتْك والخلاعة – قولاً وعملاً – ما ليس لأحد . ثم له شيء من الهجاء والمديح والأدب . ويُنْسَبُ إلى والبةَ مُقَطّعات تُنْسَبُ أيضاً إلى أبي نُواسٍ . وليس البَتّ فيها سهلاً .

---

١ أمرّ بحَبْل : أقوى على حمله (أن يكون عندي حبل – وهو شيء رخيص وتافه جداً) من غير أن يكون لي بعير أملكه وأربطه بذلك الحبل .

٢ ثم أجد نفسي مضطر إلى أن أستعير بعيراً أركبه لأنتقل من مكان إلى آخر (أو أن أسأل رجلا أن يردفني (خلفه) على بعيره بينما البعران التي خلقهـا الله كثيرة في البلاد (في كل مكان وعند كل انسان) .

٣ البيان والتبيين ٣ : ٤١ .

٤ تاريخ بغداد ١٣ : ٤٨٩ .

٣ – المختار من شعره :

– قال والبة بن الحباب في الغزل المؤنث :

ولّها – ولا ذَنْبٌ لَـها – حُبٌّ كـأطرافِ الرمـاحِ
في القلبِ يَجرْحُ والحشا ، فالقلبُ مجروحُ النواحي !

– وقال يهجو أبا العتاهية (و « أبو اسحاق » كنية أبي العتاهية) :

كانَ فينا يُكْنى أبا إسحاقِ ، وبها الرّكب سار في الآفاقِ .
فتَكَنّى معتوهُنا بعتاهِ ؛ يا لها كُنْيَةً أتتْ باتفـاقِ !
خلقَ اللهُ لِحيَةً لك لا تَنْفَـكُّ مَعْقودةً لدى الحـلاّقِ .

– وله في الفخر والأدب (تاريخ بغداد ١٣ : ٤٨٨) :

وليسَ فتى الفتيانِ مَنْ راحَ أو غدا لِشُربِ صَبوح أو لشرب غَبوقِ[1] .
ولكنْ فتى الفتيانِ من راحَ أو غدا لضُرِّ عَدُوٍّ أو لنَفْعِ صديقِ !

٤ – •• طبقات ابن المعتزّ ٨٧ – ٨٩ ؛ الاغاني (بولاق) ١٦ : ١٤٨ – وما بعد ؛ تاريخ بغداد ١٣ : ٤٨٧ – ٤٩٠ .

مُطيعُ بنُ إياسٍ

١ – كان إياسُ بنُ مسلمِ بنِ أبي قُرْعَةَ سَلمى بن نَوْفل من بني كِنانة يسكن فِلَسْطين . وقد اتّفق أن كان في المَدَدِ الذي وَجّهَ به عبدُ الملك ابن مروان إلى الحَجّاجِ لقتال عبد الله بن الزبير وعبد الرحمن بن محمّد بن الاشعث . وبعد مقتل ابن الاشعث ، ٨٥ هـ (٧٠٤ م) ، استقرّ إياسُ بن مسلم في الكوفة ثم تزوّج .

وفي الكوفة وُلِدَ مُطيعُ بن إياسٍ أبيضَ أشقرَ ثم نشأ ظريفاً حُلْوَ العِشْرةِ سريع البديهةِ يلعب بالشِطرنج وماجناً خليعاً مُتّهماً بالزندقة وصديقاً لحَمّاد

---

١ الصبوح شرب الخمر في الصباح ، والغبوق شربها في المساء .

عجرد ويحيى بن زياد الحارثي ووالبة بن الحُباب ولعبد الله بن المُقفّع (غ ١٣ : ٢٧٩) .

ووفَدَ مُطيعُ بن إياس إلى دِمَشْقَ على الوليد بن يزيدَ ، سنة ١٢٥ هـ (٧٤٣ م) ، ونادمه . ولكنْ لمّا ثار عبدُ الله بن مُعاويةَ بن جعفرِ بن أبي طالب في نواحي خُراسان وإصبهان وقُمّ ونَهاوند ، سنة ١٢٩ هـ (الطبري، المكتبة التجارية ٦ : ٣٩) ، كان مُطيع بن إياس معه ينادمه ولا يفارقه (غ ١٣ : ٢٧٩ س) .

ولمّا جاءتِ الدولةُ العبّاسية وفَدَ مُطيعُ بن إياس على مَعْن بن زائدةَ في مطلع ولايته على اليمن (١٤٠ – ١٤٩ هـ) ثم انقطع إلى جَعْفر بن أبي جعفرِ المنصورِ لمّا تولّى جَعْفرٌ الموْصِلَ سَنَةَ ١٤٥ هـ (٧٦٢ م) ومكث فيها سنةً واحدة . وكان جعفر هذا ماجناً ويُصاب بالصَرْع — وكان أبو جعفرِ المنصورُ قد حَذّرَ مطيعَ بن إياس من إفساد جعفرٍ بالزندقة . على أن المنصور كان قد فَقَدَ الأملَ في ابنه جعفرٍ فبايع لابنه الآخرِ محمّدٍ بولايةِ العَهْدِ وسمّاه المَهْديَّ سنة ١٤٧ هـ (الطبري ٦ : ٢٧٢) ففارقَ مُطيع بن إياسٍ جعفراً بعد ذلك بقليل (لاشتداد الصرع على جعفر) .

وكذلك وَفَدَ مُطيعُ بن إياسٍ على هِشامِ بن عمرو التَغْلَبي والي السند (١٥١ – ١٥٧ هـ) ومدحه (غ ١٣ : ٢٩٠) ويَرْوي الاصفهاني أيضاً (غ ١٣ : ٣٠٣ – ٣٠٤) أن مُطيعَ بن إياس وَفَدَ على جَرير بن يزيدَ بن خالد بن عبد الله القَسْريّ ، وهذا رجل تولّى البصرة للرشيد مرتين بين سنة ١٧٣ هـ (٧٨٩ م) وسنة ١٩٣ هـ (٨٠٩ م) بعد موتُ مُطيع بن إياس . على أن مطيع بن إياس يذكر في قصيدته شخصاً اسمُه أبو خالد جَريرُ بن يزيد البَجلي [1] ، وهو في الأرجح جَرير بن يزيدَ بن عبد الله من وَلَدِ جرير بن عبد الله البجلي ، وقد كان من أصحاب المنصور ذا خِلابة وتأنٍ في الأمور ومكيدة [2] . ومما يُرَجّحُ ذلك أن جريراً هذا أجاز مُطيعاً (أعطاه جائزة على مدحه) سِرّاً واتّفق معه على أن يجيبه في اليوم التالي أمامَ الناس بجواب فيه جَفاءٌ خوفاً من أبي جعفرِ المنصورِ [3] .

---

١ غ ١٣ : ٣٠٣ .

٢ غ ١٣ : ٣٠٣ الاسطر ١١ ، ١٣ ، ١٧ ، ثم ص ٣٠٤ السطر الأول .

٣ الأخبار الطوال (القاهرة ، وزارة الثقافة والارشاد ، ١٩٦٠ م) ٣٧٩ س .

واستقرّ مُطيع بن إياس في آخرِ حياتهِ في بغدادَ ، وكان له في الكرْخ (الجانب الغربي) بُستانٌ اسمه بستان صبّاح ، ولكنّه لم يَحْمَدْ إقامته فيها فذمّها مِراراً . ومات مطيع بن إياس في ربيع الثاني من سنة ١٦٩ [1] ، بعد أن أسنّ كثيراً وبعدَ عِلّةٍ نزَلَتْ به .

٣ ــ المختار من شعره :

ــ كان مُطيع بن إياس مقيماً بالريّ وعنده جارية فاضْطُرّ إلى مغادرة الري وبيعِ الجارية . فلما وصل إلى حُلوان ، آيباً من خراسان إلى العراق ، رأى نخلتين فتذكر حاله وحال جاريته فقال :

أسعِداني ، يا نخلتَيْ حُلْوانِ ، وابكِيا لي من رَيب هذا الزمان ؛
واْعلما أن ريبَه لم يزل يَفْـ ـرِقُ بين الأُلاّف والجيرانِ .
ولَعَمْري ، لو ذُقتُما ألمَ الفُر قة أبكاكُما الذي أبكاني .
أسعِداني وأيقِنا أنّ نحساً سوف يلْقاكما فتفترقان !
كم رَمَتْني صُروفُ هذي الليالي بفِراقِ الأحبابِ والخُلاّن !
غيرَ أني لم تَلْقَ نفسي كما لا قَيْتُ من فُرقةِ ابنةِ الدِّهقان :
جارةٍ لي بالريِّ تُذهِب همّي ، ويُسلّي دُنُوُّها أحزاني .
فجَعَتْني الأيامُ ــ أغبطَ ما كنـ ـتُ ــ بصدعٍ للبين غير مُدان [2] .
وبِرُغمي أنْ أصبحتْ لا تراها الـ ـعين مني ، وأصبحت لا تراني .
ان تكن ودّعت فقد تركت بي لَهَبًا في الضمير ليس بوانٍ [3] ،
كحريق الضرام في قَصَب الغا ب رمته رِيحانِ تختلفانِ !

ــ كان مُطيع بن إياس صديقاً حميماً ليحيى بن زياد ثم تقاطعا وتهاجيا .

---

١ تشرين الاول (أكتوبر) ٧٨٥ م . ــ في الاغاني (١٣ : ٣٣٥) : مات مطيع بن اياس بعد ثلاثة أشهر مضت من خلافة الهادي ؛ والهادي تولى الخلافة في ٢٢ من المحرم سنة ١٦٩ .

٢ أصابتني المصائب من الأيام وأنا على أسعد ما أكون . الصدع : الشق . البين : البعاد . مدان : متقارب ، يمكن أن يلتئم .

٣ الواني : الضعيف ، الذي يدركه التعب .

وفي القطعة التالية يصف مُطيع حالها من قبلُ ومن بعدُ :

كُنتُ ويحيى كَيَدَيْ واحـدٍ ... نَرمي جميعاً ونُرامى معا [1] :
ان عضّني الدهرُ فقد عضّه ، ... أو مُوجِـعٌ نال فقد أوجعا !
أو نام نامت أعينٌ أربـعٌ ... منّا ، وان صُمّ فلن أسمعا .
حتى إذا ما الشيبُ في مَفْـرِقـي ... لاحَ ، وفي عارضه أسرعا،
سعى سُعاةٌ بيْنَنا دائبـاً ... فكاد حبلُ الوصل أن يُقطَعا .
فكاد أعداءٌ لنا لم تزَلْ ... تطمع في تفريقنا مَطْمعا [2].
حتى إذا استَمْكنَ من عثْرة ... أوْقَدَ نيرانَ القِلى مسرعا !

٤ — ٥٥ الاغاني ١٣ : ٢٧٤ — ٣٦٦ ؛ تاريخ بغداد ١٣ : ٢٢٥ — ٢٢٦ ؛ بروكلمان ١ : ٧١ — ٧٢ ، الملحق ١ : ١٠٨ ؛ زيدان ٢ : ٩٧ — ٩٨

عكاشة العمّيّ

١ — هو عُكاشة بن عبد الصمد العَمّي نِسبةً إلى العَمّ ، والعمّ لقب مالك ابن حَنْظلة التميميّ . وقيل : بل هو من الأهواز ، وانتِسابُه إلى العمّ إنّما هو بالوَلاء . وفي القاموس (٤ : ١٥٤) : «والعمّ (بالفتح) قرية بين حلَبَ وأنطاكيَةَ» منها عُكاشة العمّي .

وُلِدَ عُكاشة العمّيّ نحو سنة ٧٥ هـ وعاش في البصرة ولم يشتهر كثيراً ولا عرَّفَنا كثيراً من أخباره لأنه لم يَخْدُمِ الخلفاء .

شُغِفَ عُكاشةُ بجارية في البصرة اسمُها نُعمُ كانت لبعض الهاشميين ، فكان يَلْقاها في الحين بعد الحين فتَشْرَبُ الخمرَ معَه وتُغنّيه . ثم إنّ رَجلاً من أهل بَغدادَ اشتَراها ورَحَلَ بها من البصرة إلى بغداد ، فاستُهِيمَ بها عكاشة

[1] .... مثل يدين لرجل واحد . نرمي جميعاً : ندافع عن أنفسنا مجتمعين . نرامي معاً : يهاجمنا الناس كلينا مرة واحدة .

[2] كاد يكيد : نصب الحيلة والكيد ، أراد الاضرار بالآخرين . تطمع مطمعاً ــ مفعول مطلق للتأكيد) .

طولَ عُمُرِه فاستحالت صُورته وطَبْعه وخُلُقه .

وعاصرَ عُكاشةُ العَمّيُّ المَهْدِيَّ والهاديَ [1] ؛ ولعلّ وفاتَه كانت سَنَةَ ١٧١ هـ (٧٨٧ م) .

٢ – عُكاشةُ بن عبد الصمد العَمّي شاعرٌ مُقِلٌّ لا يزيدُ شعرُه على ثلاثين وَرَقةً (الفهرست ١٦٢) أو نحو سِتّمِائةِ بيتٍ ، ولكنّه مُجيد متين السَّبْك نَقِيّ الديباجة ؛ وشعرُه يَدورُ على الخمر والغزل والنسيب ، وأكثر غزله في نُعيمَ . ولم يَشِعْ شعرُه بين الناس .

٣ – المختار من شعره :

– قال عُكاشة بن عبد الصمد العمّي :

وجاءوا إليه بالتَعاويذِ والرُقـــى ... وصَبّوا عليه الماءَ من ألَمِ النُكسِ [2].
وقالوا : به من أعيُنِ الجِنّ نَظرةٌ ؛ ... ولو صدقوا قالوا : به أعيُن الأنس !

– زارت نُعيمُ المغنّية عُكاشةَ يومَ خميسٍ فشَرِبَتْ عنده وغنّته ثمّ انصرفت . فكتب اليها أبياتاً يذكر فيها ذلك اليوم ويتشوق إليها :

سَقياً لمجلسنا الذي كنا بــــه ... يوم الخميس جماعةً أترابا ،
في غرفة مَطَرت سَماوة سَقْفها ... بحَيا النَعيم من الكروم شَرابا [3].
إذ نحن نُسقاها شَمولاً قَرْقَفاً [4] ... تَدَعُ الصحيحَ بعقله مرتابـا .
حمراءُ مثلَ دَمِ الغَزال ، وتارةً ... – بعد المِزاج – تَخالُها زِريابا [5] .
من كفِّ جاريةٍ كأن بَنانهـــا ... من فِضّةٍ قد قُمّعت عُنّابا [6] .

---

١ توفي المهدي سنة ١٦٩ هـ ، وتوفي الهادي سنة ١٧٠ هـ .

٢ العوذة (بالضم) والتعويذة : ألفاظ دينية سحرية مكتوبة في ورقة مطوية ومختومة (تميمة ، حجاب) . الرقية (بضم فسكون) : ألفاظ دينية تقرأ على المريض . النكس : عودة المرض .

٣ السماوة : السماء (السقف) . الحيا : المطر . – في البيت اشارة إلى كثرة ما شربوا من الخمر .

٤ الشمول : الباردة . القرقف : الشديدة البرودة .

٥ الزرياب : الذهب .

٦ هي بيض ورؤوسها حمر .

تزدادُ حُسْناً كأسُها من كفِّها ، ويَطيب منها نَشْرها أحقابا [1] .
وإذا المِزاج علا فشَجَّ جبينَها نفَثَتْ بألسِنةِ المِزاج حَبابا [2] .
والعُود مُتَّبِعاً غِناءَ خَريدةٍ غَرِداً يقولُ – كما تقولُ – صَوابا [3] .
وكأنَّ يُمناها إذا نَطقَتْ بهِ تُلْقي على يدها الشِمال حِسابا !
آلَيْتُ لا ألحى على طَلَبِ الهوى مُتَلَذِّذاً حتى أكونَ تُرابا [4] .

٤ – •• الاغاني ٣ : ٢٥٧ – ٢٦٥ .

آدم بن عبد العزيز

١ – هو أبو عُمَرَ آدمُ بنُ عبدِ العزيزِ بن عُمَرَ بن عبد العزيز (حفيدُ الخليفةِ الأمويِّ عمرَ بنِ عبد العزيز) .

كان آدمُ من فِتيانِ بني أميّة المُنْهَمِكين في الشراب . فلما سقطتِ الدولةُ الأموية وجاءتِ الدولةُ العباسيةُ كان آدمُ في مَنْ حُملوا من بني أميّةَ إلى أبي العباس السَفّاح في نهر أبي فُطْرُسَ • . فاستَشْفَعَ آدمُ إلى السفّاح بقولهِ : « لم يكن أبي (يَقْصِدُ جَدَّه عمرَ بن عبد العزيز) كآبائهم » (في مُعاملةِ آل عليّ) . فمَنَّ السَفّاحُ عليه في مَنْ مَنَّ عليهم مِنْ بني أمية .

انتقلَ آدمُ بعدَ ذلك إلى العراق ثم نَزَلَ بغدادَ . وكان من أول أمره ماجناً مُنْهَمِكاً في الشراب حتى ضَرَبَهُ المَهْدِيّ على شُرْبِ الخمر والزندقة . ثم انه تاب فقرّبه المَهْديّ إليه واصطفاه

وعُمِّرَ آدمُ طويلاً ، ولعلّه أدركَ هرونَ الرشيدَ .

٢ – كان آدمُ بن عبد العزيز شاعراً ظريفاً جيِّدَ الشعرِ في الخمر خاصةً ،

---

١ النشر : الرائحة . أحقاباً : أي مدة طويلة .
٢ إذا صب الماء عليها جعلت الفقاقيع تتولد على وجهها .
٣ الخريدة : المرأة الجميلة .
٤ آلى : أقسم . ألحى : ألوم . حتى أكون تراباً : حتى أموت .
• نهر في فلسطين قرب الرملة ، مخرجه من جبال نابلس .

ولكنّ انهماكَه في الشراب أخمَلَ ذِكْرَه . وخصائصُ شعره مُحْدَثةٌ . أما فنونه فهي الخمر والهجاء وشيء من الفخر والمديح .

٣ – المختار من شعره :

– لما سقطت دولة بني أمية خوطب آدم بن عبد العزيز بحاله من قبلُ ومن بعد فقال (تاريخ بغداد ٧ : ٢٧) :

وان قالتْ : « رجالٌ قد تَوَلّى   زمانُكُمُ ، وذا زَمَنٌ جديدُ » .
فما ذهبَ الزمانُ لنا بمَجْـدٍ   ولا حَسَبٍ ، إذا ذُكِرَ الجُدود .
وما كنا لِنَخْلُدَ إذ مَلَكْنا ؛   وأيّ الناسِ دام له الخُلود !

– وقال يذم ليلَ بغداد وبَراغيثَه :

هَنيئاً لأهلِ الرَّيِّ طيبُ بلادِهِـمْ   وواليهِمُ الفضلُ بنُ يحيى بن خالد[١].
تَطاوَلَ في بَغدادَ لَيْلي ، ومن يَبِتْ   ببغدادَ يَكْبُتْ ليلَه غيرَ راقد :
بلادٌ إذا زالَ النهـارُ تَقافَـزَتْ   براغيثُها ما بين مَثْنَى وواحد[٢].
ديازِجَةٌ شُهْبُ البُطونِ كأنّها   بِغالُ بريدٍ سُرّجٌ في مَوارد[٣] .

– وقال في الخمر :

اسْقِني واسْقِ غُصَيْنا ؛   لا تُرِدْ بالنَقْد دَيْنـا[٤] .
اسْقِنيهـا مُزّةَ الطَعْـ   ـمِ تُريك الشَيْنَ زَيْنـا[٥] .

---

١ الري عاصمة خراسان . – لا أدري وجه الاستطراد من الري والفضل بن يحيى الى بغداد .
٢ زال النهار : انتصف (زالت الشمس عن كبد السماء : أصبح الوقت بعد الظهر ، ويكون حينئذ الحر شديداً) .
٣ الديزج : نوع من الخيل . – يقصد أن البراغيث كبيرة (يشبهها بالخيل) . شهب جمع أشهب : أبيض . سرج : مسرجة (لكبرها ، فانها تسرج كالخيل) . المورد والموردة (بكسر الراء فيهما) : مكان الماء ..... (البراغيث تشرب من دمي كما تشرب البغال من الماء) .
٤ لا ترد (لا تقبل) بالنقد (المال والثمن الحاضر) ديناً (وعداً بالدفع ، أمراً غائباً بعيداً في المستقبل) .
٥ الشين : العيب والقبح . الزين : الأمر الحسن . سقى وأسقى بمعنى ، وهكذا يأتي فعل الأمر منهما : « اسق » (بهمزة وصل من « سقى » وبهمزة قطع من « أسقى ») .

ـ وله في الخمر أيضاً

اسقِني وَاسْقِ خليلي في مَدى الليلِ الطويلِ
قَهْوةً صهباءَ صِرفاً سُبِيَتْ من نهر بيل[1] .
لونُها أصفرُ صافٍ وهي كالمسك الفتيل[2] .
في لِسان المرء منها مثلُ طَعْم الزّنجبيل .
ريحُها يَنْفَح منها ساطعاً من رأس ميل[3] .
مَنْ يَنَلْ منها ثَلاثاً يَنْسَ مِنْهاجَ السّبيل[4] .
فمَتى ما نال خمساً تَرَكَتْهُ كالقتيل .
قُلْ لِمَنْ يَلْحاكَ[5] فيها من فقيهٍ أو نبيلِ :
أنتَ دَعْها وَارْجُ أخرى من رَحيق السَّلْسَبيل[6] .

ـ وآدم بن عبد العزيز هو الذي يقول (غ ١٥ : ٢٨٩) :

أحِبّكَ حُبّين : لي واحدٌ ، وآخرُ أنّكَ أهلٌ لذاكَ.
فأمّا الذي هو حُبّ الطِباعِ فشيءٌ خُصِصْتَ به عن سواك ،
وأمّا الذي هو حبّ الجَمالِ فلستُ أرى ذاكَ حتى أراك .
ولستُ أمُنّ بهذا عليكَ ؛ لكَ المَنّ في ذا وهذا وذاك !

٤ ـ •• الاغاني ١٥ : ٢٨٦ ـ ٢٩٧ ؛ تاريخ بغداد ٧ : ٢٥ ـ ٢٧ .

---

١ بيل : ناحية قرب الري في خراسان ، وقرية في السند .
٢ المسك الفتيل اضطرار للقافية مكان « فتيق » أو « فتيت » : (شديد الرائحة) . راجع أيضاً تعليق محققي كتاب الاغاني (١٥ : ٢٨٧ ، الحاشية الثانية) .
٣ نفح : ذاعت راحته وانتشرت . ساطعاً : قوياً . في القاموس (٣ : ٣٨) : سطعتك رائحة المسك : طارت إلى أنفك . من رأس (مسافة ، بعد) ميل .
٤ منهاج السبيل : الطريق التي يعرفها الانسان ويسير عليها كل يوم .
٥ يلحى : يلوم ، يشتم .
٦ لا ريب في أن هذا البيت ، مع أبيات أخرى له ، تدل على زندقة ظاهرة : ان هذا البيت يتعرض للخمر المذكورة لأهل الجنة .

السَّيِّدُ الحِمْيَرِيُّ

١ - هو أبو هاشمٍ إسماعيل بن محمد بن يزيدَ بن ربيعةَ بن مُفَرِّغٍ الحِمْيَرِيّ وأمّه امرأةٌ من الأزد من بني الحُدّان ومن أهل البصرة .

وُلِدَ السيّد الحِمْيَرِيّ سنة ١٠٥ هـ (٧٢٣ - ٧٢٤ م) ، وكان أَدْلَمَ تامَّ القامة جسيماً وسيماً أشنبَ ذا وَفْرة [1] ، جميل الخِطاب إذا تحدّث في مجلس قوم أعطى كُلَّ رجل في المجلس نَصيبَه من الحديث . وكان والدا السيد الحِمْيَرِيّ خارجيَّيْنِ على مذهب الإباضية ، فانتقل هو منذ صباه إلى مذهب الكَيْسانيّة يقول برَجْعة محمد بن الحَنَفية (ابن علي بن أبي طالب من خَوْلةَ الحنفية) .

ولما جاءتْ دَوْلةُ بني العبّاس مدح السيّد الحِميريّ خلفاءها : مدح السفّاح والمنصور والمَهْدِيّ . ومرض السيد الحميري بداء الشَّرَى [2] ثم تُوُفِّيَ ، في بغدادَ ، سنة ١٧٣ هـ (٧٨٩ م) ، في أيام الرشيد .

٢ - السيد الحِميري شاعر مطبوع مُجيد مُكثِر جداً من مُخَضْرَمي الدولتين . وقد كان السيد الحِميري معَ بشّار بن بُرد أشعرَ المُحْدَثين له طرازٌ من الشعر ومذهبٌ قلّما يُلْحَقُ فيه . ولشعره جَزالة ومتانة ورَوْنقُ معنىً . وقد وَقَفَ السيد الحِميري شِعْرَه على مدح آل هاشم عامّة ومدح عليّ وأبنائه خاصة : أخذ على نفسه أن يَنْظِم فضائلَ الإمام علي شعراً ، ومدح الحسين . غير أنه هجا صحابة رسول الله وهجا عائشة زَوْجَ الرسول . من أجل ذلك هجر الناس شعره .

٣ - المختار من شعره :

- قال السيد الحميري في الحسين بن عليّ :

أُمْرُرْ على جَدَثِ الحُسينِ ۝ قلْ لأعظُمِه الزكيّه :

---

[1] أدلم : شديد السواد . أشنب : شديد بياض الاسنان . ذو وفرة : له شعر طويل .

[2] الشرى : بثور صغار حمر حكاكة مكربة تحدث دفعة غالباً وتشتد ليلا (القاموس ٤ : ٣٤٨) .

«آأعظُماً ، لا زلتِ من وَطفاءَ ساكبةٍ رَوِيّهْ [1]».
وإذا مررتَ بقبرهِ فأطِلْ به وَقْفَ المَطيّهْ ،
وابكِ المُطهّرَ للمطهّرِ والمطهّرةِ النقيّهْ .
كبُكاءِ مُعْوِلَةٍ أتتْ يوماً لواحدِها المَنيّهْ !

— لما استقام الأمرُ لبني العباس مدح السيد الحميري أبا العبّاس السفّاح بقوله :

دونَكُموها ، يا بني هاشمٍ ، فجدّدوا من عهدِها الدارسا .
دونكموها ، لا علا كعبُ من كان عليكم ملكَها نافسا .
دونكموها ، فالبَسوا تاجَها ؛ لا تَعْدَموا منكم له لابسا .
لو خُيّرَ المِنبَرُ فرسانَهُ ما اختار إلاّ منكمُ فارسا .
قد ساسَها قبلَكمُ ساسةٌ لم يَتْرُكوا رَطْباً ولا يابسا .

— وقال في عليّ وفي أبنائه ، وفي الحسن والحسين سِبْطي الرسول (حفيديه من ابنته فاطمة) . وقد جعل السيد الحميري محمدَ بن الحنفية سبطاً على المجاز (لأنه أخو الحسن والحسين لأبيهما) .

ألَا إنّ الأئمّةَ من قريشٍ ولاةَ الحقّ أربعةٌ سواءُ :
عليّ والثلاثةُ من بنيه همُ أسباطه والأوْصياءُ .
فسِبْطٌ سبطُ إيمانٍ وحِلمٍ ، وسبطٌ غيّبته كَرْبلاءُ ،
وسبطٌ لا يذوقُ الموتَ حتّى يقودَ الخيلَ يَقْدُمُها اللواء .

— وقال يمدح بني العباس وأنشدها للمهدي لما بايع لابنيه موسى الهادي وهرون الرشيد :

ما بالُ مَجْرَى دمعِكَ الساجمِ ، أمن قَذىً بات بها لازمِ ؟ [2]
أم من هوىً أنت له ساهرٌ صَبابةً من قلبك الهائمِ ؟

---

[1] الوطفاء : السحابة المسترخية يتدلى منها ذيول ، كثيرة انهمار المطر . ساكبة : دائمة المطر . روية مملوءة بالماء .
[2] الساجم : السائل ، المنهمر .

آلَيْتُ لا أمدحُ ذا نائِلٍ من مَعْشَرٍ غيرَ بني هاشمٍ[1] .
أوْلَتْهُمُ عندي يدُ المُصطفى ذي الفضلِ والمَنّ أبي القاسم[2] .
فإنهـا بيضـاءُ محمودةٌ جزاؤها الشكر على العـالم .
جزاؤها حفظ أبي جعفرٍ خليفـةِ الرحمن والقـائم ،
وطاعة المَهْديّ ثم ابنـه موسى على ذي الإرْبَة الحازم[3] .
وللرشـيد الرابـع المرتضى مُفْتَرَضٌ من حقّه اللازم .
مُلْكُهُمُ خمسونَ معدودةٌ بِرُغْمِ أنف الحاسد الراغم .
ليسَ علينا ما بَقُوا غَيْرُهم في هذه الامّةِ من حاكمِ !

٤ – ديوان السيد الحميري (جمعه شاكر هادي شكر) ، بيروت (مكتبة الحياة) ١٩٦٦ م .

•• شاعر العقيدة ، تأليف محمّد تقيّ الحكيم ، بغداد ....

طبقات ابن المعتزّ ٣٢ – ٣٦ ؛ ٢٧٨ – ٢٩ ، الاغاني ٧ : ٢٢٩ – ٢٨٧ ؛ فوات الوفيات ١ : ٢٣ – ٢٦ ؛ بروكلمان ١ : ٨٢ ، الملحق ١ : ١٣٣ ؛ زيدان ٢ : ٦٧ ؛ اعلام الشيعة (١٩٣٩) ١٢ : ١٣٣ – ٢٧٨ .

الخَليلُ بنُ أحمدَ

١ – هو أبو عبدِ الرحمنِ الخليلُ بن أحمدَ بنِ عَمْرَ بنِ تميمٍ الفَراهيديّ أو الفُرْهودي الأزديّ من أزْدِ عُمانَ .

وُلِدَ الخليلُ بنُ أحمدَ في البصرة ، سنة ١٠٠ ﻫ (٧١٨ م) ونشأ فيها . وقد تلَقّى النحوَ عن عيسى بن عُمَرَ الثَقَفِيّ المُتوَفّى سَنَةَ ١٤٩ ﻫ (الفهرست ٤١) وضروباً أخرى من العلم على أيوبَ السِختِيانيّ وعاصمِ الأحولِ والعَوّام بن الحَوْشَبِ وأبي عمرو بن العَلاء . وكان الخليل في أول أمره على مذهب الإباضية فتحوّل عنه إلى مذهبِ أهل السنّة ، نصحه بذلك أيوبُ السختياني .

عاشَ الخليلُ بن أحمدَ في شبابه فقيراً محروماً من كلّ شيء يَسْكن خُصّاً

---

١ آلى : أقسم . نائل : عطاء .
٢ المصطفى أبي القاسم (محمد رسول الله) الفضل والنعمة علي في حبي لهم (أحببتهم لأنهم من نسله) .
٣ للإربة في القاموس عدد من المعاني ، المقصود منها هنا : الدين ، التقوى .

في البصرة . فلمّا جاءت الدولة العبّاسية اتّصل باللّيْثِ بن نَصْرِ بن سَيّار – وكان الليثُ كاتباً للبرامكة عَظُمَتْ وجاهتُه بهم وكَثُرَتْ ثروتُه منهم – فأقبلت بذلك الدنيا على الخليل بن أحمد .

وكانت وفاة الخليل بن أحمد نحو سنة ١٧٤ هـ (٧٨٩ م) في الأغلب .

٢ – كان الخليل بن أحمد الفراهيدي إماماً في علم اللغة والنحو ، ومن الرّواة والنسّابين (العارفين بأنساب العرب) والعلماء . وهو أوّل مَن ٱستخرج عِلْمَ العَروض (أوزانِ الشعْر وأحكامِه) وأول من وضع مُعْجَماً لِلّغةِ العربية . وله من الكتبِ الثابتة بلا خِلافٍ كتابُ الشَكْلِ والنُقَط (في القُرآن الكريم) ، كتاب الشواهد ، كتاب العَروض . وله ، فيما ذكروا ، كتاب الإيقاع ، كتاب النَغَم ، كتاب الجُمَل ، كتاب العَيْن ، كتاب فائت العين . أما كتاب العوامل فيقال إنه منحول (انباه الرواة ١ : ٣٤٦) .

وفي **كتاب العين** [1] روايات مختلفة :

قال ابن النديم (الفهرست ٤٢) : «لم يَرْوِ هذا الكتاب عن الخليل أحَدٌ ، ولا رُوِيَ في شيءٍ من الأخبار أنه عَمِلَ هذا البَتّةَ» .

قال ابن المُعْتَزّ (طبقات الشعراء ٩٧ – ٩٨) : «كان الخليلُ بن أحمدَ مُنْقَطِعاً إلى الليثِ بن نَصْرِ بن سَيّار ... فأجزلَ (الليثُ) له وأغْناه . وأحَبَّ الخليلُ أن يُهْدِيَ إليه هَدِيّةً تَليقُ به ... فجَهِدَ نَفْسَهُ في تصنيف كتاب العين ، فصنّفه للّيث دونَ سائرِ الناس» . وأُعْجِبَ الليثُ بالكتاب فبدأ بحفظهِ حتى حَفِظَ نِصْفَهُ . ثم وقعتْ بين الليث وبينَ زوجته وَحْشَةٌ بسبب هذا الكتاب لانصرافهِ عنها إلى مُطالعته فأحرقتِ الكتاب ، وذلك بعدَ موتِ الخليلِ بن أحمد . «فاستدرك (الليث) النصفَ من حِفْظهِ وجَمَعَ على (استدراك) النصفِ الباقي علماءَ أهلِ زمانهِ ... فمثّلوا عليه (أتمّوه على نَمَطِهِ) فلم يَلْحقوه .... فأنتَ تَرى ما في أيدي الناس من ذلك ، فإذا تأمّلتَه وجدتَه نِصْفَيْنِ : النصفَ الأولَ (وهو) أتقنُ وأحْكَمُ ، والنصف الثاني (وهو) مُقَصِّرٌ عن ذلك» .

---

[1] الفهرست ٤٢ ، ٤٣ ؛ إنباه الرواة ١ : ٣٤٦ ؛ معجم الأدباء ١١ : ٧٤ – ٧٥ ؛ وفيات الاعيان ١ : ٣٠٨ .

والذي يَطْمَئِنُّ اليه الباحثُ [1] أن الخليلَ بن أحمدَ قد أدركَ الفائدةَ من تقييدِ ألفاظِ اللغةِ تقييداً شاملاً آلياً . أما التقييدُ الشاملُ ففي جمعِ ألفاظ اللغة كلِّها على خلافِ ما جرت به الرِواية ثم جرى عليه التأليفُ فيما بعد من تصنيف كلام العرب : الألفاظ المتعلّقة بالنبات (بالنَخْل مثلاً) أو بالحَيوان (بالإبِل ، بالخَيل) أو بالإنسان . وأمّا التقييد الآلي فهو ترتيب الكلماتِ بحَسْبِ صورتِها الظاهرة من الحروف لا على الترتيب المنطقي (تَعْدادِ أسماءِ الأعضاءِ وأفعالِها في الحَيَوان مثلاً : الرأسِ ثم الصدرِ ثم البطنِ وما فيها أو يتعلّق بها) .

وإذا كان ليس ثمّةَ مانعٌ من أن يكونَ الخليلُ بن أحمد قد وَقَعَ على هذه الفِكْرةِ المُزْدَوِجَةِ ثم وَضَعَها موضعَ التنفيذ بأنْ بدأ تأليف أوّل مُعْجَم للّغةِ العربية ، فإنّ من المعقول جِداً أنّ تأليفَه هذا كان ناقصاً مُشَوَّشاً كثيرَ الخَلْط والخَطأ وأن يكون الذين جاءوا بعدَه قد أستدركوا عليه أشياءَ ناقصةً فأضافوها وأشياءَ خاطئة فأصلحوها .

وقد سَمّى الخليلُ بنُ أحمدَ كتابتَه : كتابَ العين لأنه نَسَقَ الكلماتِ فيه بحَسْبِ مخارجِها من الفَمِ وبَدأ بأقصى تلك الحروفِ مَخرَجاً من أقصى الحَلْقِ فإذا هو العين ، فإذا الترتيب كالتالي : ع ح ه خ غ ق ك ج ش ض ص س ز ط د ت ظ ذ ث ر ل ن ف ب م ء ي . ويَحْسُنُ أن نُشيرَ إلى أنّ ترتيبَ الكلماتِ كان على الحرفِ الأخير لا على الحرف الأوّل : نبع ، منع ، ينع ، جمح ، صدح ، بده ، دله الخ ... ثم ان الدارسين المعاصرين يَرَوْنَ أن هــذا الترتيبَ منقولٌ عن السِنسكريتية (لغةِ الهِنْد) لشبهه بالترتيبِ في المعاجم السِنسكريتية .

قال ابنُ سَلاّمٍ الجُمَحيّ [1] : «ثم كان الخليلُ بن أحمد .... فاستَخْرَج العَروض واسْتَنْبَطَ منه ومن عِلَلِه ما لم يستخرجه أحدٌ ولم يَسْبِقْهُ إلى مِثله سابقٌ» (ولم يذكر هنا كتاب العين) .

---

١ راجع المزهر للسيوطي (شرحه .... محمد جاد المولى ، محمد أبو الفضل ابراهيم ، علي محمد البجاوي) ، مصر (مطبعة عيسى البابي الحلبي) ، الطبعة الأولى (بلا تاريخ) ١ : ٧٦ – ٩٢ ؛ تاريخ آداب اللغة العربية ، تأليف جرجي زيدان (طبعة جديدة راجعهـا وعلق عليها الدكتور شوقي ضيف) ، مصر (دار الهلال) ٢ : ١٤٠ – ١٤٤ ؛ نظرة تاريخية في حركة التـأليف عند العرب ، للدكتور أمجد الطرابلسي ، دمشق (مطبعة الجامعة السورية) ١٣٧٤ هـ = ١٩٥٥ م ، ١ : ٢١ – ٢٥ .

قال الجاحظُ (البيان والتبيين ١ : ١٣٩) : « وكما وَضَعَ الخليلُ بن أحمد لأوزانِ القصيدِ وقِصارِ الأرجازِ ألقاباً لم تكن العرب تتعارف تلك الأعاريض بتلك الألقاب ..... » (ولم يذكر هنا كتاب العين) .

قال ابن قُتيبة في كتاب المعارف ١ : « الخليلُ بن أحمد هو صاحب العَروض » .

قال القفطي في إنباه الرواة (١ : ٣٤٣) : « وأما كتاب العين فقد ٱختَلَفَ الأئمّةُ فيه : فمنهم من يَنْسِبُه اليه ، ومنهم من يُحيلُ نسبته إلى الخليلِ ؛ وقدِ ٱسْتَوفى ابن دَرَسْتَويهِ الكلامَ في ذلك في كتابٍ له مُفْرَدٍ لهذا النوع » .

وقال ابن خلِّكانَ (وفيات الأعيان ١ : ٣٠٨) : « وللخليلِ من التصانيف كتابُ العين في اللغة ، وهو مشهورٌ .... وأكثرُ العلماء العارفين باللغة يقولون : إن كتابَ العين في اللغة المنسوبَ إلى الخليلِ بن أحمد ليس تَصْنيفَه ، وإنّما كان قد شَرَعَ فيه ورَتّبَ أوائله وسمّاه بالعين ، ثم تُوُفّيَ فأكملَه تلامذَتُه : النَضْر بن شُميل ومن (هم) في طبقته كمؤرّج السَدوسي ونصر بن عليّ الجَهْضمي وغيرهما فما جاءَ عَمَلُهم مناسباً لما وضعه الخليلُ في الأول ، فأخرجوا الذي وضعه الخليلُ منه وعَمِلوا أيضاً الاول . فلهذا وَقَعَ فيه خَلَلٌ كثيرٌ يَبْعُدُ وقوعُ الخليلِ في مثله » .

قال ابن خلدون في مقدّمته ص ١٠٥٩ : « وكان سابقَ الحَلْبَةِ في ذلك الخليلُ ابن أحمد الفراهيدي ، ألّف كتابَ العين فحَصَرَ فيه مركّباتِ حروفِ المُعْجَم كلَّها من الثنائي والثلاثي والرّباعي والخماسي .... واسْتَوْعبه أحسنَ اسْتِعاب وأوْفاه » .

وكان الخليلُ بنُ أحمدَ على شيءٍ من العلم بالإيقاع والنَغَم ١ فألّف فيهما تمهيداً ، في الأغلب ، لوضع عِلم العَروض . ولسنا نوافق الجاحظ على قوله في الخليل بن أحمد (الحيوان ١ : ١٥٠) : « وغَرّه من نفسه حينَ أحسنَ في النحو والعَروض ، فظنّ أنه يُحْسِنُ الكلام ٢ وتأليف اللُحون فكتب فيهما كتابين

١ الايقاع : ايقاع ألحان الغناء ، وهو أن يوقع (الرجل) الألحان ويبينها (القاموس ٣ : ٩٦) ، أي أن يحسب توالي النَقَرات وما بينها من المدد الطوال أو القصار .

٢ يقصد الجاحظ « علم الكلام » ، مما يبدو من كلامه (البيان والتبيين ١ : ١٣٨ – ١٣٩) ؛ راجع الجزء الأول من هذا الكتاب ١ : ٣٥٥ – ٣٥٦ .

يدلاّن على جهله » .

لقد وضع الخليلُ بن أحمد علم العَروض ، وذلك بأن استعرضَ أشعارَ العرب واستخرج الأبحر التي نظم العربُ تلك الاشعار عليها ووضع لها أسماءها في الغالب : الطويلَ ، البسيطَ ، المديد الخ إلاّ الخَبَبَ فإنّ تمييزه من غيره جاء متأخراً . ولا ريبَ في أن العرب قد نظموا على جميع الأبحر منذ الجاهلية ، وإن كانوا بلا ريب قد أكثروا من النظم على بعضها وأقلّوا من النظم على بعضها الآخر . لا شكّ مثلاً في أن نظمهم على البحر الطويل (كمعلّقات امرئ القيس وطرفةَ وزهير) والبسيط (كمعلّقة النابغة الدالية) والكامل (كمعلّقة عنترة) كان أكثرَ من نظمهم على البحر الخفيف (كمعلّقة الحارث بن حِلّزة) . وأما الرَّجَزُ فكان كثيراً .

ويبدو أنه كان للعرب منذ الجاهلية شيء من هذا العلم وأحكامه وأسماء أوجهه [1] ، ولكنّ الخليل بن أحمد دوّنَ هذا العلم تامّاً كاملاً وجعل له قواعدَه وأشار إلى شواذّه .

وللخليل بن أحمد شِعْر من شعر العلماء ، يدور في الأكثر على الحكمة ، حَسَنُ المعنى جيّدٌ ولكنّه قليلُ الطلاوة .

٣ — المختار من شعره :

— كان الخليل بن أحمد في أول أمره فقيراً عازفاً عن الدنيا ، وكان سُليمانُ ابن حبيبِ بن أبي صُفرةَ والي الاهواز وفارسَ قد جعل له راتباً . واتّفق أن سُليمانَ استدعى الخليل يوماً فكتب اليه الخليل :

أبلِـغْ سُليمانَ أني عنه في سَعَةٍ ... وفي غِنىً ، غيرَ أني لستُ ذا مال ،
شُحّاً بنفسيَ ، إني لا أرى أحداً ... يموتُ هزلاً ولا يبقى على حال [2] .
الرزقُ عن قَدَرٍ : لا الضَعفُ يَنْقُصُه ، ... ولا يَزيدُك فيه حَوْلُ مُحتال [3] .
والفقر في النفس لا في المال نَعْرِفُه ؛ ... ومثل ذاك الغِنى في النفس لا المال !

---

١ راجع البيان والتبيين ١ : ١٣٩ — ١٤٠ .
٢ ... يبقى على حال واحدة من الغنى .
٣ الحول القوة . المحتال : الذي يتطلب الأمور من أوجه مختلفة .

فقطع سليمانُ بن حبيب الراتبَ فقال الخليل بن أحمد :

إنّ الذي شقّ فمي ضامنٌ للرزق حتى يتوفّاني .
حرمْتني مالاً قليلاً ، فما زادك في مالك حرماني ؟

فاضطربَ سليمانُ من الأبيات وكتب يعتذر اليه وأضعفَ له الراتبَ ، فقال الخليل :

وزلّة يُكثِرُ الشيطانُ — إن ذُكرت — منها التعجّبَ جاءت من سُليمانا[1].
لا تعجَبَنّ لخيرٍ زلّ عن يدهِ ، فالكوكبُ النحس يَسقي الأرضَ أحيانا[2].

— وللخليل بن أحمد :

لوكنتَ تعلمُ ما أقولُ عذرتَني ، أو كنتَ تعلمُ ما تقولُ عذلتُكا .
لكنْ جهلتَ مقالتي فعذلتَني ، وعلمتُ أنك جاهلٌ فعذرتُكا !

— وله أيضاً :

يقولون لي : دارُ الأحبّةِ قد دنَتْ وأنتَ كئيبٌ ، إنّ ذا لعَجيبُ .
فقلت : وما تُغنّي الديارُ وقُربُها إذا لم يكن بين القلوب قريب ؟

٤ — كتاب العين (تحرير أنستاس الكرملي) ، بغداد ١٩١٤ م .

•• المعاجم العربية مع اعتناء خاصّ بمعجم العين للخليل بن أحمد ، تأليف عبد الله درويش ، القاهرة (مطبعة الرسالة) ١٩٥٦ م .

قصة عبقري : الخليل بن أحمد الفراهيدي ، تأليف يوسف العشّ ، مصر (دار المعارف) سنة ١٩٤٦ (سلسلة أقرأ رقم ٤٢) .

الخليل بن أحمد الفراهيدي ، تأليف مهدي المخزومي ، ١٩٦٠ م .

الفهرست ٤٢ — ٤٣ ؛ طبقات الزبيدي ٤٣ — ٤٧ ؛ معجم الأدباء ١١ : ٧٢ — ٧٧ ؛ وفيات الاعيان ١ : ٣٠٧ — ٣١٠ ؛ انباه الرواة ١ : ٣٤١ — ٣٤٧ ؛ بغية الوعاة ٢٤٣ — ٢٤٥ ؛ شذرات الذهب ١ : ٢٧٥ — ٢٧٧ ؛ اعيان الشيعة (١٩٤٩ م) ٣٠ : ٥٠ — ٩١ ؛ بروكلمان ١ : ٩٨ — ٩٩ ، ١٥٩ — ١٦٠ ؛ زيدان ٢ : ١٤٠ — ١٤٤ .

---

١ زل عن يده : جاء عن غير قصد منه .

٢ كان القدماء يعتقدون أن بعض الكواكب تجلب السعد على الناس وأن بعضها الآخر كواكب تجلب النحس . وكذلك كانوا يرون أن ثمت صلة بين طلوع بعض الكواكب (ظهورها فوق أفق بلد ما) وبين سقوط المطر . وربما اتفق سقوط المطر مع طلوع كوكب يعدونه كوكب نحس .

نُصَيْبٌ الأصغرُ مولى المهدي

١ – نُصَيْبٌ هذا عبدٌ أسودُ زَنْجِيٌّ من أُحْبوشة الزَّنج ، كما يقول هو عن نفسه (غ ٢٠ : ٢٥) . كان منشأه ببادية اليَمامة فاشْتُرِيَ للمَهْدِيّ في حياة أبيه المنصور ، فلما سَمِعَ المَهْدِيّ شِعْرَهُ أُعْجِبَ به وأعتقه وكَنّاه أبا الحَجْناء وأقطعه ضيعَةً بسَوادِ الكوفة ، ثم زوّجه أمَةً يقال لها جَعْفرةُ . فلما رُزِقَ نُصيبٌ بِنتاً سمّاها حَجْناءَ .

وتكسّبَ نُصيبٌ بالشعر فكانت أكثرُ مدائحه في المَهْدِيّ ، كما مدح الرشيدَ (غ ٢٠ : ٢٥) والبَرامكةَ . ومدح أيضاً شَيْبَةَ بنَ الوليدِ العَبْسِي وأخاه ثُمامة ، وكان شيبة وثمامة من قُوّاد المَهْدِيّ . وكذلك وَفَدَ نُصيبٌ على عبدِ الله بن محمدِ بن الأشعث وهو يتقلّد صنعاءَ للمهدي ومدحه فلم يُثِبْه عبد الله فهجاه .

وكان المَهْدِيّ قد أرسل نُصيباً إلى اليمن لشراء إبلٍ مَهْرِيّة وكتب إلى عامل اليمن أن يدفع لنصيب عِشرينَ ألفَ دينارٍ . ولكنّ نُصيباً أتلفَ المال في الطعام والشراب واللهو وشراء الجواري ، فسُجِنَ في اليمن طويلاً ثم أرسل مُوثَقاً بالحديدِ إلى بغدادَ ؛ غير أن المَهْدِيّ رَضِيَ عنه وأطلقَ سراحه . ثم إنّ هرونَ الرشيدَ ولاّه بعضَ كُوَرِ الشامِ فأفادَ من ذلك مالاً كثيراً [1] ولعل وفاته كانت قبل سنة ١٧٥ هـ (٧٩١ م) .

٢ – يجري شعر نصيب على الاسلوب القديم ، وبعضه فصيح الالفاظ سهل التراكيب . وفنونه المدح والفخر بنفسه والغزل التقليدي . وقد كان ملعوناً هجّاء (غ ٢٠ : ٢٩ ع) .

٣ – المختار من شعره :

– قال نُصيبٌ الأصغرُ يمدح المَهْدِيّ لمّا حُمِلَ اليه من اليمن مُوثقاً في الحديد :

إليكَ – أميرَ المؤمنين – ولم أجِدْ ... سِواكَ مُجيراً منك يُدْني ويَمْنَعُ .

تلَمّستُ هل من شافعٍ لي فلم أجِدْ ... سوى رَحْمةٍ أعطاكَها اللهُ تَشْفَعُ !

---

١ طبقات ابن المعتز ١٥٥ .

لَئِنْ جَلَّتِ الأَجْرامُ مني وأَفظعت؛ لَعَفْوُكَ عن جُرْمي أَجَلّ وأوسع .
لَئِنْ لم تَسَعْني ، يا ابنَ عمّ محمّد ، فما عَجَزَتْ عنّي وسائلُ أرْبَسع [1]
طُبِعْتَ عليها صِبْغَةً ، ثم لم تَزَلْ على صالحِ الأخلاق والدين تَطْبَع [2] :
تَغاضيكَ عن ذي اللُّبّ ترجو صَلاحَه، وأنت تَرى ما كان يأتي ويصنع ،
وعَفْوُكَ عمّن لو تكونُ جَزَيْتَه لطارتْ به في الجو نَكْباءُ زَعْزَع [3] ،
وأنك لا تَنْفَكّ تُنْعِش عاثِراً ولم تَعْتَرِضْهُ حين يكبو ويَخْمَع [4] .
وحِلْمُكَ عن ذي الجهلِ من بعد ما جرى به عَنَقٌ من طائش الجهل أشْنع [5] .

— وله البيت الجيد المشهور في الفضل بن يحيى :

ما لَقِينا من جودِ فَضلِ بن يَحْيى تَرَكَ الناسَ كلّهم شُعَراءَ !

٤ — •• طبقات ابن المعتز ١٥٥ — ١٥٧ ؛ الاغاني ٢٠ : ٢٥ — ٣٥ ؛ معجم الادباء ١٩ : ٢٣٤ — ٢٣٧ .

الاخفش الأكبر

هو أبو الخطّاب عبد الحميد بن عبد المجيد المعروفُ بالأخفش الأكبر أو الاخفش الكبير ، مولىً من أهل هجَرَ ، سكن البصرة . وكانت وفاته نحو سنة ١٧٧ هـ (٧٩٣ م) .

الأخفش الأكبر من أئمّة اللغة والنحو ، وله ألفاظ انفرد بها . وهو أوّل من شرح الشعر بيتاً بيتاً .

---

١ الوسائل جمع وسيلة : الأمر الذي يتوسل به الإنسان (يطلب به التوصل) إلى غيره .
٢ طبعت عليها : كانت طبيعة فيك . الصبغة : الدين والملة . وصبغة الله : فطرة الله (الإسلام) ... (القاموس ٣ : ١٠٩) . وفي سورة البقرة : « صبغة الله ، ومن أحسن من الله صبغة » (٢ : ١٣٨ ، راجع ١٣٠ وما بعدها).
٣ جزيته : عاملته بمثل فعله (السيء) . نكباء : ريح تهب من كل مكان . زعزع : تحرك الاشياء تحريكاً شديداً . لطارت به في الجو نكباء زعزع : لتبدد وتشتت أمره (هلك) .
٤ يكبو : يعثر (يذنب) . يخمع : يعرج (بفتح الراء) ، — أي ثم لا يستطيع أن يصلح حاله بنفسه .
٥ العنق (بفتح ففتح) سير مضطرب للإبل (فيه سرعة وتتابع وخطوات واسعة) .

— ٭٭ طبقات الزبيدي ٣٥ ؛ راجع وفيات الاعيان ١ : ٣٧١ ، ٢ : ٧ ؛ انباه الرواة ٢ : ١٥٧ — ١٥٨ ؛ بغية الوعاة ٢٩٦ ؛ بروكلمان ، الملحق ١ : ١٦٥ ؛ Enc. Isl. (new ed.) I 321

المُفَضَّل الضَّبّيّ [١]

هو أبو عبد الرحمن (أو أبو العبّاس) المُفَضّلُ بنُ محمّدِ بن يَعْلَى بن عامر ابن سالم الضبّيّ الكوفيّ ، كان جدّه يعلي على خراج الريِّ وهَمَذانَ .

وُلِدَ المفضّلُ الضَبّيّ في الكوفة بعد سنة ١٠٠ ﻫ (٧١٨ م) ، وسمع من سمّاك بن حَرْب وأبي اسحق السَّبيعي وعاصم بن أبي النُّجود ومُجاهد بن رومي وغيرهم .

لمّا خَرَجَ (ثار) ابراهيمُ بن عبد الله بن الحسن على المنصور ، سنة ١٤٥ ﻫ (٧٦٢ م) ، خرج المُفَضّلُ معه ؛ فلمّا قُتِلَ ابراهيمُ وقع المفضّل في الاسر ، ولكنّ المنصور عفا عنه ثم ألزمه تخريجَ ابنه المَهْدِيّ (في الأدب والاخلاق) فاختارَ له «المُفَضليات» لِيَحْفَظَها غَيْباً ويَتَثَقّفَ بها بأخلاقِ العرب وأساليبِهِمْ في القول . ثم إنّ المفضّلَ وَفَدَ على الأمير المَهْدِيّ في عيساباذ فوَصَلَهُ المَهْدِيّ بخمسينَ ألفَ دِرْهمٍ لصِدْقه وصِحّة روايته .

وجاء المفضّلُ إلى البصرة ثم إلى بغداد وافِداً على الرشيد . وكانت وفاتُه في الأرجح سنة ١٧٨ ﻫ (٧٩٤ م) .

كان المفضّل الضبّيّ من القُرّاء ، وكانَ رَاويةً إخبارياً ولُغَوياً نَحْوِياً أديباً وناقِداً للشعر . والمفضّل مُصَنّفٌ له «المفضّلياتُ» ، وهي ثمانونَ قصيدةً مُختارةً من شِعْر الشُعراء المُقِلّين من الجاهليين والمُخَضْرمين ؛ وقد زِيدَ عليها مع الأيام . والمفضّليات أولُ مجموعٍ من الشعر وصل إلينا . وللمفضلِ أيضاً كتابُ الاختيارات ، كتاب مَعاني الشعر ، كتاب الأمثال ، كتاب الألفاظ ، كتاب العَروض .

---

١ هو غير المفضل بن سلمة اللغوي النحوي الكوفي (معجم الأدباء ١٩ : ١٩٣) ، وغير المفضل بن محمد ابن مسعر المتوفى نحو سنة ٤٤٢ ﻫ (معجم الأدباء ١٩ : ١٦٤) .

٤ – المفضّليات (توربكه) ، ليبزغ ١٨٨٥ م .
المفضّليات (أبو بكر الداغستاني) ، مصر ١٣٢٤ هـ .
المفضّليات بشرح الانباري (تشارلس ليال) أوكسفورد (بيروت : المطبعة الكاثوليكية) ١٩٢٠ .
المفضّليات (حسن السندوبي) ، مصر ١٣٤٥ هـ .
المفضّليات (أحمد محمد شاكر وعبد السلام محمد هارون) ، مصر ١٣٦١هـ، (١٩٤٢ م) ؛ الطبعة الثانية ١٣٧١ هـ ؛ (١٩٥٢ م) .
كتاب الامثال ، القسطنطينية (مطبعة الجوائب) ، ١٣٠٠ هـ ؛ القاهرة ١٣٢٧ هـ (١٩٠٩ م) .

•• الفهرست ٦٨–٦٩؛ طبقات الزبيدي ٢١٠؛ تاريخ بغداد ١٣ : ١٢١–١٢٢؛ معجم الأدباء ١٩ : ١٦٤ – ١٦٧ ؛ انباه الرواة ٣ : ٢٩٨ – ٣٠٥ ؛ بغية الوعاة ٣٩٦ ؛ بروكلمان ١ : ١١٨ – ١٩٨ ، الملحق ١ : ١٧٩ ؛ زيدان ٢ : ١٢١ .

سِيبَوَيْهِ

١ – هو أبو بِشْرٍ سِيبَوَيْهِ عمرُو بنُ عثمانَ بن قَنْبرٍ مَوْلى بني الحارث بن كعب . وُلِدَ في البيضاء، قرب شيراز (فارس) نحو سنة ١٤٠ هـ (٧٥٧ م) ثم جاء إلى البصرة شاباً فأخذ عن الخليلِ بن أحمدَ وعيسى بن عُمَرَ ويُونِسَ ابن حَبيبٍ وعن أبي الخطّاب الأخفشِ الكبير (ت ١٧٧ هـ ، ٧٩٣ م) .

وقَدِمَ سِيبَوَيْهِ إلى بغدادَ في أيام الرشيد وافداً على يحيى بن خالدِ البرمكيّ يريدُ الاجتماعَ بالكِسائي ، وعُمْرُهُ يومذاك قد أربى على الثلاثين . فقال الكسائي (الكوفي) لسِيبَوَيْه : يا بَصْرِيّ ، كيف تقول : قد كُنتُ أظنّ أن العَقْرَبَ أشدّ لَسْعَةً من الزّنْبورِ فاذا هُوَ هِيَ أو فاذا هُوَ إيّاها ؟ فقال سيبويه (أقول) : فإذا هو هِيَ ؛ ولا يجوز النّصبُ . فقال الكسائي : بل يَجوزُ الوجْهانِ . ووافق أهلُ المجلس الكِسائيَّ (وإنْ كان قولُه خطأً) .

عندئذٍ انصرفَ سِيبويهِ إلى فارس ، ويبدو أنه لم يَعِشْ بعد ذلك طويلاً ،

فتُوُفِّيَ نحو سَنَةِ ١٨٠ هـ (٧٩٦ م) فوق الاربعين من العمر ؛ وقبرُه معروف بشيراز .

٢ ـ سِيبَوَيْهِ أكبرُ علماءِ النّحوِ وأشهرُهم ، وهو أوّل من بَحَثَ في النحو بحثاً مُنْتَظَماً وأولُ من ألّف فيه كتاباً شاملاً لم يَدَعْ شيئاً من علم النحو إلا ضمّنه فيه . غير أن أسلوبَ سيبويه كان ضعيفاً فتعهّدَ الناسُ « كتاب سيبويهِ » بالشرح والتوضيح ، وأشهر شرّاحِهِ أبو سعيد الحسن بن عبد الله السيرافي (ت ٢٨٠ هـ ، ٨٩٣ م) . وقد اشتهر هذا الكتاب شُهْرَةً عظيمةً حتّى أنه يُعْرَف باسم « كِتابِ سيبويه » وباسم « الكتاب » .

٤ ـ كتاب سيبويه (ديرنبورغ) ، باريس (المطبع العامّ) ١٨٨١ ـ ١٨٨٥ م ؛ كلكتّا ١٨٨٧ م ؛ مصر (بولاق) ١٢١٦ ـ ١٢١٧ هـ ؛ برلين ١٨٩٥ ـ ١٩٠٠ م ؛ (بتحقيق عبد السلام محمّد هارون) ، القاهرة (دار القلم) ١٩٦٦ م .

٥ • الاستدراك على سيبويه في كتاب الأبنية ، تأليف أبي بكر محمّد الزبيدي (نشره غويدي) روما ١٨٩٠ م .

سيبويه إمام النحاة ، تأليف علي النجدي ناصف ، القاهرة (مكتبة نهضة مصر) ١٩٥٣ م .

أبنية الصرف في كتاب سيبويه ، تأليف خديجة الحديثي ، بغداد (مكتبة النهضة) ١٩٦٥ م .

الفهرست ٥١ ـ ٥٢ ؛ تاريخ بغداد ١٢ : ١٩٥ ـ ١٩٩ ؛ طبقات الزبيدي ٦٦ ـ ٧٤ ؛ معجم الادباء ١٦ : ١١٤ ـ ١٢٧ ؛ وفيات الاعيان ٢ : ١٠٣ ـ ١٠٥ ؛ انباه الرواة ٢ : ٣٤٦ ـ ٣٦٠ ؛ بغية الوعاة ٣٦٦ ـ ٣٦٧ ؛ شذرات الذهب ١ : ٢٥٢ ـ ٢٥٥ ؛ بروكلمان ١ : ٩٩ ـ ١٠٠ ، الملحق ١ : ١٦٠ ؛ زيدان ٢ : ١٣٢ ـ ١٣٣ ؛ اختلاف المبرّد مع سيبويه لمحمّد الفاضل بن عاشور (مجلّة المجمع العلمي العربي بدمشق ، كانون الثاني ـ يناير ١٩٦٥ ، المجلّد ٤٠ ، ص ٣٠ ـ ٤٥) ؛ ابن هشام أنحى من سيبويه لصالح الأشتر (المجلة نفسها والعدد نفسه ، ص ٢٩٥ ـ ٣٠٩) .

خلَفٌ الاحمر

١ – هو أبو مُحْرِز خَلَفُ بنُ حَيّانِ الاحمرُ البصريّ مولى أبي بُردة ابن بِلالِ بن أبي موسى الاشعري ، أصله من فَرغانةَ ومسكنه البصرة ؛ وكان يتعصّب لليمانية (غ ١٤ : ٣٢) .

أخذ خَلَفٌ عن حمّادٍ الراوية . وعنه أخذ جميع أهلِ البصرة ، فهو مُعلّمُ الأصمعي وأستاذ أبي نُواسٍ ومُعلّمُ الكِسائي (غ ١٨ : ٧٧) أيضاً . ولقي خَلَفٌ بَشّاراً وابنَ مُناذِرٍ ومروانَ بن أبي حَفْصَةَ والمُبَرّد في مباسطات ومهاجاة . وكان خَلَفٌ ضَيِّقَ الصدر بالتعريض به .

ومَرِضَ خلفٌ قبل وَفاته ثم تُوُفِّيَ نحو سنة ١٨٠ هـ (٧٩٦ م) . وقد رثاه أبو نواس .

٢ – كان خَلَفٌ الأحمرُ من الرُواة والنسّابين والعلماء : عالماً بغَريب اللغة والنحو والنَسَب والأخبار وبالشعر رِوايةً ونَقْداً ، قال ابن سلام (ص ٩) : « كان خلف أفرَسَ الناس[١] ببيتِ شِعْرٍ وأصدَقهم لِساناً ، كنا لا نُبالي إذا أخذنا عنه خبراً أو (إذا) أنْشَدَنا شِعراً ألاّ نسْمَعَه من قائله[٢] . وخلف هو الذي رَوَى غَزَلَ الأعرابِ فزَهِدَ الناسُ بعد ذلك في غزل العباس بن الأحنف وكانوا من قبلُ يَحْرِصون على غزل العباس أشدَّ الحِرْص[٣] .

على أن ابن قُتيبة يذكر (ص ٤٩٧) أن خلفاً الأحمرَ « كان يقول الشعر ويَنْحِلُه المتقدّمين » ، ثم يَضْرِبُ على ذلك مثلاً القصيدةَ المنسوبة مرة إلى تأبّطَ شرا ومرة إلى ابن أخته الشَنفرَي[٤] .

وكذلك كان خلفٌ الأحمرُ شاعراً مُكثِراً مطبوعاً مُفْلِقاً كثيرَ الشعْر جيّدَهُ ، وأراجيزُه كثيرةٌ ؛ وشعره موجود بأيدي الناس . وكانَ يُكثِرُ قولَ الشعر في

---

١ أحسن الناس فراسة وعلماً .

٢ راجع طبقات ابن المعتز ١٤٧ ؛ ابن قتيبة ٤٩٦ ؛ البيان والتبيين ١ : ٣٦٠ – ٣٦١ .

٣ راجع البيان والتبيين ٤ : ٢٣ – ٢٤ .

٤ راجع ابن قتيبة ٤٩٧ ؛ الحيوان ١ : ١٨٢ ؛ طبقات ابن المعتز ١٤٧ – ١٤٨ ؛ شرح ديوان الحماسة للمرزوقي ٨٢٧ .

وصف الحياة [1] . وقال ابن قُتيبة (ص ١١) : « وأشعارُ العلماء ليس فيهما شيء جاء عن إسماح وسُهولة كشعرِ الاصمعي وشعر ابن المقفّع وشعر الخليل ، خلا خلف الأحمرِ فانه كان أجودَهم طبعاً وأكثرَهم شعراً » . ولم يكن في نُظَرائه من أهل العلم والأدب أكثرَ شعراً منه [2] ؛ وكان ، في هذا ، نسيجَ وحدِه في الشعر (طبقات ابن المعتز ٢١٠) .

٣ - المختار من شعره :

- قال محمدُ بن خلادِ بن يزيدَ الباهليّ - وكان حسَنَ العلْمِ بالشعر يرْويه ويقولُه - لخلفِ الاحمرِ : « بأيّ شيء تَرُدّ هذه الاشعارَ التي تُرْوى ؟ » قال (خلف) له : « هل تَعْلَمُ أنتَ منها ما إنه مصنوعٌ لا خيرَ فيه ؟ » قال : « نعم ! » قال (خلف) : « أفتعلمُ في الناس من هو أعلم منك بالشعر ؟ » قال : « نعم ! » فقال (خلف) : « فلا تُنكِرْ أن يَعرفوا من ذلك ما لا تَعرِفُه أنت ! »

وقال قائلٌ لخلف : إذا سَمِعْتُ أنا بالشعر واستحسنتُه فما أبالي ما قلتَ فيه أنتَ وأصحابُك ! فقال له (خلف) إذا أخذْتَ أنتَ دِرهماً فاستحسنتَه ، فقال لك الصرّاف : إنه رَدِيءٌ ! هل ينْفَعُك استحسانُك له ؟

قيل لخلف : من أشعرُ الناس ؟ فقال : ما ينْتَهَى إلى واحدٍ يُجْمَعُ عليه كما لا يُجتمع على أشجعِ الناسِ وأخطبِ الناسِ وأجملِ الناس !

- قال خلفٌ الأحمرُ :

وبعضُ قريضِ القومِ أولادُ علّةٍ ... يكُدّ لسانَ الناطقِ المُتحفّظِ [3] .

- وقال خلفٌ في قومٍ تُهْدَي اليهم أشياءَ ثمينةٌ فيُهدُون إليك أشياءَ تافِهةً :

سَقَى حُجّاجَنا نَوْءُ الثُريّا ... على ما كان من بُخْلٍ ومَطْلٍ [4] .

---

[1] راجع طبقات ابن المعتز ١٤٧ ؛ ابن قتيبة ٤٩٧ .

[2] طبقات ابن المعتز ١٤٧ ؛ ابن قتيبة ٤٩٦ .

[3] أولاد علة : أبوهم واحد وأمهاتهم مختلفات (يقصد أن شعرهم متفاوت مختلف المخارج ، يتعب لسان القدير على النطق المتحفظ أي المحترز عن الخطأ) .

[4] سقى حجاجنا (الآيبين من الحج يحملون لنا هدية) بنوء الثريا : في زمان مطر الثريا (لأنه يكون غزيراً) .

همو جَمعوا النِعال فأحرَزوها   وسَدّوا دونَها باباً بقُفْلِ .
إذا أهْدَيْتُ فاكهـةً وشـاة   وعَشْرَ دَجائجٍ بَعثوا بنَعْلِ
ومِسْواكَيْنِ طولُهما ذِراعٌ ،   وعَشْرٍ من رَديّ المُقْلِ خَشْلِ[1].
أُناس تائِهُونَ لهم رُواءٌ   تَغيم سماؤهم من غير وَبلِ[2] .
إذا انتسبوا ففَرعٌ من قُريشٍ ،   ولكنّ الفِعال فِعالُ عُكْلِ[3] .
فان أهْدَيتُ ذاك ليَحْمِلوني   علىنَعْلٍ ، فدَقّ اللهُ رِجلي[4] !

٤ – مقدّمة في النحو (تحقيق عز الدين التنوخيّ) دمشق (وزارة الثقافـة) ١٩٦١ م .

•• الفهرست ٥٠ ؛ طبقات الزبيدي ١٧٧ – ١٨١ ؛ معجم الأدباء ١١ : ٦٦ – ٧٢ ؛ انباه الرواة ١ : ٣٤٨ – ٣٥٠ ؛ بغية الوعاة ٢٤٢ ؛ بروكلمان ١ : ١١١ ؛ زيدان ٢ : ١٢١ – ١٢٢ .

ابنُ الدُّمَيْنَة

١ – هو عبدُ اللهِ بنُ عبيدِ اللهِ بنِ عمرو بن مالكٍ الخَثْعَمي ؛ والدُّمينة أمّه ، وهي بنت حُذيفة من بني سَلولٍ .

يبدو أن ابن الدمينة وُلِدَ في البادية من جَنوبيّ الحِجاز في أواخر العصر الأموي ، ثم سكن المدينة حيناً ؛ ولعلّه نَزَلَ في البصرة أيضاً . وكان ابن الدمينة جميلاً فصيحاً وفارساً شجاعاً فاتكاً فقد رأيناه يتعرض في حياته للسجن والعِقاب مِراراً .

---

١ المسواك : قطعة من غصن شجر الأراك تساك (تجلى وتنظف) به الاسنان . ردي : رديء . المقل : شجر الدوم (لا يصلح لتكون أغصانه سواكاً) . خشل : يابس خفيف سخيف (يتفتت بدلا من أن يتفرق ألياقاً تصلح لسواك الاسنان) .

٢ رواء : منظر جميل . الوبل المطر الشديد (والمقصود هنا : المطر مطلقاً) . تائه : متكبر ؛ مضطرب العقل .

٣ العكل (بضم العين أو كسرها) : اللئيم . وعكل (بضم العين) : قبيلة في أفرادها غباوة .

٤ – إذا كنت أنا أهديت اليهم ما أهديت لأنني محتاج إلى النعل التي أهدوها إلي فكسر الله رجلي (حتى لا ألبس هذا النعل) .

ونشأ ابن الدمينة مُحِبّاً مغامراً في الأغلب ، ولكنه لم يكن موفقاً في ذلك توفيقَ عُمَرَ بن ِ ابي ربيعةَ . وأخيراً تزوج حَمّاءَ بنتَ مالكٍ السَلولية ورُزِقَ منها بِنتاً ، ثم علِمَ أنها تَخونُه فكمن لعشيقها مزاحم بن عمرو السلولي فقتله ثم انثنى إلى زوجته وابنته فقتلهما . وثارت الحربُ بين الحَيَّيْن ، خثعمٍ وسَلولٍ ، من أجل ذلك زمناً فأخذ الوالي جماعة من الحيين فألقاهُمُ في السجن .

وكانت وفاة ابن الدمينة في نحو سنةِ ١٨١ أو ١٨٢ هـ (٧٩٦ م) ، قتله مُصْعَبُ بنُ عمرو السلولي ثأراً بأخيه مُزاحِمٍ ، بعد أن شَبَّ فقد كان – لما قتَلَ ابنُ الدمينة أخاه مُزاحماً – طِفلاً صغيراً .

٢ – ابن الدمينة شاعر عباسي ما زالت تَغْلِبُ عليه الخصائصُ الأمويةُ . وهو شاعرٌ مكثر « يجتمع له مَعَ رِقّة المعاني الفصاحةُ ، ومَعَ العُذوبةِ الجزالةُ. وكان مُقَدّماً في المتغزّلين نقيَّ الكلِمِ بعيداً عن التكلّف ، يَخْلِطُ بمذاهبِ الاعرابِ حَلاوةَ الحِجازيين . وأكثرُ شعرِه النسيبُ » .

٣ – المختار من شعره :

– قال ابن الدمينة في الغزل (ديوان ٨٢ – ٨٥) :

وقد زعموا أنّ المُحِبَّ إذا دنا ... يُمَلُّ ، وأن النأيَ يَشفي من الوَجْدِ .
بكلٍّ تداوَيْنا فلم يُشْفَ ما بنا ، ... على أن قُربَ الدار خيرٌ من البُعد .
فمِنْ حُبّنا أحبَبْتُ من لا يُحِبّني ، ... وصانعتُ من قد كنت أُبْعِده جُهدي .
ألا يا صَبا نجْدٍ ، متى هِجتَ من نجد ؟ ... لقد زادني مَسراكَ وَجْداً على وجد .
أإنْ هَتَفَتْ وَرْقاءُ في رَوْنقِ الضُحى ، ... على فَنَنٍ غَضّ النباتِ من الرّنْد ،
بكيتَ كما يبكي الوليدُ ، ولم تكنْ ... جليداً ، وأبديتَ الذي لم تكن تُبدي ؟

– « تقدّم ابن الدمينة الشعراء في غزله بقوله » (ديوان ١٣) :

سَلي البانةَ الغَنّاء بالأبطَح الذي ... به الماءُ : هل حَيّيتُ أطلالَ دارِكِ ! [١]
وهل قُمت بعد الرائحين عَشِيّةً ... مَقام أخي البغضاء واختَرتُ ذلك .

---

١ الغناء : الكثيرة الورق والأغصان ، فإذا ضربتها الريح غنت .

فيا بانةَ الوادي ، أليستْ مُصيبــةً من الله أن تُحْمى علينا ظِلالُكِ ؟
يقولون : ذَرْها واعْتزِلْها ، وإنّـما يُساوي ذهابَ النفس عندي اعْتزالك .
ولو قلتِ : طَأْ في النار ، أعلَمُ أنه هُدىً منك أو مُدْنٍ لنا من وِصالك ،
لَقدّمتُ رِجلي نحوَها فوَطِئْتُهـا هُدى منك لي أو غَيّةً من ضَلالك [1]
أرى الناسَ يَرْجُونَ الربيعَ ، وإنما ربيعي الذي أرجو جَداً من نَوالك [2] .
أبِيني أفي يُمنى يديك جَعَلْتِني فأفرحَ ، أم صيّرتِني في شِمالك .
لئن ساءني أن نِلْتِني بمَساءةٍ لقد سرّني أني خَطَرتُ ببالك !

٤ – ديوان أبي السريّ ابن الدمينة الخثعمي (شرحه محمّد هاشم البغدادي) ، دمشق (مطبعة المنار) ١٩١٨ م .
ديوان ابن الدمينة (تحقيق أحمد راتب النفّاخ) ، القاهرة (مكتبة العروبة) ١٩٥٩ م .
•• الاغاني (بولاق) ١٥ : ١٥١ – ١٥٧ ؛ بروكلمان ، الملحق ١ : ٨٠ .

١ هدى منك ... غية : نصيحة منك تهديني بها ... الغية : ضلالا (وتحكماً منك) .
٢ جداً : عطاء ، هبة .

٢ - ذروة الشعر المحدث

لمّا أوغلَ العصرُ العبّاسيّ وقلّ الادباءُ الذين كانوا قد وُلِدوا في العصر الأُمويّ وشَهِدوا منه مدّةً يسيرةً أو طويلة بدأ الادبُ في الشعر والنثر يبتعد عن عَمود الشعر وتَدْخُلُه الخصائص التي سُمِّيَتْ فيما بعدُ مُحْدَثَةً : فَقَدَتِ الكلماتُ جَزالتَها والتركيبُ مَتانتَه والأغراضُ بَداوتَها ، ولكنّ الادبَ اعتاض من ذلك فصاحةَ الالفاظِ (فيما يتعلّق بالحياة الجديدة) وسُهولةَ التركيب (فيما يتّصل بالتعبير عن الحاجات الحَضَرية) والعنايةَ في الأغراض بوجوه الحياة الجديدة . إنّنا نحنُ اليوم أميلُ إلى هذا الشعر المُحْدَثِ بأسبابٍ اجتماعية — وذلك أنّ حياتَنا الحاضرةَ أشبهُ بتلك الحياةِ التي كان يَصِفُها الشعراءُ المُحْدَثون (في أواخرِ القرن الهجْريّ الثاني وأوائل القرن الثالث) — لا بأسباب تَمُتّ إلى الأدب جُملةً . إنّ الرَّوْعَةَ الأدبية الخالصة التي جاءت في الشعر القديم كانت أشدّ تعبيراً عن الشُعور الفِطريّ في الفَرْدِ المُتّصل بقومه وبتاريخِ قومه الأدْنَيْنَ ؛ وبهذا المَعْنى كان الأدبُ القديم أحسنَ تعبيراً عن معاني الإنسانية الصافية . أمّا الأدبُ المُحْدَثُ فنَظَرَ صاحبُه إلى منازعِ النفس الشخصية مُنْقَطِعَةً عن كلّ شيء إلاّ عن وَساوِسِها الآنِيَّة النابعة في الأكثر من رَغَباتها الشخصية . ولو لم يكن في الشعراءِ المُحْدَثين نفر ظلّوا متمسّكين بعَمود الشعر العربي (القديم) قليلاً أو كثيراً ، أو بين الغَيْنَة والفينة على الأقلّ ، لَغابَ الشعر المُحْدَثُ كلّه من الذاكرة .

إنّ مُعْظَمَ الشعراء المُحْدَثين شعراءُ مُكْثِرون ؛ ومَعَ ذلك فانّ المَحْفوظ من شِعْرهم قليلٌ ؛ والمُسْتَشْهَدَ به من شِعْرِهم أقلّ .

لا يستطيعُ الدارسُ أن يُنْكِرَ أثرَ المَنْطِق في الشعر المُحْدَثِ وأثرَ الصناعة وتعدّدَ الفنون وتَشَعّبَ الاغراض ممّا جاءت به الحياة الحَضَرية ، ولكنّنا نَفْقُدُ في الشعر المُحْدَثِ تلك البراعةَ وذلك الاخلاصَ وهذا الصِدق من تلك

التي تَجلَّتْ في الشعر القديم . على أنّنا لا نَزال نُجِلّ الشعر المُحدَثَ مَحلّه المرموقَ لأنّه يُمثّلُ مَرْحلَةَ التاريخ التي مرّ قائلوه فيها ؛ وتلك خاصّةٌ صحيحةٌ تستحقّ العناية وتُوسِعُ للشعراء المُحدَثين مكاناً في تاريخ الادب كبيراً

وبعدُ ، فانّنا في بعض أدوارِ حياتنا ، بين العشرينَ والثلاثينَ ، نُوغِلُ في الإعجاب بنفرٍ من الشعراء المُحدَثين لِتطرّفِهم في الانفلاتِ ممّا حاولتْ أنْ تُقيّدَهُمْ به أحوالُ أزمانِهم لأننا نحن نُحاولُ في تلك الفترة من حياتنا أن نَنْفَلِتَ ممّا انفلتوا هم منه ، فنحن — من أجل ذلك — نُحبّ أن نُجاريَهم تعَصّباً لأنفُسِنا لا إذعاناً لِما في شعرهم ذلك من الحقّ أو من القيمة . نحن نُحبّ بَشّاراً وأبا نُواسٍ وابنَ الروميّ حُبّاً جمّاً ، ويُعجِبُنا شِعرُهم إعجاباً كبيراً . ولكنّنا لا نكادُ نَجوزُ السنّ التي يندفعُ فيها الانسان معَ عاطفته الثائرةِ حتّى نعودَ إلى الأدباءِ القدماءِ أو ننتظرُ مجيءَ أبي تمّامٍ والمتنبي كي نرتاحَ في حدائقِ شعرِهم ونجِدَ في قصائدهم صَدىً لحقائق الإنسانية المطلقة وصِقالاً دائماً للعقل الذي هو الفارقُ الوحيدُ بين الإنسانِ المتطوّر صُعُداً وبين الإنسان الذي انحرفت به منازعه الأولى مرّة ثمّ لم يعُدْ بعدَها إلى سمتِ الإنسانية الأصيل .

رابعة العدوية

١ — هي أمُّ الخيرِ رابعةُ العدَويّةِ [١] القيْسية البصرية مولاة بني عدوة من آل عتيك . وُلِدَتْ رابعةُ في أسرةٍ فقيرة لا نعرفُ شيئاً عنها ولا نعرف اسْمَ ربِّ تلك الأسرة ولا شيئاً عن نسبه وأصلِه . ويبدو أن مولدَها كان في أوائل القرن الثاني للهجرة (الربع الأول من القرن الثامن للميلاد) .

ويبدو أن قحطاً لَحِقَ البصرةَ فهامتْ رابعةُ وأخواتُها على وُجوهِهنّ ثم وقعتْ رابعةُ في الرقّ ، ولكنّ سيّدها أعتقها بعدَ مدّة في حديثٍ طويل فتكسّبت بُرْهةً بالغناء والنفخ في الناي وبما يتّصل بهذينِ عادةً . إلاّ أنّها

---

١ هي غير رابعة (أو رايعة) بنت اسماعيل الشامية التي كانت زوجة لأحمد بن أبي الحواري والمتوفاة سنة ٢٣٥ هـ .

تابت بعد ذلك وحملها ندمُها على ماضيها على أن تُمْعِنَ في الزهد وترتجفَ من الخوف من الله . غير أن كثيراً من الأخبار المنسوبة إلى رابعةَ في هذا الباب من باب الاختراع والخُرافة ، ثم إن هذه الأخبارَ تختلط بأخبار نفرٍ آخرين من الزاهدين .

والأقرب إلى الصواب أن تكون رابعةَ العدوية قد توفّيت في البصرة بين سنة ١٨٠ وسنةِ ١٨٥ هـ (٧٩٦ – ٨٠١ م) .

٢ – كانت رابعة العدوية ذاتَ اتّجاهٍ روحيّ منذ مطلع حياتها . ويبدو أن وقوعها في الرقّ وتكسّبها بعدَ ذلك من وجوهٍ غيرِ حِلٍّ قد زادا في هذا الاتّجاه الروحيّ الذي كان لها ، فقضت باقِيَ حياتها زاهدةً مُتَبَتِّلةً لم تتزوجْ ولا ملكتْ من عَرَضِ الحياة الدنيا شيئاً ، وكانت تقضي أيامَها بالصيام ولياليَها بالصلاة والتهجُّد ثم تقضي أوقاتَها كلّها بتذكّر الموت والتشوّق إلى الله . ولقد أغرِمَتْ بالذهاب إلى الحجّ سعْياً على قدمَيْها أو تقلّباً على جَنْبَيْها ، فيما رَوَوْا . ورابعةُ من الجيل الاول من المتصوّفة المسلمين وإلَيْها يَنْسِبُ مؤرّخو الصوفية البدءَ بالكلام على الحُبِّ الالٓهي والتوسّع فيه .

كانت رابعةُ شخصيةً تاريخية ، وكان لها بلا ريب أقوالٌ نثراً ونظماً ، إلاّ أن كثيراً مما يُنْسَبُ إليها من النثر والشعر منسوب لغيرها أو تظهَرُ عليه آثار الصَّنْعَة والتكلّف مما يُوحي بأنَّ كثيراً من تلك الآثار من عَمَلِ الأعصرِ التالية لعصر رابعةَ . ذكر جماعةٌ منهم أبو طالب المكّي والإمام الغزالي والسيّد المرتضى الزَّبيدي أن لرابعةَ العدوية أربعةَ أبياتٍ هي :

أحبّكَ حُبَّيْنِ : حبَّ الهوى وحبّاً لأنّك أهلٌ لذاكا .
فأمّا الذي هو حبَّ الهوى فشُغْلي بذِكْرِك عمّن سواكا ،
وأما الذي أنت أهلٌ له فكشفكَ لي الحُجْبَ حتى أراكا .
فما الحمدُ في ذا ولا ذاك لي ، ولكنْ لك الحمدُ في ذا وذاكا .

وجميع الذين كتبوا عن رابعةَ في التصوّف من المتأخرين إلى أيامنا يذكرون تلك الأبيات لرابعة . على أن صاحب الاغاني يذكُرُ هذه الأبيات (غ ١٥ : ٢٨٩) لآدمَ بنِ عبدِ العزيزِ بن عمر بن عبد العزيز [١] ، وهو من مُخضرمي

---

١ راجع فوق ، ص ١٠٨ .

الدولة الأُمويّة والدولة العبّاسيّة قبل رابعةَ . والأصفهاني صاحب الاغاني قد تُوفّيَ سنة ٣٥٦ للهجرة قبل أبي طالبِ المكّي ، أقدمِ من علِمْنا أنه روى هذه الأبياتِ لرابعةَ ، بثلاثين سنة .

٣ ـ المختار من آثارها :

ـ من أقوال رابعة العدوية في أول الليل ثم في آخره :

إلـهي أنارت النجومُ ونامتِ العيون وغلّقتِ الملوكُ أبوابَها وخلا كلُّ حبيب بحبيبه ، وهذا مُقامي بين يديك . ـ إلـهي ! هذا الليل قد أدبر ، وهذا النهار قد أسفر ، فليت شعري أقَبِلْتَ منّي ليلتي فأهنأَ ، أم رددتَها علي فأعزّى[1] ؟ فوَعِزّتِكَ ، هذا دأبي ما أحييْتَني وأعنتني . وعزّتك ، لو طردتَني عن بابك ما برِحت عنه لِمَا وقع في قلبي من محبّتك .

ـ ويُروى لرابعة :

إنّي جعلتُك في الفؤاد مُحدِّثي ، وأبَحْتُ جسمي من أراد جُلوسي.
فالجسم منّي للجليس مؤانسٌ ، وحبيب قلبي في الفؤاد أنيسي .

٤ ـ ● ● شهيدة العشق الالـهي رابعة العدوية ، تأليف عبد الرحمن بـدوي (دراسات إسلامية ٨) ، القاهرة (مكتبة النهضة المصرية) ، بلا تاريخ .

رابعة العدوية والحياة الروحية في الإسلام ، تأليف طه عبد الباقي سرور ، القاهرة ، الطبعة الثالثة (دار الفكر العربي) ١٩٥٧ م .

وفيات الاعيان ١ : ٣٢٣ ـ ٣٢٥ ؛ شذرات الذهب ١ : ١٩٣ .

مروان بن أبي حَفْصَة

١ ـ كان يزيدُ أبو حفصة يهودياً من سَبْيِ إصْطَخْرَ اشتراه عثمانُ بن عفّان ووهبه لمروانَ بنِ الحَكَمِ . وشَهِدَ يزيدُ يومَ الدار (يوم مقتل عثمانَ) معَ مروان ودفع عن مروانَ القتلَ فأعتقه مروانُ ونزل له عن أم ولدٍ له

---

[1] عزي يعزى (من وزن رضي يرضى) : تعزى وتأسى .

يقال لها سُكَّر ، ولمروان منها بنت اسمها حفصة . فتزوج يزيد سكرَ وحضن حفصة وتكنّى بها : يزيد أبا حفصة . وكذلك شَهِدَ يزيد أبو حفصة معَ مروان ابن الحكم معركة الجمل .

ثمّ إن يزيد أبا حفصة تزوج لحناء بنت ميمون من ولد النابغةِ الجَعْدي ، ومن بني عامر بن حنيفة ، من أهل العَرض باليمامة ، وذلك في إحـدى رِحْلاته إلى اليمامة في وِلاية مروانَ بن الحكم على اليمامة للمرة الثانية (٥٦ — ٥٧ هـ) ورُزِقَ منها يحيى فمحمداً فعبدَ الله فعبدَ العزيز . وكان يحيى جواداً مُمَدَّحاً وشاعراً مكثراً هنّأ الوليدَ بن عبد الملك بالخلافة وعزّاه بأبيه (٨٦ هـ ، ٧٠٥ م) . وتزوج يحيى بنتاً لزيادِ بن هَوْذَةَ بن شمّاس من بني لُؤيّ بن أنفِ الناقة ورزق منها سليمانَ وعُمَرَ وجميلاً . ويبدو أن يحيى بن أبي حفصة قد غادر الشام ، بعد أن اضطرب حال بني أمية ، ورَجَعَ إلى اليمامة . وفي الحفر دعا يحيى أبناءه وزوجهم بفتيات من نسل قيسِ بن عاصمِ المشهورِ ، فتزوج سليمان خَوْلَةَ بنت مقاتل بن طِلبة ، طلبة بن قيسِ بن عاصم .

وفي ربيعِ الأولِ من سنة ١٠٥ هـ (مطلعَ الخريف من عام ٧٢٣ م) وُلِدَ ابو السمط ، قيل أبو الهندام مروان بن سليمان المشهور باسم مروان بن أبي حفصة في اليمامة في الاغلب وشبّ ناصبياً يكره آل البيت ؛ وكان بخيلاً يرتدي ثياباً غليظة رخيصة ويقتّر في طعامه وأسباب معيشته . ويبدو أن مروان لم يَقُلِ الشعرَ باكراً لأنه كان لا يجد جرأة من نفسه على ذلك ، فذكروا أنه وقف في إحدى جيئاته إلى البصرة على يونس بن حبيب (٩٠ — ١٨٢ هـ) وقال له : « قد قلت شعراً (أحبّ أن) أعرضه عليك ، فان كان جيداً أظهرته ، وان كان رديئاً سترته » . (ثم) أنشده قوله : طرَقَتْكَ زائرة فحيِّ خيالَها ! فقال له يونس : « يا هذا ، اذهَبْ فأظْهِرْ هذا الشعر ، فأنت ، والله ، فيه أشعر من الاعشى في قوله : رَحَلَتْ سُمَيّةُ غَدْوَةً أجمالَها » .

ولم يأتِ مروان بن أبي حفصة إلى بغدادَ قبل سنة ١٥٩ هـ (٧٧٥ م) ، بعد أن تولّى المَهْدِيّ الخلافة . وانقطع مروانُ إلى المهديّ ثم إلى هارونَ الرشيدِ بمدحهما . واتخذه الرشيدُ شاعر بلاط للمواقف الرسمية ولمرافقتـه في الغَزَوات ؛ فلقد كان الرشيد لا يرضى عن سلوك أبي نواس في العلن فاختصـه بمجالس أنسه ولَهْوه وأبعده عن مجالسه العامة .

وفي ربيع الاول من سنة ١٨٢ هـ (٧٩٨ م) اغتيل مروان بن أبي حفصة ، قيل لأنه تعرّض للعلويّين بشيء من الهجاء .

٢ - مروان ابن أبي حفصةَ شاعرٌ مُكثّر من الشعراء المُجيدين والفحول المتقدمين المُحَكِّكين للشعر على مذهب زهيرِ بن أبي سُلْمى ، وشعرُه كله جيد ، وعلى الاسلوب القديم . وقَصَرَ مروانُ شعره على المديح والرثاء وعلى عدد من الاغراض الوجدانية ، وكان لا يمدح إلا الخلفاء والوزراء ؛ وتُستحسن مدائحه ومراثيه في مَعْنِ بنِ زائدةَ الشيبانيّ والي اليمنِ للعباسين (١٤٠ - ١٥٣ هـ) . وكان الاصمعي يقول : « كان مروانُ مُوَلّداً لا علمَ له باللغة » (غ ٩ : ٤٢) .

وكان مروانُ بن أبي حفصة مشهوراً بالمَيْل عن العلويّين مُعرِّضاً بهم في شِعره لا يرى لهم حقّاً في الخلافة ، فلمّا قال :

أنّى يكونُ ؟ وليس ذاك بكائنٍ : لبني البناتِ وِراثةُ الأعمام ،

هجاه عليُّ بن الجَهْم هجاء مُقْذِعاً قلّد فيه الحُطيئة (العمدة ١ : ٦٣) .

٣ - المختار من شعره :

- قال مروانُ بنُ أبي حفصة يمدح المهدي :

طَرَقَتْكَ زائرةٌ ، فحيِّ خيالَها ، بيضاءُ تَخْلِطُ بالجَمال دَلالَها ،
قادَتْ فُؤادَك فَاْستقادَ ، ومثلُها قاد القلوبَ إلى الصبا فأمالها [1] .
أحيا أميرُ المؤمنين محمدٌ سُنَنَ النبيِّ حَرامَها وحلالَها [2] .
مَلِكٌ تفرّع نَبْعَةٌ من هاشمٍ ؛ مدّ الالهُ على الأنام ظِلالَها .
كِلْتا يديه جعلتَ فضل نَوالِها للمسلمين ، وللعدوّ وَبالَها [3] .
هل تَطْمِسون من السماء نجومَها بأكُفِّكُمْ ، أم تَحْجِبون هِلالَها ؟
أم تَجْحَدون مقالة عن ربّكم جبريلُ بلّغها النبيَّ فقالها !

---

١ استقاد : انقاد ، استجاب .
٢ .... - اتبع حلالها وتجنب حرامها .
٣ الوبال : الهلاك .

شَهِدَتْ من الأنفالِ آخرُ آيةٍ   بتُراثِهِم فأردتمو إبطالها [١] .

ـ وقال يرثي مَعْنَ بنَ زائدةَ :

مضى لسبيله مَعْنٌ وأبقى   مَكارِمَ لن تَبيدَ ولن تُنالا .
كأنَّ الشمسَ ، يومَ أُصيبَ معنٌ ،   من الإظلام مُلْبَسَةٌ جِلالا .
هو الجبلُ الذي كانت نِزارٌ   تَهُدُّ من العدوِّ به جِبالا .
تعطَّلَتِ الثغورُ لفَقْدِ معنٍ ،   وقد يَرْوي بها الأسلَ الطِوالا [٢] ،
وظلَّ الشامُ يَرْجُفُ جانِباه   لِرُكْنِ العِزِّ حين وَهَى ومالا ،
وكادت من تِهامةَ كلُّ أرضٍ ،   ومن نجدٍ ، تزول غَداةَ زالا .
فإنْ يَعْلُ البلادَ له خشوعٌ ،   فقد كانتْ تطول به اختيالا .
وكان الناسُ كلُّهُمُ لمعنٍ ،   إلى أن زارَ حُفرتَه ، عِيالا !
ولم يكُ طالبٌ للعُرْفِ [٣] يَنْوي   إلى غيرِ ابنِ زائدةَ ارتحالا .
مضى مَنْ كان يَحْمِلُ كلَّ ثِقْلٍ ،   ويَسْبِقُ فيضُ نائلِه السُؤالا .
وما عَمَدَ [٤] الوفودُ لمثل معنٍ ،   ولا حَلّوا بساحته الرِحالا ،
ولا بلغتْ أكفُّ ذَوي العطايا   يميناً من يديه ولا شِمالا !

٤ ـ •• طبقات ابن المعتزّ ٤٢ ـ ٥٤ ؛ الاغاني ١٠ : ٧٠ ـ ٩٥ ؛ تاريخ بغداد ١٣ : ١٤٢ ـ ١٤٥ ؛ وفيات الاعيان ٢ : ٥٢٣ ـ ٥٢٦ ؛ شذرات الذهب ١ : ٣٠١ ـ ٣٠٢ ؛ بروكلمان ١ : ٧٣ ، الملحق ١ : ١١٢ ـ ١١٣ ؛ زيدان ٢ : ٨٥ ـ ٨٧ .

يونس بن حَبيب

١ ـ هو أبو عبد الرحمن يونسُ بن حبيبٍ الضَبّيُّ مولى ضبّةَ أو مولى بني ليثِ بن بكر بن عبد مَناف بن كِنانة ، وقيل على التخصيص مولى بِلال

١ التراث (هنا : الخلافة) . وفي آخر آية من سورة الانفال (٨ : ٧٥) : « وأولو الارحام بعضهم أولى ببعض في كتاب الله » ، يقصد (الشاعر) أن بني العباس أقرب نسباً إلى الرسول (من بني أمية او بني علي !) فهم أحق بالارث منه (بالخلافة) .

٢ ـ يطل الغزو إلى الثغور (التخوم ، المدافع عن البلاد الاسلامية) ... وكان (معن) يذهب اليها بالرماح الطوال (وينتصر على العدو) .

٣ العرف : المعروف (النوال ، العطاء) .

٤ عمد : قصد .

بن هَرِمِيّ أحد بني ضُبيعة بن بَجالة .

وُلد يونس بن حبيب بين سنة ٨٠ و سنة ٩٠ هـ (٦٩٩ – ٧٠٨ م) في بُلَيدة اسمها الجَبّول أو جُبّل على نهر دِجلةَ بين بغداد وواسط .

أخذ يونس بن حبيب عن أبي عمرو بن العلاء والأخفش الكبير ، ثم كانت له حَلْقة في البصرة يختلف اليها الأدباء وفصحاء العرب وأهل البادية . ولم يتزوّج يونس ولا تسرّى (وفيات ٣ : ٥٤٦) . وقد أسنّ كثيراً ، وكانت وفاته سنة ١٨٢ هـ (٧٨٩ م) .

٢ – كان يونس بن حبيب إمامَ نُحاةِ البصرة في عصرِه عالماً بالشعر نافذَ البصر في تمييز جيّدِه من رديئه عارفاً بطبقات الشعراء حافظاً لأشعارهم وللنوادرِ من ألفاظِ اللغة وللأمثال ، إلّا أن النحوَ كان عليه أغلبَ ؛ وكان يُملي كلّ ذلك من حفظه فقطْ (لايستعينُ بكتاب) . وكان فوق ذلك جيدَ قراءة القُرآنِ عارفاً بالحديث . ولقد كانت له في اللغة والنحو مذاهبُ وأقيسةٌ يتفرد بها ؛ وأحكامُه في الشعراء مشهورةٌ . وليونسَ بن حبيب كتب منها : كتابُ معاني القرآن الكبيرُ ، كتابُ معاني القرآن الصغيرُ ، كتاب اللغات ، كتاب النوادر وكتاب الامثال .

٣ – **عدد من أقواله** (من البيان والتبيين) :

– لولا شعرُ الفرزدقِ لذهبَ نصفُ أخبار الناس (١ : ٣٢١) .

– سئل عن أشعر الناس فقال :

لا أُومِئُ إلى رجلٍ بعينه ، ولكنّي أقول : امرُؤُ القيسِ إذا رَكِبَ ، والنابغةُ إذا رَهِبَ ، وزهيرٌ إذا رغِبَ ، والأعشى إذا طَرِبَ .

– ليس لعَيِيٍّ مُروءةٌ ، ولا لمنقوصِ البيانِ بهاءٌ ، ولو حكّتْ يافوخَه أعنانَ السماء .

٤ – ٠٠ الفهرست ٤٢ ؛ طبقات الزبيدي ٤٨ – ٥٠ ؛ معجم الأدباء ٢٠ : ٦٤ – ٦٨ ؛ وفيات الاعيان ٣ : ٥٤٥ – ٥٤٨ ؛ بغية الوعاة ٤٢٦ ؛ شذرات الذهب ١ : ٣٠١ ؛ بروكلمان ١ : ٩٧ – ٩٨ ، الملحق ١ : ١٥٨ .

سلم الخاسر

١ ــ هو سَلْمُ بن عمرو بن حمّاد بن عطاء البصريّ مَوْلى بني تَيْم بن مُرّة . كان سَلْمٌ مزّاحاً لطيفاً وماجناً متظاهراً بالخلاعة والفسق والمُجون . وقد سُمّيَ الخاسرَ لأنه كان قد وَرِثَ عن أبيه مُصْحَفاً فباعه واشترى به طُنبوراً؛ وقيل اشترى به دفترَ شعرٍ .

كان سلمٌ الخاسرُ تلميذاً لبشّارٍ فبرعَ في الشعرِ براعةً حَمَلَتْ بشاراً على حَسَده . فلما قال بشّارٌ :

مَنْ راقبَ الناسَ لم يظفرْ بحاجتِه ، وفاز بالطيّبات الفاتكُ اللَّهِجُ ،

ثم قال سلمٌ :

مَنْ راقبَ الناسَ ماتَ غمّاً . وفاز باللّذةِ الجَسورْ .

غَضِبَ بشارٌ وقال : أخذَ سلمٌ مَعانِيَّ التي تَعِبْتُ فيها فكساها ألفاظاً أرقَّ من ألفاظي ، وسَيُنْسى بيتي ويسيرُ بيتُه . ثم قَطَعَهُ (رفض أن يتابع تخريجَه في الشعر) . ولكنَّ الادباءَ ما زالوا يَسْتَرضُونَ بشاراً على سَلْمٍ حتى رَضِيَ بشارٌ .

وكان سَلْمٌ في أول أمرِه صديقاً لأبي العَتاهية ثم تَهاجيا . وكذلك كان بَيْنَه وبينَ مَروانَ بنِ أبي حَفصةَ شيءٌ من المُشادّةِ سَبَبُها أُعطياتُ الخلفاءِ لِمَروانَ . ثم نال سَلمٌ على شعرِه مرّةً ثمانينَ ألفَ درهمٍ فجعل يفتخر بذلك على مروانَ (العمدة ١ : ٦٨) .

تكسّبَ سلمٌ بالشعر منذ أيام المنصور (ت ١٥٨ هـ) ثم مدح المَهْديَّ والهادِيَ . وبعدئذٍ انقطعَ إلى الرشيدِ والبرامكة .

وكانت وفاةُ سَلمِ بن عمرو الخاسرِ سَنَةَ ١٨٦ هـ (٨٠٢ م) قبل أن تتقدّم به السِنّ ، فيما يبدو .

٢ ــ سلمُ بن عمرو الخاسرُ شاعرٌ مُكثرٌ مُجيد ، وهو أحدُ المطبوعين المُحسنين كثيرُ البدائعِ والروائعِ في شعرِه ، عارفاً بالشعر ونقدِه . أما فنون شعرِه فهي الفخر والمدح والهجاء والوصف والادب والخمر ، وله وصف في الخيصان (كتاب الورقة ١٠٨) . وله شعر على حرفين (قصير التفاعيل) مدح

به الهاديَ أوّله :

موسى المَطَــرْ غَيْثٌ بَكَــرْ
ثمّ انهَمَــرْ ألْوَى المِرَرْ .

٣ – المختار من شعره :

– بويع الهادي بالخلافة وهو بجُرجان ، فدخل عليه سلم الخاسر يمدحه :

لمّا أتت خيرَ بني هاشم خلافةُ الله بجُرجانِ ،
شمّرَ للحزمِ سرابيلَه برأيِ لا غَمْرٍ ولا وانِي [1] .
لم يُدْخِلِ الشورى على رأيه ؛ والحَزْمُ لا يُمْضيه رأيان !

– وقال يمدح يحيى بن خالد البرمكي :

وفتىً خلا من مالهِ ، ومن المُروءة غيرُ خالِ .
وإذا وَأى لك موعداً كان الفِعالُ معَ المَقال [2] .
لله دَرّك من فتىً : كافيك من كَرَم الخِلالِ !
أعطاكَ قبلَ سُؤالِه فكفاكَ مَكروهَ السؤال .

– وقال يهجو أبا العتاهيةِ الشاعر :

ما أقبحَ التزهيدَ من شاعرٍ يُزَهِّدُ الناسَ ولا يَزْهَدُ .
لو كان في تزهيدِه صادقاً أضحى وأمسى بيتَه المسجد ،
ورفض الدنيا ولم يَلْقَها ، ولم يكن يسعى ويَسْترفِد .
(قد) خاف أن تنفدَ أرزاقُه؛ والرزقُ عند الله لا يَنْفَد :
الرزقُ مقسومٌ على من ترى يناله الابيض والأسود .
كلٌ يُوَفّى رِزقَه كاملاً : من كفّ عن جَهْدٍ ومن يَجْهَدُ !

٤ – ** الاغاني ٢١ : ٧٣ – ٨٤ ؛ طبقات ابن المعتزّ ٩٩ – ١٠٦ ؛ تاريخ بغداد ٩ : ١٣٦ – ١٤٠ ؛ معجم الادباء ١١ : ٢٣٦ – ٢٤١ ؛ وفيات الاعيان ١ : ٣٥٣ – ٣٥٤ ، بروكلمان ، الملحق ١ : ١١٣ ؛ زيدان ٨٧ – ٨٨ .

---

١ الغمر : الغر الجاهل الذي لا تجارب له . الواني : التعب الضعيف .

٢ وأي : وعد .

الكِسائيّ الكبير

١ — هو أبو الحسن عليّ بن حَمزةَ بن عبد الله بن بَهْمَنَ بن فيروزَ المعروف بالكِسائي [١] ، كان من أهل الكوفة فقرأ على أبي مسلم مُعاذ بن مُسلم الهرّاء وعلى الرؤاسي الكوفيَّيْنِ ، ثم جاء إلى البصرة فسمع من الخليل بن أحمد ، فنصحه الخليل بالتبدّي فقضى وقتاً طويلاً في بادية بغدادَ عند أعراب الحُطَمِيّة (ولم يكونوا في الطبقة العالية من الفصاحة) . ولمّا عاد الكسائي إلى البصرة كان الخليل قد مات وجلس للإملاء مكانه يونس بن حبيب . وتلقّى الكسائي قراءة القرآن على حَمزة الزيّات (ت ١٥٦ هـ ، ٧٧٣ م) ثم اختار لنفسه قراءةً .

وقَدِمَ الكسائي إلى بغداد في أيام المَهْدِيّ (١٥٨ — ١٦٩ هـ) فكان يقرأ القرآن في شهر رمَضانَ في قصر الخليفة . ثم أدّب (علّم) الأمين والمأمون ابني هرون الرشيد . واصطحبه الرشيد في إحدى رِحْلاته إلى خُراسان ، سنة ١٨٩ هـ (٨٠٥ م) فتوفّي في بلدة يقال لها رنبويه قُربَ الريّ .

٢ — الكِسائيّ أحدُ القُرّاء السبعةِ . وكان إماماً في اللغة والنحو ، إلا أنه بالغ في القِياس ، إذ «كان يسمع الشاذّ الذي لا يجوز من الخطأ واللحن وشعرِ غير أهل الفصاحة والضروراتِ فيجعل ذلك أصْلاً ويَقيس عليه حتّى أفسد النحو» في رأي بعضهم (معجم الأدباء ١٣ : ١٨٣) . وله شعر قليل .

والكسائي مصنّف له : ما تشابه من ألفاظ القرآن وتناظر من كلمات الفرقان (لعلّه كتاب المتشابه في القرآن وكتاب المتشابهات) — كتاب لحن العامّة — كتاب القراءات — كتاب مقطوع القرآن وموصوله — كتاب النوادر الكبير — كتاب أشعار المعاياة وطرائقها — كتاب مختصر في النحو .

٤ — كتاب لحن العامّة (في «ثلاث رسائل» ، حرّرها عبد العزيز الميمني) ، القاهرة ١٣٣٤ هـ .

•• الفهرست ٢٩ — ٣٠ ، ٦٥ — ٦٦ ؛ طبقات الزبيدي ١٣٨ — ١٤٢ ؛ تاريخ بغداد ١١ : ٤٠٣ — ٤١٥ ؛ معجم الأدباء ١٣ : ١٦٧ — ٢٠٣ ؛

---

١ الكسائي الكبير تمييزاً له من الكسائي الصغير محمد بن يحيى (راجع معجم الأدباء ١٣ : ١٦٨) .

وفيات الاعيان ٢ : ٣ — ٥ ؛ إنباه الرواة ٢ : ٢٥٦ — ٢٧٤ ؛ بغية الوعاة ٣٣٦ — ٣٣٧ ؛ شذرات الذهب ١ : ٣٢١ — ٣٢٤ ؛ اعيان الشيعة ٤١ : ٢٣٥ — ٢٣٦ ؛ بروكلمان ١ : ١١٧ — ١١٨ ، الملحق ١ : ١٧٧ — ١٧٨ ؛ زيدان ٢ : ١٣٤ .

المؤمَّل بن أُمَيْل

١ — كان المُؤمّلُ بن أُمَيْلٍ بن أسد المحاربي ، ويقال له البارد [١] ، ابنَ عمّ مروانَ بن أبي حفصة ، من أهل الكوفة ومن الجنود المرتزقة عند بني العباس ، انقطع حيناً إلى جعفرٍ بن سُليمانَ بن علي والي المدينة (١٤٦ — ١٥٠ هـ) ، ثم وفد على المَهْديّ — وهو أميرٌ — بالريّ ومدحه فأعطاه المَهْديّ عشرينَ ألفَ درهمٍ . ولكن المنصور استكثر المبلغ فاسترد منه ستة عشر ألفاً . فلما وَلِيَ المَهديّ الخلافة رد إلى المؤمل ما كان المنصور قد استرده منه وزاده عشرين ألفاً جديدة . ثم انقطع المؤمل إلى المَهديّ .

وعاش المؤمّل طويلاً ثم عَمِيَ في آخرِ أيامه وأصبحَ نحيفاً أصفرَ . وكانت وفاته في حدود سنة ١٩٠ هـ (٨٠٥ م) .

٢ — المؤمل شاعر وَسَطٌ غَزِلٌ لطيف ، على شعره شيء من الطّبع وفيه شيء من اللين . وكان يهوى امرأة في الحيرة اسمُها هند تَدَلّه بحُبّها وأكثر فيها قول الشعر حتى لُقّبَ قتيلَ الهوى . وأشهر شعره المدح والنسيب . ولما مات الخليفة المَهْديّ دخلَ المؤمّل بن أميلٍ مسجدَ الكوفة ثم رفع صوته منْشداً : « مات الخليفةُ ، أيّها الثقلان ! » فقال نَفَرٌ من الأدباء : هذا أشعر الناس : نَعَى الخليفةَ إلى الجن والإنس في نصف بيتٍ . فلما أتمّ البيت : « فكأنني أفطرتُ في رَمَضانٍ » ضحك الناس لغثاثة الشطر الثاني [٢] .

٣ — المختار من شعره :

— وفد المؤمّل على الأمير المَهْدي ، وهو في الري ، قَبْلَ أن يَلِيَ المَهديّ الخلافةَ ، وأنشده مديحاً جاء فيه :

---

١ معجم الشعراء ٢٩٨ .

٢ راجع الموشح ٢٩٦ — ٢٩٧ .

هوَ المهديّ ، إلاّ أن فيه مَشابِهَ صورةِ القمرِ المنيرِ [1] .
تَشابَهَ ذا وذا ، فهُما إذا مـا أنارا مُشْكِلانِ على البصير[2] :
فهذا في الظلام سِراجُ ليـلٍ ؛ وهذا في النهـار ضِياء نور .

— ومن جيد قوله في النسيب :

حلَمْتُ بكم في نَوْمَتي فغَضِبْتُمُ ؛ ولا ذنبَ لي إنْ كنت في النوم أحلُمُ .
سأطرُدُ عنّي النومَ كيلا أراكمُ ، إذا ما أتاني النوم والناسُ نُوَّم .
تُصارِمني ، واللهُ يعلـمُ أنـني أبَرُّ بهـا من والدَيها وأرحم .
وقد زعموا لي أنها نَذَرَتْ دَمي ؛ وما لي — بحمدِ الله — لحمٌ ولا دم .
بَرَى حُبُّها لحمي ولم يُبْقِ لي دماً ، وإنْ زعموا أني صحيح مُسَلَّم .
فلمْ أرَ مثل الحُبِّ صحَّ سَقيمه ، ولا مِثلَ من لم يَعْرِفِ الحُبَّ يَسْقَم .
ستقتُلُ جِلْداً باليًا فوقَ أعظُمٍ ، وليس يُبالي القتلَ جِلْدٌ وأعظم !

٤ — •• الاغاني ١٩ : ١٤٧ — ١٥٠ ؛ تاريخ بغداد ١٣ : ١٧٧ — ١٨٠ ؛ معجم الادباء ١٩ : ١٠١ — ٢٠٤ .

منصورٌ النَّمَريُّ

١ — هو ابو الفضل أو أبو القاسم منصورُ بن سَلَمَةَ بن الزِبرقان من بني سعد بن الخَزرج بن تَيْم الله بن النَّمِر بن قاسطٍ من بني أسدِ بن ربيعةَ ابن نِزارٍ ، كان مولده ومنشأه ومسكنه في بلدة رأس العين في جزيرة ابن عُمَرَ في شَمالِيّ الشام .

كان منصور النَّمَريّ تلميذَ كُلثومِ بن عمرٍو العَتّابي في الشعر وراويته . وقد وصله العتّابي بالفضلِ بن يحيى البرمكي ، فوصله يحيى بالرشيد فحَظِيَ عند الرشيد . ومعَ أن النمريّ كانَ يتشيّعَ ويدين بالإمامة سِرّاً ، فانه اضطرّ في

---

١ مشابه جمع شبه (بفتح ففتح أو بكسر وسكون) وشبيه . هو المهدي (إنسان) ولكن فيه أوجهاً من الشبه بالقمر .

٢ أشبه كل واحد منهما الآخر ... فصعب التمييز بينهما حتى على الخبير في الأمور .

سبيل التكسب من الرشيد إلى أن يَنْحُوَ نحوَ مروانَ بن أبي حَفصةَ في تفضيل آل العباس على آل عليٍّ من غير أن يُصَرِّحَ بهجائهم .

ثم ساء ما بين العتابي ومنصورٍ النَمَرِيِّ فتقاطعا وتهاجيا . بعدئذٍ غضب الرشيد على منصورٍ لمّا صحَّ عنده أنَّ منصوراً يَحُثُّ العلويين بشعرِه على الخروج عليه وأرسل إلى رأس العين من يقتلُه ، ولكنْ وَجَدَهُ قد توفي . وكانت وفاته بعد نكبة البرامكة في وزارة الفضل بن الربيع للرشيد (١٨٧ – ١٩٣ هـ ، ٨٠٣ – ٨٠٨ م) .

٢ – منصورٌ النَمَرِيّ من فحول الشعراء المُحْدَثين أخذ عن أستاذه العَتّابيّ شيئاً من تَكَلّف البديع [١] ، كما كان كثير الرواية عن سُديف بن ميمون [٢] . وله الشعر الجَزْل السهل المُطْمِع المُمْتَنِع القريب الممكن المتعذّر (على غيره) ، وشِعرُه جيّدٌ كلّه [٣] ؛ وهو بطيءُ النظمِ ينقّح شِعرَه [٤] . وفنونُ شعره المديحُ والهجاء والغزل والوصف ؛ وأشعاره في آلِ رسولِ الله كثيرةٌ جِيادٌ ، وقد أجادَ وصفَ الشيب والنهود والسيف .

٣ – المختار من شعره :

– قال منصور النمري يمدح هرونَ الرشيدَ :

ما تنقضي حَسْرةٌ مني ولا جَـزَعُ	إذا ذَكرتُ شباباً ليس يُرْتَجَـعُ .
أودَى الشبابُ ، وفاتتْني بشِرّتـه	صُروفُ دهرٍ وأيامٌ لها خِـدَعُ .
ما كنت أُوفي شبابي كُنْهَ غُرّتِـه	حتى انقضى ، فإذا الدنيا له تَبَعُ .
ان كنتِ لم تَطْعَمي ثُكلَ الشبابِ ولم	تَشْجَيْ بغُصّتِه فالعذرُ لا يَقَعُ .
يا ابنَ الأئمّة ، من بعد النبيّ ، ويا ابـ	ـنَ الأوصياء – أقرَّ الناسُ أمْ دفعوا –
إن الخلافةَ كانت إرثَ والدِكـم	من دون تَيْمٍ وعفوُ الله مُتّسِع .
وما لآلِ عليٍّ في إمارتِكـم	حقٌّ ، وما لهمُ في إرثِكم طمع .

---

١ راجع البيان والتبيين ١ : ٥١ .
٢ طبقات ابن المعتز ٤٢ . راجع « سديف بن ميمون » ، فوق ، ص ٦٥ – ٦٧ .
٣ ديوان المعاني ١ : ٥٨ ، ٥٩ ، ٢ : ١٥٦ .
٤ راجع الموشح ٢٥٦ .

العمّ أولى من ابنِ العمّ ، فاستمعوا قولَ النصيحِ ، فان الحقّ يُستمع !

– قال ابن المعتزّ (طبقات ٢٤٧) : «وميميّته في المأمون ، وهو وليّ عهد ، عجيبة ؛ ومطلعها :

لَعَلّ لها عُذراً وأنتَ تلومُ ، وكم لائمٍ قد لامَ وهو مُليم [١] .

٤ – •• طبقات ابن المعتزّ ٢٤٢ – ٢٤٨ ؛ الاغاني ١٣ : ١٤٠ – ١٥٧ ؛ تاريخ بغداد ١٣ : ٦٥ – ٦٩ ؛ زيدان ٢ : ٨٨ – ٨٩ .

العبّاس بن الاحنف

١ – هو أبو الفضلِ العبّاسُ بنُ الأحنفِ بنِ الأسود بن طَلْحةَ من بني عَدِيّ بن حَنيفةَ ، وقيل من بني الدُوَل بن حنيفة . وذكر هو أن نسبه متصل ، من جِهَةِ بعض أمهاته (جَدّاته) ، بهَوْذَةَ بن عليٍ الحَنَفي الذي مدحه الأعشى في الجاهلية .

وأصلُ بني حنيفةَ قومُ العبّاسِ من اليمامة من الذين كانوا قد نزَحوا إلى خُراسانَ . ولكن يبدو أن العبّاس وُلِدَ ونشأ في بغدادَ . وكان العباسُ بن الاحنف جميلاً مقبولاً فصيحَ اللسانِ ظريفَ الحديثِ ظاهرَ النعمةِ مُلوكيّ المذهبِ يأخذُ في التَرَفِ في الحياة . ولم يكن خليعاً برُغْم أنه صَحِبَ نَفَراً من الخُلَعاء . ومَع ذلك فإنه كان يتعاطى الفُتُوّةَ على سِتْرٍ وعِفّةٍ ، وله مع ذلك كَرَمٌ ومحاسنُ أخلاقٍ وفضلٌ في نفسه . وكان لا يُلْيقُ (يحفظ ، يدّخر) دِرهماً ولا يَحْبِسُ ما يَمْلِكُ .

واتصل العباس بن الأحنف بالرشيدِ ونال عندَهُ حَظوةً ، واصطحبه الرشيد في رحلته إلى خُراسان وأذربيجان وأرمينية . وطالت رحلتهما فاشتاق العباس إلى بغداد .

وتُوُفّيَ العباسُ بن الأحنف في بغدادَ سنة ١٩٨ هـ (٨١٤ م) في الأغلبِ ، وعُمُرُهُ نحو ستين سَنَةً .

---

١ المليم : الملوم ؛ المذنب .

٢ ــ كان العباسُ بن الأحنفِ شاعراً مطبوعاً مُجيداً ظريفاً رقيقَ المعاني يتناولُها من قُرْبٍ ، جَزْلَ الألفاظِ متينَ التركيب . ولشعرِه ديباجةٌ ورَوْنقٌ ، ولذلك كَثُرَ الغناءُ فيه . وقَصَرَ العباسُ بن الأحنف شعرَه على الغَزَل والوصف لم يتجاوَزْهما إلى مدحٍ أو هجاءٍ ولا يتصرّف في شيء من هذه المعاني (معاني المدح والهجاء) . وقد قال الجاحظ فيه ، في هذا الشأن :

« لولا أنّ العباسَ بن الأحنف أحذقُ الناس وأشعرُهم وأوسعُهم كلاماً وخاطراً ما قَدِرَ أن يُكثِرَ شعرَه في مذهبٍ واحد لا يُجاوِزُه ؛ لأنه لا يهجو ولا يمدح ولا يتكسّب ولا يتصرّف . وما نعلمُ شاعراً (غيره) لَزِمَ فناً واحداً لزومَه فأحسنَ فيه وأكثَرَ .

وكان النُقّادُ يُشبِّهون العباسَ بن الأحنف في غزلهِ بعمرَ بن أبي ربيعةَ ، إذْ كان كلامُه ــ ككلامِ عُمَرَ ــ مُشاكِلاً لكلامِ النساء وموافقاً لطباعِهِنّ . ثم انه كان في غزله هذا غزيرَ الفكر واسعَ الكلام كثير التصرف ، وكان العلماء بالشعر يُقدّمونه على كثيرٍ من المُحْدَثين .

وأشار غرونباوم إلى أثر شعر العباس بن الأحنف في شعر الشعراء التروبادور [١]

٣ ــ المختار من شعره :

ــ قال العباس بن الأحنف في الوفاء في الهوى :

إنّ الهوى لو كان ينْـ ـفُذُ فيه حُكْمي أو قَضائي
لَطَلَبْتُهُ وجمعتُـه من كلِّ أرضٍ أو سماء ،
فقَسَمْتُهُ بيني وبيْـ ـنَ حبيبِ نفسي بالسّواء .
فنعيشُ ، ما عِشْنا ، على مَحْضِ المودّةِ والصفاء .
حتّى إذا مِتْنا جميـ ـعاً ، والأمورُ إلى انقضاء ،

---

١ دراسات في الأدب العربي ٢٠٧ وما بعدها .

الواضح اليوم أن الشعر العربي المشرقي والاندلسي كان الأساس الذي قام عليه شعر التروبادور الذين نشأوا في جنوب فرنسة ونظموا شعراً كان الأصل للشعر الحديث في اللغات الأوروبية الحديثة .

راجع Abbâs ibn al Ahnaf ..., von Joseph Hell (Islamica, 1926, SS . 271 - 307) ; Hispano - Arabic Poetry , by A . R . Nykl , Baltimre 1946 .

ماتَ الهوى من بَعدِنـا   أو عاشَ في أهلِ الوفـاء !

– وله في فَوْز التي كان يتغزّل بها (ولعلّها من عمل خياله) :

يا فوزُ يا مُنْيَةَ عبّاسٍ ،   قلبي يُفَدّي قلبَكِ القاسي !
أساتُ إذ أحسَنْتُ ظنّاً بِكُمْ ؛   والحَزْمُ سوء الظنِّ بالناس .
يُقْلِقُني الشوقُ فآتيكُمُ   والقلبُ مَمْلوء من الياس .
أعْطَبْتُ قلبي فيكُمُ سُؤْلَهُ   فعاد إعطائي على راسي .

– وقال في نميمة الدمع :

لا جزى اللهُ دمعَ عينِيَ خيراً ،   وجزى اللهُ كلَّ خيرٍ لساني .
نَمَّ دمعي فليس يَكْتُمُ شيئاً ،   ووجدتُ اللسانَ ذا كِتْمان .
كُنْتُ مثلَ الكِتابَ أخفاهُ طيٌّ   فاستَدَلّوا عليه بالعُنْوان .

– وقال العباس بن الأحنف وهو يُحْتَضَر :

يا غريبَ الدارِ عن وطنهْ   – مُفْرَداً يبكي على شَجَنهْ .
شفّه ما شَفّني فبكى ،   كُلُّنا يبكي على سَكَنهْ[1] .
ولقد زادَ الفؤادَ شجاً   طائرٌ يبكي على فَنَنهْ .
كُلّما جَدّ البكاءُ به   دبّتِ الأسقامُ في بَدَنهْ .

٤ – ديوان العبّاس بن الأحنف ، القسطنطينية (مطبعة الجوائب) ١٢٩٨ هـ ؛
(نشرته عاتكة الخزرجي) ، القاهرة (دار الكتب المصرية) ١٩٥٤ م .
شرح ديوان العبّاس بن الأحنف شاعر الحبّ والفتنة والجمال (عبد المجيد
الملاّ) ، بغداد (المكتبة العربية) ١٩٤٧ م .
•• العشاق الثلاثة : جميل وكثيّر عزّة وابن الأحنف ، تأليف زكيّ
مبارك ، القاهرة ١٩٤٥ م .
الاغاني ٨ : ٢٥٢ – ٢٧٢ ، ١٥ ٤١ وما بعده ، ٢١٠ : ٢٤٧ وما بعده ؛
تاريخ بغداد ١٢ : ١٢٧ – ١٣٣ ؛ معجم الادباء ١٢ : ٤٠ – ٤٤ ؛
وفيات الأعيان ١ : ٤٣٨ – ٤٤٠ ؛ شذرات الذهب ١ : ٣٣٤ ؛
بروكلمان ١ : ٧٣ ، الملحق ١ : ١١٤ ؛ زيدان ٢ : ١٠٢ ؛
طبقات ابن المعتزّ ٢٥٤ – ٢٥٧ ؛
Enc. Isl. (new ed.) I 9-10

[1] السكن ما يسكن ، أي يطمئن ، الإنسان اليه ، وتقال على الزوجة وعلى الوطن .

أشجعُ السُلَميّ

١ ــ كان عمرٌو السُلَمي والدُ أشجعَ ذا مالٍ من أهل البصرة فعَلِقَ امرأةً من أهل اليمامة فتزوّجها وذهب معَها ليعيشا في اليمامة ؛ وفي اليمامة وُلِدَ أشجعُ. ثم مات عمرٌو فانتقلت أم أشجعَ بابنها إلى البصرة ليعيشا في مال عمرو. وتُوُفِّيَتْ أم أشجعَ وشيكاً في البصرة فنشأ أشجع يتيماً، ولكن استطاع أن يتأدّبَ على نفَرٍ من أعلام البصرة. وأراد أشجعُ أن يتكسبَ بالشعر فاتّصل، أولَ ما اتصل (غ ١٧ : ٤٠)، بجعفرِ بن المنصور حينما كان والياً على البصرة، في الأغلب، في أيام الرشيد. ثم وفد أشجعُ إلى الرقّة، حيثُ كان الرشيد يقضي الصيفَ، واتصل بجعفرٍ البرمكيّ، فوصله جعفرٌ بالرشيدِ فأصبح من مُدّاح الرشيد ونُدْمانه. غير أنه انقطع إلى جعفرٍ خاصةً فولاّه جعفرٌ عملاً (في الدولة). ولكن يبدو أن أشجعَ كان شديداً على الناس فتظلّموا منه فصرفه جعفرٌ عن ذلك العمل. ولم يستقرَّ أشجعُ في بغدادَ، بل كان يتردد بينها وبين البصرة. وفي الاغاني (١٧ : ٣٦) أنّ أشجعَ مدح جعفراً لما تولّى خُراسانَ؛ ونحن نعلم أن جعفراً تولى خراسان عِشرين يوماً من أيام سنة ١٨٠ ﻫ (٧٩٦ م) ثم كانت نكبة البرامكة.

وفي سنة ١٩٢ ﻫ (٨٠٦ م) غزا هرونُ الرشيدُ بلادَ الروم واستولى على هِرَقْلَةَ وطُوانة وفرض على الامبراطور نَقْفُورَ الاول غَرامةً باهظةً ثم عاد إلى قصره في الرقة. في هذه الاثناء وفَدَ أشجعُ على الرقّة ومدح الرشيدَ. وفي العام التالي تُوُفِّيَ الرشيدُ (جُمادى الثانية ١٩٣ ﻫ، آذار ــ مارس ٨٠٩ م) فرثاه أشجع.

وكانت وفاة أشجعَ السُلمي بين وفاة أخيه أحمدَ ووفاةِ أخيه يزيدَ (غ ١٧ : ٥١)، ربما سنة ١٩٥ ﻫ (٨١١ م).

٢ ــ كان أشجعُ السُلمي من الفحول ظريفاً سائرَ الشعرِ. وشِعرُه جيّدٌ يجري في اللفظ الجَزْل والتركيب المتين. وهو صاحب بديهةٍ ولا يُطيل. ولكنّه كان أحياناً يُخْلي : أي ربّما مرّت له أبياتٌ مغسولةٌ ليس فيها بيتٌ رائعٌ (العمدة ١ : ١٧٩، ٢٥٥) في معناه أو في لفظه (أخبار البحتري ١٧٢ ــ ١٧٣ ؛ الموشّح ٢٩٥). أمّا فنونُه فهي المديحُ والرثاء والعتاب والهجاء

والوصف والحكمة والنسيب والغزل . وأكثرُ ما بَقِيَ لنا من شعرِه المدائحُ ، وهي رصينةٌ ، ثم عددٌ من المراثي . والفخر عنده في الأصل قليل .

٣ — المختار من شعره :

— قال أشجع السلمي يمدح جعفر بن يحيى لما تولّى خُراسان بعد مطلع من النسيب البارع :

غداً يتفرّق أهل الهوى ... ويكثُرُ باكٍ ومُسْترجِعُ [١] .
وتختلف الأرضُ بالظاعنين ... وُجوهاً تُشَتّ ولا تُجْمَعُ [٢] .
وتَفْنى الطلولُ ، ويبقى الهوى ، ... ويصنع ذو الشوق ما يصنع .
وأنت تُبَكّي وهم جيرة ؛ ... فكيف يكون إذا ودّعوا ؟
أتطمع في العيش بعد الفراق ؟ ... فبئس — لَعَمْرُك — ما تطمع !
بَديهتُهُ مثلُ تدبيرِه ، ... متى هِجْتَه فهو مُسْتَجْمِع .
إذا همّ بالأمر لم يَثْنِه ... هُجوعٌ ولا شادنٌ أفرَع .
ففي كفّه للغنى مطلبٌ ؛ ... وللسر في صدره موضِع .
وكم قائلٍ إذ رأى بَهْجَتي ... وما في فُضول الغنى أصنع :
غداً — في ظِلالِ نَدى جعفرٍ — ... يجرّ ثيابَ الغنى أشْجع !

— ومن مديحه الرائع في هرون الرشيد :

وَصَلَتْ يداك السيفَ يومَ تَقَطّعَتْ ... أيدي الرجالِ وزلّت الاقدامُ .
وعلى عدُوّك ، يا ابنَ عمّ محمدٍ ، ... رَصَدانِ : ضوءُ الصُبح والإظلام .
فإذا تَنَبّه رُعْتَهُ ، وإذا غفا ... سلّتْ عليه سُيوفَك الأحلامُ !

— وقال يرثي محمد بن منصور بن زياد :

أنْعَى فَتى الجود إلى الجودِ ؛ ... ما مِثْلُ مَنْ أنْعَى بموْجودِ !
أنعى فتىً أصبح معروفه ... مُنتشراً في البيضِ والسود .
أنعى فتى مَصّ الثرى بعدَه ... بَقِيّةَ الماء من العود .

---

١ المسترجع : الذي يقول : إنا لله وإنا اليه راجعون (في المصيبة الشديدة) .
٢ وجوهاً تشد ولا تجمع : يتفرق أصحابها في اتجاهات مختلفة !

قد ثَلَمَ الدهرُ به ثُلْمـــةً جانبُهـا ليسَ بمسدود .
الآنَ نَخْشى عثَرات النـّـدى وعَدْوَةَ البُخْلِ على الجود !

٤ ــ •• طبقات ابن المعتزّ ٢٥١ ــ ٢٥٤ ؛ الاغاني ١٧ : ٣٠ ــ ؛ تاريخ بغداد ٧ : ٤٥ ؛ بروكلمان ، الملحق ١١٨ ــ ١١٩ ؛ زيدان ٢ : ٩٥ .

الرؤاسي النيليّ

هو أبو جعفر محمّد بن الحسن بن أبي سارة الرُؤاسيّ النيلي نسبة إلى نيل الكوفة ، ولقّب بالرؤاسيّ لعِظَم رأسه . كان الرؤاسي يسكن البصرة وقد زار الكوفة مرّتين ؛ وعاصر الخليل بن أحمد وتوفّي في أيام الرشيد ، نحو سنة ١٩٥ هـ ، فيما يبدو .

كان الرؤاسي بارعاً في العربية وإماماً في النحو ؛ وهو رأسُ المذهب الكوفي ، حتّى إذا قيل « الكوفي » فإنما كان القائل يَعْني « الرؤاسي » . وللرؤاسي شِعر قليل .

والرؤاسي أول من ألّف كتاباً في النحو ، له : الفيصل في النحو ــ كتاب معاني القرآن ــ كتاب التصغير ــ كتاب الوقف والابتداء الكبير ــ كتاب الوقف والابتداء الصغير .

ــ •• الفهرست ٦٤ ؛ طبقات الزبيدي ١٣٥ ؛ بغية الوعاة ٣٣ ، ٣٩٣ ؛ معجم الادباء ١٨ : ٢١ ــ ٢٥ (وفي الجزء نفسه ترجمة موجزة مكرورة ، ص ٢٥٢ ــ ٢٥٤) ؛ بروكلمان ١ : ١١٧ ، الملحق ١ : ١٧٧ .

مؤرِّجُ السَدوسيّ البصريّ

١ ــ هو أبو فَيْدٍ مؤرّجُ بنُ عمرِو بن الحارث السَدوسي العِجلي ، وُلِدَ في بادية البصرة ، وأخذ في البصرة عن الخليل بن أحمدَ وأبي عمرِو

ابن العلاء ، وروى عن أبي زيدٍ الانصاري ، كما روى الحديث عن شُعبةَ ابن الحجاج .

في سنة ١٨٩ هـ (٨٠٥ م) سار الرشيد إلى الرّي (خُراسانَ) ومعه ابنُه المأمونُ ، وكان مؤرّجٌ في حاشية المأمون ، فسكن مَرْوَ حيناً ثم انتقل إلى نيسابورَ ؛ وقد أخذ عنه مشايخ البلدين ومشايخ جُرجانَ في الأغلب . وكانت وفاة مؤرّجٍ السدوسيّ سنة ١٩٥ هـ (٨١٠ – ٨١١ م) ، في نيسابور في الأغلب .

٢ – كان مؤرّج السدوسي عالماً بالحديث واللغة والنحو والأنساب والشعر ، والغالبُ عليه اللغةُ والشعر . ووصف مؤرّجٌ مذهبَهُ فقال (وفيات ٣ : ١١ ؛ راجع معجم الادباء ١٩ : ١٩٧) : « قَدِمْتُ من البادية ولا معرفةَ لي بالقياس في العربية ، وإنما كانت معرفتي قريحةً . وأوّل ما تعلّمتُ القياس في حلْقة أبي زيدٍ الانصاري بالبصرة » . وكان مؤرّجٌ ينظم الشعر . أما مصنفاتُه فأشهرها : كتاب غريب القرآن ، كتاب الانواء ، كتاب المعاني ، كتاب جماهر القبائل ، كتاب نسب قريش ، كتاب حذف من نسب قريش ، كتاب الامثال .

٣ – المختار من كلامه :

– من كتاب حذف من نسب قريش [١] :

هذا كتابُ حذف مِنَ النَّسَبِ ، ولو كَتَبْتُ كتابَ استِئْصالٍ لشَغَلَتْني سيرةُ النبيّ صلّى الله عليه وسيرةُ بني العبّاس دَهْراً .

وَلَدَ عبدُ مَنافِ بنُ قُصَيٍّ هاشماً والمُطّلِبَ وعبدَ شمسٍ ، أمّهم جميعاً عاتكةُ بنتُ مُرّةَ بن هِلالِ بن فالجِ بنِ ذَكْوانَ من بني سُلَيْمٍ ، و(ولد) نَوْفَلاً ، أمّه وافدةُ ابنةُ أبي عَدِيّ من بني مازنِ بنِ صَعْصَعَة . واسمُ هاشمٍ عَمْرٌو ، وإنّما سُمِّيَ هاشماً لأنّ قُرَيشاً أصابَتْهم أزْمةٌ [٢] ، فخرجَ إلى

---

١ وضع الدكتور صلاح المنجد حاشية يفسر فيها اسم هذا الكتاب (ص ٢) فقال : « الحذف » مصدر قولهم : حذف الشيء يحذفه (بفتح الذال في الماضي وكسرها في المضارع) إذا قطعه من طرفه ، كما يحذف الشعر وكما يحذف ذنب الدابة . و « الاستئصال » : قطع الشيء من أصله . وأراد مؤرج أنه أخذ من أطراف النسب ولم يستوعبه .

أقول : لعل الاسم حذف (بضم الحاء وفتح الذال) من نسب قريش !

٢ أزمة : سنة مجدبة .

فِلَسْطِين فابتاع طحيناً وخبزه ثم حمله[1] . فلمّا قَدِمَ مَكّةَ نَحَرَ الإبِلِ التي قَدِمَ عليها وهَشَمَ الخبْزَ وثَرَدَ . ويقال : هُوَ أوّلُ من ثَرَدَ فسُمِّيَ هاشماً .....

٤ — كتاب حذف من نسب قريش (نشره الدكتور صلاح المنجّد) ، القاهرة (مكتبة دار العروبة) ١٩٦٠ م .

•• الفهرست ٤٨ ؛ تاريخ بغداد ١٣ : ٢٥٨ — ٢٥٩ ؛ معجم الادباء ١٩ : ١٩٦ — ١٩٨ ؛ وفيات الاعيان ٣ : ١١ — ١٣ ؛ إنباه الرواة ٣ : ٣٢٧ — ٣٢٠ ؛ بروكلمان ١ : ١٠٠ — ١٠١ ، الملحق ١ : ١٦٠ ؛ زيدان ٢ : ١٤٤ .

أبو الشيص

١ — هو أبو جعفر محمّدُ بن عبدالله بن رَزين بن سُليمانَ بن تَميمٍ الخُزاعيّ من اليمن ، فيما قال ابن رشيق (العمدة ١ : ٧٢) ، وهو ابن عم دِعْبِلِ ابن عليّ الشاعر (ت ٢٤٦ هـ) .

وكان أبو الشيص من أهل بغدادَ صديقاً لأبي نُواسٍ وأشجعَ السُلَمي ومُسلم ابن الوليد فخَمَلَ ذِكرُه مَعَهم . ويبدو أنه كان في أولِ أمرِه مُنقطعاً إلى أميرِ الرَّقّة عُقبة بن جعفر بن الأشعث الخُزاعي مدحه بأكثر شعرِه ونال منه عطايا كثيرةً . ثم إنه عاش في بَلاط الرشيد يمدحُه . وعَمِيَ أبو الشيص في أواخرِ أيامه ثم اتفق أن قتله غلامٌ لعُقبة بن جعفر في حديث طويل (غ ١٥ : ١١٢ ؛ طبقات ابن المعتزّ ٧٤) ، في سنة ١٩٦ هـ (٨١٢ م) في الاغلب .

٢ — أبو الشيص سَهْلُ الشعرِ مَرِحٌ في قوله ، وشِعْرُه متوسطٌ في الجَوْدة . ويدورُ شعرُه على المديح والرثاء والوصف والعتاب والغزل . وهو حَسَنُ المدحِ بارعٌ في وصف الخمرِ وفي الطرْد وفي وصف الليل . وقد رثى عينيه فأكثر وأجاد .

---

[1] كذا في الأصل : وخبزه ثم حمله !

٣ – المختار من شعره :

– قال أبو الشيص في النسيب :

وقف الهوى بيَ حيثُ أنتِ ، فليس لي مُتَـأخَّر عنـه ولا مُتَقَدَّمُ .
أجِدُ المَلامةَ في هواك لذيـذةً حُبّاً لذكرك ، فلْيَلُمْني اللُوَّم .
وأهنتِني فأهنتُ نفسي جاهداً ؛ ما مَنْ يَهونُ عليك مِمّن يُكْرَم[1].
أشبهتِ أعدائي فصِرتُ أُحِبُّهم إذ كان حظّي منكِ حظّي منهمُ .

– وقال يرثي الرشيد ويهنّئ الامين :

جرتْ جوارٍ ، بالسعد والنحسِ ، فنحن في وَحْشة وفي أُنسِ :
العين تبكي والسِنّ ضاحكة ، فنحن في مـأتم وفي عُرس ؛
يُضحكنا القـائمُ الامينُ ، ويبـ ـكينا وفاة الإمـام بالأمس .
بدران : بدرٌ هنا ببغدادَ في الـ ـخُلد ، وبدر بطوسَ في الرمس[2] .

– وله في وصف الخمر :

نهى عن خُلّة الخمـ ـرِ بياضٌ لاح في الشَعر .
وقد أغدو ، وعين الشمـ ـس في أثوابها الصُفر[3] ،
على عذراءَ لم تُفْتَق بنارٍ لا ولا قِـدر[4] .
عجوزٌ نسَـج المـاءُ لها طوقاً من الشَذْر ،[5]
كـأن النهبَ الأحمـ ـر في حافاتهـا يجـري .

٤ – •• طبقات ابن المعتزّ ٧٢–٨٧ ؛ الاغاني (بولاق) ١٥ : ١٠٨–١١٣ ؛ تاريخ بغداد ٥ : ٤٠١–٤٠٢ ؛ فوات الوفيات ٢ : ٢٨١ ؛ الوافي بالوفيات ٣ : ٣٠٢ ؛ بروكلمان ١ : ٨٣ ، الملحق ١ : ١٣٣ ؛ زيدان ٢ : ٩٩ .

---

١ .... ان الذي تهينينه لا يستحق الاكرام .
٢ الخلد : قصر الخلد في بغداد . طوس : بلد في خراسان توفي فيها الرشيد .
٣ الشمس في أثوابها الصفر : نورها ضعيف (في الصباح ، أو في المساء) .
٤ فتق : اختمر .
٥ الشذر : قطع صغيرة من الذهب .

العُمانيّ الراجز

١ ـ هو أبو عبد الله محمّدُ بن ذُؤيب بن مِحْجَن بن قُدامة من بني فُقَيم ابن جَرير بن دارم (أو فُقَيم بن دارم) من بني حَنْظلة بن مالك بن زيد مَناةَ بن تميم؛ ولذلك يقال له الفُقيمي[1] والحَنظلي الدارمي[2].

كان محمّد بن ذؤيب من أهل البصرة لا من أهل عُمان، ولكنّه حينما كان صغيراً كان مُصْفَرَّ الوجهِ ضريراً مطحولاً فرآه مرة دُكين الراجزُ (ت ١٠٥ هـ) فقال: «من هذا العُماني!» فلزمه الاسم، لأن عُمان وَبِيّة وأهلُها مصفرّةٌ وجوهُهم مَطْحولون[3].

أدرك العُمانيّ خلافة هرون الرشيد وشَهِدَ مُبايعة محمّدٍ الامين بولاية العهد، سنة ١٧٤ هـ، ثم صَحِبَ الرشيد في الغزو إلى هِرَقْلَةَ من بلاد الروم، سنة ١٩٠ هـ[4]. غير أنّ ابن قُتيبة يقول (الشعر والشعراء ٤٧٥ ـ ٤٧٦): «دخل (العماني) على الرشيد .... وقال: يا أميرَ المؤمنين، قد ـ والله ـ أنشدتُ مروانَ ... ثم يزيدَ بنَ الوليد وابراهيمَ بن الوليد ثم السفّاحَ ثم المنصورَ ثم المَهْديّ، كلّ هؤلاء رأيتُ وجوهَهم وقبّلت أيْدِيَهم وأخذتُ جوائزَهم». فليس من المعقول أن يكونَ العماني شاعراً يأخذُ الجوائزَ من الخلفاء: من مَروان ابن الحكم (٦٤ ـ ٦٥ هـ)، كما يمكن أن يفهم من هذه الجملة، ثم يعيشُ إلى ما بعدَ سَنَةِ ١٩٠ هـ. والمعقول أن يكونَ العُماني قد مَدَحَ مروانَ بن محمدٍ في أثناء ولايته على أرمينية وآذربيجان والموصل[6] ثم مدح يزيدَ بن الوليد

---

[1] الشعر والشعرا ٤٧٥.

[2] الاغاني (الساسي) ١٧ : ٧٨.

[3] الشعر والشعراء ٤٧٥. وفي سبب تسميته العماني رواية أخرى (غ ١٧ : ٨١ س). وما دام العماني من البصرة، فلعله منسوب إلى العمانية، وهي نخلة في البصرة لا يزال عليها طلع جديد وكبائس مثمرة وأخـر مرطبة (القاموس ٤ : ٢٤٩) ـ أي يدوم الحمل عليها طوال العام فيكون على بعضها بسر أخضر فج وعلى بعضها الآخر رطب (تمر) ناضج. ونخلة اسم لمكان في (جنوب) العراق (القاموس ٤ : ٥٥ س). ونخيلة (تاج العروس ٨ : ١٣٠ ـ ١٣١) في العراق قرب الكوفة في اتجاه الشام. والضرير (هنا): المريض المهزول (النحيل) لا الاعمى (راجع القاموس ٢ : ٧٥، السطرين ١٢ ـ ١٣). والمطحول الذي في طحاله مرض، ويكون عادة منتفخ البطن.

[4] الشعر والشعراء ٤٧٥ ـ ٤٧٦.

[5] غ ١٧ : ٨٢؛ راجع الاخبار الطوال، القاهرة (وزارة الارشاد القومي)، ١٩٦٠ م، ص ٣٩١.

[6] تولى مروان بن محمد هذه البلاد سنة ١١٤ هـ.

وأخاه ابراهيمَ بن الوليد ، وقد وَلِيا كِلاهما الخلافةَ نحو سَبْعَةِ أشهرٍ من سَنَتَيْ ١٢٦ و ١٢٧ هـ .

وبما أن العُماني قد أسَنَّ كثيراً فالراجحُ أن مولدَه كان بُعيدَ سَنَةِ ٩٥ هـ (٧١٤ م) وأن وفاته كانت قُبَيْلَ سنة ٢٠٠ هـ (٨١٥ م) .

٢ – العُمانيّ محمدُ بن ذُؤيبٍ شاعرٌ وراجز غير مُكثِرٍ فديوانه خمسون ورقةً (الفهرست ١٦٢) أو نحو ألفِ بيت . وكان العمانيّ ممن يجمعُ الرَّجَزَ والقَصيدَ [1] ، غير أنه كان شاعراً متوسّطاً أدنى درجةً من أشْجَعَ السُّلَمي وسَلْمٍ الخاسِر ومروانَ بن أبي حَفْصةَ [2] . وشعر العمانيّ سهلٌ عذب برُغم أنّه رجز ، وهو قليل الغريب . ومن فنون العُماني المدحُ والوصف ، وقد أجاد وصف الفرس ووصف النَّعام [3] .

٣ – المختار من شعره :

– مدح العُمانيّ عبدَ الملك بن صالح بن عليّ بن عبد الله بن عبّاس (أحدَ أقارب هرونَ الرشيدِ وممن كان ذا حقّ في الخلافة فصرفه المنصورُ عنها ونقلها إلى نسله) مُتَوسّلاً به إلى الوصول إلى الرشيد مع الشعراء فقال :

تَمَتْهُ العرانينُ من هـاشمٍ ... إلى النسبِ الأوضحِ الأصْرحِ [4]

إلى نَبْعةٍ فرعُها في السماء ... ومَغْرِسُها سُرّةُ الأبْطحِ [5] .

– ثم إن عبدَ الملك بن صالح أدخلَ العُمانيّ على الرشيد فأنشدَ العمانيّ بين يَدَيِ الرشيد :

هرونُ ، يا ابنَ الأكرمين حَسَبَا [6] ، ... لمّا ترَحَّلتَ فكنتَ كَثَبا

---

١ البيان والتبيين ١ : ٢٠٩ ، ٤ : ٨٤ .

٢ راجع الاغاني ١٧ : ٧٨ .

٣ الشعر والشعراء ٤٧٦ ؛ الكامل ٥١٣ ؛ ديوان المعاني ٢ : ١٢٧ .

٤ العرانين جمع عرنين (بكسر العين) : الانف ؛ مقدم الجبل (الرجل الشريف المقدم في قومه) .

٥ النبعة : مجتمع أصول النبات (كما نرى في حبة القمح مثلا يخرج منها سنابل كثيرة) ... مغرسها : أصلها ، منشأها . السرة : العقدة الظاهرة في جلد البطن . الابطح : الباحة التي في مكة . مغرسها في سرة الابطح : منشأها ومسكنها في وسط مكة (في أشرف مكان منها – هم أشرف الناس) .

٦ الحسب : الفعل الجميل الحميد ... لما ترحلت (انتقلت ، سافرت) – فكنت كثباً (قريباً) من أرض بغداد (عاصمتك ومكان سكناك وراحتك) .

من أرضٍ بغدادَ تَؤمُّ المَغْرِبـا ، طابت لنا ريح الجَنوب والصَّبـا [1]
ونزل الغيثُ لنـا حتّى رَبا : ما كان من نشرٍ وما تَصَوّبا [2] ،
فمَرْحباً ومرحباً ومرحبـا !

ـ كان هرون الرشيد يَهُمّ بتحويل الخِلافةِ من أبناء عُمومته إلى أبنائه . ويبدو أن الرشيدَ أطلقَ طرفاً من هذا الخبرِ بينَ الناسِ فدخل العُمّاني على الرشيد ، وعنده رؤساء الجند قائمين صفوفاً ، ثم أنشده :

لمّا أتانا الخَبَرُ المُشَهَّـرُ أغرَّ لا يَخْفى على من يُبْصِرُ [3]
يُخبّرُ النـاس ومـا يُسْتَخْبَرُ قلتُ لأصحابي ، ووجهي مُسْفِرُ [4] ،
وللرجالِ : حسبُكُمْ ، لا تُكثِروا . فازَ بها مُحَمّدٌ فـأقْصروا [5] .
فقل لِمَنْ كان قديماً يَتْجُـر : قد نُشِرَ العدلُ فبيعوا واشتروا [6] ،
وشَرّقوا وغَرّبـوا وبَشّـروا قد قُلّدَ الأمرَ الأغرُّ الأزهر
وابْتَهَجَ الناسُ بـه واسْتَبْشروا وهَلّلوا لربّهِمْ وكَبّـروا !
يا أيّهـا الخليفـةُ المُطَهَّـرُ والمؤمنُ المُبارَكُ المُوَقَّـر ،
مـا النـاسُ إلاّ غنم تَنَشَّر إن لم تَدارَكْهُمْ براعٍ يخطر [7] .

---

١ تؤم (تقصد) المغرب (الجانب الغربي من الخلافة : البلاد غرب بغداد) ، طابت لنا ريح الجنوب (وهي ريح حارة) وريح الصبا (الريح الشرقية ، وهي بليلة عليلة منعشة) . هذان الوصفان لريحين ينطبقان على العراق لا على الشام ، مثلا . ـ ان انتقالك في البلاد جعل البلاد كلها طيبة المناخ فاستوت جميع أنواع الرياح في الطيب والجودة .

٢ ربا : زاد ، كثر . نشر الكلأ (العشب) : يبس ثم أصابه مطر في أواخر الصيف فعاد إلى الاخضرار (القاموس ٢ : ١٤٢) . والنشر أيضاً بدء النبات . التصوب : كثرة المطر . ـ ان جميع الغيث الذي نزل قد نفع الزرع ، في أول الزرع وفي آخره .

٣ الخبر المشهور رغبة الرشيد بمبايعة محمد الأمين بولاية العهد . أغر : أبيض (واضح) .

٤ يخبر الناس وما يستخبر : يعلن على الناس مضمونه بوضوح من غير أن يحوج أحداً إلى الاستفهام والاستفسار . وجهي مسفر (مكشوف) : مسرور ، راض .

٥ حسبكم (يكفيكم تسمية محمد الامين لولاية العهد) فلا تكثروا (من تسمية أشخاص آخرين) . أقصروا : توقفوا عن بذل الجهود (في سبيل غير محمد الامين) .

٦ يشروا الذين يتجرون : يسافرون بالتجارات (أن الامن قد استقر والعدل قد عم) .

٧ غنم تنشر (أو تنسر) تتفرق (فيعدو عليها الذئاب) . ان لم تداركهم (تسرع اليهم قبل أن يفوت الأوان) براع (ولي للعهد وخليفة مقبل) يخطر (يرفع رمحه ويخفضه ـ يهدد به أهل الشر من الناس كما يحمي الراعي بسلاحه الغنم من الذئاب) .

فامْنُنْ علينا بيَد لا تُكْفَـر واجْـبُـرْ كما كان أبوك يجبر [1] .
لا خيرَ في مُجَمْجَم لا يظهـر ولا كتابِ بَيْعَةٍ لا يُنْشَر [2] .
وقد تَرَبّصتَ فَلَسْتَ تَغْـدِر ، فليتَ شعري ، ما الذي تنتظر [3] :
أنائم أنت بــه أم تسـهر ، مـا لك ؟ في مُحمّدٍ لا تُعذَر . [4]
وليتَ شعري ، والحديث يُؤثَر ، أتَرْقُدُ الليلَ ونحن نَسْهر [5]
خوفـاً على أمورِنا ونَضْجَـر . والله ، والله الذي يُسْتَغْفَر ،
لأنْ يموتَ مَعْشَرٌ ومعشر خيرٌ لنا من فتْنَة تَسَعّر [6]
يَهْلِكُ فيها دينُهم ويُوزَروا . وأعْلَمْ ، وانتَ المرءُ لا يُبَصّر [7]
أنّ الرجالَ إنْ وَلُوهـا آثَـروا ذوي القَرابات بها واستَأثَروا [8]
بها ، وضلَّ أمْرُهُمْ واستكبروا. فَـأحْكِـمِ الأمر وأنت تَقْدِر [9] ،
فمثلُ هذا الأمرِ لا يُؤخَّر !

٤ — •• طبقات ابن المعتز ١٠٩ — ١١٤ ؛ الاغاني ١٧ : ٧٨ — ٨٢ ؛ تاريخ بغداد ٥ : ٢٧٠ — ٢٧١ ؛ الوفي بالوفيات ٣ : ٦٦ — ٦٧ .

---

١ أمنن عليهم (امنحهم ، أعطهم) بيد (بنعمة) لا تكفر (لن ينسوها ، سيظلون يذكرونها لك) . واجبر (كن جريئاً في تحويل الخلافـة إلى أبنائك) كما جبر أبوك المهدي حينما حول الخلافة من ابن عمه عيسى بن موسى بن محمد بن علي إلى ولديه (إلى أخيك موسى الهادي وإليك) .

٢ لا خير في (أمر مفيد) مجمجم (مكتوم ، يجول في الصدر ولا يجسر صاحبه على اعلانه) . الكتاب (هنا) : الحكم (العهد) .

٣ تربصت : انتظرت المدة المطلوبة (فلم تجد الذين كانت لهم ولاية العهد يستحقونها بعمل حميد أو نبـاهة ذكر !) إذا بايعت لابنك لا تكون غادراً (لأنك لم تجد خيراً منه) .

٤ في الاغاني (١٧ : ٧٩) : أأنت نائم به أم تسهر . — أغافل أنت عن استحقاق ابنك محمد الأمين أم مدرك لذلك ، وإلا فما بالك تتأخر . إن الناس لا يعذرونك في هـذا التأخر الذي لا مبرر له .

٥ الحديث يؤثر : ينتقل من شخص إلى شخص ويدور بين الناس : أيغفل الخليفة عنا ونحن نظل أيقاظـاً (خائفين على مستقبلنا) ثم نضجر : نسأم ، نمل (من الانتظار) .

٦ إذا ماتت جماعة (من الغيظ) أيسر من أن تحدث فتنة (إذا جاء إلى الخلافة شخص لا يرضاه الناس) . تسعر : تشتعل ، تتسع (يكثر القتل فيها) .

٧ يهلك (يضيع) دينهم : يحدث فيه انشقاق . يوزر (بفتح الياء بالبناء المعلوم أو بضم الياء بالبناء المجهول ، وبفتح الزاي في الحالين) : يحمل وزراً ، يكسب ذنباً أو خطيئة . يبصر : يدل على موضع الصواب .

٨ و ٩ الملموح في البيتين : ان الرجال (الآخرين) إذا ظفروا بالخلافة فضلوا مصلحة ذوي قرباهم على مصلحة الأمـة واستبدوا بأمرها (وظلموا الامة حقوقها) واستكبروا (طغوا وتجبروا) . اذن ، أحكم الأمر (أتقنه ، صنه من الفساد ، رتبه ترتيباً عاقلا حكيماً) وأنت تقدر (ما دمت قادراً على ذلك) .

ابن مُناذر[1]

١ ـ وُلِدَ محمّد بن مُناذر في عَدَنَ في أواخر العصر الأُمويّ . ولمّا شبّ جاء إلى البصرة وأخذ العلمَ عن أهل الفقه والحديث والأدب ثم بدأ نجمُه يعلو منذ أيام المنصور . وتكسّب ابن مناذر بالشعر وانقطع إلى البرامكة ومدح الرشيدَ ونال منهم كلّهم جوائزَ سنيّةً .

وكان ابن مناذر في أول أمره حميدَ الأمر حسن المُروءة عفيفاً متألّهاً ذا صلاحٍ وحِلم ووَقار ، وكان يُملي شيئاً من الأخبار وغريب الحديث والنحو في مسجد البصرة ، إلاّ أنه كان كثيرَ النِزاع للعلماء والشعراء : نازع الخليلَ ابن أحمدَ وأبانَ اللاحقيّ وأبا العَتاهية وغيرَهم ثم اشتهر عنه أنه زِنديق دَهْريّ فساءت سمعته عند الخاصة والعامة .

بعد هذا كلّه تبدّلت نفسيةُ ابن مناذر وحياتُه تبدّلاً عظيماً لمّا تطوّرت صلته بشابّ اسمهُ عبد المجيد الثَقَفيّ : كان عبدُ المجيد الثقفي شابّاً من أحسن النّاس وَجْهاً وأدباً وحالاً ، وقد نشأت بينَه وبين ابن مناذر صداقةٌ ثم تعلّق ابن مناذر بعبد المجيد فأصبحَ يتعشّقه ويتغزّل به . تزوّج عبد المجيد وأقيمت له الأفراح فاتّفق أن قام في أثناء ذلك ليُصْلِحَ سِتارةً على سطح دارِه فسقط على رأسه وتُوُفِّيَ وعُمْرُهُ إذ ذاك عِشرونَ سنَةً ، وذلك قبل نكبة البرامكة (١٨٧ هـ ، ٨٠٣ م) . فحَزِنَ ابن مناذر على عبد المجيد حُزناً شَغَلَ نفسَه واستغرق بالَه وزاد فيه على حُزن أخَوات عبد المجيد وأمّه ، ثُمّ أكْثَرَ من رِثائه .

وعَمِلَت المُصيبة في نفس ابن مناذر فظهر تَهتّكه وانكشف أمرُه ، وكان يَؤُمّ النّاسَ في مسجد البصرة فأحْجَمَ النّاسُ عن الصلاة وراءه ثم أخرجوه من البصرة فهرَب إلى مكّة وجاورَ فيها لا يبرحُ مسجدَها ، وكان في أثناء ذلك يُملي أشياءَ من الأخبار والنحو وغريب الحديث . وكُفَّ بصرُ ابنِ مناذرٍ في آخرِ أيّامه ثم توفّي في مكّة في مطلع سنة ١٩٩ هـ (٨١٤) ، أو مطلع سنة ١٩٨ هـ .

[1] راجع مقالا مفصلا في حياة ابن مناذر للمؤلف في مجلة « العلوم » (بيروت) تشرين الاول (أكتوبر) السنة السادسة (١٩٦١) العدد ١٠ ، ص ٨ ـ ١١ .

٢ – ابن مناذر شاعرٌ مُكثِر مُطيل من حُذّاق المحدّثين وفُحولهم ومذكورِيهم ، ومن الخُطباء الكِبار المشهورين . وله في شعره شِدّةُ كلامِ العربِ (الجاهليين) وحلاوة كلامِ المحدّثين مَعَ الإتيان بالمَثَلِ السائر والمعنى اللطيف واللفظ الفَخْم الجليل والقول المُتَّسِقِ النبيل . أما فنون شعره فهي المدح والرثاء والهجاء والوصف والغزل والأدب ، وله وصف جيّد في الفرس . وقد غَلَبَ على شعره شيءٌ من المُجون ، وخصوصاً بعد وفاةِ عبد المجيد الثقفي . ومرثيتُه في عبد المجيد ، كما يرى ابن المعتزّ ، قد سارتْ في الدنيا وذُكِرَتْ في المراثي الطوال الجِياد ، وهي فَحْلة فصيحة جداً ، وقد عارض فيها قصيدة أبي زُبيد الطائي في رثائه لأخيه[١] .

٣ – المختار من شعره :

– قال ابن مناذر يرثي عبد المجيد الثقفي :

كلُّ حيٍّ لاقي الحِمامِ فمُودي ؛ ما لحيٍّ مُؤمَّلٌ من خلودِ .
لا تَهابُ المنونُ شيئاً ، ولا تَرْ عى على والـد ولا مَوْلود !
يَقْدَحُ الدهرَ في شَماريخِ رَضْوى ويَحُطّ الصخورَ من هَبّود[٢] .
أين ربُّ الحِصنِ الحَصينِ بسورا ء ، وربّ القصر المُنيف المَشيد[٣]
شادَ أركـانَه وبَوّبـه با بَيْ حديدٍ وحَفّـه بجُنود ،
كان يُجْبى اليه ما بين صَنعـا ءَ فبُصْرى فقريتَيْ يَبْرود[٤] .
فرمى شخصَه ، فأقصدَه ، الدهـ ـرُ بسَهْمٍ من المنـايا سَديد .
ثم لم يُنْجِهِ من الموت حِصنٌ دونـه خَنْدقٌ وبابا حديـد .
ولَوَ ان المنونَ أخْلَدْنَ شخصاً لعَلاءٍ أخْلَدْنَ عبدَ المجيـد :
إن عبد المجيد يومَ تَوَلّى هدّ رُكْنـاً ما كان بالمهـدود .

---

١ راجع الجزء الأول (الادب القديم) ، ص ٢٩٥ – ٢٩٧ .

٢ يقدح : يقطع . شماريخ : رؤوس . رضوى اسم جبل . يحط : يلقي من عل . هبود كلمة متخيلة يقصد بها ابن مناذر اسماً لجبل .

٣ سورى (بضم السين) وسوراء موضع من أعمال بغداد ، ولعل ابن مناذر يعني به الحيرة وملكتها القديمة .

٤ صنعاء في اليمن ، بصرى في حوران جنوب الشام ، يبرود في شمالي الشام .

ما دَرى نعشُه ولا حـاملوه ما على النعش من عفافٍ وجود !
ويحَ أيدٍ حثَت عليه ، وأيـد غيّبته ، ما غيّبت في الصعيد ! [1]
هدَّ رُكني عبدُ المجيد ، وقد كنـ تُ بركنٍ منه – أبوءُ – شديد [2] .
وسقاه ماءُ الشبيبة فـاهتـ زّ كغُصن الأراكةِ الأُملود [3]
وسمَتْ نحوه العيونُ ، وما كا ن عليه لزائدٍ من مزيد .
فإذا ما ذكرتُـه عرَضَتْ لي غُصّةٌ في اللّهـا وحبلِ الوريد [4].
وكأنّي أدْعوه – وهو قريـبٌ حين أدعوه – من مكانٍ بعيد .
فلئنْ كان لا يجيبُ ، فقد كا ن سميعاً هَشّاً إذا هو نُودي [5] .
يا فتىً كان للمقامات زَيْنـاً – لا أراه في المَحفِل المَشْهود –
خنتُكَ الوُدّ : لم أمُتْ جزَعاً بعـ دُ . فإني عليك حق جليد .
لو فدى الحيُّ ميّتاً لفَدَتْ نفـ سَكَ نفسي وطارفي وتليدي .
فبكُرْهي كنتَ المُعجَّلَ قبلي ، وبرُغْمي دُلّيتَ في ملحود.
كنتَ لي عِصمةً ، وكنتَ سماءً بك تحيا أرضي ويخضرُّ عودي!

٤ – ٥ الكامل للمبرّد (ليبزغ) ٧٤٧ – ٧٥٠ ؛ طبقات ابن المعتزّ ١١٩ – ١٢٦ ؛ الاغاني ١٧ : ٩ – ؛ معجم الأدباء ١٩ : ٥٥ – ٦٠ ؛ وفيات الاعيان ٣ : ٢٢٥ – ٢٢٦ (في ترجمة يحيى بن خالد) .

ربيعة الرَّقّي

١ – هو أبو شَبابة (وقيل أبو ثابت) ، وقيل : أبو أسامة (غ ١٥ : ٤٢) ربيعةُ بن ثابتٍ [6] بن لَجَأ بن العَيزار بن لجأٍ الاسديُّ الانصاريّ مولى بني

---

١ حثت : هالت عليه التراب في قبره . غيبته : دفنته . الصعيد : التراب .
٢ أبوء : أرجع (إذا حزبني أمر) .
٣ الاراكة : شجرة في الحجاز يؤخذ منها المساويك . الاملود : اللين الذي يتمايل .
٤ اللهاة (بفتح اللام) : الحنجرة . حبل الوريد : عرق غليظ في جانب العنق .
٥ هشاً : بشوشاً في وجه الضيف .
٦ في العمدة (١ : ١٦٤ – ١٦٥) : ربيعة بن عبد الرحمن .

سُليم ؛ وكان يلقب بالغاوي .

كان مولدُ ربيعةَ ومنشأه في مدينة الرّقة على الفُرات الأعلى ، وكان ضّريراً . ولم يشتهر لبُعده عن العِراق ولتركه الوفادةَ على الخلفاء ومُخالطةَ الشعراء . ويبدو أنه وُلِدَ في أيامَ بني أمية ، ولكننا لا نَعْرِفُ له نَباهةً قبلَ أيام بني العباس .

هجا ربيعةُ الرّقي يزيدَ بن أبي أُسيد السُّلمي الذي تولّى أرمينية زماناً طويلاً ، في أيام المنصور ثم في أيام المَهديّ . ثم أدرك ربيعةُ أيامَ الرشيد .

٢ – ربيعة الرَقّي شاعرٌ مطبوعٌ مُجيد مُكثر اختار له ابنُ المعتزّ في طبقاته (ص ١٥٧ – ١٧٠) نحو مائتي بيتٍ . ولكنْ شعرَه لم يَكْثُرْ بأيدي العوامّ . وشعرُه كلّه مليحٌ عَذْبٌ جيدٌ هيّنٌ ؛ وفي الأغاني (١٥ : ٣٩) : "في شعرِه لينٌ". ولربيعةَ الرَقّيِّ مدحٌ وهجاء وغزل . وغزلُه يَفْضُلُ غزلَ أهلِ زمانه وغزلَ أبي نواسٍ أيضاً ، لأنّ في غزل أبي نواس برداً كثيراً ؛ وغزلُ هذا سليمٌ عَذْبٌ سهلٌ[1] .

٣ – المختار من شعره :

– قال ربيعة الرقي يمدح يزيد بن حاتِم بن قُبيصةَ بن المهلّب بن أبي صُفْرة الأزديّ ، وهو يومئذ والي أرمينية (١٥٤ – ١٧٠ هـ) ، وكان إليه مُحْسناً . والشاعر يُعَرِّضُ هنا بيزيد بن أسيد السُلمي ، وكان قد ولي أرمينية أيضاً قبل ذلك لبني العباس فمدحه الشاعر فقصّر في حقه . وكان يزيد بن حاتم من أشراف قيس وشجعانهم ، وكان في يزيد بن أسيد تَمْتمةٌ :

لَشَتّانَ ما بينَ اليزيدَيْنِ في النّدى: يزيدَ سُلَيمٍ والأغرِّ ابنِ حاتِمِ .
يزيدُ سُلَيمٍ سالمُ المالِ ؛ والفتى أخو الأزدِ للأموال غيرُ مُسالم .
فَهَمّ الفتى الأزديّ إتلافُ ماله ؛ وهَمّ الفتى القَيْسي جَمْعُ الدراهم !
فلا يَحْسَبِ التَمْتامُ أني هَجَوْتُه ، ولكنني فضّلتُ أهلَ المكارم !
فيا ابنَ أسيدٍ ، لا تُسامِ ابنَ حاتمٍ فتَقْرَعَ – إنْ ساميتَه – سِنَّ نادم .

---

١ وفيات الاعيان ٣ : ٢٩٥ .

هو البحرُ إن كلّفتَ نفسَك خوْضَه ... تهالكْتَ في آذيّه[1] المُتلاطم
تمنّيتَ مجداً في سُليمٍ سفاهةً : ... أمانيَّ خالٍ[2] أو أمانيَّ حالِمِ .
ألا إنما آلُ المُهلَّبِ غُـرّةٌ ، ... وفي الحربِ قاداتٌ لكم بالخزائم[3]

– ومدح العباسَ بن محمد بن علي بن عبد الله بن العباس فقال :

لو قيل للعبّاس : يا ابنَ محمدٍ ، ... قلْ : « لا » ، وأنتَ مخلَّدٌ ، ما قالَها !
ما إنْ أعُدَّ من المكارمِ خصلةً ... إلاّ وجدتُك عمَّها أو خالَها .
وإذا الملوكُ تسايروا في بلدةٍ ... كانوا كواكبَها وكنتَ هلالَها .
إنَّ المكارِمَ لم تزَلْ معقولةً ... حتى حلَلْتَ براحتيك عِقالَها[4]

٤ – •• طبقات ابن المعتزّ ١٥٧ – ١٧٠ ؛ الاغاني (بولاق) ١٥ : ٣٨ – ٤٤ ؛ معجم الأدباء ١١ : ١٣٤ – ١٣٦ ؛ وفيات الاعيان ٣ : ١٩٤ – ٢٩٥ (في ترجمة خالد بن يزيد الازديّ) ؛ زيدان ٢ : ١٠٤ – ١٠٦ .

أبو نُواسٍ

١ – وُلِدَ أبو نُواسٍ الحسَنُ بن هاني في سوق الأهواز ، إحدى قُرى خُوزِستانَ في الجنوب الغربيّ من فارسَ ، سنة ١٤٠ هـ (٧٥٧ م) . وهُو مُولَّدٌ : عربي من جهة الأبِ ، فارسي أو سِنْديّ من جهة الأمّ . ولما بلغ أبو نواس السادسةَ من عُمُرِهِ وَفَدَت به أمه إلى البصرة ووضعته خادماً عند عطّار فيها . واتفق أن الشاعرَ الكوفيّ الخليعَ والِبةَ بن الحُباب قَدِمَ الكوفةَ فأبصر أبا نواس عند العطار – وقد بلغ عشرَ سنينَ – فَراقَهُ وأُعْجِبَ بظَرْفه فأقنعه بأن يُرافقه إلى الكوفة ليُخرِّجَهُ في الشعر (راجع ، فوق ، ص ١٠٠) ؛ ومع أن والبةَ قد أفسد أبا نُواسٍ فانه اكتشف مواهبَه وصَقَلَ شاعريته . ثم إن أبا نواس ترك الكوفة وعاد إلى البصرة يطلب التوسع في العلم ، ولكنه عاش فيها أيضاً عيشةَ لهو وترف .

١ تهالك : سقط عن ارادة منه . الآذي : الامواج .
٢ الخالي : الذي لا عمل عنده (يقطع أيامه بأماني لا يقصد تحقيقها) .
٣ وفي الحرب قادات لكم بالخزائم : يأسرونكم فيربطونكم ليجروكم .
٤ معقولة : مربوطة . والعقال : الرباط .

ولما بلغ أبو نواس الثلاثين من عُمُره انتقل إلى بغدادَ ، في أول خلافة هرونَ الرشيد (١٧٠ - ١٩٣ هـ) وبدأ حياته فيها بمنادمة أمراء البيت العباسي . وفي بغدادَ تألّفتْ حولَ أبي نواسٍ عصابة سُوء من الشعراء المُجّان أمثال مُطيعِ ابنِ أياسٍ والحسينِ الخليعِ بن الضّحّاك وحمّادِ عجرَدٍ وأبان بنِ عبدِ الحميد اللاحقِيِّ والجارية عِنانَ . وكان أبو نواس يمثّل معَ هؤلاء ناحية اللهو من البيئة العباسية في القرن الهجريِّ الثاني .

وكان بَلاطُ هرون الرشيد يجمع عدداً كبيراً من الأدباء والشعراء . وكان أبو نواس نديماً لهرونَ في مجالس أنسه لا يَصْحَبُه في الغزَوات ولا يظهر معه في الأعياد . أما الشاعرُ الرسميّ للرشيد فكان مروانَ بن أبي حَفْصَة الكبيرَ .

ويبدو أن الوَحشة وقعت بين أبي نُواسٍ وهرونَ الرشيدِ بعد نكبة البرامكة، وكان أبو نواس يمدحهم ويُكثِر ، كما كانَ استهتارُ أبي نواس قد زادَ وظهر وجَعلت الألسنُ تتناول الرشيدَ من أجل نديمهِ - فذهب أبو نواس إلى مصرَ ومدح عاملَها الخَصيب . فزاد ذلك في غضب الرشيد على أبي نواس ، لأن أبا نواس مدح عاملاً من عماله (موظّفيه) ثم بالغ في مدحه حتى بَدَتْ تلك المبالغة وكأنها تعريض بالرشيد نفسه . فلما عاد أبو نواس الى بغداد أخذه الرشيدُ ببعض أقواله في الخصيب وفي الخمر وسَجَنه . وتُوُفّي الرشيد (١٩٣ هـ = ٨٠٩ م) وأبو نواسٍ في السجن . وخلف الأمينُ أباه الرشيدَ على سُدّة الخلافة العباسية فأطلق سَراح أبي نواس واتخذه شاعراً ونديماً .

وتوفي أبو نواس في سنة ١٩٩ هـ (٨١٣ م) ، بعد الأمين بمدة وجيزة .

٢ - كان أبو نواس قليلَ الاهتمام بالشعوبية التي كانت ثائرة في أيامه : لم يكن مُتَعَصّباً للعرب على الفرس ، ولا لغير العرب على العرب . على أنه كان ، بلا ريب ، يُفَضّل الحياةَ الحضرية وتَرَفها (كما عرَفَتها الفرس) على الحياة البدويةِ وشَظَفِها (وهي عربية بدوية في الأصل) . وكان يهجو الأعراب ومُستوى معيشتهم لا العربَ وأمجادَهم ، قال في ذلك :

ولا تأخُذْ عنِ الأعرابِ لَهْواً ... ولا عَيْشاً فعيشُهُمُ جَديبُ .
ذَرِ الألبانَ يشربها أناسٌ ... رقيقُ العيش عندهمُ غريب .
فأطيبُ منه صافيةٌ شَمولٌ ... يطوف بكأسها ساقٍ أريب :

فهذا العيشُ ! لا خيمُ البوادي . وهذا العيش ! لا اللبنُ الحليب .
فأينَ البدوُ من إيوانِ كسرى ؟ وأين من الميادين الزَروب ؟

وأما في الدين فكان أبو نواس وطيد الايمان بالله ، ولكنْ قليلُ الاحتفال بما شُرع في الدين من عبادات وبما جاء فيه من أوامرَ ونواهٍ ، ولذلك أتهِمَ بالزندقة :

أيها العاتبُ في الخمر ، متى صرت فقيهـا ؟
لو أطعْنا ذا عتـابٍ لأطَعْنـا اللهَ فيهـا !

– يا من يلومُ على صَهْباءَ صافيةٍ صِرْ في الجِنانِ ودَعْني أسكنُ النارا.

وأما في الحياة فكان يتطلّب اللّذّةَ المادية العاجلة معَ الاستهتار : لقد نظر إلى الحياة بأستخفافٍ لأنها فُرصةٌ عابرة ، ثم انه لم يُقِمْ للناس ولا لقوانينهم الاجتماعيةِ وَزْناً :

غدَوْتُ على اللذاتِ منهتكَ السترِ ؛ وأفضت بنات السر مني الى الجَهْرِ .
وهان عليَّ الناسُ في ما أُريدُهُ بما جِئْتُ فاستَغْنَيْتُ عن طلب العذرِ .
رأيتُ الليالي مُرْصَداتٍ لمُدّتي فبادرتُ لذّاتي مُبادَرَةَ الدهر .
رَضيتُ من الدنيا بكأسٍ وشادنٍ تحيّر في تفصيله فَطِنُ الفِكر .

وأبو نواسٍ شاعرٌ على المذهب البغدادي . وهو الشاعر المُحْدَثُ الذي يمثّل الاتجاهَ الأدبيّ في صدر العصر العباسي أصدَق تمثيل . ثم هو شاعر مُكْثِرٌ تَصَرّفَ في مُعْظَم فنون الشعر من مديح وهجاء ورثاء وعتاب وغزل مؤنث ومذكر ، ومن طَرْدٍ وخمر وزهد . وكان بصيراً باللغة متينَ الأُسلوبِ يميل إلى الألفاظ الفصيحة والتركيب السهل الواضح ، وخصوصاً في فنونه الوجدانية . وكان يكره الصِناعة كُرْهاً شديداً .

يتمثل اللهو في شعر أبي نواس في ثلاثة أغراض : في الغزل وفي الطّرد (وصف الصيد) وفي الخمر .

أبو نواس شاعر الخمرِ قال فيها أشعاراً لم يَقُلْ أحدٌ مثلَها . ثم هي أحسنُ شعره ، ما أجاد في فنٍ إجادته فيها : فقد سَبَقَ إلى مَعانٍ في الخمر لم يأتِ بها أحدٌ قبله ؛ وأجرى أبو نواس شاعريته في الخمر على سَجيّتها فكانت خمرياته من أجل ذلك ، مَجْلى شخصيتهِ . إنّه شرب الخمر وخَبَرَ بنفسه

حسناتها وسيئاتها فوصفها عن معرفة صحيحة. وجعل أبو نواس من الخمريات موضوعات تامة ذات تفاصيل، **وقصر القصيدة على الخمر كما قصر عمر من قبل القصيدة على الغزل**، وأدخل القصص على شعره في الخمر.

يصف أبو نواس دوران الخمر على الشرب (الذين يشربون الخمر معاً) بعد أن يستنفد القولَ في وصف كرمها وعصرها وصنعها ودنانها وكؤوسها، وبعد أن يتفنن في ذكر قدمها. ثم انه يصف طعمها ولونها ورائحتها، ثم ينتقل إلى وصف الشاربين. بعدئذ يصف تأثيرها التدريجي في نفسه ونفوس ندمانه بكل لباقة ودقة. ثم هو لا يكتفي بذلك ويعترف بذنبه ليتوب منه، بل ينصب نفسه للدفاع عنها وعن نفسه، وعن الذين يشربونها ويناصب من لا يشربها العداء.

٣ – مختارات من خمريات أبي نواس

– يا شقيق النفس من حكم!

يا شقيقَ النفسِ من حكَمٍ، نِمتَ عن ليلي ولم أنَمِ [١]،
فاسقني البكرَ التي اختمرتْ بخمار الشيب في الرَّحِمِ [٢]
ثُمَّتَ حتى لو اتّصلتْ بلسانٍ ناطقٍ وفمِ،
لاحتبتْ في القوم ماثلةً ثم قصّت قصّةَ الأمم [٣].
فرعتُها بالمزاج يدٌ خُلقت للسيف والقلم [٤].
في ندامى سادةٍ زُهُرٍ أخذوا اللذاتِ من أممِ [٥].
فتمشّت في مفاصلهم كتمشّي البُرْء في السّقم.

---

١ حكم: قبيلة انتسب أبو نواس اليها بالولاء.

٢ (الخمر) البكر: التي لا تزال في دنها مختوماً. خمار الشيب: نسج العنكبوت. – يشبه الخمر بجنين لا يزال في بطن أمه (في الدن) منذ عهد بعيد حتى أن العنكبوت نسج حوله خماراً أبيض (علامة على الشيب).

٣ احتبى: جلس القرفصاء ثم جعل شملة أو نحوها حول ركبتيه و ظهره (وذلك يساعد على طول الجلوس من غير تعب). ماثلة: بارزة، ظاهرة، مقبلة على الناس.

٤ فرع: شق؛ فرع الخمر بالمزاج: مزجها بالماء.

٥ زهر جمع أزهر: أبيض، عظيم مشهور. أخذوا اللذات من أمم (قرب): تمتعوا باللذات على مهل وكانوا قادرين عليها (لغناهم مثلا).

فَعَلَتْ في البيت ، إذ مُزِجَتْ ، مثلَ فعلِ الصُبْح في الظُلَم ،
فَٱهْتَدَى ساري الظَلام بهـا كاهتداءِ السَفْر بالعَلَم [1] .

— مغامرة خمرية :

وفِتيانِ صِدْقٍ قد صَرَفْتُ مَطِيَّهُم إلى بيت خمّارٍ نَزَلْنا به ظُهْرا [2] .
فلما حَكَى الزُنَّارُ أنْ ليس مُسلِماً ظَنَنَّا به خيراً فظن بنا شرّا [3] .
فقلنا : على دِين المسيح بن مريمٍ ؟ فأعرض مُزْوَرّاً وقال لنا هُجْرا [4] ،
ولكنْ يَهوديٌّ يُحِبّكَ ظـاهِراً ويُضْمِرُ في المكنونِ منه لك الغَدْرا !
فقلت له : ما الإسْمُ ؟ قال : سَمَوْألٌ ، ولكنني أُكْنى بعمرٍو ولا عَمْرا [5]
وما شرّفتني كُنْيَـةٌ عربيـة ، ولا أكسبتني لا ثناءٌ ولا فخرا ،
ولكنها خَفّتْ وقلَّ حُروفُها . وليست كأخرى إنما جُعِلتْ وَقْرا [6] .
فقُلنا له عُجْباً بظَرْفِ لسـانه : أجَدتَ ، أبا عمرٍو ، فجوّدْ لنا الخمرا .
فأدبر كالمُزْوَرّ يَقْسِمُ طَرْفَــه لِأرْجُلِنا شَطْراً وأوجهِنا شطرا [7] .
وقال : لَعَمْري ، لَو نزلتم بغيرنـا لَلُمْناكُمُ ، لكن سنُوسِعُكم عُذْرا [8] .
فجاء بهـا زَيْتِيّةً ذهبيـة ، فلم نَسْتَطِـعْ دونَ السُجودِ لها صبرا .
خرجْنا على ان المُقـامَ ثلاثةٌ ، فطابتْ لنا حتى أقمنا بها شهرا [9] .
عِصابةُ سوءٍ لا ترى الدهرَ مِثْلَهم ، وإن كنتُ منهم لا بريئاً ولا صِفْرا [10] .

---

١ الساري : المسافر في الليل . السفر (بفتح فسكون) : الذين يسافرون معاً . العلم : الجبل .

٢ المطي جمع مطية : الدابة التي يركبها الإنسان . صرفت مطيهم : وجهت سيرها وجهة أخرى .

٣ كان غير المسلمين في العصر العباسي يلبسون زناراً ، وكان ذلك خاصاً بهم . ثم عم لبس الزنار فيما بعد .

٤ ازور : أدار وجهه . الهجر : الكلام القبيح .

٥ أكنى بعمرو : يقال لي : أبو عمرو . ولا عمرا : ليس لي ولد اسمه عمرو .

٦ كأخرى : مثل كنية أخرى . جعلت وقراً (ثقيلة على السمع أو طويلة) .

٧ طرفه : لحظه ، بصره . يقسم طرفه ... : ينظر الينا من أسفل إلى أعلى فعل المستغرب أو قليل الاهتمام .

٨ يظهر أن الخمار رآهم يقصدون غيره ثم جاءوا اليه ، فهو يعاتبهم ولكنه يقول سأعذركم هذه المرة .

٩ المقام : المكث والاقامة . ثلاثة : ثلاثة أيام .

١٠ الدهر : طول الدهر . — أنا أقول عنهم إنهم عصابة سوء مع أني واحد منهم .

إذا ما دنا وقتُ الصَّلاةِ رأيتَهـــمْ يَحثُّونها حتى تَفوتَهُم سُكْرا [1] .

— وداوني بالّتي كانت هي الداء :

دَعْ عنك لَوْمي فإنّ اللومَ إغراءُ ، وداوِني بالّتي كانت هي الداءُ [2] :
صفراءُ لا تَنْزِلُ الأحزانُ ساحتها ، لو مَسَّها حجرٌ مسته سَرّاءُ ! [3]
قامت بإبريقها والليــل معتكِــرٌ فَلاحَ من وجهِها في البيت لألاء [4] .
فأرسلتْ من فمِ الإبريق صافيــةً كأنما أخْذُهـــا بالعين إغفـــاء .
رقّتْ عنِ الماء حتّى ما يُلائمهــا لَطافةٌ وجفا عن طبعِها المـاء .
فلو مزجتَ بهـا نوراً لَمازجَهــا حتّى تَوَلّدَ انوارٌ وأضواء .
دارتْ على فِتْيةٍ دارَ الزمان بهم فما يُصيبهمُ إلّا بما شـاءوا [5] .
لِتلكَ أبكي ولا أبكي لِمَنْزِلَــةٍ كانت تَحِلّ بهـا هِندٌ وأسماء [6] .
حاشا لِدُرّةَ أن تُبنى الخيامُ بها ، وأن تروحَ عليها الإبْلُ والشاء [7] .
فقلْ لمن يَدّعي في العلم معرفةً: حَفِظتَ شيئاً وغابتْ عنك أشياء [8] .
لا تحْظُرِ العَفْوَ إنْ كنتَ امرَأً حَرِجاً فأن حَظْرَكَهُ بالدين إزراء [9] .

---

١ — إذا دنا وقت الصلاة أسرعوا في شرب الخمر فيحل وقت الصلاة ثم ينقضي وهم سكارى لا صلاة عليهم (أخذ أبو نواس هنا باحدى الآيات التي نزلت في الخمر قبل أن تحرم الخمر قطعاً : « يا أيها الذين آمنوا، لا تقربوا الصلاة وأنتم سكارى حتى تعلموا ما تقولون » — سورة النساء ، ٤٣ — ولكن هذه الآية نسخت ، أي بطل حكمها . غير أن أبا نواس يحتج بها . وذلك من زندقته !

٢ — ان لومك لي على شرب الخمر يغريني (يدفعني إلى الاكثار من شربها) . يبدو أن الذي أصيب بالخدر من تعاطي مادة ما إذا أخذ مقداراً جديداً من تلك المادة كان ذلك المقدار منبهاً له إلى حين !

٣ سراء : سرور ، طيب العيش .

٤ قامت الساقية تحمل ابريق الخمر والليل لا يزال مظلماً فأضاء البيت من جمال وجهها .

٥ — تقلب الدهر بهم ولم يصبهم إلا بما شاءوا (بالسرور والنجاح الخ) .

٦ أبكي إذا فقدت الخمر يوماً ، ولا أقف على أطلال هند وأسماء وأبكي .

٧ يبدو أن درة كانت مكاناً يكثر فيه العنب الجيد — . أجل درة من أن تكون منزلا للبدو ينصبون فيها خيامهم وترعى فيها غنمهم وجمالهم .

٨ يخاطب أبو نواس في هذا البيت ابراهيم النظام ، وكان النظام من علماء الكلام الذين يعتقدون أن من أتى ذنباً كبيراً (كشرب الخمر ، وبالتالي مثل أبي نواس) يخلد في النار .

٩ لا تحظر (تمنع) عفو الله عن المذنب مهما كبر ذنبه ومهما كنت أنت حرجاً (متشدداً) . ازراء : عيب ، احتقار .

– ومن هجائه المشهور المؤلم هجوه لأحمد بن يَسارٍ الجُرجاني :

بما أهجوكَ ؟ لا أدري ! لساني فيكَ لا يَجْـري .
إذا فكّرتُ في عِرضِـ ـكَ أشفَقْتُ على شِعري .

– خمر واستهتار :

ألا فاسْقِني خمراً وقلْ لي: « هي الخمرُ »! ولا تَسْقِني سِرّاً إذا أمكن الجَهْرُ.
فعيشُ الفتى في سَكرةٍ بعد سكرة ؛ فإنْ طال هذا عنده قَصُرَ الدهر .
وما الغُبن إلاّ أن تراني صاحياً ، وما الغُنْمُ إلّا أنْ يُتَعْتِعَني السُكر .
فبُحْ باسْمِ من أهوى ودَعْني من الكُنى فلا خيرَ في اللذّاتِ من دونها سِتر .
ولا خيرَ في فَتكٍ بغير مَجانة ؛ ولا في مُجون ليس يتبعه كفر .

– ندامة فتوبة فزهد :

أسرفَ أبو نُواسٍ في الشراب واللهو حتى انكسر نشاطُه وعجَز عن متابعة سيرته الأُولى فانقلبَ إلى نفسه يلومُها ويُظْهِرُ الندمَ على ما أسْلَفَ في الايام الخالية ويطلبُ العفوَ من الله . وقد قال أبو نواس في هذه الحال أبياتاً في الزهد هي من أجودِ شِعره ، تَتَسِمُ بالجِدّ والصِدق والصَراحة وبالسَلاسة :

دبّ فيّ السَقامُ سُفْلاً وعُلْواً ؛ وأراني أموت عُضْواً فعضوا .
ليس تمضي من لحظةٍ بِيَ إلاّ نَقَصَتْني – بمَرّها فِيّ – جُزْوا.
ذهبتْ جِدّتي بطـاعـةِ نفسي ، وتذكّرت طاعةَ الله نِضوا[1] .
لَهْفَ نفسي على لَيالٍ وأيّـا مٍ تَمَلّيْتُهُنّ لعِباً ولَهْوا .
قد أسَأنا كلّ الإساءةِ فاللـ ... ـهمّ صَفْحاً عنّا وغُفْراً وعَفْوا !

٤ – ديوان أبي نواس (اسكندر آصاف) ، القاهرة (المطبعة العمومية) ١٨٩٨م ثم ١٩٠٥ م ؛ بيروت (المكتبة الوطنية بنفقة لطف الله الزّهّار) ١٨٨٤ ؛ (نشره أحمد عبد المجيد الغزّالي) ، القاهرة (مطبعة مصر) ١٩٥٣ م ؛ (فاغنر) ، القاهرة (لجنة التأليف والترجمة والنشر) ١٩٥٨ م ؛ بيروت (دار بيروت ودار صادر) ١٩٦٢ م .
ديوان أبي نواس : الخمريات (نشرها آلوارت) ، غرايسفلد ١٨٦١ م .

---

١ الجدة : الحداثة ، (هنا) الشباب والقوة . وفي رواية : شرتي (بكسر الشين) : نشاط الشباب . النضو : الضعيف ، المهزول من المرض أو الكبر .

حديقة الايناس في شعر أبي نواس ، بومباي ١٣١٢ هـ .
الفكاهة والائتناس في مجون أبي نواس ، القاهرة ١٣١٦ هـ .
•• أخبار أبي نواس ، تأليف ابن منظور ، القاهرة ١٩٢٧ م ؛ (نشره محمّد عبد الرسول ابراهيم وشكري محمود أحمد) ، بغداد (مكتبة المعارف) بعد ١٩٢٤ – ١٩٥٢ م .
أخبار أبي نواس ، تأليف عبد الله بن أحمد بن هفّان المهزمي (تحقيق عبد الستّار أحمد فرّاج) ، القاهرة (مكتبة مصر) ١٩٥٣ م .
سرقات أبي نواس ، تأليف أبي فضلة مهلهل بن يموت بن المزرّع (نشره محمد مصطفى هدّارة) ، القاهرة (دار الفكر العربي) ١٩٥٧ م .
أبو نواس : دراسة ومختارات ، تأليف عمر فروخ ، بيروت (مكتبة الكشاف) ١٣٥١ هـ ، ١٩٣٢ – ١٩٣٣ م ، الخ . ثم (منشورات دار الشرق الجديد) ١٩٦٠ م .
النواسي ، تأليف زكي المحاسني ، دمشق ١٩٣٩ م .
ألحان الحان ، تأليف عبد الرحمن صدقي ، القاهرة (دار المعارف) ١٩٤٨ م .
أبو نواس ، تأليف عبد الرحمن صدقي ، القاهرة ١٩٤٢ م .
أبو نواس الحسن بن هاني ، تأليف محسن الامين ، دمشق (مطبعة الاتقان) ١٩٤٧ .
أبو نواس ، تأليف عبد الحليم المصري ، القاهرة (دار المعارف) ، ١٩٤٤ .
نفسيّة أبي نواس ، تأليف محمد النويهي ، القاهرة (مكتبة النهضة المصرية) ١٩٥٣ م .
الحسن بن هاني أبو نواس ، تأليف عبّاس محمود العقّاد ، القاهرة (مكتبة الانجلو) ١٩٥٤ م .
غزل أبي نواس ، تأليف علي شلق ، بيروت (دار بيروت) ١٩٥٤ .
مجلّة الهلال (عدد خاصّ ، أغسطس ١٩٣٦ م) ، القاهرة .
الاغاني ١٦ : ٤٨ – ١٥١ ، ١٨ : ٢ – ٨ ؛ تاريخ بغداد ٧ : ٤٣٦ –

٤٥٧ ؛ تاريخ دمشق لابن عساكر ٤ : ٢٥٤ – ٢٧٩ ؛ وفيات الاعيان ١ : ٢٤٠ – ٢٤٣ ؛ شذرات الذهب ١ : ٣٤٥ – ٣٤٧ ؛ بروكلمان ١ : ٧٤ – ٧٦ ، الملحق ١ : ١١٤ – ١١٨ ؛ زيدان ٢ : ٦٨ – ٧٢ ، Enc. Isl. (new ed) I 143 - 4

نُويب [١]

١ – وُلِدَ نُويب ، وهو عبد الملك بن عبد العزيز السَلولي ، في اليمامة ونشأ فيها ثم تُوُفِّيَ فيها أيضاً ، لم يرتحلْ إلى خليفة ولا إلى أحدٍ من الأكابر والرؤساء مادحاً . وجميع أخباره المروية مع سُعْدى بنتِ أزهرَ ، وهي امرأة من أهل اليمامة كان نُويبٌ يهواها ويقول فيها الشعر . ولم تكن سعدى تعْرِفه ، ولكنّ شعرَه كان يصل إليها من وراءِ وراءٍ . فاتّفق أن رأته يوماً – وكانت معَ أترابٍ لها – فقُمْنَ اليه جميعاً فَضَرَبْنَهُ وخرّقْنَ ثيابَه ، فاستْعدى عليهن الواليَ فلم يَسْمَعْ له .

ثم إن سُعْدى أخذتْ تتعرّض له ، إذا مرّ ببيتها ثم تتغافل عنه إغاظةً له . بعدئذٍ زُفّتْ سعدى إلى أبي الجَنوب يحيى بن أبي حفصةَ فحَجَبَها يحيى فانقطعَ ما كان بينها وبين نُويب . إلا أن نُويباً هجا زوجَها ثُمّ استمرّ يتنسب بها .

ولا نعلم من تاريخ نُويبٍ الا أنه كان من طَبَقة يحيى بن طالبٍ وبني أبي حَفصةَ وذويهم (غ ٢٠ : ٧٩) ، ويحيى بن طالبٍ الحَنَفي شاعرٌ من أهل اليمامة توفي أيام هرون الرشيد (غ ٢٠ : ١٥٠) .

٢ – كان نُويب شاعراً فصيحاً رقيقاً روى له الأصفهانيّ مختاراتٍ تبلُغُ سبعين بيتاً . وجميع شعرِه هذا في النسيب ، وله هجاء في أبي الجنوب زوجِ سُعدى .

٣ – المختار من شعره :

– قال نويب يتنسبُ بسُعدى :

ما تَزالُ الديارُ في بُرقة النَجْـ ـد لسُعْدى بقَرْقرى تُبْكيني .

---

١ في طبعة دار الثقافة (بيروت) للاغاني : نويت (٢٣ : ٢٩) .

قد تَحَيَّلْتُ كي أرى وجهَ سُعدى، فإذا كلُّ حيلةٍ تُعْيِيني .
قلت لمّا وَقَفْتُ في سُدَّةِ البا ب لسُعدى مقالةَ المِسكين[1] :
« افْعَلي بي ، يا رَبّةَ الدارِ ، خيراً ؛ ومن الماء شَرْبةً فاسْقيني ! »
قالتِ : « الماءُ في الرَّكيِّ كثيرٌ » . قلتُ : « ماءُ الركيِّ لا يَرْويني »[2] .
طَرَحَتْ دونيَ الستورَ وقالت : « كلَّ يومٍ بعِلّةٍ تأتيني ! »

— ورأى نُوَيب سُعدى راحلةً نحو مكّةَ حاجّةً ، فأخذ بخِطامِ بعيرِها وقال :

هلْ للّتي بَكَرَتْ تُريدُ رحيلا للحَجّ ، إذ وجدتْ إليه سبيلا :
ما تَصْنَعينَ بحِجّةٍ أو عُمْرةٍ لا تُقبَلانِ وقد قَتَلْتِ قتيلا ؟[3]
أحْيِي قتيلَكِ ثم حُجّي وانسُكي فيكونَ حَجُّكِ طاهراً مقبولا !

٤ — ... الاغاني ٢٠ : ٧٩ — ٨٢ .

أبانُ بن عبد الحميد اللاحقيّ

١ — هو أبانُ بنُ عبدِ الحميد بنِ لاحقٍ بن عفير مولى بني رَقاش ، كان شاعراً خليعاً ماجِناً مُتَّهَماً بالزندقة والإلحاد ، وكان فيه مَيلٌ عن العرب إلى الفرس ، إلاّ أنه لم يكن يُظْهِرُ ذلك . ويبدو أنه كان مُقيماً في البصرة إلى نحو سنة ١٨٠ هـ (٧٩٦ م) ، ثم انتقل إلى بغدادَ واتصل بالبرامكة ليوصلوه إلى هرونَ الرشيد . فصارحه البرامكة بأنّ الرشيد لا يرتاحُ إلى شاعرٍ إلا إذا كان فيه ميل على آلِ أبي طالب ، فنظم أبانُ قصيدة يفضّل فيها بني العباس . ثم حَسُنَتْ حالُ أبانٍ عند الرشيد وعند البرامكة حتى أصبح يُزاحِمُ في مدحِهم جميعاً أبا نواسٍ ومروانَ بنَ أبي حَفصةَ . وفي سنة ١٨٤ هـ (٨٠٠ م) عيّنه يحيى بن خالدٍ رئيساً لديوان الشعر : تُحال إليه قصائدُ المديح ليتحكّمَ في

---

١ السدة : باب الدار .
٢ الركي : البئر .
٣ العمرة : القيام بمناسك الحج في غير شهر الحج المكتوب (في غير شهر ذي الحجة) .

ما تَستحقّه من عَطاء . فكان ذلك سببَ عداوةِ الشعراء لـه ، وخصوصـاً أبا نواس .

وكانت وفاة أبان بن عبد الحميد سنة ٢٠٠ هـ (٨١٥ – ٨٠٦ م) .

٢ – أبانُ بن عبد الحميد أديبٌ شاعر ظريف مطبوعٌ مُقَدَّمٌ في العلم بالشعر والحِفظ له . وهو عند الجاحظ (البيان والتبيين ١ : ٥٠) أحسنُ طبعاً من نفر من المحدثين حاشا بشّاراً . ويرى ابن المعتزّ (طبقات ٢٤٠ – ٢٤١) أن أباناً في جميع أحواله أرفعُ طبقةً من أبي نواس . وشعر أبانٍ أكثره الهجاءُ ، وله أيضاً مديح وغزل ووصف . ومن أوصافه وصف بارع للمسلول ، ولكن تَغلِب عليه الشماتة ، مع الأسف . وله خطبٌ ورسائلُ .

ولأبان شعر قصصي : نقل كتاب كليلة ودِمنة إلى الشعر في أربعةَ عَشَرَ ألفَ بيتٍ فأعطاه يحيى ابن خالد عليه عشرين ألفَ دينارٍ ، وأعطاه الفضل بن يحيى خمسةَ آلافِ دينار . وله مُزدَوِجاتٌ منها مزدوجة اسمُها ذاتُ الحُلَل ذكر فيها بدءَ الخَلْق وشيئاً من أمر الدنيا ومن الفَلَك والمنطق . ثم له مزدوجات أخرى في تاريخ الفرس : بيلوهر وبوداساف ، مزدك ، سندباد ، سيرة أردشير ، سيرة أنوشروان . وله كتاب حلم الهند وكتاب الصيـام والاعتكاف ، ولـه رسائل .

٣ – المختار من شعره :

– توسّل أبانُ بن عبد الحميد برجلٍ من بني هاشم ليُوصله إلى الفضل بن يحيى فقال فيهما :

يا عزيزَ النّدى ويا جوهرَ الجو ... هرِ من آلِ هـاشم بالبِطاحِ[1] ،
إنّ ظنّي –وليس يُخلِفُ ظني– ... بك في حـاجتي سَبيلُ النجاح .
إنّ من دونهـا لَـمُصْمَتَ بابٍ ... أنت من دون قِفلهِ مِفتاحي .
تاقتِ النفسُ ، يا خليلَ السماحِ ، ... نحوَ بحرِ النّدى مُجاري الرياح .
ثم فكّرت : كيف لي ؟ واستَخرت الـ ... ـلّهَ عنـد الإمساء والإصباح ،

---

١ البطاح : الاراضي المستوية . والمقصود هنا : بطحاء مكة : وسطها (أشرف أهلها) .

وامتدحتُ الأميرَ ، أصلحه الـ لهُ ، بشِعرٍ مُشهَّرِ الأوضاح :
أنا من بُغيةِ الأميرِ وكنـزٌ من كُنوزِ الأميرِ ذو إرباح :
كاتبٌ حاسب خطيب أديب ، ناصحٌ زائد على النُّصّاح ،
شاعرٍ مُفْلِقٌ ، أخفُّ من الريـ ـشة مما يكون تحت الجَناح !
إن دعاني الأميرُ عايَنَ مني شَمَرِيّاً كالبلبل الصيّاح [1]

— وقال يهجو أبا نواس :

أبو نواسٍ بنُ هاني ، وأُمّــه جُلُبّانِ .
والنـاس أفطنُ شيء إلى حُروف المعاني . [2]
إن زِدتَ بيتاً على ذي ، ما عشتُ ، فاقْطَعْ لِساني !

٤ — ٥ الفهرست ١١٩ ، ١٦٣ ؛ الاغاني ٢٠ : ٧٣ — ٧٩ ؛ طبقات ابن المعتز ٢٤١ — ٢٤٢ ؛ تاريخ بغداد ٧ : ٤٤ — ٤٥ ؛ بروكلمان ، الملحق ١ : ٢٣٨ — ٢٣٩ ؛ زيدان ٢ : ٩٢ — ٩٣ .

الفضل بن عبد الصمد الرقاشي

١ — هو الفضْلُ بن عبد الصمد ، أصله من الرَّيّ ، مولىً لبني رَقاشٍ من ربيعةَ في بني بكر بن وائل . وكان الرقاشي من أهل البصرة ثم وَرَدَ إلى بغدادَ ومدح الخلفاء والكبراء ، ولكنه انقطع إلى البرامكة فأغنَوْه عمّن سواهم . فلما نكب الرشيدُ البرامكةَ بَقِيَ الرقاشي على الوفاء لهم وجعل يرثيهم فيُكثِرُ فعاتبه الرشيدُ ، فاعتذر بالوفاء . فقال له الرشيد : كم كان يَصِلُك منهم ؟ فقال له الرقاشي : ألفُ دينار في السَنَة . فوظّف له الرشيد ألفَيْ درهمٍ .

وبعد موتِ الرشيد وانقراض البرامكة خرج الرقاشي إلى خُراسان واتصل بطاهر بن الحسين وما زال فيها حتى مات (طبقات ابن المعتز ٢٢٧) ، نحو سنة ٢٠٠ هـ (٨١٥ م) .

---

[1] الشمري : ذو المجد القديم . الصياح : الصداح .
[2] يقصد أن الناس سيفطنون إلى حرف المعنى (حرف العطف : و) ويعلمون أن قولنا : أمه جلبان للتهكم ، لأن جلبان ليست أمه .

٢ – كان الفضل الرقاشي من فُحول الشعراء من طبقة أبي نواسٍ ، مطبوعاً مُكثِراً سَهْلَ الشعر وصّافاً ماجناً . وله الرثاء العجيب في البرامكة .

٣ – المختار من شعره :

– لما نكب الرشيد البرامكةَ مرّ الرَّقاشي بالفضل بن يحيى [١] مصلوباً فقال :

أما ، والله ، لولا خوفُ واشٍ وعينٌ للخليفـــة لا تنـــامُ
لَطُفْنا حولَ جِذعك واستلمنا ، كما للناس بالحَجَرِ استلام[٢] !
فما أبصرتُ بعدكَ ، يا ابنَ يحيى ، حُساماً حتفُه السيفُ الحُسام .
على اللّذاتِ والدنيا جميعـاً ودولةِ آلِ برْمَكٍ السلام !

– لما قال أبو دُلَف العجلي دِرعيّته [٣] عارضه الرّقاشي فقال :

جنّبِيني الدِرعَ قد طا ل عن القَصف جِمامي [٤] ،
واكْسِري البَيضةَ والمِطـ ـرَدَ وأبْدَيْ بالحسام [٥] ،
واقذُفي في لُجّة البحـ ـر بقَوْسي وسِهامي ،
وبتُرسي وبرُمحـي وبَسرجي ولجامي .
أنا لا أطلُبُ أن يُعْـ ـرَفَ في الحرب مَقامي .
وبحَسْبي أن تَرَيْني بين فِتيانٍ كِرامِ !

٤ – •• طبقات ابن المعتز ٢٢٦ – ٢٢٧ ؛ الاغاني ١٦ : ٢٤٥ – ٢٥٠ ؛ تاريخ بغداد ١٢ : ٣٤٥ – ٣٤٦ ؛ فوات الوفيات ٢ : ١٥٦ – ١٥٧ ؛ زيدان ٢ : ٩٤ – ٩٥ .

الإمام الشافعيّ

١ – هو أبو عبد الله محمّدُ بن إدريسَ بنِ العبّاسِ بنِ عثْمانَ بنِ شافعٍ بن

١ كذا في غ ١٥ : ٣٦ ، والصواب : جعفر بن يحيى .
٢ الحجر : الحجر الاسود في جانب الكعبة . استلم : قبل .
٣ راجع تحت ، توفي ابو دلف سنة ٢٢٥ هـ .
٤ القصف : اللهو . الجام : الراحة ، الانقطاع عن بذل الجهد .
٥ البيضة : طاسة حديد يضعها الرجل على رأسه في الحرب . المطرد : الرمح القصير : أبدي : ابدأي .

السائب بن عُبيد بن يزيدَ بنِ هاشمٍ بنِ عبد المطلب ، فهو قُرَشيٌّ هاشمي .

وُلِدَ الشافعيّ في غزّة (فِلَسْطين) ، سنة ١٥٠ هـ (٧٦٧ م) ، ثم جاءت به أمّه إلى مكّةَ وعُمُره سنتان .

حَفِظَ الشافعي القرآنَ الكريم ودرس الحديثَ والفِقه ثم أبْدى (سكن الباديةَ) مَعَ بني هُذيل فأخذَ عنهم اللغةَ الفصيحة وروى أشعارَ شعرائهم .

وفي نحو سَنة ١٧٠ هـ (٧٨٦ م) نُصِحَ له بأن يَلْقى الإمامَ مالكَ بنَ أنسٍ فقيهَ أهلِ المدينة فحفظ المُوَطّـأ ، ثم ذهبَ إلى المدينة وقرأه على الإمامِ مالكٍ ثم زار اليمن . فلمّا ظهر فيها يحيى بن عليّ بايعه فجيء به مع جَماعة من العَلَويين إلى هرونَ الرشيدِ فضَرَبَ الرشيدُ أعناقَ العلويّين وشَفَعَ الفضل ابنُ الربيع وزيرُ هرونَ الرشيدِ بالشافعي فعفا عنه الرشيد . وبَقِيَ الشافعي في بغداد مدّة ثم تنقّل بين بغداد ومكّة ومِصرَ مراتٍ في فَتَراتٍ متقاربة . وكان نزوله في مصر في ٢٨ شوال سنة ١٩٨ هـ (٢١–٦–٨١٤ م) .

وتوفّي الشافعي في مِصْرَ يوم الجُمُعة آخرَ يومٍ من رَجَبَ سنة ٢٠٤ هـ (٢٠–١–٨٢٠ م) ودُفِنَ في الفُسطاط (مصر القديمة) بالقَرافة الصُغرى ؛ ومقامه فيها مشهورٌ إلى اليوم .

٢ ـ مُحمّدُ بن إدريسَ الشافعي أحدُ الائمّة الأربعة وصاحبُ المذهب المعروف باسمه ، كان عالمـاً بالحديث والفقه أميناً ثقةً عَدْلاً ، وهو الـذي استنبط علمَ أصول الدين (الأسس التي يقوم عليها التوحيد في الإسلام) كما كان عالمـاً باللغة والأدب وبالنجوم والأنساب . وحَسْبُهُ مقاماً في الأدب أنّ الأصمعي قرأ عليه أشعار الهُذَليين . على أن شُهرتَه ومكانته إنما هما في الفِقه : كـان الشافعي في أول أمره من أصحاب الإمام مالكٍ كثيرَ الاعتماد على الحديث ، ولا يحكُمُ في القضايا بالرأي . فلمّا نزَل في بغدادَ ولَقِيَ أصحابَ الامـامِ أبي حنيفةَ مال إلى الرأي ونقّح مذهبَه على أساسِ ذلك . ثم لمّا نزل في مِصْرَ ، ووجد حالَ مصرَ مختلفةً من حال الحجاز وحالِ العراق ، نقّح مذهبه للمرّة الثانية . وللشافعي كتبٌ جليلة منها : السُنَن المـأثورة ، المُسْنَد ، في أصول الفقه ، كتاب المبسوط . وينسب اليه كتاب الأمّ .

والشافعي شاعرٌ مُقِلٌّ قريبُ المعاني سهل الأسلوب نَجِدُ في بعض مقطوعاته

شيئاً من النفس الشعري ، وبعض أشعاره مشهور .

٣ – المختار من شعره :

– ولولا الشعرُ بالعلماء يُـزري لكنتُ اليومَ أشعرَ من لَبيد[١] !

– قال الشافعي في الرفض (مذهب الذين رفضوا اتّباع زيدِ بنِ عليٍّ لأنه أبى أن يُبْطِلَ خلافة أبي بكرٍ وعمرَ) :

يا راكباً ، قِفْ ، بالمُحَصَّبِ من مِنَى واهتِفْ بقاعدِ ضيفِها والناهضِ[٢] ،
سَحَراً إذا فاض الحَجيجُ إلى مِنَى فَيْضاً كمُلْتَطِمِ الفُراتِ الفائض[٣] :
إنْ كان رِفْضاً حبُّ آلِ محمّدٍ فلْيَشْهَدِ الثقلانِ أنّي رافضي !

– وقال في الاغتراب :

ما في المُقامِ لذي عقلٍ وذي أدَبِ من راحةٍ فدَعِ الأوطانَ واغتربِ .
سافِرْ تَجِدْ عِوَضاً عمّنْ تُفارقـه وانْصَبْ فان لَذيذَ العيش في النَصَبِ[٤].
إني رأيتُ وقوفَ الماء يُفْسِدُه : ان ساح طابَ ، وان لم يَجْرِ لم يَطِبِ .
والأُسْدُ لولا فِراقُ الغاب ما افترستْ ، والسهم لولا فراقُ القوس لم يُصِبِ .
والتِبْرُ كالتُرْبِ مُلْقىً في أماكنه ؛ والعُودُ في أرضه نوع من الحَطَبِ[٥].

٤ – ديوان الإمام محمّد بن ادريس الشافعي (جمعه ... محمود ابراهيم هيبة ؟) مصر (المكتبة العبّاسيّة) ١٣٢٩ هـ (١٩١١ م) ؛ – ديوان الشافعي (جمعه زهدي يكن) ، بيروت (دار الثقافة) ١٩٦٢ .[٦]

رحلة الإمام الشافعي (رواية تلميذه الربيع بن سليمان الجيزي) ، القاهرة (المطبعة السلفية) ١٣٤٠ هـ .

---

١ أزرى : عاب ، حط من قدر (الناس) .

٢ المحصب : منسك من مناسك الحج يجتمع فيه الحجاج لرمي الجمار (الحصيات السبع) ويكون اجتماعهم في يوم واحد فيكثرون .

٣ الفرات الفائض : نهر الفرات في ابان فيضانه .

٤ النصب : التعب ، الجهد (بضم الجيم : أن يبذل الانسان أقصى ما يستطيع من النشاط) .

٥ العود : نوع من الشجر ذو رائحة يحرق فتفوح منه رائحة طيبة .

٦ راجع أسماء كتبه الفقهية في أماكنها .

•• مناقب الإمام الشافعي لفخر الدين الرازي ، مصر ١٣٧٩ هـ .
الإمام الشافعي ، تأليف مصطفى عبد الرازق ، القاهرة (دار إحياء الكتب العربية) بلا تاريخ .
الشافعي : حياته وعصره وآراؤه وفقهه ، تأليف محمّد أبي زهرة ، القاهرة (دار الفكر العربي) ١٩٤٨ م .
تاريخ الإمام الشافعي بقلمه ، ويليه تاريخ شامل للإمام الشافعي تأليف حسين محمّد الرفاعي ، القاهرة (مطبعة الحرّيّة) ١٣٦٦ هـ .
تاريخ بغداد ٢ : ٥٦ — ٧٣ ؛ معجم الأدباء ٧ : ٢٨١ — ٣٢٧ ، طبقات الشافعية للسبكي ١ : ١٠٠ وما بعد ، ١٨٥ وما بعد ، الخ .
وفيات الاعيان ٢ : ٢١٤ — ٢١٨ ؛ شذرات الذهب ٢ : ٩ — ١١ ؛ راجع ٢١ ؛ بروكلمان ١ : ١٨٨ — ١٩٠ ، الملحق ١ : ٣٠٣ — ٣٠٥ ؛ زيدان ٢ : ٦٣ .

النَضْر بن شُميل البصريّ

١ — هو أبو الحسن النَضْر بن شُميلٍ المازني التميمي ، وُلِدَ في مَرْوَ ثم نشأ في البصرة وأخذ عن الخليلِ بنِ أحمدَ وغيرِه . ثم ضاقتْ به الحالُ في البصرة فعاد إلى مرو وصَحِبَ المأمونَ فولاّه المأمونُ القضاءَ في مرو فأقام العدل . وكان النضر من أهلِ السنّة فشهَرَ السنّةَ في خراسان ، وكان أولَ من فَعَلَ ذلك فيها . وكانت وفاتُه في آخر ذي الحِجّة ٢٠٤ هـ (١٦—٦—٨٢٠ م) .

٢ — كان النضر بن شُميل لُغوياً نَحْوياً أديباً وفقيهاً راويةً للحديث متمكّناً مما يَعرِف ، ثِقَةً في ما يَرْوي ، له من الكتب : كتاب الصِفات (في اللغة) خمسة أجزاء — المُدْخِل إلى كتاب العين — كتابُ المعاني — كتاب السلاح — كتابُ المصادر — كتاب الأنواء — كتاب خَلْقِ الفرس — كتاب الجيم — كتاب الشمس والقمر — كتاب البُلْغة في شذور اللغة الخ .

٤ — البلغة في شذور االغة (شيخو وهافنر) بيروت ١٩١٤ .
•• الفهرست ٥٢ ؛ طبقات الزبيدي ٥٣ — ٦٠ ؛ معجم الأدباء ١٩ : ٢٣٨ — ٢٤٢ ، وفيات الاعيان ٣ : ٧٠ — ٧٤ ؛ انباه الرواة ٣ :

٣٤٨ - ٣٥٣ ؛ بغية الوعاة ٤٠٤ - ٤٠٥ ؛ شذرات الذهب ٢ : ٧ - ٨ ؛ بروكلمان ١ : ١٠٠ ، الملحق ١ : ١٦١ ؛ زيدان ٢ : ١٤٥ .

قُطرُب [١]

هو أبو علي محمدُ بن المستنير بن أحمد المعروف بقُطرُبٍ ، مولى سَلم ابن زِياد ، وُلِدَ في البصرة وأخذ اللغة والنحو عن سيبويه والبصريين ، وأخذ علم الكلام عن ابراهيم النظّام . وكان يتبع مذهبه في الاعتزال . ولقد عَهِدَ أبو دُلَفٍ العِجليّ بأولاده إلى قطرب ليؤدّبهم . وكانت وفاتُه في بغداد سنة ٢٠٦ هـ (٨٢١ - ٨٢٢ م) .

لقطرب تصانيفُ جِيادٌ منها : تفسير القرآن الكريم (على مذهب المعتزلة) ، الرد على المُلحدين في تشابه القرآن (الآيات التي تعالج موضوعات هي في الأصل موضع جدال بين العلماء) ، غريب الحديث ، كتاب النوادر ، كتاب الهمزة ، كتاب فعل وأفعل (جمع وأجمع الخ) ، الأضداد ، ما خالف فيه الإنسان البهيمة ، كتاب خلق الانسان ، كتاب خلق الفرس ، الاشتقاق ، الأصوات ، الصفات ، كتاب القوافي ، كتاب العِلل في النحو ، كتاب الأزمنة . وأشهر كتبه كتاب المثلّث جمع فيه أسماءً ثلاثية يأتي أولها مفتوحاً ومكسوراً ومضموماً فيدل على معان مختلفة . والكتاب صغير الحجم إلا أنه أول كتاب من نوعه (وقد يُلْفى باسم المثلّث في اللغة أو مثلّثات قطرب) .

- المثلّث (محمد بن شنب) ، الجزائر ١٩٠٧ م .

•• الفهرست ٥٢ - ٥٣ ؛ تاريخ بغداد ٣ : ٢٩٨ - ٢٩٩ ؛ طبقات الزبيدي ١٠٦ - ١٠٧ ؛ معجم الأدباء ١٩ : ٥٢ - ٥٤ ؛ وفيات الاعيان ٢ - ٣٠٣ ؛ انباه الرواة ٣ : ٢١٩ - ٢٢٠ ؛ بغية الوعاة ١٠٤ ؛ شذرات الذهب ٢ : ١٥ - ١٦ ؛ بروكلمان ١ : ١٠١ - ١٠٢ ، الملحق ١ : ١٦١ ؛ زيدان ٢ : ١٤٥ - ١٤٦ .

---

١ قطرب دويبة تدب ولا تفتر ، وقد لقبه بهذا اللقب سيبويه لأن سيبويه كان اذا جاء الى املاء دروسه على تلاميذه وجد قطرب قد سبقهم جميعاً فيقول له : ما أنت إلا قطرب ليل !

أبو عمرٍو الشّيباني

هو أبو عمرو إسحاقُ بنُ مِرار الشيباني ، كان من الموالي فنزل في رَمادة الكوفة مُجاوراً لبني شيْبان يؤدّبُ أولادَهم فنُسِبَ اليهم . وقد سكن بغدادَ مُدّة . ويبدو أن أبا عمرٍو الشيباني قد وُلِدَ نحو عام ١٠٠ هـ وعاش حتى أنافت سنه على مِائةٍ وتوفّي سنة ٢٠٦ هـ (٨٢١ م) .

كان أبو عمرٍو الشيبانيّ من الائمّة الأعلام في اللغة والشعر على المذهب الكوفيّ ، وكان ثقة في العلم والرواية ، والغالب عليه النوادر (العلم بالألفاظ القليلة الورود في كلام الناس) . له من الكتب : كتاب الخيل ، كتاب اللغـات ، (ويُعرف أيضاً بكتاب الجيم أو كتاب الجيم في اللغة أو كتاب الحروف) ، كتاب النوادرِ الكبير ، كتاب غريب الحديث ، كتاب خلق الانسان ، كتاب الإبِل ، كتاب النحلة (وفيات الاعيان ١ : ١١٤) ، وقد عمل نحو ثمانين مجموعاً من أشعار القبائل وجعلها في مسجد الكوفة ، منها : أشعار بني جَعدةَ ، أشعار تَغْلِبَ .

— •• الفهرست ٦٨ ؛ تاريخ بغداد ٦ : ٣٢٩ — ٣٣٢ ؛ طبقات الزبيدي ٢١١ — ٢١٢ ؛ معجم الأدباء ٦ : ٧٧ — ٨٤ ؛ وفيات الاعيـان ١ : ١١٣ — ١١٤ ؛ إنباه الرواة ١ : ٢٢١ — ٢٢٩ ؛ بغية الوعاة ١٢٩ ؛ شذرات الذهب ٢ : ٢٣ — ٢٤ ، ٣١ ؛ بروكلمان ١ : ١١٥ ، الملحق ١ : ١ : ١٧٩ ؛ زيدان ٢ : ١٢٢ — ١٢٣ .

الفرّاء

هو أبو زكريّا يحيى بن زيادٍ الدّيلمي مولى بني أسد ، وُلِدَ في الكوفة سنة ١٤٤ هـ (٧٦١ م). وأخذ الفرّاء عن الكِسائي ويونسَ بن حبيبٍ وغيرِهما . ثم انه انتقل إلى بغداد واتّصل بالمـأمون فكان مُؤدّباً لولديه . وكان الفرّاء يُملي على الناس في مسجدٍ قريب من بيته ، وكان الناس يرْغَبون في مجـالس إملائه وفي كتبه . ومات الفرّاء في طريق مكّة سنة ٢٠٧ هـ (٨٢٣ م) .

كان الفرّاء واسعَ العلمِ بمعارفِ عصرِه : باللغة والنحو وبأيام العرب

وأخبارها وأشعارها ، وبالفِقه واختلاف الفقهاء ، وبالطبّ والنجوم وبعلم الكلام . وكان ميالاً إلى رأي المعتزلة يتفلسف في تصانيفه ويستعمل ألفاظ الفلاسفة . على أن شُهرتَه ومقدرته كانتا في النحو ، فهو أعلم الكوفيين بالنحو بعد الكِسائي . واشتهر عن الفرّاء سَعَةُ القول في الحرف «حتّى» ، ولقد رُوِيَ عنه أنه كان يقول : «أموت وفي نفسي شيء من حتّى ، فانها ترفَعُ وتَنْصِبُ وتَجُرّ» .

وللفرّاء كتبٌ كثيرة منها : كتاب الحدود ألّفه بأمر المأمون وجمع فيه أصول النحو وما سمع من العرب وانتهى من إملائه على الورّاقين في سنتين ، وكان المأمون قد أمر بأن تُفرد للفرّاء حُجرةٌ في القصر يكون فيها كلّ ما يحتاج اليه حتّى لا تتعلّق نفسه بغير تأليف هذا الكتاب . وبعد كتاب الحدود أملى كتاب المعاني أو معاني القرآن (في تفسير القرآن) في أربعة أجزاء (نحو ألف ورقة ، عشرين ألف سطر) ، ألّفه لعُمَرَ بن بكير . وله كتاب البهيّ أو البهاء (في فصيح الكلام) صغير الحجم ، وقد ألفه لعبد الله بن طاهر . وله كتاب المشكل الكبير (في اللغة) ، كتاب المشكل الصغير ، كتاب المصادر في القرآن ، كتاب التثنية والجمع في القرآن ، كتاب الوقف والإبتداء ، كتاب اختلاف أهل الكوفة والبصرة والشام في المصاحف ، كتاب اللغات ، كتاب النوادر ، كتاب الواو ، كتاب المقصور والممدود ، كتاب المذكّر والمؤنّث ، كتاب فَعَلَ وأفْعَلَ ، كتاب الفاخر (في الامثال) ، كتاب حروف المعجم ، كتاب آلة الكتّاب ، كتاب يافع ويافعة ، كتاب ملازم ، كتاب الأيام والليالي .

— كتاب المذكّر والمؤنّث (في «مجموعة لغوية») ، حلب ١٣٤٥ هـ .

الايام والليالي والشهور (بتحقيق ابراهيم الابياري) ، القاهرة (المطبعة الاميرية) ١٩٥٦ م .

•• الفهرست ٦٦ — ٦٧ ؛ تاريخ بغداد ١٤ : ١٤٩ — ١٥٥ ؛ طبقات الزبيدي ١٤٣ — ١٤٦ ؛ معجم الأدباء ٢٠ : ١٠ — ١٤ ؛ وفيات الاعيان ٣ : ١٩٤ — ١٩٨ ؛شذرات الذهب ٢ : ١٩ — ٢٠ ؛ بروكلمان ١ : ١١٨ ، الملحق ١ : ١٧٨ — ١٧٩ ؛ زيدان ٢ : ١٣٤ — ١٣٦ . Enc . Isl . (new ed) II 806 - 8

مُسلمُ بنُ الوليد صَريعُ الغواني

١ – هو أبو الوليد مُسْلِمُ بن الوليد الانصاريّ مَوْلى الانصار ، كان مولدهُ في الكوفة بين سنة ١٣٠ هـ (٧٤٨ م) و سنة ١٤٠ هـ (٧٥٧ م) ، وفيها نشأ. ثم انه جـاء إلى بغداد في أيام الرشيد قبل نكبة البرامكة (١٨٧ هـ = ٧٩٤ م) .

كان أول اتصالٍ لمسلم بن الوليد بالفضلِ بنِ يحيى البرمكي ، فوصله الفضلُ بالرشيد . ثم اتصل مسلم بن الوليد بيزيدَ بن مَزْيدِ بن زائدةَ الشّيباني ، والي آذربيجانَ وأرمينيةَ من قِبَلِ الرشيد ، ولكنْ في ولايتهِ الثانية (١٨٣ – ١٨٥هـ) ، فيما يبدو لي ؛ وكان اتصاله به في الرَّقّة ، والرشيد يومذاك فيها أيضاً . ولقد كان في مسلم بن الوليد كِبْرٌ وبَسْطةٌ في اللسان فأغْضبَ الرشيد . فانقطع عن الرشيدِ وعن يزيدَ . ولما تُوُفّيَ يزيدُ بن مزيد (١٨٥ هـ = ٨٠١ م) خلفه على أرمينية ابنُه أسدٌ ثم ابنه محمّدٌ (١٨٦ هـ) ، فاتصل مسلم بن الوليد بمحمد ولكن لم ينلْ عنده حَظوةً . ثم لم نسمع لمسلم بن الوليد باتصال بأهل الدولة إلى أيام المـأمون ، فانه اتصل بالفضل بن سهل قبل أن يَلِيَ الفضلُ الوزارة (١٩٦ هـ = ٨١٢ م) ، ولكن بعد أن دَخَلَ في الإسلام على يَـدِ المـأمون (١٩٠ هـ = ٩٠٦ م) فكان نديماً له . فلما وَلِيَ الفضلُ الوزارةَ جاءه مسلمٌ مادحاً ، فأراد الفضلُ أنْ يَرْفَعَهُ عن التّردد بين أبوابِ الممدوحين ، لأنه كان قد شاخ ، فولاّه البريدَ في جُرجان ، وقيل بل ولاّه فيها المَظالمَ ، فبَقِيَ فيها إلى أن مات سنة ٢٠٨ هـ (٨١٣ م) .

٢ – مُسْلِم بن الوليد شاعرٌ مُقَدّمٌ من شعراء الدولة العبّاسيّة حَسَنُ النّمَطِ سليمُ الشعر متين السبك صحيح المعاني قليل التكلّف في القول . وكان صاحبَ رَوِيّةٍ وتفكير لا يرتجل ولا يبتدئ . وزعموا أنه أولُ من قال الشعر المعروف بالبديع ، والصحيح أن مُسلماً لم يَسْبِقْ إلى هذا الفن ، ولكنه أكثر منه في شِعره . وكذلك كان مسلم بن الوليد مُتَفَنِّناً مُتصرفاً في فنون الشعر مدحاً ورثاءً وهجاءً وغزلاً ونسيباً ، وبعض الرُواةِ يَقْرِنُه في الخمريات بأبي نواسٍ .

٣ المختار من شعره :

– قال مسلم بن الوليد يمدح يزيدَ بن مَزْيَدَ الشيبانيّ :

أجْرَرْتُ حبلَ خليعٍ في الصبا غَزِلِ ، وشَمَّرتْ هِمَمُ العُذّالِ في العَذَلِ [١] .
هاجَ البكاءَ على العينِ الطَموحِ هوىً مُفَرَّقٌ بين تَوْديعٍ ومُرْتَحَلِ .
كيف السُلُوُّ لقلبٍ راح مُخْتَبِلاً يَهْذي لصاحبِ قلبٍ غيرِ مُخْتَبِلِ .
عاصى العَزاءَ ، غداةَ البَيْنِ ، مُنْهمِلٌ من الدموعِ جَرَى في إثْرِ منهمِلِ .
لولا مُداراةُ دمعِ العينِ لانْكَشَفَتْ مِنّي سرائرُ لم تَظْهَرْ ولم تُخَلِ [٢] .
أمّا كَفَى البَيْنَ أن أُرْمَى بأسْهُمِهِ حتى رماني بلَحْظِ الأَعْيُنِ النُّجُلِ !
ماذا على الدهرِ لو لانتْ عَريكتُهُ وردَّ في الرأسِ مِنّي سَكْرةَ الغَزَلِ .

ثم تخلص إلى المديح فقال في الممدوح :

يَغْشى الوغى ، وشِهابُ الموتِ في يدهِ يرمي الفوارسَ والأبطالَ بالشُعَلِ ؛
يَفْتَرُّ عندَ افْترارِ الحربِ مبتسماً إذا تغيّر وجه الفارس البطلِ [٣] .
مُوفٍ على مُهَجٍ ، في يوم ذي رَهَجٍ [•] ، كأنّه أجلٌ يسعى إلى أمَلِ ،
يَنالُ بالرِفْقِ ما تَعْيا الرجالُ به كالموتِ مُسْتَعْجِلاً يأتي على مَهَلِ .
لا يَرْحَلُ الناسُ إلاّ نحو حَجْرتهِ ، كالبيت يُضْحي إليه مُلْتَقَى السبلِ [٤] .
يَقْري المَنِيّةَ أرواحَ الكُماةِ ، كما يَقْري الضيوفَ شُحومَ الكُومِ والبُزُلِ [٥] ،
يَكْسو السيوفَ دِماءَ الناكثين به ويجعل الهامَ تيجانَ القنا الذُبُلِ [٦] !
يغدو فتغدو المنايا في أسِنّتهِ شَوارعاً تَتَحدّى الناسَ بالأَجَلِ [٧]

---

١ أمعنت أنا في اللهو وأكثر اللائمون لومي .
٢ .... لولا أنني أداري دموعي (أمنع عيني البكاء) لكشفت دموعي أسراراً لا يعرفها الناس مني ولا يتأتى لهم أن يتخيلوها .
٣ افتر الرجل : ابتسم . افترت الحرب : اشتدت (كلما زاد اشتداد الحرب زاد سروره بخوضها) .
• الرهج : الغبار (اي في المعركة).
٤ البيت : البيت الحرام (الكعبة) في مكة ؛ الحج .
٥ الكماة جمع كمي : البطل التام السلاح . الكوم (هنا) جمع كوماء : الناقة العظيمة السنام (السمينة) . البزل جمع بازل : الجمل البالغ أشده (حينما يبزل : تنشق سنه ، في الرابعة من عمره) .
٦ يخضب سيوفه بدم الناكثين (الثائرين على الدولة) ، ويرفع رؤوس الاعداء على رؤوس القنا (الرماح) ، الذبل (النحيفة السمراء ، كناية عن صلابتها وجودتها) .
٧ شوارع : مسددة ، مصوبة . – آجال الناس تنتهي برؤوس رماحه (كناية عن كثرة الذين يقتلهم) .

وقال في الشيب :

الشيبُ كُرْهٌ ، وكرهٌ أن يُفارقَني ، أعْجِبْ بشيءٍ على البَغْضاء مَوْدودِ :
يمضي الشبابُ وقد يأتي له خَلَفٌ ، والشيبُ يذهبُ مَفقوداً بمفقود !

— كان لمسلم بن الوليد زوجةٌ ماتتْ فجَزِعَ عليها جَزَعاً شديداً . واتفق أن زار صديقاً له فقدّم له خَمْراً فأبى أن يشرَب ثم قال :

بُكاءٌ وكأسٌ كيف يَتّفقانِ ؟ سبيلاهُما في القلب مُخْتلفـانِ .
دَعاني وإفراطَ البكاءِ[1] ، فإنـني أرى اليومَ فيه غيرَ مـا تَرَيـانِ .
غَدَتْ والثرى أولى بها من وَليِّها إلى منزل ناءٍ بعينِكَ دانِ
فلا حُزْنَ حتّى تَنْزِفَ العينُ ماءَهـا وتَعْتَرِفَ الأحشاءُ بالخَفَقان[2] .
وكيف بدفعِ اليأسِ والوَجْدِ بعدَها وسَهْماهما في القلب يَعْتلجان .

— وقال يهجو دِعبلاً الخُزاعيّ :

مياسُ ، قل لي : أينَ أنتَ من الورى ؟ لا أنتَ معلومٌ ولا مجهـولُ .
أما الهجاءُ فدقَّ عِرْضُك دونَـه ، والمدحُ عنك ، كما علمت ، جَليل .
فاْذهَبْ ، فأنتَ طَليقُ عِرْضِك ، إنّـه عِرْضٌ عَزَزْتَ به وأنتَ ذليـل !

— وقال في الصداقة :

إذا المرءلم يَبْذُلْ من الوُدّ مثل مـا بَذَلْتُ له فاعْلَمْ بأني مُفارقُهْ .
فلا خيرَ في وُدِّ امرئٍ مُتكـارهٍ عليكَ ، ولا في صاحبٍ لا تُوافقه !

٤ — ديوان أبي الوليد مسلم بن الوليد الانصاري الشهير بصريع الغواني (نشره ده خويه) ، ليدن (بريل) ١٨٧٥ م ؛ ديوان مسلم بن الوليد ، بومباي ١٣٠٣ هـ ، القاهرة ١٣٢٥ ، ١٣٣٠ هـ ؛ (نشره سامي الدهّان) ، القاهرة (دار المعارف) ١٩٥٧ م .

•• صريع الغواني ، تأليف جميل سلطان ، دمشق (مطبعة الترقّي) ١٩٣٢ م .

---

١ اتركاني وحدي أبكي كثيراً .

٢ في الحماسة (ص ٩٤٢) : فلا وجد . والوجد الحزن . والمعنى : لا أكون حزيناً حقاً إلا إذا جف دمع عيني من كثرة البكاء .

صريع الغواني مسلم بن الوليد ، تأليف حسن علوان ، القاهرة (لجنة البيان العربي) ١٩٤٩ م .

طبقات ابن المعتز ٢٣٥ – ٢٤٠ ؛ الاغاني (دار الثقافة ، بيروت) ١٨ : ٣١٥ –   ؛ تاريخ بغداد ١٣ : ٩٦ – ٩٨ ؛ بروكلمان ١ : ٧٦ ؛ الملحق ١ : ١١٨ ؛ زيدان ٢ : ٧٢ – ٧٣ .

أبو الشَمَقْمَقِ [١]

١ – هو أبو محمّدٍ مَروانُ بنُ محمّدٍ من أهلِ بُخارى ومَوْلى مَروانَ ابنِ مُحمّدٍ آخرِ خُلفاءِ بني أميّةَ ، نشأ في البَصْرَة ولَقِيَ بشّاراً وأبا نواسٍ وأبا العتاهيةِ في أيامِ المنصورِ ، ثم قَدِمَ إلى بَغْدادَ في أوّلِ خلافةِ الرشيد .

اتّصل أبو الشَمَقْمَقِ بخالدِ بن برمكَ وبابنه يحيى ، قبل نكبة البرامكة (١٨٧ هـ) ، وبيزيدَ بنِ مَزْيَدٍ الشيبانيّ (ت ١٨٥ هـ) . ثم أدرك خلافة المأمونَ . فلعلّ وفاته كانت ، على هذا ، نحو سَنَةَ ٢٠٥ هـ (٨٢٠ م) . فإذا نحن قَبِلْنا روايةَ ابن خلّكان (وَفَيات ٣ : ٣٠٧) التي تقولُ إنّ أبا الشَمَقْمَقِ كان مَعَ خالدِ بنِ يزيدَ بن مَزْيدٍ لمّا تولّى خالدٌ المَوْصِلَ (وأرمينية) سنة ٢٠٩ هـ ، وَجَبَ أن تتأخّر وفاةُ أبي الشَمَقْمَقِ بِضْعِ سَنَواتٍ أخَرَ .

٢ – أبو الشَمَقْمَقِ شاعر سهلُ الشِعرِ ، وليس من الطبقةِ الأولى ؛ وفي شِعرِه جِدّ ومَزح . وشعره كلّه نوادرُ (أشياءُ طريفةٌ) منها شيءٌ في المديح والخمر وكثير من الهجاء والمُجون .

٣ – المختار من شعره :

– قال أبو الشمقمق يهجو بغداد (تاريخ بغداد ١٣ : ١٤٦) :

ليس فيها مُروءَةٌ لشريفٍ   غيرُ هذا القِناعِ [٢] بالطَيْلسانِ .

---

١ أبو الشمقمق لقب له ، والشمقمق الطويل .

٢ القناع : يقصد لبس الطيلسان .

وبقينا في عُصبة من قُريش يشتهون المديح بالمَجّانِ !

– وقال في المديح :

يا أيّها الملكُ الذي جمَع الجلالةَ والوقارهْ ،
ورث المكارمَ صالحاً والجودَ منه والعِمارهْ ،
إني رأيتك في المنا م وعدتَني منك الزيارهْ ؛
فغدَوْتُ نحوك قاصداً ؛ وعليك تصديقُ العِبارهْ [1] .
ان العيالَ تركتُهم بالمِصْر خُبْزُهُمُ العُصارهْ(؟)
ضجّوا فقلت : تصبّروا – فالنُجح يُقرَنُ بالصَّبارهْ [2] –
حتى أزورَ الهاشميَّ أخا الغضارة والنَضارهْ [3] .
ولقد غدوتُ وليس لي ، إلاّ مديحُك ، من تِجارهْ!

٤ – • طبقات ابن المعتز ١٢٦ – ١٣٠ تاريخ بغداد ١٣ : ١٤٦ – ١٤٧ ؛

الهيثم بن عديّ

هو أبو عبد الرحمن الهَيْثَمُ بن عَديّ بن عبد الرحمن بن زيدٍ الطائيُّ البُحتريّ ، كان أبوه نازلاً بواسطَ ، وكانت أمه من سَبْيِ مَنْبِجَ . أما الهَيْثَمُ نفسُه فوُلِدَ في الكوفة قبل سنة ١٣٠ هـ (٧٤٧ م) .

اتّصل الهيثمُ بالمنصورِ والمَهديّ والهادي والرشيدِ وجالسهم وحدّثهم وروى عنهم . ولكنه كان مكروهاً لأنه كان يتعرّض لأحوال الناس فيرويها على وجوهها (صحيحة) ويُشيع ما يَحرِصون على كتمانه من أمورهم . ويبدو أيضاً أنه كان يولّد الاخبار [4] .

وكثُرَ الكلامُ في نسب الهيثمِ بن عديّ ، وقيل إنه لم يكن عربياً بل كان دعيّاً في

---

١ العبارة : يقصد تعبير الرؤيا (تفسير المنام) .
٢ الصباره : الحجارة (والشاعر يقصد الصبر) .
٣ النضارة : الخضرة الكاملة في النبات . النضارة : الحسن .
٤ راجع البيان والتبيين ٢ : ٢٣٨ ، الخ ....

العرب ، وقد هجاه أبو نواس بذلك ، لأن أبا نواس حضر حَلْقةَ الهيثم فلم يعرفه الهيثم فيحتفلَ به . وكان الهيثم متزوّجاً فتاة من بني الحارث بن كعب فحَمِيَتْ عصبيّةُ نفرٍ من الحارثيّين وجاءوا إلى هرونَ الرشيد يطلبون منه أن يفرّق بين الهيثم وبين زوجته الحارثية . ويبدو أنهم قد زعموا للرشيد في ذلك الحين أن الهيثم قد ذكر العباس بن عبد المطلب (جد العبّاسيين) بما لا يَليق . فأمر الرشيدُ بالتفريق بين الهيثم وبين زوجته ثم أمر به فسُجِن سنواتٍ عديدةً .

وكانت وفاة الهيثم بن عديّ بفم الصلح ، سنة ٢٠٩ هـ (٨٢٤ م) في الأغلب .

كان الهيثمُ بن عديّ إخباريّاً علاّمةً وراويةً واسعَ الرواية نَقَل أشياءَ كثيرةً من لغاتِ العربِ وأشعارِها وأخبارها ، وروى شيئاً من الحَديث ، ولكنّ علماءَ الحديث لا يُوَثِّقونه . وروى الجاحظ أن الهيثم كان يَرى رأيَ الخوارجِ (البيان والتبيين ١ : ٣٤٧) .

وللهيثم بن عديّ مُصَنّفاتٌ كثيرة ، منها : كتاب هبوط آدم وافتراق العرب ونزولها منازلها ، كـ نزول العرب بخراسان والسواد ، كـ بيوتات العرب ، كـ المثالب الكبيرة ، كـ المُعَمَّرين ، كـ نسب طيّء ، كـ الدولة ، تاريخ العجم وبني أمية ، تاريخ الاشراف الكبير ، أخبار زياد بن أبيه ، كـ خطط الكوفة ، كـ النساء ، كـ فخر أهل الكوفة على أهل البصرة ، كـ قضاة الكوفة والبصرة ، أخبار الحسن بن عليّ ، التاريخ (مرتب على السنين) ، كـ الصوائف ، كـ الخوارج ، كـ النوادر ، مقطعات الأعراب ، أخبار الفرس .

— • • الفهرست ٩٩ — ١٠٠ ؛ تاريخ بغداد ١٤ : ٥٠ — ٥٤ ؛ معجم الأدباء ١٩ : ٣٠٤ — ٣١٠ ؛ وفيات الاعيان ٣ : ١٤٩ — ١٥٥ ؛ انباه الرواة ٣ : ٣٦٥ — ٣٦٩ ؛ شذرات الذهب ٢ : ١٩ ؛ بروكلمان ١ : ١٤٥ — ١٤٦ ، الملحق ١ : ٢١٣ .

أبو عُبَيْدَةَ بن المُثَنَّى

١ — هو أبو عُبَيْدَةَ مَعْمَرُ بن المُثَنّى ، كان أبوه من باجروان بنواحي أرمينية . أما هو فوُلِدَ في البصرة ، في رجب ١١٠ هـ (خريف ٧٢٨ م) ،

وكان مولى بني التَّيْم من قريش .

أخذ أبو عبيدةَ العلمَ عن أبي الخطّاب الأخفش الكبير (ت نحو ١٧٧ هـ) وعن أبي عمرو بن العلاء (ت ١٥٤ هـ) وعيسى بن عُمَرَ الثقفيّ (ت ١٨٧هـ) ويونسَ بن حبيب (ت ١٨٧ هـ) وغيرهم . وكان مُعْتَقِداً مذهبَ الخوارج الصُّفْرية ، وقيل مَذْهَبُ الإباضيّة (معجم الأدباء ١٩ : ١٥٦) ، شُعوبيّاً شديدَ التعصّب على العرب ، ولم يكُنْ يَسْلَمُ من لِسانه أحدٌ من الناس .

ويبدو أنه جاء إلى بَغدادَ أكثرَ من مرّة : جاء مرّةً واتّصل بجعفر بن يَحْيى البَرْمكيّ (قتل ١٨٧ هـ) فلم يَرْضَ جعفرٌ أنْ يُدْخِلَه على هرونَ الرشيد[1] . ثم استقدمه الرشيدُ بعدَ ذلك بمدة يسيرة ، وكان وزيرَه في ذلك الحين الفضلُ بنُ الربيع (منذ المُحرّم ١٨٧ هـ ، كانون الثاني - يناير ٨٠٣ م) ، فحَظِيَ أبو عبيدة عند الفضل بن الربيع وقرأ عليه هرونُ الرشيدُ شيئاً من كُتُبه (وفيات الاعيان ٢ : ٥٥٤) .

ولا نَدْري متى رَحَلَ أبو عبيدة إلى فارسَ واتّصل بموسى بن عبد الرحمن الهِلاليّ الذي أكْرَمَهُ إكراماً كبيراً .

وكانت وفاةُ أبي عُبيدةَ في البصرة ، نحو سنة ٢١٠ هـ (٨٢٥ م) وقد قاربتْ سِنّه مِائةَ سَنَة ، فلم يشيّعْ أحدٌ جنازتَه لكُره الناس له .

٢ - أبو عبيدةَ واسعُ العلم بالشعر وبأنساب العرب وأيامها . وهو كثيرُ التصنيف تزيد كتبه على مِائتَيْن ، منها : كتاب غريب القرآن ، كتاب مجاز القرآن ، كتاب غريب الحديث ، كتاب اللغات ، كتاب الأضداد ، كتاب ما تلحَن فيه العامة ، كتاب أشعار القبائل ، كتاب الأمثال السائرة ، كتاب نقائض جرير والفرزدق ، كتاب بيوتات العرب ، كتاب أيام بني مازن وأخبارهم ، كتاب القبائل ، كتاب إيادِ الأزد ، كتاب مقاتل الفرسان ، كتاب مقاتل الاشراف ، طبقات الفرسان ، كتاب الغارات ، كتاب مآثر العرب ، كتاب مثالب العرب ، كتاب الأيام الكبير ، كتاب الحُمس في قريش ، كتاب قصة الكعبة ، كتاب الأوس والخزرج ، كتاب الموالي ، كتاب خوارج البحرين واليمامة كتاب مقتل عثمان ، أخبار الحجاج ، كتاب مرج راهط ، كتاب الأعيان ،

---

١ طبقات الزبيدي ١٩٣ .

كتاب الجمل وصِفّين ، كتاب مكّةَ والحرمِ ، كتاب فضائل الفرس (راجع معجم الأدباء ١٩ : ١٦٠ – ١٦٢ ، وفيات ٢ : ٥٥٦ – ٥٥٧) .

٣ – المختار من آثاره :

– من مقدمة مجاز القرآن :

بسم الله الرحمن الرحيم : حدّثنا ابو الُحسين محمدُ بنُ هارونَ الزّنجانيّ الثّقفيّ قال : أخبَرنا أبو الحسنِ عليُّ بنُ عبدِ العزيزِ قال : حدّثنا عليّ بن المُغيرةِ الأثرمُ عن ابي عُبيدةَ مَعْمَرِ بنِ المُثَنّى التّيْميّ قال : القرآنُ اسْمُ كتابِ الله خاصةً ، ولا يُسمّى به شيءٌ من سائرِ الكُتُبِ غيرُه . وإنّما سُمّيَ قُرآناً لأنه يَجْمَعُ السُّوَرَ فيَضُمّها ، وتفسيرُ ذلك في آيةٍ من القُرآن : قال جلّ ثناؤه : « إنّ علينا جَمْعَه وقُرآنَه [١] » ، مجازه : تأليفُ بعضه إلى بعضٍ . ثم قال : « فإذا قرأناه فاتّبِعْ قرآنه » ، مجازه : فإذا ألّفنا منه شيئاً فضممْناه إليك فخُذْ به واعمَلْ به وضُمّه إليك ...

– فصل من « مجاز القرآن » :

قالوا : إنما أنزلَ القُرآنُ بلِسانٍ عربيٍ مبينٍ . وتَصْداقُ ذلك في آيةٍ من القُرآن [٢] ؛ وفي آيةٍ أخرى : « وما أرسَلْنا من رسولٍ إلاّ بلِسانِ قومِه » [٣] ، فلم يَحْتَجِ السّلَفُ ولا الذين أدركوا وَحْيَهُ [٤] إلى النّبيّ صلى الله عليه وسلم أنْ يَسألوا عن مَعانيه لأنّهم كانوا عُربَ الألسُنِ فاستَغْنَوْا بعِلْمِهِمْ به عن المسألةِ عن مَعانيه وعمّا فيه مما في كلام العرب مِثْلُه من الوجوه والتلخيص . وفي القُرآنِ مِثْلُ ما في الكلام العربيّ من وُجوه الإعراب ومِنَ الغَريب والمعاني ....

ومن مَجاز ما حُذِفَ وفيه مُضْمَرٌ ، (قوله ، فقد) قال : « وسَلِ القَرْيَةَ [٥] التي كُنّا فيها والعيرَ الّتي أقْبلنا فيها » . فهذا محذوفٌ فيه ضميرٌ ،

---

١ ٧٥ : ١٧ – ١٩ (من سورة القيامة) .

٢ ٢٦ : ١٩٢ – ١٩٥ « وإنه لتنزيل رب العالمين ، نزل به الروح الامين على قلبك لتكون من المنذرين ، بلسان عربي مبين » (سورة الشعراء) .

٣ ١٤ : ٤ (من سورة ابراهيم) .

٤ وحيه : وحي القرآن : نزوله (على محمد رسول الله) .

٥ ١٢ : ٨٢ (سورة يوسف) : « واسأل القرية .... »

مَجازُه : وسَلْ أهْلَ القَرية ... ، ومَنْ في العير ...

– من مقدمة كتاب الخيل :

.... لم تَكُنِ العَرَبُ في الجاهلية تَصونُ شيئاً من أموالِها ولا تُكرِمُهُ صِيانَتَها الخيلَ وإكرامَها لها لِما كان لهم فيها من العِزّ والجَمال والمَنَعَة [1] والقوّة على عَدُوِّهم حتّى أن كانَ الرجلُ من العرب لَيَبيتُ طاوياً ويُشْبِعُ فَرَسَهُ ويُؤثِرُه على نفسِه وأهلِه ووَلَده فيَسْقيه المحض ويَشربون الماءَ القَراح ، ويُعَيِّرُ بعضُهم بعضاً بإذالة [2] الخيل وهُزالها وسوء صِيانتها ....

قال أبو عبيدة : فلم تَزَلِ العربُ على ذلك من تثمير الخيل والرَّغْبة في اتّخاذها وصِيانتها والصبرِ على مُقاساة مؤنتها مَعَ جُدوبة [3] بِلادِهم وشِدّة حالِهم في معيشتهم لِما كان لهم فيها من العِزّ والمَنَعَة والجَمال حتّى جاء الله بالإسلام فأمَرَ نَبِيَّه صلّى اللهُ عليه وسلّم باتّخاذها وارْتِباطها لِجِهادِ عَدُوِّه ؛ قال الله تبارك وتعالى [4] : « وأعِدّوا لهم ما اسْتَطَعْتُم مِنْ قُوَّةٍ ومن رِباط الخَيْلِ تُرهِبون به عدوَّ اللهِ وعدوَّكم » . فاتّخذها رسولُ الله صلّى الله عليه وآلِه وسلّم وحَضَّ المسلمين على ارْتباطها ....

– من مَتْن كتاب الخيل : ما تَسْتَحِبّ العرب في الخيل :

تَسْتَحِبّ أن تكونَ ناصيةُ الفرسِ شديدةَ السوادِ ، وتستحبّ لِينَها ولِينَ شَكيرِها وطُمَأنينةَ عُصفورِها . والشَّكير ما أطافَ بمَنْبِت ناصيته من الزَّغَب [5] ، والعصفور منبت الناصية . وذلك كلّه للحُسن إلاّ لِينَ ناصيته ولِينَ شَكيرها فإنّ ذلك مِمّا يُسْتَدَلّ به على عِتْقِه ، وهو أبين شاهد في

---

١ العز : القوة والمجد . المنعة : الحماية من العدو .

٢ طاوياً : جائعاً . المحض : اللبن (الحليب) الخالص . القراح : الصافي (اللبن مغذ مشبع ، والماء لا يشبع) . الاذالة : الاذلال ، والهزال .

٣ تثمير الخيل : تكثيرها (بالتناسل) . المؤنة (بفتح الميم وضم الهمزة) ترسم هكذا تلفظ مؤونة (بالهمزة المضمومة مشبعة) : الكلفة (من الطعام والعناية وما شابههما) . الجدوبة : قحط الأرض وفقدان النبات فيها .

٤ القرآن الكريم ٨ : ٦٠ (سورة الانفال) .

٥ الناصية : مقدمة الرأس ، أعلى الجبهة : الزغب : الشعر اللين .

الفرس على عِتقه بتَجدُّه اللامس تحت يديه كأنّه السُّخامُ من لِينه [1] ، فإن وَجَدَ فيه خشونةً فإنّه لَمْ يَسْلَمْ من هُجْنةٍ شائنةٍ من العُروق من غير العِراب [2] ...

٤ ــ كتاب الخيل ، حيدر اباد الدكن (مطبعة دائرة المعارف العثمانية) ١٣٥٨ هـ .
مجاز القرآن (عارضه بأصوله وعلّق عليه محمّد فؤاد سزكين) ، مصر (محمّد سامي أمين الخانجي) ١٣٧٤ هـ (١٩٥٤ م) .
كتاب النقائض : نقائض جرير والفرزدق (تحرير أنطون بيفان) ، ليدن (بريل) ١٩٠٧ ــ ١٩١٢ م) ؛ (تحرير محمد اسماعيل عبد الله الصاوي) ، القاهرة (المكتبة الحسينية) ١٣٧٤ هـ (١٩٣٥) م .

٥ ــ الفهرست ٥٣ ــ ٥٤ ؛ تاريخ بغداد ١٣ : ٢٥٢ ــ ٢٥٨ ؛ طبقات الزبيدي ١٩٢ ــ ١٩٥ ؛ معجم الأدباء ١٩ : ١٥٤ ــ ١٦٢ ؛ وفيات الاعيان ٢ : ٥٥٤ ــ ٥٦٠ ؛ انباه الرواة ٣ : ٢٧٦ ــ ٢٨٧ ؛ بغية الوعاة ٣٩٥ ؛ شذرات الذهب ٢ : ٢٤ ــ ٢٥ ؛ بروكلمان ١ : ١٠٢ ــ ١٠٣ ، الملحق ١ : ١٦٢ ؛ زيدان ٣ : ١١٤ ــ ١١٥ ،
Enc . Isl . (new ed) I 158

عُلَيّةُ بنت المَهْديّ

١ ــ وُلِدَتْ عُلَيّةُ بِنْتُ الخليفةِ مُحَمّدٍ المَهْديّ سَنَةَ ١٦٠ هـ (٧٧٥ــ ٧٧٦ م) . وقد تزوّجها موسى بنُ عيسى بنِ موسى ، ويبدو أنه كانَ يَكْبَرُها في السِنّ جداً . وحَجّتْ عليّةُ في أيام الرشيد . ومَعَ أن أخبارَها تدلّ على أنها كانت دائماً في بغدادَ ، فلا ريبَ في أنها كانت تَتَنقّل مَعَ زوجها في الأماكنِ الكثيرةِ التي كان يتولاّها . ونحن نعلم أنّ أخاها الرشيدَ

---

١ العتق (بكسر العين) الكرم (كرم الاصل) والجمال والنجابة (الاتيان بنسل صحيح سليم كريم) . السخام (بضم السين) : الريش الناعم تحت الكبير في جسم الطير ، الثوب اللين من الخز (الحرير) أو القطن ، السواد الذي يعلق بالقدر من النار (ويكون في المس عادة شديد الملاسة واليونة لنعومة جزيئاته والمادة الزيتية فيه) .

٢ الهجنة : اختلاط النسب . شائنة : معيبة (تخرج به عن كرم الأصل وصفاء النسل) . العروق والاعراق : أصول النسب . العراب : (الخيل) العربية الصريحة (الصافية النسب) .

استقدمها مرّةً من الرقّة . وماتتْ عُليّةُ سَنَةَ ٢١٠ هـ (٨٢٥ م) .

٢ – كانت عُلَيّةُ بِنْتُ المَهْديّ شاعرةً وراجزةً مُكْثِرَةً وصاحبةَ صَنْعةٍ في الغِناء . وقد كانت مَعَ ذلك دَيِّنة عَفيفةً مِمّا لا يتّفق عادةً في أصحاب هذه الطَبَقة من الناس ، غير أنها كانت تَشْرَبُ الخَمْرَ أحياناً . وكان شِعْرُها حَسَناً وأكثره النسيبُ . ولها مديحٌ وهجاء بارعٌ ماجن أحياناً وشيءٌ من الخمر . وتكثر في شعرها الكِنايةُ والتَعْمِيَةُ : كانت تُكَنّي عن أسماءِ الرجال الذين تَتَغزّلُ بهم بأسماءِ النساءِ ، وربّما عَمّت في الكِنايةِ بأن تَسْتعْمِلَ كلمة رَيْب مثلاً تعمية لاسم زَيْنبَ الذي كانت تُكنّي به عن غلامٍ لها كانتْ تتعشّقه .

٣ – المختار من شعرها :

– قالت عُليّةُ بنتُ المَهْديّ في رَغْبَتِها في الكِناية :

كَتَمْتُ اسْمَ الحَبيبِ عن العِبادِ ، ورَدّدتُ الصَبابةَ في فُؤادي .
فواشَوْقي إلى بَلَدٍ خَلِيٍّ لَعَلّي بِاسْمِ من أهْوى أنادي !

– وقالت تَتَغزّلُ بغلامٍ لها اسْمُهُ طَلّ ، وقد كَنَتْ عنه بكلمة ظِلّ :

أيا سَرْوَةَ الفِتْيانِ ، طالَ تَشَوّقي ؛ فهلْ لي إلى ظِلٍ لَدَيْكِ سَبيلُ[١] .
متى يَلْتقي من لَيْسَ يُقْضى خُروجه وليس لِمَنْ يَهْوى إليه وُصولُ[٢] ؟

– وقالت في الخمر :

خَلَوْتُ بالراحِ أُناجيها آخُذُ منها وأُعطيها .
نادَمْتُها إذ لم أجِدْ صاحباً أرضاه أن يُسْكِرَني[٣] فيها !

– ولعُليّة بنت المهدي هجاءٌ بارعٌ مُقْذِعٌ في جاريةٍ اسْمُها طُغيانُ :

لِطُغْيانَ خُفٌ مُذْ ثلاثينَ حِجّةً جديدٌ فما يَبْلى وما يَتَخَرّقُ .

---

١ السروة : نوع من الشجر ، الشجرة الطويلة – الفتيان (فيها تورية) : جمع فتى (الشاب) ، قبيلة من بجيلة (بفتح الباء) ، والشاعرة تقصد المعنى الأول وتوري عنه (تغطيه) بالمعنى الثاني . من هنا ندرك أن طلا الذي كانت علية تحبه كان رجلا طويل القامة .

٢ لما عرف الرشيد بالحب بين علية وطل حجب طلا ومنعه من الخروج .

٣ يشركني (؟)

وكيفَ بليِيَ خُفٍّ هو الدهرَ كلَّه على قَدَمَيْها في السماء معلّق !
فما خرَقَتْ خُفاً ولم تُبْلِ جَوْرباً، وأما سَراويلاتُها فتَمَزَّق .

٤ – ٥ أشعار أولاد الخلفاء ٥٥٤ – ٨٣ ؛ الاغاني ١٠ : ١٦٢ – ١٨٦ ؛ فوات الوفيات ٢ : ١٢٤ – ١٢٦

أبو حَيّةَ النَمَريّ (النميري)

١ – هو الهَيْثَمُ بن الربيع بن زُرارةَ من بني عامر بن نُمير بن عامر ابن صَعصعةَ من بكر بن هَوازن . كان أبو حية من أهل البادية [١] ومن ساكني البصرة ، شَهِدَ دولةَ بني أمية وروى فيها عن الفرزدق ومدح هشام بن عبدالملك ثم أدرك دولة بني العبّاس ووفد على المنصور فمدحه وهجا بني الحسن .

قال ابن المعتزّ (طبقات ١٤٦) : تزوّجَ أبو حيّةَ ابنةَ عمٍ له فماتت فكاد يَتخرُجُ عليها من الدنيا . ثم أصابته لُوثةٌ . ويرى ابن قتيبة (الشعر والشعراء ٣٥٥) أن لُوثة أبي حية كانت كلوثةِ مجنون ليلى . أما الجاحظُ فيقول : « وسنذكر في الجزء الثاني [٢] من أبوابِ العِيّ واللّحن والغلط أبواباً طريفة ، ونذكر فيه النُوكي من الوُجوه العرب ، ومن ضُرب المثل به منهم ، ونوادرَ من كلامهم ، ومجانينَ الشعراء . ولستُ أعني مثلَ مجنونِ بني عامرٍ .... وإنما أعني مثل أبي حيةَ في أهل البادية ....

ولأبي حية في هذا الباب أخبارٌ طريفةٌ منها [٣] :

كان لأبي حيّةَ سيفٌ يسمّيه لُعابَ المنيّة ، ليس بينه وبين الخَشَبة فَرْقٌ . ودخل كلبٌ إلى بيته لَيْلاً فظنّه لصّاً فانتضى « لُعابَ المنية » ووقف في وَسَطِ الدار ، وهو يقول : أيّها المُغترُّ بنا ، بِئسَ – واللهِ – ما اخترتَ لنفسك : خيرٌ قليلٌ وسيفٌ صقيلٌ . أما سمعتَ بلُعابِ المنيةِ ، ثَكِلَتْكَ أمُّكَ ؟ مشهورةٌ ضربتُهُ ، لا تُخافُ نَبْوَتُه [٤] . اخرُجْ بالعفوِ عنكَ قبل أن أدْخُلَ

---

١ البيان والتبيين ١ : ٣٨٥ .
٢ راجع البيان والتبيين ٢ : ٢٢٥ ، ٢٢٩ – ٢٣٠ .
٣ غ ١٥ : ٦٤ ؛ طبقات ابن المعتز ١٤٣ – ١٤٤ .
٤ النبوة : ارتداد السيف عن الضريبة (عن الجسم الذي نضربه بالسيف) .

بالعقوبةِ عليك . اني ، والله ، إن أدَعْ قيساً اليك لا تَقُمْ لها .... فبيْنا هو كذلك إذ خرج الكلب ، فقال : الحمد لله الذي مسخك كلباً وكفاني حرباً !

ويبدو أن حالة أبي حيّةَ النفسية ثقُلت فأصبح أهوج جباناً بخيلاً كذّاباً معروفاً بذلك أجمعَ . قيل : وكان يُصرَع أيضاً .

وكانت وفاة أبي حيّة في حدود سنة ٢١٠ هـ (٨٢٤ م) .

٢ – كان أبو حيّةَ النمَري شاعراً فصيحاً مُقَصِّداً وراجزاً ، وكان أبو عمرو بن العلاء يُقَدِّمه . وأبو حيّة عند ابن رشيق (العمدة ١ : ١٧٢ – ١٧٣) : « من أحسن الناس شعراً وأنطقهم كلاماً مؤنَّثاً بالفرزدقِ آخذاً عنه ، كثيرَ التعصب له ... والعلماء مُجْمِعون على تقدم أبي حيةَ النمري في الترديد ، أي في الإتيان بلفظة متعلّقة بمعنى ثم ترديدها بعينها متعلّقة بمعنى آخر في البيت نفسه » (راجع العمدة ٣٠٠ ، ٣٠١) .

ولأبي حيّة أشعارٌ جيادٌ أكثرُها في وصف زوجتِه في حياتِها وفي رثائها بعد موتها . أما فنون شعرهِ فهي المديحُ والرثاء والنسيب والغزَل والحكمة والمُجون .

٣ – المختار من شعره :

– قال أبو حيةَ النمَريّ يمدح المنصور ويشبّهه بالاسد والسيف ويعرّض ببني الحسن :

أحينَ شِيم – فلم يترُكْ لهم تِرَةً – سيفٌ تقلّده الرِئبال ذو اللبِدِ [1] ،
سَلَلْتُموه عليكم ، يا بني حَسَنٍ ؛ ما إنْ لكم من فَلاحٍ آخِرَ الأبَدِ !
قد أصبحتْ لبني العباس صافيةً [2] بجَدْعِ آنافِ أهلِ البَغْيِ والحسد ،
وأصبحت كلَهاةِ الليث في يده ؛ ومن يُحاولُ شيئاً في فم الاسد؟

– وله في الغزل والنسيب :

زمانَ الصِبا ، ليْتَ أيامَنا رَجَعْنَ لنا الخاليات القِصارا [3] :

---

١ شام السيف يشيمه : استله . الرئبال الاسد . اللبد : الوبر على كتفي الاسد (كناية عن البأس والشدة) .
٢ فقد أصبحت الخلافة ..... آناف جمع أنف .
٣ رجع هنا فعل متعد : رد . الخاليات القصار : الأيام الماضية التي تبدو لنا قصاراً لما كان لنا فيها من النعيم .

لياليَ رأسي غرابٌ غُدافٌ فطيّره الشيبُ عني فطارا [1] .
أجارتَنا ، إن ريبَ الزمان قَبْليَ أفنى الرجالَ الخيارا .
وهازئةٌ إذ رأت كَبْرَةً تَلَفَّعَ رأسي بها فاستنارا [2] ،
فإمّا تَرَيْ لِمّتي هكذا فأكثرتِ مما تَرَيْنَ النفارا [3] ،
فقد أغتدي وهيَ همٌّ الحسانِ ، وقد أسلُبُ العَطِراتِ الخمارا .
وقد كُنتُ أسحَبُ ذيلَ الصبا ، وأُرخي على العَقِبَيْنِ الإزارا .
ورَقْراقةٍ لا تُطيقُ القيامَ إلاّ رُوَيْداً وإلاّ ابتِهارا [4] ،
خلوتُ بها نتَجارى الحديثَ : شيئاً عِلاناً وشيئاً سِرارا !

٤ – ٥ • طبقات ابن المعتزّ ١٤٣ – ١٤٦ ؛ الاغاني (بولاق) ١٥ : ٦٤ – ٦٥ ؛ زيدان ١ : ٣٤٩ !

أبو العتاهية

١ – هو أبو العتاهية اسماعيلُ بن القاسم مَوْلى عَنَزَة ، وُلِدَ سَنَةَ ١٣٠ هـ (٧٤٨ م) في بلدة عين التمر قربَ الكوفة . وكان أبو العتاهية في أول أمرِه فقيراً يَبيع الخزَفَ (الفخّار) فلم يستطعْ لفقرِه أن ينقطعَ إلى حلَقات العلماء وشيوخِ الأدب فنَقِمَ من أجلِ ذلك على الأغنياء وعلى الطبقة الحاكمة وأَلِفَ عِصابةَ والبةَ بنِ الحُباب وأبي نواس زَمناً .

وَفَدَ أبو العتاهية إلى بغدادَ في مَطْلَعِ خِلافة المَهْديّ (١٥٨ – ١٦٩ هـ) فمدح المهديّ وتكسّب بالشعر حتّى حَسُنَتْ حالُه . ثم انه عَلِقَ جاريةً من جواري المهديّ اسمُها عُتْبَةُ وأخذ يَنْسِبُ بها . وأراد المهديّ أن يَهَبَه إياها ، ولكنّها رَفَضَتْ . ويُقال إن هذا الرفضَ كان سَبَبَ تَرْكِ أبي العتاهيةِ

---

١ غداف : شديد السواد (يقصد شعر رأسه) . – نزل الشيب الابيض فطار الغراب الاسود .

٢ تلفع التف (بالشيب) . استنار رأسي : أصبح أبيض (بالشيب) .

٣ اللمة : شعر مقدم الرأس ، وهو آخر ما يشيب . هكذا : أبيض ، شائباً . النفار : النفور والصد .

٤ الرقراق : التي كأن الماء يجري على وجهها (من النضارة والشباب) . لا تطيق القيام : لا تقدر أن تنهض من قعودها لسمنها . رويداً : قليلا قليلا . ابتهاراً : بنفس منقطع من التعب .

للمديح والغزل وانتقاله إلى القول في الزهد . ومع أن أبا العتاهية ترك اللهوَ ولَزِمَ الزهدَ فانه ظلَّ بخيلاً حريصاً على الدنيا بعوامل بيئته الأولى وفقره الأول .

وتُوُفِّيَ أبو العتاهية في بغدادَ ، في ٨ جمادى الثانية ٢١١ هـ (١٥-٩-٨٢٦م) .

٢ - أبو العتاهية شاعرٌ مطبوعٌ مُكثِرٌ ١ سهلُ الألفاظِ قريبُ المعاني قليلُ التكلّف . ويَسْهُلُ شعرُه أحياناً حتى يَضْعُفَ ويَرِكَّ ، وخصوصاً في الزهد . وسار شعره على ألسنة الخواصِّ والعوامِّ لسهولته ولنَغْمته الدينية . وهو كثير

---

١ في الروايات كلها أن أبا العتاهية شاعر مكثر . ومع أن أبا العتاهية شاعر مطبوع ، فان الاهتمام بشعر كان قليلا لغلبة الزهد عليه ولأسلوبه الذي يرك أحياناً ولمعانيه المكرورة . واستناداً إلى هذا نستطيع أن نقول إن كثيراً من شعره قد ضاع . في سنة ١٨٨٦ م أخرج اليسوعيون في بيروت مجموعاً مصنوعاً من شعر أبي العتاهية سموه « الأنوار الزاهية في ديوان أبي العتاهية » . ولقد كان من المنتظر أن تكون هذه النسخة مشوهة ، ككثير من الآثار التي تناولها اليسوعيون ، إذا كانت متصلة بالأدب العربي وبالاسلام. ولكن لم ينل أبو العتاهية عناية صحيحة من الأدباء العرب ولا طبع ديوانه غير المرات الثلاث أو الأربع في المطبعة اليسوعية (الكاثوليكية) في بيروت .

ولقد عني الدكتور شكري فيصل بديوان أبي العتاهية واعتمد في ذلك نسختين له هما نسخة المكتبة الظاهرية في دمشق ونسخة وجدها في توبنجن (ألمانية) يرقى نسخها إلى مطلع القرن السابع الهجرة (مطلع القرن الثالث عشر للميلاد) . وبمقارنة طبعة اليسوعيين بهاتين المخطوطتين تبين للدكتور شكري فيصل أن طبعة الآباء اليسوعيين عنيت بالزهد خاصة وتهاونت بأبيات ومقاطع من سائر الفنون . ولقد استطاع الدكتور شكري فيصل أن يجمع في الديوان الذي استخرجه لشعر أبي العتاهية (أبو العتاهية : أشعاره وأخباره - مطبعة جامعة دمشق ، دمشق ١٣٨٤ هـ = ١٩٦٥ م) خمسة آلاف وخمسمائة بيت أو تقل قليلا .وهذا العدد أيضاً يجب أن يكون أقل من العدد الذي بلغ اليه شعر أبي العتاهية . ثم اتضح للدكتور شكري فيصل أن الآباء اليسوعيين قد تلاعبوا بشعر أبي العتاهية تلاعباً يتبدى في الأوجه التالية : كانت بعض الكلمات في الديوان محرفة (وهذا التحريف يمكن أن يكون نتيجة للجهل أو أن يكون مقصوداً) . ويبدو أن الآباء اليسوعيين قد بدلوا عدداً من الكلمات مثل « الحب » فقد جعلوها « الود » ، كما وضعوا كلمة « النوى » مكان كلمة « الهوى » ، وكلمة « نديم » مكان كلمة « جارية » . (ص ١١) . وكذلك حذف الآباء اليسوعيون من ديوان أبي العتاهية الالفاظ الإسلامية ككلمة « محمد » وجملة « لا شريك له » وما ماثل ذلك . وكانوا يحاولون ان يشوهوا الأبيات التي فيها مدارك إسلامية بتحريفها ، فإذا لم يتأت لهم تحريف البيت حتى يغيب منه المدرك الإسلامي حذفوا البيت جملة واحدة (ص ١٢ - ١٣) .

فالدكتور شكري فيصل مشكور على جهوده ، وان كان التحريف للأدب العربي والنقص من الثقافة الإسلامية صناعة لليسوعيين وللذين خرجوا من معاهد اليسوعيين، إلا من رحم ربك . (وراجع مقدمة الجزء الأول من هذا الكتاب ، ص ٢٣ ؛ وراجع كتاب التبشير والاستعمار في البلاد العربية ، للدكتور مصطفى الخالدي والدكتور عمر فروخ ، الطبعة الثالثة ، بيروت . ١٣٨٣ هـ = ١٩٦٤ م ص ٢١٧ وما بعدها) .

الترديد للمعاني وللتراكيب . ولقد شك المعاصرون لأبي العتاهية ومؤرخو الأدب من بعدِهم في صِدق أبي العتاهية في زُهدِه ، واعتقدوا أنه كان يَصْطَنِعُ القولَ فيه اصْطناعاً ، حتى قال فيه سَلْمٌ الخاسر :

ما أقبحَ التزهيدَ من شاعرٍ يُزهِّدُ الناسَ ولا يَزْهَدُ !

وحمل الناسَ على الشكِّ في زهدِه أنه كان بخيلاً مُقتِّراً على أهلِه وعلى نفسه ، مُحِبّاً للَّهوِ حتى بعد انتقاله إلى القولِ في الزهد . وقد كانت زُهْديات أبي نواسٍ – عند جميعِ النقاد – أصدقَ وأجودَ .

وقال أبو العتاهية في مُعْظَمِ فنونِ الشعر ، ولكنه بَرَعَ في الغزل وفي الزّهد والأمثال (الحكمة) .

٣ – المختار من شعره :

– قال أبو العتاهية يتغزّل بعُتْبة :

عيني على عُتْبَةَ مُنْهَلّةٌ بدمعها المُنْسَكِبِ السائلِ .
كأنها من حُسْنها دُرّةٌ أخرجها اليَمّ إلى الساحل [١] .
كأن في فيها وفي طَرْفها سواحراً أقبلْنَ من بابل [٢] .
بَسَطْتُ كفّي نحوكم سائلاً ، ماذا تَرُدّون على السائل ؟
إن لم تُنيلوه فقولوا له قولاً جميلاً بَدَلَ النائل .
لم يُبْقِ مني حُبُّها ما خلا حُشاشةً في بدنٍ ناحل [٣] .
يا من رأى قبلي قتيلاً بكى ، من شدّة الوَجْد ، على القاتل !

– قال أبو العتاهية يبكي شبابه :

بَكَيْتُ على الشباب بدمع عيني فلم يُغْنِ البكاء ولا النحيبُ .
عَرِيتُ من الشباب – وكان غَضّاً – كما يَعْرى من الوَرَق القضيب .

---

١ الدرة : اللؤلؤة . اليم : البحر .
٢ في فيها : في فمها . طرفها : عينها . بابل مدينة قديمة كانت قرب الكوفة ، اشتهر أهلها بالسحر .
٣ النائل : العطاء . أناله : أعطاه .

أَلا لَيْتَ الشبابَ يعودُ يوماً   فأُخْبِرَهُ بما فَعَلَ المَشيبُ !

— وقال في التزهيد في الدنيا :

لِدُوا للموت وَٱبْنوا للخَرابِ ،   فَكُلُّكُمُ يصيرُ إلى تَبابِ [1] .
لِمَنْ نبني ؟ ونحن إلى تُرابٍ   نصير ، كما خُلِقْنا من تراب .
أَلا يا موتُ ، لم أَرَ منك بُدّاً .   أَتَيْتَ وما تَحِيفُ وما تُحابي [2] .
كأنّك قد هجمتَ على مَشيبي   كما هجم المشيبُ على الشباب .

— وقال يخاطب سلْمَ بنَ عمرو المعروفَ بسلمٍ الخاسر ، قيل ورث سلْمٌ عن أبيه مُصحفاً قديماً فرهنه عند خمّار :

لقد أيقنتُ أني غيرُ باقٍ ،   ولكنّي أراني لا أبالي .
سأقنع ما بَقِيتُ بقوتِ يومٍ   ولا أبغي مُكاثرةً بمال [3] .
تَعالى اللهُ ، يا سَلْمَ بن عمرٍو ،   أذَلّ الحِرْصُ أعناقَ الرجال [4] .
هَبِ الدُنيا تُساقُ إليك عَفْواً ،   أليس مصيرُ ذاك إلى الزوال ؟
خَبَرْتُ الناسَ قَرْناً بعد قرنٍ   فلم أرَ غيرَ خَتّالٍ وقالٍ [5] .
وذُقْتُ مَرارةَ الأشياء طُراً   فما طَعْمٌ أمرّ من السؤال

— من « الارجوزة ذاتِ الامثال » [6] :

حَسْبُكَ مما تَبْتَغيه القوتُ ؛   ما أكثرَ القوتَ لِمَنْ يموتُ .
ان كان لا يُغنيكَ ما يَكْفيكا   فكلّ ما في الارض لا يُغنيكا .
عَلِمْتَ ، يا مُجاشِعُ بنَ مَسْعَدَهْ ،   أنّ الشبابَ والفَراغَ والجِدَهْ [7]
مَفْسَدَةٌ للمرءِ أيُّ مفسده !

---

١ التباب : الهلاك .

٢ يحيف : يظلم . يحابي : يصانع ، يمالئ شخصاً على آخر .

٣ المكاثرة : مباهاة الآخرين بكثرة (المال أو الأولاد الخ) .

٤ الحرص : الشره إلى أعراض الدنيا وشدة التمسك بها .

٥ الختال : الذي ينتهز الفرصة ليغدر بغيره ، ويسلب منه شيئاً . قال : مبغض .

٦ قيل كانت هذه الارجوزة أربعة آلاف بيت (غ ٤ : ٣٦) لم يصلنا منها إلا أبيات قليلة ؛ ثم استطاع الدكتور شكري فيصل أن يجمع منها نحو ثلاثمائة وعشرين بيتاً (أبو العتاهية : أشعاره وأخباره ، ص ٤٤٤ — ٤٦٥) .

٧ مجاشع بن مسعدة أخو عمرو بن مسعدة (ت ٢١٧ هـ ؛ راجع تحت) ، وقد كان شاباً جريئاً قليل المبالاة بالعواقب . الفراغ : اتساع الوقت من غير عمل مفيد . الجدة : الغنى وكثرة المال .

يا لَلشّبابِ المَرِحِ التّصابي؛ روائحُ الجنّةِ في الشبابِ [1] !
هي المقاديرُ ، فلُمْني أوْ فَذَرْ ، تجري المقاديرُ على غَرْزِ الإبَرْ ؛
إن كنتُ أخطأتُ فما أخْطا القَدَرْ ! [2]
كذا قضى اللهُ فكيفَ أصنعُ ؟ والصّمْتُ إنْ ضاق الكلامُ أوسعُ .
وكلَّ خيرٍ تَبَعٌ للعَقْلِ ، وكلّ شرّ تبعٌ للجهلِ .
ما زالتِ الدّنيا لنا دارَ أذى مَمْزوجةَ الصّفْوِ بألوانِ القَذى .
من يسألِ الناسَ يَهُنْ عليْهِمُ ؛ بُؤْسى لِمَنْ حاجَتُه إلَيْهِمُ .
طوبى لمن طاب له الحديثُ ؛ ما يَسْتوي الطيّبُ والخبيثُ [3] .

٤ – الانوار الزاهية في ديوان أبي العتاهية ، بيروت (مطبعة الآباء اليسوعيين) ١٨٨٦ م ، ١٩١٤ م .

أبو العتاهية : أشعاره وأخباره (عني بتحقيقها الدكتور شكري فيصل) ، دمشق (مطبعة جامعة دمشق) ١٣٨٤ هـ (١٩٦٥ م) .

ديوان أبي العتاهية ، بيروت (دار صادر ودار بيروت) ١٩٦١ م .

•• أبو العتاهية الشاعر العالمي ، تأليف عبد المتعال الصعيدي ، القاهرة (مطبعة الشرق الإسلامية) ١٩٣٩ م .

أبو العتاهية ، تأليف أحمد برانق ، القاهرة (لجنة البيسان العربي) ١٩٤٧ م .

أبو العتاهية رائد الزهد في الشعر العربي ، تأليف أسامة عانوتي ، بيروت ١٩٥٧ م .

أبو العتاهية شاعر الزهد والحبّ الخائب ، تأليف عبد اللطيف شرارة بيروت (دار الشرق الجديد) ١٩٦٢ م .

---

١ المرح : النشيط في التمتع بالسرور . التصابي : لهو الشباب . المرح التصابي : المقتدر على اللهو لوفرة نشاطه . روائح الجنة في الشباب (ومع هذا كله ، فالشباب زمن السعادة التامة حتى أنه ليذكرك بالجنة – منه رائحة الجنة ، رائحة الخلود في النعيم) .

٢ ذر = ذرني : اتركني (دع لومي ، لا تلمني) . تجري المقادير على غرز الابر : تطال كل الناس من غير أن تترك أحداً منهم (كما تمر الابرة على جميع خيوط الثوب) .

٣ .... لمن طاب له (هذا) الحديث : حديث الوعظ والتزهيد في الدنيا .

الفهرست ١٦٠ ؛ الاغاني ٤ : ١ — ١١٢ ؛ تاريخ بغداد ٦ : ٢٥٠ — ٢٦٠ ؛ وفيات الاعيان ١ : ١٢٥ — ١٣٠ ؛ شذرات الذهب ٢ : ٢٥ — ٢٦ ؛ بروكلمان ١ : ٧٦ — ٧٧ ، الملحق ١ : ١١٩ — ١٢٠ ؛ وزيدان ٢ : ٧٣ — ٧٤ . Enc. Isl. (new ed) I 107 - 8

عليّ بن جَبَلَةَ العَكَوَّك

١ — هو أبو الحسن عليٌّ بن جَبَلَةَ بن عبد الله الأنباري المعروف بالعَكَوَّك (السمين القصير) — قيل سمّاه بذلك الأصمعي .

وُلِدَ عليّ بنُ جَبَلَةَ في بغدادَ ، سنة ١٦٠ هـ (٧٧٦ م) ، أكْمَهَ ، وقيل بل كُفَّ بَصَرُه وهو صغير . ولقد تردّد على حَلَقاتِ الأدباء فبَرَعَ في الأدبِ وقول الشعر في مدّة قصيرة . وقضى العكّوك معظم حياته في العراق يمدح أبا دُلَفٍ العِجليّ وأبا غانمٍ حُميد بن عبد الحميد الطوسي والوزيرَ الحسن ابن سهل .

وغَضِبَ المأمونُ على العكّوك لمبالغته في مديح رجالِ دولته ولِخُروجه في ذلك المديح عن الايمان الصحيح كقوله في مديح أبي دُلَفٍ القاسمِ بن عيسى العِجلي :

أنتَ الذي تُنْزِلُ الأيامَ مَنْزِلَها وتَنْقُلُ الناسَ من حالٍ إلى حالِ .
وما مَددتَ مَدى طَرْفٍ إلى أحد إلاّ قَضَيْتَ بأرزاقٍ وآجال !

فزعم قومٌ أن المأمون أمرَ بقتله ؛ وأنكر ذلك ابنُ المُعْتَزّ (طبقات ١٧٣) والأصفهاني (غ ١٨ : ١٠١) وقالا إنّ العكوكَ استَتَرَ خوفاً من المأمون حتّى وافاه أجلُه حتَفَ أنفه ، سنة ٢١٣ هـ (٨٢٨ م) .

٢ — عليّ بن جَبَلَةَ العكوّكُ شاعرٌ مطبوع مُجيد ، وهو أحدُ فحولِ الشعراء فصيحُ الألفاظِ لطيفُ المعاني متين التركيب مَعَ رَوْنَقٍ وسُهولة وصناعة بارعة ، حسنُ الإنشاد . ولقد أحسَنَ التصرّفَ في المديح وأجاد الرثاء والوصفَ والغزل .

٣ — المختار من شعره :

— قال عليّ بن جَبَلَةَ العكوّكُ يمدح أبا دُلَفٍ القاسمَ بن عيسى العجليّ

بقصيدة جيّدة مشهورة منها :

ذادَ وِرْدَ الغَيِّ عن صَدَرِهْ ، فارعَوى ، واللّهْوُ من وَطَرِهْ [1] .
وأبَتْ إلاّ الوَقارَ له ضَحِكاتُ الشيب في شَعَرِه .
نَدَمي أنّ الشبابَ مضى لم أبَلِّغْهُ مَدى أشَرِه [2] .
جارتا ، ليس الشبابُ لِمَن راح مُحْنِيّاً على كِبَرِه .
ذهبَتْ أشياءُ كنتُ لها صارفاً حِلْمي إلى صوَرِه [3] ،
طَرَقَتْ تَلْحِيي فقلتُ لها : مَذهبٌ ما أنت من سُوَرِه [4] !
دع جَدا قَحطانَ أو مُضَرٍ في يمانيه وفي مُضَرِه ،
وامتَدِحْ من وائلٍ رَجُلاً عَصَرُ الآفاقِ من عُصُرِه [5] :
المنايا في مَناقِبِه ، والعطايا في ذُرا حُجَرِه [6] .
هَضَمَ الدنيا بنائلِه ، وأقالَ الدينَ من عَثَرِه [7] .
مَلِكٌ تَنْدَى أنامِلُه كابتسام الرَّوْضِ عن زَهَرِه ،
مُسْتَهِلٌّ عن مواهبه كانبلاجِ النَّوْءِ عن مَطَرِه [8] .
جبَلٌ عزّتْ مناكِبُه أمِنَتْ عَدْنانُ في ثُغُرِه [9] .

---

١ ذاد : دفع ، رد . الورد : الذهاب إلى الماء للشرب . الصدر : الرجوع عن الماء (بعد الري) — صد (ظهور الشيب) طالب الملذات عن لهوه فأذعن وترك طلب الملذات ، مع أنه لا يزال فيه بقية من النشاط تحمله على طلب اللهو .

٢ الاشر : البطر من نشاط الشباب . — لم أتمتع بجميع نشاطي في عهد شبابي .

٣ عرضت لي في شبابي أمور (تعرض للشبان) فكنت أصرف نفسي عنها بأوجه من الخلق والعقل .

٤ طرقت : جاءت بليل ، تلحاني : تلومني (على تركي ملذات الشباب) فقلت لها : هذا مذهب لا تليقين به ولا تستطيعينه (السورة : المنزلة ، الشرف) .

٥ عصر الآفاق في عصره : أهل الأرض كلهم ضمن عشيرته (كناية عن العزة والمنعة بكثرة القبيل) .

٦ اقرأ : مقانبه مكان مناقبه . المقانب : أكف الاسود ، العطايا . ذرى (فضلات ، ما تناثر من الشيء) . حجره (غرف بيته) .

٧ هضم (اقرأ : خضم : أعطى من ماله) . النائل : العطاء . وأقال الدين من عثره : أنهض الدين من عثرته (بقتال أعدائه) .

٨ مستهل : متدفق . كانبلاج النوء عن مطره : كانبلاج المطر عن نوله : كسقوط المطر بعد تبدل الفصول .

٩ أمنت عدنان (العرب) في ثغره (ثغوره : مناطقه المتاخمة لبلاد العدو) .

إنّما الدنيا أبو دُلَـــفٍ بين باديه ومُحْتَضَرِه[1] ؛
فاذا وَلّى أبو دلَـــفٍ ولّتِ الدنيا على أثَرِه !
يا دواءَ الأرْض ان فَسَدَتْ ، ومُجيرَ اليُسْرِ من عُسُرِه ،....

اليتيمة

اليتيمةُ قصيدةٌ بارعةٌ في الغزل وفيها شيءٌ من التصريح والمُجون .

زعموا أن أميرةً نَجْدِيةً بارعةَ الجمالِ نَذَرَتْ ألاّ تتزوّجَ إلاّ فتىً يُرضيها شِعرُه ، فتقرّب إليها شعراءُ كثيرون بقصائدِهم فلم تَرْضَ منها شيئاً . وعَمِلَ شاعر تِهاميّ قَصيدةً وسارَ بها فلَقِيَ في طريقه شاعراً آخرَ يَقْصِدُ مَقْصِدَهُ فتناشدا قصيدتيهما . وكانت قصيدةُ التِهامي أبرعَ فقتله رفيقُه وانتحل قصيدته وقَدِمَ بها على الأميرة . وأدركتِ الأميرة من لفظِ الشاعرِ ومن قرائنَ في القصيدة نفسِها أن القصيدةَ ليست للذي أنْشَدَها بين يديها . واعترف الشاعر بجَريمته فأمَرَتْ بقتله .

قال بعضُهم ان القصيدةَ جاهليةٌ ، وقال آخرون هي أموية . والأكثر أنها عبّاسيّة[2] .

وقال العُكبريّ (ت ٦١٦ هـ) في شَرْحِ قولِ المتنبّي (ت ٣٥٤ هـ) : « .... وبضدِّها تتميّزُ الأشياءُ » [3] إنه مأخوذٌ من قول المنبجي : « والضدّ يُظْهِرِ حسنَه الضدّ » . فإذا كان العكبريّ مُنصفاً مُخلصاً فالمنبجي هذا يجبُ أن يكونَ سابقاً على المتنبّي في الزمن سَبْقاً كبيراً ، لأن المتنبّي لم يكنْ ليُقِرّ لمعاصريه في شيء حتّى يأخذَ من مَعانيهم هذا الأخذَ الواضح .

---

١ المحتضر : الحواضر (المدن) . البادي : البادية .

٢ راجع استعراضا لنسبة اليتيمة في « المختارات السائرة » للأستاذ أنيس المقدسي ، بيروت (المطبعة الاميركانية) ١٩٤٦ ، ص ٢٤١ . يورد الاستاذ المقدسي من المراجع : فهرست آداب اللغة لدار الكتب المصرية ٤٣٧ (التي ينسب القصيدة إلى المكوك) ؛ « البينات » لعبد القادر المغربي (١ : ٢٠٤ - ٢٠٦) ؛ شرح العكبري على ديوان المتنبي ١ : ١٦ ؛ مجلة الهلال (القاهرة) ١٤ : ١٧٤ .

٣ راجع أيضاً شرح ديوان المتنبي للعكبري (ضبطه وصححه .... مصطفى السقا ، ابراهيم الابياري ، عبد الحفيظ شلبي) ، مصر (مطبعة البابي الحلبي) ١٣٥٥ هـ = ١٩٣٦ م . ١ : ٢٢ .

وقيل هي لدَوْقَلة المَنبجي [1] ، وقد ورد في تاج العروس (٧ : ٣٢٣) : « ودوقلة شاعر » . وقيل إن القصيدة لأبي الشيص [2] .

على أن في مَكْتَبَة المَجْمَع العلمي العربي في دِمَشْقَ مجموعاً وَرَدَتْ فيه « اليتيمةُ » منسوبةً إلى العَكَوَّك عليِّ بن جَبَلَةَ . بهذا النظر تأتي هـذه القصيدة هنا :

هل بالطُلول لسائلٍ ردُّ ... أم هلْ لها بتكَلّمٍ عَهْدُ [3] ؟
دَرَسَ الجديدُ جديدَ معهدِها ... فكأنما هي رَيْطَةٌ جَرْدُ [4]
من طولِ ما تبكي الغُيومُ على ... عَرَصاتِها ويُقَهْقِه الرعد [5] .
فوَقَفْتُ أسألُها وليس بهـا ... إلاّ المَها ونقانقٌ رُبْدُ [6] ،
فتناثرتْ دُرَرُ الشُؤُونِ على ... خدّي كما يتناثر العِقْدُ [7] .

---

١ في « يتيمة الدهر » للثعالبي أبيات على وزن هذه القصيدة وعلى رويها لأبي العلاء الاسدي (٣ : ١٩١)،ثم أربعة أبيات على وزنها ورويها ، وفي الغزل أيضاً ، لأبي محمد عبد الله بن أحمد الخازن الاصفهاني (٣ : ٢٩٦) .

وتجد واحداً وستين بيتاً من هذه القصيدة في مجموعة « الحديقة » ، جمعها محب الدين الخطيب (الجزء السادس ، الطبعة الثانية) ، القاهرة (المطبعة السلفية ومكتبتها) ١٣٤٩ هـ ، ص ١٩٦ — ٢٠٥ ، وفي مقدمتها : « القصيدة اليتيمة لدوقلة المنبجي ، نقلها عبد العزيز الميمني الرجكوتي في آخر مخطوطة للمقامات وجد في الهند » . غير أن عبد القادر المغربي يذكر (البينات ١ : ٢٠٤ — ٢٠٦) أن هـذه القصيـدة نيف وسبعون بيتاً ، وقد نحلت لأربعين شاعراً متفرقين بين الجاهلية والعصر العباسي ؛ وبعد نزاع طويل صح أنها للعكوك الكندي .

أما نسبة القصيدة إلى العكوك ونصها فقـد اعتمدت صورة لمخطوط تفضل المجمع العلمي العربي (مجمع اللغة العربية) في دمشق باهدائه الي ، وقد كانت أبياتها في هذا المخطوط نيفاً وستين بيتاً .

٢ ابو الشيص شاعر عباسي . انظر ، فوق ، ص ١٤٨ .

٣ أم هل لها بتكلم عهد : هل سبق أن تكلمت الاطلال حتى ترد على الآن؟

٤ الجديد = الجديدان : الليل والنهار (الزمن الذي لا يزال جديداً لأنه خالد) . جديد معهدها : منزلـها (المكان المسكون فيها منذ أمد يسير) . ريطة : رداء واسع من حرير . جرد (بفتح الجيم) : خلق (بفتح الخاء واللام) قديم العهد متهرئ . (المكان الجرد : الأجرد ، الذي لا نبات فيه) .

٥ العرصة (بفتح العين والراء) : المكان الخلاء .

٦ المها جمع مهاة : بقر الوحش (نوع من الغزلان البرية) . النقانق جمع نقنق (بكسر النونين) : الظليم (ذكر النعام) وجمع نقنقة : النعامة . الربد جمع أربد وربداء : القاتمة اللون .

٧ درر جمع درة : لؤلؤة . الشؤون : أطراف العيون . درر الشؤون : الدموع .

لَهْفي على دَعْدٍ ، وما خُلِقَتْ   إلاّ لطولِ تَلَهّفي دعد [1] .

بَيْضاءُ قد لَبِسَ الأديمُ أديـ   ـمَ الحُسْنِ فهو بجلْدها جلد [2] .

ويَزينُ فَوْدَيْها إذا حَسَرَتْ   ضافي الغَدائرِ فاحِمٌ جَعْدُ [3] ،

فالوجهُ مِثْلَ الصُّبْحِ مُبْيَضٌّ ،   والشَّعرُ مثل الليلِ مُسْوَدّ :

ضِدّانِ لمّا اسْتُجْمِعا حَسُنا ؛   والضِدّ يُظْهِرُ حُسْنَه الضدّ !

وجبينُها صَلْتٌ وحاجبُها   شَخْتُ المَخَطِّ أزجُّ مُمْتَدّ [4] .

فكأنّها وَسْنَى إذا نَظَرَتْ ،   أو مُدْنَفٌ لَمّا يُفِقْ بعد [5] ،

بفُتورِ عينٍ ما بها رَمَدٌ ؛   وبها تُداوى الأعينُ الرُّمْد .

وتُريكَ عِرْنيناً به شَمَمٌ   أقْنى وخدّاً لَوْنُه وَرْد [6] .

وتُجيلُ مِسواكَ الأراكِ على   رَتْلٍ كأنّ رُضابَه شَهْد [7] .

والجِيدُ منها جيد جازِئةٍ   تَعْطو إذا ما طالَها المَرْد [8] ،

---

١ لهفي ، يا لهفي (بفتح اللام أو بفتح اللام والهاء معاً) : كلمة تقال للتحسر على ما فات . والتلهف مثلها (لن يتاح لي الوصول إلى دعد !)

٢ .... قد لبس أديمها (جلدها) أديم الحسن (جمعت الحسن كله) .

٣ الفود : الشعر في جانب الرأس (قريباً من الاذن) . حسر : كشف عن رأسه . الغدائر جمع غديرة : الذؤابة (بضم الذال) ، مقدار من الشعر يتدلى من الرأس . الضافي : السابغ ، الوافي ، الزائد . فاحم : أسود (كالفحم) . جعد : متموج (ليس مستقيماً كشعر الصينيين مثلا) .

٤ صلت : واضح (بارز ومستو : لم ينخسف إلى الوراء ولم يزحف عليه الشعر من جانبيه وأعلاه) ..... شخت : دقيق . حاجبها شخت المخط (يظهر حاجبها كالخط الرفيع الضيق فوق عينها) . الزجج (بفتح ففتح) : دقة الحاجبين في طول ، والنعت منه أزج وزجاء (القاموس ١ : ١٩١) .

٥ وسنى : غلب عليها الوسن (النعاس) . المدنف : المريض الذي ثقل مرضه (فغاب عن الوعي) .

٦ العرنين : قصبة الانف (الانف) . شمم : ارتفاع (ليست خنساء مخصورة الانف) . أقنى : طويل مستقيم (كالقناة : القصبة ، الرمح) .

٧ المسواك : قطعة من غصن تشعث (تفرق أليافها) من طرفها وتفرك بها الإسنان لتنظيف الاسنان . الأراك : نوع من الشجر تتخذ منه أجود أنواع المساويك . الرتل : حسن التناسق والتنضيد (استواء الرصيف ، الاشياء تصف على نسق واحد) وبياض الاسنان . الرضاب : الريق ما دام في الفم . الشهد (بفتح الشين ، ويجوز ضمها) : العسل (أو العسل ما دام في شمعه قبل أن تمسه يد الانسان).

٨ الجيد : العنق . الجازئة : (الظبية) الأم الوالدة حديثاً (لا تريد أن تترك طفلها فتبالغ في مد عنقها حتى تطال بها الأشياء) . عطا يعطو : مد عنقه لتناول غصن الشجرة أو نحوه . إذا ما طالها : إذا كان (غصن الشجرة ، أو الشيء المراد) أطول (أعلى) مما يستطيع الإنسان أن يصل اليه في وقفته الطبيعية . المرد : ثمر شجر الاراك إذا كان لا يزال غضاً (طرياً ، قبل أن ييبس) .

وكأنما سُقِيَتْ ترائبُهـــا والنحرُ ماءَ الوَرْدِ إذ تبدو [1] .
والمِعْصَمانِ فما يُرى لهمـا من نعمة وبضاضة زَنْـدُ [2] .
ولها بَنانٌ لو أردْتَ له عَقْداً بكفِّكَ أمكَنَ العَقْدُ [3] ،
وبصدرِها حُقّانِ خِلْتَهُمـــا كافورتَيْنِ عَلاهُما نَدّ [4] .
والبطن مَطْوِيٌّ كما طُوِيَـتْ بيضُ الرِّياطِ يَزينُها المَلْدُ [5] .
وبِخَصْرِهـا هَيَفٌ يزيِّنـه ، فاذا تَنوءُ يَكادُ يَنْقدُّ [6] .
والنَّفُّ فَخْذاها وفوقَهمـا كَفَلٌ ، يُجاذِبُ خصرَها ، نَهْدُ [7]
فقيامُها مَثْنى إذا نَهَضَتْ من ثِقْلِه وقُعودها فَرْدُ [8] .
ما شانَها طُولٌ ولا قِصَـرٌ في خَلْقِها فقوامُها قَصْدُ [9]
ان لم يكنْ وصلٌ لَدَيْكِ لنا يَشْفي الصَّبابةَ فلْيَكُنْ وعـد .
قد كان أوْرَقَ وصلُكم زمناً ، فذَوى الوِصالُ وأورق الصدّ .
للهِ أشواقي إذا نَزَحَـــتْ دارٌ بِنا ونأى بكم بُعْدُ .

---

١ الترائب جمع تَريبة : عظم جانب الصدر . النحر : أعلى الصدر إلى العنق . سقيت ماء الورد (كناية عن لون ضارب إلى الحمرة أو كناية عن رائحة زكية) .

٢ النعمة : قلة الابتذال في العمل والخدمة . البضاضة : اللين والامتلاء (مع بياض اللون) . الزند : العظم الذي يصل الكف بالساعد .

٣ البنان : الأصابع (تنعقد لينها) . .

٤ الحق (بضم الحاء) : وعاء من خشب (أو فخار) ، كناية عن كبر الثدي . الكافورة : طلعة النخل (الوعاء الذي يكون فيه قرط البلح قبل أن ينشق ، أو هو الطلعة نفسها ـ قرط البلح في أول خروجه من وعائه) كناية عن الكبر والاستدارة والبياض . الند نوع من الطيب ، أو هو العنبر (ويكون لونه أسمر) .

٥ الملد (بفتح الميم واللام) : النعومة واللين (وقد سكن الشاعر اللام للضرورة) .

٦ الهيف (بفتح الهاء والياء) دقة الخصر . يزينه : يزين خصرها . ناء : نهض ، قام من قعوده . ينقد : ينقطع ، ينكسر (لأن خصرها النحيل الدقيق الضامر الضعيف لا يستطيع أن يحمل بدنها الممتلىء السمين الثقيل) .

٧ الكفل : جانب الفخذ . نهد : عال ، مرتفع .

٨ قيامها مثنى : إذا نهضت نهضت دفعتين (بضم الدال) : تنهض أولا فترفع جسمها عن الأرض معتمدة على يديها ، ثم تتم نهوضها فتنتصب واقفة . وقعودها فرد : مرة ، دفعة واحدة .

٩ ما شانها (عابها) طول (كثير) ولا قصر (كثير) في خلقها (صورة جسمها) . قصد : معتدل .

ان تُتْهِمي فتِهامةٌ وَطَنِي ، أو تُنْجِدي إنَّ الهوى نَجْدُ [1] .
وزعَمْتِ أنكِ تُضمِرينَ لنا وُدّاً ، فهلاّ يَنْفَعُ الودّ ؟
وإذا المُحِبّ شكا الصدودَ ولم يُعْطَفْ عليه فقَتْلُه عمد [2] !
ولَقَدْ عَلِمْتِ بأنّني رَجُلٌ في الصالحاتِ أروح أو أغدو :
سَلْمٌ على الأدنى ومَرْحَمة ، وعلى الحوادث مارِنٌ جَلْد [3] ؛
مُتَجَلْبِبٌ ثوبَ العَفافِ وقد غَفَلَ الرقيبُ وأمكَنَ الوِرْد .
آليتُ أمدحُ مُقْرِفاً أبداً ، يَبْقى المديح ويَنْفَدُ الرِفْد [4] :
هيهاتِ ، يأبى ذاك لي سَلَفٌ خَمَدوا ولم يَخْمُدْ لهم مَجْد .
والجَدّ كِنْدَةُ والبنونَ هُمُ ، فزكا البنونَ وأنجبَ الجَدّ [5] .
فلَئِنْ قَفَوْتُ جميلَ فِعْلِهِمُ بذميمِ فِعْلي إنّني وَغْد [6] .
أجْمِلْ إذا ما كنتَ ذا طَلَب ، فالجَدّ يُغْني عنك لا الجِدّ [7] .
وإذا صبرتَ لجُهْدِ نازلةٍ فكأنه ما مسّكَ الجَهْد [8] .
لِيَكُنْ لديكَ لسائلٍ فَرَجٌ ؛ إنْ لم يَكُنْ فَلْيَحْسُنِ الردّ .

---

١ ان تتهمي : ان تكوني من أهل تهامة (ساحل شبه جزيرة العرب على البحر الأحمر) فتهامة وطني (أنا أيضاً من أهل تهامة) أو تنجدي : وإذا كنت من أهل نجد (الهضبة المرتفعة في شمالي شبه جزيرة العرب) . إن الهوى نجد : ان حبي لك يجعلني أنضم إلى أهل نجد .

٢ – إذا شكا المحب (مرض) من الصدود (الهجر) ثم لم يعطف عليه حبيبه (بالقرب والوصال) ، فان الحبيب يكون قد قتل محبه عمداً .

٣ الأدنى : القريب (واحد الأقارب في النسب) . مارن : صلب ولدن (لين) في وقت واحد (بصير بمعالجة الأمور) . جلد : صبور ، قاس ، ذو عزم . سلم = سلام ، مسالم .

٤ آليت : أقسمت . أمدح : ألا أمدح (تسقط علامة النفي في القسم قبل الفعل المضارع) .
المقرف : الذي تكون أمه عربية وأبوه غير عربي (أي الشخص الذي لا يتصف بصفات العرب الاقحاح من كرم الأصل والشجاعة والكرم ؛ يقصد الشاعر : الدنيء اللئيم البخيل) . الرفد : العطاء .

٥ والبنون هم : المشهورون المعروفون بالشجاعة والأصل والكرم ...

٦ قفوت : اتبعت . الوغد : الرذل (بفتح الراء وسكون الذال) ، الدنيء ، الأحمق .

٧ – إذا كانت لك حاجة عند أحد فاطلبها منه باحسان وتعطف . إن الجد (بفتح الجيم : الحظ) هو الذي يفيد في الحياة لا الجد (بكسر الجيم : الكد ، الجهد ، السعي والتعب) .

٨ – إذا صبر الإنسان على الشدائد والمصائب فانها تمر من غير أن يشعر أنها نالت منه أو أتعبته .

وطريدَ ليلٍ – ساقه سَغَبٌ ... وَهْناً إليَّ وشَفَّه بَرْد [1] –
أوْسعْتُ جُهْدَ بَشاشةٍ وقِرىً ؛ ... وعلى الكريمِ لِضَيْفِه جُهْد [2] .
فتصرَّمَ المَشْتَى ، ومَرْبَعُه ... رَحْبٌ لَدَيَّ وعَيْشُه رَغْد [3] .
ثمَّ اغْتَدَى ورِداؤه نِعَمٌ ... أسْدَيْتُها وردائيَ الحَمْد [4] .
يا ليت شِعْري بعدَ مَهْلكَتي ، ... – ومَحارُ كلِّ مُعَمَّرٍ لَحْد [5] –
أصريعُ كَلْمٍ أم صريعُ ضَنىً ... أردى ؟ فليس من الرَّدى بُدّ [6] !

٤ – •• طبقات ابن المعتزّ ٧١ – ١٨٥ ؛ الاغاني ١٨ : ١٠٠ – ١١٤ ، تاريخ بغداد ١١ : ٣٥٩ ؛ وفيات الاعيان ٢ : ٣٦ – ٣٩ ؛ شذرات الذهب ٢ : ٣٠ – ٣١ ؛ بروكلمان ١ : ٧٧ ، الملحق ١٢٠١ ؛ زيدان ٢ : ٩٩ – ١٠٠ . Enc. Isl. « new ed » I 315-6

ابن هشام صاحب السيرة

هو أبو محمّدٍ عبدُ الملكِ بنِ هِشامِ بنِ أيّوبَ الحِمْيَريِّ المُعافِريِّ البَصْري ، أصلُه من البَصْرة ، سكَنَ حيناً في الكوفة حيثُ سَمِعَ « السيرة » من زِيادِ بنِ عبدِ الله . ثم جاء إلى مِصْرَ .

وماتَ ابن هِشامٍ في الفُسْطاط ، في ١٨ من ربيعٍ الآخِرِ ٢١٨ هـ (٨–٥–٨٣٨ م) ، وقيل سنة ٢١٣ هـ .

---

١ طريد ليل : الذي أزعجه الجوع في الليل فجعل يسير على غير هدى يطلب طعاماً . طريد منصوبة لأنها مفعول به من الفعل « أوسعت » في البيت التالي . ساقه : دفعه ، سيره . سغب : جوع . وهناً : بعد منتصف الليل . شفه البرد (لذعه البرد) .

٢ أوسعت جهد بشاشة وقرى : بذلت له أقصى ما أستطيع من حسن اللقاء ومن الطعام . – والكريم يبذل لضيفه جهده (أقصى ما يستطيع ، سواء أكان ذلك كفاية للضيف أو أقل مما يجب أو أكثر) .

٣ – وقد ظل ضيفاً عندي حتى تصرم (انتهى) المشتى (فصل الشتاء) . مربعه : مكثه ، نزوله ، بقاؤه عندي (كأنه في ربيع) . رغد : سعة وطيب وخصب .

٤ – ثم ذهب من عندي وقد أنعمت عليه كثيراً وقد نلت أنا منه حمداً كثيراً .

٥ محار : رجوع (نهاية) . معمر (بتشديد الميم المفتوحة) : الذي طال عمره . لحد : قبر (موت) .

٦ ماذا سيقول الناس بعد موتي : أتراهم يقولون : مات من كلم (من جرح في المعركة) أو من الضنى : الهزال والنحول بسبب الحب ؟ أردى (على وزن « أرضى ») : أهلك ، أموت .

كان عبدُ الملكِ بن هِشام عارفاً بالأخبار والأنساب وباللغةِ والنحوِ أديباً راويةً للأشعار . وذُكِرَ أنّ له تصانيفَ ، ولكنْ لم يَصِلْنا منه إلاّ «سيرةُ رسولِ الله» ، وهي في الحقيقة مِنْ وَضْعِ محمدِ بنِ اسحقَ [1] هذّبها ابنُ هشامٍ ولخّصها فانتشرتْ عنه فأصبحت تُنسَبُ إليه . وفي هذه «السيرة» جوانبُ من حياة محمّدٍ رسولِ الله ومن الغَزَوات ، كما أنّ فيها أخباراً كثيرةً تتعلّق بالصّحابة . وفيها أيضاً كثيرٌ من الشعرِ المُعاصر للدَّعْوةِ الإسلامية ووَصْفٌ لعددٍ من جوانبِ الحياة الاجتماعية والأدبية في ذلك العصر . ولا يَبْعُدُ أنْ يكونَ في هذه السيرة شيء من الشعر المَنْحول [2] ومن الأخبار الخارجة عن نطاق التاريخ كما هو مألوفٌ في جميع الأخبار القديمة ؛ ولكن «سيرة ابن هشام» تَظَلّ مَصْدراً مُهِمّاً من مصادرِ الحياةِ الإسلامية في القرنِ الأوّلِ قبلَ الهِجْرةِ والقرنِ الأولِ بعدَ الهجرة .

— سيرة رسول الله (نشرها F. Wuestenfeld) ، غوتنجن ١٨٥٨ — ١٨٦٠م ثمّ ليبزغ ١٨٩٩م ؛ بولاق ١٢٥٩ هـ ، ثمّ ١٢٩٥ هـ ؛ القاهرة ١٣٢٤ هـ ؛ (نشرها محمّد السقّا وابراهيم الابياري وأحمد شلبي) ، القاهرة ١٩٣٦م ؛ (نشرها محمّد محيي الدين عبد الحميد) ، القاهرة ١٩٣٧م . الخ .

•• وفيات الاعيان ١ : ٥٢٠ — ٥٢١ ؛ حسن المحاضرة ١ : ٢٥٤ ؛ بغية الوعاة ٣١٥ ؛ شذرات الذهب ٢ : ٤٥ ؛ بروكلمان ١ : ١٤١ ، الملحق ١ : ٢٠٦ — ٢٠٧ ؛ زيدان ٢ : ١٧٤ .

---

١ أبو عبد الله محمد بن اسحاق بن يسار (٨٥ — ١٥١ هـ) من أسرة فارسية سباها خالد بن الوليد من العراق ثم جيء بها إلى المدينة (نحو ١٩ هـ = ٦٤٠ م) ودخلت في الإسلام فأعتقها آل قيس بن مخرمة بن المطلب بن عبد مناف . زار محمد بن اسحق مصر ثم عاد إلى الحجاز فلم يطق الاقامة فيه ، فقد كان متطرفاً في تشيعه ، وكان يقول بالقدر فاستوجب نقمة مالك بن أنس فقيه المدينة وأمام الحجاز فانتقل في الايام الاولى من الدولة العباسية إلى العراق واتصل بأبي جعفر المنصور ثم صحب الأمير المهدي بن المنصور إلى الري . ثم انه عاد إلى بغداد حيث توفي . والعلماء الثقات يردون عدداً من الاخبار والاشعار التي كان محمد بن اسحق يرويها (راجع تاريخ بغداد ١ : ٢١٤ — ٢٣٤ ؛ معجم الأدباء ١٨ : ٥ — ٤٨ ؛ شذرات الذهب ١ : ٢٣٠ ؛ بروكلمان ، الملحق ١ : ٢٠٥ — ٢٠٦ ؛ زيدان ٢ : ١٧٥) .

٢ راجع الجزء الأول ، ص ٨٦ — ٨٨ .

أبو زيدٍ الأنصاري

هو أبو زيدٍ سعيدُ بن أوْسٍ الخَزرجيّ الانصاري ، وُلِدَ في البصرة قُبيلَ سَنَةِ ١٢٥ هـ (٧٤٣ م) .

أخذ أبو زيدٍ الأنصاريّ عن أبي عمرو بن العلاء والمُفضَّل الضبّي ، وروى الحديثَ عن أبي عَوْنٍ وغيره . ولمّا بُويع المَهْديّ بالخلافة ، سنة ١٥٨ هـ (٧٧٥ م) ، دعا إلى بغدادَ جماعةً من العلماء كان أبو زيدٍ الانصاريّ فيهم . وكانت وفاته في البصرة ، سنة ٢١٥ هـ (٨٣٠ م) بعد أن جاوز التسعين .

أبو زيدٍ الانصاريّ لُغويّ موثوق الرواية حتّى كان سيبويه يُسمّيه « الثقة » . وله كتب منها : كتاب الابل والشاء ، كتاب إيمان عُثمان ، كتاب خلق الانسان ، كتاب الجود والبخل ، كتاب الامثال ، كتاب غريب الاسماء ، كتاب قراءة أبي عمرو ، كتاب القوس والترس ، كتاب اللّبَن ، كتاب المطر ، كتاب المنطق ، كتاب النبات والشجر ، كتاب النوادر ، كتاب الهمزة ، كتاب الوحوش الخ .

– النوادر في اللغة (مع تعاليق لمصحّحه سعيد الخوري الشرتوني) ، بيروت (على نفقة مصحّحه) ١٨٩٤ م .

كتاب المطر (نشره شيخو) ، بيروت (المطبعة الكاثوليكية) ١٩٠٥ م .

كتاب الهمز وتخفيف الهمز (نشره شيخو) ، بيروت (المطبعة الكاثوليكية) ١٩١٠ م .

في كتاب البلغة في شذور اللغة (نشره هفنر وشيخو) ، بيروت (المطبعة الكاثوليكية) ١٩٠٨ م :

كتاب المطر (ص ١٠٠ – ١١٦) ،

كتاب اللبأ واللبن (ص ١٤٢ – ١٤٥) .

•• الفهرست ٥٤ – ٥٥ ؛ تاريخ بغداد ٩ : ٧٧ – ٨٠ ؛ طبقات الزبيدي ١٨٢ – ١٨٣ ؛ معجم الأدباء ١١ : ٢١٢ – ٢١٧ ؛ وفيات الاعيان ١ : ٣٧٠ – ٣٧١ ؛ انباه الرواة ٢ : ٣٠ – ٣٥ ؛ بغية الوعاة ٢٥٤ – ٢٥٥ ؛ شذرات الذهب ٢ : ٣٤ – ٣٥ ؛ بروكلمان ١ : ١٠٣ –

١٠٤ ، الملحق ١ : ١٦٢ - ١٦٣ ؛ زيدان ٢ : ١١٦ - ١١٧ ،
Enc. Isl. (new ed) I 167

الأصمعيّ

١ - هو أبو سعيد عبدُ الملك بن قُريب بن عبد الملك بن عليّ بن أصْمعَ من بني مالكِ بن أعْصُرٍ من قَيْسِ عَيْلانَ من مُضَرَ. وقيل له الباهليّ نِسبة إلى باهلةَ امرأةِ مالك بنِ أعْصُرَ.

وُلِدَ الأصمعيّ نحوَ سَنَةِ ١٢٣ هـ (٧٤٠ م) في البصرة وأخذ العلم عن نَفَرٍ كثيرين من العلماء منهم عيسى بن عُمَرَ الثقفي وشُعبة بن الحجّاج وحمّاد بن سَلَمَةَ وحمّاد بن زيد ومِسْعَر بن كِدام الهلاليّ، وقد أخذ قِراءة القُرآن ومُعْظَمَ علوم العربية عن أبي عمرو بن العلاء كما أخذ نَقْدَ الشعر عن خَلَفٍ الأحمرِ.

ولَقِيَ الأصمعي هرونَ الرشيدَ في البصرة ثم وَفَدَ عليه في بغدادَ بدعوة من الأمين، وهو بعدُ أميرٌ؛ ثُمَّ أدخله الفضلُ بن الربيع على الرشيد، فسَمِعَ الرشيدُ منه أسماءَ أعضاء الفرس والشواهدَ عليها في أشعار العرب. ولما جاء المأمون إلى بغدادَ استدعى الأصمعي من البصرة، ولكنّ الأصمعي اعتذر عن تلبية دعوة المأمون بكِبَرِ سنه.

وكانت وفاة الأصمعي في خُراسانَ سنة ٢١٦ هـ (٨٣١ م)، وقيل في البصرة سنة ٢١٣ هـ.

٢ - كان الأصمعي صاحبَ لغةٍ ونحوٍ وإماماً في علم الشعر ورواياته ونقده ثقةً في الأخبار بارعاً في النوادر والمُلَح والغرائب، كثيرَ الحفظ حسَنَ العبارة. وقد كان كثير الاحتراز في تفسير الكتاب (القرآن الكريم) والسُنّة (الحديث الشريف). أما كتبه فكانت كثيرة جداً[١].

٣ - من كلام الأصمعي :

- حدّثنا عبدُ الله بن اسحق الخُراساني، حدّثنا أحمدُ بن عبد بن ناصحٍ

١ راجع ثبتاً بأسماء كتب الاصمعي في كتاب الفهرست، في كتاب انباه الرواة ثم في ملحق بكتاب الاضداد للاصمعي (راجع رقم ٤).

قال حدّثنا الأصمعيّ قال :

وَلِيَ الحجّاجُ العِراقَ عشرين سنةً ، صار إليها في سَنة خَمْسٍ وسبعينَ . وكانت وِلايتُه في أيامِ عبدِ الملك أحدَ عَشَرَ سنةً ، وفي أيام الوليدِ تِسْعَ سنين. وبنى واسطَ في سنتين وفَرَغَ منها في السنة التي مات فيها عبدُ الملك ، سَنَةَ ستٍّ وثمانين . وكان الحجّاج لما احتُضِرَ استَخْلَفَ يزيدَ بن أبي كَبْشَةَ على الصلاة والحربِ . ومات الوليدُ بعدَ الحجّاج بتسعةِ أشهرٍ .

٤ – كتاب الفرق في اللغة (ملّر) ، فينّا ١٨٧٦ م .

كتاب أسماء الوحوش وصفاتها (جاير) ، فينّا ١٨٨٨ م .

كتاب الخيل (هفنر) ، فينّا ١٨٩٥ م .

كتاب الشاء (هفنر) ، بيروت ١٨٩٦ م .

كتاب الدارات (هفنر) بيروت ١٨٩٨ م ، ثم ليبسيغ ١٩٠٥ م .

كتاب النبات والشجر (هفنر) ، بيروت (المطبعة اليسوعية) ١٨٩٨ م .

كتاب النخل والكرم (هفنر) ، بيروت ١٨٩٨ م .

وللأصمعي في كتاب « الكنز اللغوي في اللسن العربي » (سعى في نشره أوغست هفنر) ، بيروت (المطبعة الكاثوليكية) ١٩٠٣ م :

كتاب الابل (ص ٦٦ – ١٣٥) .

كتاب الابل (نصّ آخر) (ص ١٣٧ – ١٥٧) .

كتاب خلق الإنسان (ص ١٥٨ – ٢٣٢) .

وله في كتاب « البلغة في شذور اللغة » (نشره هفنر وشيخو) ، بيروت (المطبعة الكاثوليكية) ١٩٠٨ م .

كتاب الدارات (ص ٤ – ١٦) .

كتاب النبات والشجر (ص ١٨ – ٥٩) .

كتاب النخل والكرم (ص ٦٤ – ٩٤) .

الاصمعيّات (آلواردت) ، ليبسيغ ١٩٠٢ م ؛ ثم (بتحقيق عبد السلام محمّد هارون) ، القاهرة ١٣٧٥ هـ (١٩٥٥ م) .

كتاب الاضداد (شيخو) ، بيروت (المطبعة اليسوعية) ١٩١٢ م .

كتاب تاريخ العرب قبل الإسلام (تحقيق محمد حسن آل ياسين) ، بغداد (مطبعة المعارف) ١٩٥٩ م .

•• المنتقى من أخبار الأصمعي لضياء الدين محمّد بن عبد الواحد المقدسي (عني بنشره عزّ الدين التنوخي)، دمشق (المجمع العلمي العربي) ١٩٣٦ م.

الأصمعي : حياته وآثاره، تأليف عبد الجبّار الجومرد، بيروت (دار الكشّاف) ١٩٥٥ م.

الأصمعي، تأليف أحمد زكيّ، القاهرة (المؤسسة المصرية العامّة للتأليف والترجمة والطباعة والنشر) بلا تاريخ.

الفهرست ٥٥ - ٥٦ ؛ طبقات الزبيدي ١٨٣ - ١٩٢ ؛ تاريخ بغداد ١٠ : ٤١٠ - ٤٢٠ ؛ وفيات الاعيان ١ : ٥١٦ - ٥٢٠ ؛ انباه الرواة ٢ : ١٩٧ - ٢٠٥ ؛ بغية الوعاة ٣١٣ - ٣١٤ ؛ شذرات الذهب ٢ : ٣٦ - ٣٨ ؛ بروكلمان ١ : ٤ ، الملحق ١ : ١٦٣ - ١٦٥ ؛ زيدان ٢ : ١١٥ - ١١٦ ؛

Enc. Isl. (new ed.) I 717 - 719.

عبدُ المَلِكِ بنُ عبدِ الرحيمِ الحارثيّ[١]

١ - هو أبو الوليدِ عبدُ الملكِ بنُ عبدِ الرحيمِ الحارثيّ من بني الحارثِ ابنِ كَعْبٍ، وهم بطنٌ من مَذْحِجٍ من عرب الجنوب، ومن هؤلاءِ بنو عبدِ المَدانِ وبنو الدَيّانِ (تاريخ ابن خلدون ٢ : ٢٥٥) - وبنو الديّانِ أجدادُ عبدِ الملك هذا، وكانوا يسكنون الفَلَجَةَ من أرض دِمَشْقَ (جُنْدِ الشام) قريباً من الأُرْدُنّ.

وضاقتِ الفَلَجَةُ بشاعريّة عبد الملك الحارثيّ فقصدَ بَغْدادَ في مطلع شبابهِ، فيما يبدو، ولكن لم يَنَلْ فيها توفيقاً، فقيل إنّ هرونَ الرشيدَ غَضِبَ عليهِ - لسببٍ لا نعلَمُهُ - وسَجَنه. ثم تَغيبُ أخبارُ عبد الملك الحارثي من الكُتُب.

١ هذه الترجمة مبنية على بحث قيم لخليل مردم (ت ١٩٦٤ م) في مجلة المجمع العلمي العربي بدمشق، تموز - يوليو وتشرين الأول - أكتوبر ١٩٥٧ م (افتتاحيتان).

وأوّلُ من نعلم أنّه ذَكَرَ شعْرَ عبدِ الملك الحارثيّ أبو تمّام (ت ٢٣٢ هـ) في « ديوان الحماسة » ، ثم أورد له ابنُ المُعْتزّ (ت ٢٩٦ هـ) تَرْجمةً موجزة وأبياتاً كثيرةً — وابنُ المعتزّ يُوردُ في كتابه « طَبَقات الشعراء » تراجمَ الشعراء المُعاصرين له والقَريبينَ من زمانه . وكذلك أورد الثعالبي (ت ٤٢٩ هـ) ، شيئاً من شعر عبد الملك الحارثيّ في كتابه « خاصّ الخاصّ » ، والثعالبيّ أيضاً يُعْنَى عادةً بقريبِي العهدِ منه . وإذا صحّ أن ما حال بينَ شاعرنا وبين الشُهْرة أنّه كان بَدْوِيّ الشعر في زمن اتّسعتْ فيه الخصائصُ المُحْدَثَةُ على يَدَيْ أبي نواسٍ والعبّاسِ بنِ الأحنفِ وصريعِ الغواني وأبي العتاهية ، فمن الراجحِ أن يكون الحارثيّ هذا قد أدركَ صدرَ القرنِ الهجْريّ الثالثِ (في الربعِ الأوّل من القرن التاسع للميلاد) .

٢ — كان عبد الملك بن عبد الرحيم الحارثيّ شاعراً مُفْلِقاً مُفَوّهاً مقتدراً مطبوعاً لا يُشْبِهُ شِعرُهُ شعرَ مُعاصريه من المُحْدَثين الحَضَريّين ، بل كان أشْبه بشِعر الأعراب [١] . ويبدو أنّه كان مُكثِراً ومُطيلاً ، غير أن بعضَ شعرِه قد ضاع ، كما نُسِبَ بعضُ شعره إلى غيره من الشعراء . وأسلوبُه عربيّ خالص متأثرٌ بالإسلام جَزْلٌ متينٌ رصينٌ . أمّا فنونه فهي الحماسةُ والفخر والغزل والرثاء — وله في رثاء أخيه سعيدٍ قصائدُ يبلغُ بعضُها مائةَ بيتٍ . وليس ، فيما بَقِيَ من شعره ، مدحٌ ولا هجاء .

وفي ديوان المعاني لأبي هلال العسكري [٢] أبيات مَطْلَعُها :

شهرُ الصيام ، وإن عظّمتَ حُرمته ، شهرٌ طويلٌ بطيءُ السّيْرِ والحركهْ .

وهذه الأبياتُ تَرِد في ديوان ابن الرومي [٣] . على أنّ أهم من هذه الابياتِ القصيدةُ اللامية :

إذا المرءُ لم يَدْنَسْ من اللُّؤم عِرْضُه   فكُلُّ رداءٍ يرتديه جميلُ .

فقدِ اشتهر عند الناس ، ومُنْذِ زمنٍ متقدّم ، أنّها لِلسّمَوْأل بن عادِيا

١ البدو . — في شعره تقليد للشعر القديم ، ومع ذلك نلمح فيه شيئاً من الضعف مما يجعله في صدر العصر المحدث .

٢

ديوان ابن الرومي (اختيار وتصنيف كامل كيلاني) ، ص ٧٧ .

الجاهليّ ، ولكن رُواةَ الأدب كابن طَباطبا العَلَوي (ت ٣٢٢ ﻫ) وأبي بكر الصوليّ (ت ٣٣٥ ﻫ) وابن الاعرابي (ت ٣٤١ ﻫ) والمَرْزوقي (ت ٤٢١ ﻫ) والتِبْريزي (ت ٥٠٢ ﻫ) قد ذكروا أنّها لعبدِ الملكِ بن عبدِ الكريم الحارثي ونَبّهوا على أنها تُنْسَبُ خطأً إلى السموأل

ويبدو أن شُهْرةَ السموأل عند الناس ، لاتّصاله بقِصّة امْرِئِ القيس ورَهْن امرئ القيس دروعَه عنده ، ثمّ خمولَ ذكر الحارثيّ وأنّ للسموأل أبياتاً مرويةً على وزن هذه القصيدة ورَوِيّها أسبابٌ جعلتْ غيرَ النقّاد للشعر يَنْسبون هذه القصيدةَ إلى السموأل . وفي خصائص هذه القصيدة ما يُحيل أن تكونَ للسموأل الجاهليّ ، منها أن التعبير «ماتَ حتفَ أنفه» تعبيرٌ إسلاميّ وَرَدَ أولَ ما ورد في حديثٍ لرسول الله . ثُمّ ان بني الديّانِ الذين يَرِدُ ذِكْرُهم في القصيدة في مَجالِ الفخر قومُ الحارثيّ وليسوا قومَ السموْأل ، فالسموأل يهوديّ .

– المختار من شعره

– قال عبد الملك بن عبد الرحيم الحارثي في النسيب :

خُذي بِيدي ثم ارْفَعي الثوبَ فانظُري ... بِيَ الضُرَّ إلاّ أنني أتَستَّر .
فما حيلتي إن لم تكنْ لكِ رحمةٌ ... عليّ ، ولا لي عنك صَبْرٌ فأصبرُ .
فوالله ، ما قصّرتُ في ما أظُنّه ... رِضاكِ ، ولكنّي مُحِبٌّ مُكَفَّرُ[1] .

– وله مثلُ هذا النسيبِ الرقيق أيضاً :

وكذّبتُ طرفي عنك ، والطرف صادقٌ ... وأسْمعتُ أذني فيك ما ليس تَسْمَعُ .
وما أسكُنُ الأرضَ التي تَسْكُنينَها ... لِئَلاّ يقولوا صابرٌ ليس يَجْزَع[2] .
فلا كَمَدي يُغني ، ولا لكِ ذِمّةٌ ... ، ولا عنك إقصارٌ ، ولا فيك مَطْمَع[3] .
لَقِيتُ أموراً فيك لم ألْقَ مِثْلَها ... ، وأعظمُ منها منكِ ما أتَوَقّع[4]

---

١ مكفر : هي تنسب إلى الكفران ، قلة الوفاء .
٢ أنا لا أسكن حيث تسكنين لئلا يقول الناس إني قريب منك ثم لا أحاول الاتصال بك .
٣ الكمد : الحزن الشديد . ولا عنك إقصار : لا أستطيع نسيان حبك والسلو عنك .
٤ أتوقع : أنتظر (ان يحل بي من المصائب) .

— وقال يَرْثي أخاه سعيداً بقصيدة طويلة منها :

فلو أنَّ شيئاً في لِقائِكَ مُطْمِعٌ   صَبَرْتُ ، ولكنْ لا أرى فيك مَطْمَعا[1] .
فأُقْسِمُ لا تَنْفَكُّ نفسي شَجِيَّةً   عليك ووَجْهي حائلُ اللّونِ أسْفَعا [2]
وقد كنتُ ألْحَى مَنْ بكى لِمُصيبةٍ ،   فهَانَذا قد صِرْتُ أبْكَى وأجْزَعا [3] .
فلو أن طَوْداً من تِهامةَ ضافَــه   من الوَجْدِ ما قد ضافَني لَتَضَعْضَعا[4] .
فيا سَيِّداً قد كان لِلْحَيِّ عِصْمةً ،   ويا جبلاً قد كان للحيّ مَفْزَعا [5] ،
وأبيضَ وضّاحَ الجبينِ كأنّــه   سَنا قمرٍ أوفى معَ العَشْرِ أرْبعا ،
ومُجْتَنِباً للقولِ في غيرِ حِينِه   حِفاظاً ، وقَوّالاً — إذا قال — مِصْقَعا[6]
يصونُ بِبَذْلِ المالِ نفساً كريمةً   وعِرْضاً حمِيّاً من كلّ سوءٍ مُمَنَّعا [7] .
فتى الخيرِ : لم يَتْهَمْهُ بغدرٍ ولم يُعَبْ   بعَجْزٍ ولم يَمْدُدْ إلى الذمّ إصبعا [8] .
وما زال حمّالاً لكلِّ عَظيمةٍ   — إلى أن قضى من نَحْبِه — مُذْ تَرَعْرَعا [9] .
فتىً كان لا يدعو إلى الشرّ نَفْسَه ؛   فإن جاءه الشرّ امتطاهُ فأوْضعا [10] :
فيوماً تراهُ بالعَبيرِ مُضَمَّخا ،   ويوماً تراه بالدماء مُلَمَّعا [11] ،

---

١ لا انتظر أن ألتقي بك (بعد أن مت) .
٢ شجية : حزينة . حائل اللون (متغير اللون ، أصفر) . اسفع : أسود .
٣ ألحى : ألوم . أبكى وأجزعا : أشد (أكثر) بكاء وجزعاً (الجزع : الحزن مع الخوف والاضطراب) .
— كنت ألوم الذين يبكون على موتاهم فأصبحت عليك أكثر بكاء منهم (على موتاهم) .
٤ الطود : الجبل . الوجد : الحزن . ضافني : نزل بي . تضعضع : تقوض وتهدم .
٥ عصمة : مكان يعتصم (يحتمي) الناس به . المفزع : الملجأ .
٦ المصقع : البليغ العالي الصوت والذي لا يتتعتع في الكلام .
٧ حمى من كل سوء : شريف لا يتدنس بشيء .
٨ لم يعب بعجز : لم يدركه عجز يعيبه الناس به . الذم : ما يستحق الذم . لم يمدد إلى الذم اصبعا : لم يعمل عملا يستحق الذم مهما كان قليلا (بقدر اصبع) .
٩ حمال لكل عظيمة : كفؤ للقيام بكل عمل والصمود في وجه كل شدة . قضى من نحبه = قضى نحبه : مات . ترعرع : نما ، جاوز الطفولة الأولى .
١٠ أوضع : أسرع . — إذا فرض عليه الشر (الحرب ، الخ) قبل التحدي واشتد فيه .
١١ العبير : الرائحة الطيبة . مضمخ : ملطخ . ملمع : عليه بقع . (ينصرف في بعض أيامه إلى النعيم واللهو وفي بعضها الآخر إلى القتال والحرب) .

ويوما تراه يَسْحَبُ الوَشْيَ غادياً ، ويوماً تراه في الحديد مُقَنّعاً [1] .
إذا نال من أقصى مَدَى المجدِ غايةً سما طالباً من تلك أسْنى وأرفعا [2] .
له راحةٌ فيها حياً لصديقه ، وأخرى سَقَتْ أعداءه السّمَّ مُنْقَعا [3] .
فما فُجِعَ الأقوامُ من رُزْءِ هالكٍ بأعْظَمَ مِمّا قد رُزِئْتُ وأفْظعا .
ومن طاب نفساً عن أخٍ لِوَداعِه ، فما طِبْتَ نفساً عن أخي يومَ وَدّعا .
فوا عَجَباً للأرضِ ، كيف تألّبَتْ عليه ووارَتْ ذلك الفضلَ أجْمعا [4] .

– وقال يفتخر (معيار الشعر ٦٦ – ٦٧ ؛ شرح الحماسة للمرزوقي):
تُعَيّرُنا أنّا قليلٌ عديدُنا فقُلْتُ لها إنّ الكِرام قليلُ .
وما قلَّ مَنْ كانت بقاياهُ مِثْلَنا : شبابٌ تَسامى للعُلا وكُهول [6] .
وما ضَرّنا أنّا قليلٌ – وجارُنا عزيزٌ وجارُ الأكثرين ذليل !
لنا جبلٌ يَحتلّه من نُجيرُه منيعٌ يَرُدّ الطرفَ وهو كليل ،
رسا أصلُه تحت الثّرى ، وسما به إلى النجم فَرْعٌ لا يُنال طويل [7] .
ونحن أُناسٌ لا نرى القتلَ سُبّةً إذا ما رأته عامرٌ وسَلول [8] .
يُقَصّرُ حبُّ الموت آجالَنا لنا ، وتكرَهُه آجالُهم فتَطول .
وما مات مِنّا سيّدٌ حَتْفَ أنفِه ، ولا طُلَّ منّا – حيثُ كان – قتيل [9] .

---

١ الوشي : الزخرف والتطريز في الثوب . مقنع في الحديد : لابس خوذة (معنى هذا البيت كمعنى البيت السابق) .
٢ ... – كلما نال منزلة سامية جدد السعي لينال ما فوقها .
٣ راحة : كف ، يد . حيا : عطاء . السم المنقع (الناقع) : بالغ ، ثابت (تأثيره أكيد وشديد) .
٤ تألبت الأرض عليه : تغلبت عليه . وارت فضله : أخفته (على عظمه وكثرته) .
٥ تسامى = تتسامى : ترقى ، تعلو .
٦ منيع : لا يستطيع أحد أن يقتحمه . الطرف = طرف العين (البصر) . كليل : ضعيف .
٧ رسا : استقر ، ثبت . الثرى : التراب . فرع : أعلى كل شيء . (جبلنا عميق الأساس في الأرض عال مرتفع جداً = يفتخر بالقوة وبضعف الناس عن مهاجمة قومه) .
٨ القتل : (الموت في المعارك) . سبة : عار ، عيب . عامر وسلول قبيلتان (لعله يقصد : إذا خاف كل الناس من أن يقتلوا في المعارك فنحن لا نخاف) .
٩ حتف أنفه : على فراشه ، في غير قتال . طل (بضم الطاء) دم القتيل : ذهب هدراً (لم يأخذ أحد بثأر القتيل) .

تَسيلُ على حَدِّ الظُّباةِ نفوسُنا ، وليستْ على غيرِ الحديدِ تسيل .
ونُنْكِرُ إن شِئْنا على الناس قولَهم ، ولا يُنْكِرون القولَ حينَ نقول .
إذا سيّدٌ مِنّا خلا قامَ سَيِّدٌ قؤولٌ لِما قال الكِرامُ فَعول .
وما أُخْمِدتْ نارٌ لنا دونَ طارقٍ ، ولا ذَمَّنا في النازلينَ نَزيل .
وأيّامُنا مشهورَةٌ في عَدُوِّنا لها غُرَرٌ معلومةٌ وحُجول [1] .
وأسيافُنا في كلِّ شرقٍ ومَغْرِبٍ بها من قِراعِ الدارعين فُلول [2] ،
مُعوَّدةٌ ألاّ تُسَلَّ نِصالُها فتُغْمَدَ حتّى يُسْتَباحَ قَتيل [3] .

٤ — ** طبقات ابن المعتزّ ٢٧٦ — ٢٨٠ ؛ مجلّة المجمع العلمي العربي ٣٢ : ٣ و ٤ (١٩٥٧) ، جزء تموز (يوليو) وجزء تشرين الاول (أكتوبر) .

سهل بن هرون

١ — هو أبو محمّدٍ (أبو عمرَ) سَهْلُ بنُ هرونَ بن راهبون (راهيون [4]) الأهوازي أو الخُوزي .

وُلِدَ سهلُ بن هرونَ في مَيْسان ، بين واسطٍ والبصرة ، أو في دَسْتُمَيْسان سَنَةَ ١٤٠ هـ (٧٥٨ م) أو بعد ذلك بقليل . ثمّ انّه انتقل مَعَ أهلِه إلى البصرة فنشأ فيها ودرس على عُلمائها ، ولكنّنا لا نَعْرِفُ أحداً من الذين درس عليهم على وجه الحَصْر .

---

١ أيامنا : معاركنا . الغرة (بضم الغين) : بياض في جبهة الحصان . الحجل (بكسر الحاء) : البياض في قائمة الفرس . — معاركنا (وانتصاراتنا على عدونا) مشهورة جداً كأنها غرة بيضاء في جبهة الفرس ....

٢ القراع والمقارعة : النزال والقتال في الحرب . الدارع : الذي يلبس درعاً . فلول جمع فَلّ (بفتح الفاء) : ثلمة ، تقطيع (سيوفنا مثلمة لكثرة ما نضرب بها الابطال الذين يلبسون الدروع) .

٣ سيوفنا مغمدة دائماً (نحن قوم نحب السلام) ولا نخرجها من أغمادها (لا نحارب) إلا إذا استبيح قتيل منا (قتل بلا حق) .

٤ أو راهويه ، راموية .

وجاء سهلُ بن هرون بعدَ ذلك إلى بغدادَ واتّصل بهرونَ الرشيدِ وأدرك نكبةَ البرامكة (١٨٧ هـ = ٨٠٣م) . ولمّا نكَبَ الرشيدُ يحيى بنَ خالد وحبَسَه جعَلَ سهلَ بن هرون صاحبَ ديوانه . واعتزل سهلُ بن هرون الفِتنةَ بين الأمين والمأمون (١٩٥ – ١٩٨ هـ) ، فلمّا دخلَ المأمون إلى بغدادَ (٢٠٤ هـ) جعَلَه خازنَ بيتِ الحكمة[١] .

ويبدو أن وفاةَ سهلِ بنِ هرون كانت سنة ٢١٥ هـ (٨٣٠ م) .

٢ – كان سهلُ بن هرون شيعيّاً مُعتدلاً ومُعتَزِليّاً . وكذلك كان شُعوبياً . ثم انه كان عالِماً حكيماً حليماً حسَنَ العِشْرةِ ، كما كان بَخيلاً مشهوراً بالبُخل .

وكان سهل بن هرون مُتَرَسِّلاً بليغاً وخطيباً فصيحاً ومُصَنِّفاً للكُتُب ، تَروجُ كُتُبُه عند الناس لحُسْنِ أسلوبها وطَلاوتها ولأنها كانت تدور في الأكثر على القِصَصِ والخُرافات والأسمار على لِسانِ الناس والبَهائم والطَّيْر . وقد كان الجاحظُ في أولِ أمرهِ يكْتُبُ الكتب ثم يَنْسِبُها إلى سهلِ بن هرون حتّى تلقى عند الناس قَبولاً ورَواجاً .

والجانب المعنوي في آثار سهلِ بن هرون أحسنُ من الجانب اللفظي ، ومعَ ذلك فقد كان عَذْبَ الألفاظِ واضحَ التعبيرِ بعيداً عن التكلّفِ ليس في كتابته من السَّجْع إلاّ ما يَجيء عفواً . وكان له شيءٌ من الشِعر الوُجداني في عدد من الاغراض الاجتماعية . وقد كان له اهتمامٌ بالغٌ بالحِكمة .

ولسهلِ بنِ هرونَ من الكتب : كتابُ ثَعْلَةَ وعفْرة ، كتاب النَّمِرِ والثعلب (وكِلاهما على مِثالِ كتاب كَليلةَ ودِمْنة) ، كتاب الاخوان ، كتاب المخزومي والهُذَلية ، كتاب الوامق (المحبّ) والعذراء ، كتاب المسائل ، كتاب تدبير المُلك والسِياسة ، كتاب إلى عيسى بن أبان في القضاء . وله الرسالة المشهورة في البخل وتبرير مسلك البخلاء الخ .

٣ – المختار من شعره ونثره :

– قال سهل بن هرون يهجو رجلاً :

---

[١] بيت الحكمة أو دار الحكمة : دار جمع فيها المأمون نفراً من العلماء والفلاسفة لنقل الكتب من اللغات الأجنبية إلى اللغة العربية ، كما جمع فيها ما وصلت اليه يده من الكتب .

مَنْ كان يَعْمُرُ ما شادت أوائلُه ، فأنت تَهْدُمُ ما شادوا وما سَمَكوا [1] .
ما كان في الحقّ أنْ تأبى فِعالَهُمُ وأنت تحوي من الميراث ما تركوا .

– وقال سهل بن هرون يصف يحيى بن جعفر البرمكي :

عَدُوّ تِلادِ المالِ في ما يَنوبُه ، مَنوعٌ إذا ما مَنْعُه كان أحزما ،
مُذَلِّلُ نفسٍ قد أبَتْ غيرَ أن ترى مَكارهَ ما تأتي من العيشِ مَغْنما .

– ومن الأقوال المأثورة لسهل بن هرون :

• اللسانُ البليغُ والشعرُ الجيّد لا يكادانِ يجتمعان في واحدٍ ، وأعسرُ من ذلك أن تجتمع بلاغة الشعر وبلاغة القلم (النثر) .

• إذا كان الحُبّ يُعمي عن المساوئ فالبغضُ أيضاً يُعْمي عن المحاسن . وليس يَعْرِفُ حقائقَ مقاديرِ المعاني ومحصولَ حدودِ لطائفِ الأمور إلاّ عالمٌ حكيمٌ ومعتدلُ الأخلاط عليم ، وإلاّ قويّ المِنّة الوثيقُ العُقْدة [2] والذي لا يَميل مَعَ ما يستميلُ الجُمهورَ الأعظمَ والسوادَ الأكثر .

– وقال في رسالته التي ألّفها في الدفاع عن البخل :

.... وعِبْتُموني حينَ زَعَمْتُ أني أقدّمُ المالَ على العِلمِ لأنّ المالَ بِه يُغاث العالِمُ وبه تُقَوَّمُ النفوسُ قبل أن تُعرَفُ فضيلةُ العِلم ، وإنّ الأصلَ أحقّ بالتفضيلِ من الفَرْع . وإنّي قلت : وإن كنّا نَستبين الأمورَ بالنفوس ، فإنّا بالكفاية نَستبينُ وبالخَلّة نَعْمى [3] .

وقلتم : كيف تقولُ هذا ، وقد قيل لرئيسِ الحكماء ومقدّمِ الأدباء : العلماء أفضلُ أمِ الأغنياء ؟ قال : بل العلماءُ . قيل (له) : فما بالُ العلماءِ يأتونَ أبوابَ الأغنياء أكثرَ ممّا يأتي الأغنياءُ أبوابَ العلماء ؟ قال (المسؤول) لِمَعْرِفة العلماء بفضلِ الغِنى وبجهلِ الأغنياء بفضلِ العلم . فقلت حالُهما هي القاضيةُ بينَهما : وكيف يَستوي شيءٌ تُرى حاجةُ الجميعِ اليه وشيءٌ يُغْني فيه بعضُهم عن بعضٍ !

---

1 سمك البنيان : علاه ، جعله عالياً .
2 معتدل الاخلاط : معتدل المزاج ، صحيح الجسم . قوي المنة : شديد القوة . وثيق العقدة (الثابت الأمر والولاية ، المالك للمال أو للأرض) .
3 الكفاية : الغنى . الخلة (بفتح الخاء) : الفقر . – الغني تتضح له الأمور والفقير يعمى عن التصرف الصحيح في أموره .

٤ – رسالة سهل بن هرون في البخل (في مقدمة كتاب البخلاء للجاحظ) – راجع الجاحظ .

** الفهرست ١٢٠ ؛ معجم الأدباء ١١ : ٢٦٦ – ٢٦٧ ؛ فوات الوفيات ١ : ٢٣١ – ٢٣٢ ؛ وهنالك اشارات كثيرة إلى سهل بن هرون في كتاب البيان والتبيين للجاحظ ، م م ع ع (بقلم محمّد كرد علي) ٧ : ١ (كانون الثاني – يناير ١٩٢٧) ص ٥ – ٢٧ ؛ بروكلمان ، الملحق ١ : ٢١٣ ؛ زيدان ٢ : ١٥٦ .

عمرو بن مسعدة

١ – هو أبو الفضل عمرُو بنُ مَسْعَدَةَ بن سعيد (سعد) بن صُول ، أصلُه تركيّ قيل من بيتِ المُلْك في جُرْجان .

لمّا فتح يزيدُ بنُ المُهَلّب بن أبي صُفْرةَ جُرجانَ ، في خلافة سُليمانَ ابن عبد الملك (٩٦ – ٩٩ هـ) أسْلَمَ صولُ . ثم إنّ مَسعدةَ بن صول أصبحَ مولىً لخالدِ بن عبد الله القَسْريّ حينما كان خالدٌ والياً على العراق كلّه وعلى خُراسانَ والهندِ (١٠٥ – ١٢٠ هـ) فكان يكتب له (كاتباً عنده) . ثم أصبح مسعدةُ كاتباً لخالدِ بن بَرْمَكَ ، ربّما في أيام وزارته للسفّاح والمنصور ، ثم لأبي أيوب المُورياني وزيرِ أبي جعفرٍ المنصور .

لَعلّ عمرَو بنَ مَسعدةَ نشأ في بَغدادَ وأخذ عن علمائها . وقد برَع في الترسّل فأصبح يُوقّع [1] بين يدَيْ جعفرِ بنِ يحيى البرمكي في أيامِ الرشيد . ولم يدخلْ عمرُو بن مَسعدةَ إلى ديوان الرسائل حتّى توفّي الفضلُ بن سهلٍ (٢٠٢ هـ = ٨١٧ م) فكتب للمأمون (في مَرْو) ثم جاء مع المأمون إلى بغدادَ (٢٠٤ هـ) فأصبح رئيسَ ديوان الرسائل وديوان الخاتَمِ وتكسّبَ من عمَلِه مالاً جزيلاً قيل ثمانون مليونَ درهم .

وكان عمرُو بن مَسعدةَ مقصوداً مُمَدّحاً ، مرض يوماً فعاده مروانُ بن أبي حَفْصَةَ وهنّاه (غ ٩ : ٤٧) . وتعرّض مُجاشِعٌ أخو عمرِو بن مسعدة

---

١ راجع فوق ، ص ٤٥ .

لحمّادِ عجرد بالهجاء ، وكان مجاشع صغيراً ، فشبّبَ حمادٌ بأم مُجاشِع فبعث عمرو بهدية إلى حمادٍ واعتذر اليه واستكفّه ثم لامَ أخاه مُجاشِعاً (غ ١٣ : ٨٦) .

ولما غزا المأمون بلادَ الروم كان عمرُو بن مسعدةَ معَه فأدركتْه الوفاةُ في أذنةَ ، قرب طرَسوسَ ، في ربيعِ الآخِرِ من سنة ٢١٧ هـ في الأغلب (٨٣٢م) .

٢ - كان عمرُو بن مسعدةَ صاحبَ توقيعٍ ورسائلَ وفصول مُوجزة [١] ، ولكنْ ليس له كتابٌ مؤلّفٌ في موضوعٍ معيّن . وهو فصيحُ الألفاظ سهلُ التراكيب حسَنُ السَبْكِ كثيرُ الايجاز معَ شيء من الغموض المقصود تقتضيه عادةٌ اللباقةُ السياسية . وكذلك كان ينظم الشعر . ووصف الفضل بن سهل بلاغة عمرو بن مسعدة فقال (معجم الأدباء ١٦ : ١٢٩) : «هو أبلغ الناس ، ومن بلاغته أن كلّ أحد إذا سمع كلامه ظنّ أنّه يكتب مثله ، فإذا رامه بَعُد عنه» .

٣ - المختار من كلامه :

- كتب عمرو بن مسعدة إلى الحسن بن سهل :

أما بعد ، فانك ممن إذا غرَسَ سقَا وإذا أسّسَ بنى ، ليَستتِمّ تشييدَ أُسُسِهِ ويَجتني ثِمارَ غَرْسِهِ . وثناؤك عندي قد شارَفَ الدروس وغَرْسُكَ مُشْفٍ على اليُبوس [٢] . فتدارك بناء ما أسّست وسَقْيَ ما غرست ، إن شاء الله [٣] .

- لعمرو بن مسعدة كَلِماتٌ جوامعُ للحِكَم ، منها :

العُبوديّةُ عبوديةُ الاخاء لا عبوديةُ الرِقّ - الوُدّ أعطف من الرّحِم [٤] -

١ فصول موجزة : أقوال مختصرة .

٢ قد شارف : أشرف على ، أوشك ، اقترب من الدروس (الامحاء والزوال) . وغرس (يدك) مشف : قريب ، مقبل .

٣ تدارك الرجل الشيء : أدركه (وصل اليه) وأنقذه (من البوار والهلاك والتلف) قبل أن يحل به التلف فلا يبقى للانسان حيلة في انقاذه .

٤ العبودية (الحقيقية) ليست عبودية الرق (الاسترقاق والظلم) لأن الإنسان يحاول التخلص منها ، بل عبودية الاخاء (الصداقة) لأن الانسان لا يريد أن يتحرر منها . الود : المحبة والصداقة . اعطف : أشد وأحسن عطفاً (ميلا ، عناية صلة - كعطف الأم على ولدها) من الرحم (القرابة من النسب والولادة) .

عليكم بالإخوان فانّهم زينةٌ في الرّخاء وعُدّةٌ للبلاء ١ — ما تواصلَ اثنان فدامَ تواصلُهما إلاّ لِفَضْلِهما أو فضلِ أحدهما — علامةُ الصديق إذا أرادَ القطيعةَ أن يؤخّرَ الجوابَ ولا يَبتدِئَ بالكِتاب ٢ — ظاهرُ العتاب خيرٌ من باطنِ الحِقْد — لا تتعرّضْ لعدوّك في دولته ، فانّها إذا زالت كَفَتْكَ مؤونَتَه — نُصْحُ الصديقِ تأديب ، ونصح العدوّ تأنيب .

— كتب عمرو بن مسعدة إلى المأمون رسالةً في شأن رجل كان المأمون قد وَعَدَهُ عِدَةً :

إنْ رأى أميرُ المؤمنين أن يَفُكَّ أسْرَ عبدِه من رِبْقَة المَطْلِ بقضاء حاجته أو يأذَنَ له بالانصرافِ إلى بلدِه فَعَلَ ، إنْ شاءَ اللهُ .

٤ — .. معجم الأدباء ١٦ : ١٢٧ — ١٣١ ؛ وفيات الاعيان ٢ : ١١١—١١٤؛تاريخ بغداد ١٢ : ٢٠٣ — ٢٠٤ ؛ م م ع ع ٧ : ٥ (أيار — مايو) ١٩٢٧ ، ص ١٩٣ — ٢١٨ ؛ Enc. Isl. (new ed.) I 453

الأخفش الاوسط

هو أبو الحسن سعيد بن مَسْعدةَ مولى بني مُجاشع بن دارم ، أصله من بَلْخ أو من خوارزم ، يبدو أنه ولد في البصرة قبل مولدِ سيبويهِ (١٤٠ — ١٨٠) وأخذ العلم عن أساتذة سيبويهِ ثم عن سيبويه (مَعَ أنه كان أسنّ من سيبويه) . ثم إنه دخل بغدادَ وأقام بها مدّة . وكانت وفاته سنة ٢١٥ هـ (٨٣٠م) في الأغلب .

الأخفش الأوسط أحدُ أئمّةِ العربية من علماءِ البصرة ، كان بارعاً في اللغة والنّحْوِ وعلوم الأدب ، وهو الذي حَفِظَ لنا كتابَ أستاذه سيبويه (في النحو) وإن كان يُخالفُ أستاذَه في عددٍ من مسائل ذلك الكتاب . أما في العَروض فقد زادَ الأخفشُ الأوسطُ بحرَ المُتدارَك (فاعلن فاعلن فاعلن فاعلن — مرتين) ،

١ الرخاء : أيام السعة والقوة . عدة البلاء : ذخيرة يعتمد الإنسان عليها إذا نزلت به مصيبة .

٢ ان يؤخر الجواب على رسالة صديقه (إذا كان فيها ما يسوءه) ولا يبدأ هو بارسال مثل تلك الرسالة . الكتاب (مصدر) : الكتابة .

وبحر الخَبَب المشتقّ منه (فَعِلن فعلن فعلن فعلن — مرتين ، وفعلن بتحريك العين) .

وكان الأخفش الأوسط مُعتزِلياً عالماً بالكلام حاذقاً في الجدل .

وللاخفشِ الأوسط تصانيفُ منها : غريب القرآن ، تفسير معاني القرآن ، كتاب معاني الشعر ، كتاب العَروض ، كتاب القافية ، شرح أبيات المُعاياة ، كتاب الاشتقاق ، كتاب الأصوات ، كتاب صفات الغنم وألوانها وعلاجها (؟) وأسبابها ، كتاب الملوك . أما كتبه في النحو خاصة فأشهرها : الكتاب الأوسط ، كتاب المقاييس ، كتاب المسائل الكبير ، كتاب المسائل الصغير ، الخ ...

— •• الفهرست ٥٢ ؛ طبقات الزبيدي ٧٤ — ٧٦ ؛ معجم الأدباء ١١ : ٢٢٤ — ٢٣٠ ؛ وفيات الاعيان ١ : ٣٧١ — ٣٧٢ ؛ انباه الرواة ٢ : ٣٦ — ٤٣ ؛ بغية الوعاة ؛شذرات الذهب ٢ : ٣٦ ؛ بروكلمان ١ : ١٠٤ — ١٠٥ ، الملحق ١ :١٦٥ ؛ Enc . Isl . (new ed) I 321

كُلْثوم بن عمرو العَتّابيّ

١ — هو أبو عمرو ، وقيل أبو عليّ (البيان والتبيين ١ : ٢٢١) ، كُلثومُ ابن عمرو بن أيوب العَتّابي التَغْلَبي ، من نسل عمرو بن كلثوم الشاعر الجاهلي ، أصله من الشام من أرض قِنَّسْرين ، ومسكنه في رأس العين من جزيرة ابن عُمَرَ .

وُلِدَ العَتّابي نحو سنة ١٣٥ هـ (٧٥٢ م) ، ولكن لم تُعْرَفْ له نَباهةٌ قبل أيام الرشيد ، فانقطع إلى يحيى بن خالد البرمكي ثم إلى ابنه جعفر . ويبدو أن نكبة البرامكة كانت نكبةً عليه أيضاً ، فقد غَضِبَ عليه الرشيدُ لصلته الأولى بهم فهرب إلى اليمن . ثم ان الرشيد رضي عنه .

وتولى العَتّابي الكتابة في الديوان ، ويبدو أنه كان يعرف اللغة الفارسية .

ونال العَتّابيّ حَظوةً عند طاهر بن الحسين لما تولّى طاهرٌ المَوْصلَ والجزيرة (١٩٨ — ٢٠٢ هـ) ، ثم لمّا تولّى خُراسان (٢٠٥ — ٢٠٧ هـ) . وحَظِيَ أيضاً عند عبد الله بن طاهر بن الحسين في أثناء وِلايته على الشام (٢٠٥ — ٢٠٧ هـ) وعلى خُراسان منذ سنة ٢٠٧ هـ (٨٢٢ م) ، كما حظي عند المأمون نفسه .

وكان العتّابي منذ أول أمره قليلَ العناية بملبسه وهيئته قليلَ الاحتفالِ بالناس والاحترامِ للعامة ، ثم تزهّد في آخر عمره فزاد تقشّفه وانصرافه عن الناس . وكانت وفاة العتّابي قبيل سنة ٢٢٠ هـ (٨٣٥ م) وقد أسنّ ، وقيل ٢٠٨ هـ .

٢ ـ كلثوم بن عمرو العتّابي أديبٌ مصنّف له كتاب المنطق ، وكتاب الآداب ، وكتاب فنون الحكم ، وكتاب الألفاظ ، وكتاب الخيل وغيرها . وكان يعمل الأسمار والخُرافات على لسان الحيوان وغيره . ثم هو خطيب مترسّل وشاعر ، قال الجاحظ (البيان والتبيين ١ : ٥١) : « ومن الخطباء الشعراء ، ممن كان يجمعُ الخطابة والشعرَ الجيدَ والرسائلَ الفاخرة ، كُلثومُ بن عمروٍ العتّابي ، وعلى ألفاظه وحذْوه ومثاله في البديع يقول جميع من يتكلّف مثل ذلك كمنصورٍ النمَريّ ومُسلمِ بن الوليد الأنصاريّ وأشباههما . وكان العتّابي يحتذي حذْوَ بشّارٍ في البديع » .

والعتّابي شاعر مُقِلّ مطبوع متصرف في فنون الشعر يُنقّح شعرَهُ ويتخيّر الألفاظَ الجزْلةَ والصُّوَرَ البلاغيةَ الجميلة معَ الإتيان بالبديع (راجع العمدة ١ : ١٤٠) من غير إغراب ولا تكلّف . « وأشعاره كلها عيونٌ ليس فيها بيت ساقط » (طبقات ابن المعتز ٢٦٤) : ويدور شعره الباقي لنا على المدح والهجاء والنسيب والحكمة ، وأكثره الحكمة .

٣ ـ المختار من نثره وشعره :

ـ الشيب تاريخ الكتاب (آخر الكتاب : نهاية العمر) .

ـ البلاغة إظهار ما غَمُض من الحق ، وتصوير الباطل في صورة الحق .

ـ دخل العتّابي على المأمون ، فقال له المأمون : يا كلثوم ، بلَغتْني وفاتُك فساءتني ثم بلغتْني وِفادتُك فسرّتني . فقال العتّابي :

يا أميرَ المؤمنين ، لو قُسمت هاتان الكلمتان على أهلِ الأرض لوَسِعتاهم فضلاً وإنعاماً . وقد خَصَصْتَني منهما بما لا تتّسع له أمنيّة ولا يُبسط لسواه أملٌ ؛ لأنه لا دينَ إلا بك ، ولا دنيا إلا معَك .

ـ كتب العتّابي إلى صديق له يشير إلى عُسْرَةٍ نزلت به :

أما بعد ، أطال الله بقاءَك وجعله يمتدّ إلى رِضْوانه والجنةِ . فإنك كنتَ

عندنا رَوْضَةٌ من رياض الكرم تبتهج النفوسُ بها وتستريح القلوب إليها ، وكُنا نُعفيها من النُّجْعَة استبقاءً لزَهْرَتها وشفقةً على خُضْرَتها وادّخاراً لثمرتها ، حتى أصابتْنا سَنَةٌ كانت عندي قِطعةٌ من سِنِي يُوسفَ واشتدَّ علينا كَلَبُها وغابت قِطَّتها وكَذَّبَتْنا غيومُها وأخلفتنا بُروقُها . وفقدنا صالحَ الإخوان فيها فانتجعتُك ، وأنا بانتجاعي إليك شديدُ الشفقة عليكَ ، معَ علمي بأنك موضعُ الرائدِ ، وأنك تُغطّي عينَ الحاسد . واللهُ يعلمُ أني ما أعُدُّكَ إلاّ في حَوْمَةِ الأهل .... (راجع ديوان المعاني ١ : ١٥٤) .

ـ كان للعتّابي زوجة من بني باهلةَ ، فلامته يوماً وقالت : هذا منصور النَّمَري (تِلميذُك) قد أخذ الأموال فحلّى نساءه وبنى داره واشترى ضِياعاً ، وأنت هنا كما ترى. ، فأنشأ يقول :

تلومُ على تَرْكِ الغِنى باهليـةٌ ... زَوى الفقرُ عنها كلَّ طِرفٍ وتالدِ[1] ،
رأت حولَها النِسوانَ يرفُلْنَ في الكُسا ... مُقَلَّدةً أجيادُهـا بالقلائـد[2] .
يَسُرُّكِ أني نِلتُ ما نالَ جعفـرٌ ... من المُلْكِ ، أو ما نال يحيى بن خالد ،
وأنَّ أميرَ المؤمنـين أغَصَّني ... مَغَصَّهما بالمُرْهَفات البوارِدِ[3] !
ذريني تَجِئْني مِيتَتي مُطمئنةً ... ولم أتَجَشَّمْ هولَ تلك الموارد .
فإنّ كريماتِ المعـالي مَشوبـةٌ ... بمُسْتَوْدَعاتٍ في بطون الأساود[4] .

ـ أراد الرشيدُ أن يقتل العَتّابي فما زال جعفرُ بن يحيى البرمكي يستعطف الرشيدَ عليه حتى عفا عنه الرشيدُ ، فقال العتّابي يمدح جعفراً :

ما زلتُ في غَمَراتِ الموتِ مُطَّرَحاً ... قد ضاق عني فسيحُ الارض من حِيَلي ،
ولم تزلْ دائباً تَسْعى بلُطفِك لي ... حتى اختلستَ حياتي من يَدَيْ أجلي .

٤ ـ • • الفهرست ١٢١ ؛ طبقات ابن المعتزّ ٢٦١ ـ ٢٦٤ ؛ الاغاني ١٣ : ١٠٩ ـ ١٥٧ ؛ تاريخ بغداد ١٢ : ٤٨٨ ـ ٤٩٢ ؛ معجم الأدباء

---

١ أبعد عنها الفقر (حرمها) كل طرف (مال جديد) وتالد (مال قديم) .
٢ الاجياد : الاعناق .
٣ المرهفات : السيوف . البوارد : التي تبرد (بضم الراء) : تقطع في الحديد .
٤ مشوب : مخلوط ، ممزوج . الاساود جمع أسود : الحية العظيمة .

١٧ : ٢٦ – ٣١ ؛ فوات الوفيات ٢ : ١٧٣ – ١٧٥ ؛ بروكلمان ، الملحق ١ : ١٢٠ ؛ زيدان ٢ : ١٠٣ – ١٠٤ ؛
Enc . Isl . (new ed) I 751 .

محمّد بن يَسير الرِياشيّ

١ – هو أبو جعفر محمّدُ بن يَسيرٍ الرِياشي مولى بني رِياشٍ من بني خثْعَم . الرياشي من أهل البصرة لم يفارِقْها ولا قصدَ خليفةً أو كبيراً بمدحٍ . وكانت له بالبصرة قِطعةُ أرضٍ صغيرةٌ مقدارَ أربعةِ طوابيقَ [١] زَرع فيها أصلَ رُمّانٍ وفَسيلةً لطيفةً وشيئاً من البَقْل ثم سَمّى ذلك بُستاناً ، وكان يُعْنَى بتربية الحمام (الاغاني ١٤ : ٣٤) .

وكذلك كان الرياشي ماجناً مشغوفاً بالشّراب ما بات لَيلةً إلا سَكرانَ ، فإذا لم يَجِدْ يوماً نبيذاً يَشْرَبُهُ كاد يُجَنّ . وكان شديدَ البُخْل رثّ الثياب .

عاصر الرياشي هرونَ الرشيدَ على القطعِ ، وإذا صحّ أنه رثى أحمدَ بن يوسف ابن صبيح الكاتبَ المُتَوَفّى سنة ٢١٣ أو ٢١٤ هـ (٨٢٨ – ٨٢٩ م) فيجب أن تكونَ وفاتُه في حدود سنة ٢٢٠ هـ (٨٣٥ م) أو قُبيل ذلك بقليل .

٢ – كان الرياشي أديباً وشاعراً ظريفاً ، ولم يكُ مُكثِراً . وشعره سَهْلٌ عَذبٌ رائقٌ يدور أكثرُه على الهجاء والوصف والخمر والغزل والمُجون وعلى الحِكمة ، وخصوصاً في ما يتّصل بالموت . وله رثاء أيضاً .

٣ – المختار من شعره :

– قال محمّد بن يسير الرياشي يصف بستانه والشاة التي عاثت فيه .

لِيَ بُستانٌ أنيقٌ زاهِــرٌ ناضر الخُضْرةِ ريّانٌ تَرِفْ ،
راسخُ الأعراق ريّانُ الثرَى ، غَدِقٌ : تُربتُه ليست تَجِفّ .

---

١ الطوابيق جمع طاباق : الآجرة (بمد الهمزة وضم الجيم وتشديد الراء) القرميدة الكبيرة ، وعلى هذا يجب أن تكون مساحة (بكسر الميم) هذه الأرض أقل من ثلاثة أمتار مربعة (المقصود : صغيرة جداً) .

لمجاري الماء فيه سَنَنٌ … كيفما صَرّفته فيه انصرف .
يكتسي في الشرق ثَوْبَي يَمْنَةٍ ، … ومَعَ الليل عليها يَلْتَحِف [1].
فيه للخارف من جيرانه … كلّ ما احتاج اليه مُخْتَرِف [2] :
أقحوانٌ وبَهار مُونِقٌ … وسوى ذلك من كل الطُّرَف [3] .
أعْفِه ، يا ربّ ، من واحدة ؛ … ثم لا أحفِلُ أنواعَ التلف :
اكْفِه شاةَ مَنيعٍ وحدَها … يوم لا يصبح في البيت علف [4] .

— ويبدو أن له قصيدة في الحكمة منها :

ماذا يُكَلِّفُكَ الرَّوْحاتِ والدَّلَجا : … البرُّ مرّاً ، ومرّاً تركب اللُّجَجا [5] .
كم من فتىً قَصُرت في الرزق خُطوته … ألفَيْتَه بسهام الرزق قد فَلَجا [6] .
لا تيأسنّ ، وإنْ طالت مُطالبةٌ ، … إذا استعَنْتَ بصبرٍ ، أن ترى فَرَجا !
إن الأمور إذا انسدّتْ مَسالكُها … فالصبر يفتح منها كلَّ ما ارْتَتَجا [7] .
أخْلِقْ بذي الصبر أن يَحْظى بحاجته ، … ومُدْمِنِ القَرْعِ للأبواب أن يَلِجا !

— وقال في الموت :

لكل أناسٍ مَقْبَرٌ بفِنائهم ، … فهم يَنْقُصون ، والقبور تَزيدُ .
همُ جيرةُ الأحياء : أما مَحلّهم … فدانٍ وأما المُلتقى فبعيد !

— وقال في نفسه :

كأنّه قد قيل في مجلسٍ … قد كنت آتيه وأغشاهُ :
محمدٌ صار إلى ربّه ؛ … يرحمنا الله وإياه !

— ومن أقواله الحكيمة (البيان والتبيين ٣ : ٢٠٩ = ٢٣٠) :

تأتي المكاره ، حين تأتي ، جملة ؛ … وترى السرور يجيء في الفلتات

---

١ في الشرق : مع طلوع الشمس . ثوبي يمنة : ألواناً كثيرة مثل الثوب اليماني (من صنع اليمن) .
٢ خرف (الثمر) خاصة : قطفه .
٣ البهار : زهر أصفر يكون في أول الربيع .
٤ منيع صاحب الشاة . — حينا لا يكون في بيت منيع علف لشاته .
٥ الدلج : السير ليلا . مرا : مرة . تركب اللجا : تسافر في البحر .
٦ فلج : فاز .
٧ ارتتج : انغلق ، انسد .

٤ — •• الاغاني ١٤ : ١٧ — ٥٠ ؛ طبقات ابن المعتزّ ٢٨٠ — ٢٨٣ ؛ زيدان ٢ : ١٠٢ — ١٠٣ .

أبو مِسْحَلٍ الأعرابيّ

١ — لَقَبُهُ أبو مِسْحَلٍ [١] وكُنْيَته أبو محمّد ، أمّا اسْمُهُ فهو في الأصحّ : عبد الوهّاب بن جَرِيش [٢] ؛ وقد كان أعرابياً (بَدَوِيّاً) من بني رَبيعة بن عبد الله بن أبي بكر من بني عامر بن صَعْصعة من بني تميم . وكانت مساكن قومه في نَجْد .

والذي يُروى أن أبا مِسْحَلٍ أخذ اللغة والنحو وقراءة القُرآنِ عن الكسائي الكبير (ت ١٨٩ هـ) ثم صَحِبَه مدّةً طويلة وكان من جُملة أصحابه ، كما كان يَرْوي (اللغة والنحو) عن عليّ بن المبارك الأحمر (ت ١٩٤ هـ) . وفي الرواية أن أبا مِسْحَلٍ انتقل معَ أبيه من البادية إلى بغدادَ وسكنها . فاذا نحن علمنا أن الكسائيّ جاء إلى بغداد في أيام الخليفة المَهْديّ (١٥٨ — ١٦٩ هـ) ، فيجب أن يكون مَوْلِدُ أبي مسحل قُبيل سنة ١٥٠ هـ .

وفي الروايةِ أيضاً أن أبا مِسْحَلٍ «قدم بغدادَ وافداً على الحسن بن سهل» [٣] ثم نال عنده حَظْوة . وفي بغداد كان أبو مِسْحَلٍ يَجْلِسُ للناس في مَسْجِدِ السُّويقة فيقرأ عليهم القرآن أو يقرأون عليه اللغة ، وقد كانت بينه وبين الأصمعيّ (ت ٢١٦ هـ) في أثناء ذلك مُناظراتٌ كثيرةٌ يُلْمَحُ منها أن أبا مِسْحَلٍ كان أصغرَ من الاصمعيّ سِنّاً . ولقد كان من الذين قرأوا على أبي مسحل أبو العباس ثعلبٌ (ت ٢٩١ هـ) . من كلّ هذا نرى أن وفاة أبي مسحل لا يجوز أن تكون قد تقدّمت على ٢٢٥ هـ ، وأن أبا مِسْحَلٍ يجب أن يكون قد أسنّ كثيراً .

---

١ المسحل في القاموس (٣ : ٣٩٤) : المنحت والمبرد (بكسر الميم فيهما) والميزاب لا يطاق ماؤه (أي ما كان الماء المنصب منه كثيراً جداً) والمنخل (بضم الميم) وفم المزادة (بفتح الميم : وعاء من جلد للماء) واللجام ، ثم جانب اللحية ، أو أسفل العذارين (بكسر العين) إلى مقدم اللحية ، والحبل المفتول ، ثم اللسان والخطيب البليغ والماهر بالقرآن و (الرجل) الغاية في السخاء ، والجلاد الذي يقيم الحدود ، والساقي النشيط ، والشجاع والثوب النقي (المصنوع) من القطن .

٢ ورد خلاف في اسمه واسم أبيه (راجع كتاب النوادر) المقدمة ، ص ٥ .

٣ الحسن بن سهل (ت ٢٣٦ هـ) تولى الوزارة للمأمون في مرو (٢٠٢ هـ) ثم دخل بغداد مع المأمون (٢٠٤ هـ).

٢ – كان أبو مِسْحَلٍ كوفيَّ المذهبِ ، وكان أكثرُ اشتغاله باللغةِ (كما كان شأنُ الكوفيين عامّةً) . ثم كان يهتمّ بقراءة القرآن وبالنحو أيضاً ، ولكنه لم يشتهر كثيراً . وقد رُوِيَ له شيءٌ من الشعر .

قال الدكتور عزّة حسَن [١] : «لم يَصِلْ إلينا (ممّا ألّف أبو مِسْحَل) إلاّ كتاب النوادر [٢] ، وهذا كتابٌ في اللغة ، والمادّة فيه تُمثّلُ لُغةَ البادية في الجاهلية وصدر الإسلام في ألفاظها وعباراتها وأمثالها وأساليبها تمثيلاً جيّداً . والكتاب بمجموعه أثبتُ وأوسعُ نصّ [٣] لغويّ وَصَلَ إلينا عن [٤] المرْحلةِ الأولى لجمع اللغة وتدوينها ... وهو يُعَدّ بذلك مِثالاً جيّداً للخُطّة البِدائية الّتي اتّبعها الرّواةُ والعلماء في بادئ الأمر لجمع اللغة وتدوينها» .

٣ – المختار من آثاره :

– يقال : شَطّ النهر وشاطئه وعِبره وبِينه وجِيزه وجِيزته وضَفّه وضَفّته [٥] وضِيفه وحافّته (بفتح الفاء غير مشدّدة) وجُدّه وجُدّته وجِدّه ، وذلك في معنى ناحيته . ويقال : فلان كَفيلي وصبيري وجريّي وزعيمي وحميلي وقبيلي وأذيني . وكلّ هذا بمعنى واحدٍ .

– وله شعر يندب فيه شبابَه :

ألا ليس مِن هذا المشيبِ طبيبُ ؛ ... وليس شبابٌ بانَ عنك يؤوبُ [٦] .
لَعَمْري ، لقد بانَ الشبابُ ؛ وإنّني ... عليه لَمَحزونُ الفؤادِ كئيب !
وليس على باكي الشبابِ مَلامةٌ ، ... ولو أنّه شُقّت عليه جُيوب [٧] .
أقولُ لضيفِ الشيبِ ، لمّا أناخ بي : ... جزاؤك منّي جَفوة وقُطوب [٨] ،

---

١ كتاب النوادر ، المقدمة ، ص ١٣ .
٢ الفهرست ٨٨ .
٣ اقرأ : أثبت النصوص وأوسعها .
٤ اقرأ : من .
• في القاموس (٣ : ١٦٦) بفتح الضاد ، وقد تكسر الضاد .
٦ بان : بعد ، ذهب (إلى غير رجعة) . آب : عاد .
٧ الجيب : جانب العنق من الثوب . شق الجيب (على الميت) كناية عن شدة الحزن .
٨ أناخ : نزل ، حل (من غير أمل بالارتحال أو الانتقال) . القطوب : تقلص عضلات الوجه دلالة على التكره .

حرامٌ عليه أن ينالَكَ عِنْدنـــا   كَرامةُ بِرٍّ أو يَمَسّكُ طيبُ [1] .

٤ – كتاب النوادر (عني بتحقيقه الدكتور عزّة حسن) ، دمشق (مطبوعات مجمع اللغة العربية بدمشق) ١٣٨٠ – ١٣٨١ هـ (١٩٦٠ – ١٩٦١ م) .

** تاريخ بغداد ١١ : ٢٥ ؛ طبقات الزبيدي ١٤٨ ؛ انباه الرواة ٢ : ٢١٨ ؛ بغية الوعاة ٣١٨ ؛ زيدان ٢ : ١١١ .

أبو حَفصٍ الشِطرنجيّ

١ – هو أبو حَفْصٍ عُمَرُ بن عبدِ العزيز ، كان أبوه أعجمياً مولىً للمنصور ولم يكن اسمه عبد العزيز ، فلما نشأ عمرُ وتأدّب جعل اسم أبيـه « عبد العزيز » . وكان هو مشغوفاً بالشِطرنج بارعـاً في لُعبه فلُقِّـبَ « الشِطرنجيّ » .

نشأ أبو حفصٍ الشِطرنجي في بغداد في دار المَهْديّ مَعَ أولاد مواليه . ولما مات المهديّ انقطع أبو حفص إلى ابنته عُلَيّةَ . ولما تزوجت عُلَيّةُ خرج أبو حفص مَعَها ؛ ثم لما عادت إلى القصر عاد مَعَها . والأصفهاني يذكره فيقول: « صاحب عُلية وشاعر علية » [2] .

وتكسّب أبو حفص الشِطرنجي من يحيى بن خالد البرمكي ومن الرشيد ، وكان له عند الرشيد حَظوة . واعتل في آخر حياته ثم مات في أيام المعتصم .

٢ – أبو حفصٍ الشِطرنجي شاعرٌ رقيقٌ سَهْلُ الشعر ، وشعره نسيب وعتاب وإخوانيات .

٣ – المختار من شعره :

– قال أبو حفص الشطرنجي :

تَحَبّبْ فإنّ الحُبّ داعيةُ الحبّ ،   وكم من بعيد الدار مُستوجبُ القُرْبِ !

١ مس الرجل طيباً (رائحة طيبة) : دهن شعره أو بعض بدنه بالطيب تزيناً وفرحاً بالحياة .

٢ غ ١٩ : ٧١ السطر ٣ ، السطر ١٢ من أسفل ، ٧٢ السطر ٥ من أسفل .

إذا لم يكن في الحب عَتْبٌ ولا رِضاً — فأين حلاواتُ الرسائلِ والكُتْبِ ؟
تفكَّرْ ، فان حُدِّثْتَ أنّ أخا هوىً — نجا سالماً فارْجُ النجاةَ من الحب .
وأطيبُ أيام الهوى يومُكَ الذي — تُرَوَّعُ بالتحريش فيه وبالعَتْبِ .

– وله في الحب ، وفيه شيء من المزح والمجون :

عَرَضَنْ للذي تُحِبّ بحُبٍّ ، — ثم دَعْهُ يَرُوضُه إبليسُ
فلعلّ الزمانَ يُدنيكَ منه ؛ — ان هذا الهوى جليلٌ نفيس !
صابرِ الحُبَّ لا يُصَرِّفْكَ عنه — من حبيبٍ تَجَهُّمٌ وعُبوس
وأقِلِّ اللَّجاجَ ، وأصْبِرْ على الجُهْدِ ، — فان الهوى نعيم وبُؤس !

– وله أيضاً :

وقد حسَدوني قُرْبَ داريَ منكُم ، — وكم من قريبِ الدارِ وَهْوَ بعيدُ .
دُخولك من باب الهوى ، إنْ أرَدْتَهُ — يسيرٌ ، ولكنّ الخروج عسيرُ !

٤ – •• الاغاني ١٩ : ٦٩ – ؛ فوات الوفيات ٢ : ١٣٢ – ١٣٣ .

عَوْفَ بن مُحَلِّم الخُزاعيّ

١ – هو أبو المِنهالِ عَوْفُ بنُ مُحَلِّمٍ الخُزاعي من أهل حرّانَ من قرية رأسِ العين ، في شماليّ العِراق ، كان مَوْلِدُه نحوَ سنة ١٣٦ هـ (٧٥٣ م) .

اتّصل عَوفُ بن محلّم بطاهرِ بنِ الحسينِ في أيام الفِتنة بين الأمين والمأمون بُعَيْدَ ١٩٥ هـ ، فاختاره طاهرٌ لمنادمته فبَقِيَ مَعَه في خُراسانَ ثلاثين سَنَة لا يُفارِقُهُ في حَضَرٍ ولا سَفَرٍ . ولمّا تُوُفِّيَ طاهرٌ (٢٠٧ هـ) استَبْقاه عبدُ الله ابنُ طاهر . ونال عوفٌ من طاهرِ بنِ الحسينِ ومن ابنه عبدِ الله أموالاً جَزيلةً فتعوّدَ السّخاء والكَرَم ، وكان الشعراءُ الأصاغِرُ يَمْدَحونه فيُعْطيهم .

ثم أسنَّ عوفُ بن محلّم وتاقتْ نفسُه إلى أهلِه وبلدِه ، فاستأذن عبدَ الله ابن طاهر بالرجوعِ إلى وطنه ، ولكنّه تُوُفِّيَ في أثناء الطريق ، في حُدودِ سَنَةِ ٢٢٠ هـ (٨٣٥ م) .

٢ – كانَ عوفُ بن محلّم الخزاعيّ صاحبَ أخبارٍ ونوادرَ ومعرفةٍ بأيامِ

العربِ ومن الرُّواةِ البارعين والعُلماءِ الفُهَماء والأدباء الفصحاء ومن الندماء الظُّرفاء . وكان شاعراً وُجْدانيّاً فصيحاً مُجيداً ، وفنونُه المديحُ والغزل والأدب ، وله شيءٌ من الفخر والخمر .

٣ – المختار من شعره :

– قال عَوْفُ بن مُحَلِّم الخزاعيّ يمدح طاهرَ بن الحسين وقد ركب طاهر حرّاقة (سفينة) :

عَجِبْتُ لحرّاقةِ ابنِ الحسينِ : كيف تسيرُ ولا تَغْرقُ ،
وبحرانِ : من تَحْتِها واحدٌ ، وآخرُ من فوقها مُطْبِقُ [١] .
وأعْجَبُ من ذاك عِيدانُها – وقد مَسّها – كيف لا تُورِق [٢] !

– وقال يمدح عبد الله بن طاهر ويفتخر بنفسه ولكن لا يرى عاراً أن يتكسب من عبد الله :

إليك ! فما حظّي لغيري بصائرٍ ، ولا أجلي ، إن حُمّ ، عنّي بقاصرِ [٣] .
أعِفُّ واستَغْني ، وإنّي لمُقْتِرٌ ، فتَسْتُرُ عِفّاتي عليّ مَفاقري [٤] .
وإني لَيَأتيني الغِنى غيرَ ضارعٍ [٥] فأدْنو به من صاحبي ومُجاوري .
لِساني وقلبي شاعرانِ كلاهما ، ولكنّ وجهي مُفْحَمٌ غيرُ شاعر [٦] .
ولو كان وجهي شاعراً أكْسَبَ الغنى [٧] ، ولكن وَجْهي مثلُ وجه ابن طاهر :
فتىً يختشي أن يَخْدِشَ اللّومُ عِرْضَهُ ، ولا يتّقي حَدّ السيوف البواتر .
غليل وقد اوردتُ دلوي ببحره [٨] ؛ ولا عيبَ في وِرْدِ البحور الزواخر !

---

١ بحران : دجلة وطاهر بن الحسين (جعله بحراً لأنه كريم جداً) . مطبق : مطابق ، مساو (لدجلة) في الكرم .
٢ عيدانها : ألواح الخشب التي فيها .
٣ حم أجلي : دنا موتي .
٤ مقتر : فقير .... – عفة نفسي تستر فقري عن عيون الناس (لأني لا أطلب شيئاً من أحد) .
٥ غير ضارع : (وأنا) غير ذليل .
٦ وجهي مفحم غير شاعر : أنا أخجل من التكسب ولا أستطيعه لو أردته .
٧ أكسب الغنى : لأكسب الغنى ، أي لجعلني (بالتكسب) غنياً .
٨ غليل : عطشان . أوردت دلوي ببحره : أتيت بدلوي لاستقي به من بحر (كرمه) .

— وقال يمدح عبد الله بن طاهر ويسأله السماح له بالرجوع إلى أهله :

يا ابن الذي دان له المشرقان ، وألبسَ الأمنَ به المغربان ،
ان الثمانين — وبُلّغتَها — قد أحوجتْ سمعي إلى ترْجُمان !
وأبدلتني بالشِطاطِ انحناءً ، وكنت كالصَعْدة تحت السِنان [1] ،
وعوّضتني من زِماع الفتى وهَمّه همَّ الهجينِ الهِدان [2] .
وهِمتُ بالأوطان ، وَجْداً بها ، وبالغواني . أين مني الغَواني !
فقرّباني — بأبي أنتما — من وطني قبلَ اصْفرار البَنان [3] ،
وقبل مَنْعايَ إلى نِسْوةٍ أوطانُها حرّانُ فالرقمتان [4] .
سقى قُصورَ الشاذياخ الحَيا ، من بعد عهْدي ، وقصور المِيان [5] .
فكم وكم من دعوةٍ لي بها أن تتخطّاها صروفُ الزمانِ .

٤ — •• طبقات ابن المعتزّ ١٨٦ — ١٩٣ ؛ معجم الأدباء ١٦ : ١٣٩ — ١٤٥ ؛ فوات الوفيات ٢ : ١٤٨ — ١٥٠ ؛ شذرات الذهب ٢ : ٣٢ — ٣٣ .

القاسم بن سَلّام الهَرَوِيّ

هو أبو عُبيد القاسم بن سَلاّم الهَرَويّ ، كان أبوه مملوكاً رومياً لرجل من أهل هَراة . وُلِدَ القاسم في هَراة ، سنة ١٥٤ هـ (٧٧ م) . ثم انه جاء إلى البصرة والكوفة وسمع من أبي زيدٍ الانصاري والأصمعي وأبي عُبيدةَ مَعْمَر ومن ابن الاعرابي والفرّاء والكِسائي . وقد كان اشتغاله بالقراءات والحديث

[1] الشطاط : الطول وحسن القوام واعتداله . الصعدة : القصبة الفارسية (والقصب الفارسي تصنع منه الرماح (كناية عن الاستقامة) .

[2] الزماع : الهمة والمضاء في الامور . الهجين : غير الأصيل (الذي ليس ذا نسب صاف واضح) . الهدان الاحمق الثقيل (الفاتر العزيمة) .

[3] اصفرار البنان (كناية عن الموت) .

[4] تشوقت إلى وطني وإلى الغواني (النساء الجميلات) التي كنت قد عرفتهن فيه . أما الآن (بعد تقدمي في السن) فلا قيمة لتشوقي اليهن .

[5] الشاذياخ وميان في خراسان .

والفقه وبالأخبار واللغة والأدب . واشتغل بالتأديب والتعليم .

وتولّى القاسم بن سلاّم القضاء في طرسوس في أيام ثابت بن نصر بن مالك الخزاعي [1] ثَمانِيَ عَشْرَةَ سَنةً . ويبدو أنه أُستعفى من القضاء سنة ٢١٠ هـ وجاء إلى بغداد [2] . وفي سنة ٢١٤ هـ (٨٢٩ م) سار إلى مكّة للحج ثم بقي في الحجاز إلى أن توفّي (في مكّة أو في المدينة) سنة ٢٢٣ هـ (٨٣٨ م) في الأغلب .

كان القاسم بن سلاّم متفنّناً في أصناف العلوم ، إلا أنه كان أقدرَ في العلوم الإسلامية (القراءات والحديث والفقه) منه في العلوم العربية (اللغة والنحو والشعر) . قال ياقوت (١٦ : ٢٥٥) إن القاسم بن سلاّم كان كثيراً ما يأخذ المادّة لكتبه من كتب الذين سبقوه ، لضيق وقته عن الرِحلة للرِواية عن الرجال ، ثم يُحسِنُ تنسيقَها وتبويبها .

وللقاسم بن سلاّم كتب تزيد على عِشرينَ بعض موضوعاتها تَلْفِتُ النظرَ بالإضافة إلى ذلك الزمن المتقدّم ، منها : كتاب القراءات ، كتاب معاني القرآن كتاب غريب القرآن ، كتاب عدد آي القرآن ، كتاب فضائل القرآن ، كتاب الناسخ والمنسوخ ، كتاب غريب الحديث ، كتاب غريب المصنّف ، كتاب أدب القاضي ، كتاب الأموال ، كتاب الحَجْر والتفليس ، كتاب النسب ، كتاب الأحداث ، كتاب الأمثال السائرة ، كتاب الشعراء ، الخ (راجع معجم الأدباء ١٦ : ٢٦٠) .

– رسالة في ما ورد في القرآن الكريم من لغات القبائل (مطبوع مع تفسير الجلالين) ، القاهرة (دار احياء الكتب العربية) بلا تاريخ .

فصل المقال في شرح كتاب الأمثال لأبي عبيد البكري (حقّقه عبد المجيد

---

١ كان ثابت بن نصر والياً في حلب (وما والاها غرباً) في سنة ١٩٢ – ١٩٣ هـ (٨٠٧ – ٨٠٨ م) في آخر أيام الرشيد .

٢ قالوا : التقى القاسم بن سلام بعبد الله بن طاهر لما جاء عبد الله إلى بغداد وهو لا يزال حدثاً ، وكان اللقاء بوساطة ابراهيم بن اسحق . وفي التاريخ أن اسحق بن ابراهيم كان والي بغداد سنة ٢١٤ هـ ، وفي سنة ٢١٣ هـ (٨٢٨ م) أصبح عبد الله بن طاهر والي خراسان . وفي سنة ٢١٤ هـ سار القاسم بن عبيد الله إلى الحج . ولما قدم القاسم كتابه « غريب الحديث » ، بعد أن عمل فيه ثلاثين سنة الى عبد الله بن طاهر (معجم الادباء ١٦ : ٢٥٥) أو أربعين سنة (وفيات ٢ : ١٦٣) أجازه عبد الله بن طاهر بألف دينار . ان التوفيق بين هذه التواريخ ليس سهلا .

عابدين واحسان عبّاس) ، الخرطوم (جامعة الخرطوم) ١٩٥٨ م .
غريب الحديث (تحت مراقبة محمد عبد المجيد خان) ، حيدراباد (دائرة المعارف العثمانية) ١٩٦٤ ـ ١٩٦٥ م .
كتاب الأموال (صحّحه ... محمّد حامد الفقي)، القاهرة (مطبعة حجازي) ١٣٥٣ .

• • الفهرست ٧١ ـ ٧٢ ؛ تاريخ بغداد ١٢ : ٤٠٣ ـ ٤١٦ ؛ طبقات الزبيدي ٢١٧ ـ ٢٢١ ؛ معجم الأدباء ١٦ : ٢٥٤ ـ ٢٦١ ؛ وفيات الأعيان ٢ : ١٦٣ ـ ١٦٥ ؛ انباه الرواة ٣ : ١٢ ـ ٢٣ ؛ بغية الوعاة ٣٧٦ ؛ شذرات الذهب ٢ : ٥٤ ـ ٥٥ ؛ بروكلمان ١ : ١٠٥ ـ ١٠٧ ، الملحق ١ : ١٦٦ ـ ١٦٧ ؛ زيدان ١١٧ ـ ١١٨ .

ابراهيم بن المهدي

١ ـ هو أبو إسحقَ إبراهيمُ بنُ الخليفة المَهْدِيّ وأخو هرونَ الرشيدِ ، وُلِدَ في أول شهر ذي القَعْدَة من سنة ١٦٢ هـ (١٩ـ٧ـ٧٧٩ م) . وكانت أم ابراهيم جاريةً سوداءَ اسمُها شكْلة (بفتح الشين أو كسرها) فنشأ هو أسودَ عظيمَ الجُثّة فكان يُسمّى التنّين .

كان ابراهيم بن المهدي مُنْصَرِفاً إلى الغناء والعَزْف على الطُنْبور وإلى قول الشعر ، وقد أخذ بعض غنائه عن أخته عُلَيّةَ . وليس في حياته من الأحداث سوى مبايعته بالخلافة :

لمّا جعل المأمونُ ، وهو في مَرْو ، وِلايةَ العهدِ لعليّ الرضا ، في٢ رمضان سنة ٢١٠ هـ (٢٤ـ٣ـ٨١٧ م) غَضِبَ العبّاسيون في بَغدادَ فخلعوا طاعةَ المأمونِ وبايعوا إبراهيم بن المهدي (آخر ذي الحِجّة ٢٠١ هـ =أواخر تموز ـ يوليو ٨١٧ م) . فبعث المأمونُ لقتال ابراهيمَ جيشاً بقيادة الحسن بن سهلٍ فهزم الحسنَ بنُ سهل جيوشَ ابراهيمَ ودخلَ بَغدادَ (أواخر سنة ٢٠٣ هـ = ٨١٩ م) ، فانسحبَ ابراهيمُ من مَيدانِ الحَياة العامّ ، ولكنّه ظلّ يَهْجو المأمون .

ثم انتقل المأمونُ من مَرْو إلى بَغدادَ (٢٠٤ هـ) ، ولكن لم يَظْفَرْ بابراهيم إلاّ بعد بضْعِ سنِينَ فسجنه مدّة (سنة ٢١٠ هـ) لفحش هجائه فيه ثم أطلقه . وكانت وفاةُ ابراهيمَ بن المهديّ في سامرّا في ٧ رمضان ٢٢٤ هـ (تموز ـ يوليو ٨٣٩ م).

٢ – كان ابراهيمُ بن المهديّ شاعراً مُكثراً مُحسناً رقيقَ الشعر ، وكان حسن الضَّرْب على الطُّنْبور حَسَنَ الغِناء يغنّي في أشعاره . وفنون شعره الغزل والنسيب والمدح والهجاء ، وله رثاء وخمر ثم شيء من النثر في رسائلَ إخوانية .

٣ – المختار من شعره :

– بعد أن أكثر ابراهيم بن المهدي من هجاء المأمون اعتذر اليه وقال يمدحه بقصيدة مطلعها :

يا خيرَ من ذَمَلَتْ يَمانيةٌ به بعدَ الرسولِ لآيسٍ أو طامعٍ [١] ،

ثم قال :

وعَفَوْتَ عمّن لم يكن عن مِثْلِه عَفْوٌ ، ولم يَشْفَعْ إليك بشافعِ
إلاّ العلوَّ عنِ العُقوبةِ بعدَ ما ظَفِرَتْ يداك بمُسْتكينٍ خاضعِ .
فرَحِمْتَ أطفالاً كأفراخِ القَطـا وعويلَ عانسةٍ كقَوْسِ النازعِ [٢] .
قَسَماً – وما أدْلي إليكَ بحُجّـةٍ إلاّ التَضرّعَ من مُقِرٍّ خاشعِ –
ما إنْ عَصَيْتُكَ ، والغُواةُ تَمُدُّني أسْبابُها ، إلاّ بنيّةِ طائعِ [٣] !

– لما استخفى ابراهيم بن المهديّ من المأمون ، كانت تقوم على خدمته جارية جميلة فقال في النسيب بها :

يا غزالاً لي إليْـهِ شافعٌ من مُقْلَتَيْهِ ،
والذي أجْلَلْتُ خَدْ دَيْهِ فقبّلتُ يَدَيْه .
بأبي وَجْهُكَ مـا أكثرَ حُسّادي عليه .
أنا ضَيْفٌ ، وجزاءُ الضيفِ إحسانٌ إليه .

---

١ ذملت يمانية به : (سارت به ناقة يمانية سيراً ليناً) .

٢ أفراخ القطا : كناية عن صغار الطير التي لا تستطيع نهوضاً (طيراناً ولا العناية بنفسها في مطعمها الخ) .. العويل : شدة البكاء . العانسة (في القاموس : العانس) الفتاة التي كبرت ولم تتزوج . والعانسة : الناقة السمينة . كقوس النازع : شديدة الانحناء (كناية عن كبرها في السن) – لأن القوس إذا نزع فيها الانسان (جعل سهماً في وترها ثم جذبه اليه) كثر انحناؤها .

٣ – أنا اضطررت إلى مجاراة الغواة (الذين ضلوا ثم دفعوني إلى العصيان عليك) بينما كنت بيني وبين نفسي مطيعاً لك (لا أريد الثورة عليك) .

– وله في النسيب :

ونَهَيْتُ نَوْمِيَ عن جُفوني فانتَهى ، وأمَرْتُ لَيْلي أن يَطولَ فطالا .
نَظَرُ العُيونِ إلى العيونِ هُوَ الذي جَعَلَ العيونَ على العيونِ وَبالاً [1] !

٤ – •• ابراهيم بن المهدي ، تأليف منير الحسامي ، بيروت (المكتب التجاري) ١٩٦٠ م .
كتاب الورقة ١٩ – ٢٢ ؛ أشعار أولاد الخلفاء ١٧ – ٤٩ ؛ الاغاني ١٠ : ٦٩ – ٧٠ ؛ تاريخ بغداد ٦ : ١٤٢ – ١٤٨ ؛ وفيات الاعيان ١ : ١٢ – ١٤ ؛ شذرات الذهب ٢ : ٣٥ .

الجَرْميّ

هو أبو عُمَرَ صالحُ بنُ اسحقَ الجَرْمِيّ مولى بني جَرْم بن زَبّان اليمنيّين[2] كان من أهل البصرة ، أخذ علوم العربية عن يونسَ بنِ حبيبٍ ، وعلومَ اللغة عن أبي زيدٍ الانصاريّ وأبي عبيدة ؛ وقرأ ديوان الهُذَليّين على الأصمعي ، وقرأ كتاب سيبويهِ على أبي الحسن سعيد بن مسعدة الأخفش ثم قرأ الناسُ كتابَ سيبويه على الجَرْمي . ولمّا جاء الجرميّ إلى بغدادَ ناظر الفرّاء ، ثم أخذ عنه المبرّدُ والمازني .

الجرمي فقيهٌ ومن الأئمّة الأجلاّء في الحديث والأخبار ولكنّه شُهِرَ باللغة والنحو ، إذ كان عالماً باللغة حافظاً لها قديراً في النحو . وللجرمي كتب منها كتاب الفرخ (فرخ كتاب سيبويه) ، كتاب المختصر في النحو ، كتاب التنبيه ، كتاب السير ، كتاب الأبنية ، كتاب العروض ، كتاب غريب (كتاب) سيبويه .

•• الفهرست ٥٦ – ٥٧ ؛ تاريخ بغداد ٩ : ٣١٣ – ٣١٥ ؛ معجم الأدباء ١٢ : ٥ – ٦ ؛ وفيات الاعيان ١ : ٤٠٧ – ٤٠٨ ؛ انباه الرواة ٢ : ٨٠ – ٨٣ ؛ بغية الوعاة ٢٦٨ ؛ شذرات الذهب ٢ : ٥٧ ؛ بروكلمان ١ : ١٠٨ .

---

١ الوبال : الهلاك .

٢ في وفيات الاعيان (١ : ٤٠٧) أن أبا نعيم الاصبهاني ذكر الجرمي في تاريخ « أصبهان » ، فهو على ذلك فارسي الأصل . – يقال فيه البجلي (بفتح الباء والجيم) مولى بجيلة (بفتح الباء) ثم نزل في بني جرم بن زبان فنسب اليهم .

أبو دلف العجليّ

١ – هو أبو دُلَفَ القاسمُ بنُ عيسى بنِ إدريسَ من بني عِجْلِ بن لُجيمِ من بني بَكْرِ بنِ وائلٍ ، ومن أهلِ الكَرَج (القاموس ١ : ٢٠٤) ، وهي بلدة بين إصبهانَ وهَمَذانَ من شرقيّ بلادِ فارسَ . وقد كان مغالياً جِداً في التشيّع (وفيات الاعيان ٢ : ١٧٤ س) .

كان أبو دُلَفَ من أوّلِ أمرِهِ سَرِيّاً كريماً شُجاعاً ذا وقائعَ مشهورةٍ وصنائعَ مأثورة . وقد كان من قُوّاد المأمون ثم من قوّاد المعتصم ، واشتهر في حرب بابَكَ الخُرَّمِيّ معَ القائد التركي حَيدَرِ بن كاوس الإفشين [١] ، وكان صديقاً له ثم غَضِبَ الإفشينُ عليه وأراد قتله ولكن أُنقِذَ .

مدح أبا دُلَف نفرٌ من الشعراء منهم أبو تمّام والعَكَوّك وبكر بن النَّطّاح [٢] والخُرَيمي [٣] وغيرهم . وقد كان جواداً في اجازتهم وفي عطاء غيرهم حتى رَكِبَتْهُ الديونُ . ومرض أبو دلف في آخر أيامه وثَقُلَتْ حالُه ثم تُوُفِّيَ في سنة ٢٢٥ هـ أو ٢٢٦ هـ (٨٣٩ م) ، وقيل سنة ٢٢٨ هـ .

٢ – كان أبو دلف مُصَنِّفاً له من الكتب كتاب البُزاة والصيد ، كتابُ السِلاح وكتاب سياسة الملوك وغيرها (وفيات ٢ : ١٧٢) . وكذلك كان من أصحاب الصَّنْعة في الغِناء يضع الألحانَ للأشعار ويغنّي غِناءً حَسَناً . (غ ٨ : ٢٤٨) .

وأبو دلف شاعر مجيد حَسَنُ البديهة حاضرُ الجواب ، وشعره في الغزل والحماسة والوصف .

٣ – المختار من شعره :

– قال أبو دُلَف في الغزل والحماسة ، وفي شعره شيء من نفس عنترة :

بنفسي ، يا جِنانُ ، وأنتِ منّـي مَحلُّ الروحِ من جسد الجبانِ [٤]

---

١ في غ ٨ : ٢٥٠ خيذر (بالخاء والذال المعجمتين) . الإفشين بكسر الهمزة والشين .

٢ طبقات ابن المعتز ٢١٩ ، ٢٢٠ – ٢٢٦ .

٣ البيان والتبيين ١ : ١١١ – ١١٢ .

٤ بنفسي ، يا جنان : أفديك ، يا جنان ، بنفسي . وفي رواية : أحبك ، يا جنان .

ولو أنّي أقول مكانَ روحي خَشِيتُ عليك بادرةَ الزمـان
لإقدامي إذا مـا الخيلُ حامتْ ، وهابَ كُماتُها حرَّ الطعان !

— وله أيضاً في النسيب والحماسة :

لَيْلي بالسَّرادِنِ كُلِّلَتْ بالمحاسِنِ
وجَوارٍ أوانِسٍ كالظِّباء الشَّوادن[1] .
بُدِّلَتْ بالمُمَسَّكا ت ادّراعَ الجَواشن[2] .

— وله في الشيب :

في كلِّ يوم أرى ببضاءَ طالعةً كأنّما أُنبِتَتْ في ناظرِ البَصَرِ .
لئن قَصَصْتُكِ بالمِقراض عن بَصري لما قَطعتُكِ عن هَمّي وعن فِكَري.

— وقال أبو دلف العجلي (ديوان المعاني ١ : ٩١) في الحماسة :

وكنْ على الدهر فارساً بطلاً ، فانّما الدهرُ فارسٌ بطلُ .
لا بُدَّ للخيل أن تجولَ بنـا — والخيل أرحامُنا التي نَصِلُ — :
فمرّةً باللُّجين نَنْقُلها ، ومرّةً بالدماء تنتقل[3] ،
حتّى نرى الموت تحت رايتنا تُطفَأ نيرانُها وتشتعل !

— ولأبي دُلَف قصيدةٌ في الحماسة يقول فيها (البيان والتبيين ٢ : ٢١٧) :

ألبسيني الدرعَ قد طـا لَ عن الحربِ جِمامي[4] .

٤ — • طبقات ابن المعتزّ ١٧١ — ١٧٩ (في أخبار عليّ بن جبلة العكوّك) ، ٢١٨ — ٢١٩ (في أخبار بكر بن النطّاح) ؛ الأغاني ٧ : ١٥٣ — ١٦٤ ، ٢١ : ١٧٦ — ١٧٧ ؛ تاريخ بغداد ١٢ : ٤١٦ — ٤٢٣ ؛ وفيات الأعيان ٢ : ١٧١ — ١٧٥ ؛ شذرات الذهب ٢ : ٥٧ .

---

١ الجواري جمع جارية : الفتاة الصغيرة . الأوانس : اللواتي يؤنس بهن من غير ريبة . الشوادن جمع شادن : الظبي الصغير .

٢ تبدلت (فضلت) بالممسكات (التطيب بالمسك) ادّراع (لبس) الجواشن (الدروع)، أي فضلت الحرب على الحياة المترفة .

٣ — نسابق على الخيل مرة (نلهو) حتى يتكاثر الزبد (الأبيض) كاللجين (الفضة) عليها ، ونحارب عليها مرة حتى تكتسي بالدم .

٤ الجمام : الراحة ، ترك بذل الجهد .

العُتبي الشاعر

١ ــ هو أبو عبد الرحمن محمد بن عُبيد الله بن عَمْرَ بن معاويةَ بن عمر ابن عُتْبة بن أبي سفيان القُرَشي الأموي المعروف بالعُتبي ، كان من أهل البصرة . ونسبته العُتبي إما أن تكون إلى جدّه المذكور في نسبه أو إلى فتاة اسمها عُتبة كان يهواها وقد أكثر من قول الشعر فيها .

كان العُتبيّ عارفاً بالأخبار وبأيامِ العربِ روَى ذلك عن أبيه وعن سفيان ابن عُيَيْنَةَ وعن لوط بن مِخْنف ، ثم قَدِمَ بغدادَ وحدّثَ فيها بذلك فأخذ عنه جَماعةٌ من أهل بغدادَ منهم أبو حاتمِ السِجِستاني وأبو الفضل الرياشي واسحقُ بن محمد النَخْعي . وكان العُتبي مشهوراً بالشَراب وبحُب فتاة اسمها عُتبة .

وأسنّ العُتبي كثيراً ، ولعلّ وفاته كانت في حدود سنة ٢٣٠ هـ (٨٤٤ م) أو بعد ذلك بقليل .

٢ ــ كان العُتبي أديباً فصيحاً راويةً للأخبار والآداب عن الأعرابِ وكاتباً مترسّلاً وشاعراً بارعاً . وشِعرُه كثيرٌ جيّدٌ وفيه شيءٌ من المرحِ . وشُهِرَ في آخرِ أيامه بالرثاء فقد مات له بَنونَ في الطاعون الذي جاء على البصرة ، سَنَةَ ٢٢٩ هـ (٨٤٤) فرثاهم رثاءً وُجْدانيـاً رقيقاً . وكان له أيضاً شيءٌ من الغزلِ والعِتاب والأدب .

والعتبي مُصنِّفٌ له من الكتب : كتاب الخيل ، كتاب أشعار الأعاريب ، كتاب أشعار النساء اللاتي أحْببن ثم أبْغَضْنَ ، كتاب الذبيح ، كتاب الأخلاق .

٣ ــ المختار من شعره :

ــ قال في الاعتذار عن اللهو بَعْدَ تقدّم السِنّ .

لمّا رأتني سُلَيْمى قاصِراً بَصَري عنها ، وفي الطَرْفِ عن أمثالِها قِصَرُ[١] ،

---

١ قاصراً بصري عنها : خافضاً بصري لا أنظر اليها . وفي الطرف : البصر (في بصري الآن) عجز عن النظر اليها (التشوق لها) .

قالت : عدَدتُكَ مَجْنوناً ، فقلتُ لها : إنّ الشّباب جُنونٌ بُرْؤه الكِبَرُ [1] !

– وقال يرثي بعضَ أولاده :

أضْحَتْ بخَدّي للدّموعِ رُسومُ ، أسَفاً عليكَ ، وفي الفُؤادِ كُلومُ [2] .

والصبرُ يُحْمَدُ في المواطنِ كلّها إلاّ عليكَ فإنّه مذمومِ .

– كَلّ لِساني عن بعض ما أجِدُ ، وذُقْتُ ثُكْلاً ما ذاقه أحَدُ [3] .

ما عالج الحُزْنَ والحرارةَ في الـ أحشاء من لم يَمُتْ له ولد !

– ولمّا تتابعَ أبناءُ العُتبي الستّةِ في الطاعون (٢٢٩ هـ) قال :

وكنتُ أبا ستّةٍ كالبُدورِ قد فَقَئوا أعْيُنَ الحاسدينا [4] .

فمرّوا على حادثاتِ الزمان كمرِّ الدراهمِ بالناقدينا [5] .

وحسْبُكَ من حادثٍ بامْرِئٍ يرى حاسديه له راحمينا !

٤ – •• طبقات ابن المعتزّ ٣١٤ – ٣١٦ ؛ تاريخ بغداد ٢ : ٣٢٤ – ٣٢٦ ؛ وفيات الأعيان ٢ : ٣٥٤ – ٣٥٥ ؛ شذرات الذهب ٢ : ٦٥ – ٦٦ .

محمود الورّاق

١ – كان محمودُ بنُ حسَنٍ الورّاقُ صديقاً لأبي عاصم بن وَهْبٍ ، وكان أبو الشبل كوفي المولد بصري المنشأ . واشتهر الصديقان بالاستهتار في الخمر والمعاصي (غ ١٣ : ٢٢ ، ٢٤) .

كان لمحمودِ الورّاق جاريةٌ جميلةٌ أديبة اسمها سَكَنُ يُحبّها وتحبّه . ثم ان حاشيةَ محمودٍ رقّتْ فاضْطُرّ إلى بَيْعها فاشتراها منه أحد الطاهريين بمِائةِ ألف

---

١ – قالت : ظننتك مجنوناً (بالجمال) . فقلت لها : كان شبابي جنوناً بالجمال (كنت في شبابي مجنوناً بالجمال) . أما الآن فان الكبر (التقدم في السن = الشيخوخة) قد شفاني من هذا الجنون .

٢ ان كثرة الدموع جعلت علامات في خدودي . كلوم : جروح .

٣ كل : تعب عن وصف جانب مما أجد (أشعر به من الحزن) . الثكل : أن يفقد الوالدان ولداً لهما .

٤ فقأوا أعين الحاسدين : أغاظوا الحاسدين بجمالهم ونجاحهم في الحياة .

٥ كمر الدراهم بالناقدينا (بالجهابذة : الخبيرين العارفين بصحيح الدراهم وزائفها) يختار لنفسه أحسنها (كذلك الموت أختار أحسن الناس فكانوا أولادي) .

درهم . فلما أرادت أن تَخْرُجَ من البيت قالت لمحمود : «أهذا آخرُ أمري وأمرك . اختَرْتَ عليّ مائةَ ألفِ درهم ؟» فقال لها محمودٌ ، أفتَجْلسينَ على الفقر ؟ فقالت : «نعمْ» . فأعتقَها ليتزوّجَها ؛ ثم قال للطاهريّ : هذا مالُكَ فخُذْهُ . وكان الطاهريّ شَهْماً فقال لمحمودٍ : «أما إذا فعلتَ ما فعلتَ فالمالُ لكما . واللهِ ، لا رَددتُه إلى مُلْكي» .

وكانت وفاة محمودٍ الوراق في حدود سنة ٢٣٠ هـ (٨٤٤م) وقد أسنّ في الأغلب .

٢ — محمودٌ الوراقُ شاعرٌ مُكثِرٌ ، وأكثرُ شعرِه في الأدب والمواعظ والحِكَم والأمثال ، وليس يُقَصِّرُ في هذا الفن عن صالحِ بنِ عبد القُدّوس (طبقات ابن المعتزّ ٣٦٨) . وله شيءٌ من الغزل . وشعره الذي وصل الينا مُقطّعات قِصارٌ .

٣ — المختار من شعره

— لمحمود الوراق مقطوعة بارعة في الأدب (طبقات ابن المعتزّ ٣٦٨) :

يُمَثِّلُ ذو الحزمِ في نفسهِ مَصائبَهُ قبلَ أن تَنْزِلا .
فإنْ نَزَلَتْ بَغْتَةً لم تَرُعْـهُ لِمَا كان في نفسهِ مَثّـلا .
رأى الهَمَّ يُفضي إلى آخـرٍ فصَيّر آخِرَه أوّلا .
وذو الجهل يأمَنُ أيامَـه ويَنْسى مَصارِعَ من قد خلا.
فان بَدَهَتْه صُروفُ الزمـانِ ببعضِ مصائبه أعْوَلا [1] .
ولو قَدّم الحزمَ في نفسـهِ لعَلّمه الصبرَ عندَ البَلا !

— وقال في الغزل (فوات الوفيات ٢ : ٣٥٧) :

سَقْياً لأيّامٍ خَلَتْ وكأنّ أوجُهَها رِياضُ ؛
أيامَ يُحْيِينا الهوى ، وتُميتُنا الحَدَقُ المِراضُ [2] !

---

١ بدهته (جاءته فجأة وبغتة) صروف الزمان (حدثانه ونوائبه = مصائبه) . أعول : رفع صوته بالبكاء والصياح .

٢ الحدق : العيون . المراض : الذابلة من الدلال والجمال لا من المرض .

— وقال :

لَبِسْتُ صُروفَ الدهرِ كَهْلاً وناشئاً وجرّبتُ حالَيْهِ على العُسْرِ واليُسْرِ .
فلم أرَ بعدَ الدينِ خيراً من الغِنى ، ولم أرَ بعدَ الكُفْرِ شرّاً من الفقر !

— وقال محمود الورّاق (البيان والتبيين ٣ : ١٩٧ — ١٩٨) :

أليْسَ عَجيباً بأنّ الفَتى يُصابُ ببعضِ الذي في يَدَيْهِ :
فمِنْ بين باكٍ له مُوجَعٍ وبين مُعَزٍّ مُغِذٍّ إليْهِ [1] ؛
ويَسْلُبُه الشيبُ شَرْخَ الشبابِ فليس يُعَزّيهِ خَلْقٌ عليه !

— الحلم أبلغ في الانتقام :

رَجَعَتُ على السفيه بفَضْلِ حِلمي فكان الحلم عنه له لِجاما .
وظنّ بيَ السَّفاهَ فلم يَجِدْني أسافِهُهُ ، وقلتُ له : سَلاما !
فقامَ يَجُرّ رِجْلَيه ذَليلاً وقد كَسَبَ المَذَلّةَ والمَلاما .
وفضلُ الحِلمِ أبلغُ في سفيهٍ وأحْرى أن تَنالَ به انتقاما .

— ما إن بَكَيْتُ زماناً إلاّ بكيتُ عليهِ .
ولا ذَمَمْتُ صديقاً إلاّ رَجَعْتُ اليه .

— تَعْصي الإلهَ وأنتَ تُظْهِرَ حُبّهُ ، هذا ، لَعَمْري، في القياس بَديعُ .
لو كان حُبّكَ صادقاً لأطَعْتَهُ، إنّ المُحِبَّ لِمَنْ يُحِبّ مُطيعُ !

٤ — •• طبقات بن المعتزّ ٣٦٧ — ٣٦٨ ؛ فوات الوفيات ٢ : ٢٥٦ — ٢٥٨ .

بَكْر بن النطّاح

١ — هو أبو وائلٍ بكرُ بن النطّاح بن أبي حِمارٍ الحَنَفي من أهل البصرة ، كان صُعلوكاً شُجاعاً يقطعُ الطريقَ ثم أقصر (انتهى عن ذلك) وقَدِمَ إلى بغدادَ وانقطع إلى أبي دُلَفَ العِجليّ يَصْحَبُهُ ويمدحُه حتّى تُوفّي أبو دُلَفَ (بين ٢٢٦ و ٢٢٨ هـ) . وكان بكر قد مدح مالكَ بن عليٍّ الخُزاعيَّ والِيَ

[1] مغذ : مسرع .

البصرة ومالكَ بن طوقٍ والِيَ دِمَشْقَ (وكلاهما كان في أيام الرشيد) .
ولا أعرف الوجه في قول الخطيب البغدادي (تاريخ بغداد ٧ : ٩١ س) : « بلغني أن بكراً لمّا مات رثاه أبو العتاهية » ، فأبو العتاهية تُوُفِّيَ سنة ٢١١ هـ .

٢ – بكر بن النطّاح شاعرٌ جيّد القولِ حَسَنُ التصرّفِ في فنون الشعر فصيحُ الألفاظِ سهلُ التراكيب يُجيدُ في المُطوّلات وفي المُقطّعاتِ . وعلى شِعره نَفْحةُ البداوةِ لِما فيه من المَتانةِ مَعَ سهولته ، وفيه أيضاً استطراداتٌ حسنةٌ : مدح مالكَ بن طوقٍ واستطرد إلى ذم قيس فقال (العمدة ١ : ٣٩) :

فتىً شُفِيَتْ أموالُه بعُفَاتِـه ... كما شُفِيَتْ قيس بأرماحِ تَغْلِبِ[1] .

أما فنونه فالفخر والحماسة والمديح والرثاء والهجاء ، وهو بارع في الغزل .
ولبكرِ بن النطّاحِ رأيٌ في نظم الشعر (العمدة ١ : ١٧٩ – ١٨٠) .

٣ – المختار من شعره

– قطع نفرٌ من الأكراد الطريقَ في أيام أبي دُلَفَ ، فخرج اليهم أبو دلف فلقي اثنين على حِصانٍ واحدٍ فطعنهما فشكّهما بالرمح ، فقال بكرُ ابن النطّاح :

قالوا : « ويَنْظِمُ فارسينِ بطعنةٍ ، ... يوم اللقاءِ ، ولا يراه جَليلا » .
لا تَعْجَبوا ، لو أنّ طولَ قَناتِه ... ميلٌ إذاً نَظَمَ الفوارسَ مِيلا !

– وله في أبي دُلَف القاسم بن عيسى العِجلي قصيدةٌ رائعة يمدحه فيها ، منها :

قِفا واسْألاها إنْ أجابتْ وجرّبا ... أبا دُلَفٍ في شأنِها الحَسَناتِ[2] .
فتىً – إنْ أقلَّ السيفَ والرُمحَ – مُخْرِجٌ ... عِداهُ من الدنيا بغير بَيَاتِ[3] .
هو الفاضلُ المنصور والرايةُ التي ... أدارت على الأعداء كأسَ مَماتِ !

---

١ العفاة : طالبو العطاء . – كانت أمواله محبوسة مريضة فأطلقها وشفاها باعطائها لأصحاب الحاجات ؛ كما أن بني بكر (من قيس = عرب الشمال) شفوا من عداوتهم لتغلب (عرب الجنوب) بأرماح تغلب (بانتصار تغلب عليهم) .

٢ كذا في الأصل : في شأنها الحسنات . ويقول محقق طبقات ابن المعتز (ص ٢٢٣ ح) لعلها : في الشأن والحسنات (ذا الشأن ....)

٣ البيات : أن يدبر القائد خطة لمهاجمة عدوه . أقل : حمل (ذهب إلى الحرب) .

عَدَتْ خيلُه حُمْرَ النُحور ،وخيلُهم مُخَضَّبَةُ الأكفالِ والرَّبَلات [1] ،
وصَبَّحَ صُبْحاً عسقلانَ بعسكرٍ بَكى منه أهلُ الروم بالعَبَرات [2].
بدينِ أميرِ المؤمنينَ ورأيه نَدينُ وتَنْفي الشكَّ والشُّبُهات .
فكلُّ قبيلٍ من مَعَدٍّ وغيرِها يرى قاسماً نوراً لَدى الظُلُمات [3].
أبا دُلَفٍ ، أوقعتَ عِشرينَ وقعةً وأفنيتَ أهلَ الأرضِ في السَّنوات [4]
تركتَ طريقَ الموتَ بالسيفِ عامراً تَخَرَّقُه القَتْلى بغيرِ وفاة [5] .
صبرتَ لأنَّ الصبرَ منك سَجيَّةٌ على غَدَرات الدهرِ ذي الغَدَرات.
ولبَّيتَ هارونَ الخليفةَ إذ دعا فألْفَيْتَه في الله خَيْرَ مُؤاتٍ [6] .
وألبَسْتَ نُعماكَ الفقيرَ وغيرَه ، وأتبَعْتَ بِرّاً واصلاً بصِلات .
فعِزُّك مقرونٌ بعلمٍ وسُؤْدَدٍ ، وجُودُكَ مقرونٌ بصِدق عِدات [7] .
أبو دُلَفٍ أفنى صِفاتي مديحُه ، وإنّي لَيَكْفي الناسَ بعضُ صِفاتي !

– وقال بكرُ بنُ النطّاح يفتخر في قصيدةٍ مدح بها يزيدَ بنَ مزيَدَ الشيبانيَّ :

ومن يَفْتَقِرْ منّا يَعِشْ بحُسامه ، ومن يفتقر من سائرِ الناس يسأل [8] .
ونحنُ وُصِفْنا ، دونَ كلِّ قبيلةٍ ، بشدّةِ بأسٍ في الكتاب المُنَزَّل .

– وقال في الأدب (الحكمة) :

أهْدَى إليكَ نصيحتي ومَوَدّتي قبلَ اللّقاءِ شواهدُ الأرْواحِ .
وعلى القُلوبِ مِنَ القلوب دلائلٌ بالوُدِّ قبل تَشاهُدِ الأشباح !

٤ – •• الاغاني ١٧ : ١٥٣ – ١٥٨ ؛ طبقات ابن المعتزّ ٢١٧ – ٢٢٦ ؛ تاريخ بغداد ٧ : ٩٠ – ٩١ ؛ فوات الوفيات ١ : ١٠٠ – ١٠١ .

---

١ الاكفال والربلات في مؤخر الجسم (كناية عن قتاله هاجماً وعن قتلهم مدبرين) .
٢ عسقلان ثغر بحري في فلسطين .
٣ من معد وغيرها : من العرب وغير العرب .
٤ في السنوات : في سنوات قليلة (سنوات جمع قلة) .
٥ .... – يرتمي فيها القتلى في كل ناحية .
٦ هرون الخليفة (هنا) الواثق . في الله خير مؤات : موافق للحق في ما طلب .
٧ العدات جمع عدة : وعد (بمعروف أو عطاء) .
٨ يسأل : يستعطي ، يشحذ ، يطلب صدقة .

محمّد بن سعد

هو أبو عبدِ الله محمّدُ بنُ سعدِ بنِ منيعٍ الزُهريّ ، وُلِدَ سنَةَ ٢٦٨ هـ (٨٨١ – ٨٨٢ م) .

سَمِعَ ابنُ سعد مِنْ سُفْيانَ بن عُيَيْنَةَ [١] ، ثم كان كاتباً للواقديّ [٢] . وكانت وَفاتُه في بَغدادَ ، في ٤ جُمادى الآخرةِ من سَنَةِ ٢٣٠ هـ ، (١٧–٢–٨٤٥ م) .

كان محمّدُ بنُ سَعْد من أهل العَدالة والصدق يتَحرّى الصحّة في رواياته ، وكان غزيرَ العِلْم عالماً بالحديثِ والفِقْه . وقد وَصَل إلينا منه كتابُ الطَبَقات الكبيرُ ، ويُعْرَفُ بطبقاتِ ابنِ سَعْدٍ ، أوْرَدَ فيه ترْجمةَ رسولِ الله ثم تَراجِمَ الصّحابةِ والتابعين إلى أيّامه ، وعَدَدُهم نَحْو ثلاثةِ آلاف . وأقسام الطبقاتِ هي التالية : سيرة الرسول ، المغازي (غزوات الرسول) البَدْرِيون (الذين شَهِدوا غزوة بدرٍ ، سَنَةَ ٢ هـ) ، الأنصــار والمهاجرون الذين لم يَشْهَدوا بدراً ثم أسلموا قَبلَ فتحِ مكّة ، سنة ٨ هـ) ، سائرُ (باقي) أهلِ المدينةِ ثم أهلِ مكّةَ والطائفِ واليمنِ واليَمامة والبَحْرين ، الكوفيّون ، البصريون ، النساء .

– كتاب الطبقات الكبير (نشره جماعة من المستشرقين) ، ليدن (بريل) ١٣٢١ هـ (١٩٠٤ م) وما بعدها = الطبقات الكبرى ، بيروت (دار بيروت ودار صادر) ١٩٥٧ – ١٩٥٨ م .

---

١ ولد أبو محمد سفيان بن عيينة في الكوفة سنة ١٠٧ هـ (٧٢٥ م) ، وكان عالماً زاهداً وراوية الحديث ثبتاً صادقاً صحيح الرواية . مات سنة ١٩٨ هـ (٨١٤ م) في مكة . (راجع وفيات الاعيان ١ : ٣٧٤–٣٧٥) .

٢ أبو عبد الله محمد بن عمر بن واقد المعروف بالواقدي ، ولد في المدينة في أول سنة ١٣٠ هـ (٧٤٧ م) وانتقل (١٨٠ هـ = ٧٩٦ م) إلى بغداد حيث تولى القضاء ، وفيها توفي (٢٠٧ هـ = ٨٢٣ م) . وللواقدي كتب كثيرة في القرآن والحديث والفقه والتاريخ أشهرها « فتوح الشام » ؛ وله كتاب الترغيب في علم القرآن ، كتاب التاريخ الكبير ، كتاب أخبار مكة ، كتاب وفاة النبي صلى الله عليه وسلم ، كتاب مقتل الحسين ، كتاب فتوح العراق ، كتاب ضرب الدنانير والدراهم ، الخ ... (راجع معجم الأدباء ١٨ : ٢٧٧ – ٢٨٢) .

مجموعة الوثائق السياسية في العهد النبوي والخلافة الراشدية (نشره محمّد حميد الله)، القاهرة (مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر) ١٩٤١ م .

•• الفهرست ٩٩ ؛ تاريخ بغداد ٥ : ٣٢١ — ٣٢٢ ؛ وفيات الاعيان ٢ : ٣٢٦ ؛ شذرات الذهب ٢ : ٦٩ ؛ بروكلمان ١ : ١٤٢ — ١٤٣ ، الملحق ١ : ٢٠٨ ؛ زيدان ٢ : ١٧١ — ١٧٢ .

ابن الأعرابيّ

هو أبو عبد الله محمّدُ بن زيادٍ المعروفُ بابنِ الأعرابي ، كان أبوه عبداً رقيقاً سِنْدياً من أهل الكوفة ثم مَوْلىً للعبّاس بن محمدِ بن عليّ بن العبّاس الهاشميّ (ت ١٨٦ ه) .

وُلِدَ ابنُ الاعرابي في رَجَبَ من سنة ١٥٠ ه (٧٦٧ م) ونشأ ربيباً للمُفَضَّلِ الضبيّ ، لأنّ المفضّل كان قد تزوّج أمّه . وأخذ ابن الاعرابي علومه عن المفضّل وأبي مُعاوية الضريرِ وثَعلبٍ والكِسائي وابنِ السِكّيت . وكانت وفاتُه في سامرّا ، في ١٤ شعبان ٢٣١ ه (٨٤٦ م) .

كان ابن الاعرابي عالماً باللغة ورأساً (مُقدّماً على أندادِه) في الكلامِ الغريبِ . وقد كان يقول : انه جائز في كلام العرب أن نُعاقِبَ بين الضاد والظاء (أنْ نقولَ مثلاً : غائظ وغائض ، من غير اختلافٍ في المعنى) . وكان عالماً بأنساب العرب ، راويةً لأشعار القبائل ، غزيرَ الروايةِ ، واسعَ المعرفة بالنحوِ خاصّةً . وهو كوفيّ المذهب ، ولكنّه مَعَ ذلك يُقارب البَصريّين . ولم يكن ابنُ الأعرابي يُجيبُ السائلين من كتابٍ ، بل كان يُملي عليهم من حفظه .

وأكثرُ كتبهِ في اللغة ، له : كتاب النوادر ، كتاب الألفاظ ، كتاب الأنواء ، كتاب النبات ، كتاب النبت والبقل ، كتاب صفة الزرع ، كتاب صفة النخل ، كتاب الخيل ، كتاب نسب الخيل ، كتاب الذباب ، كتاب صفة الدرع ، كتاب تفسير الامثال ، كتاب معاني الشعر ، كتاب تاريخ القبائل ، كتاب نوادر بني فقعس ، كتاب نوادر الزبيريين ، الخ .

— نسب الخيل في الجاهلية والإسلام وأخبارها ، ويليه أسماء خيل العرب وفرسانها

(عني بنشره جرجس لوي دلاويدا) ، ليدن (بريل) ١٩٢٨ م .
•• الفهرست ٦٩ ؛ طبقات الزبيدي ٢١٣ — ٢١٥ ؛ تاريخ بغداد ٥ : ٢٨٢ — ٢٨٥ ؛ معجم الأدباء ١٨ : ١٨٩ — ١٩٦ ؛ وفيات الاعيان ٢ : ٢٩٩ — ٣٠١ ؛ الوافي بالوفيات ٣ : ٧٩ ؛ انباه الرواة ٣ : ١٢٨ — ١٣٧ ؛ بغية الوعاة ٤٢ ؛ بروكلمان ١ : ١١٩ — ١٢٠ ، الملحق ١ : ١٧٩ — ١٨٠ ؛ زيدان ٢ : ١٤٦ .

محمّد بن أميّةَ البصري

١ — كان محمّدُ بنُ أميّةَ بنُ أبي أميّةَ الكاتبُ البَصْريّ مشهوراً منذ أيامِ الرشيدِ ومُنْقَطِعاً إلى إبراهيمَ بنِ المَهْديّ يكتُبُ له على بيتِ مالهِ ويُنادمه ، وقد أدْرَكَ أيامَ المُعْتصم . ولعلّ وفاتَه كانتْ سنَةَ ٢٣٠ هـ (٨٤٥ م) .

٢ — كان محمّدُ بنُ أميّةَ كاتباً وشاعراً ظريفاً مُقِلاً ينْظِمُ المُقَطّعات في الغزل والنسيب والهجاء ، وتَغْلِبُ على شِعرِه الرِقّة ، وبعضُ شعره متينٌ . وكان بينَه وبين الفضلِ الرَقاشي بُغْضةٌ ومُهاجاة [١] .

٣ — المختار من شعره

— قال محمّدُ بن أميّةَ بن أبي أميّة في النسيب :

رُبّ وعدٍ مِنْكِ — لا أنساه — لي   أوجبَ الشكرَ وإنْ لم تَفْعلي .
أقطعُ الدهرَ بظنٍّ حَسَنٍ ،   وأجلّي غَمْرةً ما تَنْجلي .
كُلّما أملّتُ يوماً صالِحاً   عرَضَ المكروهُ لي في أملي.
وأرى الايّامَ لا تُدني الذي   أرْتَجي منكِ وتُدْني أجلي !

— وله في جارية اسمها خِداعُ كان يحبّها :

خطَراتُ الهوى بِذِكْرِ خِداعٍ   هِجْنَ شَوْقي ، لا دارساتُ الطّلولِ .

---

١ راجع البيان والتبيين ١ : ٤٠٤ .

حُجِبَتْ أن تُرى ، فلستُ أراهـا ؛ وأرى أهلَها بكلِّ سبيلِ .
وإذا جاءها الرسولُ رآهـا ؛ ليتَ عيني مكانَ عينِ الرسولِ .
قد أتاكِ الرسولُ يَنْعَتُ ما بي ، فاسْمَعي منه ما يقولُ وقولي !

— وقال أيضاً :

أُحِبُّكِ حُبّاً لو يُفَضُّ يَسيرُهُ على الخَلْقِ ماتَ الخلقُ من شِدة الحبِّ .
وأعْلَمُ أني بعدَ ذاك مُقَصِّرٌ ، لأنَّكِ في أعلى المَراتب من قلبي .

٤ — •• الفهرست ١٦٢ ؛ الاغاني ١٢ : ١٤٥ — ١٥٤ ؛ كتاب الورقة ٤٧ — ٥٠ ؛ معجم الشعراء ٣٥٤ ، تاريخ بغداد ٢ : ٨٦ — ٨٧ ، الصفدي: ٢ ٢٢٩ — ٢٣١ ، زيدان ٢ : ١٠٠ .

محمّدُ بن سَلّامٍ الجُمَحيُّ

١ — هو أبو عبدِ الله محمّدُ بنُ سلاّمِ بنِ عُبيدِ الله بن سالمٍ ، مولى قُدامة ابن مظعون الجُمَحي القُرَشي .

وُلِدَ محمّد بنُ سلامٍ في البصرة نحو عام ١٤٠ هـ (٧٥٧ م) ، وسَمِعَ العلمَ والأدبَ من نفر كثيرين منهم[١] أبوه ومنهم : الأصمعي وبَشّارِ بنِ بُرْدٍ وأبو البَيْداء الرِياحي وأبو عُبيدة مَعْمَرِ بن المُثنّى ومروانَ بن أبي حَفْصة والمُسَيّبِ بن سعيد والمفضَّل الضبّي ويُونس بن حبيبٍ .

أمّا وفاةُ محمّدِ بن سلاّم الجمحي فكانت في بغداد سنة ٢٣١ هـ (٨٤٦ م) ، وقد زادتْ سِنّه على تسعين سنة .

٢ — محمّدُ بن سلاّمٍ الجُمحيّ من رُواةِ اللغةِ والأشعار ، إلاّ أنه أوسع شُهْرةً وأثبتُ قدماً في رِواية الشعر . ولابن سلاّم عددٌ من الكتب ذكر منها ابن النديم (الفهرست ٣٥ ، ١١٣) : كتاب غريبَ القُرآنِ ، كتاب الفاصل[٢] في مُلَحِ الأخبارِ والاشعار ، كتاب بيوتاتِ العرب ، كتاب طبقات الشُعراء

---

١ طبقات الشعراء (طبعة محمود محمد شاكر ، القاهرة ١٩٥٢ م) ، راجع المقدمة ، ص ١٢ — ١٣ .
٢ كذا في الفهرست (راجع طبقات الشعراء ، ص ١٤ و ٢٨ في الحاشية : لعله الفاضل) .

الجاهليين ، كتاب طبقات الشُعراء الاسلاميّين ، كتاب الحلاب واجر الخيل [١] .

على أن شُهرةَ محمّد بن سلاّم الجُمَحي وقيمتَه في تاريخ الأدب والنقد وفي تاريخ التأليف العربي ترجِعان إلى كتابه الذي وصل الينا باسم طبقات الشعراء [٢] .

إن قيمة كتاب « طبقات الشعراء » لابن سلاّم الجمحي حملت المُستَشرِقَ يوسفَ هلّ [٣] على أن يناقش في مقدمة هذا الكتاب طريقةَ التأليف التي اتبعها ابن سلاّم والتي كانت مألوفةً في عصره وبعد عصره أيضاً [٤] .

يرى يوسف هلّ أن التأليف القديم كان قائماً على الرِواية : على نقل الخبر بمعناه أو بلفظه واحداً عن واحد . إن ابن دُريد مثلاً كان الراوية الثقة لكتاب فحولة الشعراء للأصمعي [٤] ، بينما أبو حاتم السِجِزي أو السجِستاني [٥] هو الذي جَمَعَ الكتابَ ودوّنه . أمّا الأصمعي نفسُه فهو موُجِدُ فكرة الكتاب ومؤلّفه [٦] . وكذلك الشأن في كتاب طبقات الشعراء لابن سلاّم الجُمَحيّ ، فانّ أبا طاهر محمد بن أحمد القاضي كان راويةَ الكتاب ، بينما كان أبو خليفة الفضل بن الحُباب جامع الكتاب ومدوّنه . أما محمدُ بنُ سلاّم الجُمَحيّ فكان الموجدَ الروحي لكتاب طبقات الشعراء والمؤلّف له . على أن قسط ابن سلاّم الجُمَحيّ في الكتاب المتّصل باسمه أعظم كثيراً من قسط الأصمعي في

---

١ في الفهرست : الحلاب . لعلها الحلائب جمع حلبة (بفتح الحاء) : الدفعة (بضم الدال) من الخيل في الرِهان ، وخيل تجتمع للسباق (القاموس ١ : ٥٨ ع) . اجر الخيل ، لعلها اجراء الخيل (طبقات الشعراء ، ص ١٤ الحاشية) .

٢ طبعة يوسف هل ، أعدها في عام ١٩١٤ م ، وطبعت في مطبعة بريل ، ليدن ، ١٩١٦ م . راجع اسم الكتاب « طبقات الشعراء » في الصفحات ١٩ ، ٢٠ ، ٢١ من المقدمة الالمانية .

٣ ولد يوسف هل Joseph Hell سنة ١٨٧٥ م في بلدة فلزبيبورغ في بافارية (ألمانية) . درس اللغات الشرقية في جامعة ملشن (ميونيخ) ووجه اهتمامه إلى اللغة العربية والإسلام . قضى عاماً (١٨٩٨ – ١٨٩٩ م) في الشرق العربي وعاماً آخر (١٩٠٥ م) في تونس والجزائر واسبانية . ثم أصبح منذ عام ١٩١١ استاذاً للغات والآداب الشرقية في جامعة أرلنغن . توفي عام ١٩٥٠ . نشر أقساماً من شعر الشعراء الهذليين ومن شعر الفرزدق . وله من التآليف : ترجمة الفرزدق ، حضارة العرب (نقل إلى الانكليزية) ، من محمد إلى الغزالي ، الاسلام والمدنية الغربية ، الشعر العربي في اطار الادب العالمي .

٤ طبقات الشعراء (طبعة يوسف هل) ، المقدمة ، ص ١٥ ، السطران ١ – ٢ .

٥ بروكلمان (الأصل الالماني) ، الملحق ١ : ١٦٤ ، السطر ٢٦ .

٦ في الأصل الألماني Geistiger Urheber مؤلف ، موجد ، مؤسس ، مبتدع : جهد عقلي .

فحولة الشعراء . فبينما كان الاصمعي يُبْدي الرأيَ بعد الرأيِ في الشاعر بعد الشاعر – يَعْرِضُ لذلك على غير نظام معلومٍ ولا سبيلٍ تنظيمٍ معيّنٍ في سلسلة ما ، كان ابن سلاّمٍ يَحرِصُ على نظامٍ في تقسيم الشعراء طبقاتٍ معلومةً ويبدي في كلّ شاعر من كلّ طبقة رأياً ثم يَخرُج من الآراء في الشعراء المُفْرَدِيْنَ إلى رأيٍ جامع متكامل في شعراءِ كلّ طبقة . وكان هنالك فرقٌ آخرُ بين كتابِ الأصمعي وكتابِ ابن سلاّم : كان الأصمعيّ من أقدمِ علماء اللغة فلم يكن يبني مَعارفَه وآراءَه على رُواةٍ أقدمَ منه عهداً ، بل كان يكتفي بأن يُبْدِيَ آراءً شخصيةً . أما ابنُ سلاّمٍ العالمُ الذي جاء بعد الأصمعي ببضعَ عَشْرةَ سنةً فكان يعتمد آراءَ الذين جاءوا قبلَه ، على الطريقةِ العلمية الصحيحة ، إلاّ فيما نَدَرَ حيث كان يقول : قال ابن سَلاّمٍ ....[1] .

.... وإنّ ما عدّه ابنُ النديمِ من آثارِ ابنِ سَلاّمٍ الجُمَحِي كتابين : كتابَ طبقات الشُعراء الجاهليين وكتاب طبقاتِ الشعراء الاسلاميين إنّما هما في الحقيقةِ كتابٌ واحدٌ قدّم له مؤلّفُه بمقدّمةٍ واحدةٍ . ولقد قصدَ المؤلّف (ابن سَلاّمُ) ، على ما نرى في مقدّمته ، أن يجعلَ من الشعراء المُخَضْرَمين[2] « طبقةً وَسيطةً » بين الشعراء الوَثَنِيِّين (الجاهليّين) وبينَ الشعراء الإسلاميين ليعالجها مُعالجةً مستقلّةً . ثم بَدّلَ فيما بعدُ « الترتيبَ » الذي كان قد وضعه وأضافَ إلى الطَبَقاتِ العَشْرِ الجاهليةِ طبقةً حاديةَ عَشْرَةَ من أصحابِ المَراثي. بعدئذٍ خالفَ (أيضاً) التقسيمَ الواحدَ فتكلّم على شعراءِ القُرى[3] : شعراءِ المدينةِ ومكّةَ والطائفِ والبحرينِ وعلى الشعراء اليهودِ في المدينة . ثم ليس في هذا الكتابِ « طبقات الشعراء » شيءٌ من كتابٍ هو « كِتابُ الفُحول أو « كِتاب الفُرسان » ، فلعلّ هذا الكتابَ قد دخلَ في « كتابِ الفُرسان » المنسوب إلى أبي (الفضل بن الُحباب) ، وهو كتابٌ يبدو ، على كلِّ حالٍ ، أنه فُقِدَ منذ زمنٍ بعيد ....[4] .

---

1 طبقات الشعراء (يوسف هل) ، المقدمة ، راجع ص ١٤ – ١٥ .
2 راجع الجزء الأول ، ص ٢٦٠ .
3 شعراء المدن (لأن الشعراء الجاهليين ، ولأن الشعراء المعترف لهم بالتقدم هم شعراء البادية) .
4 طبقات الشعراء (يوسف هل) المقدمة ١٦ – ١٧ .

أما بناءُ المَتنِ الذي وَصَلَ الينا ، مَعَ كل ما تسرّب إليه من النقص ، فهو مَرْضِيٌّ . وأما أنّ التأليف [1] ليس لابنِ سَلاّم ، بل لأبي خليفةَ فيبدو من (الذي ذُكِرَ على) الصفحة الخامسةَ عَشْرَةَ [2] أنّه أكيد ؛ حتّى لو أنّ أحداً فرض أنّ أبا خليفةَ قَد اتّخذ في أحدِ كُتُبه عن الجاهلية ترتيباً للطبقاتِ غيرَ ذلك الذي وَضَعَه ابنُ سَلاّم [3] ...

ومثلُ ذلك الاختصارُ الواضحُ الذي يَقَعُ في أواخرِ أقسامِ شعراءِ الإسلام ، فإنه يجب أن يكونَ قد دخل على الكتاب شيئاً فشيئاً ، فإنّ (صاحبَ) الخِزانةِ (خزانة الأدب للبغدادي) كان لا يزال يَعْرِفَ — ١ : ١٢٨ وما بعدهـا — نصاً أكثر تَماماً . [4] ....

وكذلك ليس من المُمْكِنِ في الوقتِ الحاضرِ أن نَفْصِلَ في ما إذا كانت المخطوطةُ التي بَيْنَ أيدينا هي الكاملةَ أوِ المُخْتَصَرَةُ : إنّ الشواهدَ المَرْوِيّةَ (في عددٍ من كتب الأدبِ القديمة) عن ابن سَلاّمٍ أغنى لُغَةً من كلّ وجهٍ وأوضحُ تعبيراً من النصوص التي تُقابلها (في هذه النسخة المطبوعة) . والذي يبدو لي أن « الإيجازَ الشديدَ » في اللُغة (في التعبير) دَلالةٌ على قِدَمِ اللغة ، أكثرَ منه بُرهاناً على عكس ذلك ، أي إن المعقولَ أن يكونَ النصّ المُوجَزُ الغامِضُ قـد وُسِّعَ فيما بعدُ فأصبحَ بهذا التوسيع أكثرَ (وضوحـاً وأقربَ إلى الفهم) لا العكسُ (بأن التعبيرَ المَبْسوطَ قد اختُصِرَ) . ثم إنّ الشواهدَ المَرْوية عن محمّدِ بن سلاّمٍ والتي لا نستطيعُ أن نَهْتَديَ إلى مَظانّها في نسختنا هذه أبداً (وأكثرها من رواية أبي خليفة) ، والتي نَلْقاها في كتاب الأغاني وفي سواه من المؤلّفات ، لا تَدُلّ على أن نسختنا هذه غيرُ كاملة ، ما دامَ الذين يَسْتَشْهِدون بأقوالِ محمد بن سَلاّم لا يذكرون صَراحةً أن شواهدَهم مأخوذةٌ من « طبقات الشعراء » ، ذلك لأن محمّد بن سلاّمٍ مؤلّف كُتُبٍ أخرى (في الشعر) .

---

[1] التركيب ، التنظيم . والتأليف : جمع بعض الأشياء إلى بعض .

[2] هنا يستشهد الدكتور يوسف هل بالاغاني : « أخبرني أبو خليفة في كتابه إلي من محمد بن سلام عن أبي زيد الانصاري والحكم بن قنبر ، قال » ... (١٨ : ١٢٤) : ... أخبرني أبو خليفة في كتابه عن محمد بن سلام عن يونس قال ... (١٨ : ١٢٥) .

[3] طبقات الشعراء (يوسف هل) ، المقدمة ١٦ — ١٧ .

[4] مثله ١٧ .

على أن كتاب طبقات الشعراء للجُمحي يمثل دوراً وسَطاً في التأليف الإسلامي : إنه خروجٌ من التقيّد اللفظي بالروايات المُفردة مُثبتةً بعد أسانيدها [١] إلى التحلّل من قيد الرواية باختصار الأسانيد وبجمع بعض الروايات إلى بعض [٢]. ثم خطا المؤلفون خطوةً جديدةً بالاستغناء على الأسانيد وسياقة المادّة سياقةً منظّمةً قدْرَ الإمكان ، كما نرى في كتاب الشعر والشعراء لابن قُتَيْبَةَ [٣] .

وتتلخص آراء يوسف هلّ في ما يلي :

أ — في كتاب طبقات الشعراء مرحلةٌ أساسيةٌ : مرحلةُ ابتكارِ الفكرة لهيكلِ الكتابِ بجَعْلِ الشعراءِ طبقاتٍ بعضُها تحتَ بعضٍ حَسْبَ شاعريةِ الشعراء. وقد أراد ابن سلاّم الجُمَحيّ أن يجعل شعراءَ الجاهلية عَشْرَ طبقاتٍ في كلّ طبقة أربعةُ شعراءَ ، وأن يجعلَ شعراءَ الإسلام مثل ذلك .

ب — ثم بدا له أن ثمّةَ شعراءَ بين الجاهلية والإسلام يستحقّون الذكرَ ، فلم يجعلْهم في طبقاتٍ على حَسْبِ شاعريتِهم ، بل جمع قسماً منهم باسمِ الفنّ الذي برّعوا فيه فجعلهم « شعراءَ المراثي » . أما الباقون فقد قسّمهم بِحَسْبِ المُدُن التي نشأوا فيها .

ج — هنالك مرحلةٌ ثانيةٌ قام فيها أبو خليفةَ الفضلُ بنُ الحُبابِ الجُمَحي (ابنُ أختِ محمّدِ بنِ سلاّمٍ) المُتوفّى نحوَ سنة ٣٠٥ ﻫ باستملاءِ الكتابِ وتدوينه وترتيبه (وسياقُ الكتابِ يدلّ على أن ابن سلاّم حدّث بالكتاب ولم يَخُطّه بيدِه ، وذلك على مجرى العادةِ في صدر التأليف الإسلامي)

د — وتأتي المرحلةُ الثالثة ، وفيها قام أبو طاهرٍ محمّدُ بن أحمدَ بنِ عبدِ الله الذُهَلي المُتَوفّي ٣٦٧ ﻫ بروايةِ الكتاب عن أبي خليفةَ .

ﻫ — ويبدو أن الكتابَ لم يبقَ على ما كان عليه في المرحلةِ الثالثة ، بل تسرّبتْ إليه زياداتٌ متتاليةٌ .

---

١ الاسانيد جمع إسناد وسند : سلسلة الرجال الذين تروى الأخبار من طريقهم . ففي كتاب الاغاني مثلا (٣ : ٢٥٨) : « أخبرني الحسن بن علي قال حدثني محمد بن القاسم قال حدثني علي بن الحسن عن ابن الاعرابي قال حدثني سعيد بن حميد الكاتب البصري قال قال أبي : ... » هذه الطريقة متبعة في رواية الحديث وفي تاريخ الطبري وأمثاله .

٢ كما يفعل كتاب الاغاني أحياناً فانه يلفق الروايات بجمع بعضها الى بعض بعد اختصارها وبعد اختصار أسانيدها.

٣ قلما يحفل ابن قتيبة بذكر الاسانيد .

وفي عام ١٩٥٢ م أخرجت دارُ المعارفِ للطباعة والنشر كتابَ محمد بن سلاّم الجُمَحي بالعنوان التالي : طبقات فُحول الشعراء ، شرَحَهُ محمودُ محمد شاكر . والواقع أنّ في الكتاب أكثر من الشرح : فيه مقدّمةٌ قيّمةٌ وفيه تحقيقٌ وشرح وتعليق . غير أن محمودَ محمدِ شاكرٍ يتحمّلُ على مقدّمةِ يوسف هلّ ويقول (المقدمة ١٧) : « وكل ما جاءَ بهِ يوسفُ هلّ لا يكادُ يَثْبُتُ على نقدٍ » . وسببُ تحاملِ محمودِ شاكرٍ على مقدمة يوسف هل أمران :

الأول : إن الأصلَ الذي اعتمده محمودُ شاكر غيرُ الأصلِ الذي اعتمده يوسف هلّ ، ثم هو ثلاثةُ أضعافِ الاصلِ الثاني (المقدمة ٨) . ولعلّ هذا مما يبرّر قولَ يوسف هلّ من أن زياداتٍ تسرّبت إلى الكتاب .

والثاني : قول محمودِ محمّدِ شاكر (المقدمة ، ص ١٤ ، الحاشية ٣) :

« اعتمدتُ في نقلي لأقوال هذا المستشرقِ على صديقي الدكتور عبدِ الرحمنِ بدوي ، قرأ الاصلَ الألمانيَ وأملى عليّ ملخّصاً لما جاء فيه . ثم أعادَ عليّ صديقي الدكتور أحمدُ بدوي قراءته ونَقَلَ لي فحواه ، فلهما منّي أجزل الثناء والشكر » .

إن هذه الطريقةَ تُعينُ على الكشفِ عنِ اتّجاهِ المؤلّفِ ، ولكنّها لا تُجيزُ هذه المناقشةَ المُطوّلة والتي غابَ فيها عن محمودِ محمد شاكر غرضُ يوسف هلّ ، وهو استخراج طريقةِ التأليفِ لكتابٍ هو أقدمُ كتبِ تاريخ الأدبِ التي وصلتْ إلينا . وليس في قولِ يوسف هلّ إنكار لنسبةِ طبقات الشعراء إلى محمدِ بن سلاّم الجُمَحي . وفي اللغة العربية أمثلة كثيرةٌ من هذا الباب ، فكتابُ كليلةَ ودِمنةَ مثلاً مِثالٌ واضحٌ على هذا التطوّر في التأليف .

ومَعَ ثقتي بعلم الدكتور عبدِ الرحمنِ بدوي والدكتور أحمدَ بدوي وبثقتي بقُدرة محمودِ أحمدِ شاكر في التحقيق واحترامي لهم جَميعاً ، فإنني أرى أن لُغَةَ يوسف هلّ لا تُنْصَفُ بالنقلِ الشفوي ولا بالتلخيص[1] . إن لُغته مُوجَزَةٌ جداً تَعْيا على التلخيص وإن اشاراته كثيرةٌ . وعلى كلٍّ فمقدّمةُ محمودِ شاكرٍ تحتاج إلى عنايةٍ ، ولا أستطيع أن أحكُمَ فيها في هذا المكان .

---

١ يوسف هل استاذي تعلمت عليه عامين وصحبته في أثناء اكثر العطل الدراسية ، وهو الذي أشرف على أطروحتي (باللغة الالمانية) . ولا أزال أذكر ان ابنته عائشة (وهي مستشرقة ايضاً) كانت تقول له : لماذا تلجأ ، يا أبي ، الى هذا الاسلوب ؟ (إذ كان يغلب على أسلوبه الالماني عدد من خصائص اللغة اللاتينية) .

٣ – مختارات من مقدمة كتاب « طبقات الشعراء »

– الشعرُ وروايته ونَحْله[*]

والشعرُ صناعةٌ وثقافةٌ يَعْرِفُها أهلُ العلمِ كسائرِ أصنافِ العلمِ والصناعات: منها ما تَثْقَفُه العينُ[١]، ومنها ما تثقفه الأُذُنُ، ومنها ما تَثْقَفُهُ اليد، ومنها ما يثقفه اللسان. من ذلك اللؤلؤ والياقوتُ لا يُعْرَفُ (كلاهما) بصفة ولا وزن دون المعاينة ممن يُبْصِره. ومن ذلك الجِهْبِذُ[٢] بالدينار والدرهم لا يَعْرِفُ جودتَهما بلون ولا مسٍّ ولا طِرازٍ ولا حِسٍّ ولا صفةٍ، ويَعْرِفُها الناقدُ عند المُعاينة: فيَعْرِفُ بَهْرَجَها[٣] وزائفَها وستّوقَها ومُفَرَّغَها ....

وإنَّ كَثْرةَ المُدارسة تُعينُ على العلم.

وكان ممن هجَّنَ الشعرَ وأفسده وحَمَلَ كل غُثاء[٤] محمدُ بنُ إسحقَ، وكان من علماءِ الناس بالسِّيَرِ، فنقل الناسُ عنه الأشعارَ. وكان يعتذرُ منها ويقول: «لا عِلْمَ لي بالشعر، إنما أُوتى به فأحْمِلُه». ولم يكن ذلك له عُذراً! فكَتَبَ (ابنُ اسحقَ) في السِّيَرِ من أشعار الرجال الذين لم يقولوا شعراً قط ومن أشعارِ النساء... ثم جاوز ذلك إلى عادٍ وثمودَ. أفلا يَرْجِعُ إلى نفسه فيقولَ: من حَمَلَ هذا الشعرَ ومَنْ أدّاه إلَيْنا منذُ ألوفٍ من السنين؟ واللهُ يقول: «وأنّه أهْلَكَ عاداً الأُولى وثمودَ فما أبقى»[٥] ....

ففَصَّلْنا (في هذا الكتابِ) الشعراءَ من أهلِ الجاهليةِ والإسلامِ والمُخَضْرَمين، ونَزَّلْناهم منازِلَهم، واحْتَجَجْنا لكلِ شاعرٍ بما وَجَدْنا له من حُجّة وما قال العلماءُ فيهم. وقدِ اخْتَلَفَ الرُّواةُ فيهم: فنَظَرَ قومٌ من أهل العِلْم

---

١ تثقفه العين: تفطن له وتدركه ثم تحذق فيه حتى يصبح ملكة لها.

٢ الجهبذ (بكسر الجيم والباء): الناقد الخبير (من الناحية النظرية). الناقد: العارف (من الناحية العملية) بتمييز الدراهم والمتمود قبضها (راجع القاموس ١: ٢٤١ – ٢٤٢).

٣ البهرج: الباطل الرديء (المصنوع على شكل الدرهم والدينار، ليس عملة أصلا!). الزائف: الدرهم أو الدينار إذا مزجا بمعدن غريب (في أثناء سكهما). الستوق (بفتح السين أو ضمها وبتشديد التاء وبالقاف) والتستوق (بضم التاءين): الدرهم الملبس بالفضة (والدينار الملبس بالذهب). المفرغ: (الدرهم أو الدينار الذي يثقب فيستخرج شيء من معدنه ثم يملأ مكانه بمعدن آخر يدانيه في الوزن النوعي ويقل عنه في القيمة).

٤ هجن الشعر: أدخل فيه ما ليس من جنسه (زاد فيه ما ليس منه). حمل كل غثاء: روى (من الشعر) ما لا صحة له. السير جمع سيرة: تاريخ رجل واحد.

٥ القرآن الكريم ٥٣: ٥٠ – ٥١ (سورة النجم).

بالشعرِ والنّقاذِ في كلامِ العرب والعلم في العربية ، إذا اختلف الرواة ، وقالوا بآرائهم . وقالتِ العشائرُ بأهوائها . فلا يَنْتفعُ الناسَ في ذلك إلا الروايةُ عمّن تقدّم .

فلما راجعتِ العربُ روايةَ الشعرِ وذِكْرَ أيامِها ومآثِرِها [1] ، استقلّ بعضُ العشائرِ شعرَ شُعَرائهم وما ذهب • من ذِكْرِ وقائعهم . وكان قومٌ قلّتْ وقائعُهم وأشعارُهم — وأرادوا أن يَلْحقوا بمن له الوقائعُ والأشعار — فقالوا على ألْسُنِ شعرائِهم . ثم كان الرواةُ بعدُ فزادوا في الأشعارِ . وليس يُشْكِلُ على أهلِ العلم زيادةُ ذلك ، ولا ما وَضَعَ المُوَلّدون . وإنما عضل بهم أن يقولَ الرجلُ من أهلِ باديةٍ من وَلَدِ الشعراء أو الرجلُ ليس من وَلَدِهِم ، فيُشْكِلُ ذلك بعضَ الإشكال [2] .

وكان أوّلَ مَنْ جَمَعَ أشعارَ العربِ وساق أحاديثَها حمّادٌ الراويةُ ، وكان غيرَ موثوقٍ به : كان يَنْتحلُ شعرَ الرجلِ غيرَه ، وكان يزيدُ في الأشعار .

٤ — طبقات الشعراء (يوسف هلْ) ، ليدن (بريلْ) ١٩١٦ م ؛ طبقات الشعراء (حامد عجّان الحديد الكتبي) ، مصر (مطبعة السعادة) ١٩٢٠ م ؛ = طبقات فحول الشعراء (شرحه محمود محمّد شاكر) ، القاهرة (دار المعارف) ١٩٥٢ م . وهنالك طبعات عادية .

•• الفهرست ١١٣ ؛ تاريخ بغداد ٥ : ٣٢٧ — ٣٣٠ ؛ طبقات الزبيدي ١٩٧ ؛ معجم الأدباء ١٨ : ٢٠٤ — ٢٠٥ ؛ الوافي بالوفيات ٣ : ١١٤ — ١١٥ ، انباه الرواة ٣ : ١٣٤ — ١٤٥ ؛ بغية الوعاة ٤٧ ؛ شذرات الذهب ٢ : ٧١ ؛ بروكلمان الملحق ١ : ١٦٥ ؛ زيدان ٢ : ١٢٣ — ١٢٥ .

أبو تمّام

١ — كان في جاسمٍ من قُرى حورانَ بالشامِ أُسْرَةٌ رُوميّةٌ مَسيحية

---

١ المـآثر جمع مأثرة (بفتح الثاء أو بضمها) : المكرمة ، الصفة الجميلة المتوارثة . استقل الشيء : وجده قليلا .
• ضاع .
٢ أشكل : غمض ، احتمل وجهين أو معنيين . عضل بهم الأمر : اشتد ، عز عليهم .

رأسَها رَجُلٌ اسْمه ثَدوسُ أو ثيودوثيوسُ العَطّارُ . في سنة ١٨٨ هـ (٨٠٤م) وُلِدَ لثدوسَ هذا ابنٌ عرَفْناه فيما بعد باسم «حَبيب» . نزح ثدوسُ بأسرته من جاسمٍ إلى دِمَشْقَ وفتح فيها حانوتَ خمرٍ . ثم أرسل ابنَه حبيباً ليعمَلُ عند حائكٍ أو عند قزّازٍ (بائع قَزّ ، وهو الحرير) . وفي دِمَشْقَ نشأ حبيب وشبَّ ورأى قوماً يَحْنُونَ عليه حَسّنوا له الإسلامَ فاعتنقَهُ ، وقد بلَغَ سِنَ الرُشْد في الأغلب . ويبدو أن حبيبَ بن ثيودوسيوس (أبا تمّامٍ حبيبَ بن أوسٍ ، كما يُعْرفُ في تاريخ الأدب العربي) أراد أن يبتعدَ عن أهله الذين ظلّوا على النصرانية ، فغادر دِمَشْقَ إلى حِمْصَ واتصل بأسْرةِ عُتَيْبَةَ ابنِ عبدِ الكريم الطائيّ فمَدَحَها وانتسبَ إليها بالولاء ، فعُرِفَ من ذلكَ الحِين باسم أبي تمّامٍ الطائيِ . ولَقيَ أبو تمامٍ في حِمْصَ ديكَ الجِنِّ الشاعرِ وأخذَ عنه الجَوْدة في الرِثاء والتَشْبيعَ الحَسَنَ .

في سنة ٢٠٨ هـ (٨٢٣م) رَحَلَ أبو تمّامٍ إلى مِصْرَ طَلَباً للتكسّب فجَعَلَ يَسْقي الماءَ في المَسْجد الجامعِ — مَسْجِدِ عَمْرو — ويستمعُ إلى ما يُلْقى في حلَقاته من أمالي العِلْم والأدبِ . في هذه الأثناء بدأ أبو تمّام حَياتَه الشعْرية بمَدْحِ عَيّاشِ بنِ لَهيعَةَ الحَضْرَميّ ، ولكن لم يَجِدْ منه إلاّ مُطْلاً فأخذ بِهَجْوِه . ثم اضطَرَبَ أمرَ مِصْرَ بنشوبِ العَصَبيّاتِ فيها منذ سنة ٢١٠ هـ (٨٢٥م) فعاد أبو تمامٍ إلى الشام سنة ٢١٤ هـ (٨٢٩م) . وفي العامِ التالي مَرّ المأمونُ بدِمَشْق آيباً من غَزْوِ الرومِ فتعرّض له أبو تمّامٍ بالمديح ، ولكنّ المأمونَ أعرَضَ عن أبي تمّامٍ ووبّخه على مَيْلهِ إلى العَلَوِيّينَ . فخاف أبو تمّامٍ واعتزلَ إلى شَماليّ الشامِ وشَماليّ العِراقِ والى ارْمينية وقضى مُعْظَمَ أوقاتِه في المَوْصِل .

وفي سنة ٢١٨ هـ (٨٣٣م) تُوُفّي المأمونُ وخلَفَه أخوه المُعْتَصِمُ ، وكان نَجْمُ أبي تمّامٍ قد بزَغَ وقصائدُه قد كَثُرَتْ فاستدعاهُ المعتصمُ . ومكَثَ أبو تمّامٍ مدة يسيرةً في بغدادَ ثم قَصَدَ خُراسانَ ليَمْدَحَ واليَها عبدَ الله بنَ طاهرٍ . وفي خُراسانَ اتّصل أبو تمّامٍ أيضاً بالقادةِ أبي دُلَفَ العِجْليّ وحَيْدر[1] بن كاوُس الإفشينِ وأبي سعيدٍ محمدِ بنِ يوسفَ الثغريّ .

---

[1] خيذر ، في بعض الروايات .

ولما تغلّب عبدُ الله بنُ طاهرٍ على بابَكَ الخُرّميّ (٢٢٢ هـ = ٨٣٧ م) وقدِمَ به أسيراً على المُعْتصمِ في سامرّا عادَ أبو تمّام معَه فوصلوا إليها كلّهم في صَفَر سنة ٢٢٣ هـ (أوائل ٨٣٨ م) . وقد رافق أبو تمام المُعْتصمَ إلى غزْوِ عَمورِيّةَ في منتصف سنة ٢٢٣ هـ (منتصف ٨٣٨ م) . ولما عاد المعتصم إلى سامرا أنشدَهُ فيها أبو تمّام قصيدتَهُ : « السيفُ أصدقُ إنباء من الكُتُبِ » .

علا نجمُ أبي تمامٍ بعدَ ذلك وعُنِيَ به الحَسَنُ بن وَهْبٍ رئيسُ ديوانِ الرسائلِ وأراد أن يُوَفّرَ عليه شيئاً من التّطْوافِ فولاّه بَريدَ المَوْصِلِ . ثم إنّ أبا تمّامٍ تُوُفّي بَعْدَ ذلك بنَحْوِ عامينِ أو ثلاثةٍ ، سنة ٢٣٢ هـ (٨٤٦م) في الأغلب . وقَبْرُهُ في المَوْصل .

٢ — أبو تمّامٍ شاعرٌ على المَذْهَبِ الشاميّ جزْلُ الألفاظِ متينُ التّراكيبِ يتَكلّف الصناعةَ المَعْنوية والصناعة اللفظيةَ مُوْلَعٌ بالإغرابِ في تقصّي أوجهِ المعَاني وفي التشابيهِ والاسْتعارات يَمْلأ شِعْرَهُ بالإشاراتِ التاريخية والفَلْسفية والنَحْوِية . ومعانيه المُخْتَرَعةُ كثيرةٌ . وفنونُ أبي تمّام البارعةُ الرثاءُ ثم المديحُ ، وله حِكَمٌ كثيرةٌ منثورةٌ في ثَنايا القصائدِ . ولأبي تمّام وصفٌ وعِتاب وهِجاء ولكنها لا تُداني شِعْرَه في الرِثاء ولا في المديحِ . وكان أبو تمّام يُجيد المدائحَ والمراثيَ في الاشخاص الذين كانوا له أصدقاءَ كبني حُمَيْدٍ الطُوسي أو الذين كان مُعْجَباً بِهِمْ لِما قاموا به في سبيل العُروبة والإسلامِ كالمعتصم .

لأبي تمّامٍ عَدَدٌ من الكتب التي اختار فيها من أشْعار القدماء والمُحْدَثين أشْهرها ديوانُ الحماسة . ألّف أبو تمامٍ « الحَماسةَ » وسمّاها بهذا الاسمِ في أثناء إحْدى أوْباتِهِ من عند عبدِ الله بن طاهرٍ من خُراسانَ ، وقد نَزَلَ ضَيْفاً على أبي الوفاء بن سَلَمَة ، في الجبال شرقَ العراق ، في الشتاء : اتفق أنْ نَزَلَ ثلجٌ عظيمٌ سدّ الطرق فانتهز أبو تمّامٍ الفُرصةَ وعَمِلَ ديوانَ الحماسة من الدواوين الوفيرة التي كانت في مَكْتَبَةِ أبي الوفاء . وعُنِيَ أبو تمّام باختْيار الأبيات الجيادِ من القصائدِ المُخْتلفة وأكثرَ من الاختْيار لشُعَراء طيءٍ . ولقد قَبِلَ النُقّاد قَوْلَ التبريزي : « إنّ أبا تمّامٍ كان في اختْيارِهِ الحماسةَ أشعرَ مِنْه في شعره » . ويتألف ديوانُ الحماسةِ من أبوابٍ هي : الحماسةُ ، وبِها

سُمّي الكتابُ – المَراثي – الأدب (الحِكمة) – النَسيب – الهِجـاء – الأضياف – المديح – السَيْر والنُعاس – المُلَح – مذمة النساء .

ولأبي تمّام أيضاً كتاب الوحشيّات (أو الحماسة الصغرى) ، وتقسيمها كتقسيم « كتاب الحماسة » . وكذلك له كتاب الاختيارات من شعر الشعراء ، كتاب الاختيار من شعر القبائل ، كتاب الفحول .

٣ – المختار من شعره

– من قلائد أبي تمّام في الأدب (الحكمة) :

نَقِّلْ فؤادكَ حيثُ شِئتَ من الهوى ... ما الحبُّ إلاّ للحبيب الأولِ !

كم منزلٍ في الأرض يألَفُهُ الفتى ... وحَنينُهُ أبداً لأوّلِ منزلِ .

• وإذا أرادَ الله نشرَ فضيلـةٍ ... طُوِيَتْ ، أتاح لها لسانَ حَسودِ .

لولا اشتعالُ النار في ما جاورتْ ... ما كان يُعرَفُ طيبُ عَرْفِ العود [١] .

• وطول مُقام المرء في الحيّ مُخلِقٌ ... لديباجتَيْهِ ، فاغتربْ تتجدّدِ [٢] .

فاني رأيتُ الشمسَ زِيدَتْ محبّةً ... إلى الناس ، انْ ليست عليهم بسَرْمَد [٣] .

• ليس الغَبيُّ بسيِّدٍ في قومـهِ ، ... لكنّ سيِّدَ قومهِ المتغـابي [٤] .

• ينالُ الفتى من عيشهِ وهو جاهـلٌ ، ... ويُكْدي [٥] الفتى في دهره وهو عالِمُ .

ولو كانتِ الأرزاقُ تأتي على الحِجى ... هلكْنَ ، إذَنْ ، من جَهْلِهِنّ البهائم .

• إن الكرامَ إذا ما أيْسروا ذكَـروا ... من كان يألَفُهم في الموطِنِ الخَشِنِ [٦] .

– وقال أبو تمّام يرثي القائد جعفراً الخياطَ الطائيَّ :

رَحِمَ الله جعفراً ، فلقد كا (م) نَ أبِيّاً ، وكان شهماً رحيما .

---

١ العود خشب ذكي الرائحة (له رائحة طيبة شديدة) .

٢ ان طول مكث (بقاء) الإنسان في بلده يجعل العيون تألفه فيبطل اهتمام الناس به ، فإذا تغيب عن بلده مدة ثم رجع زاد اهتمام أهل بلده به لأنه سيبدو لعيونهم وكأنه شخص جديد . الديباجتان : الخدان .

٣ السرمد : الدائم . – الناس يحبون الشمس لأنها تغيب وتطلع ، ولأن غيوم الشتاء تسترها حيناً ليشتاق الناس اليها وإلى حرارتها .

٤ المتغابي : المتظاهر بالغباوة .

٥ يكدي : يفتقر .

٦ الموطن الخشن : أيام الشدة والفقر .

مثّلَ الموتَ ، بين عينيه ، والـذ (م) لَ ، فكُلاً رآه خَطْباً عظيما .
ثُمّ ثارتْ به الحميّةَ قِدْماً فأمات العِدى ، ومات كريما !

– وقال أبو تمّامٍ يَمْدَحُ عبدَ اللهِ بنَ طاهرٍ واليَ خراسانَ بقصيدةٍ منها :

أعاذلَتِي ، ما أخشَنَ الليلَ مركباً ! وأخشنُ منه في المُلِمّاتِ راكِبُه[١] .
ذَرِيني وأهوالَ الزمانِ ، أُفانِهـا ! فأهوالُهُ العُظمى تَليهـا رغائبه[٢] .
فإنّ الحُسامَ الهِنْدوانيّ إنّمـا خُشونتُه مالم تُفَلّلْ مضـاربه[٣] .
وقَلْقَلَ نَـأيٌ من خُراسانَ جأشَها فقلتُ : اطْمَئِنّي ،أنضرُ الروضِ عازبه[٤] .
ورَكْبٍ كأطرافِ الأسنّةِ عرّسوا على مثلِها ، والليلُ تسطو غياهبه[٥] !
لأمرٍ عليهم أنْ تَتِمّ صُدورُه ، وليس عليهم أن تتِمّ عواقبه[٦] ،
إليكَ جزَعْنا مَغْرِبَ المُلْكِ ، كُلّما وَسَطْنا مَلاً صلّتْ عليكَ سَباسبه[٧] .

---

١ العاذلة : التي تلوم الإنسان على فعل لا يرضيها . ما أخشن الليل – مركباً : ما أشق (أصعب) السفر في الليل (كناية عن الزمن الشديد القاسي) . الملمات : الاحداث الشديدة والمصائب .
٢ ذريني (دعيني ، اتركيني) وأهوال الزمان (مع أهوال الزمان) أفانها : أقاتلها وأقتلها (وأفتلها : أتغلب عليها واحداً بعد واحد) . تليها : تتبعها . الرغائب جمع رغيبة : الإمر المرغوب فيه .
٣ خشونة السيف : مضاؤه وشدة الضرب به (القطع والقتل) . تفلل مضاربه : يتشقق حده فلا يقطع كما يتنظر من السيف . – اتركيني أقاسي الأهوال في السعي الى الغنى والمجد ما دمت شاباً (كالسيف الذي لم يتشقق حده بعد) .
٤ قلقل نأي من خراسان جأشها : أقلق بعد خراسان قلب (امرأتي ، أو عاذلتي الشفيقة علي) . فقلت لهـا : اطمئني ، أنضر الروض (أحسنه وأكثره عشباً = أكثر تكسباً للمال بالشعر) عازبه (البعيد عن المرعى لأنه لا يذهب اليه أناس كثيرون بقطعانهم – لا يذهب اليه شعراء كثيرون) .
٥ الركب : الجماعة المسافرون معاً . أطراف الاسنة : نصال الرماح (الحديدة التي في رأس الرمح) . عرسوا : قضّوا الليل . على مثلها : على ابل مثل (أطراف الاسنة) . تسطو غياهبه : يشتد سواده فيغطي على كل شيء . – كنا نحولا من طول السفر ومشاقه ، ومع ذلك فقد كنا نقضي الليل على ظهور الابل (بدلا من أن ننزل مرة بعد مرة لننام ونأخذ قسطاً من الراحة = كان سفرنا متصلا) ، وكذلك كانت الابل التي نركبها نحيلة من طول السفر ومشاقه .
٦ صدوره : أوائله . عواقبه : نهايته ، الغاية منه . – كنا في سفرنا الشاق نقصد أن نحقق هدفاً ، ولكننا لا نلام إذا لم يتحقق ذلك الهدف .
٧ جزع : قطع. مغرب الملك : الأقطار الغربية من الخلافة العباسية . وسطنا : أصبحنا في وسط ، وصلنا الى. ملا : الأرض الواسعة . السبسب : الأرض القاحلة . صلت عليك سباسبه : شكرتك الأرض التي كانت سباسب ثم أصبحت بفضلك عامرة .

إلى مَلِكٍ لم يُلْقِ كَلْكلَ بأسهِ على مَلِكٍ ، إلاّ وللذُلّ جانبه [١] ؛
إلى سالبِ الجبّارِ بَيْضةَ مُلْكِه ، وآملُه غادٍ عليه فسالبه [٢] .
إذا أنت وجّهتَ الرِكابَ لِقَصْدِهِ تبيّنْتَ طعمَ الماءِ ذو أنت شاربه [٣] .
سما للعُلى من جانبَيْهـا كِلَيْهِمـا سُمُوَّ حَباب الماء جاشتْ غواربه [٤] ،
فنوّلَ حتّى لم يَجِدْ مَنْ يُنيلُه ، وحارب حتّى لم يجدْ من يحاربه [٥] .
ففي كل نَجد في البلاد ، وغائر ، مواهبُ منه ، وهي ليست مواهبه [٦] .
فوالله ، لو لم يُلْبِسِ الدهرَ فعلَـه لأفسدتِ الماءَ القَراحَ معائبه [٧] .
ويا أيُّها الساري فسِر غيرَ حـاذرٍ جَنانَ ظلامٍ ، أو ردىً أنت هائبه [٨] ،
فقد بثّ عبدُ الله خوفَ انتقامـه على الليل ، حتى ما تَدِبّ عقاربه [٩] .

— كان محمّد بن حُميد الطوسي يقاتل بابَكَ الخرّمي في جبال البَدّ (خراسان) فكرّ عليه رجالُ بابك فانهزم مَنْ كان معه فثبت هو ما أمكنَ الثباتُ ثم سار يطلُبُ الخلاص ، فرأى جماعةً وقتالاً ، فقصدهم فرأى الخُرّميّة يقاتلون طائفة من أصحابه ، فلما رآه الخرمية قَصَدوه ، لِما رأَوْا عليه من حُسن هيئته ، فقاتلهم

---

١ الكلكل : المصدر . بأسه : بطشه . — اذا جار الزمان على انسان أذله .
٢ الجبار : الملك العظيم . بيضه ملكه : عاصمة بلاده .. والبيضة كل شيء يدافع صاحبه عنه . آمله : الشخص الذي يأتي اليه يطلب معونة . غاد : آت باكراً (اذا جاء جاء باكراً) . سالبه : مستول على أمواله . — انه بقوته وبطشه يسلب الملوك مالكهم ، ثم هو حليم كريم اذا جاءه في الصباح الباكر شخص عادي يطلب منه معونة يسيرة أعطاه كل ما يملك (فكأنه سلبه كل شيء يملكه) .
٣ ذو : الذي (بلهجة طيء ، وهي مبنية على السكون ، تلزمها الواو في جميع حالات الاعراب) . تبينت طعم الماء ذو أنت شاربه : أدركت أن الماء الذي ستشربه طيب (قبل أن تصل الى عبد الله بن طاهر تعلم سلفاً أنك ستنال عنده حظوة وستنال منه خيراً كثيراً) .
٤ حباب الماء : الماء الكثير المتسع السطح . جاشت : هاجت ، اضطربت . الغوارب جمع غارب : ما علا من الموخر .
٥ نول : أعطى .
٦ النجد : ما ارتفع من الأرض ، الهضبة . الغائر : ما انخفض من الأرض : الوادي (أي في كل مكان) . مواهب ليست منه وهي مواهبه : أنواع من الإحسان لم يفعلها هو ولكن فعلها أناس تعلموا فعلها منه ، فكأنها أصبحت من فعله هو .
٧ القراح : الخالص الصافي . معايبه : معايب الماء .
٨ الساري : المسافر في الليل . حاذر : هائب ، خائف . جنان ظلام : قلب الظلام ، شدته .
٩ لقد صارت العقارب تهاب سطوة عبد الله بن طاهر فلا تخرج من أوكارها لا نهاراً ولا ليلا .

وضربوا سيفه ، ثم أكبّوا عليه فقتلوه» . فقال أبو تمّام يرثيه :

كذا فلْيَجِلِ الخطبُ، وليَفْدَحِ الأمرُ. … فليس لعين لم يفِضْ ماؤها عُذْرُ [1]
تُوُفِّيَتِ الآمالُ بعد مُحَمَّدٍ ، … وأصبح في شُغْلٍ عن السَفَر السَفْرُ [2] .
وما كان إلاّ مالَ من قلَّ مالُهُ ، … وذُخراً لمن أمسى وليس له ذخر [3] .
وما كان يدري مُجْتَدي جود كفّه ، … إذا ما اسْتهلّتْ ، أنه خُلِق العُسر [4] .
ألا في سبيل الله من عُطِّلَت له … فِجاجُ سبيل الله وانثغر الثغر [5] .
فتىً ، كلما فاضت عيونُ قبيلة … دَماً ضَحِكت عنه الأحاديث والذِكر [6] .
فتى دهرُه شَطْرانِ فيما ينوبُه : … ففي بأسه شَطْرٌ وفي جوده شطر [7] .
فتىً مات ، بين الطعن والضرب ، ميتةً … تقومُ مَقامَ النصرِ إنْ فاته النصر [8] .
وما مات حتى مات مَضربُ سيفهِ … من الضرب ، واعتلّت عليه القنا السُمْر [9]
وقد كان فَوتُ الموت سهلاً ، فردّه … اليه الحِفاظُ المُرّ والخُلُقُ الوَعْر [10]

---

١ جل : عظم . الخطب : الشأن ، الأمر (المصيبة) . الأمر : الحادث ، الشأن . فدح : ثقل حتى يعجز الإنسان عن حمله أو احتماله . — إذا لم تكن المصيبة عظيمة كمقتل محمد بن حميد الطوسي فلا يقال لها : خطب جليل أو أمر فادح . لم يفض ماؤها : لم يكثر بكاؤها .

٢ توفيت الآمال : فقد الناس الأمل في تحقيقها . وأضرب المسافرون عن سفرهم الذي كانوا قد عينوه في ذلك اليوم وفي ما بعده .

٣ كان مالا حاضراً للفقير ، وثروة مجموعة للذين سيحتاجون في المستقبل .

٤ وكان اذا طلب أحد منه مالا أعطاه مبلغاً كبيراً ينسيه أن في الدنيا فقراً .

٥ اننا نحتسب في سبيل الله (نرضى ما شاءه الله من موت محمد بن حميد) رجلا عطلت له سبيل الله (توقف الجهاد بعد موته) . انثغر الثغر : أصبحت حدود البلاد الإسلامية مهددة (غير محروسة) . الفج : الطريق الواسع . الثغر : المكان الذي يخشى منه هجوم العدو .

٦ فاضت عيون قبيلة دما : نزل بتلك القبيلة مصيبة . ضحكت عنه الأحاديث والذكر : واسى تلك القبيلة بنفسه وماله حتى يتحدث الناس بحسن أخلاقه وبكثرة كرمه .

٧ ينوبه : يصيبه (يتعلق به) . — نصف أيامه في الحرب (الانتصار على الأعداء) ونصف أيامه في الكرم والإحسان الى الناس ......

٨ تقوم مقام النصر ان فاته النصر : ان الميتة النبيلة التي ماتها تعد نصراً أكبر من النصر العادي المألوف عند الناس .

٩ ذلك لأنه لم يسقط في المعركة قتيلا الا بعد أن تشقق حد سيفه وبعد أن تكسرت رماح كثيرة وهو يقاتل بها .

١٠ قد كان من السهل عليه أن ينجو من الموت (وكان هو قد انصرف فعلا من المعركة ، ولكنه عرف أن الخرمية يقاتلون جماعة من رجاله فرجع ليدافع عنهم ، وكان وحده) . الحفاظ : الدفاع عن المحارم (عما يدخل في واجب الإنسان أن يدافع عنه من الدين والشرف) . الوعر : الصعب . الخلق الوعر : الخلق المستقيم الذي لا يتزحزح صاحبه عن موقفه فيه واعتقاده .

ونفسٌ تَعافُ العارَ حتى كأنّمـا هو الكفرُ يومَ الرَّوْع ، أو دونَه الكُفر [1].
فأثبتَ في مُستنقَعِ الموتِ رِجلَــه ، وقال لها : «من تحتِ أخمَصِكِ الحَشْر»[2].
غدا غُدوةً والحمدُ نَسْجُ رِدائه ، فلم ينصرفْ إلا وأكفانُه الأجر [3] .
تردّى ثياب الموت حُمراً ، فما دَجا لها الليل إلاّ وهي من سُندُس خضر [4] !

– فتح عَمُّورية

خرج توفيل (ثيوفيلوس) امبراطور الروم إلى زِبَطْرَة ، وهي بلدة وُلِدَ فيها المعتصم ، وقيل : بل وُلدت أمّه فيها ، وسَبى من أهلها وارتكب فظائعَ هائلةً . ورووْا أن امرأة هاشمية صرخت ، لمّا وقعتْ في السبي : وامُعتصماهُ ! اتّصلَ خبرُ ذلك بالمعتصم فتجهّز أعظمَ جَهازٍ وقصد عَمورية (منشأ الأُسرة الرومية المالكة : الأُسرة العمورية Amorian) التي ينتسب إليها توفيل ، (رَمَضانَ ٢٢٣ هـ = صيف ٧٣٨ م) ، فتركها قاعاً صَفْصَفاً . وكان أبو تمّام معَ المعتصم ، فلمّا عاد المعتصم إلى عاصمته بسامرّا ، سَنَةَ ٢٢٤ هـ ، أنشده أبو تمّام هـذه القصيدة :

السيفُ أصدقُ إنباءً من الكُتُبِ ، في حدّه الحدُّ بين الجِدّ واللّعِبِ [5] .

---

١ ورده أيضاً الى الموت نفس تخاف أن يلزمه العار (العيب طول حياته) اذا لم ينجد بني قومه في القتال . وتخلف العربي عن نجدة أخيه في الحرب يعد كفراً ، بل الكفر أقل منه .

٢ فأثبت في مستنقع الموت رجله : أدرك أنه مقتول لأنه وحده والأعداء كثيرون ، فصمم على أن يموت وهو يقاتل . وقال ، يا رجلي ، الحشر (البعث من الموت ودخول الجنة) تحت باطنك : قريب جداً .

٣ غدا غدوة (هجم هجمة واحدة) . والحمد نسج ردائه (لأنه كان مخلصاً في هجمته جاداً فلم ينصرف) لم يتوقف عن هجمته لا وأكفانه الأجر (الا لما مات ونال أجر شهيد في سبيل الله ، والشهادة في سبيل الله تدخل صاحبها الجنة) .

٤ تردى ثياب الموت حمرا : مات مقتولا (صبغ الدم الأحمر ثيابه) . دجا (اسودّ) لها الليل : جاء عليها الليل (صار الليل) . الا وهي من سندس خضر : الا أصبحت من حرير أخضر (دخل الجنة) . الثياب السندس الخضر من لباس أهل الجنة (سورة الكهف ١٨ : ٣١) .

٥ في حد السيف (الحرب) فاصل بين الرصانة والهزل (الحق والباطل) : كان المنجمون في البلاط الرومي قد ذكروا للامبراطور أن العرب لن يستطيعوا فتح عمورية قبل نضج التين والعنب ، على ما تقول النجوم .

بيضُ الصفائحِ ، لا سودُ الصحائفِ في   مُتونهنّ جَلاءُ الشكّ والريَبِ ١ .
والعِلمُ في شُهُبِ الأرماحِ ، لامعةً   بين الخَميسَيْنِ ، لا في السبعةِ الشُهُبِ٢ .
أينَ الروايةُ ، بل أين النجومُ ، وما   صاغوه من زُخرُفٍ فيها ومن كَذِبِ ؟
تَخَرُّصاً ، وأحاديثاً مُلَفَّقَةً ،   ليست بنَبْعٍ إذا عُدَّتْ ولا غَرَبِ ٣ !
عجائباً ، زعَموا الأيامَ مُجْفِلةً   عنهن ، في صَفَرِ الاصفار أو رَجَبِ .
وخوّفوا الناسَ من دَهْياءَ مظلمةٍ   إذا بدا الكوكبُ الغربيّ ذو الذَنَبِ ٤ .
وصيّروا الأبرُجَ العُلْيا مرتّبةً   ما كان مُنقَلِباً أو غيرَ منقلب .
يقْضون بالأمر عنها ، وهْيَ غافلةٌ :   ما دار في فلَكٍ منها وفي قُطُبِ .
لو بيّنت قطّ أمراً قبل موْقِعِه   لم تُخفِ ما حلّ بالأوثانِ والصُلُبِ !
فتحُ الفُتوحِ ! تعالى ان يُحيطَ بِه   نظمٌ من الشعر أو نثرٌ من الخُطَبِ .
فتحٌ تَفَتَّحُ أبوابُ السماءِ له ،   وتبرُزُ الأرضُ في أثوابها القُشُبِ .
يا يومَ وقعةِ عَمّوريّةَ انصرفَتْ   منكَ المُنى حُفّلاً معسولةَ الحَلَبِ٥ .
أبقيْتَ جَدّ بني الإسلام في صُعُد ،   والمشركين ودار الشِرْكِ في صَبَبِ ٦ .

---

١ الحديد المصقول (السيوف : الحرب ، القتال) لا الصفحات السود (المكتوبة بالحبر الأسود : الرسائل) تزيل الشك من النفوس في انتصار العرب .

٢ المعرفة بانتصار أحد الجيشين على الآخر تأتي من العلم باستعمال الرماح (بالحرب) إذا التقى الخميسان (الجيشان) لا من العلم المزعوم بحركات الشهب السبعة (الكواكب السبعة السيارة) ، أي من فن التنجيم الخرافي .

٣ التخرص : الكذب . النبع : شجر تصنع من أغصانه الرماح . والغرب : شجر آخر . إن الذي زعمه منجمو الروم لا أصل له ولا يعتمد عليه (لا هو خشب تصنع منه الرماح ولا خشب يستعمل لأمور أخرى) .

٤ دهياء : مصيبة . الكوكب الغربي ذو الذنب . قال ابن الأثير (٦ : ١٩٤) : وفيها (في سنة ٢٢٢ هـ — ٨٣٧ م) ظهر عن يسار القبلة كوكب له شبه الذنب ، وكان طويلا جداً فهال الناس ذلك . هذا الكوكب المذنب المعروف باسم مذنب هالي ، وهو يظهر في سمائنا مرة كل ٧٦ سنة ، وكانت آخر مرة ظهر فيهما في الخامس من أيار (مايو) من عام ١٩١٠ .

٥ حفل : حافلة ، مزدحمة ، مملوءة . معسولة الحلب : لبنها حلو الطعم . — رجع الجيش الإسلامي من معركة عمورية منصوراً محققة أمانيه (شبه الأماني بضروع الناقة المملوءة باللبن الحلو الطعم) .

٦ دار الشرك : القسطنطينية (عاصمة الامبراطورية الرومية) . في صعد : في ارتفاع (سرور) . في صبب : في انحدار (حزن) .

أمٌّ لهم ، لو رَجَوْا أن تُفتدى جعلوا … فِداءها كلَّ أمٍّ برّةٍ وأب .

وبَرْزَةُ الوجهِ قد أعيَتْ رياضتُها … كسرى ، وصدّت صُدوداً عن أبي كَرِب ١

من عهد إسكندرٍ ، أو قبلَ ذلك ، قد … شابتْ نَواصي الليالي وَهْيَ لم تَشِب .

بِكْرٌ فما افترَعتْها كفُّ حادثةٍ ، … ولا ترَقَّتْ اليها هِمّةُ النُّوَب ٢ .

حتى إذا مخّض اللهُ السنينَ لها ، … مخْضَ البخيلة ، كانت زُبدةَ الحِقَب ٣ .

أتتهُمُ الكَرْبة السوداءُ سادرةً … منها ، وكان اسْمُها فرّاجةَ الكُرَب ٤ .

جرى لها الفألُ برْحاً يوم أنقرةٍ … إذ غودرتْ وَحْشةَ الساحاتِ والرِحَب ٥ .

لما رأتْ أختَها بالأمسِ قد خَرِبتْ … كان الخرابُ لها أعْدى من الجَرَب .

كم بين حِيطانِها من فارسٍ بطلٍ … قاني الذوائبِ من آني دَمٍ سَرِب ! ٦

بسُنّةِ السيفِ والخَطّيِّ من دمهِ ، … لا سُنّةِ الدينِ والإسلام ، مُخْتضِب ٧ .

---

١ البرزة : المرأة الجليلة تبرز للناس تحادثهم . شبه عمورية بالمرأة البرزة التي لم يستطع كسرى (يقصد : ملوك الفرس) ولا أبو كرب (بن حسان ملك اليمن ؛ يقصد : ملوك اليمن) على كثرة حروب الفرس واليمن وانتصارهم ، أن يسيطروا عليها (وسيطر عليها العرب) – لم يقدر على فتح عمورية لا الفرس ولا اليمن (ولا غيرهم) وفتحها العرب بسهولة .

٢ بكر : عذراء . افترع الجارية : دخل بها . – ان الاحداث الكبرى لم تستطع أن تؤثر في عمورية ، والمصائب الشديدة لم تستطع الرقي إلى عمورية .

٣ مخض اللبن : خضه حتى ينفصل الزبد منه . مخض البخيلة : أي بالغت في المخض حتى لم تدع في ماء اللبن شيئاً من الزبدة . كانت زبدة الحقب : اجتمعت فيها (في عمورية) كنوز الدهور (ثم جاء المسلمون فظفروا بتلك الكنوز كلها) . والاستعارة في هذا البيت من اختراع أبي تمام .

٤ سادرة : حائرة . و (سادرة) حال ، وصاحب الحال هنا (عمورية) . – المعنى : وعمورية حائرة متعجبة كيف استطاع المعتصم أن يفتحها . كان اسمها فراجة الكرب : كان الروم إذا خافوا خطراً من شيء احتموا بها لأنهم كانوا قد أعدوها لمثل ذلك ، فجاءهم الآن الخطر منها نفسها .

٥ الفأل : الأمل الحسن . البرح : الشؤم والنحس . الساحة والرحبة (بكسر الراء وسكون الحاء ، أو بفتح الراء والحاء) : الأرض الواسعة المسكونة . وحشة الساحات والرحب : خالية ، مهجورة . يوم أنقرة : يوم معركة أنقرة وفتحها . غودرت : غادرها أهلها ، هجروها ، فروا منها . – لما سمع أهل عمورية بتخريب المعتصم لأنقرة أيقنوا أنه سيحل ببلدتهم ما حل بأنقرة فهربوا من بلدتهم .

٦ قان : شديد الحمرة . آن : حار . سرب : سائل جار . كثرت فيها الفوارس القتلى من الروم ، وكثرت الدماء حتى بلت ذوائب الفرسان (كان الفرسان يرخون ذوائبهم) .

٧ على ان هذا القتل الذريع في الروم لم يكن بالقانون الإسلامي (لاختلاف الدين بين المتحاربين) بل بالقانون الطبيعي : قانون السيف والرمح (لأن الروم اعتدوا على بلد إسلامي) .

لقد تركتَ ، أميرَ المؤمنين ، بهـا … للنار يوماً ذليلَ الصخر والخشب [1] .
غادرتَ فيها بهيمَ الليل وهو ضُحىً … يشُلُّه ، وسطَها ، صُبحٌ من اللَّهَب [2] ؛
حتى كأنّ جلابيبَ الدُّجى رَغِبتْ … عن لونها ، أو كأنّ الشمسَ لم تَغِبِ [3] :
ضوءٌ من النار ، والظَّلماءُ عاكفةٌ ، … وظُلْمةٌ من دُخانٍ في ضُحىً شَحِبِ [4] ؛
فالشمس طالعةٌ من ذا ، وقد أفَلَتْ ؛ … والشمس واجِبةٌ في ذا ، ولم تَجِبِ [5] .
تصرّحَ الدهرُ تصريحَ الغمامِ لهـا … عن يومِ هيجاءَ منها طاهرٍ جُنُبِ : [6] .
لم تطلُعِ الشمسُ فيه يومَ ذاك على … بانٍ بأهلٍ ، ولم تغرُبْ على عزَبِ [7] .
ما رَبْعُ ميّةَ ، معموراً يُطيفُ بـه … غَيلانُ ، أبهى رُبىً من ربعها الخَرِبِ [8] ؛
ولا الخدودُ وقد أُدمِينَ ، من خجلٍ ، … أشهى إلى ناظري من خدّها التَّرِبِ .
سماجةٌ غَنِيَتْ منا العيونُ بهـا … عن كلّ حُسنٍ بدا أو منظرٍ عَجَبِ .
وحُسْنُ مُنْقَلَبٍ تبدو عواقبُه … جاءت بَشاشتُه من سوءِ منقلَبِ [9] .

---

١ لقد كثرت النار التي أوقدها العرب لاحراق البلد واشتدت تلك النار حتى احترقت الصخور فيهـا بعد أن احترق الخشب .

٢ يشله : يطرده . – كان ضوء النار يبدد ظلام الليل في عمورية المحترقة حتى كأن الصبح كان يطلع فيها في ذلك الحين .

٣ جلابيب جمع جلباب : ثوب . رغب عن الشيء : تركه ، كرهه . – كأن السواد لم يبق لوناً لليل .

٤ عاكفه : نازله ، دائمة (الوقت ليل) . شحب : متغير اللون ، قليل اللون (يخالطه بياض أو صفرة) .

٥ أفلت : غربت . واجبة : غاربة . – ان اشتعال النار في الليل يوهمنا أن الشمس طالعة ، وان كثرة الدخان في النهار توهمنا أن الشمس غائبة .

٦ بوغتت عمورية بالخراب ، كما ينشق الغيم عن صفحة السماء (فجأة) . يوم هيجاء : حرب . طاهر لأن المسلمين خرجوا غازين في سبيل الله ، فالقتال في عمورية كان حلالا لأنه رد على اعتداء الروم عليهم . جنب : لأن الدم سال فيه . والشراح يفسرون « جنباً » على الحقيقة فيقولون : ان المسلمين أسروا نساء وتغشوهن .

٧ بان : متزوج . الأهل : الزوجة . العزب : من لم يتزوج بعد . – لما دخل المسلمون المعركة (مع طلوع الشمس) لم يكن فيهم أحد متزوج ، ولما انتهوا من المعركة (قبل غروب الشمس) لم يكن قد بقي أحد منهم بلا زوجة (كناية عن كثرة السبي من النساء خاصة) .

٨ غيلان بن عقبة الشاعر المعروف بذي الرمة شغف بمية بنت طلبة وظل يهيم في ديارها أملا في رؤيتها عشرين سنة . – ما كان منزل مية ، ومية فيه ، أحب الى غيلان من عمورية الخربة (بعد تلك الحروب) في نظر المسلمين.

٩ كانت نتيجة المعركة ظفراً للمسلمين وسروراً لهم : سرور المسلمين جاء من انهزام الروم ونكبتهم .

لو يعلمُ الكفرُ كم من أعصرٍ كَمَنَتْ له المَنيّةُ بين السُّمْرِ والقُضُبِ [1] .
تدبيرُ مُعْتَصِمٍ بالله ، منتقمٍ لله ، مرتقبٍ في الله ، مرتغِبِ [2] .
ومُطعَمُ النصرِ لم تَكْهَمْ أسنّتُه يوماً ، ولا حُجِبت عن روحِ مُحتجبِ [3] .
لم يغزُ قوماً ، ولم ينهض إلى بلدٍ إلا تقدمه جيشٌ من الرُعُبِ [4] .
لو لم يقُدْ جحفلاً يوم الوَغَى ، لغدا من نفسه وحدَها في جحفلٍ لَجِبِ [5] .
رمى بك الله بُرجَيْها فهدّمها ؛ ولو رمى بك غيرُ اللهِ لم تُصِبِ [6] .
من بعدَ ما أشّبوها واثقينَ بها ؛ والله فتّاحُ باب المَعْقِلِ الأشِبِ [7] .
وقال ذو أمرهم : «لا مرتعٌ صدَدٌ للسارحين ، وليس الوِردُ من كَثَبِ» [8] .
أمانياً سلبتهم نُجْحَ هاجِسها ظُبى السيوفِ وأطرافُ القنا السُلُبِ [9] .

---

١ السمر : الرماح . القضب جمع قضيب : السيف . — ان العرب كانوا قد صبروا طويلا على اعتداءات الروم .

٢ ان الخليفة المعتصم معتصم بالله (متكل في ما يعمل على الله) ، منتقم لله (قد غزا الروم لأنهم نكثوا عهد الله بالسلام) ، مرتقب في الله (يعمل كل ما يعمل وهو حريص على ألا يخالف أوامر الله في شيء) ، مرتغب : راغب (في هذه الحرب) في ما يرضي الله وفي ما يقربه الى الله .

٣ النصل السيف . كهم : كل فلم يقطع . — قاتل بسيفه كثيراً وقتل كثيرين ، ولم يكل سيفه ولا استطاع أحد أن يستتر عنه فلا يقتل .

٤ يدخل الرعب من المعتصم على الاعداء قبل أن يصل المعتصم اليهم . في هذا البيت نظر الى الحديث الشريف : أعطيت خمساً لم يعطهن أحد ... ونصرت بالرعب مسيرة شهر (أو ما معناه) .

٥ الجحفل : الجيش العظيم . اللجب : الصخب الكثير الأصوات (لكثرة الرجال والخيل فيه) .

٦ ان الله سخرك لتهديمها فاستطعت تهديمها ، ولو أنك أردت من غزو عمورية غرضاً من أعراض الدنيا من عند نفسك لما استطعت ذلك ؛ راجع الآية الكريمة : «وما رميت اذ رميت ، ولكن الله رمى» (٨ : ١٧ سورة الانفال) .

٧ أشب البلدة : بالغ في تحصينها . واثقين بها : مطمئنين الى أنها لا تفتح . وهذا صحيح ، ولكن في هذه المرة لم يفتحها انسان مثلهم ولكن الله هو الذي أراد فتحها على يد المعتصم .

٨ ذو أمرهم : رئيسهم . لا مرتع صدد : لا عشب قريب (لخيلهم) . وليس الورد (استقاء الماء) من كثب (في مكان قريب) .

٩ الهاجس : الفكر الذي يدور في النفس . الظبى جمع ظبة (بضم الظاء وفتح الباء) : حد السيف . طرف القناة : نصل الرمح . السلب جمع سلب (بفتح السين وكسر اللام) : الطويل ، أو جمع سلوب : يسلب الناس أموالهم وأرواحهم . — ان ظفر المسلمين في القتال أفسد على الروم آمالهم وأمانيهم .

ان الحِمامينِ : من بِيضٍ ومن سُمُرٍ ... دَلْوا الحياتين : من ماء ومن عُشُب ١ .
لَبَّيْتَ صوتاً زِبَطْرِيّاً هَرَقْتَ لـه ... كأسَ الكرى ورِضابَ الخُرّدِ العُرُب ٢.
عداكَ حرُّ الثغور المُستضامةِ عن ... بَرْدِ الثغور وعن سَلْسالها الحَصِب ٣ .
أجبْتَه مُعلِناً بالسيف ، مُنْصلتاً ، ... ولو أجبْتَ بغيرِ السيفِ لم تُجِب ٤ ،
حتى تركتَ عَمود الشِرْك منقعِراً ، ... ولم تعرِّجْ على الأوتاد والطُنُب ٥ .
لما رأى الحربَ رأيَ العينِ تُوفِلِسٌ ؛ ... والحرب مشتقةُ المعنى مِنَ الحَرَب ٦.
غدا يُصرِّفُ بالأموالِ جِرْيَتَها ، ... فعزَّه البحرُ ذو التيّار والحَدَب ٧ .
هيهاتَ ! زُعزِعتِ الأرضُ الوَقورُ به ... عن غَزْوِ مُحْتَسِبٍ لا غزوِ مكتسب ٨.
لم يُنفقِ الذهبَ المُربي بكَثْرتـه ... على الحصى ، وبه فقرٌ إلى الذهب ٩ :

---

١ ان الحمامين (الموتين ، القاتلين) من بيض (سيوف) ومن سمر (رماح) هما الدلوان (الوسيلتان) الحياتين (سببا الحياة) من الماء والعشب .

٢ لبيت صوتاً زبطرياً (راجع مقدمة القصيدة) . هرق : سكب (تخل من) . الكرى : النوم . الرضاب : الريق . الخرد : جمع خريدة : المرأة الجميلة . العرب جمع عروب (بفتح العين) : المرأة المتحببة الى زوجها . — تركت راحتك ونعيمك في سبيل نصرة المظلومين .

٣ عداك : تعدى بك ، تجاوزت ، تركت . الثغور الأولى : البلدان التي يخشى منها مجيء العدو ؛ حر الثغور : الحرب . المستضامة : المهضومة الحق ، المظلومة . الثغور الثانية جمع ثغر الذي هو فم الإنسان . برد الثغور : ريق الثغور البارد (كناية عن التنعم مع النساء) . السلسال الحصب : الماء الصافي الذي يكون في المجاري الصخرية التي يكثر فيها الحصى (كناية أيضاً عن اللهو مع النساء) .

٤ منصلتاً : مجرداً من غمده (للقتال) . لو لم تحارب لما أخذت بحق أهل زبطرة .

٥ عمود الشرك : قاعدة الروم في آسية الصغرى (عمورية) . — منعقر : متهدم . لم تعرج : لم تمل الى (لم تحفل) . الأوتاد والطنب : قطع صغيرة من الخشب تشد بها أطراف الخيمة الى الأرض (كناية عن القرى التي كانت حول عمورية) .

٦ الحرب (بفتح الحاء والراء) : السلب .

٧ جريتها : مجراها (مجرى الحرب) بطلب الصلح . عزه : غلبه . البحر (كناية عن جيش العرب الكبير) . ذو التيار : المتدافع المتوالي . الحدب : ذو الأمواج العالية (كان هجوم العرب وانتصارهم سريعين جداً حتى أنهما لم يتركا مجالا أمام ثيوفيلوس حتى يطلب فيه الصلح) . ذكر فنلاي (Byz. Emp . (Everyman's (ص ١٤٧) أن ثيوفيلوس عرض على المعتصم ٢٤٠٠ ليبرة من الذهب (نحو ١١٠٠ كيلو) .

٨ هيهات : ما أبعد ذلك ! زعزعت الأرض الوقور به : ان الأرض الثقيلة الثابتة قد ارتجت بعنف تحت أقدام ثيوفيلوس لأن غزو المعتصم لبلاد الروم كان احتساباً في سبيل الله لا تكسباً للمال .

٩ لو كان محتاجاً الى المال لما أنفق في سبيل هذه الغزوة مالا أكثر عدداً من حجارة بلاد الروم .

ان الأسودَ ، اسودَ الغاب ، همتُها … يومَ الكريهة في المسلوب لا السلَبِ ١.

وليّ وقد ألجمَ الخطّيُّ منطقَهُ … بسكتة تحتها الأحشاءُ في صخَبِ ٢.

أحْذى قرابينَهُ صرْفَ الرّدى و مضى … يحثّثُ أنجى مَطاياه من الهرب ٣ ،

مُوكّلاً بيفاعِ الأرض يُشرِفُهُ … من خِفّةِ الخوف لا من خفة الطرب ٤ .

ان يعْدُ من حرّها عدْوَ الظّليم فقد … أوسعت جاحِمَها من كثْرة الحطب ٥ .

تسعون ألفاً كآسادِ الشّرى نَضِجَتْ … جلودُهم قبلَ نُضْجِ التين والعِنَبِ ٦ .

يا رُبَّ حَوْباءَ لما اجْتُثّ دابرُهُم … طابتْ، ولو ضُمّختْ بالمِسْك لم تَطِبِ ٧.

ومُغضَبٌ رجعَتْ بِيضُ السيوفِ به … حَيَّ الرِضى من رَداهم ميّتَ الغضب ٨ .

والحرب قائمة في مأزِقٍ لَجِجٍ … تجثو الكُماةُ به ، صُغراً ، على الرُّكَبِ ٩ .

---

١ ان أسود الحرب (الابطال الحقيقيين) يقصدون قتل الابطال من أعدائهم لا سبي المتاع .

٢ ولى : هرب . ألجم الخطي منطقه : أصبحت الرماح لجاماً في فمه (منعته الهزيمة من الحق في الكلام) . تحتها الاحشاء في صخب : كان قلبه مضطرباً بكلام يريد أن يقوله فلا يستطيع .

٣ ترك خاصته الابطال المقربين اليه للموت ثم ركب أسرع خيوله ليهرب عليه .

٤ موكلا بيفاع الأرض : كأنه وكيل على يفاع (مرتفعات) الأرض يقفز من واحد منها الى آخر (في أثناء هربه) ، ثم يشرفه (يعلو على اليفاع = المرتفع من الأرض) ليرى هل يتبعه أحد . ان الخوف قد جعله سريعاً في ركضه لا الفرح والمرح .

٥ عدا يعدو عدواً : ركض يركض ركضاً . الظليم : ذكر النعام (وهو معروف بسرعة الجري) ان ثيوفيلوس معذور في هربه من ميدان المعركة بهذه السرعة لأنك أكثرت (ايها الخليفة المعتصم) النار فيها (أثرت عليه حرباً شديدة لا قبل له باحتمالها) .

٦ تسعون الفاً من الروم كأسود الشرى (الجبال) المعروفة ببأسها . نضجت جلودهم : ماتوا حرقاً في عمورية . راجع قوله تعالى : « كلما نضجت جلودهم بدلناهم جلوداً غيرها ليذوقوا العذاب ... » قبل نضج التين والعنب : قبل الصيف (الوقت الذي حدده منجمو امبراطور الروم وكهنته لامكان فتح عمورية) . عظم أبو تمام شأن الروم حتى يبين مدى شجاعة العرب . وقد ذكر فنلاي (ص ١٤٧) أن القتلى الروم كانوا ثلاثين ألفاً سوى الاسرى .

٧ الحوباء : النفس . لما اجتث دابرهم : لما قتل المحاربون الروم عن بكرة أبيهم . طابت : أصبحت مسرورة . ضمخت بالطيب : طليت بمادة زكية الرائحة . — كم من نفس قد سر صاحبها بهلاك هؤلاء الاعداء من الروم اكثر مما كانت تسر لو أن صاحبها دهن نفسه بالطيب .

٨ غضب المعتصم لما بلغت اليه استغاثة الهاشمية وما نال المسلمين في زبطرة (راجع مقدمة القصيدة) ، فلما قتل أولئك المعتدين عاد اليه رضاه وذهب غضبه .

٩ مأزق لجج : مكان ضيق (بمساحته وبازدحام المتقاتلين فيه) . جثا : ركع (على ركبتيه) صغرا : مائلين بأجسامهم الى الامام (من شدة القتال) . الكماة جمع كمي : البطل .

كم نِيلَ ، تحت سناها ، من سنى قمر ؛ … وتحت عارضها ، من عارض شَنِب [1] .
كم كان ، في قطع أسباب الرقاب بها ، … إلى المُخَدَّرَةِ العذراء من سبب [2] ! .
كم أحْرَزَتْ قُضُبُ الهِنديّ ، مُصلتةً … تهتزُّ ، من قُضُبٍ تهتزُّ في كُثُب [3] :
بيضٌ إذا انتُضيت من حُجبها رجَعَتْ … أحقّ بالبيض ، أبداناً ، من الحجب [4] .
خليفةَ الله ، جازى اللهُ سَعْيَكَ عن … جُرثومة الدين والإسلام والحَسَب [5] .
بَصُرْتَ بالراحة الكُبرى فلم تَرَها … تُنالُ إلاّ على جِسْرٍ من التعب .
إنْ كان بين صُروفِ الدهر من رَحِمٍ … موصولةٍ ، أو ذِمامٍ غير منقَضِب [6] .
فبينَ أيّامِكَ اللاتي نُصرتَ بهـا … وبين أيام بَدْرٍ أقربُ النسب [7] :
أبقتْ بني الأصفرِ المُصْفَرِّ كاسْمِهِمُ … صُفرَ الوجوهِ ، وجَلَّتْ اوجهَ العرب [8] !

---

١ صناها : سنى الحرب (نيرانها) . سنى قمر : جمال امرأة (امرأة جميلة) . عارضها : عارض الحرب (اشتدادها . شبه اشتداد الحرب بالعارض من المطر المتلاحق) . عارض شنب : ناب أو ضرس بارد الريق (كناية عن المرأة الجميلة) . — أسر العرب في تلك الحرب عدداً كبيراً من الروميات الجميلات .

٢ أسباب الرقاب : عروق الرقبة . المخدرة العذراء : المرأة المصونة البكر . سبب : وسيلة . لم يكن الوصول الى تلك النساء الروميات ممكناً الا بقتل الابطال اليونانيين الذين اعتدوا على زبطرة التي كانت في حكم العرب .

٣ القضب جمع قضيب : السيف الرقيق . الهندي : صنع الهند . مصلتة : مجردة من أغمادها . تهتز : يلوح بها المجاهدون العرب . قضب هنا جمع قضيب : الغصن المستقيم من الشجر (كناية عن المرأة ذات القوام الطويل الجميل) . تهتز : تمايل من الجمال والدلال . الكثب جمع كثيب وهو الرمل الملتف (كناية عن المرأة الضخمة الجسم) . — سبت سيوف العرب نساء جميلات (من الروم) .

٤ بيض الاولى جمع أبيض : سيف . حجبها الاولى جمع حجاب : غمد السيف . انتضيت (السيوف) : سلت (أخرجت من أغمادها) . البيض الثانية جمع بيضاء : المرأة الجميلة . الحجب الثانية جمع حجاب : ستر المرأة (بيتها) . — ان السيوف التي انتصرت في موقعة عمورية أصبحت أحق بالنساء الروميات من بيوت الروميات (أصبح العرب أحق بنساء الروم من رجال الروم أنفسهم) .

٥ الجرثومة الاصل . الحسب : العمل الجميل الكريم .

٦ صروف الدهر : أحداثه الكبرى . رحم : قرابة . ذمام : عهد . منقضب : منقطع .

٧ أيامك اللاتي نصرت بها (معركة عمورية) . بدر : معركة بدر (رمضان سنة ٢ هـ = ٦٢٤ م) أول معارك الإسلام ضد المشركين والتي فتحت باب النصر أمام المسلمين .

٨ بنو الاصفر : الروم . المصفر : المعتل ، المريض . كاسمهم : كاسم أبيهم ، كأبيهم . صفر الوجوه : معتلين (مرضى على الحقيقة) مثل أبيهم الذي اكتسب اسمه من لون وجهه . جلت : بيضت ، كرمت . هذه الموقعة (موقعة عمورية) جعلت أوجه الروم تصفر (تسود) وأوجه العرب تبيض . هذا البيت معقد

٤ — ديوان أبي تمّام ، بيروت (المطبعة الأدبية) ١٨٨٩ م ؛ فسّر ألفاظه .... محيي الدين الخيّاط) ، بيروت (طبع بمناظرة والتزام محمّد جمال) نحو ١٣٢٣ هـ ؛ (نشره أحمد عثمان عبد المجيد) ، القاهرة ١٩٤١ م ؛ القاهرة (محمّد صبيح) ١٩٤٢ م ؛ القاهرة (حجازي) ١٩٤٢ م .

ديوان أبي تمّام بشرح التبريزي (نشره عزّام) ، القاهرة (دار المعارف) ١٩٥١ — ١٩٥٧ م .

بدر التمام في شرح ديوان أبي تمّام للمحم الاسود ، الجزء الأول ، بيروت ١٩٢٨ م .

همزيات أبي تمّام (نشرها عبد السلام محمّد هارون) ، القاهرة (دار المعارف) ١٩٤٢ م .

جداول ديوان أبي تمّام (مجلّة المشرق) ، بيروت (المطبعة الكاثوليكية) ١٩٠٥ م ، ص ١٠٥٨ وما بعد .

المختار من شعر المتنبّي والبحتري وأبي تمّام (صنعه عبد القاهر الجرجاني) في مجموع اسمه « الطرائف » (تأليف عبد العزيز الميمني) ، القاهرة (لجنة التأليف والترجمة والنشر) ١٩٣٧ م .

ديوان الحماسة (مع شرح مختصر) طبعات عديدة .

شرح ديوان أشعار الحماسة (بشرح التبريزي) ، القاهرة (بولاق) ١٢٩٢ هـ ؛ (نشرها فرايتاخ) ، بون (ألمانية) ١٨٢٢ م .

شرح ديوان الحماسة للمرزوقي (نشره أحمد أمين وعبد السلام محمّد هارون) ، القاهرة (لجنة التأليف والترجمة والنشر) ١٣٧٢ — ١٣٧٤ هـ = ١٩٥١ — ١٩٥٣ م .

كتاب الوحشيّات : الحماسة الصغرى (علّق عليه .... عبد العزيز الميمني الراجكوتي ، وزاد في حواشيه محمود محمّد شاكر) ، القاهرة (دار المعارف) ١٩٦٣ م .

•• الموازنة بين الطائيّين : أبي تمّام والبحتري في الشعر ، للآمدي ،

— وقاصر في التعبير قليلا ، ويمكن أن يقرأ هكذا (لاحظ مكان الفاصلتين) :

أبقت بني الاصفر المصفر ، كاسمهم صفر الوجوه ، وجلت أوجه العرب .

ثم ان كلمة « أوجه » يمكن أن تكون منصوبة بالفعل «جلت» (وفاعل الفعل ضمير مستتر يرجع الى معركة عمورية) ، ويمكن أن تكون مرفوعة على الاستئناف : جلت أوجه العرب !

قسطنطينية (مطبعة الجوائب) ١٢٨٧ هـ ؛ بيروت (مطبعة جريدة الاقبال) ١٣٣٢ هـ ؛ القاهرة (مكتبة محمد علي صبيح) بعيد ١٩٣٠ م ، (حقّق أصوله .... محمّد محيي الدين عبد الحميد) ، القاهرة (محمود توفيق) ١٩٤٤ م ؛ (تحرير أحمد صقر) القاهرة (دار المعـارف) ١٩٦١ م .

أخبار أبي تمّام للصولي (نشره .... خليل محمود عساكر ومحمّد عبده عزّام ونظير الاسلام الهندي ، القاهرة ١٣٥٦ هـ (١٩٣٧ م) .

هبة الأيّام في ما يتعلّق بأبي تمّام ، تأليف يوسف البديعي ، القاهرة (مطبعة العلوم) ١٩٣٤ م .

أبو تمّام ، تأليف عمر فرّوخ ، بيروت (مكتبة الكشّاف) ١٩٣٥ م .

أبو تمّام : دراسة تحليلية ومختارات ، تأليف عمر فرّوخ (المكتب التجاري) ١٩٦٤ م .

أبو تمّام الطائي : حياته وحياة شعره ، تأليف نجيب البهبيتي ، القاهرة (دار الكتب) ١٩٤٥ م .

أعيان الشيعة (الجزء التاسع عشر : أبو تمّام) ، تأليف محسن الأمين ، دمشق ١٣٦٥ هـ (١٩٤٦ م) .

ليال خمس مع أبي تمّام ، تأليف محمّد عبده عزّام ، القاهرة (دار الكاتب المصري) ١٩٤٨ م .

عبقرية أبي تمّام ، تأليف عبد العزيز سيّد الأهل ، بيروت (دار العلم للملايين) ١٩٥٣ م .

شرح المشكل من ديوان أبي تمّام والمتنبّي للمبارك بن أحمد الاربيلي (نشره محمّد عبده عزّام) ، القاهرة ١٩٣٥ م .

الكلام في شعر البحتري وأبي تمّام ، تأليف محمّد طاهر الجبلاوي ، القاهرة ١٩٤٨ م .

دراسة حماسة أبي تمّام ، تأليف علي النجدي ، ناصف ، القاهرة (مكتبة نهضة مصر) ١٩٥٥ م .

أبو تمام الطائي ، تأليف خضر الطائي (منشورات وزارة الثقافة والارشاد — مديريّة الثقافة العامّة) ، سلسلة الكتب الحديثة ١٠ ، بغداد (دار الجمهورية) ١٩٦٦ م .

الرثاء بين أبي تمّام والبحتري والمتنبّي ، تأليف أديبة فارس ، الاسكندرية ١٩٣٢ م .
أبو تمّام ، تأليف جميل سلطان ، دمشق ١٩٥٠ م .
الفهرست ١٦٥ ؛ الاغاني (بولاق) ١٥ : ١٠٠ — ١٠٨ ؛ تاريخ بغداد ٨ : ٢٤٨ — ٢٦٣ ؛ تاريخ ابن عساكر ٤ : ١٨ — ٢٦ ؛ وفيات الاعيان ١ : ٢١٤ — ٢١٨ ؛ شذرات الذهب ٢ : ٧٢ — ٧٤ ؛ بروكلمان ١ : ٨٣ — ٨٤ ، الملحق ١ : ١٣٤ — ١٣٧ ؛ زيدان ٢ : ٧٧ — ٧٩ . Enc. Islam I 153 - 5

محمدُ بنُ عبدِ الملكِ الزيّاتُ

١ — هو أبو جعفر محمدُ بنُ عبدِ الملكِ بنِ أبانِ بنِ أبي حمزةَ الزيّات، كان جدّه أبانٌ من قرية الدسكرةِ قربَ بلدةٍ يُقال لها جيل جنوبَ بغدادَ (قا ٣ : ٣٥٣) ، وكان يَجلُبُ منها الزيت إلى بغدادَ . أما والده فكان تاجراً مُوسراً من أهل الكرْخ وكان يَحُثّه على العمل في التجارة . غير أنّ عبدَ الملك مالَ إلى الأدب وصناعة الكتابة وطَمِحَ إلى نَيْل المناصب .

سار عبدُ الملك بن الزيّات إلى الحسنِ بن سهْلٍ في فمِ الصلح (قرية على دجلةَ قربَ واسطَ) ومدحه بقصيدةٍ أعطاه الحسنُ عليها ألفَ درهم . ولعلَّ ذلك كان بُعيدَ سنة ٢٠٤ هـ ، بعد أن أصبحَ الحسن وزيراً للمأمون وبعد أن جاء المأمون إلى العراق .

ووَزَرَ ابنُ الزيّات للمعتصم (٢٢٥ هـ) ثم بَقِيَ وزيراً للواثقِ بن المعتصم مُدّةَ خلافته (٢٢٧ — ٢٣٣ هـ) . وجاء المتوكّل إلى الخلافة بعد أخيه الواثق ، وكان ناقماً على ابنِ الزياتِ فاستوزره نحوَ أربعين يوماً ثم قتله في ١٩ ربيع الأول ٢٣٣ هـ (٢-١١-٨٤٧ م) .

٢ — كان ابنُ الزيّاتِ عالماً باللغة والنحو والأدب ، وكان شاعراً مُجيداً لا يُقاس به أحدٌ من الكُتّاب ، وكان يُطيل فيُجيد . وكذلك كان كاتباً مترسّلاً بليغاً حسَنَ اللفظ إذا تكلّم وإذا كتَب . وشِعرُ ابن الزيّات مديحٌ وهجاء وغزل ومُجون وعِتاب وخمرٌ وله رثاء جيّد . ويبدو أن ابنَ الزيّاتِ كان قد

هاجى عدداً من الشعراء . وقد هجاه دِعْبِلٌ ولكنّ ابنَ الزيّات لم يشأ أن يتعرّضَ لدِعْبِلٍ بالردّ عليه .

وكانَ بينَ ابنِ الزيّاتِ وبينَ القاضي أحمدَ بنِ أبي دُؤادٍ عداوةٌ ، منذ أيامِ المأمون في الأغلب . ويبدو أنّ ابنَ الزيّاتِ لما وَلِيَ الوِزارة هجا أحمد بقصيدةٍ طويلة فردّ أحمدُ عليه ببيتَيْنِ :

أحسنُ من خمسينَ بيتاً سُدىً جَمْعُكَ معناهُنَّ في بَيْتِ :
ما أحوجَ الدَّسْتَ إلى مَطْرةٍ تَغْسِلُ عنه وَضَرَ الزَّيْتِ [1] !

٣ــ المختار من نثره وشعره

ــ كتب ابن الزيات على لسان الخليفة إلى أحد العمال :

أما بعدُ فقد أُنْتهي إلى أمير المؤمنين ... ما أنكره ، ولا تخلو (أنتَ) من إحدى مَنْزِلتينِ ليس في واحدةٍ منهما عُذْرٌ يُوجبُ حُجّةً ولا يُزيلُ لائمة : إما تقصيرٍ في عَمَلِكَ دعاكَ إلى الإخلال بالحَزْم والتفريطِ في الواجب ، وإما مُظاهرةٍ لأهل الفساد ومُداهنةٍ لأهل الرِيَبِ [2] . وأيّةُ هاتين كانت منك مُحِلّةٌ للنُّكْرِ بك ومُوجبة للعقاب عليك ، لولا ما يَلْقاك به أميرُ المؤمنين من الأناةِ والنَظِرة والأخذ بالحُجّة والتقدم في الإعْذار والإنذار [3] . وعلى حَسْبِ ما أُقِلْتَ من عظيم العَثْرة يَجِبُ اجتهادُك في تلافي التقصيرِ والإضاعة [4]، والسلام .

---

١ الدست : صدر البيت وصدر المكان ؛ كرسي الوزارة (منصب الوزارة) . الوضر : وسخ الدسم واللبن أو غسالة (بضم الغين المعجمة) السقاء (الوعاء) والمقصود هنا الوعاء الذي يوضع فيه الزيت اشارة الى صناعة جد محمد بن عبد الملك الزيات .

٢ التفريط : التقصير واضاعة الحقوق والاهمال . مظاهره : مساعدة ، اعانة ، موافقة . أهل الفساد : أهل العصيان على الدولة والاخلال بأمن البلاد وتعدي الحدود . المداهنة : المداراة . أهل الريب : المتهمون الذين يعملون أعمالا مريبة (ولكن ليس فيها ذنب ظاهر) .

٣ محلة : مجيزة ، موجبة . النكر : الأمر الشديد ، العقاب . الاناة : الحلم ، التأني في تنفيذ العقاب . النظرة : الامهال ، فسح المجال للإنسان كي يتوب من سوء ارتكبه أو ليحاول الاحسان في عمل كان قد أساءه . الأخذ بالحجة : المعاقبة بعد وضوح الذنب . التقدم بالانذار (التنبيه على الأمور التي وقع فيها التقصير لعل المقصر يتلافى أمثالها في المستقبل) والاعذار (أن يكون السلطان معذوراً ومحقاً اذا عاقب بعد وضوح الذنب) .

٤ أقلت من عظيم العثرة : سومحت بعد الذنب العظيم الذي ارتكبته (لأول مرة) . ــ الاجتهاد : بذل الجهد (بضم الجيم) التلافي : الاحتياط للمستقبل ، محاولة الاصلاح لما كان قد فسد .

– وقال يرثي زوجته وقد ماتت وتركت طِفلاً رضيعاً :

ألا مَنْ رأى الطِفلَ المُفارقَ أُمَّــه بُعيدَ الكَرى عَيناه تنسكبانِ ؛
رأى كلَّ أمٍّ وٱبنَها ، غيرَ أُمِّه ، يَبيتانِ تحتَ الليل يَنْتَحِيان [1] ،
وباتَ وحيداً في الفِراش تَجنُّــه بَلابلُ قلبٍ دائمِ الخَفَقان [2] .
فلا تَلْحياني إنْ بَكَيْتُ فإنّما أُدواي بهذا الدمعِ ما تَرَيان [3] .
فهَبْني عزمتُ الصبرَ عنها لأنني جليدٌ ، فمن بالصبر لابن ثَمانِ [4]
ضعيفِ القُوى ، لا يطلُبُ الأجرَ حِسْبَةً ،
ولا يأتسي بالنــاسِ في الحَدَثان [5] ؟
فلم أرَ كالأقدار كيف تُصيبني ، ولا مثلَ هذا الدهرِ كيف رماني .
أعينَيّ ، إنْ لم تُسْعِدا اليومَ عَبْرَتي فبئسَ – إذَنْ – ما في غدٍ تَعداني [6] .

– دخل ابنُ الزيّات دارَ المعتصم وابنُ أبي دؤاد هنالك . ولم يَشَأ ابنُ أبي دؤاد أن يَلْقى ابنَ الزيّات فتَشاغَل عنه بالصلاة . فقال ابن الزيّات :

صلّى الضُحى [7] لما استفادَ عَداوتي ، وأراه يَنْسُكُ بعدَها ويصومُ .
لا تَعْدَمَنَّ عَــداوةً مــأجورة تركُتْك تقعُدُ تارةً وتقومُ !

٤ – ديوان الوزير محمد بن عبد الملك الزيّات (جميل سعيد) ، القاهرة (مطبعة نهضة مصر) ١٩٤٩ م .

---

١ – يرى كل طفل آخر وأمه يبيتان (يقضيان الليل) منتحيين (متخذين مكاناً أميناً مريحاً) .
٢ تجنه : تغطيه (تحيط به) . بلابل : هموم . دائم الخفقان (من الخوف والحزن) .
٣ لحاه : شتمه ، لامه .
٤ الجليد : الصبور ، الذي لا تؤثر فيه الاحداث . ابن ثمان : ابن ثماني ليال (اشهر) .
٥ لا يطلب الأجر حسبة : لا يدرك أن المصيبة محتسبة (لها أجر) عند الله . يأتسي : يقلد الناس في أعمالهم الحميدة (في الصبر والتجلد) .
٦ أسعده : ساعده في البكاء مجاراة له وتخفيفاً عنه . ما تعداني غدا (من الاسعاد والمعاونة على البكاء ، أو من الأجر على هذه المصيبة !) .
٧ الضحى : صلاة نافلة (سنة ، ليست فرضاً) يقوم بها الإنسان اختياراً بعد طلوع الشمس بمدة . على أن المسلم اذا أخذ على نفسه أنْ يصلي الضحى يحسن أن يحافظ عليها يومياً (وركعات هذه الصلاة اثنتان على الاقل) .

** الفهرست ١٢٢ ؛ الاغاني ٢٠ : ٤٦ – ٥٦ ؛ وفيات الأعيان ٢ : ٤٥٨ – ٤٦٣ ؛ شذرات الذهب ٢ : ٧٨ – ٧٩ ؛ بروكلمان ، الملحق ١ : ١٢١ .

ديك الجنّ الحمصي

١ – هو ديكُ الجِنّ عبدُ السلام بن رَغبانَ بن عبد السلام بن حبيب بن عبد الله بن رَغبان بن زيدِ بن تميمٍ ، دخل جَدّه الأعلى في الإسلام وشَهِدَ مُؤتة (٨ هـ = ٦٢٩ م) . ويبدو أن أسلاف ديك الجِن انتقلوا فيما بعد إلى سَلَمِيّةَ وتأثّروا فيهما بالدعوة الفاطمية ، ثم انتقل قومٌ منهم إلى حمص .

وُلِدَ ديكُ الجِن في حِمصَ سنة ١٦١ هـ (٧٧٧ م) ، وفيها نشأ خليعاً ماجناً ثم لم يُغادِرْها إلا في فَتَرات يسيرةٍ قَصَدَ فيها سَلَمية ليمدح جعفراً وأحمدَ ابنَيْ عليٍ الهاشميّين . وكانَ ديك الجِن يتشيّع تَشَيّعاً حسناً ، غيرَ أنه كان شديدَ التشعّب والعصبية على العرب ، يقول : « ما للعرب علينا فضلٌ ، جَمَعَتْنا وإياهم وِلادةُ إبراهيم ، وأسلَمْنا كما أسلموا ، ولم نَجِدِ اللهَ فضّلهم علينا » بعد أن جمعنا الإسلام (غ ١٢ : ١٤٢) .

ولمّا مر أبو نواس بحمص في طريقه إلى مِصرَ زار ديكَ الجن .

كان لديكِ الجِنِ جاريةٌ اسمها وَرْدُ ، وكان شديدَ الحب لها ، فاتّهَمَ بها غُلاماً له ، وقيل بل اتّهم بها أخاه (العمدة ٢ : ١٤٢ ، ٢٤١) فقتلها ، ثم نَدِمَ وقال فيها أشعاراً كثيرة .

وكانت وفاة ديك الجن سنة ٢٣٥ هـ (٨٤٩ م) .

٢ – ديك الجِن شاعرٌ مُجيدٌ ، وهو رأسُ المذهب الشامي ، وكان في أيامه شاعرَ الشام إلاّ أنه لم يُذْكَرْ مَعَ أبي تمّام إلاّ مَجازاً (العمدة ١ :٨٣) . وشعرُ ديكِ الجِنِ مُتفاوِتٌ ظاهرُ التكلّف أحياناً ، وفي شعرِه ترصيعٌ (تقسيم الألفاظ على المعاني في البيت الواحد) بارعٌ جداً (العمدة ٢ : ٢٧ ، ٢٨) . وفنونه المدح والرثاء والهجاء والخمريات والغزل مؤنّثاً ومذكّراً . ومُعْظَمُ رثائه في آل البيت ، وله في الحسين بن عليّ مراثٍ منها مرثية : « يا عينُ ، لا للقَضاء ولا للكتب » مشهورة عند الخاص والعامّ يُناح بها . وهو في الرثاء أشهرُ من أبي تمّام ، إذ يَغْلِبُ الرثاءُ على طبعه (العمدة ٢ : ١٤١) . أمـا غزله المؤنّث فقد استفرغه في جاريته ورد .

٣ – المختار من شعره :

– هَوِيَ ديك الجن جارية نصرانية من حمص فأسلمت على يديه وتزوّجها ، وفيها يقول :

انظُرْ إلى شمس القصور وبدرِها ، وإلى خُزاماهـا وبهجة زَهرِها .
لم تَبْكِ عينُك أبيضاً في أسودٍ جمَعَ الجمالَ كوجهِها في شَعرِها .
ورديّةُ الوَجَنات ، يختبر اسمَهـا من رِيقِها من لا يُحيط بخِبْرِها [1] .
وتمايَلَتْ فضَحِكْتُ في أردافهـا عَجَبًا ، ولكني بَكَيْتُ لخَصْرِها [2] .
تسقيك كأس مُدامةٍ من كفّها ورديّةً ، ومُدامةً من ثغرها !

– وتوهّم ديك الجنّ على زوجته ورد خيانة فقتلها ثم ندم على ذلك فقال – ويقول الأصفهاني إن هذه الأبيات تروى للشاعر القديم السُليك بن مُحمَّع . ولكن خصائص هذه الأبيات محدثة لا قديمة – :

يا طلعةً طلع الحِمامُ عليْها ، وجنى لها ثمرَ الردى بيدَيْها ،
رَوَّيتُ من دَمِها الثّرى ، ولَطالَما رَوّى الهوى شفتَيَّ من شَفتَيْها .
قد بات سيفي في مَجال وِشاحها ، ومدامعي تجري على خَدّيْها .
فوحقّ نَعْلَيْها ، وما وَطِئَ الثرى شيءٌ أعزَّ عليَّ من نعليها ،
ما كان قَتْلِيها لأني لم أكُنْ أبكي إذا سقط الذُبابُ عليها ،
لكن ضَنَنْتُ على العيون بحسنها ، وأنِفْتُ من نظر الحسود اليها .

– ولديك الجن خمرية هي أو منها :

بها غيرَ معدولٍ فداوِ خُمارَهـا وصِلْ بعُشيّات الغَبوق ٱبتكارَها [3] .
ونَلْ من عظيم الوزر كلَّ عظيمةٍ إذا ذُكرتْ خاف الحفيظان نارها [4] .
وقُمْ أنت فاحْثُثْ كأسها غيرَ صاغرٍ ولا تَسْقِ إلا خمرَها وعُقارها [5] .
فقام تكاد الكأس تُحرِق كفّه ، من الشمس أو من وَجْنتيه ٱستعارها .

---

[1] الخبر (بكسر الخاء) : العلم بالشيء واختباره .
[2] سررت من أردافها (لكبر اردافها) وبكيت (أشفقت على) خصرها (لنحوله) اذ تعجبت كيف يستطيع أن يحمل جسمها الممتلىء .
[3] الغبوق : شرب الخمر مساء . الابتكار : الصبوح (شرب الخمر صباحاً) .
[4] الحفيظان : ملكان من الملائكة يكتبان أعمال الانسان . – خافا النار عليه .
[5] خمرها وعقارها (العقار الخمر) ، كذا في الأصل ؛ لعل الأصوب : صرفها وعقارها .

ظَلِلْنا بأيدينا نُتَعْتِعُ روحَها ، فتأخذ من أقدامنا الراحُ ثارَها [1] .
مورّدةٌ من كفِّ ظبيٍ كأنّما تناولها من خدِّه فأدارها !

٤ — ديوان ديك الجنّ الحمصي (عبد المعين الملّوحي ومحيّي الدين الدرويش) ، بلا اسم لمكان الطبع وبلا تاريخ .
ديوان ديك الجنّ الحمصي (حقّقه .... أحمد مطلوب وعبد الله الجبوري) بيروت (دار الثقافة) ١٩٦٤ م .
•• ديك الجنّ الحمصي ، تأليف يعقوب العويدات ، مصر (مطبعة المقتطف والمقطّم) ١٩٤٨ م .
الاغاني ١٤ : ٥١ — ٦٧ ؛ وفيات ١ : ٥٢٥ — ٥٢٧ ؛ بروكلمان ١ : الملحق ١ : ١٣٧ ؛ زيدان ٢ : ٩٦ — ٩٧ ،
Enc . Isl . II 275 - 6 .

محمّدُ بنُ وُهيبٍ

١ — هو أبو جعفرٍ محمّدُ بنُ وُهيبٍ الحِمْيَريّ ، وُلِدَ في البصرة ونشأ فيها ثم سكن بغداد . وقد كان مُضَيَّعاً مَطْروحاً يتصدّى للعامّة وأوْساطِ الكتّاب (غ ١٧ : ١١٤) يتكسّبُ منهم بشعرِه ، حتى دخل المأمونُ بغدادَ (٢٠٤ هـ) فمدحه ثم مدح المعتصمَ (٢١٨ — ٢٢٧ هـ) فحَسُنَتْ حالُه قليلاً .

مدح ابن وهيب المُطّلبَ بن عبدِ الله بن مالكٍ والِيَ المَوْصِلِ (١٩٦ — ١٩٨ هـ) ومصرَ (١٩٨ — ٢٠٠ هـ) وعليَّ بنَ هِشامٍ والِيَ الرّيِّ وأذربيجان (٢١١ — ٢١٧) . ثمّ انه انقطع إلى الحسنِ بن سَهْلٍ (ت ٢٣٦ هـ) فما مدح بعدَ ذلك أحداً غيرَه .

وكانت وفاة محمّد بن وهيب في بغداد ، ولعلّها لم تتأخّرْ عن ٢٤٠ هـ (٨٥٤ م) [2] .

١ كنا نتناول الخمر بأيدينا ونعبث بهـا ، فكانت تنتقم من أرجلنا (تجعلنا مضطربي الخطى في السير) .
٢ كان الاستاذ حسن الكرمي قد ذكر شيئاً عن محمد بن وهيب هذا (هنا لندن ، رقم ١٣٦ ، بتاريخ ١٢—٦—١٩٦٥ م) . ثم اني سألته اذا كان قد وقع على تاريخ وفاة هذا الشاعر فكتب الي رسالة (بتاريخ ٢٧—٦—١٩٦٥ م ، لندن) يذكر فيها أنه لم يعثر على مصدر ذكر ذلك . ثم ذكر أيضاً أن الأبيات الجيمية قد تلفى منسوبة لصالح بن جناح اللخمي (كتاب الصناعتين للعسكري ، القاهرة ١٩٥٢ م ، ص ٣٤٦) والى محمد بن حازم الباهلي (معجم الشعراء للمرزباني ، بتحقيق عبد الستار أحمد فراج) .

٢ – محمّد بن وهيب شاعرٌ مطبوع رقيقٌ ومكثرٌ مُطيل ومُجيد مُحسن ، ولكنّ ابنَ النديم يذكرُ أن ديوانَه خمسون ورقةً (الفهرست ١٦٥) أو ألفُ بيتٍ . ثم هو متين السبك سَهْلُ الشعرِ واضح المعاني . وفنونه الحكمة والمدح والغزل والنسيب والهجاء والفخر .

٣ – المختار من شعره

– قال محمدُ بنُ وهيبٍ في الفخر والحكمة :

لئنْ كُنتُ مُحتاجاً إلى الحِلْم ، إنني ... إلى الجهل في بعض الأحايين أحوجُ[١] .
ولي فَرَسٌ للحِلم بالحِلم مُلْجَمٌ ، ... ولي فرس للجهل بالجهل مُسْرَج .
فمَن رامَ تقويمي فإني مُقَوَّمٌ ، ... ومَن رام تعويجي فإني مُعَوَّج .
وما كنتُ أرضى الجهلَ خِدْناً وصاحباً، ... ولكنني أرضى به حين أحْرَج[٢] .
ألا ربما ضاق الفضاءُ بأهلِـه ... وأمكن من بين الأسِنّةِ مَخْرَج .
وإنْ قال بعضُ الناسِ : فيه سماجةٌ ، ... فقد صدقوا ؛ والذُّلّ بالحرّ أسمَج !

– وقال محمّد بن وهيب يمدح أبا اسحقَ محمداً المعتصمَ بالله العبّاسي :

ثلاثةٌ تُشْرِقُ الدّنيا ببَهْجَتِهِمْ ، ... شمسُ الضُّحى وأبو اسحقَ والقمرُ .
تحكي أفاعيلَـه في كلّ نائبـةٍ ... الغيثُ والليثُ والصَّمْصامةُ الذَّكَر[٣] .

– لمّا تولى المطّلب بن عبدالله بن مالك الخُزاعي على المَوْصِل (١٩٦ هـ) قصده محمد بن وهيب ومدحه فقال :

دِماءُ المُحِبّينَ لا تُعْقَلُ . ... أما في الهوى حَكَمٌ يَعْدِلُ[٤] !

---

١ الجهل : خلاف الحلم (معاملة الناس معاملة جافية مع الاعتداد بالقوة) .

٢ الخدن : الصاحب الذي يوافقك في ظاهر أمورك وباطنها .

٣ تحكي : تشبه . الغيث : المطر . الليث : الاسد . الصمصامة : السيف الذي لا ينثني . الذكر : (السيف) الذي توضع فيه الذكرة (بضم الذال) = حديدة توضع في رأس السيف (والأصوب هو الذي سقي بالماء وهو شديد الحرارة – والماء بارد – فأصبح أكثر صلابة) .

٤ لا تعقل : لا تدفع ديتها (بكسر الدال وفتح الياء بلا تشديد) . يعدل : يجعل للقتيل في الهوى دية كما للقتيل العادي دية .

تَعَبَّدَني حَوَرُ الغانيـــاتِ ودانَ الشَّبابُ – له الأخْضَلُ [١] .
ونَظْرةِ عينٍ تَلافَيْتُهـا ضِراراً ، كما يَنْظُرُ الأحول .
مُقَسَّمَةً بينَ وجهِ الحبيبِ وطَرْفِ الرقيبِ متى يَغْفُلُ .
أذمّ على غُرُبات النَّـوى إليكَ السُلُوُّ ولا أذْهَـلُ [٢] .
وقالوا : عَزاؤكَ ، بعد الفراق ، إذا حُمّ مَكْروهُهُ أجْمَلُ [٣] .
أقِيدي دماً سَفَكَتْهُ العيونُ بإيماضٍ كَحْلاءَ لا تُكْحَلُ [٤] ،
فكلّ سِهامِكِ لي مُقْصِدٌ ، وكلّ مَواقِعُها مَقْتَلُ [٥] .
سلامٌ على المَنْزِلِ المُسْتَحيلِ وإن ضنّ بالمَنْطِقِ المنزل .
وغَضّ الضَّريبةِ يَلْقَى الخُطوبَ يَجِدّ عن الدهر ما يَنكُلُ [٦]
تَغَلْغَل شَرْقاً إلى مَغْرِبٍ ؛ فلمّا تَبَدّتْ له المَوْصِلُ
ثَوى حيثُ لا يُستَمالُ الأريبُ ولا يُؤْلَفُ اللَّقِنُ الحُوَّلُ [٧] ،
لدى مالكٍ قابَلَتْهُ السُّعودُ وجانَبَهُ الأنجُمُ الأُفَّلُ [٨] ؛
لأيّامهِ سَطَواتُ الزمانِ ، وإنعامُهُ حيثُ لا مَوْئِلُ [٩] .
سما مالكٌ بكَ للباهراتِ ، وأوْحَدَكَ المَرْبَأُ الأوّلُ [١٠] .

---

١ الحور : اشتداد البياض في بياض العين واشتداد السواد في سوادها . الاخضل : الندي ، المبتل (الشباب الندي في شدته وعنفوانه) .
٢ الغربات جمع غربة (بفتح الغين وسكون الراء) : البعد ، البعاد . النوى : البعاد أيضاً .
٣ حم الفراق : نزل ، وقع .
٤ أقيدي دماً : خذي بثأر قتيل لك في الهوى بنظرة ثانية اليه من عينيك تحييه . العين الكحلاء التي فيها كحل طبيعي .
٥ مقصد : قاتل ، الذي يصيب مقتلا من الانسان .
٦ غض : طري ، ناعم . الضريبة : الطبيعة . غض الضريبة (الشاب !) . نكل من الامر : جبن ورجع عنه.
٧ الاريب : العاقل . اللقن : السريع الحفظ والفهم . الحول : الواسع الحيلة السريع التقلب . – معنى البيت ان الشاعر مكث في الموصل مع انه لا شيء فيها يغري بالمكث لولا وجود الممدوح فيها (راجع البيت التالي) .
٨ الافل : التي تأفل (تغيب) لأن النجوم التي لا تغيب (في رأى العين) كانت عند القدماء أشرف من النجوم التي تغيب .
٩ حيث لا موئل : لا موئل (مأمن) من سطواته ولا موئل (ملجأ عند غيره) للحصول على النعم .
١٠ الباهرات : الأمور الباهرة (العظيمة) في الكرم والشجاعة الخ . أوحدك : جعلك واحد زمانك (لا نظير لك) . المربأ : المكان العالي يشرف الانسان منه على ما حوله (جدك القديم) .

وليسَ بعيداً بأن تَحتَذي   مَذاهبَ آسادِها الأشبُل .

٤ – •• عيون الاخبار ٣ : ٢٨٩ ؛ الاغاني (الساسي) ١٧ : ١٤١ – ١٥٠ ؛ طبقات ابن المعتزّ ٣١٠ – ٣١٣ ؛ معجم الشعراء للمرزباني ٣٥٧ – ٣٥٨ ؛ المصون في الأدب ١٢٦ ، ١٦٨ ؛ أعيان الشيعة (١٩٦٠م) ٤٧ : ١٤٥ – ١٤٧ .

عبد الصمد بن المعذّل

١ – هو أبو القاسمِ عبدُ الصَمَدِ بن أبي عمرو المُعَذّلِ بن غَيلانَ بن الحكم بن البُختري من بني أسدِ بن ربيعةَ ؛ وأمّه أمّ وَلَدٍ اسمُها الزرقاء . كان مولده ومنشأه في البصرة ، وكان له فيها بستانٌ نظيفٌ عامر . وكان عبد الصمد بن المعذّل خبيثَ اللسان وخبيث القلب ، فيما يبدو ، متكبّراً شديدَ العداوة : كان له أخٌ اسمُه أحمدُ أديبٌ شاعرٌ تقيّ وجيهٌ عند الناس ومن رؤساء المعتزلة في وقته ، وكان بين الأخوَيْنِ جفوةٌ .

وكانت وفاة عبد الصمد في حدود ٢٤٠ هـ (٨٥٣ م) .

٢ – كان عبدُ الصمد بن المعذّل شاعراً فصيحاً ظريفاً سريعَ القول في الشعر شديدَ العارضة ، ينْظِمُ رَجَزاً وقصيداً ، مشهوراً بجودة المُقَطّعات ؛ ثم هو من فُحول المُحدَثين وصدورِهم المعدودين ، ولكن غَمَرَهُ أبو تمّامٍ (العمدة ١ : ١٦٣ ، ٨٣ ، راجع ٨٩ – ٩٠) . وفي شعره شيءٌ من المتانة وكثير من المَرَح حتى في مواقفه الجِدّية في المديح . وفنون شعره المديح والرثاء والهجاء قليلاً ثم الوصف والغزل بنوعيه . وكذلك له فخر بنفسه وعتاب . وفي فخره يمدح نفسه بالقناعة ويعتذر عن مظهره الرثّ . وله أوصاف في الحقول والرياض والأزهار والخمر والنخل ، وله وصف للحمّى .

٣ – المختار من شعره

– استحسن عبد الله ابن المعتزّ لعبد الصمد بن المعذّل قوله :

ناديته ، وظلام الليل معتكِرٌ   تحت الرُواق دَفيناً في الرياحين ،

فقلت : قم ، قال : رِجلي لا تُطاوعني . فقلت : خُذْ ، قال : كفّي لا تُواتيني .
إني غَفَلْتُ عن الساقي فصيّرني — كما تراني — سَليبَ العقل والدين!

— وقال أبو الهلال العسكري (ديوان المعاني ١ : ١٢٥) : أجود ما قيل في الاختيار قول ابن المعذّل :

رأتنا أمُّ عمرٍو فازْدَرَتْنا ، ونِقْضُ الحرب[١] منظرُه زَرِيّ .
إذا لم تقدحي زَنْدَيْكِ يوماً ، فما يُدْريك أيُّهما الوَرِيّ ! [٢]
سلي بي تُخْبَري أني طَروبٌ إلى الأيسار أبلجُ بُختُريّ [٣] .
واني حين تختلف العَوالي إلى الأبطال أكْيَسُ قَسْوَرِيّ [٤] .
كليني للندى والبأس ، إني بكلِّ بَسالةٍ ونَدىً حَرِيّ !

— وله في وصف الرياض والبساتين (ديوان المعاني ٢ : ١٥) :

معانٍ من العيش الغَرير ومَعْمَرٌ ، ومَبْدىً أنيقٌ بالعُذَيب ومَحْضَرُ [٥] .
نما الروضُ منه في غَداةٍ مَربعةٍ لها كوكبٌ يَستأنقُ العينَ أزْهَرُ [٦] .
ترى لامعَ الأنوار فيها كأنّه ، إذا اعترضته العين ، وَشْيٌ مُدَنّرُ [٧] .

---

١ ازدرى : احتقر . الزري : الرث المنظر . نقض الحرب (بكسر النون) : المهزول من معاناة الحروب؛ المكافح في الحياة .
٢ — اذا كان عندك زندان (حديدتان لقدح النار من الحجر) فلا تمتّر بمظهرهما ، بل جربهما ، فان أفضلهما ما كان أحسن قدحاً لا أحسن هيئة .
٣ حين تختلف العوالي (الرماح) : في الحرب . أكيس : أكثر عقلا ، كثير العقل والمعرفة (بفن الحرب) . قسوري : شجاع (القسورة : الاسد) .
٤ طروب الى الايسار (هنا : الجمال التي تذبح) : كريم ، جواد . أبلج : أبيض ، وضاح الوجه : من أصل كريم . البختري : الحسن المشي والجسم . وهو أيضاً المنسوب الى البختري (أحد أجداد الشاعر) .
٥ الغرير : الذي يغر ويعجب . معمر : مكان مسكون . مبدى : مكان ينزل له الناس في البادية . المحضر : مسكن في الحضر . — هذا البستان يجمع خصالا حميدة جمة : هو مأهول وبعيد عن (ضجة) العمران وقريب من (الوصول الى) المدينة . العذيب : واحة مشهورة في
٦ الكوكب : ما طال من النبات . يستأنق : يعجب . أزهر : أبيض مشرق . — نما نباته في صباح (ليلة) كان فيها (مطر) كثير .
٧ يتخلل النور أغصانها فتحتاله العين كأنه زركشة مدنرة (فيها دوائر صغيرة ، كالدنانير) .

تسابق فيه الأُقحُوانُ وحَنْوَةٌ ، وساماهما رَنْدٌ نضير وعَبْهَرٌ [1] .
يَمُجّ ثراها فيه عَفْراءَ جَعْدَةً كأن نَداها مساءُ وَرْدٍ وعَنْبر [2] .
بدا الشيح والقَيْصوم ، عند فروعه ، وشتٌ وطُبّاقٌ وبانٌ وعَرْعَرٌ [3] ،
وناضرُ رُمّانٍ يَرِفّ شَكيرُهُ يكاد ، إذا ما ذَرّت الشمس ، يقطُر [4] ،
ويانعُ تفّاحٍ كأن جَنِيّه نجومٌ على أغصانه الخُضْرِ تَزْهَر [5] .
إذا زُرْتَه يوماً تغرّدَ طائرٌ ، وراناك ظَبْيٌ ، بين غُصْنين ، أحور [6] .

٤ — •• طبقات ابن المعتز ٣٦٨ — ٣٨٠ ؛ الاغاني ١٣ : ٢٦٦ — ٢٨٤ ؛ فوات الوفيات ١ : ٣٥٣ .

ابراهيم بن العبّاس الصولي

١ — هو أبو اسحقَ إبراهيمُ بن العبّاس بن محمّد بن صول تكين . كان تكين أحدَ ملوك جُرجانَ تركيّاً مَجوسياً فأسلمَ على يدِ يَزيدَ بنِ المُهَلّب .

---

١ — تسابق (في النمو) في هذا البستان الاقحوان (زهرة لها بتلات بيض أفقية تحيط بقلب أصفر يشبه نصف الكرة) . والحنوة : آذريون البر (زهر أبيض مقمر في قلبه بقع سمر) . سامى : نافس . الرند : شجر طيب الرائحة ، الآس . النضير : الدائم الخضرة . العبهر : النرجس أو الياسمين .

٢ — ترى سطح أرضها متجعداً أسمر صافياً كأن نداه (مزاجه ليترطب) بماء الورد ، العنبر (مادة طيبة الرائحة سمراء اللون) .

٣ الشيح والقيصوم : نباتان طيبا الرائحة . الشت ليست في القاموس ، ولعلها الشبث (بكسر الباء) : البقلة . الطباق : شجر منابته جبال مكة نافع للسموم والحكة والحمى واليرقان . البان : شجر له أغصان طوال مستقيمة سمر تميل الى الحمرة . عرعر : شجر السرو . — يبدو أن الشاعر لا يريد أن يسمي أشجاراً بأعيانها بقدر ما يريد أن يقول أن بستانه يجمع أنواع النبات الجميلة والنادرة .

٤ رفّ : لمع ، أشرق . الشكير : الغصون الطرية الخارجة من الاغصان الكبيرة حديثاً . — تلمع في ضوء الشمس حتى تبدو (لنضارتها وطراوتها) وكأنها سيقطر منها ماء . ذرت : طلعت .

٥ اليانع : الناضج القريب الحصاد أو القطاف . الجني (في القاموس) : الثمر الذي قطف لساعته . وهنا الثمر الذي دنا وقت قطفه .

٦ راني : (في القاموس) دارى ؛ (وهنا) : يتطلع اليك بحذر . الأحور : شديد سواد العين وشديد بياض بياضها .

وكان محمد بن صول تكين ، وكُنيته أبو عُمارة ، من رجال الدولة العبّاسية ودُعاتها .

وُلِدَ إبراهيم بن العبّاس صاحب هذه الترجمة سنة ١٧٦ هـ (٧٩٢ م) ، وقيل سنة ١٦٧ هـ . وهو بغداديّ المنشأ والمسكن ، نال حَظوةً في الدولة فتقلّب في عدد من الوظائف الجليلة : كان كاتباً للفضل بن سهل وزيرِ المأمون في مرو ، وقد قَتَلَ المأمونُ وزيرَه الفضلَ في شعبان سنة ٢٠٢ هـ (٨١٨ م) . وفي أيام الواثق (٢٢٧ — ٢٣٣ هـ) كان عاملاً على الأهواز . في هذه الأثناء وقعت الوَحشة بينَه وبين الوزير محمد بن عبد الملك الزيّات ، بعد أنْ كانا صديقين حَميمين ، فعزله عن عمله على الأهواز . وفي أيام المتوكّل تولّى إبراهيم ديوانَ النفقات والضياع في سامرّا ، وظلّ يتولاّه إلى أن تُوُفِّيَ في منتصف شعبانَ سنة ٢٤٣ هـ (٨-١٢-٨٥٧ م) .

٢ — كان ابراهيم الصولي مُجانباً للجِدّ منصرفاً في حياته إلى المَرَح واللهو والقَصْف والمُجون . وهو شاعرٌ وكاتبٌ ومترسّل جَمَعَ إلى جودةِ الشعر جودةَ النثر ، ونثرُه بديع . ثم هو شاعرٌ مُجيد رقيق يقول بعد رَويّةٍ ويقول ارتجالاً ولكنّه مُقِلّ لأنه يختار شعرَه ويُنقّحه ، وربّما نظم القصيدةَ ثم رَجَعَ فيها بالحذفِ حتى لا يدعَ منها إلاّ البيتين أو البيت ، ولذلك كان شعره مُقطّعات قلّ أنْ زادتْ على عَشْرةِ أبياتٍ . أما فنون شعره فهي المدح والهجاء والغزل والحماسة والأدب ، وكان في شعره شُعوبية جريئة . وقد مدح ابراهيمُ الصوليّ نفراً منهم المتوكّلُ وعليّ الرِضا والفضلُ بن سهلٍ والمعتزّ ، ولكنّه لم يتكسّبْ بالمديح . وهجا ابراهيم الصولي عَدُوّه ابنَ الزيّاتِ حياً وميْتاً .

٣ — المختار من شعره ونثره

— كتب ابراهيم بن العبّاس إلى محمّد بن عبد الملك الزيّات يُعاتبه :

وكنتَ أخي بإخاء الزمانِ ، فلما نَبا صِرت حرباً عَوانا[١] .
وكنتُ أذُمّ اليك الزمـانَ ، فأصبحتُ فيك أذمّ الزمانا .

١ بإخاء الزمان : لما كان الزمان أخاً (مصافياً) لي . نبا : بعد ، جفا (لما عاداني الزمان) . عوان : شديدة .

وكنتُ أُعِدّكَ للنائباتِ ، فها أنا أطلبُ منك الأمانا !

ـ وتوفي ابن له فقال يرثيه :

كنتَ السوادَ لناظري ، فبكى عليك النـاظرُ .
من شاءَ بعدك فليَمُتْ ، فعليك كنتُ أحاذر !

ـ اتّهَمَ ابراهيمُ بنُ المدبرِ ابراهيمَ الصوليَّ في عمله ، فجمع الخليفـةُ المتوكّلَ بينهما لجلاء التُهْمة . فلما وصلَ ابراهيمُ الصوليَّ إلى ديوان الخلافة ، في أول المساء ، اتفق أن رأى الهلالَ (الجديد) . فلما سلّم على المتوكّلِ هنّأه بالشهر الجديد . ثم أخذ المتوكّلُ في استجلاء التُهمة فأراد ابراهيمُ الصوليَّ أن يدفعَ التهمة عن نفسه بالبلاغة لا بالحُجّة ، لأن التهمة كانت صحيحة إلى حدّ ما . فقال عندئذ للمتوكّل : ان الأمر كما قلت فيك :

رَدَّ قولي وصدّقَ الأقوالا ، وأطاع الوُشاةَ والعُذّالا .
أتراهُ يكونُ شهرَ صدودٍ وعلى وَجْهِهِ رأيتُ الهِلالا !

فصرف المتوكل النظر عن قول ابن المدبر .

ـ وله أشعار كِثارٌ في الشكوى من الإخوان ، منها :

لو قيل لي : خُذْ أمـانـاً من أعْظَمِ الحِدْثانِ ،
لَمَا أخذتُ أمـانـاً إلاّ من الخُلاّنِ !

ـ ومما يُستجادُ له مدحُه للفضل بن سهل :

لِفَضْلِ بنِ سهلٍ يدٌ تَقاصَرَ عنها الأملْ :
فباطِنُها للنّـدى [1] ، وظاهِرُها للقُبَـلْ .
وبَسْطَتُها للغـنى ، وسَطوَتُها للأجلْ !

ـ ولَرُبَّ نازلةٍ يضيقُ بها الفتى ذَرْعاً ، وعندَ الله منها المَخْرَجُ.
ضاقت ، فلمّا اسْتَحْكَمَتْ حَلَقاتُها فُرِجَتْ ، وكنتُ أظنّها لا تُفْرَجُ !

ـ قال ابراهيم بن العباس الصولي يهنّىءُ الواثقَ بالخلافة ويُعزّيه بأبيه المُعْتصِمِ :

---

[1] الندى : الكرم .

إنَّ أحقَّ الناسِ بالشُكْرِ مَنْ جاء به عن الله [1] ، وأولاهم بالصبر من كان سَلَفَهُ رسولُ الله . وأميرُ المؤمنين أعزّه الله ، وآباؤه نَصَرَهُمُ اللهُ ، أولو الكتابِ الناطقِ عن الله بالشكر وعِترةُ [2] رسولِ الله المخصوصون بالصبر . وفي رسول الله أحسنُ العزاء . وقد كان مِنْ وَفاةِ أميرِ المؤمنين المعتصمِ بالله ، ومن مشيئة الله في وِلاية أمير المؤمنين الواثقِ بالله ، ما عفا [3] على أوّله آخرُه وتلافت بَدْأتُه عاقبتُه . فحَقُّ الله في الأولى الصبرُ ، وفَرْضُه في الأُخرى الشكرُ . فإن رأى أميرُ المؤمنين أنْ يَسْتَنْجِزَ ثوابَ الله بصبرِهِ ويَسْتَدعيَ زِيادتَه بشُكرِه فَعَلَ ، إن شاءَ اللهُ وحدَه !

٤ – شعر الكاتب الشاعر المطبوع ابراهيم بن العبّاس الصولي ، صنعه ابن أخيه أبو بكر محمد بن يحيى الصولي الشطرنجي (ع العزيز الميمني) ، مجموع في « الطرائف الأدبية » ، القاهرة (لجنة التأليف والترجمة والنشر) ١٩٣٧م.

•• الفهرست ١٢٢ ؛ الاغاني ١٠ : ٤٣ وما بعد ؛ تاريخ بغداد ٦ : ١١٧ – ١١٨ ؛ معجم الأدباء ١٦٤ – ١٩٨ ؛ وفيات الاعيان ١ : ١٥ – ١٧ ؛ شذرات الذهب ٢ : ١٠٢ – ١٠٣ .

ابن السِكّيت

١ – كان اسحقُ السكّيت من أهل دَوْرَق في خُوزستان ، ومن أصحاب الكِسائي ، عالماً باللغة والنحو والشعر ؛ وسمّي السكّيت لطول سكوته (راجع الفهرست ٧٢) .

أما أبو يوسف يعقوب ، ابن اسحق السكّيت ، فقد وُلِدَ نحو سنة ١٨٥ هـ (٨٠١) وتلقّى علومَه الأولى على أبيه ثم جعل يساعد أباه في تعليم صِبيانِ العامّة في بغداد .

بعدئذ انصرف ابن السكّيت إلى تعلّم النحو من البصريين والكوفيين فأخذ عن أبي عمرٍو الشيباني والفرّاء وابن الأعرابي ، وروى عن الأصمعي وأبي عُبيدةَ وغيرهم .

---

[1] كذا في الأصل . [2] أسرة (عائلة) . [3] عفى !

وانتقل ابن السكّيت إلى سامرّا فكان يُؤدّبُ فيها أولادَ المتوكّل . وغَضِبَ المتوكّل على ابن السكّيت فأمر بضربه وتعذيبه فمات ابن السكّيت متأثّراً بذلك في خامس رجب ٢٤٤ هـ (١٧–١٠–٨٥٨ م) .

٢ – كان ابن السكّيت عالماً بالقرآن وبنَحْوِ الكوفيين وراويةً ثِقَةً للّغة والشعر ، وشاعراً مُحْسِناً .

ولابن السكّيت كتب أشهرُها إصلاح المنطق ، وله كتاب الأمثال ، كتاب الأيام والليالي ، كتاب سَرِقات الشعراء وما تواردوا عليه ، كتاب معاني الشعر (نسخة كبيرة ونسخة صغيرة) . ثم له كتاب النوادر ، كتاب الأضداد ، كتاب النبات والشجر ، كتاب الإبل ، كنز الألفاظ ، القلب والإبدال ، شرح ديوان طَرَفَةَ ، شرح ديوان طُفيلٍ الغَنَوِيّ ، شرح ديوان عُروةَ ، شرح ديوان المزرّد ، شرح ديوان الخنساء ، الخ ... (راجع معجم الأدباء ٢٠ : ٥٢ ، وفيات ٣ : ٣٤٩ ، الفهرست ٦٢) .

٣ – المختار من شعره

– إذا اشْتملتْ على اليأسِ القلوبُ ، وضاق لِمَا به الصدرُ الرّحيب [١] ،

وأوطنتِ المكارهُ واستَقَلّتْ وأرْسَتْ في أماكنها الخُطوب [٢] ،

ولم تَرَ لانْكشافِ الضّرِ وَجْهـاً ولا أغْنَى بحيلته الأريب [٣] ،

أتاك على قُنوط منه غَـوثٌ يَمُنُّ به اللطيفُ المستجيب [٤] .

وكلّ الحادثاتِ وإنْ تناهتْ فموصولٌ بهـا فَرَجٌ قريبُ !

٤ – كنز الحفّاظ في تهذيب الألفاظ ، هذّبه أبو زكريا التبريزي (وقف على طبعه شيخو) ، بيروت (المطبعة الكاثوليكية) ١٨٩٥ م .

كتاب مختصر تهذيب الالفاظ (نشره شيخو) ، بيروت (المطبعـة

---

١ الرحيب : الواسع .

٢ الخطوب : المصائب .

٣ الاريب : العاقل .

٤ غوث : عون ، مساعدة . اللطيف المستجيب = الله تعالى .

الكاثوليكية) ١٨٩٧ م .

كتاب الالفاظ بشرح التبريزي (شيخو) ، بيروت (المطبعة الكاثوليكية) ١٨٩٦ – ١٨٩٨ م .

كتاب القلب والابدال (في كتاب « الكنز اللغوي في اللسن العربي » ، نشره هوفنر ، بيروت ، المطبعة الكاثوليكية ١٩٠٣ م ، ص ٣ – ٦٥) .

كتاب الاضداد (نشره هوفنر في « ثلاث رسائل ») ، بيروت ١٩١٢ م .

اصلاح المنطق (نشره صالح بن علي) ، القاهرة ١٣٢٥ هـ (١٩٠٧ م) ؛ نشره بدر الدين النعساني) ، القاهرة ١٩١٣ م ؛ نشر في حيدر اباد (دائرة المعارف العثمانية) ١٣٥٤ هـ ؛ (نشره أحمد محمد شاكر وعبد السلام محمّد هارون) ، القاهرة (دار المعارف) ١٩٤٩ م .

ديوان الحطيئة بشرح ابن السكّيت والسكّري والسجستاني (تحقيق نعمان امين طه) ، القاهرة (البابي) ١٩٥٨ م .

شرح ديوان عروة بن الورد لابن السكّيت (اعتنى بتصحيحه محمّد بن أبي شنب) ، الجزائر (كربونل) ١٩٢٦ م ؛ (حقّقه عبد المعين الملّوحي) ، دمشق (وزارة الثقافة والارشاد القومي) ١٩٦٦ م .

•• الفهرست ٧٢ – ٧٣ ؛ تاريخ بغداد ١٤ : ٢٧٢ – ٢٧٤ ؛ طبقات الزبيدي ٢٢١ – ٢٢٣ ؛ معجم الأدباء ٢٠ : ٥٠ – ٥٢ ؛ انباه الرواة (راجع ١ : ٢٢٠) ، بغية الوعاة ١٩١ ؛ شذرات الذهب ٢ : ١٠٦ ؛ بروكلمان ١ : ١٢٠ – ١١١ ، الملحق ١ : ١٨٠ – ١٨١ ؛ زيدان ٢ : ١٣٦ – ١٣٧ .

محمّد بن حبيب [١]

هو أبو جَعْفر محمّدُ بنُ حبيبَ ، وحبيبُ أمّه ولا يُعْرَفُ اسمُ أبيه في الأغلب . وكانت أمّه مولاةً لبني هاشمٍ ثم لمُحمّدِ بن العبّاسِ بن محمدِ الهاشميّ

١ قيل في محمد بن حبيب أنه ولد ملاعنة (لم يعترف زوج أمه أنه ابنه) فحبيب اسم أمه ، وعلى هذا يكون « حبيب » ممنوعاً من الصرف .

(راجع معجم الأدباء ١٨ : ١١٣) .

كان محمدُ بن حبيبَ من أهلِ بغدادَ ، وكان له مكتبٌ يعلّم فيه الصبيانَ ؛ ولم يكن يُملي في المساجد بل في مكتبهِ . وقد كانت وفاته في سامرّا ، في ٢٣ من ذي الحِجّة ٢٤٥ هـ (٢١-٣-٨٦٠ م) .

لمحمدِ بنِ حبيبَ كتبٌ كثارٌ مختلفة الموضوعاتِ ، وقد اتُّهِمَ بأنه كان يُغيرُ على الكتب فيدّعيها (معجم الأدباء ١٨ : ١١٣) - من كُتُبهِ : كتاب النسب ، كتاب القبائل الكبير ، كتاب أمّهات أعيان بني عبد المطّلِب ، كتاب الأرحام التي بين رسول الله صلّى الله عليه وسلّم وبين أصحابه سوى العَصَبة (ما عدا أعمامه من بني هاشم) ، كتاب المُحبَّر والموشّى (كلاهما في التاريخ) الخ . أما كتبه المتعلّقة بالأدب فمنها : كتاب المنمّق (مجموع أمثال على «أفعل») ، المذهّب في أخبار الشعراء وطبقاتهم ، نقائض جرير وعمر بن لجأ ، نقائض جرير والفرزدق ، كتاب من سُمِّيَ ببيت قاله ، كتاب الشعراء وأنسابهم ، كتاب كُنى الشعراء ، كتاب أيام جريرٍ التي ذكرها في شعره ، ديوانِ زُفَرَ بن الحارث ، كتاب شعر الشمّاخ ، شعر الأُقيشر ، شعر الصِمّة ، شعر لَبيد .

- مختلف القبائل (فستنفلد) ، غوتنغن ١٨٥٠ م .

** الفهرست ١٠٦ ؛ تاريخ بغداد ٢ : ٢٧٧ - ٢٧٨ ؛ طبقات الزبيدي ١٥٣ - ١٥٤ ، ٢١٦ ؛ معجم الأدباء ١٨ : ١١٢ - ١١٧ ؛ الوافي بالوفيات ٢ : ٣٢٢ ؛ انباه الرواة ٣ : ١١٩ - ١٢١ ؛ بغية الوعاة ٢٩ ؛ بروكلمان ١ : ١٠٥ ، الملحق ١ : ١٦٥ - ١٦٦ ؛ زيدان ٢ : ٢٢٥ - ٢٢٦ .

دعبل بن عليّ الخزاعيّ

١ - هو دِعبِلُ بنُ عليِّ بنِ رَزينٍ من بني خُزاعةَ ، وُلِدَ في الكوفة ، سَنَةَ ١٤٨ هـ (٧٦٥ م) ، ونشأ فيها يُعاشِرِ المُجّان والخُلعاء . ثمّ إنّه انتقل إلى بغدادَ ، في أولِ شَبابه ، فلَقِيَ فيها مُسلِمَ بنَ الوليدِ فعُنِيَ

به مسلمٌ وكان أستاذَه في نَظْمِ الشعر .

في سنة ١٧٠ هـ (٧٨٦ م) جاء هرونُ الرشيدُ إلى الخلافة فأوصلَ مُسْلِمُ بنُ الوليدِ تِلْميذَه دِعْبِلاً إلى الخليفة الجديد . ولكنّ هرون الرشيدَ لم يَحْفِلْ بهذا الشابِّ ، فـآثرَ دِعْبِلُ أنْ يُغادرَ بَغدادَ لِيَتَطوّفَ في البلادِ مُتَكَسِّباً .

في سنة ١٧٣ هـ (٧٨٩ م) ، خَلَفَ العباسُ بن جعفر بن محمّدِ بن الأشعث أباه في وِلاية نيسابور ، فجعل دِعبِلاً عاملاً له على سَمَنْجان من بـلاد طُخارستان ، ولعلّ شيئاً من القَرابة كان يجمع بين العباس وبين دِعبلٍ . ويبدو أن عملَ دعبلٍ على سمنجانَ انتهى بانتهاء ولاية العبّاس على نيسابور (١٧٤ هـ) ، فعاد دِعْبِلٌ إلى بَغدادَ واستقرّ فيها مُدّةً طويلةً كانت صِلَتُه في أثنائها بِبَلاطِ هرونَ الرشيدِ وثيقةً . غير أن دِعْبِلاً آثرَ أن يُغـادرَ البَلاطَ بعدَ نَكْبَة البرامكة (١٨٧ هـ = ٨٠٣ م) خوفاً من أنْ تَعُمّه نِقْمةُ الرشيد .

ثم عادَ العبّاسُ بن جَعْفَر بن محمّدِ بنِ الأشعث إلى وِلايـة نيسابورَ (١٩٣ هـ ، ٨٠٩ م) ، ولكنّنا لا نَعْلَمُ إذا كان دِعْبِلٌ قد عاد مَعَه إلى عَمَلٍ ما في تلك النواحي . غير أنّ الذي نَعْلَمُهُ أنّ الفضلَ بنَ سَهْلٍ وَزَرَ للمأمونِ (١٩٦ هـ = ٨١٢ م) ، والمـأمونُ بَعْدُ في مَرْو ، فولّى مُسْلِمَ ابنَ الوليدِ الشاعرَ وأستاذَ دِعْبِلٍ عَمَلاً من أعمال خُراسان ، فذهب دعبلٌ إلى مُسْلِمٍ ومدحه .

وبعدَ مَقْتَلِ الأمينِ في ٢٦ من المُحرّم من سنة ١٩٨ هـ (٢٦-٩-٨١٣ م) زادَ اضطرابُ الأحوالِ في بَغدادَ فـآثرَ دِعْبِلٌ أن يَسير في تلك السنة إلى الحجّ . وما كاد مَوْسِمُ الحجّ ينتهي حتى تولّى أبو القاسم المطّلبُ بنُ عبدِ الله ابنِ مالك الخُزاعيّ مِصْرَ للمرّة الثانية (١٩٩ — ٢٠٠ هـ) فسارَ إليه دِعْبِلٌ ومدحه ، فأجاز المطّلبُ دِعْبِلاً ثم جَعَلَه عاملاً على أُسْوان . ولكنْ سَرْعانَ ما وقعت الوَحْشَةُ بينَ المطّلبِ ودعبلٍ فعادَ دِعبلٌ وشيكاً إلى بَغدادَ . فلما نَصَبَ نفرٌ من العبّاسيين إبراهيمَ بن المَهديّ خليفةً في بغدادَ مُنافسةً للمأمون ، في ٢٥ من ذي الحجّة ٢٠١ هـ (١٤-٧-٨١٧ م) هجا دِعبلٌ ابراهيمَ بنَ العباس والعباسيين .

ثم دخل المأمون بغدادَ (٢٠٤ هـ = ٨١٩ م) ونال دِعبلٌ شيئاً من الحظوةِ فسكت حيناً عن هجاءِ العباسيين ، لأنّ المأمون كان لا يزالُ يُحاسِنُ العلويين . فلما ترك المأمون لِباسَ الخُضرةِ شعارَ العلَويين وعاد إلى لُبسِ السَّوادِ شعارَ العباسيين وقلَبَ للعلويين ظَهرَ المِجَنِّ استأنَفَ دعبلٌ هجاءَ العباسيين وهجاء رجالِ دَولتهم وعَظُمَ هجاؤه على المُعتصم والمُتوكِّل خاصّةً ، وكان قد غادرَ بغدادَ إلى البصرة .

ونَشِبَتْ بينَ دِعبلٍ وبينَ أبي سَعْدٍ عيسى بنِ خالدٍ المخزوميِّ الشاعرِ عَداوةٌ ومُهاجاة ومُناقضة : أبو سَعْدٍ يهجو اليَمَنَ ويفتخرُ بقيسٍ ، ودعبلٌ يهجو قيساً ويمدح اليمن . فأخذ عامل البصرة دِعبلاً وسجنه مدة ثم أطلق سَراحه ؛ فأراد دِعبل أن يرحَلَ عن العِراق فسار إلى الأهواز ، ولكنْ أدركه رجلٌ عند بلدة الطيِّب (٢٤٦ هـ = ٨٦٠ م) ، وقتله بتحريض من مالكِ بن طَوْقٍ ، فيما قيل .

٢ - كان دِعبِلُ بنُ عليٍّ الخُزاعيّ شاعراً متقدِّماً مطبوعاً مُجيداً بديعَ المعاني متينَ التركيب له مديحٌ وغزل جيّدان ، ومدائحُه في آل البيتِ أحسنُ شِعرِه ومنْ أحسنِ الشعر . ومَعَ تطرّفه في عَصَبيّته وتَشيّعه ، فإنّنا نَلْمَحُ أنّ تشيّعَه لا يزالُ التشيّعَ السياسي : نِقْمةٌ شديدةٌ على ما فعله رجالُ الدولتين الأمويّة والعبّاسية بعليٍّ بن أبي طالبٍ وبآلهِ في أيامه وبعد أيّامه . ولدعبلٍ وصفٌ بارع للفلَوات وهجاء كثير فاحش . وكان دعبلٌ صديقاً للبحتري متعصّباً على أبي تمّام برُغم أنّ ميولَ أبي تمّامٍ كانت علَويّةً ظاهرةً ، وأن المأمون كان قد قَطَعَهُ من أجلها .

وكذلك كان دِعبِلٌ من رُواةِ الشعر ونُقّادِهِ ومن أهلِ التصنيف في التاريخ والشعر والشعراء ، ولكن لم يَصِلْ الينا شيء من الكُتُبِ التي يُنْسَبُ تأليفُها إليه .

٣ - المختار من شعره

- قال دِعبل بن عليّ قصيدة بارعة رقيقة في آل رسول الله ، وقد أثبت ياقوت (معجم الأدباء ١١ : ١٠٣ - ١١٠) ما صحّ من هذه القصيدة عنده فكان

خمسة وأربعين بيتاً ، منها :

مدارسُ آياتٍ خَلَتْ من تِلاوةٍ ومَنزلُ وحيٍ مقفرُ العَرَصاتِ [1]
لآلِ رسولِ الله بالخَيْفِ من مِنًى وبالرُّكْنِ والتعريف والجَمَرات [2] :
ديارُ عليٍّ والحسين وجعفرٍ وحمزةَ والسجّادِ ذي الثَّفِنات [3] .
قفا نسألِ الدارَ التي خفَّ أهلُها : متى عهدُها بالصوم والصلوات ؟
ملامَكَ في أهل النبيِّ ، فإنّهم أحِبّايَ ما عاشوا وأهلُ ثِقاتي [4] ؛
تَخَيَّرْتُهم رُشداً لأمري ، فإنهم على كل حال خِيرةُ الخِيَرات .
فيا ربِّ ، زِدْني من يقيني بَصيرةً ؛ وزِدْ حُبَّهم ، يا ربِّ ، في حَسَناتي .
ألم ترَ أني مُذْ ثلاثينَ حِجّةً أروحُ وأغدو دائمَ الحسرات :
أرى فَيْئَهم في غيرهم مُتَقَسَّماً ، وأيدِيَهُمْ من فَيْئِهم صَفِرات [5] .
فآلُ رسولِ الله نُحْفٌ جسومُهم ، وآلُ زِيادٍ حُفَّلُ القَصَرات [6] .
بناتُ زيادٍ في القصور مَصونةٌ ، وآلُ رسولِ الله في الفَلَوات .
إذا وُتِروا مدّوا إلى واتِريهمُ أكُفّاً من الأوتارِ مُنْقَبِضات [7] !

---

١ العرصة (بفتح فسكون) : البقعة الواسعة أمام البيوت لا بناء فيها .

٢ منى والركن والتعريف والجمرات من مناسك الحج . بعد التعريف (الوقوف في عرفة) يبيت الحجاج في منى. وفي اليوم التالي يضحون (يذبحون الاضحيات) . والجمرات في المحصب حيث يلقي الحجاج سبع حصيات رمزاً لرجم الشيطان .

٣ علي بن أبي طالب وابنه الحسين وجعفر بن أبي طالب وحمزة بن عبد المطلب (عم الرسول) والسجاد علي بن الحسين بن أبي طالب (زين العابدين) . الثفنة (بفتح فكسر) : البقعة المتصلبة من الجلد . – كان لزين العابدين ثفنات في المواضع التي تمس منه الأرض في سجوده (جبهته وكفيه وركبتيه) لكثرة صلاته .

٤ ملامك = كفي ملامك (لومك) عني : لا تلوميني (على حب أهل بيت النبي) .

٥ الفيء : النصيب من مسال الدولة (من الحرب والأرض المأخوذة سلما بلا قتال) . صفرات (بكسر فسكون) : خالية .

٦ زياد : زياد بن أبيه . كان مقتل الحسين بن علي في أثناء ولاية عبيد الله بن زياد على العراق . حفل القصرات ممتلئة الرقاب (كناية عن السمنة و التنعم) .

٧ – إذا ظلموا (إذا ظلمهم أعداؤهم : بنو أمية) كانوا يضطرون إلى أن يمدوا أيديهم الى بني أمية ليطلبوا اليهم أن ينصفوهم . ولكن أيديهم كانت لا تطاوعهم (كانت أعصاب أيديهم تأبى الامتداد كبراً وتعالياً أو أنها كانت جافة لشظف عيشهم فلا يمكن أن تمتد) . الاوتار جمع وتَر (بفتح ففتح) : العصب في الجسم ؛ وجمع وِتْر (بكسر فسكون) : ثأر .

– قال دعبل بن علي في الشيب :

أينَ الشبابُ ؟ وأيـــةً سَـلَكا ؟   لا ، أين يُطلَبُ ؟ ضلَّ ، بل هلَـكا !
لا تَعْجَبي ، يا سَلْمَ ، من رجلٍ   ضَحِكَ المشيبُ برأسه فبكى .
يا ليت شعري كيف يومُكما ،   يا صاحبيّ ، إذا دَمي سُفِكا ؟
لا تأخذا بظُلامتي أحـــداً ؛   قلبي وطَرْفي في دمي اشتركا ! [١]

– وقال دعبل (الكامل ٤٧٦) :

ولَوْ أنّي بُلِيتُ بهاشميٍّ   خُؤُولَتُه بنو عبدِ المَـدان
لَهانَ عليّ ما ألقى ؛ ولكنْ   تعالَيْ فانْظُري بِمَن ابتَلاني !

٤ – ديوان دعبل بن عليّ الخزاعي (جمع عبد الصاحب الدجيليّ) ، النجف (مطبعة الآداب) ١٩٦٢ م .

ديوان دعبل بن عليّ (محمد يوسف نجم) ، بيروت (دار الثقـافة) ١٩٦٢ م .

شعر دعبل بن عليّ الخزاعي (صنعه الدكتور عبد الكريم الاشتر) ، دمشق (مطبوعات المجمع العلمي العربي) ١٩٦٤ م .

•• أعيان الشيعة ، تأليف السيد محسن الأمين ، الجزء الأوّل ، بيروت (مطبعة الانصاف) ١٩٦٠ م .

دعبل الخزاعي ، للسيّد محمد محسن الأمين ، دمشق (مطبعة الاتقان) ١٣٦٨ هـ (هو ترجمة الشاعر في الجزء الثلاثين من أعيان الشيعة للسيّد محمد محسن الأمين نفسه) .

حياة دعبل الخزاعي ، لبدر المقداد ، دمشق ١٩٥٤ م .

دعبل الخزاعي ، لجرجس كنعان ، بغداد (مطبعة الهلال) بلا تاريخ .

ما كتب عن الشاعر دعبل بن عليّ في القديم والحديث (دراسة نقد وتقويم للأستاذ عبد الكريم الأشتر – في مجلّة المجمع العلمي العربي

---

٨ الظلامة : ما يحتمله الإنسان من الظلم ، ما لا قدرة له على دفعه . – طرفي (بصري) رأى الجمال ، وقلبي أحب ، فليس لأحد غيرهما في ذلك ذنب .

في دمشق ، نيسان – ابريل ١٩٦٣ م ، ص ٢٢١ وما بعدها) .
– وقد طبع هذا البحث على حدة باسم :
شعر دعبل بن عليّ الخزاعي (راجع البحث السابق)
دعبل بن عليّ الخزاعي شاعر آل البيت (دراسة تحليلية لحياته وشعره) للدكتور عبد الكريم الاشتر ، دمشق (دار الفكر) ١٣٨٣ هـ ، ١٩٦٤ م .
ثلاثة من الأعلام (الشريف الرضيّ ، دعبل الخزاعي ، عكاشة العمّيّ) ، تأليف خليل رشيد ، النجف (مطبعة الغريّ الحديثة) ١٩٥٥ م .
الملحق بشعر دعبل (انظر : شعر دعبل بن عليّ الخزاعي) .
دعبل بن عليّ الخزاعي شاعر آل البيت ، تأليف علي عبد عبدان الخزاعي ، بغداد (المطبعة العلمية) ١٩٦٥ م .
طبقات ابن المعتزّ ٢٦٤ – ٢٦٨ ؛ الاغاني ١٨ : ٢٩ – ٦١ ؛ الفهرست ١٦١ ؛ تاريخ بغداد ٨ : ٣٨٢ – ٣٨٥ ؛ معجم الأدباء ١١ : ٩٩ – ١١٢ ؛ وفيات الأعيان ١ : ٣١٧ – ٣٢٠ ؛ شذرات الذهب ٢ : ١١١ – ١١٢ ؛ اعيان الشيعة ٣٠ (١٩٤٩ م) : ٢٦٠ – ٣٥٩ ؛ بروكلمان ١ : ٧٧ ، الملحق ١ : ١٢١ – ١٢٢ ؛ زيدان ٢ : ٨٠ .
Enc. Isl. (new ed) II 248 - 9

عليّ بن الجهم

١ – كان في قُرَيْشٍ فرعٌ يُدعى قريشاً العازبةَ لأنهم سكنوا في البَحْرين . ثم ان قسماً من هؤلاء هاجروا إلى مَرْوَ ، وفيهم آلُ الجَهْم . وفي أوائل الدولة العبّاسيّة عادَ الجَهْمُ بنُ بدرِ بن الجهمِ إلى بغدادَ .

وُلِدَ عليّ بن الجهم في بغدادَ ، سنة ١٨٨ هـ (٨٠٤ م) ، ثم نشأ يقرأ كُتُبَ الفلسفة ويُناظر في قضايا علم الكلام ويهاجم المُعتزلة ويُجادِل الزنادقةَ . ولكنّ حُبَّ الأدب وقولَ الشعْر غلبا عليه . وقد كان صديقاً حميماً لأبي تمّام .

وحَظِيَ عليّ بن الجهم في مَطلعِ حياته عند نفرٍ من خلفاء بني العبّاس فولّاه المعتصمُ ديوانَ المظالم في حُلوان ، وقد كان في هذا المَنْصب سنة ٢٢٢ هـ (٨٣٧ م) . ثم عَظُمتْ منزلةُ ابن الجهم عند المتوكّل إلى أنّ أفسد الحُسّاد بينهما فأبعده المتوكّلُ ، سنة ٢٣٩ هـ (٨٥٣ – ٨٥٤ م) إلى خُراسان ، وكتب إلى واليها طاهرِ بن عبد الله بن طاهر بأنْ يَصْلُبَه من الصباح إلى الليل ، فصلبه طاهرٌ ثم أعاده إلى السجن .

ورَضِيَ المتوكّلُ عن ابنِ الجَهْم فعاد ابنُ الجهم إلى بغدادَ ، سَنَةَ ٢٤٠ أو ٢٤١ هـ (٨٥٥ م) وعاش فيها مُهْمَلاً عيشةَ لَهْوٍ وفِسق . وبعد وفاة المتوكّل (٢٤٧ هـ) بعامين سار ابن الجَهْم إلى غَزْوِ الروم ، ولكنّ جماعةً من أعرابِ بني كَلْبٍ خرجوا عليه وعلى من مَعَه فجُرح هو في أثناء القتال فحمله أصحابه عائدين به إلى بغداد ، ولكنّه توفّي على مَرْحَلة من حَلَبَ ، في مَوْضِعٍ يُقال له خُساف ، سنة ٢٤٩ هـ (٨٦٣ م) .

٢ – عليّ بن الجَهْم شاعرٌ مطبوع جَزْلُ الألفاظِ صحيحُ السَبْك مَعَ سهولة في التركيب ووُضوح في المعنى ، ثم هو من الفُضَلاء في علمِ الشعر وفي صناعته (العمدة ١ : ١٧٠) . وابنُ الجهم قديرٌ على التصرّف بالمعاني قليلُ الاحتفال بالصناعة حتّى إنه يَتْرُكُ قصائدَه في بعضِ الأحيانِ غيرَ مُصَرَّعة ؛ وشعره فيّاضُ العاطفة عَذْبٌ في التلاوة . أما فنون شعره فهي الغزل والفخر والحكمة والهجاء ، وهو يُجيد الهجاءَ ، إذْ هو قادر على أن يُصيب به حيثُ شاءَ مَعَ الإقذاع . ثم هو قليلُ الرَغبة في التكسّب بشعره لم يَمْدَحْ إلا الخلفاءَ ؛ وغزلُه بارع عذب الألفاظ يُجيد فيه تصوير الشوقَ ويُجريه في حوارٍ بَينه وبين النساء . وهو مُجيد للوصف ، وخصوصاً في وصف الطبيعة الحيّة والجامدة من نباتٍ وحيَوانٍ وقُصورٍ . وله مُجونٌ استطاعَ أن يُجْرِيَه في اللفظ البريء .

٣ – المختار من شعره

– قال علي بن الجَهْم لما حبَسَهُ المُتَوَكِّلُ :

قالتْ : «حُبِسْتَ !» فقلتُ : ليس بضائرٍ حَبْسي ، وأيُّ مُهَنَّدٍ لا يُغْمَدُ ؟

أوَما رأيتِ اللّيْثَ يألَفُ غِيلَهُ   كِبْراً ، وأوْباشُ السباع تَرَدّدُ[1] !
والشمسُ لولا أنها مَحْجوبــةٌ   عن ناظرَيْكَ لما أضاء الفَرْقَدُ[2] .
والبَدرُ يُدْرِكُه السِرار فتَنْجلي   أيّامُـه وكـأنّه مُتَجَدّدُ[3] .
صَبْراً فإنّ الصبرَ يُعْقِبُ راحةً ،   وَيَدُ الخليفةِ لا تُطاوِلُها يدُ .
والحبسُ ما لم تَغْشَهُ لِدَنِيّةٍ   شَنْعاءَ ، نِعْمَ المَنزِلُ المُتَوَرَّدُ[4] !

– ولما صُلِبَ في الشاذياخ بخُراسانَ قال :

لم يَنْصِبوا بالشاذياخِ صَبيحةَ الـ   اثْنَيْنِ مَغْموراً ولا مجهولا .
نَصَبوا – بحمدِ اللهِ – مِلْءَ عُيونِهِمْ   شَرَفاً ومِلْءَ صُدورِهِم تَبْجيلا .
هلْ كان إلاّ الليثُ فارقَ غِيلَه   فرَأيْتَهُ في مَحْمِلٍ محمولا .
ما عابه أن بُزّ عنه لِباسُه ،   فالسيفُ أهولُ ما يُرى مسلولا !
إنْ يُبْتَذَلْ فالبدرُ لا يُزْري بـه   أن كان ليلةَ تِمّه مبذولا[5] .
أو يَحْبِسوه فليسَ يُحْبَسُ سائرٌ   من شعره يَدَعُ العزيزَ ذليلا !
إنّ المصائبَ – ما تعَدّتْ دِينَهُ –   نِعَمٌ ، وإنْ صَعُبَتْ عليه قليلا[6] .
واللهُ ليسَ بغافلٍ عن أمرِهِ ،   وكَفَى بربّك ناصراً ووَكيلا !
هل تَمْلِكون لدينـهِ ويَقينـه   وجِنانِه وبَيانِه تبـديلا ؟
لم تَنْقُصوه وقد مَلَكْتُمْ ظُلمَه ،   ما النقصُ إلاّ أن يكون جَهولا.
كادت تكون مصيبـةً لو أنّكم   أوضحتمُ ذَنْبـاً عليه جَليلا .
أو كان سَفّ[7] إلى الدَنِيّةِ ، أو رأى   غيرَ الجميل من الأمور جميلا !

---

١ الغيل : الشجر الملتف . السبع : كل ذي ناب وظفر ، الحيوان المفترس . الأوباش : الأخلاط والسفلة . أوباش السباع : السباع الضعيفة والمحتقرة مثل بنات آوى والكلاب والجرذان . تردد : تتردد ، تروح وتجيء مرة .

٢ الفرقدان : نجمان معروفان . والمقصود بالفرقد هنا : النجم مطلقاً .

٣ السرار : آخر الشهر القمري ، ولا يكون القمر فيه نور ، ومع ذلك فان ذلك يكون ايذاناً بتجدد القمر .

٤ المتورد : الذي يدخله الناس .

٥ مبذول : ظاهر للعيون غير محجوب عن أحد (لأنه مرتفع ، عال) .

٦ – إذا لم تنزل المصائب بدين المرء فهي نعم (لأنها تزيد في اختباره من غير أن تعرضه لخسارة حقيقة) .

٧ انحدر ، نزل .

– ولعلي بن الجَهْم قصيدةٌ مشهورة بمطلعها في الغزل مدح فيها المتوكلَ . ولا ريبَ في أنها من أحسن الشعر أيضاً :

عُيونُ المَها بين الرُصافةِ والجسْرِ جَلَبْنَ الهوى من حيثُ أدري ولا أدري[1].
أعَدْنَ لِيَ الشوقَ القديمَ ولم أكُنْ سَلَوْتُ ، ولكنْ زِدتُ جمراً على جمر.
ولكنّه أوْدَى الشبابُ ، وإنما تُصادُ المَها بين الشبيبة والوَفر[2] .
وبتْنا ، على رُغم الوُشاة ، كأنّنا خليطان من ماء الغَمامة والخمر .
خليليَ ، ما أحلى الهوى وأمَرَّه وأعلمَني بالحُلو فيه وبالمُرّ !
بما بينَنا من حُرمةٍ ! هل رأيتُما أرقَّ من الشكوى وأقسى من الهَجر ؟
وما أنسَ مِ الأشياءِ لا أنسَ قولَها لجارتها : « ما أوْلعَ الحُبَّ بالحرّ ! »[3]
فقالت لها الأُخرى : « فما لِصَديقنا مُعَنّى ؟ وهل ، في قتله ، لكِ من عُذر ؛
صِليه لَعلّ الوصلَ يُحيِيه ، واعلَمي بأنَّ أسيرَ الحُبِ في أعظم الأسر » .
وأيقَنَتا أنْ قدْ سَمِعْتُ ، فقالتا: «من الطارقُ[4] المُصغي إلينا وما ندري ؟»
فقلتُ : « فتىً إنْ شئتُما كَتَمَ الهوى ، وإلاّ فخَلاّعُ الأعِنّةِ والعُذْر » [5] .
فقالتْ : « كأنّي بالقوافي سَوائراً يَرِدْنَ بنا مِصْراً ويَصْدُرْنَ عن مِصر»[6].
فقلتُ : « أسأتِ الظنَّ ، لستُ بشاعرٍ ؛ وإنْ كان أحياناً يَجيش به صدري .
صِلي واسألي مَنْ شئتِ يُخبِرْكِ أنني على كلّ حال نِعْمَ مُستودَعُ السِر ! »
وما أنا ممّن سار بالشعرِ ذِكْرُهُ ، ولكنَّ أشعاري يسير بها ذِكري .
وما الشعرُ ممّا أستَظِلُّ بظِلّه ، ولا زادني قَدراً ولا حطّ من قدري .
ولكنّ إحسانَ الخليفةِ جعفرٍ دعاني إلى ما قلت فيه من الشعر ،

---

١ الرصافة : الجانب الشرقي من بغداد . الجسر : الجسر الذي يصل الرصافة بالكرخ (الجانب الغربي) .
٢ أودى ، ذهب ، هلك ، انقضى . الوفر : وفرة الشعر ، كثرته (في أيام الشباب) .
٣ .... – ما أكثر علوق الحب بالرجل الحر (النبيل السامي الخلق) .
٤ الآتي ليلا .
٥ كتم الهوى : صبر على الحب . خلاع الاعنة (العنان بكسر العين : الرسن) والعذر (العذر بضمتين جمع عذار بالكسر : جانب اللحية) : سلك سلوك الصغار في السن ، انهمك في الغي ، انغمس في الملذات .
٦ .... شهرتنا في الشعر ، فأصبحت قصائدك فينا تنتقل من مصر (بلد) إلى مصر .

فسار [1] مسيرَ الشمسِ في كل بلدة ، وهبَّ هبوبَ الريح في البر والبحر .
ولو جلّ عن شكر الصنيعة منْعِمٌ لَجَلّ أميرُ المؤمنين عن الشكر .
ومن قال إن البحر والقَطْر [2] أشبها نَداه فقد أثنى على البحر والقطر .
ولو قُرِنَتْ بالبحر سبعةُ أبحرٍ لَمَا بلغت جَدْوى أنامله العَشْر [3] .
ولا يجمعُ الأموالَ إلّا لِبَذْلِها ، كما لا يُساق الهَدْيُ إلاّ إلى النَحر [4] !
وفرَّقَ شملَ المال جودُ يمينِه ، على أنّه أبقى له حَسَنَ الذِكْر .
إذا ما أجال الفكرَ أدرك فكرُه غرائبَ لم تَخْطُرْ ببالٍ ولا فِكر .
أغيرَ كتابِ الله تَبْغونَ شاهداً لكم ، يا بني العباسِ ، بالمجد والفخر ؟
كفاكُمْ بأنّ اللهَ فوّض أمرَهُ اليكم ، وأوْحَى أنْ أطيعوا أولي الأمر [5]

٤ – ديوان علي بن الجَهْم (عني بتحقيقه خليل مردم) ، دمشق (المجمع العلمي العربي) ١٣٦٩ هـ (١٩٤٩ م) .

•• طبقات ابن المعتزّ ٣١٩ – ٣٢٢ ؛ تاريخ بغداد ١١ : ٣٦٧ – ٣٦٩ ؛ الاغاني ١٠ : ٢٠٣ – ٢٣٤ ؛ وفيات الاعيان ٢ : ٣٩ – ٤١ ؛ بروكلمان ١ : ٧٨ ، الملحق ١ : ١٢٣ ؛ زيدان ٢ : ٨٩ – ٩١ .
Enc. Isl. (new ed) I 386.

أبو عثمان المازنيّ

هو أبو عُثمانَ بكرُ بن محمّدِ بن بَقيّةَ (أو ابن عَدِيّ) بن حبيبٍ المازنيّ النحويّ ، وهو من بني شَيْبان بن ذُهْل ثم من بني بكرِ بن وائلٍ . وقيل بل

---

١ فسار شعري ....
٢ المطر .
٣ الجدوى : الجود ، الكرم . يلمح في هذا البيت قوله تعالى : «ولو أن ما في الارض من شجرة أقلام ، والبحر يمده من بعده سبعة أبحر ، ما نفدت كلمات الله» (٣١ : ٢٧) ؛ قل : لو كان البحر مداداً لكلمات ربي لنفد البحر قبل أن تنفد كلمات ربي ، ولو جئنا بمثله مدداً» (١٨ : ١٠٩) .
٤ الهدي : الحيوانات الاليفة (الجمل ، البقر ، الضأن) التي تضحى (تذبح) في عيد النحر .
٥ فوض أمره اليكم : جعلكم خلفاء تحكمون في خلقه . وفي القرآن الكريم (٤ : ٥٨) : «يا أيها الذين آمنوا ، أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولي الأمر منكم» .

كان مولىً لبني سَدوسٍ ثم نزل في بني مازنٍ بن شَيبانَ فنُسِبَ اليهم .

وُلِدَ أبو عثمان المازني في البصرة ، نحو ١٧٥ ﻫ (٧٩١ م) . وقد أخذ عن الأصمعي وأبي زيدٍ الانصاري والجَرميّ . ثمّ انه وَرَدَ بغدادَ في أيام المعتصم (٢١٨ – ٢٢٧ ﻫ) فأخذ عنه أهلُها . وجاء إلى سامرّا في أيام الواثق (٢٢٨ – ٢٣٢ ﻫ) مرّة أو مرّتين ثم في أيام المتوكّل .

وكانت وفاة المازني في البصرة سنة ٢٤٩ ﻫ (٨٦٣ م) في الاغلب .

كان أبو عثمان المازني أحدَ أئمّةِ اللغة والنحو والأدب وروايةِ الشعر في زمانه ثِقةً فيها كلّها . وكان أيضاً حاذقاً في عِلْمِ الكلام ، كان إماميّاً (شيعياً) ويقول بالإرجاء (معجم الأدباء ٧ : ١٠٨) ، وقيل بل كان معتزلياً (مثله ١٢٥) . وله شعرٌ قليل .

وللمازني من الكتب : كتاب في القرآن ، كتاب ما يَلْحَنُ فيه العامّة ، كتاب الألف واللام ، كتاب التصريف ، كتاب علل النحو ، كتاب تفسير كتاب سيبويه ، كتاب الديباج في جوامع كتاب سيبويه على خلاف كتاب أبي عبيدة ، كتاب العَروض ، كتاب القوافي .

– •• الفهرست ٥٧ ؛ تاريخ بغداد ٩٣ – ٩٤ ؛ طبقات الزبيدي ٩٢ – ١٠٠ ؛ معجم الأدباء ٧ : ١٠٧ – ١٢٨ ؛ وفيات الأعيان ١ : ١٦٢ – ١٦٤ ؛ إنباه الرواة ١ : ٢٤٦ – ٢٥٦ ؛ بغية الوعاة ٢٠٢ – ٢٠٣ ؛ شذرات الذهب ٢ : ١١٣ ؛ بروكلمان، الملحق ١ : ١٦٨ ؛ زيدان ٢ : ٢٠٨ – ٢٠٩ .

محمّد بن صالح العَلَويّ

١ – هو أبو عبدِ الله محمّدُ بن صالحِ بنِ عبد الله بن موسى بن عبد الله ابن حسنِ بن حسن بن عليٍّ بن أبي طالب ، لا نَعْرِفُ من تفاصيلِ حياته إلاّ إشارةً إلى اشتراكه ، سنة ٢٤٠ ﻫ (٨٥٤ – ٨٥٥ م) ، في ثورةٍ على الخليفة المتوكّل نَشِبَتْ في مِصرَ والحِجاز . وبعد القضاءِ على هذه الثورةِ حُمِلَ محمدُ بن صالحٍ العلويّ من الحجاز إلى سامرّا وأُلْقِيَ في السجن ثلاثةَ أعوامٍ .

ثمّ انه مدحَ المتوكّلَ فأطلق المتوكّلُ سَراحَه ، ولكن لم يسمحْ له بالرجوع إلى الحجاز ، في الأغلب .

بقي محمدُ بن صالحٍ العلويّ في سامرّا بقيةَ عُمُرِهِ ثم جُدِرَ وتُوُفّيَ فرثاه سعيدُ بن حُميدٍ صاحب فضلَ الشاعرةِ ، وعلى هذا تكون وفاته قبلَ سنة ٢٥٠ هـ (٨٦٤ م) .

٢ – محمّدُ بن صالحٍ العلويّ حجازيٌّ ظريفٌ صالحُ الشعرِ مُكثّر ، وفنون شعره المدح والغزل الرقيق والفخر والهجاء وشيء من الوصف .

٣ – المختار من شعره

– قال محمّد بن صالح العلوي لمّا حبسه المتوكّل في سامرّا :

طَرِبَ الفؤادُ وعاوَدَتْ أحزانُهُ ، وتَشَعّبت شُعَباً بِه أشْجانُه [١] .
وبدا له من بعدِ ما اندَمَلَ الهوى بَرْقٌ تألّقَ مَوْهِناً لَمَعانه [٢] :
فالنارُ ما اشْتَمَلَتْ عليه ضُلوعُه ، والماءُ ما سَحّتْ به أجفانه [٣] .
وبدا له أنّ الذي قد نالَهُ ما كان قَدّرَهُ له دَيّانه [٤] .
يا قلبُ ، لا يَذْهَبْ بحِلْمِكَ باخِلٌ بالنَّيْلِ باذِلُ تافِهٍ مَنّانه [٥] ،
يَعِدُ القضاءَ وليس يُنْجِزُ مَوْعِداً ، ويكونُ قَبلَ قَضائه لِيّانه [٦] .

– مرّ محمد بن صالح العلوي بقبرٍ لبعضِ وَلَدِ المتوكّل فرأى الجواريَ يَلْطِمْنَ عنده فقال :

---

١ طرب : هاج ، تأثر (فرحاً أو حزناً ، وهنا : من الحزن) . عاود : عاد أو رجع مرة بعد مرة . تشعبت شعباً به أشجانه (أحزانه) : خيلت له أشياء سيئة كثيرة (قتله ، بقاءه في السجن طويلا ، الخ) .

٢ موهناً : نصف الليل . بعد ما اندمل الهوى : بعد أن كان نسي الحب (لوجوده في السجن) .

٣ – نور البرق كان من النار التي بين ضلوعه ، والمطر الذي سح (هطل بكثرة) كان مما سحت به أجفانه (من دموعه) .

٤ ديانه ، ربه (الله) . – كان حبسه بتقدير من الله .

٥ لا يذهب بحلمك باخل : لا ينسك تعقلك ورصانتك باخل (فتاة جميلة تبخل بالوصل على عشاقها) . النيل (هنا) : الوصل ، الوصال . باذل تافه : (فتاة) تجود بشيء تافه (قليل ، لا قيمة له : بابتسامة مثلا أو بوعد) . منانه (ثم تمن على المحبين بما فعلت من الشيء التافه) .

٦ يعد القضاء (الوفاء بالوعد) . الليان (بكسر اللام) اللي (بفتح اللام) : المطل ، إخلاف الوعد .

رأيتُ بسامَرّا صبيحةَ جُمْعَةٍ　　عُيوناً يَروقُ الناظرين فُتورُها [1] ،
تَزورُ العِظامَ الباليات لَدى الثّرى ؛　　تجاوَزَ عن تلك العظامِ غَفورها [2] !
فلولا قضاءُ الله أن تُعْمَرَ الثرى　　إلى أن يُنادى يَومَ يُنْفَخُ صُورُها [3] ،
لَقُلْتُ عساها أنْ تَعيشَ ، وإنّها　　ستُنْشَرُ مِن جرّا عيونٍ تَزورها [4] .
أسيلاتُ مَجْرى الدمعِ إمّا تَهلّلَتْ　　شُؤونُ المآقي ثمّ سَحّ مَطيرها [5]
بِوَبْلٍ كأتْوامِ الجُمانِ يُفيضُه　　على نَحْرِها أنفاسُها وزفيرها [6] .
فيا رَحْمتا ما قد رَحِمْتُ بَواكياً　　ثِقالاً تَواليها لِطافاً خُصورها [7] .

— ولمّا خطب محمد بن صالح العلويّ ابنةً لعيسى بن موسى العبّاسيّ ردّه عيسى بن موسى خوفاً من غَضَبِ المتوكّل ، فقال محمد بن صالح يذكر ذلك ثم يفتخر :

خطبتُ إلى عيسى بن موسى فردّني ؛　　فلِلّه والي حُرّةٍ وعَليقُها [8] .
لقد ردّني عيسى — ويَعْلَمُ أنّني　　سَليلُ بَناتِ المُصْطفى وعَريقُها [9] ؛

---

١ الفتور (في العين) : الانكسار والذبول (من التنعم وقلة المبالاة بأمور الجد في الحياة) .
٢ العظام الباليات : (الموتى) . غفورها = الغفور : الله .
٣ و ٤ — لولا أن الله قد قضى بأن تظل الارض مملوءة بأجساد الموتى حتى ينادي المنادي (يوم القيامة) بعد النفخ في الصور (آلة تحدث صوتاً) تلك الاجساد الهامدة أن تقوم من قبورها (للحساب) لقلت ان أمثال هذه العيون تحيي الموتى .... من جرا = من جراء : بسبب ، من أجل ذلك ....
٥ أسيلات (طويلات) مجرى الدمع (الخدود) . اما = إن ما : اذا ما ، اذا . تهلل المطر : سقط ، هطل . شؤون جمع شأن : العرق الذي يوصل الدمع إلى العين . المآقي جمع مأق ، مؤق وماق ومؤقي الخ : طرف العين مما يلي الأنف ، مَجْرى الدمع من العين .
٦ الوبل : المطر الشديد . الاتوام غير موجودة في القاموس — توائم وتؤام (بضم التاء وفتح الواو) : (في الأصل) : المولود مع أخ له في بطن واحد ، الذي يشبه شيئاً آخر حتى كأنه هو . الجمان جمع جمانة : اللؤلؤة الكبيرة .
٧ فيا رحمتا ما قد رحمت : ما أكثر ما رحمت (أشفقت) — لقد أشفقت كثيراً على تلك البواكي (الجواري الباكيات من الحزن على ذلك القبر) . ثقال تواليها : (أردافها ، الجزء الأوسط من جسمها — يصفها بكبر الارداف) . لطاف جمع لطيفة : نحيلة ، نحيفة .
٨ الحرة : المرأة الحرة : الجميلة الشريفة . واليها : الوالي عليها ، القيم عليها (أبوها ....) عليقها : عاشقها ، محبها . فلله والي حرة وعليقها : أنصف الله محب تلك المرأة من وليها !
٩ سليل (من نسل) بنات المصطفى (المصطفى : محمد رسول الله) . العريق : القديم (البين النسب ، الذي لم يختلط نسبه بغير أفراد أسرته) .

وأن لِنا بعدَ الوِلادةِ نَبْعَـةً نبيَّ الالَـهِ صِنْوُها وشَقيقها [1] .

٤ ـ •• الاغاني الساسي ١٥ : ٨٤ ـ ٩١ ؛ معجم الشعراء ٤٣٤ ؛ فوات الوفيات ٢ . ٢٧٥ ؛ الوافي بالوفيات ٣ : ١٥٤ ـ ١٥٥ ؛ أعيان الشيعة (١٩٥٩ م) ٤٥ : ٢٣٣ ـ ٢٣٤ ؛ زيدان ٢ · ١٠٠ .

الحسينُ الخليعُ بن الضحّاكِ

١ ـ وُلِدَ أبو عليٍّ الحسينُ بن الضَحّاك بن ياسرٍ في البصرة نحوَ سنة ١٥٥ هـ [2] (٧٧٢ م) ونشأ فيها ثم انتقل إلى بغدادَ في أواخر أيام هرونَ الرشيد ونادم وَلَدَيْ هرونَ صالحاً والأمينَ . ولما وَلِيَ الأمينُ الخلافةَ كانت صلةُ الحُسين به وثيقةً جداً . من أجل ذلك قَطَعَهُ المأمونُ مُدَّةً ثم رَضِيَ عليه . غير أنه عاد إلى الحَظوةِ عند المعتصم وابنَيْه الواثقِ والمُتوكّلِ وحفيدِه المُنْتَصِرِ . وعاش الحسينُ الخليعُ إلى أيام المُستعين ولكنه كان قد فَنِيَ من الكِبَرِ . أما وفاتُه فكانت سنة ٢٥٠ هـ (٨٦٤ م) .

٢ ـ عُرِفَ الحسينُ بن الضحّاكِ بلقب الخليع لِمَا كان عليه منَ الاستهتارِ في الفِسق والمُجون . أمّا في الشاعرية فهُوَ من أقرانِ أبي نواسٍ لا يَنْحَطّ عن أبي نواس في طَرافة أغراضِه واختراع معانيه ، ولكنّ شعرَ أبي نواس أكثرُ تنوّعاً وأحسنُ ديباجة وأدلّ على المقدرة في القول . ولم يُرْزَق الحسينُ الخليع تلك الشُهرةَ التي رُزِقَها أبو نواسٍ ـ على قِصَرِ حياة أبي نواسٍ وطولِ حياة الحسينِ الخليع ـ ولذلك كان الناس يَنْسِبون ما حَسُنَ من شعرِه إلى أبي نواس ؛ وكان أبو نواس أحياناً يُغير على معاني الحسين الخليع فيكسوها تعبيراً أسهلَ وديباجة أحسنَ أو يَنْتَحِلُها بمعانيها وألفاظها وتراكيبها جُمْلَةً . والحسين الخليعُ شاعرٌ مطبوعٌ ظريفٌ ماجنٌ ، وهو غُلامُ أستاذِه والبةَ بن الحُباب

---

١ نبعة : مجمع النبتة (كحبة القمح الواحدة مثلا يخرج منها سنابل كثيرة) . نبي الاله : محمد رسول الله . صنوها وشقيقها : أخوها (من أسرة مقابلة لها في المجد ـ يقصد هنا بني أبي طالب وبني العباس ، وهما أبناء عم الرسول) .

٢ معجم الادباء ١٠ : ٦ .

(طبقات ابن المعتزّ ٢٧١) ، وعلى شعرِه شيء من نَفَسِ بَشّارٍ ؛ وله مَيْلٌ إلى الأبحر القِصار . أما فنونه فهي المديح والعتاب والرثاء والهجاء والخمر والغزلانِ .

٣ – المختار من شعره

– قال الحسن الخليع بن الضحّاك هذه القصيدةَ في الخمر ، وهي التي عارضها أبو نواس وألَمَّ بعددٍ من معانيها ، كما عارضها ابن المعتزّ أيضاً ، منها :

بُدِّلتَ من نَفَحاتِ الورد بالآءِ ، ومن صَبوحك دَرَّ الإبلِ والشاءِ [١] .

فعَدِّ هَمَّكَ عن طِرْفٍ يمارسه جِلفٌ تلفّع طِمْراً بين أحناء [٢] .

ففي غدٍ لك من زهراءَ صافيةٍ بطَيْرَناباذَ ماءٌ ليس كالماء [٣] .

ممّا تخيَّرَ أولاها وأودعَها ربُّ الخَوَرْنَقِ في جوفاء مَيْثاء [٤] .

راحَ الفُراتُ عليها في جداوله ، وباكَرَتْها سَحابات بأنواء .

صِينتْ عن الشمس في قَيْطونِ مُحْتَنِكٍ من اليهود لأُمِّ الراح غدّاء [٥] .

ما زال يُهْمِلُها كالمُسْتَخِفِّ بها – عصرَ الشباب – كناسٍ غير نسّاء .

يُطري سِواها إذا سِيمتْ ، مدافعةً عنها ، ويُوسعها من كل إزراء [٦] .

يَسومُها البيعَ أحياناً فيَمْنَعُه أنْ قد يُؤمّلُها يوماً لإثراء [٧] .

حتّى إذا الدهرُ أبقى من سُلالتها جُزْءَ الحياةِ وقد ألْوى بأجزاء [٨] .

---

١ – يلوم الذي يستبدل برائحة الورد الزكية العيس ثمر شجر الآء (الكريه الرائحة في البادية) ، والذي يستبدل بالصبوح (شرب الخمر في الصباح) بدّر (حليب) الابل والغنم .

٢ الطرف : الحصان الأصيل . يمارسه : يهتّم به ، يمدحه . جلف : جاف ، قاس (كناية عن البدوي) . الطمر : الثوب الممزق من القدم . تلفع : تغطى ، ألقى على نفسه . أحناء (؟) .

٣ زهراء صافية (كناية عن الخمر) . طيرناباذ : ضاحية جنوب بغداد مشهورة بالعنب .

٤ الميثاء : الأرض السهلة الطرية (هذه الخمر اختمرت في باطن الأرض بحرارة قليلة ولم تطبخ بالنار) .

٥ قيطون : غرفة داخلية في البيت (بعيدة عن حر الشمس) . المحتنك : الداهية ، ذو الاختبار .

٦ – يعيبها ويمدح سواها ليبيع سواها وتبقى هي عنده معتقة ....

٧ – ... حتى يبيعها ذات يوم بثمن يغتني به .

٨ ألوى : أذهب أضاع .

لم يَبْقَ من شخصها إلاّ تَوَهُّمُهُ ؛ فالشيء منها – إذا استَثْبَتَّ – كاللاء[1] .
تُمازِجُ الروحَ في أخفى مداخلهِ ، كما تَمازَجَ أنوارٌ بأضواء .
لا يُدرِكُ الحِسّ منها حين تَبْعَثُهُا إلاّ التنسّمَ أو لَذْعاً بأحشاء .
تلك التي وَسَمَتْني – غيرَ مُحتشِمٍ – وَسْمَ المُجون وسَمّتني بأسماء !
هذا النعيمُ ، ولا عيشٌ تكونُ به هندٌ برابيةٍ من بعد أسماء[2] .

– وقال يتغزّل ويَنسِب بغلام اسمه يُسْر :

أيا مَنْ طَرْفُه سِحرُ ومَنْ رِيقَتُه خمرُ ،
تَجاسرتُ فكاشَفْتُـ ـك لمّا غُلِبَ الصبر .
وما أحسنَ في مثلِـ ـكَ أن يَنْهتكَ السِتر !
وإنْ لامَنِيَ الناسُ ، ففي وجهك لي عُذر .
فدَعْني من مواعيـ ـدِكَ إذ حَيَّنكَ[3] الدهر .
فلا والله ، لا تَبْـ ـرَحُ أو يَنْقضِيَ الأمر[4] :
فإمّا الغَصْبُ والذمّ ، وإما البذلُ والشكر .
وإنْ شئتَ تَيَسّرتَ – كما سُمّيتَ – يا يسر !
وكنْ كاسمِكَ لا تَمْنَـ ـعُكَ النَخْوةُ والكِبْر .
فلا فُزتُ بحظّي منـ ـكَ إن ذاع له ذِكر !

٤ – أشعار الخليع الحسين بن الضحّاك (جمعها وحقّقها عبد الستّار أحمد فرّاج) ، بيروت (دار الثقافة) ١٩٦٠ م .

•• نديم الخلفاء ، أي الحسين بن الضحّاك ، تأليف عبد الستّار أحمد فرّاج ، القاهرة (دار المعارف) ١٩٥٢ م .

طبقات ابن المعتزّ ٢٦٨ – ٢٧١ ؛ الاغاني ٧ : ١٤٦ – ٢٦٢ ؛ تاريخ بغداد ٨ : ٥٤ – ٥٥ ؛ معجم الأدباء ١٠ : ٥ – ٢٣ ؛ وفيات

---

١ كاللاء : مثل « لا » ، لا شيء .
٢ .... هند برابية من بعد أسماء : كناية عن العيش في البادية .
٣ حينك الدهر : جاء بك الي على غير موعد .
٤ أو ينقضي الأمر : أنال منك مبتغاي .

الاعيان ١ : ٢٧٥ – ٢٧٦ ؛ شذرات الذهب ٢ : ١٢٣ – ١٢٤ ؛
بروكلمان ، الملحق ١ : ١١٢ ؛ زيدان ٢ : ٩١ – ٩٢ .

ابو زيدٍ القُرَشِيُّ

١ – وصل إلينا مجموعٌ قيّم من الشعر القديم اسمه « جمهرة أشعارِ العرب »، ذكر مؤلّفه في المقدّمة أن اسمه أبو زيد محمدُ بن أبي الخطّاب القرشيّ . ثم هو يقول مرّة بعد مرّة[1] : « فمن ذلك ما حدّثنا به المفضّل بن محمّد الضبيّ »[2] ؛ أو يقول (ص ١٤) : « حدّثنا سُنيد بن محمّد الازدي عن ابن الاعرابي عن مالك بن أنس عن هشام عن عُروة عن أبيه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ... » مما يدلّ على أن أبا زيد القرشي هذا يجب أن يكون من أحياء النصف الثاني من القرن الهجري الثاني ، وعلى أنه من أهل الكوفة في الغالب .

على أننا إذا نظرنا إلى المجموع من جانبٍ آخرَ ، بدا لنا أمرٌ آخرُ : ان أبا زيدٍ هذا قد قسم مجموعته سبعةَ أقسام جَعَلَ كلَّ قسم منها سبعَ قصائدَ ، وهذا ترتيب جاء إلى العرب من اليونان ولم يُصْبِحْ مألوفاً قبل أواسطِ القرن الرابع للهجرة .

على أنّ ثمّت ملاحظةً جانبيةً مهمّةً هي أنه جعل القسمِ الأول (المُعلّقات) ثمانيَ قصائدَ ، ثم جعل القسم الثاني (المُجَمْهرات) ستّ قصائدَ فيها معلّقة عَبِيدِ بن الأبرص فتكون المعلّقات عنده تِسعاً ويكون هو قد أغفل الحارث ابن حِلِّزَةَ .

ويبدو لي أن أبا زيدٍ هذا يجب أن يكونَ ، وهو لا يزالُ في مطلع شبابه ، قد أدرك المُفضّل بن محمّدٍ الضبيّ ، والضبيّ في أُخرَياتِ أيامهِ ، ثم عاشَ إلى أواسطِ القرنِ الهجري الثالثِ . ومع ذلك فان مشكلة زمانِه تظلّ بلا حلٍ صحيح .

---

[1] جمهرة أشعار العرب ، المطبعة الرحمانية بمصر ١٣٤٥ هـ = ١٩٢٦ م ، ص ١ ، ١٢ ، ١٧ ، ١٨ ، ٢٦ .

[2] ان المفضل بن محمد الضبي الكوفي الراوية المشهور توفي سنة ١٧٨ هـ .

٢ ـ جمهرة أشعار العرب قسمان : مقدّمةٌ في استعراض شيءٍ من تاريخ الشعْر ومن نقده ، ثم تسعٌ وأربعون قصيدةٌ مختارة : المعلّقات ، المجمهرات ، المُنْتَقَيات ، المُذْهَبات ، المراثي ، المَشُوبات ، المَلْحمات . وجميع هذه القصائد من الشعر القديم (الجاهلي والمخضرم والأمويّ) .

ومقدّمة جمهرة أشعار العرب طويلةٌ تبلغ ثمانيَ وأربعين صفحة تتكلّم عن صلة لُغةِ القرآن بلغةِ الشعر الجاهلي وعلى أنّ ما في القرآن من الكلام كلّه عربيٌّ . فإذا نحن وجدنا في القرآن لفظَ الإسْتبرَق ورأينا أنه في الفارسية استبره، فما ذلك إلاّ من المقاربة بين اللفظين ، وليس معناه أن الكلمة القرآنية استبرق دخيلةٌ غير عربية خالصة . ثم يتكلّم الجامع في المقدّمة على أول من نَطَقَ بالشعرِ ويُفيض في الكلام على أشعار الجنّ . ثم يذكر رأي النبي عليه السلامُ في الشعر . وأخيراً يعْرِضُ رأيَ النُقاد في نفَرٍ من أصحاب المعلّقات .

٣ ـ المختار من مقدمة جمهرة أشعار العرب

ـ هذا كتابُ جمهرة أشعار العرب في الجاهلية والإسلام الذين نزَلَ القرآنُ بألْسنتهم واشتُقّتِ العربية من ألفاظهم ، واتّخذت الشواهدُ في معاني القرآن وغريبه الحديث من أشعارهم ، وأُسْنِدَتِ الحكمةُ والآدابُ إليهم ، تأليف أبي زيدٍ محمدِ بن أبي الخطّاب القُرَشي ، وذلك أنه لمّا لم يوجدْ أحدٌ من الشعراء بعدَهم إلاّ مضطرّاً إلى الاختلاس من محاسن ألفاظهم وهم مُكْتفون بمعرفتِهم عن سواهم ....

ولم يزَلِ النبيّ صلى اللهُ عليه وسلّم يُعْجِبُه الشعرُ ويُمْدَحُ به فيُثيب عليه ويقول : هو ديوانُ العرب . وفي مِصداق ذلك حدثنا سُنيد بن محمّد الأزدي عن ابن الاعرابي عن مالك بن أنس عن عُروةَ عن أبيه قال : قال رسول الله صلّى الله عليه وسلّم : ان من الشعر لَحِكْمَةً وان من البيانِ لسِحراً ....

قال الذين قدموا زُهيراً على امرئِ القيسِ هو (زهير) أشعرُ العرب .... لأنه لا يُعاظِل بين الكلامين ولا يَتَتَبّعُ وَحْشِيّ الكلام ولا يَمْدَحُ أحداً إلا بما فيه ....

٤ ـ جمهرة أشعار العرب ، بولاق ١٣٠٨ هـ ؛ مصر (المطبعة الرحمانية) ١٣٤٥هـ

(١٩٢٦ م) ؛ بيروت (دار صادر ودار بيروت) ١٣٨٣ هـ (١٩٦٣م).
** بروكلمان ، الملحق ١ : ٣٨ - ٣٩٩ ؛ زيدان ٢ : ١٢٥ - ١٢٦ .

محمّد بن عبد الرحمن العَطَويّ

١ - هو أبو عبد الرحمن محمّد بن عبد الرحمن العَطَويّ بن أبي عَطيّةَ ، وُلِدَ ونشأ في البصرة ، وقد كان مولىً لبني لَيْثِ بن بكر بن عبد مَناةَ بن كِنانةَ .

أخذ العَطَويّ في البصرة عن الحُسين بن محمّد النجّار (ت نحو ٢٣٠ هـ) مذهبَ الاعتزال . وكان أتباع النجّار يوافقون أهلَ السنّةِ والجماعة في أشياءَ ثم يُخالفونهم في أشياء : كان أتباع النجّار ينكرون صفات الله ورؤية الله يوم القيامة ويقولون بأن القرآن محدث (كما يقول المعتزلة) [١] . ويبدو أن العَطَويّ لم ينظم شعراً في البصرة ، وإنّما بدأ قول الشعر لمّا انتقل إلى سامرّا ولزم القاضيَ أحمدَ بن أبي دُؤادٍ وتقرّب اليه بالقول بمذهب المُعْتزلةِ - وكان ابنُ أبي دُؤاد من المُتَطرّفين في هذا المذهب - ثم مدحه وتكسّبَ منه مالاً كثيراً . ولمّا تُوفّي ابنُ أبي دؤادِ ، في المُحرّم ِ من سَنَةِ ٢٤٠ هـ (حَزِيران - يونيو ٩٥١ م) رثاه العطوي . وكانَ أيضاً صديقاً للوزيرِ أحمدَ بنِ الخصيب (٢٤٧ - ٢٤٨ هـ) .

في الاغاني (٢٠ : ٦٠) : قال اسحقُ بن الخصيب الكاتبُ : جاءني يوماً أبو عبد الرحمن العطوي ، بعد وَفاةِ عمّي أحمدَ بنِ الخصيب بسنتين ..... وفي شذرات الذهب (٢ : ١٤٩) أن أحمد بن الخصيب الوزير توفيّ سنة ٢٦٥ هـ ؛ وعلى هذا تكون وفاة العطوي سنة ٢٦٧ هـ (٨٨٠ - ٨٨١ م) .

٢ - محمّد بنُ عبدِ الرحمن العَطَويّ مقتدر في الجِدال بارع في علمِ الكلام ، وكان يَخْلِطُ شعْرَه بآراء من هذا العلم . وقد سار شعره على الألسنة واحتذى نفرٌ من الشعراء معانيَهُ . ثم هو كاتب محسن أيضاً . أما فنونُ شعرِه فهي المدحُ والرثاء والخمريات والغزل والحِكمة .

٣ - المختار من شعره

- قال محمّد بن عبد الرحمن العطوي يرثي محمّد بن أبي دؤاد :

---

١ راجع الفرق بين الفرق لعبد القاهر البغدادي (القاهرة ١٣٦٧ هـ = ١٩٤٨ م) ١٢٦ - ١٢٧ .

وليسَ صَريرَ النَعْشِ ما تسمعونَهُ ، ولكنّه أصْلابُ قومٍ تَقَصّفُ [1] .
وليسَ نسيمَ المِسْكِ ريّا حَنوطِهِ ، ولكنّه ذاكَ الثناءُ المُخَلَّفُ [2] .

– وقال في الإنسان الذي لا يَكِدُّ نفسَه في جمعِ المال ، ولكنه إذا جَمعَ مالاً أنفقه في وجوهِهِ :

أرْفِهْ بعيشِ فتىً يَغْدو على ثِقَةٍ أن الذي قسم الأرزاقَ يرْزقُهُ .
فالعِرْضِ منه مَصونٌ لا يُدَنّسُهُ ، والوجه منه جديدٌ ليس يُخْلِقُه [3] .
جَمَعْتَ مالاً ففكِّرْ هل جمعتَ له ، يا جامعَ المالِ ، أيّاماً تُفَرِّقُه !
المالُ عندكَ مَخزونٌ لِوارِثِهِ ، ما المالُ مالُكَ إلاّ حين تُنْفِقه !

– وقال في الخمر :

أدِرِ الكأسَ قد تَعالى النهارُ ؛ ما يُميتُ الهمومَ إلاّ العُقارُ .
صاحِ ، هذا الشتاءُ فَاغْدُ عليها ؛ إنّ أيّامَه لِذاذٌ قِصارُ .
أيّ شيءٍ ألَذّ من يومِ دَجْنٍ ، فيه كأسٌ على النَّدامى تُدار [4]
وقِيانٌ كأنّهنَّ ظِباءٌ فإذا قُلْنَ قالتِ الأوْتار ! [5]

– وقال العطوي في الهوى :

وما لَبِسَ العُشّاقُ ثوباً من الهوى ولا خلعوا إلاّ الثيابَ التي أبْلي ،
ولا شَرِبوا كأساً من الحُبِّ حُلوةً ولا مُرّةً إلاّ وشُرْبُهُمُ فَضْلي !

٤ – ٥ الفهرست ١٨٠ ؛ الاغاني (الساسي) ٢٠ : ٥٨ – ٦١ ؛ طبقات ابن المعتز ٣٩٥ – ٣٩٦ ؛ تاريخ بغداد ٣ : ١٣٧ – ١٣٨ .

الجاحظ

١ – هو أبو عُثمانَ عَمرُو بنُ بحرٍ الجاحظُ ، وُلِدَ نحو سَنَةِ ١٦٠ ﻫ

١ الاصلاب : الظهور (جمع ظهر) .
٢ الحنوط : مواد كياوية يغسل بها الميت .
٣ يخلقه : يبليه (يذله بالسؤال من الناس) .
٤ الدجن : الغيم الكثير .
٥ القينة : المغنية . – اذا غنت القيان غنت أوتار العود مثلها .

(٧٧٧ م) في الأغلب في مدينة البصرة وفيها نشأ وقضى أكثر عمره . وقد كان أسود اللون : قيل لم يكن عربياً ، بل مولى لأبي القلمّس عمرو ابن قلع الكناني (معجم الأدباء ١٦ : ٧٤) ، وقيل بل كان عربياً خالصاً ، وإنما جاءه السواد من قِبَل إحدى جدّاته في عمود نسبه .

وتعلّم الجاحظ على الأدباء المسجديّين (وهم الذين كانوا يجتمعون في المسجد الجامع في البصرة) ، كما أخذ كثيراً من علوم العربية عن أبي عبيدة معمر ابن المثنّى والأصمعي وأبي زيد الأنصاري ، وأخذ النحو خاصّة عن الأخفش[1] وعلم الكلام عن أبي اسحق ابراهيم النظّام . على أن علمه الواسع جاء من مطالعاته الخاصة في الكتب .

كان الجاحظ في أول أمره ضيّق الرزق يبيع الخبز والسمك بسيحان [2] ؛ ولم يبزغ نجمه إلا بعد أن انتقل من البصرة إلى بغداد لمّا دخلها المأمون آيباً من خراسان ، سنة ٢٠٤ ه . ثم علا نجمه لمّا اتّصل بوزير المعتصم محمّد بن عبد الملك الزيّات فأصبح من الموسرين . ويبدو أن الجاحظ عمل مدّة يسيرة في ديوان الرسائل مع ابراهيم بن العبّاس الصولي ، في أيام المأمون ، ولكنّه كره حياة الديوان وشيكاً فتركها .

في ذلك الحين كان الجاحظ صديقاً لابن الزيّات الوزير مناوئاً للقاضي أحمد ابن أبي دؤاد (لأن ابن الزيّات كان عدوّاً لابن أبي دؤاد) وكان يقول فيه : « ابن أبي دؤاد أعلم ما هو أعلم بالفقه ، وهو لا يعلم من الفقه شيئاً » . فلمّا نكب الخليفة المتوكّل وزيره محمد بن عبد الملك الزيّات وقتله (٢٣٣ ه = ٨٣٧ م) وأصبحت لابن أبي دؤاد اليد العليا في الدولة استقدم الجاحظ مقيّداً في الحديد ثم عفا عنه في حديث طويل وقرّبه وأحسن جوائزه . ثم اتّصل الجاحظ بالفتح بن خاقان الذي وزر للمتوكّل ، نحو سنة ٢٤٠ ه

---

١ في معجم الأدباء (١٦ : ٧٥) : « وأخذ النحو من الأخفش أبي الحسن ، وكان صديقه » . غير أن أبا الحسن الأخفش هو علي بن سليمان المعروف بالأخفش الصغير أو الأخفش الأصغر الذي توفي سنة ٣١٥ ه (معجم الأدباء ١٣ : ٢٤١ ، ٢٥٧) ، وكان مولده نحو سنة ٢٣٥ ه ، فليس من المعقول أن يكون استاذاً للجاحظ الذي ولد سنة ١٦٠ه . ولعله يقصد الأخفش الاوسط سعيد بن مسعدة الذي توفي نحو ٢٢١ه (وفيات الاعيان ١ : ٣٧٢) .

٢ معجم الأدباء ١٦ : ٧٤ . وسيحان نهر بالبصرة .

(٨٥٤ م) ونال حظوةً عنده .

في هذه الاثناء زارَ الجاحظُ سامرّا ثم زار دِمَشْقَ وأنطاكِيَةَ ؛ ولعلَّ ذلك كان في صَفَرَ من سَنَةِ ٢٤٤ هـ (أيّار – مايو ٨٥٨ م) حينما نقلَ المتوكّلُ العاصمةَ إلى دمشْقَ ثم عاد فردّها إلى سامرّا بعد شهرين لأن مُناخَ الشام لم يُوافِقْه . وبعد مقتلِ الفتح بن خاقانَ والمتوكّلِ (٢٤٧ هـ = ٨٦١ م) ، أو قبلَ ذلك بقليلٍ ، عاد الجاحظُ إلى البصرةِ نهائياً .

وفُلِجَ الجاحظُ في أواخر عُمُرِه وعاش في الفالج سَبْعَ سَنَواتٍ ، ولكنه ظل حاضرَ الذهنِ قويّ الذاكرة قادراً على التأليف . وفي المُحَرّم من سَنَةِ ٢٥٥ هـ (شباط – فبراير ٨٦٩ م) سقطت عليه مُجلّداتٌ من كُتُبٍ فمات ، وعُمُرُه نحو ستٍّ وتسعين سنةً .

كان الجاحظُ ، كما يدل لَقَبُهُ ، جاحظَ العينين (أي بارِزَهما) ، أسودَ دَميمَ الخَلْقِ قصيراً ، ولكنه كان قويّ البُنية نشيطَ الجسم .

٢ – كان الجاحظ عظيمَ الذكاءِ قويّ الملاحظة واسعَ التفكير بارعاً في كثير من علوم اللغة والأدب ومن العلوم الطبيعية والعقلية . وكان يجمع إلى ذلك حبَّ اللهو والدُعابة والمَرَح الأصيل . وكذلك كان مفكّراً حرّاً قليلَ الاهتمام بما تواضع عليه الناسُ ، وخصوصاً فيما يتعلق بسلوكه الشخصي في الحياة ، ولم يتزوّجِ الجاحظُ ، ولكنّه كان يتّخِذُ جاريةً بعد أخرى .

اتخذ الجاحظُ أصولَ البلاغة أساساً للنقد ولِتبيان مَراتبِ الكلام . ومَعَ أنه لم يَجْرِ في ذلك على أسلوبٍ منظّم أو شاملٍ ، فانه حاول أن يَضَعَ أُسُساً لمعرفة الكلامِ الجيّد .

يرى الجاحظ أن حقيقة البيان هي الكشفُ عن المعنى بألفاظٍ تؤدّي إلى الفهم والإفهام : إن المعانيَ كثيرةٌ متشعبةٌ ولكنها مستورة في الصدور ، وإنما الفضلُ في الدّلالة عليها باللفظِ الحَسَن . والجاحظ يرى أن الكلام الفاسدَ الساقط آلَفُ لِآذان الناس (العاديين) وأسرعُ إلى العُلوق بألسِنتهم وأشدُّ التحاماً بالطبائع . والإنسان بالتعلم والتكلف وبطول الإختلاف [١] إلى العلماء ومُدارسة

---

١ التردد ، الذهاب .

كتب الحكماء بجود لفظه ويَحسُن أدبُه [1] . « وكما لا ينبغي أن يكون الكلام عاميـاً ساقطـاً سُوقيـاً ، فكذلك لا ينبغي له أن يكون غريباً وَحشيـاً إلا أن يكونَ المتكلمُ بهِ أعرابياً ، فان الوحشي من الكلام يتفهّمه الوحشي [2] من الناس كما يفهم السوقي رَطانة السوقي — . وكلام الناس في طبَقاتٍ كما أن الناس أنفسَهم في طبقات . فمن الكلام الجَزْلُ والسخيفُ والمليح والحسن والقبيحُ ... وكلّه عربيّ ... وقد يُحتاج إلى السخيف في بعض المواضع ، وربما أمتَعَ (السخيفُ) بأكثرَ من إمتاع الجزْل الفخمْ من الألفاظ الشريفة الكريمة المعاني [3] .

والجاحظ يوافق بعض الربّانيين من الأدباء في قوله : « إن المعنى إذا اكتسى لفظـاً حسناً وأعاره البليغُ مخرجاً سهلاً ومنحه المتكلم قولاً متعشَّقاً صار في قلبك أحلى ولصدرك أملا [4] . والمعاني إذا كُسيَت الألفاظَ الكريمة وأُلْبِسَت الأوصافَ الرفيعة تحوّلتْ في العيون عن مقادير صُوَرِها وأرْبَتْ على حقائق أقدارها بقدر ما زُيّنَتْ به وعلى حَسْبِ ما زُخْرِفت» [5] .

وكان للجاحظ شيءٌ من الشعر ، هو من بابِ شعرِ العلماء : معانيَ ومنطقاً ومتانةً في التعبير ولكنْ بلا طَبْعٍ ولا ديباجة ولا رَوْنق . ويبدو أن الجاحظ كان قد حاول التكسّبَ بالشعر في أوّلِ أمرِه . وفي شعره شيء من الحِكمة .

كُتُبَ الجاحظِ كثيرةٌ جداً ومتنوعةُ الموضوعات ، فقد كتب الجاحظ في معظم الفنون التي كانت معروفة في أيامه . فمن كتبه (بعد حـذف كلمـة « كتاب ») : نظم القرآن ، مسائل القرآن ، فضيلة المعتزلة ، الردّ على اليهود ، الردّ على النصارى ، الردّ على العثمانية [6] ، إمامة معاويةَ ، إمامة بني العبّاس ، كتاب اللصوص ، صياغة الكلام ، تصويب عليّ في تحكيم الحكَمَيْن ، افتخار الشتاء والصيف ، كتاب المعلّمين ، كتاب الجواري ، فخر القحطانية والعدنانية ، أخلاق الملوك ، التسوية بين العرب والعجم ، المُزاح والجِدّ ، رسالة في القلم ،

---

١ البيان والتبيين ١ : ٨٥ — ٨٦ ؛ راجع ٧٧ ، وما بعدها .

٢ الوحشي من الناس الذي يسكن بعيداً عن العمران .

٣ البيان والتبيين ١ : ١٣٢ — ١٣٣ .

٤ أملأ ، أكثر ملا .

٥ البيان والتبيين ١ : ٢١١ .

٦ أنصار عثمان بن عفان وخصوم علي بن أبي طالب في النزاع بين علي وعثمان .

فضل اتّخاذ الكتب ، رسالة في مدح النبيذ ، رسالة في ذمّ النبيذ ، رسالة في مدح الكتّاب ، رسالة في ذمّ الكتّاب ، رسالة في من يُسمّى من الشعراء عمراً ، الاستبداد والمشاورة في الحرب ، رسالة في القضاء والولاة ، كتاب الملوك والأمم السالفة والباقية ، النرد والشِطرنج ، غِشّ الصِناعات ، كتـاب ذوي العاهات .

للجاحظ في كتبه **أسلوبانِ** : أسلوبٌ أنيقٌ (فيه صِناعة ومُوازنـة وسَجْع وتأنّق في اختيار الألفاظ وترديدٌ للمعنى الواحدِ في تراكيبَ مختلفة) . ويكادُ يكونُ هـذا الأسلوبُ مقصوراً على مُقَدّماتِ كتبهِ ومطالعِ فصولِه . ثم له أسلوبٌ يجري فيه على السليقةِ ويعالجُ به الموضوعاتِ التي يتناولهـا في مُتونِ كتبه .

والجاحظُ في أسلوبهِ فصيحُ الألفاظ متينُ التركيب يَمْزُج الجِدّ بالهَزْل ويُكثّر التهكّم ، كما يكثر من الاستطراد . والاستطرادُ هو أن يخرُجَ الكاتب عن الموضوع الذي يعالجه إلى موضوعٍ آخرَ قريبٍ منه أو بعيد . وكان الجاحظ يفعل ذلك ترويحاً عن القارئ ودَفعاً للمَلَلِ عنه .

والأسلوب الذي يجري فيه الجاحظ على السليقة شديدُ الصلة بأسلوبِ ابن المُقَفّعِ في كتاب كَليلةَ ودِمنةَ . إلاّ أن أسلوب الجاحظ أمتنُ وآنقُ . ونحن اليومَ إذا أردنا أن نَخْطُبَ في أمرٍ عامّ أو أن نُحاضر في موضوع عِلْميّ أو أن نكتب في مجلّة أو جريدة لجأنا في الأكثر إلى أسلوب ابن المقفع . أما إذا أردنا أن نكتب مقدّمةً لكتابٍ أو أن نُطنِبَ في وصف أمرٍ من الأمور ، خَطابةً أو كِتابة ، فإننا نَلْجأ عادةً إلى أسلوب الجاحظ .

وفي ما يلي عَرْضٌ مُوجَزٌ لخُطّة الجاحظ في كتبه الثلاثة المهمّة :

– **كتاب الحيوان** أكبرُ كتبِ الجاحظ حَجْماً وأجمعها لفنون العلم والأدب معاً . وقد جمع الجاحظ في هذا الكتابَ كلَّ مفيدٍ وكل طَريف لأنه كان يريد أن يحبّب العلم إلى الناس ، لا أن يعلّمَهمُ العلمَ .

وكتاب الحيوان جامع للكلام على أنواع الحيوان وأجناسه وأعضائه ولأحواله وطُرُق حياته . وقد استمدّ الجاحظُ معلوماته في هذا الكتابِ من القرآن الكريم والحديثِ الشريف ومن الشِعر العربي وأقوال العرب . واعتمد الجاحظُ في هذا

الكتاب اعتماداً كبيراً على كتابِ الحَيَوان للفيلسوف اليوناني أرسطوطاليس ، (ت ٣٢٢ ق. م.) ، إلاّ أنه كان ينتقد أرسطو في كثير من الأمور . وفي كتاب الحيوانِ آستطرادٌ كثير إلى ذِكْر القِصَص المتعلّقة بالحيوان وإلى شيءٍ كثير من الشعرِ ومن أخبار الأدب والفلسفة ومن الكلام على الحياة الاجتماعية . ومَعَ أنَّ القصدَ الأولَ من وَضْع هذا الكتاب كان الإحاطةَ بعلم الحيوان ، فإنَّ قيمته لنا اليومَ إنّما هي في أخباره الأدبيةِ والتاريخية التي كان الجاحظ قد آستطرد اليها آستطراداً . إنّ في كتاب الحيوان مثلاً خمسين طَرْدِيّةً (قصيدة في وصف الصيد) لأبي نواس . أمـا الأمور العلمية المتعلقة بالحيوان فليس لها اليومَ قيمةٌ علمية لأن عِلْم الحيوان قد تقدّم كثيراً في الألفِ والمائةِ سنةً التي تَفْصِلُنا عن الجاحظ .

ـ **كتاب البخلاء** كتابٌ جَمَعَ فيه الجاحظُ قِصَصاً عن البُخْل والبُخلاء ، وخصوصاً البُخلَ بالطعام . وأكثر هذه القِصص واقعة ولكنّ الجاحظَ ستَرَ أسماءَ نَفَرٍ من أصحابها . ويَقْصِد الجاحظ أن يُصَوِّرَ في هذا الكتاب طبائع الناس وخصوصاً أولئك الذين يبخلون بشيءٍ دون شيءٍ أو يبخلون على أنفسهم خاصة ويتحملون كل مشقة في أجسامهم وفي أنفسهم في سبيل آدّخار المال ، كما يتساهلون في سبيل ذلك بكثيرٍ من مُثُلِهِمُ العُلْيا .

ثم إن الجاحظ يُريد أن يَصِفَ جانباً من الحياة في العصر العبّاسي : حياةِ البخل في خِضَمٍّ من التَرَف ، وحياةِ أولئك الذين كانوا فُقراءَ ثم أيْسروا فَجْـأةً من طريقِ رَواجِ تجارتهم أو صِناعتهم أو ارتفاع أثمان أراضيهم بعدَ ذلك الانقلابِ الاقتصادي الذي حدث في العراق في صدر العصر العباسي .

وأسلوب الجاحظ في كتاب البخلاء حِسّي ماديّ ، فهو يَحْرِص على استعمال الكلمات التي تُقَرِّبُ الصورةَ الحِسّية من الذهن ولو كانت قريبة من العامّيّة ، نحو « قوّر الرغيفَ » . وقلّما يذكُرُ الجاحظُ المَغْزى المقصودَ من القِصّة التي يَحْكيها ، بلْ يترُكُ ذلك للقارئ يستنتجُ ما يَسْتطيع أن يَتَخيّلَ به القِصّةَ واضحةً أوِ البُخْلَ الذي تُشير اليه مُجسّماً مُبالغاً فيه . وليس في كتابِ البخلاء آستِطْرادٌ ، لأنّ موضوعَ الكتابِ كلّـهِ فُكاهيّ .

ألّفَ الجاحظُ في أواخر عُمُرِهِ ، بعدَ تصنيفِ كتاب الحيوان ، كتاباً سمّاه

البيان (وضوحَ كلام العرب) والتبيين (التعبيرَ بوضوحٍ عن مقاصد الإنسان). وكانت غايةَ الجاحظ من تأليف هذا الكتاب أن يُدافع عن تفوق البيانِ العربي في جميع مظاهره وأن يَرُدَّ على الشُعوبية الذين كانوا يريدون أن ينتقصوا العربَ بالتعريض ببعض أحوالِهِم الاجتماعية والأدبية كحَمْلِهِم العصا عندَ الخَطابة، حتى إنّه عقد فصلاً طويلاً في هذا الكتاب سماه **باب العصا** للرد على الشعوبية خاصة.

وقد تكلم الجاحظ في هذا الكتاب على الألفاظ والتّراكيب وعلى لَهَجَات العرب في البَدْو والحَضَر ثُمَّ تكلم على الشعراء والخطباء والنساك والمعتزلة وعلى مَكانة البيان العربي بالاضافة إلى عبقرية الأمم، وعلى أن عبقرية العرب إنما هي في لُغتهم وبيانهم وشِعرهم. وجمع الجاحظ في هذا الكتاب نماذجَ من الشعر والنثر تمثّلُ أوجه التعبير عن المقاصد وتَصِفُ أحوالَ الإنسان وتأتي شواهدَ على الآراء والمعتقدات وعلى حقائق الأمور. وفي هذا الكتاب استطرادٌ كثير.

٣ ـ المختار من آثاره

ـ من كتاب البخلاء:

قال خاقانُ بنُ صَبيحٍ: دخلتُ على رجلٍ من أهل خُراسان، وإذا هُوَ قد أتانا بمِسْرَجَةٍ فيها فَتيلةٌ في غاية الدقّة، وقد ألقى في دُهْنِ المِسْرَجة شيئاً من مِلْحٍ، وعلّق على عَمُودِ المَنارة عوداً بخيط وقد حَزَّ فيه حتى صار فيه مكانٌ للرباط. فكان المِصْباح إذا كاد ينطفئُ أشْخَصَ رأسَ الفتيلة بذلك العود.

قال خاقان: فقلت له: ما بالُ العودِ مربوطاً؟

قال: هذا عودٌ قد تَشَرّبَ الدُهْنَ، فإذا ضاع ولم يُحفَظ احتَجْنا إلى واحدٍ عَطشانَ. فإذا كان هذا دأبَنا ودأبَه ضاع من دُهْنِنا في الشهر بِقَدْرِ كِفايةِ لَيْلة.

قال خاقانُ: فبيْنا أنا أتعَجّبُ في نفسي وأسألُ اللهَ جَلّ ذِكْرُهُ العافيةَ والسترَ، إذ دخل شيخٌ من أهلِ مَرْوَ، فنظر إلى العود فقال: يا أبا فُلان، فَرَرْتَ من شيءٍ فوقعتَ في شبيهٍ به! أمَا تعلمُ أن الريحَ والشمسَ تأخُذانِ

من سائرِ الاشياء ؟ أوَلَيْسَ قد كان (هذا العود) البارِحَةَ عندَ إطفاءِ السِراجِ أرْوى وهُوَ عند إسراجِك الليلةَ أعطشُ ؟ قد كنتُ أنَا جاهلاً مثلَكَ حتى وَفقني اللهُ إلى ما هو أرْشدُ ! أرْبِطْ – عافاك اللهُ – بَدَلَ العود إبرةً أو مِسَلَّةً صغيرة ، وعلى أن العود والخِلالَ [1] والقَصَبَة ربما تَعَلَّقت بها الشَعْرة من قُطْن الفَتيلة إذا سوّيناها بها فتَشخَص بها [2] ، وربما كان ذلك سبباً لانطفاء السراج . والحديدُ أملسُ ، وهو مَعَ ذلك غيرُ نَشّاف .

قال خاقانُ : ففي تلك الليلةِ عَرَفْتُ فضلَ أهلِ خُراسانَ على سائر الناس، وفضلَ أهل مَرْوَ على سائر أهلِ خُراسان !

– من كتاب البيان والتبيين : الشعر :

والعربُ يَتَذَكرون الكلامَ الموزون ويَمْدحون به . وكان الشاعرُ في الجاهلية يُقَدَّم على الخطيب لفَرْط حاجتهم إلى الشعر الذي كان يُقَيِّد عليهم مآثِرَهم ويفخِّم شأنهم ويهوِّل على عدوِّهم . فلما كَثُرَ الشعرُ والشعراءُ واتخذوا الشعر مَكْسَبَةً ورَحَلوا إلى السوقة وتسرّعوا إلى أعراض الناس صار الخطيب عندهم فوق الشاعر [3] . ولقد قال الأول : الشعر أدني مُروءة السَرِيِّ [4] وأسرى مروءة الدنيء [5] . قال : ولقد وَضَعَ [6] قولُ الشعر من قَدْر النابغة ، ولو كان في الدهر الاول [7] ما زاده ذلك إلا رُفْعة . والخطباءُ كثيرون ، والشعراءُ أكثرُ . ومَن يَجْمَعُ الخَطابةَ والشِعرَ قليلٌ ... وأجودُ الشعر ما رأيته متلاحمَ الأجزاء سهلَ المخارج [8] ، قد أُفْرِغ إفراغاً واحداً وسُبِك سبكاً واحداً فهو يجري على اللسان كما يجري الدِهان .

وقد يتّفق الوزنُ في الكلام ولا يكون شِعراً . وقد طُعِنَ في قوله عليه

١ عود رفيع من خشب تنظف به الاسنان مما يعلق بها .
٢ يرتفع (بغير قصد) .
٣ راجع الجزء الأول ١٧٩ – ١٨٠ .
٤ السري : الشريف (يقصد : الشعر أقل محاسن الرجل إذا اتخذه حرفة يمدح به الآخرين) .
٥ يقصد : الشعر أشرف ما يتصف به الدنيء (الوضيع) إذا مدحه الآخرون به .
٦ وضع : حط ، نقص .
٧ الزمن القديم (قبل أن يتعود الشعراء التكسب بالشعر) .
٨ متجانس الالفاظ ، سلساً في القول .

السلام [1] : هل أنتِ إلّا إصبعٌ دَميتِ ، وفي سبيل الله ما لَقيتِ [2] . وكذلك (طعن في) قول الباعة : «من يشتري باذنجان» ، أو قولِ الغلامِ المريض : «اذهبوا بي إلى الطبيبِ وقولوا قد اكتوى» .

ومن شعراء العرب من كان يَدَعُ القصيدة تمكث عنده حَوْلاً يردّد فيهما نَظَرَه إشفاقاً على أدبه . وكانوا يسمّون تلك القصائد الحَوْليّات والمُقَلّدات والمُنَقّحات والمُحَكّكات .

— من كتاب البيان والتبيين : الخطابة :

وكانوا يمدحون الجَهيرَ الصوتِ ويذمّون الضئيلَ الصوتِ .

ثم اعْلَمْ بعدَ ذلك أن جميعَ خُطَبِ العرب من أهل المَدَر والوَبَر والبَدْو والحَضَر على ضربين ، منها الطِوال ومنها القِصار ، ولكلّ ذلك مكانٌ يليقُ به وموضع يَحْسُنُ فيه . ومن الطِوال ما يكون مُستوياً في الجودة ومُشاكِلاً في استواء الصَنعة ، ومنها ذاتُ الفِقَر الحِسان والنُتَف الجِياد وليس فيها بعد ذلك شيء يستحق الحفظ . ووجدنا عددَ القصارِ أكثرَ ورواةَ العلمِ إلى حفظها أسرع . وكانوا يُحبون ترصيعَ الخُطَبِ بآياتِ القرآنِ حتى قال بعضهم : هذا الفتى أخطب العرب لو كان في خطبته شيء من القرآن . وأكثر الخطباء يتمثّلون في خطبهم الطِوالِ بشيء من الشعر ، ولا يكرهونه في الرسائل إلاّ أن تكون إلى الخلفاء .

— من كتاب البيان والتبيين : فضل العصا :

قال الجاحظ : كانت العرب تَخْطُب بالمخاصر [3] وتعتمد على الارض بالقِسِيّ وتُشير بالعِصِيّ والقَنا حتى كانت المخاصر لا تفارق أيدي الملوك في مجالسها .

قال أبو عثمان [4] : وقد طَعَنَتِ الشعوبيةُ على أخذِ العربِ المِخْصرةَ في

---

[1] المقصود : نفيت عنه صفة الشعر ، لأن الوزن اتفق فيه اتفاقاً ، ولم يقصد الرسول أن ينظم شعراً لما قال هذه الجملة .

[2] ويقال ان الرسول استشهد بهذا البيت (وهو في الأصل شعر) .

[3] المخصرة : عصاً قصيرة ، وقد تكون لينة .

[4] الجاحظ .

خطبها والقَنا [1] والقضيبَ ، والاتّـكاءَ والاعتماد على القَوْس ، والخَدّ [2] في الأرض ، والإشارة بالقضيب ، بكلام مُسْتَكْره .

ونبدأ على اسم الله تعالى بذكر مذهب الشعوبية ومن يتحلّى باسم التَسْوية [3] وبمطاعنهم على خطباء العرب : بأخذِهِمُ المِخْصرةَ عند مُناقلة الكلام ومُساجلة الخصوم بالمنثور والمقفّى والموزون الذي لم يُقَفّ وبالأرجاز عند المَتْح [4] ، وفي مَقامات الصلح والقول عند المُعاقدة والمعاهدة ، مَعَ الذي عـابوا من الإشارة بالعِصيّ والاتّـكاء على أطراف القِسِيّ وخَدّ وجه الارض بهـا ، ولُزومِها العمائمَ في أيام الجُمَع وأخذِها المخاصرَ في كل حال وجلوسها في خُطَب النِكاح [5] وقيامها في خطب الصُلح وكل ما دخل في باب الحَمالة [6] .

– من كتاب الحيوان : تقسيم الحيوان :

إنّ العالَمَ بما فيه من الأجسام على ثلاثةِ أنحاء : مُختلِف ومُتّفق ومُضادّ ، وكلّها في جُمْلة القول جَمادٌ ونامٍ [7] .... ثُمَّ إن الناميَ على قسمين : حَيَوانٍ ونباتٍ . والحيوان أربعة أقسامٍ : شيءٌ يمشي ، وشيءٌ يطيرُ ، وشيء يَسْبَح ، وشيء يَنْساح [8] . والشيء الذي يَمْشي ناسٌ وبهائمُ وسِباعٌ وحشراتٌ ....

– من كتاب الحيوان : عجائب الوجود :

ثمّ اعْلَمْ أنّ الجَبَلَ ليس أدلّ على اللهِ من الحَصاةِ [9] ، ولا الفَلَكُ

---

١ القنا جمع قناة : القصبة ، الرمح . القسيّ جمع قوس .
٢ خد الارض : جرح وجهها ، شقها .
٣ القائلون بالتسوية : غير العرب الذين كانوا يقولون ان العرب وغير العرب سواء ولا فضل لأمة على أخرى .
٤ المتح : استقاء الماء من البئر بالحبل جذباً .
٥ عند عقد الزواج يخطب أحد رؤساء القبيلة خطبة قصيرة في فضل الزواج .
٦ الحمالة : الكفالة : حمل الدية عن الذين يعجزون عن أدائها .
٧ النامي : الذي ينمو ، الحي .
٨ ينساح : يزحف على بطنه (كالحية) .
٩ الحصاة : الحجر الصغير (المتكون على ما هو عليه لا المنفصل من غيره) .

المشتملُ على عالَمِنا هذا بأدلَّ على الله من بَدَنِ الإنسان . وإنَّ صَغيرَ ذلك ودَقيقَه كعظيمِه وجليلِه . ولم تَفْتَرِقِ الأمورُ في حقائِقِها وإنَّما افترقَ المفكِّرون فيها .

– من كتاب الحيوان : الحية التي تصيد طعامها :

إنَّ في رمال بَلْعَنْبَرٍ [1] حَيَّةً تصيدُ العصافيرَ وصغارَ الطيرِ بأعجبِ صَيْد . زعموا أنَّها إذا انْتَصَفَ النهارُ واشتدَّ الحرّ وامْتَنَعَت الأرضُ على الحافي والمُنْتَعِلِ ورَمِضَ الجُنْدُبُ [2] غَمَسَتْ هذه الحيَّةُ ذنَبَها في الرملِ ثمَّ انتصبت كأنَّها رُمْحٌ مركوزٌ أو عودٌ ثابت . فيجيءُ الطيرُ الصغيرُ أو الجرادةُ ، فإذا رأى عوداً قائماً وكَرِهَ الوقوعَ على الرمل لِشِدَّةِ حَرِّهِ وَقَعَ على رأسِ الحيّة على أنهما عودٌ . فإذا وَقَعَ على رأسِها قَبَضَتْ عليه . فإنْ كان جَرادةً أو جُعَلاً [3] أو بعضُ ما لا يُشْبِعُها مِثْلُه ابتَلَعَتْه وبَقِيَتْ على انتِصابِها ، وإن كان الواقعُ على رأسِها طائراً يُشْبِعُها مِثْلُه أكَلَتْه وانْصَرَفَتْ .

– من كتاب الحيوان : إلحاح الذِبّان [4] على الجاحظ :

فأما الذي أصابني أنا من الذِبّان فإنني خَرَجْتُ أمشي من عند ابن المبارك أريد دَيْرَ الربيع ، ولم أَقْدِرْ على دابّة . فمررتُ بِعُشْبٍ ونبات مُلْتَفّ كثيرِ الذِبانِ ، فسقط ذُباب من ذلك الذبان على أنفي ، فطردته فلم أقدر فتحوّل إلى عيني . فزدتُ في تحريك يدي فتنحّى بقَدْرِ شدة حركتي وذَبّي [5] عن عيني . ولِذِبّانِ الكلأ والغِياض والرياض [6] وقعٌ ليس لغيرها . ثم عاد

---

١ بلعنبر = بنو العنبر .

٢ الجندب : نوع من الجراد صغير الحجم يقفز ولا يطير . رمض : اشتد الحر على صدره الملامس الرمضاء (الرمل الحار) .

٣ الجعل : خنفساء ، دويبة سوداء كريهة الريح والمنظر .

٤ في القاموس (١ : ٦٨) : الذباب (بضم الذال) : اسم جمع ، والواحدة ذبابة والجمع ذبان (بكسر الذال) والملموح من النص أن الجاحظ يطلق « الذباب » على الواحدة من الذبان .

٥ الذب : التنفير ، الطرد .

٦ الذبان الموجود في الكلأ (العشب ، منابت العشب المرتفع) والغياض (جمع غيضة بفتح الغين : الشجر المجتمع في أرض منخفضة وفيها ماء) والرياض (جمع روضة بفتح الراء وجمع ريضة بكسر الراء : مكان في الرمل فيه ماء مستنقع وعشب – القاموس ٢ : ٣٣٣) .

إليّ فعُدتَ عليه . ثم عاد فعُدتَ بأشدَّ من ذلك . فلما عاد استعملتُ كُمّي فذَبَبْت بـه عن وجهي . ثم عاد ، وأنا في ذلك أحُثّ السيرَ أؤمِلُ بسُرعتي انقطاعَه عني . فلما عاد نزَعْتُ طَيلساني من عُنُقي فذَبَبْتُ به عني بَدَلَ كُمّي . فلمّا عاد ولم أجدْ له حيلةً استعملتُ العَدْوَ[1] فعَدَوْتُ منه شَوْطاً لم أتكلّفْ مثلَه منذ كنتُ صَبيّاً . فتلقّاني الأندلسيّ فقال لي : ما لكَ ، يا أبا عُثمانَ ؟ هلْ من حادثةٍ ؟ قلت : نعمْ ، أريد أن أخرجَ من موضعٍ للذِبّان عليّ فيه سلطانٌ ! فضَحِكَ حتى جلَس . وانقطع عني ، وما صَدّقت بانقطاعه عني حتى تباعد جداً .

– من شعره : الشيخوخة والشباب :

أترجو أن تكونَ وأنتَ شَيْـخٌ كما قدْ كُنْتَ أيّامَ الشّبابِ ؟
لقدْ كَذَبَتْكَ نفسُك : ليس ثوبٌ دريسٌ كالجديد من الثيابِ[2] !

٤ – البخلاء (نشره فان فلوتن) ، ليدن (بريل) ١٩٠٠ م ؛ القاهرة (الساسي) ١٣٢٣ هـ (١٩٠٥ م) ؛ (نشره العوامري والجارم) ، القاهرة (دار الكتب) ١٩٣٨ م ؛ (نشره مكتب النشر العربي) ، دمشق (مطبعة ابن زيدون) ١٩٣٨ ؛ دمشق (دار اليقظة) ١٩٦٣ ؛ (نشره طه الحاجري) ، القاهرة (الكاتب المصري) ١٩٤٨ م ؛ بيروت (دار بيروت ودار صادر) ١٣٧٦ هـ (١٩٥٧ – ١٩٥٨ م) ؛ (نشره محمّد علي الزعبي) ، بيروت (مكتبة العرفان) ١٩٥٥ م .

البيان والتبيين (الفاكهاني) ، القاهرة (المطبعة العلمية) ١٣١١ – ١٣١٢ هـ ؛ (نشره محبّ الدين الخطيب) ، القاهرة (الفتوح) ١٣٣٢ هـ (١٩١٤ م) ؛ (نشره السندوبي) ، القاهرة (المكتبة التجارية الكبرى) ١٣٥١ هـ (١٩٣٢ م) ؛ (نشره عبد السلام محمّد هارون) ، القاهرة (لجنة التأليف والترجمة والنشر) ١٣٦٧ – ١٣٦٩ هـ (١٩٤٨ – ١٩٥٠ م) .

كتاب الحيوان ، القاهرة (الساسي) ١٣٢٥ هـ ؛ (نشره محمّد عبد السلام

---

١ العدو (بفتح العين وسكون الدال) : الجري ، الركض .
٢ الدريس : البالي ، الخلق (بفتح الخاء واللام) ، المتهرئ .

هارون) ، القاهرة (عيسى البابي الحلبي) ١٣٥٦ – ١٣٦٦ هـ (١٩٣٨ – ١٩٤٥ م) .

التربيع والتدوير (بلّا) ، دمشق (المعهد الفرنسي) ١٩٥٥م .

رأي الجاحظ في معاوية والأمويّين (نشره عزّت العطّار) ، القاهرة (عزّت العطّار) ١٩٤٦ م .

ثلاث رسائل (فان فلوتن) ، ليدن (بريل) ١٩٠٣ م ؛ (فنكل) ، القاهرة (المطبعة السلفية) ١٣٤٤ هـ .

مجموع رسائل الجاحظ (الساسي) ، القاهرة (مطبعة التقدّم) ١٣٢٤ هـ (١٩٠٦ م) ؛ (السندوبي) ، القاهرة (المطبعة التجارية) ١٣٥٢ هـ (١٩٣٣ م) ؛ (باول كراوس وطه الحاجري) ، القاهرة (لجنة التأليف والترجمة والنشر) ١٩٤٣ م .

فلسفة الجدّ والهزل (رسالة الجدّ والهزل ورسائل أخرى عني بنشرها محمّد علي الزعبي) ، بيروت (منشورات حمد) بلا تاريخ .

كتاب العثمانية (عبد السلام محمّد هارون) ، القاهرة (دار الكتاب العربي) ١٣٧٣ هـ (١٩٥٥ م) .

مناقب الترك ، القاهرة (مطبعة مصباح الشرق) ١٨٩٨ م .

القول في البغال (بلّا) ، القاهرة (البابي) ١٩٥٥ م .

مفاخرة الجواري والغلمان (بلّا) ، بيروت (دار المكشوف) ١٩٥٧ م .

تهذيب الأخلاق (محمد كرد علي ؟) ، دمشق ؟ ١٩٢٤ م ؟

ومن الكتب المشكوك فيها :

التاج في أخلاق الملوك (بتحقيق أحمد زكي باشا) ، القاهرة (المطبعة الاميرية) ١٩١٤ م .

التبصرة بالتجارة (نشره حسن حسني عبد الوهاب) ، دمشق (المجمع العلمي العربي) ١٣٥٢ هـ (١٩٣٢ م) .

الحنين إلى الأوطان (طاهر الجزائري) ، القاهرة (مطبعة المنار) ١٣٣٣ هـ (١٩١٥ م) .

الدلائل والاعتبار على الخلق والتدبير (محمد راغب الطبّاخ) ، حلب (المطبعة العلمية) ١٩٢٨ م .
المحاسن والاضداد (نشره فان فلوتن) ، ليدن (بريل)١٨٩٨ م ؛ القاهرة (محمّد توفيق) ١٣٣٢ هـ ؛ بيروت (مكتبة العرفان) ١٩٥٠ م .
•• الجاحظ ، تأليف خليل مردم ، دمشق (مطبعة الاعتدال) ١٩٣٠ م .
أدب الجاحظ ، تأليف حسن السندوبي ، القاهرة (المطبعة التجارية الكبرى) ١٩٣١ م .
الجاحظ وفنّ القصص في كتاب البخلاء ، تأليف محمّد المبارك ، دمشق (مطبعة الترقّي) ١٩٤٠ م .
الجاحظ معلّم العقل والأدب ، تأليف شفيق جبري ، القاهرة (دار المعارف) ١٩٤٨ م .
الجاحظ ، تأليف حنّا الفاخوري ، بيروت (دار المعارف) ١٩٥٣ م .
النثر الفنّي وأثر الجاحظ فيه ، تأليف عبد الحكيم بلبيع ، القاهرة (مكتبة الانكلو) ١٩٥٤ م .
الجاحظ في البصرة وبغداد وسامرّا ، تأليف شارل بلّا (ترجمة ابراهيم كيلاني) ، دمشق (دار اليقظة) ١٩٦١ م .
أصالة الجاحظ ، تأليف شارل بلّا ، الدار البيضاء (دار الكتاب) ١٩٦٢ م .
الجاحظ : حياته وآثاره ، تأليف طه الحاجري ، القاهرة (دار المعارف) ١٩٦٢ م .
الجاحظ ومجتمع عصره ، تأليف جميل جبر ، بيروت (المطبعة الكاثوليكية) ١٩٥٨ م .
البيان والتبيين وأهمّ الرسائل ، تأليف جميل جبر ، بيروت (المطبعة الكاثوليكية) ١٩٥٩ م .
نوادر الجاحظ ، تأليف جميل جبر ، بيروت (دار الاندلس) ١٩٦٣م .
الجاحظ : حياته وأدبه وفكره ، تأليف جميل جبر ، بيروت (دار الكتاب اللبناني) ١٩٥٩ م .

الجاحظ والحاضرة العبّاسية ، تأليف وديعة طه النجم ، بغداد (مطبعة الارشاد) ١٩٦٥ م .

تاريخ بغداد ١٢ : ٢١٤ وما بعدها ؛ معجم الأدباء ١٦ : ٧٤ — ١١٤ ؛ وفيات الاعيان ٢ : ١٠٨ — ١١١ ؛ شذرات الذهب ٢ : ١٢١ — ١٢٢ ؛ بروكلمان ١ : ١٥٨ — ١٦٠ ، الملحق ١ : ٢٣٩ — ٢٤٧ ؛ زيدان ٢ : ١٩٣ — ١٩٦ ؛ ٤٠٦١

Enc . Isl (new ed) II 385 - 7

أبو حاتِمٍ السِجِسْتانيّ

١ — هو أبو حاتِمٍ سَهْلُ بن محمّدِ بنِ عُثمانَ بن يَزيدَ الجُشَمِي السِجِسْتانيّ ، مولى بني جُشَمٍ ، وجُشَمٌ اسمٌ لعددٍ من قبائلِ العرب .

وُلِدَ أبو حاتِمٍ السجستانيّ في البصرة نحو سنة ١٦٥ هـ (٧٨١ م) ، وأخذ علوم العربية عن الأصمعي وأبي عبيدةَ وأبي زيدٍ الانصاري ، وقرأ كتابَ سيبويهِ مرّتين على الأخفش الاوسط .

جاء أبو حاتِمٍ إلى بغدادَ فشَغَبَ عليه العامّة في المسجد ، في أثناء مُناقشةٍ في تفسيرِ القرآن ، فأخذه الشرطة هُوَ ومَن كان معَه ، فعاد من أجل ذلك إلى البصرة . وفي البصرة كان أبو حاتِمٍ إمامَ جامِعِها ، وكان يَجْمَعُ الكُتُبَ ويَتَّجِرُ بها .

وكانت وفاةُ أبي حاتِمٍ السِجِسْتاني سَنَةَ ٢٥٥ هـ (معجم الأدباء ١١ : ٢٦٥) .

٢ — أبو حاتِمٍ السِجِسْتاني من أئمّة البصريين في القِراءة واللغة والعَروض وفي الغريب والشعر ، ولكنه أهمل النحو . وقد كان شاعراً وسطاً . ومن كتبه : كتاب القراءات ، إعراب القرآن ، كتاب الإدغام ، كتاب الأضداد ، المقصور والممدود ، كتاب الفصاحة ، كتاب ما تلحن فيه العامّة ، كتاب النخلة ، كتاب الطير ، كتاب الوحوش ، كتاب خَلق الإنسان ، كتاب المعمَّرين ، كتاب الليل

والنهار ، كتاب الوصايا ، كتاب الهجاء ، كتاب الزرع ، كتاب الحنين إلى الأوطان ، كتاب الفرق بين الآدميين وبين كل ذي روح .

وكان أبو حاتم يعرف الكتابة بالحبر السرّي (وفيات الاعيان ١ : ٣٩٠) .

٣ – المختار من شعره

– قال أبو حاتم السجستانيّ في الغزل :

أبرزوا وَجْهَهُ الجميـ ... ـلَ ولاموا مَن افْتَتَنْ .
لو أرادوا عفافَنـا ... ستَروا وجهَهُ الحَسَنْ !

– وله في الغزل أيضاً :

الدمعُ من عينيَّ مُرْفَضٌ ، ... وللهوى في كَبِدي عَضّ .
أخلَقَ وجْهي شادنٌ وجهُهُ ... عندي جديدٌ أبداً غَضٌّ ،
أرْعَدُ ، إن أبصرتُه مُقْبِلاً ، ... كأنّما بي تَزْحَفُ الأرض!

٤ – كتاب المعمَّرين (غولتسيهر) ، ليدن ١٨٩٩ م ؛ القاهرة (المكتبة المحمودية) بلا تاريخ ؛ القاهرة (دار إحياء الكتب العربية) ١٩٦١ م .

كتاب الوصايا ، كمبردج ١٨٩٦ م .

كتاب الأضداد (في « ثلاث رسائل » ، نشرها هفنر) ، بيروت ١٩١٢ م .

كتاب النخل (أو النخلة) ، بالرمو ١٨٧٣ م ؛ ثم رومية ١٨٩١ م .

ديوان الحطيئة (راجع ابن السكّيت) .

•• الفهرست ٥٨ – ٥٩ ؛ طبقات الزبيدي ١٠٠ – ١٠٣ ؛ معجم الأدباء ١١ : ٢٦٣ – ٢٦٦ ؛ وفيات الاعيان ١ : ٣٩٠ – ٣٩١ ؛ إنباه الرواة ٢ : ٥٨ – ٦٤ ؛ بغية الوعاة ٢٦٥ ؛ شذرات الذهب ٢ : ١٢١ ؛ بروكلمان ١ : ١٠٧ ، الملحق ١ : ١٦٧ ؛ زيدان ٢ : ٢١٥ – ٢١٦ .
Enc . Isl . (new ed .) I 125

العبّاسُ الرِياشيُّ النَحْوي

هو أبو الفضلِ العبّاسُ بنُ الفَرَجِ ، كان أبوه عبداً لرجلٍ من بني جُذام يُدْعى رِياشاً فنُسِبَ اليه ثمّ باعه لرجل من بني هاشمٍ ، فهو مَوْلى محمّدِ ابنِ سُليمانَ بنِ عليٍّ .

وُلِدَ العبّاسُ الرياشي في البصرة سَنَةَ ١٧٧ هـ (٧٩٤ م) فتلقّى علمَ اللغة والأدب على الاصمعيّ وأكثر مُجالسته وحَفِظَ كتبه كما سَمِعَ (الحديث) من أبي مَعْمَرٍ عبد الله بن عُمَرَ البصريّ المُقْعَدِ (ت ٢٢٤ هـ) . وقرأ كتاب سيبويهِ على المازنيّ . وقد حفظ كتبَ ابي زيدٍ الأنصاريّ ولكن لم يجالسه كثيراً .

وفي سَنَةِ ٢٣٠ هـ (٨٤٥ م) جاء الرياشي إلى بغدادَ فحدّث فيها مُدَيْدَةً ثمّ عاد إلى البصرة . وكذلك حُمِلَ إلى الخليفةِ المتوكّلِ في سُرّ مَنْ رأى فعَرَضَ عليه المتوكّلُ أن يُوَلّيَهُ القضاءَ في البصرة ، فاستعفاهُ الرياشي من ذلك .

وقُتِلَ الرياشي في فتْنَةِ الزَّنْج في البصرة قُبيل منتصف شوالٍ من سنة ٢٥٧ هـ (نحو ٣-٩-٨٧١ م) .

كانَ العبّاسُ الرياشي عالماً باللغة والنحو والشعر مُلمّاً بالحديث وله تصانيفُ منها : كتاب الخيل ، كتاب الإبلِ ، كتابُ ما اختلفتْ أسماؤه من كلام العرب . وكذلك كان من أهل الأدب يقول شعراً عادياً قليلاً .

— •• الفهرست ٥٨ ؛ تاريخ بغداد ١٢ : ١٣٨ — ١٤٠ ؛ طبقات الزبيدي ١٠٣ — ١٠٦ ؛ معجم الأدباء ١٢ : ٤٤ — ٤٦ ؛ وفيات الاعيان ١ : ٤٤٠ — ٤٤١ ؛ إنباه الرواة ٢ : ٣٦٧ — ٣٧٣ ؛ بغية الوعاة ٢٧٥ — ٢٧٦ ؛ شذرات الذهب ٢ : ١٣٦ .

الحُسينُ المِصْريُّ الجَمَلُ

١ — هو أبو عبد الله الحسينُ بن عبدِ السلام المِصْريّ المعروف بالجملِ ،

وُلِدَ قبل سنة ١٧٠ هـ (٧٨٦ م) .

تكسّب الحسين المصري بالشعر فوَفَدَ على أحمدَ بنِ المُدبّرِ في دِمَشْقَ ، وكذلك مدح المأمون لما جاء المأمون إلى مصر (معجم الأدباء ١٠ : ١٢٣ع) . ومدح عبدَ الله بنُ طاهرٍ أيضاً .

وعُمِّرَ الحسين المصري وتُوُفِّيَ في ربيع الآخر ٢٥٨ هـ (٨٧٢ م) .

٢ — كان الحسين المصري من الفُقهاء ورُواةِ الحديث ، كما كان أديباً شاعراً . وكان هَجّاء ، ولكنه برع أيضاً في المديح والأدب . وشعره متين .

٣ — المختار من شعره

— للحسين المصريّ الجملِ أبياتٌ في الأدب والحماسة بارعةٌ جداً :

إذا أظمأتْكَ أكُفُّ اللئـامِ كَفَتْكَ القَناعةُ شِبْعاً ورِيّا .
فكُنْ رجلاً رِجلُه في الثّرى وهامةُ هِمّتِه في الثُّريّا ،
أبيّاً لنائلِ ذي ثَـرْوةٍ تراه بما في يَدَيْهِ أبيّا .
فإنّ إراقةَ ماءِ الحيـا ةِ دونَ إراقةِ ماء المُحَيّا [1]

٤ — •• معجم الأدباء ١٠ : ١٢١ — ١٢٣ .

فَضْلُ الشاعرةُ

١ — فَضْلُ الشاعرةُ ، أو فضل العَبْدِيّةُ ، جاريةٌ مُوَلّدةٌ كانت أمّها لرجلٍ من بني عبد قيس باليمامة فاستولدها فضلَ . وسكنت فضلُ البصرةَ حيناً وتأدّبتْ وبَرَعَتْ في كلّ فنّ ثم تقلّبت بهـا الأحوالُ حتى اشتراها المتوكّل .

وتُوُفّيتْ فَضْلُ سنة ٢٦٠ هـ (٨٧٤ م) .

---

[1] المحيا : الوجه — الموت افضل من سؤال الناس .

٢ – قال ابن المعتز (طبقات ٤٢٦) : « كانتْ فضلُ الشاعرةُ نهايةً في الجمال والكمال والفصاحة والتّسَنِ وجودة الشعر ، يجتمع عندها الأدباء ، ولها في الخُلفاء والملوك المدائحُ الكثيرة . وكانت تَتَشَيّع وتَتَعَصّبُ لهذه العصابة وتَقْضي حَوائجَهم بجاهها ومنزلتها عند الملوك والاشراف . وكان من خَبَرِها أنها عَشِقَتْ سعيدَ بن حُميدِ الكاتبَ ، وكان سعيدٌ من أشدّ الناس نَصْباً (بغضاً لعلي بن أبي طالب) وانحرافاً عن آل الرسول عليهم السلام ، وكانت فضلُ في الغاية والنهاية من التشيع . فلما هويتْ سعيداً انتقلت إلى مذهبِه ولم تَزَلْ على ذلك إلى أن تُوُفِّيَتْ » .

وكانت فضلُ الشاعرةُ بارعةً في الشعر والنثر والترسّل . وهي شاعرةٌ مطبوعةٌ فصيحةٌ سريعة البديهة . وفنون شعرها المديح والهجاء وعددٌ من الاغراض الوجدانية .

٣ – المختار من شعرها

– قالتْ فضلُ الشاعرةُ في النسيب :

الصبر يَنْقُصُ ، والسَقام يزيدُ ، والدارُ نائيةٌ ، وأنتَ سعيدُ .
أشكوك أم أشكو إليكَ ؟ فإنــه لا يستطيعُ سواهما المَجْهود .
إني أعوذُ بحُرمتي بكَ في الهوى مِنْ أن يُطاع لديك فيَّ حسود !

– وبلغَ فضلَ الشاعرةَ أنّ سعيدَ بن حُميد عَشِقَ جاريةً من جواري القِيانِ فغارتْ منها وكتبت اليه تَصِفُ سُلوك هذه الطَبَقة من النساء .

يا حَسَنَ الوجهِ سيّء الادبِ ، شِبْتَ وأنت الغُلامُ في الأدبِ .
وَيْحكَ ، إنّ القِيانَ كالشَرَكِ المَنْصوبِ بينَ الغُرورِ والكَذِبِ .
لا يَتَصَدّيْنَ للفقــير ، ولا يَتْبَعن إلاّ مواضع الذَهَبِ .
بَيْنَا تَشكّي إليك إذ خَرَجَتْ من لَحَظاتِ الشكوى إلى الطلب.
تَلْحَظُ هذا وذا وذاك وذا لحظَ مُحبٍّ بعينِ مُكْتَسِبِ !

٤ – •• طبقات ابن المعز ٤٢٦ – ٤٢٧ ؛ الاغاني ١٩ : ١٧٦ – ١٨٥ ؛ فوات الوفيات ١ : ١٥٧ – ١٥٩ .

سعيد بن حُميد الكاتب

١ - هو أبو حُميدٍ سعيدُ بن حُميدِ بن سعيد بن حُميد بن بَحْرٍ ، كان أبوه من أولاد الدهاقين ومن أهل النهروانِ الأوسط ، جنوبَ البصرة . كان مولده في سامرّا ، وكان أبوه يتنقّل به بين سامرّا وبغدادَ فتلقّى سعيدٌ شيئاً من العلم على ابن الاعرابي (ت ٢٣١ هـ) ثم أصبح في أيام المأمون من الأدباء المعروفين ومن كُتّاب الدواوين البارزين . ولكنّ سعيداً كان ماجناً كثيرَ التنقّل بين النساء ، إلاّ أنّ تعلّقَه كان بفضلَ الشاعرةِ ، وكانت هي تودّه إلى أن فَسَدَ ما بينَهما .

٢ - سعيد بن حُميدٍ شاعرٌ ظريفٌ رقيق عَذْبُ الألفاظِ صاحبُ بَديهةٍ وعلى شيء من القدرة في قول الشعر . وفنونه العتاب والهجاء والغزل والمجون . ثم هو مترسّل بارع . ولسعيدِ بن حُميدٍ ديوان شعر وديوان رسائلَ وكتاب انتصاف العجم من العرب ويعرف بكتاب التسوية .

٣ - المختار من شعره ونثره

- كتب سعيد بن حميد إلى فضلَ الشاعرةِ رُقْعَةً فيها :

تظنّونَ أني قد تَبَدَّلْتُ بعدَكم بَديلاً ؛ وبعضُ الظنِّ إثمٌ ومُنْكَرُ .
إذا كان قلبي في يَدَيْكِ رهينةً ، فكيف - بلا قلبٍ - أصافي[1] وأهْجرُ ؟

- تغاضب سعيدٌ وفضلُ الشاعرةُ أياماً ثم كتب اليها :

تَعالَيْ نُجَدِّدُ عهدَ الرضا ونصفَحُ في الحب عمّا مضى ؛
ونجري على سُنَّةِ العاشقين ونَضْمَنُ عنّي وعَنْكِ الرضا ؛
ويبذُلُ هذا لهذا هواه ، ويَصْبِرُ في حُبّهِ للقضا .
ونخضَعُ ذُلاًّ خضوعَ العبيدِ لمولىً عزيزٍ إذا أعرضا .
فإنّـيَ مُذْ لَجَّ هذا العِتابُ كأنّيَ أبْطَنْتُ جَمْرَ الغَضا .

١ كيف أستطيع - وقلبي معك - أن أصافي (أحب) غيرك؟

– كتب سعيدُ بن حميدٍ إلى صالحِ بن يزدادَ في يوم نوروزٍ (ديوان المعاني ١ : ٩٥ – ٩٦) :

النفسُ لك والمالُ منك والرجاء مَوْقوفٌ عليك والأمرُ مصروف اليك ، فما عسانا أن نُهْدِيَ لك في هذا اليومِ وهو يومٌ قد شَمِلَتْ فيه العادة للاتباع الأولياء باهدائهم إلى السادة العظماء ، وكَرِهْنا أن نُخْلِيَهُ من سُنَّتِه فنكونَ من المُقَصِّرين أو نَدَّعي أن في وُسْعنا ما يَفي بحقِّك فنكونَ من الكاذبين . فاقْتَصَرْنا على هَدِيَّةٍ تَقْضي بعضَ الحق وتقومُ عندك مَقامَ أجملِ البِرّ ، وهي الثناءُ والدُّعاء الحَسَنُ ؛ فقلت : لا زِلْتَ ، أيّها السيدُ الكريمُ ، دائمَ السرور والغِبْطة[1] في أتمِّ العافية وأعلى منازلِ الكَرامة ، تَمُرُّ بك الأيامُ المُفْرِحَةُ والأعياد الصالحة فتُخْلِقُها وأنتَ جديدٌ !

٤ – • • الاغاني (بولاق) ١٧ : ٢ وما بعد ؛ ثمّ راجع فصل الشاعرة (ص ٣٢٠ – ٣٢١) .

بكر بن خارجة

١ – كان بكرُ بن خارجةَ من الكوفة مولىً لبني أسد . وقد كان ورّاقاً يتكسّب بالوِراقة ، وكان ضيّقَ العيش . ثمّ انه كان ماجناً مُولَعاً بالخمر . ومن غريبِ أخلاقه أنه كان يَتَعَشَّقُ صوتَ هُدْهُدٍ يأوي إلى إحدى الخرائب ، فكان يذهبُ إلى تلك الخَرِبَةِ يشرب عندها ويستمع إلى صوت ذلك الهدهد . وفي أواخر عُمُرِه فسد عقلُه بالخمر وجعل يمدح ويهجو بدرهمٍ وبدرهمين فاطّرحه الناسُ .

وإذا صحّ من روايةِ الاغاني (الساسي ٢٠ : ٨٧ – ٨٨) أن الجاحظ في أواخر أيامه أنشدَ أبياتاً قالها بكر بن خارجة في الخمر آنذاك ، وَجَبَ أن يكونَ بكر بن خارجة قد عاش إلى النصف الثاني من القرن الثالث الهجْري ويَبْقَيَ بعدَ ذلك زمناً .

---

[1] في الأصل : الغطية .

٢ – بكر بن خارجة شاعرٌ وراجزٌ طيّبُ الشعرِ مطبوعٌ ، وكان كثيرَ الحفظ للشعر حسَنَ الروايةِ له . ويبدو أنه كان بارعَ القولِ في الغزل والنسيب وفي الخمر . وأشهرُ شعرِ بكرِ بن خارجةَ مزدوجةٌ يذكر فيها النصارى وشرائعَهم وأعيادَهم ويتغزّل فيها بغُلام يُقال له عيسى بن البراء العِبادي الصَّيْرفي .

٣ – المختار من شعره

– قال بكر بن خارجة في مُزْدَوَجَته المشهورة :

وشادنٍ قلبي بـه مَعْمودُ ... شيمَتُه الهِجْرانُ والصُّدود [1] .
لا أسأمُ الحِرْصَ ، ولا يَجودُ ؛ ... والصبر عن رُؤيته مفقود [2] .
زُنّارُه في خَصْرِه مَعْقود ... كأنّه من كَبِدي مَقْدود [3] !

– لبكر بن خارجة أبياتٌ رواها بعضهم للعبّاس بن الأحنف ، منها .

قلبي إلى ما ضرّني داعـي ... يُكثِرُ أحزاني وأوْجاعي [4] .
لَقَلّما أبقى على ما أرى : ... يُوشكُ أن يَنْعانيَ الناعي [5] .
كيف احتراسي من عَدُوّي إذا ... كان عدوّي بين أضْلاعي [6] !

٤ – •• الاغاني ٢٠ : ٨٧ – ٨٨ .

خالدُ بنُ يزيدَ الكاتبُ البغداديُّ

١ – هو أبو الهَيثَمِ خالدُ بن يزيدَ الكاتبُ البغدادي ، أصلُه من خُراسانَ

١ الشادن : الغزال الصغير (كناية عن المحبوب) . معمود : مصاب (مضروب) بالعمود ، مضنى ، شديد الوجعة بالحب . شيمته : عادته (الدائمة) خصلته ، طبيعته .
٢ لا أمل الحرص (الرغبة الدائمة الملحة إلى رؤيته) ولا يجود (لا يعطف علي بأن أراه) .
٣ زناره في خصره معقود (كناية عن أنه نصراني) ، فقد كان من الخلاف (مخالفة النصارى للمسلمين في اللباس عقد الزنار في الخصر) . – كأن هذا الزنار (الزيق من الجلد) مقطوع من كبدي (فان ألمي دائم بسبب ذلك) .
٤ إلى ما ضرني : إلى ما ينحل جسمي (إلى الحب) .
٥ نعاه ينعاه : حمل خبر موته . الناعي : الذي يأتي بخبر الموت .
٦ .... إذا كان عدوي (قلبي الذي يدعوني إلى الحب) ....

وسَكَنَ بغدادَ . وفي أيام المُعْتَصِمِ (٢١٨ – ٢٢٧ هـ) كان خالدُ بن يزيدَ أحدَ الكُتّاب في الجيش . ويبدو أنه كان من أقران أبي تمّامٍ (١٨٨ – ٢٣٢ هـ) أو أصغرَ سنّاً منه بقليلٍ ، وكان يُهاجيه .

وكان محمّدُ بن عبد الملك الزيّاتِ في أثناءِ وزارته (٢٢٥ – ٢٣٣ هـ) قد ولّى خالدَ بن يزيدَ الكاتبَ عملاً في بعض الثغور (أطراف البلاد) ولكنّ خالداً توسوس وذهبَ عقلُه وَشيكاً ؛ وبَقِيَ كذلك إلى أن تُوُفّيَ سَنَةَ ٢٦٩ هـ (٨٨٢ – ٨٨٣ م) في بغداد ، بعد أن أسنّ .

٢ – خالدُ بن يزيدَ الكاتبُ ناثرٌ شاعرٌ ، وشِعرُه حَسَنٌ رقيقٌ جداً ، وأكثر شِعرِه الغزلُ والحكمة . وله شيء من الهِجاء والمُجون .

٣ – المختار من شعره

– قال خالدُ بن يزيدَ في اللّيلِ (ديوان المعاني ١ : ٣٥٠) :

لستُ أدري ، أطالَ لَيْلِيَ أم لا ؟ كيف يَدري بذاك من يَتَقَلّى [١] !
لو تَفَرّغْتُ لاسْتطالةِ ليلي ولِرَعْيِ النجومِ كنت مُخَلّى [٢] .

– وقال في البكاء على فراق الأليف (ديوان المعاني ١ : ٢٨٤) :

بَكَيْتُ دماً حتى بكيتُ بلا دمِ بُكاء فتىً فَرْدٍ على شَجَنٍ فَرْدِ [٣] .
أأبكِي الذي فارقتُ بالدمعِ وحدَه ؟ لقد جلّ قَدْرُ الدمعِ فيه، إذَنْ، عندي [٤]

– وله في النسيب (معجم الأدباء ١١ : ٥١) :

كَبِدٌ شَفّها غليلُ التصابي بينَ عَتْبٍ وجَفْوة وعذابِ [٥] ؛

---

١ يتقلى (من قلا يقلي : أنضج بالنار) كناية عن احتمال المشقة والعذاب .

٢ المخلى : الخالي ، الفارغ (الذي لا هم له ، ليس محباً) .

٣ – ما زلت أبكي دماً إلى أن جف دمي فأصبحت أبكي فلا يسيل من عيني دم . فرد = فريد (في حبه) على (من) شجن (حزن) فرد (فريد : مصيبة فريدة كبيرة لم يصب مثلها أحداً غيري) .

٤ – اذا كنت أبكي على الحبيب الذي فارقته بدمع فقط (لا بدم) ، فيكون قدر الدمع عندي اذن عظيما (والدمع لا قيمة له ، أي لا يكون للمحبوب الذي فارقته قيمة عندي !)

٥ الغليل : حرارة الحب والحزن . التصابي : التشوق الى المحبوب . شف كبدي غليل التصابي = هزلني وانحلني الحب .

كلَّ يومٍ تَدْمى بجُرحٍ من الشَّوْقِ ونَوعٍ مُجَدَّدٍ من عِتاب .
يا سقيمَ الجفُونِ ، أسقَمْتَ جِسْمي ، فاشْفِني كيفَ شِئتَ ؛ لا بِكَ ما بي[1] !
ان أكنْ مُذنباً فكنْ حَسَنَ العَفْوِ أوِ اجْعَلْ سِوى الصُدودِ عذابي !

٤ - ٥٥ الاغاني ، تاريخ بغداد ٨ : ٣٠٨ - ٣١٤ ؛ معجم الأدباء ١١ : ٤٧ - ٥٤ ، طبقات ابن المعتزّ ٤٠٥ - ٤٠٦ ، وفيات الاعيان ١ : ١٩٠ - ١٩١ .

أبو العنبس الصيمري

١ - هو أبو العَنْبَسِ محمّدُ بنُ اسحقَ بنِ ابراهيمَ بنِ أبي العَنْبَسِ ابن المُغيرة بن ماهان الصَيْمري ، وُلِدَ في الكوفة في رمضان من سنة ٢١٣ هـ (آخر ٨٢٨ م) ، وكان قاضي الصيمرة[2] فنسب اليها . قدم أبو العنبس إلى بغداد ثم صَعِدَ إلى سامرّا فكان منجّماً ونديماً للخليفة المتوكّل (ت ٢٤٧ هـ) والمعتمد (٢٥٦ - ٢٧٩ هـ) ؛ وله قِصّةٌ ماجنةٌ مَعَ البُحتُري في حَضْرةِ الخليفة المُتَوكّل (معجم الأدباء ١٨ : ١٢ - ١٤) .

مات أبو العَنْبَس الصَيْمريّ في بَغدادَ ، سَنَةَ ٢٧٥ هـ (٨٨٨ م) ، ودُفِن في الكوفة .

٢ - كان أبو العَنْبَسِ الصَيْمريّ رجلاً شريفاً عارفاً بعِلْم النجوم وشاعراً مُجيداً مَتِينَ السبكِ حَسَنَ المعاني . غيرَ أنه رأى الهزلَ والسُخْف أغلَبَ على الناسِ فانصرف إلى الفُكاهة فجعَلَ مُعْظَمَ شِعرِه في الهَزْلِ والسُخْف ، وألّف كُتباً كثيرةً في الرَقاعة . فمن كُتبه الرصينة : كتابُ أحكام النجوم ، كتاب الرّدّ على المنجّمين ، كتاب الردّ على ميخائيل الصَيْدناني في الكيمياء ، كتاب الدولتين في تفضيل الخلافتين . ومن كتبه في الرقاعة والسخف مما يجوزُ ذكرُ أسمائها : كتاب طِوال اللِحى ، كتاب الثُقلاء ، كتاب كُنى الدوابّ .

---

١ لا بك ما بي : أرجو ألا يكون بك ما بي (ألا يصيبك ما أصابني من الحب المضني) !
٢ الصيمرة : ناحية بالبصرة .

٣ – المختار من شعره

– قال أبو العَنْبَسِ الصَيْمريّ في الموت والآجال :

كَمْ مريضٍ قد عاش ، من بعد يأسٍ ، بعدَ موتِ الطبيبِ والعُوّادِ .
قد يُصاد القَطا فينجو سَليماً ، ويَحِلّ القَضاءُ بالصيّاد !

– وقال يهجو أحمدَ بنَ المُدَبِّرِ :

أسَلُ [1] الذي عَطَفَ الموا كِبَ والمراكبَ نحوَ بابِكْ ،
وأراكَ نَفْسَكَ مالِكاً ما لم يكنْ لكَ في حِسابِكْ [2] ،
وأذلَّ مَوْقِفِيَ العَزيـ ـزَ على وُقوفٍ في رِحابِكْ –
ألاّ يُطيلَ تَجَرّعي غُصَصَ المَنيّةِ من حِجابِكْ [3].

٤ – ** الفهرست ١٥١ ، ٢٧٨ ؛ تاريخ بغداد ٢ : ٢٣٨ ؛ معجم الأدباء ١٨ : ٨ – ١٤ ؛ بروكلمان ، الملحق ١ : ٣٩٦ .

أبو سعيد السُكّري

١ – هو أبو سعيد الحسن بن الحسين السكّري من أهل البصرة ، كان مولده سنة ٢١٢ هـ (٨٢٧ م) . سمع السكّري من أبي حاتم السجستاني ومحمد بن حبيب وغيرهما . ثم جعل يقرئ القرآن . وقدم إلى بغداد . وكانت وفاته [4] سنة ٢٧٥ هـ (٨٨٨ م) .

٢ – كان السكّري عالماً باللغة والنحو يروي أشعار العرب رواية موثوقة ، وقد اشتهر بجمع دواوين الشعر لم يجمع أحد منها ما جمع هو .
عَمِلَ السكّريّ من أشعار القبائل أشعار بني : هُذيل ، شَيبان ، ربيعة ،

---

١ أسل = أسأل : أدعو (الله) . عطف المواكب نحو بابك : جعل لك جاهاً يقصدك الناس بسببه .
٢ « ما » مفعول به من اسم الفاعل « مالكاً » .
٣ من حجابك : من منعي من الدخول عليك .
٤ في طبقات الزبيدي (ص ٢٠٠) توفي سنة تسعين ومائتين .

يربوع ، طيّ ، كِنانة ، ضبّة ، بَجِيلة ، تميم ، يَشْكُر ، حَنيفة ، مُحارب ، الأزد ، نَهْشل ، عَدِيّ ، أشجع ، نُمير ، عبد وُدّ ، مخزوم ، الأزد ، أسد ، الحارث ، الضِباب ، فَهْم ، عَدْوان ، مُزينة ، تَغْلِبَ .

وعمل السكّري من أشعار الافراد ديوان : أمرئ القيس ، مُهَلْهِل ، النابغة ، زُهير ، لَبيد ، تميم بن أبيّ بن مُقبل، بِشْر بن أبي خازم ، المُتَلَمِّس ، الأعشى ، دُريد بن الصِمّة . وعمل أيضاً ديوان : النابغة الجَعدي ، الحُطيئة ، مُتَمِّم بن نُويرة ، أعشى باهلة ، الزِبْرقان بن بدر ، الراعي ، الشَمّاخ ، الكُميت ، ذي الرِمة ، الفرزدق ، الخنساء ، كعب بن زهير ، الطرمّاح ، الاخطل ، قيس بن الخطيم ، هُدبة بن الخَشْرم ، مزاحم العقيلي ، النعمان بن بشير ، الخ ، وعمل من ديوان أبي نواس نحو ثلثيه في ألف ورقة وتكلّم على معانيه وغريبه . وللسكّري من دواوين الجماعات : كتاب شعراء هذيل ، كتاب أشعار اللصوص ، كتاب من قال بيتاً فلقّب به ، كتاب الشعراء المعروفين بأمّهاتهم ، نقائض جرير والفرزدق ، كتاب أشعار الانصار [1] . وله أيضاً : كتاب النبات ، كتاب الوحوش ، كتاب المناهل والقرى ، كتاب الأمثال السائرة .

٤ ــ أخبار اللصوص (أشعار اللصوص !) ، ليدن ١٨٥٩ م .
شرح أشعار الهذليّين (كوزيغارتن) ، لندن ١٨٥٤ م .
شرح أشعار الهذليّين ، برلين ١٨٨٤ م .
مجموعة أشعار الهذليّين (اعتنى بنشرها يوسف هل) ، ليبزغ ١٩٣٣ م .
ديوان أبي ذؤيب الهذليّ (يوسف هل) ، هانوفر ١٩٢٦ م .
كتاب شرح أشعار الهذليّين (حقّقه عبد الستّار أحمد فرّاج) ، القاهرة (دار العروبة) ١٩٦٣ م .
ديوان الهذليّين ، القاهرة (دار الكتب المصرية) ١٣٦٤ ــ ١٣٦٩ هـ (١٩٤٥ ــ ١٩٥٠ م ؛ بيروت (مكتبة خياط) .

---

[1] راجع سرداً لهذه الكتب كلها في الفهرست ١٥٧ – ١٥٨ ، معجم الأدباء ٨ : ٩٧ – ٩٩ ، ثم حاشية في كتاب انباه الرواة (١ : ٢٩٢) .

ديوان الاخطل (نشره الأب صالحاني) ، بيروت (المطبعة الكاثوليكية) ١٨٩١ م .
ديوان طهمان بن عمرو الكلابي في «جزرة الحاطب وتحفة الطالب» ، (نشرها وليم رايت) ، ليدن (بريل) ١٨٥٩ م .
ديوان الحطيئة (راجع ابن السكّيت) .
شرح ديوان زهير (راجع ابن السكّيت) .

•• الفهرست ٧٨ ، ١٥٧ – ١٥٨ ؛ تاريخ بغداد ٧ : ٢٩٦ – ٢٩٧ ؛ طبقات الزبيدي ٢٠٠ ؛ معجم الأدباء ٨ : ٩٤ – ٩٨ ؛ إنباه الرواة ١ : ٢٩١ – ٢٩٣ ؛ بغية الوعاة ٢١٨ – ٢١٩ ؛ بروكلمان ١ : ١٠٨ – ١٠٩ ، الملحق ١ : ١٦٨ ؛ زيدان ٢ : ١٩٦ – ١٩٧ .

ابنُ قُتَيْبَةَ الدِينَوَرِيُّ

١ – هو أبو محمّد عبدُ الله بن مُسلمِ بن قُتَيْبَةَ ، أصلُه من مَرْوِ الرّوْذِ أو من بلاد التّرك ، وُلِدَ في الكوفة سنة ٢١٣ هـ (٨٢٨ م) ونشأ في بغدادَ وأخذ عن علمائها التفسيرَ والحديث واللغة والنحو والأدب والتاريخ ؛ فمن شيوخه إسحاق بن راهوية وأبو حاتمٍ السِجِستاني .

تولّى ابنُ قُتيبةَ القضاءَ في الدِينَوَرِ وطال مُقامه فيها فسُمّيَ الدِينَوَرِيَّ . ثم إنه عاد إلى بغداد .

كان ابن قُتيبةَ خطيبَ أهلِ السُنّة شديداً على المُعْتزلة من أمثال النظّام والجاحظ والعلاّف ، وقدِ اتّهَمَ الجاحظَ بأنه توسّع في علوم الدنيا وقَصَدَ بكتبه التَسْلِيَةَ أكثرَ مما قصد إلى التهذيب ورَفعِ شأن الدين . وكان لابن قتيبة موقفٌ وَسَطٌ من الحركة الشّعوبية : فضّل العرب وعلومَهم وبرّأ العجمَ من بُغض العرب وألقى تَبِعَةَ بُغضِ العرب على أوْبرناش العَجَم وسَفَلَتِهِم .

واشتغل ابن قُتيبة في بغداد بالتدريس وكان يدرّس في كتبه .

وكانت وفاة ابن قُتيبةَ في بغدادَ ، في أول رجب ٢٧٦ هـ (٣٠–١٠–٨٨٩م) .

٢ – ابن قتيبةَ فقيهٌ عالم وأديب ناقدٌ ولُغَويٌّ ونحْويٌّ ، وهو رأسُ

المذهب البغداديّ في اللغة والنحو . وكتبه كثيرة العدد واسعة النطاق ثم هي موجزة مثقّفة موثوقة .

من كتبه : مشكل القرآن ، المشتبه من الحديث والقرآن ، تأويل مختلف الحديث ، عيون الأخبار ، أدب الكاتب ، كتاب الأشربة ، القِداح والمَيْسر ، كتاب المعارف . ومن كتبه المشهورة القيّمة «الشعر والشعراء» (أو طبقات الشعراء) جمع فيه طبقات الشعراء الجاهليين والأمويين ونفراً من شعراء صدر الدولة العباسية . وفي هذا الكتابِ مقدّمةٌ قيّمةٌ في غايةِ الكِتاب وخُطّته وفي نَقْدِ الشعر ونقدِ موقفِ نفرٍ من رُواةِ الشعر . بعدئذ يَنْسق ابن قُتيبة تراجم الشعراء نَسْقاً تاريخياً عامّاً . غير أنه لا يذكرُ تواريخ مواليدِ الشعراء ووَفَياتِهم ، ولا هو يتَوسّعُ في الكلام عليهم ؛ وإنّما يذكر نُتَفاً من أخبارهم . ومع كل ترجمة نماذجُ مختارةٌ من شعرِ صاحبِها .

٣ — المختار من مقدمة كتاب الشعر والشعراء

.... ولمْ أسْلُكْ في ما ذكرتُه من شعرِ كل شاعرٍ مختاراً له سبيلَ من قلّد أوِ اسْتَحْسَنَ باستحسانِ غيره ، ولا نظرْتُ إلى المتقدّم منهم بعينِ الجَلالةِ لتَقَدّمه وإلى المتأخر منهم بعينِ الاحتقارِ لتأخره ، بل نظرتُ بعين العدل على الفريقَيْنِ وأعطيتُ كلاً حَظّه ووَفّرتُ عليه حقّه . فإني رأيتُ من عُلمائنا من يَسْتجيدُ الشعر السخيفَ لتقدم قائلهِ [1] ويَضَعُه في مُتَخَيّرِه ، ويَرْذُلُ الشعرَ الرصين ولا عيبَ له عنده إلاّ أنه قيل في زمانه أو أنه رأى قائلَه . ولم يَقْصُرِ اللهُ العلمَ والشعرَ والبلاغةَ على زمنٍ دونَ زمنٍ ، ولا خصّ بهِ (بها) قوماً دون قومٍ ، بل جعل ذلك مُشْتَرَكاً مقسوماً بين عبادِه في كل دهرٍ ، وجعل كل قديمٍ حديثاً في عصره وكل شَرَف خارجيةٌ [2] في أوّله . فقد كان جريرٌ والفرزدقُ والأخطلُ وأمثالُهم يعَدّونَ مُحْدَثين ، وكان أبو عمرٍو بنُ العَلاء يقول : لقد أكثر هذا المُحْدَثُ وحَسُنَ حتى لقد هَمَمْتُ بروايته . ثم صار هؤلاء قُدماءَ عندنا ببُعْدِ العهدِ منهم . وكذلك يكون مَنْ بَعْدَهم لِمَنْ

---

١ لسبقه في الزمن على زمن الناظر في الشعر .

٢ الخارجي : من يسود بنفسه من غير أن يكون له قديم (سلف أقدم في الشرف والمكارم منه) .

بعدَنا كالخُريميّ والعتّابيِّ والحسنِ بن هاني وأشباهِهم . كل من أتى بحَسَنٍ من قَوْلٍ أو فِعْلٍ ذكرناه له وأثنَيْنا به عليه ، ولمْ يَضَعْهُ[1] عندنا تأخرُ قائلِه أو فاعله ولا حَداثةُ سنِّه . كما أن الرديءَ إذا وَرَدَ علينا للمتقدِّمِ أو الشريف لم يَرْفَعْهُ عندنا شَرَفُ صاحبِه ولا تقدّمُه .

.... (و) تَدَبّرْتُ الشعرَ فوجدتُه أربعةَ أضْرُب : ضربٌ منه حَسُنَ لفظُه وجاد معناه .... وضرب منه حَسُنَ لفظُه وحَلا ، فإذا أنت فتّشْتَه لم تَجِدْ هنالك فائدةً في المعنى .... وضرب منه جاد معناه وقَصّرتْ ألفاظُه .... وضرب منه تأخّر معناه وتأخر لَفظُه .

.... ومن الشعراءِ المتكَلِّفُ والمطبوعُ . فالمتكلّفُ هو الذي قَوّمَ شعرَه بالثقاف ونَقّحه بطُول التفْتيشِ وأعاد فيه النظرَ بعد النظرِ كزُهيرٍ والحُطَيْئَةِ ....

.... وليس كلّ الشعر يُختارُ ويُحفَظُ على جودةِ اللفظِ والمعنى ، ولكنه قد يُختارُ ويُحفظ لأسبابٍ : منها الإصابة في التشبيه ، .... وقد يُحفَظَ ويُختار على خِفّة الرويِّ ، .... وقد يُختار ويُحفظ لأن قائله لم يَقُلْ غيرَه ، أو لأن شعره (شعر قائله) قليلٌ عزيز ، .... وقد يُختار ويُحفظ لأنه غريبٌ في معناه ، .... وقد يختار ويحفظ أيضاً لنُبْلِ قائله....

.... والمُتَكَلِّفُ منَ الشعر ، وإنْ كان جيّداً مُحْكَماً ، فليس به خَفاءٌ على ذَوي العلم لتَبَيّنِهِمْ فيه ما نَزَلَ بصاحبه من طول التفكّرِ وشِدّةِ العَناء ورَشْحِ الجَبينِ وكَثْرَةِ الضّروراتِ وحَذْفِ ما بالمعاني حاجةٌ اليه وزيادةِ ما بالمعاني غنىً عنه .... وتَتَبَيّنُ التكلّفَ في الشعر أيضاً بأنْ تَرى البيتَ فيه مقروناً بغيرِ جارِه ومضموماً إلى غير لِفْقِه[2] .... والمطبوعُ مَنْ سَمَحَ بالشعرِ واقْتَدَرَ على القوافي ، وأراك في صَدْرِ بيتِه عَجُزَهُ وفي فاتحتِه قافيتَهُ ، وتَبَيّنْتَ على شعرِه رَوْنَقَ الطبعِ وَوَشْيَ الغَريزةِ ؛ وإذا امتُحِنَ لم يَتَلَعْثَمْ ولم يَتَزَحّرْ[3] .

---

١ وضعه : خفض منزلته .

٢ اللفق (بكسر اللام) من الملاءة (بضم الميم) : أحد شقيها (بكسر الشين)، كناية عن الشبه والملاءمة بينهما.

٣ تزحر : أحدث صوتاً فيه تنفس مثل الأنين (مد صوته بالكلام حتى يدع لنفسه مجالا للتذكر) .

.... والشعراءُ أيضاً في الطَبْعِ مُختَلِفونَ : مِنهُمْ مَنْ يَسْهُلُ عليهِ المديحُ ويَعْسُرُ عليه الهجاءُ ، ومنهم من يَتَيَسَّرُ له المراثي ويتَعَسَّرُ عليه الغَزَلُ .... فهذا ذو الرُّمَّةِ أحسنُ الناس تَشْبيهاً وأجودُهم تشبيباً وأوصفُهم لرملٍ وهاجِرَةٍ وفَلاةٍ وماء وحَيَّةٍ ، فإذا صارَ إلى المديحِ والهجاءِ خانَه الطبعُ ؛ وذلكَ أخَّرهُ عن الفُحولِ . وكان الفَرَزْدَقُ زِيرَ نساء وصاحبَ غَزَلٍ ، وكان مَعَ ذلك لا يُجيد التَشْبيبَ . وكان جريرٌ عفيفاً عَزْهَاةً [1] عنِ النساءِ ، وهُوَ مَعَ ذلك أحسنُ الناس تَشْبيبًا ....

٤ – كتاب مشكل (مشكلات) القرآن ، القاهرة ١٩٣٥ م .

تأويل مختلف الحديث ، مصر (مطبعة كردستان العلمية) ١٣٢٦ هـ .

الاختلاف في اللفظ والردّ على الجهمية والمشبّهة (نشره محمّد زاهد الكوثري) ، القاهرة (مطبعة القدسي) ١٣٤٩ هـ .

كتاب القرطين أو كتابا مشكل القرآن وغريبه ، القاهرة (مكتبة الخانجي) ١٣٥٥ هـ .

أدب الكاتب (غرونرت) ، ليدن ١٩٠٠ م ؛ القاهرة ١٣٠٠ ، ١٣١٠ ، ١٣٢٨ ، ١٣٤٧ ، ١٣٥٠ هـ ، ١٣٥٥ هـ ، (١٩٣٦ م) ؛ على هامش المثل السائر ، القاهرة (المطبعة البهيّة) ١٣١٢ هـ .

شرح أدب الكاتب (شرحه الجواليقي) ، القاهرة (مكتبة القدسي) ١٣٥٠ هـ .

الاقتضاب في شرح أدب الكتّاب – شرحه البطليوسي (نشره عبد الله البستاني) ، بيروت ١٩٠٠ ، ١٩٠٥ م .

الانواء في مواسم العرب ، حيدر اباد (دائرة المعارف العثمانية) ١٣٥٦ هـ .

كتاب المعاني الكبير في أبيات المعاني ، حيدراباد (دائرة المعارف العثمانية) ١٩٤٩ م = ١٣٦٨ هـ .

كتاب المعارف (فستنفلد) ، غوتنجن ١٨٥٠ م ؛ القاهرة (المطبعة الشرقية = الشرفية ؟) ١٣٠٠ هـ ؛ المطبعة الإسلامية ١٣٥٣ هـ .

---

[1] العزهاة : الرجل الذي يعزف (يميل) عن النساء ويترك اللهو .

الشعر والشعراء [1] أو طبقات الشعراء (دي خوية) ، ليدن (بريل) ١٩٠٢ – ١٩٠٤ م ؛ (نشره مصطفى السقّاء) ، القاهرة (المطبعة التجارية) ، الطبعة الثانية ١٣٥٠ هـ (١٩٣٢ م) ؛ (نشره محمود محمّد شاكر) ، القاهرة (دار إحياء الكتب العربية) ١٣٦٤ هـ ؛ بيروت (دار الثقافة) ١٩٦٤ م .

عيون الاخبار ، فايمار – ستراسبورج ١٨٩٨ – ١٩٠٨ م ؛ القاهرة (دار الكتب) ١٣٤٣ – ١٣٤٨ هـ (١٩٢٥ – ١٩٣٠ م) .

كتاب الشراب [2] أو كتاب الاشربة (دي غي) ، في مجلّة المقتبس (دمشق) ١٣٢٥ هـ (١٩٠٧ م) ؛ (عني بنشره محمد كرد علي) ، دمشق (منشورات المجمع العلمي العربي) ١٩٤٧ م .

كتاب الميسر والقداح (نشره محبّ الدين الخطيب) ، القاهرة (المطبعة السلفية) ١٣٤٣ هـ .

وصية ابن قتيبة إلى ولده (نشرها اسحاق موسى الحسيني) ، بيروت ١٩٥٤ م .

كتاب المسائل والأجوبة ، القاهرة ١٣٤٩ هـ .

كتاب الرّحل والمنزل (نشره شيخو) ، بيروت (المطبعة الكاثوليكية) في « عشرة رسائل قديمة » .

تلخيص أدب الكتّاب (لخّصه طاهر بن صالح الجزائري المتوفّى في دمشق ١٣٤٢ هـ (١٩٢٣ م) ؛ القاهرة ١٣٣٩ هـ .

•• ابن قتيبة ، تأليف محمّد زغلول سلاّم ، بيروت (دار المعارف) ١٩٥٧ م .

ابن قتيبة العالِم الناقد ، تأليف عبد الحميد سند الجندي ، القاهرة (المؤسّسة المصرية العامّة للطباعة والنشر) ١٩٦٣ م .

الفهرست ٧٧ – ٧٨ ؛ تاريخ بغداد ١٠ : ١٧٠ – ١٧١ ؛ طبقات

---

١ راجع مجلة Islamic Culture Jan . 1961

٢ ويسمى أيضاً : الشراب والاشربة ولختلاف الناس فيها ، أو اختلاف العلماء فيما يحل من الاشربة ويحرم وحجة كل فريق منهم .

الزبيدي ١٢٩ ؛ إنباه الرواة ٢ : ١٤٣ – ١٤٧ ؛ بغية الوعاة ٢٩١ ؛ شذرات الذهب ٢ : ١٦٩ ؛ بروكلمان ١ : ١٢٤ – ١٢٧ ، الملحق ١ : ١٨٤ – ١٨٧ ؛ زيدان ٢ : ١٩٧ – ١٩٩ .

ابراهيم بن المدبّر

١ – هو أبو اسحق ابراهيمُ بن محمدِ بن عُبيدِ اللهِ بن المُدَبّرِ الكاتبُ ، وُلِدَ في بغدادَ ، سنة ١٩٥ هـ (٨١١ م) في الاغلب .

خرج ابن المدبّر في جيش المأمونِ إلى بلاد الروم (٢١٥ هـ = ٨٣٠ م) يَطْلُبُ الرزقَ كما يفعل الأحداث (غ ١٨ : ١٨٠) . ثم علا نجمُهُ في أيامِ المتوكّل فأصبحَ من وُجوهِ كتّابِ الدواوين في العراق ومن ذوي الجاه المتصرّفين في كِبارِ الاعمال ومذكور الولايات .

ونشأت بين ابن المدبّر وبين عُبيد الله بن يحيى بن خاقانَ – الذي وَزَرَ (٢٤٠–٢٤٧ هـ) للمتوكّل ثم (٢٥٦ – ٢٦٣ هـ) للمعتمد – عَداوةٌ . وكان ابراهيمُ يَلِي عملاً في البصرة فصَرَفَهُ ابنُ خاقانَ وحبسه مدّة ؛ ثم خرج ابراهيمُ من السجن على يَدِ محمدِ بن عبدِ الله بن طاهرٍ وبشفاعة الجارية عَرِيبَ إلى المتوكّل . بعد هذه النكبةِ تولّى ابراهيمُ الثغورَ الجزَرية (شماليَّ الشامِ والعراقِ) فكان أكثرُ مُقامهِ في أثناء ذلك في مَنْبِجِ . ويبدو أنه عاد إلى بغدادَ وَشيكاً إذْ كانت صِلاتُه باسماعيلَ بنِ بلبلٍ وزيرِ المُعْتَمَدِ من سنة ٢٦٥ إلى سنة ٢٧٧ هـ وَثيقةً جداً . وقد نشأ بين ابراهيم وعَريبَ حُبّ بلغ ذُرْوتَه سنة ٢٦٧ هـ (٨٨٠ م) ؛ وكانت عَريبُ (١٨١ – ٢٧٧ هـ) أسنَّ منه .

وتُوُفّيَ ابراهيمُ بنُ المدبّر سنة ٢٧٩ هـ (٨٩٢ م) وهو يتولّى للمعتضد ديوان الضِياع ببغداد .

٢ – ابراهيم بن المدبّر أديبٌ مترسل وشاعرٌ ، كان له هجاءٌ مُقْذِعٌ ؛ ولكنّه ليس من فحول الشعراء . أما قيمته فهي في نثرِه الذي يُشْبِهُ نثرَ الجاحظ في التأنّقِ في المقدّمات .

٣ – المختار من نثره وشعره

– من مقدمة الرسالة العذراء (وأسلوبها شبيه بأسلوب الجاحظ) :

« فَتَقَ اللهُ بالحكمة ذِهْنَكَ ، وشَرَحَ بها صدرَكَ ، وأنطقَ بالحقّ لِسانك ، وشرّف بها بيانَك . وَصَلَ إليّ كتابُك العجيبُ الذي أُسْتَفْهِمْتَني فيه بجوامعِ كَلِمِكَ جوامعَ أسبابِ البلاغة ، واستكشفتني عن غوامض آدابِ أدَواتِ الكِتابة ، وسألتني أن أقِفَ بِكَ على عُلوبةِ اللفظِ وحلاوتهِ ، وحدود فَخامةِ اللفظ وجزَالته ، ورَشاقة نَظْمِ الكِتاب ومُشاكلة سَرْدِهِ ، وحُسْنِ افتتاحه واختتامهِ ، وانتهاء فُصولهِ واعتدال أصوله ، وسلامتهِما من الزَلَلِ وبُعْدِهما من الخَطَل ، ومتى يكونُ الكاتبُ مُسْتَحِقّاً اسْمَ الكِتابةِ ، والبليغُ مُسَلَّماً له معانيَ البَلاغة في إشارته واستعارته ، وإلى أي أدواته هو أحوجُ ، وبأي آلاتهِ هو أعمَلُ – إذا حَصْحَصَ الحق ودُعِيَ إلى السَّبْقِ – وفهمتُه [1] .

وأنا راسمٌ لك – أيّدكَ اللهُ – من ذلك ما يجمع أكثرَ شرائطِك ويُعَبِّرُ عن جُمْلةِ سُؤالك ، وإنْ طوّلتُ في الكِتاب وعرّضت ، وأطنَبْتُ في الوصف وأسهبت ، ومستقصٍ على نفسي في الجَواب على قَدْرِ استِقْصائكَ في السؤال ، وإنْ أخَلّ به اْلتِياثُ الحالِ [2] وسكونُ الحَرَكة وفُتور النّشاط وانتشار الرَويّة وتَقَسّمُ الفِكْر واشتِراك القَلب ، واللهُ المُستعانُ ....

« واعلم أنه لا يجوزُ في الرسائل ما أتى في آي القرآن مِنَ الإختصارِ والحذْفِ ومُخاطبةِ الخاصِّ بالعامّ والعامِ بالخاصِ ، لأن اللهَ سُبْحانَه وتعالى إنما خاطب بالقُرآنِ أقواماً فُصَحاءَ فَهِموا عنه – جلّ ثناؤه – أمرَه ونَهْيَه ومُراده ، والرَسائلُ إنما يُخاطَبَ بها قومٌ دُخَلاءُ على اللغةِ لا علمَ لهم بلسانِ العرب » .

– وقال ابراهيمُ بنُ المدبّرِ في النسيبِ :

يا كاشفَ الكَرْبِ بَعْدَ شِدّته ومُنْزِلَ الغَيْثِ بعدَ ما قَنَطوا ،

---

[1] « فهمته » معطوفة على « وصل إلي كتابك العجيب ..... (فقرأته) » .

[2] التياث الحال : اختلاط الحال (اضطراب الأمور) .

لا تبْلُ قَلْبي بشَحْطِ[1] بيْنِهِمُ، فالمَوْتُ دانٍ إذا هم شحطوا .

– زار ابراهيمُ بن المدبّر الخليفةَ المتوكّلَ – والمتوكّلُ شديدُ المرض – فلما رآه المتوكّل استدناه واستَنْطَقَهُ ، فأنشده ابراهيمُ أبياتاً منها :

لمّا اعْتَلَلْتَ تَصَدّعَتْ شُعَبُ القلوبِ من الصدورِ :
من بينِ مُكْتَئِبِ الفؤا دِ وبينَ مكتئب الضميرِ .
يا عُدّتي للدينِ والدنـ ـيا ولِلْخَطْبِ الخطيرِ ،
كانتْ جفوني ثَرّةَ الآ ماقِ بالدمعِ الغَزيرِ .
لَوْ لَمْ أمُتْ جزعاً – لَعَمْـ ـرُكَ إنّني عينُ الصبورِ .
يومي هُنالِكَ كالسنيـ ـنَ ، وساعتي مثلُ الدهورِ .
يا جَعْفَرُ المتوكّـ ـلُ العالي على البدرِ المنيرِ ،
اليومَ عادَ الدينُ غـ ـضّ العُودِ ذا وَرَقٍ نَضيرِ ،
اليومَ أصبحتِ الخِلا فَةُ وهيَ أرْسى من ثَبيرِ[2] .

٤ – الرسالة العذراء (في « رسائل البلغاء لمحمّد كرد علي ، الطبعة الثانية ، مصر ، دار الكتب العربية الكبرى ، ١٣٣١ هـ ، ١٩١٣ م ، ص ١٧٦ – ١٩٣) ، (نشر زكي مبارك مع مقدّمة بالفرنسية) ، القاهرة (دار الكتب المصرية) ١٣٥٠ هـ ، ١٩٣١ م .

• الفهرست ١٢٣ ، ١٦٦ ؛ الاغاني (الساسي) ١٩ : ١١٤ – ١١٩ ؛ معجم الأدباء ١ : ٢٢٦ – ٢٣٢ ؛ بروكلمان ، الملحق ١ : ١٥٢ – ١٥٣ .

ابن أبي الدنيا

هو أبو بكرٍ عبدُ اللهِ بنُ محمدِ بنِ عُبيدِ اللهِ بن سُفيانَ بن قَيْسٍ

١ الشحط : البعد ، البعاد ، الفراق .
٢ ارسى (اثبت) من ثبير (ثبير : جبل) .

القُشَيْرِيّ المعروف بابن أبي الدنيا مَوْلًى بني أمية ، وُلِدَ في بغداد سنة ٢٠٨ هـ (٨٢٣ م) .

كان ابنُ أبي الدنيا مُؤدِّباً لأحمدَ بن الموفَّق طَلْحَةَ الذي أصبح خليفةً باسم المُعْتَضِد ثم لِعَلِيّ بن المعتضد (الذي أصبح فيما بَعْدُ خليفة باسم المُكتفي ، ٢٨٩ — ٢٩٥ هـ) مرّة في الأسبوع يومَ السبت .

توفّي ابن أبي الدنيا في ١٤ جُمادى الآخرة ٢٨١ هـ (٢٢-٨-٨٩٤ م) ، وقيل سَنة ٢٨٢ هـ .

٢ — كان ابنُ أبي الدنيا أحدَ الثِقات في رِواية الأخبار والسِيَر ، حسنَ التحديث إن شاء أضْحَكَ وان شاء أبْكى ، وقد صنّف ما يزيدُ على مِائةِ كتابٍ أشهرُها « كتاب الفَرَج بعد الشِدّة » (وقد قلّد فيه « كتاب الفرج بعد الشدّة » للمدائني [1] ؛ وكتابُ المدائني مفقود) . ومنها (بعد حذف كلمة « كتاب ») [2] :

مكارم الأخلاق (الفضائل التي هي اقْتداء بالرسول) ، كتاب من عاش بعد الموت ، الأولياء ، قضاء الحوائج ، تخريجات أهل الحديث . ومنها مجموع رسائل (التوكّل على الله ، الحلم ، حسن الظن بالله ، الأولياء) . ومنها أيضاً : فضائل شهر رَمَضانَ ، فضائل عَشْرِ ذي الحِجّة ، التَهَجُّدُ وقِيام الليل ، الرِضا عن الله والصبرُ على قضائه ، حسن الظن بالله ، التوكّل على الله ، الأجل والتوثّق بالأمل ، قِصَرُ الأمل ، ذم الدنيا ، ذم الملاهي ، ذم المسكر ، العظمة (في عجائب الخلق) ، الأحاديث الأربعين ، اليقين ، الشكر ، اصطناع المعروف ، قرى الضيف ، الخمول والتواضع ، العزلة والإنْفراد ، الصمت ، الرِقّة والبكاء ، الغيبة والنميمة ، المنّان ، الحلم ، الجوع ، محاسبة النفس والإزراء عليها ، الصبر والثواب ، المرضى والكفّارات ، الهمّ والحزن ، المتمنّين ، العقل وفضله ، المطر والرعد والبرق والريح ، الليالي والأيام لبني آدمَ ، الإعْتبار في أعقاب السرور والأحزان ، آخر الزمان ، تاريخ الخلفاء ، مواعظ الخلفاء ، الأشراف .

---

١ وقلد ابن أبي الدنيا جماعة منهم القاضي التنوخي (ت ٣٨٤ هـ) : كتاب الفرج بعد الشدة (مصر ١٩٠٤ م).
٢ راجع م م ع ع بدمشق ، المجلد ١٠ (عام ١٩٢٤ م؟) ، ص ٥٧٧ — ٥٧٨ .

– الفرج بعد الشدّة ، الله آباد ١٣١٣ هـ ؛ أحمد آباد ١٣٢٣ هـ ؛ القاهرة ١٩٠٦م.
مجموعة رسائل ، القاهرة ١٩٣٥ م .
العقل وفضله ، مصر (مكتب نشر الثقافة الإسلامية) ١٩٤٦ م .
كتاب الشكر (نشره محمد أحمد رمضان المدنيّ) ، القاهرة (مطبعة المنار) ١٣٤٩ هـ .

•• الفهرست ١٨٥ ؛ تاريخ بغداد ١٠ : ٨٩ – ٩١ ؛ فوات الوفيات ١ : ٣٠١ – ٣٠٢ ؛ بروكلمان ١ : ١٦٠ ، الملحق ١ : ٢٤٧ – ٢٤٨ ؛ زيدان ٢ : ١٩٩ – ٢٠٠ .

أبو العيناء

١ – هو أبو عبدِ الله محمّدُ بن القاسم بن خَلّاد[١] بن ياسرِ بن سليمانَ اليَمامي ، مَولى بني هاشمٍ من بني العبّاس (طبقات ابن المعتزّ ٤١٥) ، لقّبه بذلك أبو زيدٍ الانصاريّ لأنه سأله عن تصغيرِ عَيْنٍ (وفيات ٢ : ٣٢٤) .
وُلِدَ أبو العيناء في الأهواز سنة ١٩١ هـ (٧١٩ م) ثم انتقل إلى البصرة وتلقّى العلم فيها على الأصمعي وأبي عُبيدةَ وأبي زيدٍ الأنصاريّ وغيرِهم ، وقد عَمِيَ في ذلك الحين ، وكان قد بلغَ الأربعين من عُمُرِه . ثمّ انه بارح البصرةَ ، وهو عازمٌ على ألاّ يعودَ إليها ، وجاء إلى بغدادَ . وقد نال أبو العيناء حَظوةً عند الخليفةِ المتوكّلِ ، وعاش حيناً في بغداد وسامرّا ثم عاد إلى البصرة (وفيات ٢ : ٣٢٤) ، فتُوفّي فيها في العشرين من جُمادى الثانيةِ من سَنَةِ ٢٨٣ هـ[٢] (٥–٨–٨٩٦ م) في الأغلب .

٢ – كان أبو العيناء أديباً إخبارياً فصيحاً بليغاً «من ظُرَفاءِ العالمِ ، آيةٌ في الذكاءِ واللَسَنِ وسُرعَةِ الجواب» (معجم الأدباء ١٨ : ٢٨٦) . وكان كثيرَ المَزْح حَسَنَ الحديثِ والتحديثِ واسعَ المعرفةِ بالناس جريئاً عليهم . وكان شاعراً مُقِلاً ولكن كثيرَ الإحسان والإجادة قريبَ المعاني واضحَ القصدِ سهلَ التركيب ظاهرَ النُكتة . وفنونه الحكمة والفخر والهجاء .

---

١ في معجم الأدباء (١٨ : ٢٨٦) : محمد بن القاسم وقيل ابن خلاد .
٢ ٢٨٢ هـ (نكت الهميان ٢٦٥) .

٣ – المختار من شعره

– قال أبو العيناء في ذَهاب بصره :

إن يأخذِ اللهُ من عَيْنَيَّ نُورَهمـا ... ففي لِساني وسَمْعي منهما نُورُ :
قلبٌ ذَكيٌّ ، وعقلٌ غيرُ ذي خَطَلٍ ، ... وفي فَمي صارمٌ كالسيفِ مشهورِ

– وقال في المال :

مَن كان يَمْلِكُ دِرْهَمَيْنِ تعلّمتْ ... شَفَتاهُ أنواعَ الكلامِ فقـالا ،
وتقدّمَ الفُصحاءَ فاستمَعوا له ، ... ورأيتَه بين الوَرَى مُختالا .
لولا دراهمُهُ التي في كيسِـهِ ... لَرأيتَـه شَرَّ البَرِيّةِ حالا .
إن الغَنِيَّ إذا تكلّم كاذِباً ... قالوا : صَدَقْتَ وما نَطَقْتَ مُحالا .
وإذا الفقيرُ أصابَ قالوا : لم تُصِبْ ، ... وكَذَبْتَ – يا هذا – وقُلْتَ ضَلالا .
إن الدراهمَ في المَواطِنِ كلِّها ... تكسو الرجالَ مَهابةً وجَلالا :
فهْيَ اللِسانُ لِمَنْ أراد فَصاحةً ، ... وَهْيَ السِلاحُ لِمَنْ أرادَ قِتالا !

– وقال يَفْتَخِرُ بنفسِهِ :

ألَمْ تَعْلَمي ، يا عَمْرَكِ اللهُ ، أنـني ... كريمٌ على حينِ الكرامُ قليـلُ .
وإنّـيَ لا أخزَى إذا قيل مُقْتِـرٌ ... جواد ، وأخزَى أن يُقال بَخيل [١] !
وإلاّ يَكن عَظْمي طويلاً فإنّـني ... له بالخِصال الصالحات وَصول [٢] .
إذا كُنتُ في القوم الطِوال فَضَلْتُهم ... بطَوْلي لهم حتّى يُقالَ طويـل [٣] .
ولا خيرَ في حُسْنِ الجُسومِ وطُولِها ... إذا لم يَزِنْ طولَ الجسومِ عُقول .
ولَمْ أرَ كالمعروفَ ، أما مَذاقُـه ... فحُلوٌ ، وأما وَجْهُه فجميل .

---

١ خزي : وقع في بلية وعار ثم اشتهر بذلك . مقتر : فقير .

٢ طويل العظم : طويل الجسم . وصول (بفتح الواو) : زائد في طوله (تعبير مأخوذ من الحرب : إذا كان السيف أو الرمح قصيراً فان المحارب يمد به ذراعه حتى يصل به الى خصمه) . يقول الشاعر : إذا كنت قصير القامة فان أعمالي الصالحة تعوض علي ما فقدت من الطول في الجسم .

٣ – إذا كنت بين جماعة كلهم أطول قامة مني كنت أنا أطول (من الطول بفتح الطاء بمعنى الفضل والغنى ، وهو ما تتطول أو تتفضل به على الآخرين) حتى يقال إنني أطول منهم كلهم .

٤ – •• الفهرست ١٢٥ ؛ طبقات ابن المعتزّ ٤١٥ – ٥١٦ ؛ معجم الشعراء ٤٠٢ – ٤٠٣ ؛ تاريخ بغداد ٣ : ١٧٠ – ١٧٩ ؛ معجم الأدباء ١٨ : ٢٨٦ – ٣٠٦ ؛ نكت الهميان ٢٦٥ – ٢٧٠ ؛ وفيات الاعيان ٢ : ٣٢١ – ٣٢٤ ؛ بروكلمان ، الملحق ٢٤٨ – ٢٤٩ .

ابن الروميّ

١ – هو أبو الحسنِ عليّ بنُ العبّاسِ بن جُريجٍ . وجُريجٌ هـذا أو جَرجيسُ أو جُورجيوسُ رجلٌ روميّ (يوناني) أسلَمَ على يدِ عُبيدِ الله بن عيسى بن جعفرِ بن الخليفةِ المنصورِ العبّاسيّ فألحقَ وِلاءه ، من أجلِ ذلك ، ببني العبّاس . وكانتْ أمّ ابنِ الروميّ حَسَنَةُ بنت عبدِ اللهِ السِجزيّ (السِجِسْتاني) فارسيةً .

وُلِدَ ابنُ الروميّ في الجانبِ الغربيّ من بغدادَ في جُمادى الأولى[١] من سنة ٢٢١ هـ (٨٣٦ م) ونشأ في بيتٍ على شيءٍ من الثروة جاءتْ إليه من مواليه بني العبّاس أهلِ البيتِ المالكِ الذين كان ابنُ الروميّ يعيشُ في كَنَفِهم .

نال ابنُ الروميّ طَرَفاً صالحاً من علومِ العربيةِ كاللغةِ والنحوِ والأدبِ ومن العلوم العقلية والطبيعية ، كما ألمّ بأخبارِ الفلاسفةِ وبعلمِ الكلام . ولكنْ من التَمَحّلِ البعيدِ أن نَنْسِبَ اليه معرفةً باللغة اليونانية أو اللغة الفارسية . وكان ابن الروميّ من كُتّابِ الدواوينِ ، ولكنّ الشعرَ غَلَبَ عليه (العمدة ١ : ٩) فلم يُعرَفْ إلاّ بالشعر .

وتزوّجَ ابن الروميّ مرتينِ ورُزِقَ من زَوْجَتَيْه كِلْتَيْهما أولاداً . ولكنه لم يكنْ وادعاً في زواجهِ ولا سعيداً في ما رُزِق من أولادٍ . وقد تُوُفّيتْ

١ في وفيات الاعيان (٢ : ٤٢) : « وكانت ولادته يوم الاربعاء بعد طلوع الفجر لليلتين خلتا من رجب سنة احدى وعشرين ومائتين ببغداد في الموقع المعروف بالعقيقة (في معجم الشعراء ١٤٥ : المتهقة) ودرب الختلية في دار بازاء قصر عيسى بن جعفر (بن أبي جعفر) المنصور ..... وتوفي يوم الاربعاء لليلتين بقيتا من جمادى الأولى سنة ثلاث وثمانين ، وقيل أربع وثمانين ، وقيل ست وسبعين ومائتين ببغداد ، (في معجم الشعراء ١٤٥ : في شوق العطش) ، ودفن في مقبرة باب البستان » .

إحدى زوجتيه في حياته ومُعْظَمُ أولاده أيضاً . وكذلك تُوُفّيتْ أمّه في حياته وتوفي أخوه الذي كان يُعينه على الحياة فاستقر في نفسه من أجل ذلك كثيرٌ من التشاؤم والنِقْمة . وكان ابن الرومي يخاف الأسفارَ وما فيها من الأخطارِ فلم يُغادرْ بغدادَ إلاّ مرةً واحدةً زار فيها سامرّا ، على أربعينَ كيلومتراً من بغداد شمالاً .

وتُوُفّيَ ابنُ الرومي مَسموماً ، تولّى وَضْعَ السّمِّ له أبو فِراسٍ الكاتب بأمرِ القاسم بن عُبيد الله وزيرِ الخليفة المُعْتَضِدِ ، لأنه كان قد أكثر من هجاء القاسمِ بن عُبيد الله وأفحش . وكانت وفاته بالجانب الشرقي من بغدادَ في جُمادى الأولى أيضاً من سنة ٢٨٣ هـ (٨٩٦ م) .

٢ – يبدو من ديوان ابن الرومي أن بعض المُتَنَطّعين كانوا يُعَرّضون بنسب ابن الرومي ويطعنون بذلك على أدبه (يُنكرون ان يُحسِنَ غيرُ العربي قولَ الشعر في اللغة العربية) ، فاستفزّوه بعملهم هذا (راجع العمدة ١ : ٦١) فقال :

قد يُحْسِنُ الرومُ شِعْراً ما أحسنته العُرَيْبُ !
يا مُنكرَ الفضلِ فيهم ، ألَيْسَ منهم صُهيب[1] ؟

وكان ابن الرومي مُصاباً بالسُوَيْداء مُضْطَرِبَ النفسِ لا يَمْلِكُ أعصابَه ، فظهر عليه أربعةُ أعراضٍ بعضُها تابعٌ لبعضٍ : هي الطِيَرةُ والتشاؤم والغرور وسوء المخالقة للناس .

وذكر ابن رشيقٍ (العمدة ١ : ٥٣) أن ابن الرومي كان كثيرَ الطِيَرةِ : رُبّما أقامَ المدة الطويلة لا يَتَصَرّف تَطَيّراً بسوء ما يراه أو يسمعه ، حتى إنّ بعضَ إخوانه من الأمراء افتقده فأعْلِمَ بحاله في الطيرة ، فبعث اليه خادماً اسمه إقبالٌ ليتفاءلَ به . فلما أخذ (ابن الرومي) أهْبَتَهُ للركوب قال للخادم : انْصرِفْ إلى مَوْلاك ، فأنت ناقصٌ ، ومَنْكوسُ اسْمِك : لابقا – لا بقي .

وإذا كانتِ الطيرة تتعلق بالحوادثِ المُفردةِ في الحياة ، فإنّ التشاؤم هو

---

[1] صهيب عبد رومي دخل في الإسلام في أيام الرسول وأصبح من كبار الصحابة .

النظْرةُ القـائمة إلى المُستقبل عموماً . وابن الرومي كان كارهاً للحياة لا يرى في الدنيا أكثرَ من طريق إلى الآخرة . إنه كان أيضاً مغروراً غرورَ ضَعْف : يعتقد أنه مظلوم في الحياة الدنيا ، فهو أبداً يشكو إدْبارَ الدنيا عنه وإقبالَها على من همْ أقلّ منه قيمةً . وكذلك كان سيء المُخالقة للناس قليلَ الاحتفال بهم كثير التوَثّب عليهم بهجو الاكابرَ ويُنابذ الاصدقاء حتى قَطَعَه الناسُ وكَرِهَه من كان له مُحِبّاً . ومن سوء سلوكه في المجتمع أنه كان نَهِماً كثير التطلّب للطعام رديءَ التناولِ له مَعَ الجَشَع . وأدرك ابن الرومي أخيراً أنه قد خسر معركة الحياة وخاب في فرض إرادته على مجراها فاندفع مَعَ التيار وانغمس في لا مبالاة مطلقة . وعلى هذا قوله :

لاح شَيْبي فَرُحْتُ أمرحُ فيه ... مَرَحَ الطَرْفِ في العذارِ المُحلّى[1] .
وتَوَلّى الشبابُ فازْدَدْتُ رَكْضـاً ... في ميادينِ باطلي إذْ تَوَلّى .
إنّ من ساءه الزمانُ بشيءٍ ... لَأَحَقّ امرئٍ بأن يَتَسَلّى !

ابنُ الروميّ شاعرٌ مطبوع يجري في شعره على السليقة ولا يتكلّف أبداً ، على الرّغم من أنه طويلُ النفس ، فقد يبلُغُ بالقصيدة نحوَ ثلاثمائةِ بيتٍ . وابن الرومي يهتمّ بالمعاني أكثرَ مِنَ اهتمامه بالألفاظ . والمعاني في شعره كثيرة وفيها ابتكار . إن ابن الروميّ مُغْرَمٌ بالمعاني : « يُؤْثِرُ المعنى على اللفظ فيطلُبُ صحتَه ثمّ لا يُبالي حيثُ وقع (معناه) من هُجْنَةِ اللفظ وقُبحه وخُشونته » (العمدة ١ : ١٠٦) . بعدئذٍ تراه يأخذُ المعنى الواحدَ فيُقَلِّبُه على جميعِ وجوهِهِ حتّى لا يَتْرُكَ فيه ناحيةً .

وابنُ الروميّ ميّال إلى استيفاء المعنى في مكانٍ واحدٍ من القصيدةِ (وهذا ما يُسمّيه بعضُهم « وَحْدَةَ الموضوع ») ، إذ تراه يُعالج المعاني أحياناً ويُناقشها ويَجْمع أطرافَها ويَرْبِطُ بعضَها ببعضٍ رَبْطاً يكاد يكون منطقياً حتى لَيُخَيّلُ إليك أنه يكتُبُ مقالةً لا ينْظِمُ قصيدةً .

أما ألفاظه فهي فصيحة مألوفة ولكنه أحياناً يردد الصِيَغ المختلفة من الجِذْرِ الواحد ترديداً غير مُسْتَحْسَنٍ ، كقوله :

---

[1] الطرف : العين ، النظر . العذار : الشعر النابت في الوجه . — يقول : كسرور العين من النظر إلى وجه بدأ الشعر ينبت فيه (كناية عن النضارة والشباب) .

إنّ مِنْ أضعفِ الضعافِ لدى الله   قويّاً يَستَضْعِفُ الضعفاءَ .

أما فنونُ ابن الرومي وأغراضُه فكثيرةٌ جداً ، فله مديحٌ وعتاب وفخر وتهديد وهجاء ، وله وصف وحكمة وغزل ونسيب ورثاء . وقد امتاز في مُعْظمِ هذه الفنون ، وخصوصاً في الفنون الوُجدانية كالغزل والنسيب والرثاء والهجاء وفي الوصف خاصة .

الوصف يَغْلِبُ على جميع فنون ابن الرومي : أجاد ابن الرومي **وصف الطبيعة** بما فيها من حياةٍ وأشجار وأطيار ، وأجاد وصفَ المطاعم والمشارب . على أنه امتاز بشيئين في وصفه امتيازاً ظاهراً : إنه وصف لنا **الحياة الدنيا** كالبؤس والأطعمة والصناعات العادية . ثم انه كان ميّالاً في أوصافه إلى **التشخيص** : إلى أن يبعثَ في الموصوفِ حياةً ويَخْلَعَ على الأشياء المادية صفاتِ الأشخاص العاقلين . فمن أوصافه الجياد المشهورة وصفُ العِنَبِ الرازقيّ (وهو نوع ينمو في مدينة الطائف قربَ مكّة ، حبته طويلة مجموعة في وسَطها ، أعلاها أحمر وأسفلها أصفر) :

ورَازِقيّ مُخْطَفِ الخُصورِ   كأنه مَخازنُ البلّورِ ،
قد ضُمِّنَتْ مِسْكاً إلى الشطور ،   وفي الأعالي ماءُ وَردٍ جُوري [1]
لم يُبْقِ منه وَهَجُ الحَرورِ   إلاّ ضياءً في ظُروف النورِ .
لو انه يَبْقى على الدهورِ   قرّط آذانَ الحِسانِ الحورِ [2] .

وله أيضاً وصف قالي الزّلابية ، والزلابية نوع من الحلوى يُصنَع من العجين الرِخْوِ ويُقلى بالزيت على شكلِ خُطوط تتابع في استدارة وتتقاطع ثم يُغْمَس في القطر (السُكّر المغلي في الماء) :

وَمُسْتَقِرّ على كُرْسيّهِ تَعِبٍ ،   روحي الفداءُ له من مُنْصَبٍ تَعِبٍ [3].
رأيتُه سحَراً يَقْلي زَلابيَةً   في رِقّةِ القِشرِ ، والتجويفُ كالقصَب .
كأنما زَيْتُه المَقْليّ حين بدا   كالكيمياءِ التي قالوا ولم تُصِبِ :

---

[1] ورد منسوب إلى مدينة جور في فارس ، وهو شديد الحمرة .
[2] اتخذته النساء الجميلات أقراطاً (حلقاً) في آذانهن .
[3] المنصب : الذي بلغ منه الهم والاعياء (تلاشي القوى من بذل الجهد - بضم الجيم) مبلغاً عظيماً . التعب (بكسر العين) : المتعب (بضم الميم وفتح العين) : الذي مر عليه وقت طويل لم يسترح فيه .

يُلْقي العجينَ لُجيناً [١] من أناملـه فيستحيلُ شبابيكاً من الذهـب .

ومِثْلُ ذلك في الجَمال والإجادة وصفُه لصانع الرُقاق (الخبّاز) ، وهو من الوصف الحِسي البارع :

ما أنْسَ لا أنْسَ خبّازاً مررتُ به يَدحو الرُقاقة مثلَ اللمحِ بالبصرِ [٢] .
ما بين رُؤْيتِها في كَفِّهِ كُـرَةً وبين رُؤْيتها قَوْراءَ كالقمـرِ
إلاّ بمِقْدارِ ما تَنْداح دائرةٌ [٣] في صفحةِ الماء يُرمى فيه بالحجرِ .

ولابن الرومي قصيدة يمدح بهـا عُبيد الله بن عبد الله بن طاهرٍ ويهنئه فيها بيوم المَهْرجان (أحد الأعياد التي أخذها العرب عن الفرس) . وفي القصيدة وصفٌ حِسّيٌ وتحليل نفسي وشيء من الغزل . وفي ما يلي مقطع منها يصف فيه ابن الرومي قِياناً يَعْزِفْنَ ويُغَنّين :

وقِيـانٍ كأنهـا أمّهـاتٌ عاطفاتٌ على بَنيها حَوانٍ .
مُطْفِلاتٌ وما حَمَلْنَ جَنيناً ، مُرْضِعاتٌ ولَسْنَ ذاتَ لِبـانِ ؛
مُلقَماتٌ أطفالَهن ثُديّـاً ناهداتٍ كأحسن الرُمـان
مفعَماتٍ كأنهـا حافِـلاتٌ وهي صِفْرٌ من درة الألبان [٤] .
كلّ طِفلٍ يُدعى بأسماءَ شتّى بين عود ومِزْهَر وكِران [٥] .
أمُّه دهرَها تَرجمُ عنه ، وهو بادي الغنى عن التَرْجُمان .
غير أنْ ليس ينطِقُ الدهرَ إلا بالْتزامٍ من أمّه واحتضان .
أوتيَ الحُكْمَ والبَيانَ صَبيّاً مثلَ عيسى بنِ مريمٍ ذي الحَنان .
وتَغَنّتْـهُ بالمدائـح فيـه كلّ غيداءَ غـادة مِفتان
ذاتُ صوتٍ تَهزُّه كيف شاءت ، مِثْلَ ما هزّتِ الصَبا غُصْنَ بان .

---

١ فضة .
٢ يدحو الرقاقة : يمد الرغيف على الدف بمتابعة الخبط عليه بيديه .
٣ تتسع وتعظم .
٤ مفعمات : نعت متعدد مع ناهدات في البيت السابق . مفعم : مملوء . حافل : مملوء . صفر : فارغة .
٥ العود والمزهر والكران : آلات موسيقية . وقد منع ابن الرومي كلمة « اسماء » من الصرف ، وذلك خطأ .

يَتَثَنّى فيَنْفُضُ الطَّلَّ عنه في تَثَنّيهِ مِثْلَ حَبِّ الجُمانِ[1] .
جَهْوَرِيٌّ بلا جَفاءٍ على السمْـ ـعِ مَشوبٌ بغُنَّةِ الغِـزلانِ .
فيه بَمٌّ وفيه زِيرٌ من النغْـ ـمِ وفيه مَثالِثٌ ومَثـانٍ[2] .
فتراه يَجِلُّ في السمع حيناً ، وتراه يَدِقُّ في الأحيـانِ .
يَلِجُ السمعَ مُستمِرّاً إلى القلْـ ـبِ بلا إذنٍ لا ولا استئذانِ .
صيغَ من طَبْعِ صوتِها كلُّ لَحْنٍ مَعَها من لُحونِ تلك الأغاني .
أعْجَمِيٌّ ، آيينُهُ[3] عَرَبيٌّ مجدُهُ ينتمي إلى عَدنـانِ .

الوصف يتناول الموضوعات الحسية ، أما **التحليل** فيتناول الموضوعات المعنوية (المجردة) . ولقد برع ابن الرومي في هذا الباب من أبواب الشعر حتّى حاز فيه الشُّهرةَ والإجادة دونَ سائر الشعراء . إن وصف الغناء والإحاطةَ بأثرِ الحقْد أو الحسد في النفوس ، والكلامَ في العُزْلَةِ عن البشر ، ثم وصفَ الشيب والخِضابِ ووصفَ الزّهادِ والبَحْثَ في الصبر والكلامَ على الحظّ ، كل هذا يدخل في باب التحليل . قال ابن الرومي يحلل طبعَه :

شُكْري عَتيدٌ[4] ، وكذلك حِقْدي . للخيرِ والشرِّ بقـاءٌ عنـدي ،
كالأرض مهما استُودِعَتْ تُؤْدِي . وأيْنَ عن طينَتِنا نُعَدّي[5] :
أحْفَظُ للأعـداءِ والأوَدِّ ما استَوْدَعوا من بُغْضَةٍ أوْ وُدِّ .
ماذا يقول القائلون بعـدي[6] !

وقال في الشيب والخضاب :

رأيتُ خِضابَ المرءِ عند مَشيبِه حِداداً على شَرْخِ الشبيبة يُلْبَسُ[7] .

---

١ الطل : حبات الندى . الجمان جمع جمانة : اللؤلؤة الكبيرة .
٢ البم والزير والمثاني والمثالث من أسماء الاوتار في الآلات الموسيقية . يقصد ابن الرومي أن هذه المغنية تستطيع الإتيان بطبقات الغناء العالية والواطئة .
٣ آيين كلمة فارسية معناها آداب السلوك ، الحضارة .
٤ عتيد حاضر ، مهيأ – أنا أشكر الذي يحسن الي على الفور وأحقد على الذي يسيء إلي على الفور أيضاً .
٥ مهما زرعت في الأرض تحصد منها . نحن لا نستطيع أن نخالف طينتنا (طبيعتنا) .
٦ لا آبه لما يقول الناس بعد ذلك !
٧ شرخ الشباب : أوله .

وإلاّ ، فما يغزو امرُؤٌ بخضابهِ : أيطمعُ أن يَخفي شبابٌ مُدلّس[1] ؟
وكيفَ بأنْ يخفي المشيبُ لخاضبٍ وكلٌّ ثلاثٍ صُبْحُهُ يتنفّسُ ؟
وهَبْهُ يُواري شَيْبَهُ ، أينَ ماؤهُ ، وأينَ أديمٌ للشبيبةِ أملَسُ ؟

ومن أبيات ابن الرومي المشهورة في هذا الباب أبيات في الوطن هي :

ولي وطنٌ آليْتُ ألاّ أبيعَه وألا أرى غيري له الدهرَ مالكا .
عهدتُ به شَرْخَ الشباب ونعمةً كنعمةِ قوم أصبحوا في ظلالكا ،
وحبّب أوطانَ الرجال إليهمُ مآربُ قضّاها الرجالُ هنالكا .
إذا ذكروا أوطانهمْ ذكّرتهمُ عهودَ الصبى فيها فحنّوا لذلكا .

فانظرْ كيف يحلل ابن الرومي صلة الإنسان بوطنه وكيف يعلل هذا الارتباط برغم ما يمكن أن ينال الانسان في وطنه أحياناً من الأذى . انه لا يبيع وطنه مع ان قوماً نالوا فيه نعمة لم ينلها هو .

ابن الرومي من أقدر الهجّائين في تاريخ الأدب العربي . وكان الوصف والتحليل يَغْلِبان على **هجائه** فيُكْسبانِه صُوراً رائعة تحمل السامع على الهزوء بالمهجوّ وتجعل الهجاءَ دائراً على الألسن . وابن الرومي يهجو بالعيوب الخُلُقية كالجُبن والبخل والتقاعس ، ولكنّ ميزتَه البارزة كانت في تناول العيوبِ الخَلْقية (الجسْمية) كالعَرَج والاحديداب والقبح وطول اللحية ، وفي حسن التهكّم بذلكَ . وهجاء ابن الرومي جيد سواءٌ أكان في مقاطعَ قصارٍ أو في قصائدَ طوال . قال يهجو عيسى بن منصور :

يُقتّرُ عيسى على نفسهِ ، وليس بباقٍ ولا خالدِ ،
فلو يستطيعُ لِتَقْتيرِهِ تَنَفّسَ مِنْ مِنْخَرٍ واحد !

ومن أهاجي ابن الرومي القصار والتي تنطوي على تصوير وتحليل وتهكم مؤلم أهاجيه التالية :

قَصُرَتْ أخادعُه وطال قَذالُهُ فكأنه مُتَرَبّصٌ أنْ يُصفَعا[2] .
وكأنما صُفِعَتْ قَفاه مَرّةً وأحَسّ ثانيةً لها فتجمّعا .

---

١ يغزو : يبلغ ، يستفيد (؟) . شباب مدلس : شباب زور .
٢ قالها في رجل أحدب ؛ الاخادع عروق في جانبي العنق . القذال : مؤخر الرأس .

ـ ان تَطُلْ لِحيَةٌ عليك وتَعْرُضْ · فالمخالي معروفةٌ للحميرِ .
علّقَ اللهُ في عِذارَيْكَ مِخْلاةً · ولكنهما بغير شعيرِ [1] .
لو غدا حُكْمُها إليّ لطارت · في مَهَبِّ الرياحِ كلَّ مَطيرِ .
لحيةٌ أهْمِلَتْ فسَالَتْ وفاضتْ · فإليها تُشيرُ كفُّ المُشيرِ .
ـ وصَلْعَةٍ لأبي حَفْصٍ مُمَرَّدةٍ · كأنّ صَفْحَتَها مِرآةُ فولاذِ [2] .
تَرِنُّ تحتَ الأكُفِّ الواقعاتِ بها · حتّى تَرِنَّ بها أكنافُ بَغداذِ .

ليس في غزل ابن الرومي من البراعة سوى ما فيه من الوصف . أما نسيبه فرقيق عذب شديد الأثر في النفس بادي الصدق :

أعانقُها والنفسُ بَعْدُ مَشوقةٌ · اليها ، وهل بعدَ العِناق تَدانِ ؟
وألْثِمُ فاها كي تَزولَ حَرارتي · فيشتدّ ما ألْقَى من الهَيمان [3] .
وما كان مِقْدارُ الذي بي من الجَوى · لِيَشْفِيَهُ ما تَلْثِمُ الشّفَتان .
كأنّ فؤادي ليس يَشْفي غليلَه · سوى أنْ يَرى الرّوحَيْنِ يمتزجان !

رثاء ابن الرومي قسمان : قسم قاله الشاعر في أهله ، وقسم قاله في غير أهله . فأمّا هذا الأخيرُ ففيه تكلّفٌ كثير وهو مجرد من العاطفة . وأمّا رثاؤه في أهله فشعر صحيحٌ فيه عاطفةٌ ولَوْعة ، وفي أثنائه تحليل بارع . وابن الرومي في رثائه هذا يُحلّل ما يشعر هو به في ساعة الرزْءِ وبعدها : ان رثاءه صورة صادقة لنفسه في الدرجة الأولى ثم للميت في الدرجة الثانية .

والعجيب أن فن ابن الرومي يتغلب على عاطفته حتّى في رثاء أولاده ، فإنك إذا قرأت مَرْثِيَتَهُ في ابنه الاوسط ـ وهي أجلّ مراثيه ـ رأيتَ العبقريةَ الفنية تَطْغَى على عاطفة الأُبُوّة : بدأ بخطاب عينيه ثم وصف المرض الذي مات به ابنه . بعدئذٍ ذكر شعوره هو نحو الموت عموماً ونحو ابنه :

بُكاؤكُما يشفي وإن كان لا يُجْدي، · فجُودا فقد أوْدى نظيرُكُما عندي [4] .

---

[1] العذاران : منبتا الشعر على جانبي الوجه .
[2] ممردة : مبلطة .
[3] الهيمان : الحب أو أشد الحب .
[4] يجدي : يفيد . نظيركما : شبيهكما ، مثيلكما في القيمة .

تَوَخّى حِمامُ الموتِ أوْسَطَ صِبيَتي ، فللهِ كيفَ اختار واسِطَةَ العِقْدِ [1] ،

طواه الرّدَى عني فأضحى مَـزارُه بعيداً على قُرْب قريباً على بُعْدِ !

لقد قلّ بينَ المهدِ واللحدِ لُبثُهُ ، فلم ينسَ عهد المهد إذ ضُم في اللحد .

ألَحّ عليهِ النَّزْفُ حتّى أحالَهُ إلى صُفْرةِ الجادِيّ عن حُمرةِ الوَرْدِ .

عَجِبْتُ لقلبي كيف لم ينفطرْ لـه ولو أنّه أقسى من الحجر الصّلْدِ .

وأولادُنا مثلُ الجَوارحِ ، أيُّها فَقدناه كان الفاجعَ البَيِّنَ الفَقْدِ [3] ؛

لكُلٍّ مكانٌ لا يَسُدُّ اختلالَه مكانُ أخيه من جَزوعٍ ولا جَلْدِ [4] :

هلِ العَيْنُ بعدَ السّمْعِ تكفي مكانه ، أمِ السمعُ بعد العين يَهدي كما تَهدي ؟

لابن الرومي أبيات في الادب أو الحكمة ترد متفرقة في قصائده :

— فما كلّ مَنْ حطّ الرِحالَ بمُخْفِقٍ ، ولا كلّ من شدّ الرِحالَ بكاسبِ [5] .

أرى المرءَ مُذْ يَلْقَى التُرابَ [6] بوجهه ،
إلى أنْ يُوارَى فيـه ، رَهْنَ النوائبِ .

— ومُحالٌ أنْ يَسْعَدَ السُعَداءُ الدهـ ـرَ إلاّ بشَقْوَةِ الأشقياءِ .

— إنّ مَنْ لامَ جاهلاً لَطَبيبٌ يتَعاطى عِلاجَ داءٍ عَياءٍ [7] .

— وإذا ما مَخابِرُ النـاسِ غابَتْ عنكَ فاستَشْهِدِ الوُجوهَ الوِضاءَ [8] .

ولكنّ له أيضاً حِكَماً ترد في قِطعٍ مُستقلةٍ أو شبهِ مستقلة وتمثل فِكرةً واحدة أو فكراً متقاربة . بهذه الحكم الّتي ترد مجموعةً مستوفاة في مكان واحد اشتهر ابن الرومي وامتاز من سائر أقرانه . من ذلك قوله :

---

١ توخى : طلب . واسطة العقد . اللؤلؤة الكبرى التي تكون في أوسط العقد .

٢ النزف : نزيف الدم من الجسم . الجادي : الزعفران ، وهو أصفر اللون .

٣ الجوارح : الاعضاء كالأيدي والارجل والعيون ... الخ .

٤ الجزوع : الحزين ، الكثير التأثر . الجلد : الصبور ، المتحمل للمصائب والمشاق .

٥ ما كل من لزم بلده افتقر ، ولا كل من سافر إلى مكان بعيد اغتنى .

٦ يلقى التراب بوجهه : يولد .

٧ الداء العياء : المستعصي على الطب . — الجاهل لا يفهم النصيحة .

٨ كان ابن الرومي من الذين يعتقدون ان حسن الخلق تابع لحسن الوجه ، وسوء الخلق تابع لقبيح الوجه .

عَدُوُّكَ مِنْ صديقِكَ مُسْتَفادٌ ... فلا تستَكْثِرَنَّ مِنَ الصِحابِ .
فإنَّ الداءَ أكثرَ ما تراه ... يَحولُ مِنَ الطعامِ أوِ الشرابِ .
إذا انْقَلَبَ الصديقُ غدا عَدُوّاً ... مُبيناً ، والأُمورُ إلى انقلابِ .
ولو كان الكثيرُ يَطيبُ كانت ... مُصاحَبَةُ الكثيرِ مِنَ الصوابِ .
ولكنْ قَلَّما استَكْثَرتَ إلاّ ... وقعتَ على ذِئابٍ في ثِيابِ .
فَدَعْ عنكَ الكثيرَ : فكَمْ كثيرٍ ... يُعافُ ، وكم قليلٍ مُسْتَطابُ !
وما اللُجَجُ المِلاحُ بمُرْوِياتٍ ... وتَلْقَى الرِّيَّ في النُطَفِ العِذابِ ١ .

٣ – قصيدة مختارة : وحيدُ المغنيّة :

هذه القصيدة تجمعُ كثيراً من خصائصِ ابن الرومي في الغزل والنسيب والوصف والتحليل ، فهي من أجل ذلك وجدانية خالصة . ثم هي تمثل ابن الرومي تمثيلاً صحيحاً وتعبّر عن نفسه وتكشف عن خيْبته في مجالس الانس . كان ابن الرومي مُعْجَباً بوحيدَ وبغنائها ولم تكن هي تعبأ به :

يا خليليَّ ، تَيَمَّتْني وَحيدُ ، ... ففُؤادي بها مُعَنّىً عَميدُ ٢ .
غادةٌ زانَها مِنَ الغُصْنِ قَدٌّ ، ... ومِنَ الظَبْيِ مُقْلتانِ وَجيدُ ٣ .
وزَهاها ، من فَرْعِها ومن الخَدَّ ... يْنِ ، ذاك السوادُ والتَوْريدُ ٤ .
أوقَدَ الحسنُ نارَهُ في وحيدٍ ... فوقَ خدٍّ ما شانه تخديدُ ٥ .
فهي بَرْدٌ بخدِّها وسلامٌ ، ... وَهْيَ للعاشقين جَهْدٌ جَهيدُ ٦ ،
لم تَضِرْ قطّ خدَّها وَهْوَ ماءٌ ، ... وتُذيبُ القلوبَ وهيَ حديدُ .
ما لنا تَصْطليهِ من وَجْنَتَيْها ... غيرُ تَرْشافِ ريقِها تبريدُ ٧ .

١ اللجة : الماء الكثير . الملاح : المالحة . النطفة : الماء القليل . العذاب : الحلوة .
٢ تيمتني وحيد : ذللتني بالحب . معنى : متعب ، حامل ما لا يطيق . العميد الذي هده العشق .
٣ الغادة : المرأة الناعمة اللينة . القد : القوام . الجيد : العنق .
٤ زهاها ... : جعلها زاهية ناضرة جميلة ، أو متكبرة . الفرع : الشعر . السواد في الشعر والتوريد في الخد .
٥ شانه : عابه . تخديد : تشقق .
٦ برد وسلام : لا ضرر منه . جهد جهيد : تعب شديد . لعل الأصوب : في خدها .
٧ الاصطلاء : التعرض لحر النار (تصطلي أنت) . ترشاف : رشف : أخذ الماء بالشفتين قليلا قليلا .

مِثلُ ذاكَ الرُّضابِ أطْفأ ذاكَ الـ   ـوَجْدَ ، لولا الإباءُ والتَّصْريد [1] .

• • •

وغَرِيرٌ بحُسْنِها قالَ : « صِفْها » .   قُلْتُ : « أمرانِ ، بَيِّنٌ وشديد [2] :
يَسْهُلُ القَوْلُ إنَّها أحْسَنُ الأشْـ   ـياءِ طُرّاً ، ويَصْعُبُ التحديد » .
شمسُ دَجْنٍ ، كِلا المُنيرين من شمـ   ـسٍ وبدرٍ من نورِها يَسْتَفيدُ .
تَتَجلّى للناظرين إليْها ،   فَشَقِيٌّ بحُسْنِها وسعيد .
ظَبْيَةٌ تَسْكُنُ القلوبَ وتَرْعا   ها ، وقُمْرِيَّةٌ لها تَغْريد [3] .
تَتَغَنّى كأنّها لا تُغَنّي ،   من سُكونِ الأوصالِ ، وهْيَ تُجيد :
لا تراها – هناك – تَجْحَظُ عَيْنٌ   لك منها ، ولا يَدُرُّ وريد [4] ؛
من هُدُوٍّ وليس فيه انقطاعٌ ،   وسُجُوٍّ وما به تَبْليد [5] .
مَدَّ في شأوِ صوتِها نَفَسٌ كا   فٍ ، كأنفاسِ عاشقيها مَديد [6] ،
وأرَقَّ الدَّلالُ والغُنْجُ منه ،   وبَراهُ الشَّجا فكاد يَبيدُ [7] .
فتَراهُ يَموتُ طَوراً ويحيا ،   مُسْتَلَذٌّ بسيطُه والنَّشيدُ [8] :
فيه وَشْيٌ وفيه حَلْيٌ ، من النَّغْـ   ـمِ ، مَصوغٌ يَختالُ فيه القصيد .
طابَ فوها وما تُرَجِّعُ فيه !   كلَّ شيءٍ لها بذاك شهيدُ [9] .

---

١ الرضاب : الريق ما دام في الفم . الإباء : التمنع . التصريد : الانقطاع .
٢ الغرير : الشاب الذي لا تجربة له . بين : ظاهر ، واضح . شديد : عسير ؛ في العقاد (ص ٣٥٢) : هين وشديد .
٣ ترعاها : ترعى فيها : تأكل منها . القمرية : الحمامة .
٤ جحظت : برزت . الوريد : يقصد به الشاعر أحد العروق الممتدة في العنق . لا يدر وريد : لا يمتلئ بالدم ، يتضخم (عند الغناء) .
٥ هدو : لعلها هدوء ، أو لعل الهمزة حذفت منها للتوكيد مع سجو . السجو : مد الصوت بالغناء .
٦ الشأو : هنا طول النفس في الغناء .
٧ الشجا : البحة (بضم الباء) في الحلق تجعل في الصوت شيئاً من الحزن والشكوى . فكاد يبيد : كاد أن يخفى .
٨ النشيد : رفع الصوت بالغناء . البسيط؟ – المقصود : كل أنواع غنائها لذيذة .
٩ رجع (بتشديد الجيم) ردد الصوت .

ثَغَبٌ يَنْقَعُ الصَّدى ، وغِنـاءٌ   عنده يُوجَدُ السّرورُ الفَقيدُ [١] .
فلها ــ الدهرَ ــ لائِمٌ مُسْتَزِيدٌ ،   ولها ــ الدهرَ ــ سامِعٌ مُسْتَعِيدُ .
في هوى مِثْلها يَخِفّ حلـيمٌ   راجحٌ حِلْمُهُ ، ويَغْوَى رشيد .
ما تُعاطي القُلوبَ إلاّ أصابت   بهواها منهن حيثُ تُريد [٢] .
وتَرُ العَزْفِ في يَدَيْها مُضـاهٍ   وتَرَ الرَّجْفِ ، فيه سهمٌ شديد [٣] .
وإذا أنبَضَتْهُ للشَّرْبِ يومـاً   أيقَنَ القومُ أنها ستَصيد [٤] .
مَعْبَدٌ في الغِناء وابن سُرَيجٍ ،   وَهْيَ في الضَّرْبِ زَلْزَلٌ وعَقيد [٥] .
عَيْبُها أنّها إذا غَنّتِ الأحْـ   ـرارَ ظَلّوا وهم لَدَيْها عبيد ،
واستزادتْ قُلوبُهم من هواهـا   بِرُقاها ، ومـا لديهـم مَزيد [٦] .

• • •

وحِسانٍ عَرَضْنَ لي ، قُلتُ : « مَهْلاً   عن وحيدٍ ، فحقُّهـا التوحيد .
حُسْنُها في العيونِ حُسْنٌ جديدٌ ،   فلهـا في القلوب حب جديد [٧] » .

• • •

ونصيحٍ يلومُني في هواهـا ،   ضلّ عنه التّوْفيقُ والتّسـديد .
لو رأى من يَلومُ فيـه لأضحـى   وَهْوَ لي المُسْتَريثُ والمستزيدُ [٨] .

---

١ ثغب ينقع الصدى : ماء يطفئ العطش ، يروي . يشبه غناءها المعجبين بها بالماء العطاش .
٢ تعاطي : تغالب ، تناول ، تعامل . إذا غنت أسرت القلوب .
٣ وتر العزف : وتر العود الذي يعزف عليه . مضاه : مشابه : وتر الرجف؟ – المعنى الملموح : إذا ضربت على وتر العود فكأنها تضرب على وتر القلوب .
٤ أنبض القوس ، أو أنبض في القوس : حرك وترها لترن : – قبل العزف يحرك الضارب على العود أوتار العود ليمين طبقة الغناء .
٥ تشبه في حسن الصوت معبداً وابن سريج ، وهما أشهر المغنين في العصر الأموي . وزلزل كان مشهوراً بالضرب على العود ، ومثله عقيد .
٦ الرقى : السحر ، الجمال – الناس يحبونها لغنائها ، ثم هم يريدون أن يحبوها أيضاً لجمالها ، ولكـن لا يستطيعون لأنهم منحوها كل حبهم أولا لحسن غنائها .
٧ في المقاد (ص ٣٥٣) : وحيد (مرتين) مكان : جديد .
٨ يطلب مني البقاء على حبها والزيادة فيه .

ضِلّـةٌ للفؤاد يحنو عليهـا ، وَهْيَ تزهو — حياتَه — وتَكيد [1] .
سحرته بِمُقْلَتَيْهَا فـأضحت ، عنده ، والذميمُ منهـا حميـد .
خُلِقَتْ فتْنَةً ، غِناءً وحُسْـنـاً مـا لهـا فيها جميعاً نَديد [2] .
فَهْيَ نُعْمَى يَميدُ منها كبيرٌ ، وَهْيَ بَلْوَى يَشيبُ منها وَليدُ .
لِي — حَيْثُ انصرفتُ منها — رفيقٌ مِنْ هواها ، وحَيْثُ حلَلْتُ قَعيد [3]
عن يَميني وعن شِمالي وقُـدّا مي وخَلْفي ، فأيْنَ عنه أحيد ؟
سَدّ شَيْطانُ حُبّها كلّ فَجٍ ، إنّ شَيْطانَ حُبّها لَمَريدُ [4] .

• • •

لَيْتَ شِعْري — إذا أدام إليْها كَرّةَ الطرْفِ مُبْدِئٌ ومُعيد — [5] .
أهْيَ شيءٌ لا تَسْأمُ العينُ منـه أم لهـا كلّ سـاعةٍ تجديدُ ؟
بل هي العيشُ لا يزالُ متى استَعْـ ـرِضَ — يُملي غرائباً ويُفيد [6] .
مَنْظرٌ ، مَسْمَعٌ ، مَعانٍ من اللهـ ـوِ عَتادٌ لما يُحَبّ عتيد [7] .
لا يَدِبّ المَلالُ فيها ، ولا يُنْـ ـقَضُ من عِقْدِ سحرها توكيد [8] .

• • •

---

١ ضلة الفؤاد : ما أضله ! ما أجهله ! تزهو : تستخف به : حياته مفعول فيه : طول حياته. كاده: مكر به ، ضايقه .

٢ نديد : شبيه ، شريك .

٣ القعيد : القاعد معك ، لا يفارقك للمحافظة عليك .

٤ الفج : الطريق الواسع في الجبل — لا أستطيع التخلص من حبها . مريد : شديد ، قوي .

٥ المبدىء هنا : الذي يراها لأول مرة . المعيد : الذي يراها المرة الثانية أو الثالثة ، الخ . كرة الطرف (بفتح الكاف) : ترديد النظر .

٦ استعرض (صيغة مولدة) : تصفح الشيء ، رآه من أوله إلى آخره .

٧ منظرها (جمال وجهها) ومسمعها (حسن صوتها) وما فيها من دواعي الأنس ، كل ذلك عتاد (مؤونة ، غذاء ، حاجات ضرورية) عتيد (حاضر) .

٨ لا هي تمل من استهواء الناس بما فيها من سحر (من جمال وغناء) ، ولا يستطيع أحد أن يتخلص من سحرها .

أخَذَ الدهرُ ، يا وحيدُ ، لقلبـــي   منكِ ما يأخُذُ المُديلُ المُعيد [1] .
حَظُّ غيري من وصلِكُمْ قُرّةُ العيـ   ـنِ ، وحظّي البُكاءُ والتّسْهيد [2]
غيرَ أنّي مُعَلَّلٌ منـك نفْسي   بِعِداتٍ خِلالَهُنَّ وعِيد [3] .
مـا تزالـين نَظْرةٌ منك موتٌ   لي يُميتٌ ، ونَظْرَةٌ تخليـد .
نتلاقى ، فلحظـةٌ منك وعـدٌ   بوِصـال ، ولَحْظَةٌ تهديـد .
قد تركتِ الصِحاح مَرْضَى يَميدو   نَ نُحُولاً وأنتِ خُوطٌ يميد [4]
والهوى ، لا يزال فيه ضَعيفٌ   بيْنَ ألحاظِه صَريعٌ جليد [5] .
ضافَني حُبُّكِ الغريبُ فألـوَى   بالرُّقـاد النسيبِ فهو طَريد [6] .
عَجَباً لي : إنّ الغريبَ مُقيمٌ   بيْنَ جَنْبَيّ ، والنّسيبُ شَريد .
قد مَلِلْنا من سَتْرِ شيءٍ مليحٍ   نَشْتَهيه ، فهَلْ لهُ تَجْريدُ [7] ؟
هُوَ في القلبِ ، وَهْوَ أبْعَـدُ من   نَجْمِ الثُرَيّا ؛ فَهْوَ القَريبُ البَعيد [8] .

٤ – ديوان ابن الرومي (نشره محمّد سليم شريف) ، الجزء الأول ، القاهرة ١٩١٧ م .

ديوان ابن الرومي (اختيار وتصنيف كامل كيلاني) ، مصر (المكتبة التجارية الكبرى) ١٩٢٤ م .

---

١ المديل المعيد : الله . أخذ الدهر منك لقلبي : انتقم لك منه . في العقاد (ص ٢٥٤) المديل المقيد ؛ أقاد القاتل بالقتيل : قتله به . قراءة العقاد أصوب .

٢ ينال غيري منك ما يشتهي ، وحظي أنا منك البكاء والسهر .

٣ العدات جمع عدة (بكسر العين وفتح الدال) : وعد .

٤ الصحاح جمع صحيح : القوي الجسم . يميدون : يضطربون في وقوفهم ومسيرهم من الضعف الذي ألمّ بهم من حبك ، بينا أنت خوط (غصن ناعم) يميد (يميل من لينه وطراوته) .

٥ الصريع : المغلوب ، المقتول . جليد : صبور ، محتمل للشدائد . – يكثر أن ترى في الهوى ان صاحبة الجسم الين الناعم الضعيف تصرع بألحاظها الاشداء من الرجال .

٦ ضافني : نزل علي ضيفاً . ألوى به (هنا) : جحده اياه ، منعه . نزل حبك (وهو غريب عني) بقلبي ، فمنعني النوم مع ان النوم قريب للإنسان ضروري له ، فشرد نومي .

٧ و ٨ معنى هذين البيتين غامض . والملموح فيهما : أنا أكتم حبك في قلبي ولكن أود أن أجرده (أعلنه) ، فهل أستطيع ؟ ... هذا الحب قريب مني جداً (لأنه في قلبي) ، وبعيد مني كثيراً (لأنك أنت لا تعطفين علي) .

•• ابن الرومي : حياته من شعره ، تأليف عبّاس محمود العقّاد ، القاهرة ١٩٣١ م ، .... الطبعة الخامسة ، القاهرة (المكتبة التجارية الكبرى) ١٣٨٣ هـ (١٩٦٣ م) .
ابن الرومي ، تأليف عمر فرّوخ ، بيروت (مكتبة منيمنة) ، الطبعة الثانية ١٣٦٩ هـ (١٩٤٩ م) .
ابن الرومي ، تأليف مدحت عكاشة ، دمشق ١٩٤٨ م .
ابن الرومي ، تأليف محمّد عبد الغني حسن ، القاهرة (دار المعارف) ١٩٥٣ م ، بيروت (دار المعارف) ١٩٥٥ م .
ابن الرومي : فنّه ونفسيّته ، تأليف ايليّا سليم حاوي ، بيروت (دار الكتاب اللبناني) ١٩٥٩ م .
ابن الرومي في الصورة والوجود ، تأليف علي شلق ، بيروت (دار النشر للجامعيّين) ١٩٦٠ م .
ابن الرومي : حياته وشعره ، تأليف روفون جست ، ترجمة حسين نصّار ، بيروت ١٩٦١ م .
ابن الرومي : كيف أغفله صاحب الأغاني (مجلّة المقتطف ، القاهرة ٧٤ : ٥٣٩) .
فتنة الزنج ورثاء البصرة في شعر ابن الرومي لمحمّد الشرقاوي (مجلّة الرسالة ، القاهرة ، المجلّد التاسع ، ص ١١٦ ، ١٨٤ ، ٣٩٠) .
الفهرست ١٦٥ ؛ تاريخ بغداد ١٢ : ٢٣ — ٢٦ ؛ شذرات الذهب ٢ : ١٨٨ — ١٩٠ ؛ أعيان الشيعة ٤١ : ٢٨١ — ٢٨٤ ؛ بروكلمان ١ : ٧٩ ، الملحق ١ : ١٢٣ — ١٢٥ ؛ زيدان ٢ : ١٨٢ — ١٨٤ .

أبو العبّاس المبرّد[1]

١ — هو أبو العبّاس محمد بن يزيد بن عبد الأكبر بن عُميرة[2] بن حسّان

١ المبرد بفتح الراء (وفيات ٢ : ٣٠٧) ، وقيل سماه المازني المبرد (بكسر الراء) (المزهر ٢ : ٤٢٧) . راجع رواية أخرى بشأن هذا اللقب في انباه الرواة ٣ : ٢٤٦ .
٢ في طبقات الزبيدي (ص ١٠٨) : ... بن عمير بن حسان بن سليم (بضم السين) ...

ابن سليمان ، قبل من ثُمالة من الأزد ، وُلِد في البصرة ، في العاشر من ذي الحجة سنة ٢١٠ هـ (٢٢-٣-٨٢٦ م) .

أخذ المبرّد العلم عن الجَرْمي والمازني وقرأ عليهما كتاب سيبويه ، وعن أبي حاتم السجستاني ، ثم أصبح إمامَ أهل العربية . وقد كانت بينَه وبينَ أبي العبّاس ثَعْلب (ت ٢٩١ هـ) منافسةٌ شديدة ، وكان ثعلبٌ يكرهُ الاجتماع به لأن المبرّد كان أفصحَ لِساناً وأحسن إشارةً فكان الناس يَحْكُمون له على ثعلب .

واختلف أهلُ مجلسِ الخليفةِ المتوكّلِ في قراءة آيةٍ من أيِ القُرآنِ الكريمِ فاستُدْعِيَ المبرّدُ من البَصرة إلى سامرّا ، سَنَةَ ٢٤٦ هـ ؛ ثم بَقِيَ فيها مُكَرّماً . فلمّا قُتِلَ المتوكّل في أواخر السنة التالية انْحَدَرَ المبرّد إلى بغدادَ ، ولم يكن قد جاء اليها من قبل ، وجلس للتدريس والإملاء.

وكانت وفاة المبرّد في بغداد ، في ٢٨ من ذي الحجّة سنة ٢٨٦ هـ (٤-١-٩٠٠ م) .

٢ – كان المبرّد إماماً في اللغة والنحو ثِقةً ، وكان فصيحاً بليغاً مليحَ الأخبارِ كثيرَ النوادرِ حَسَنَ المحاضرةِ فيه ظَرْفٌ ولَباقة . وللمبرّد تواليف كثيرة في اللغة والنحو والأدب والقُرآن والتاريخ والأخلاق والسُلوك أشهرُها كتاب الكامل (في الأدب واللغة) . وله أيضاً المُقْتَضَبُ (في النحو) ، معاني القرآن ، الأنواء والازمنة ، قواعد الشعر ، الحث على الأدب والصدق ، آداب الجليس ، طَبَقات النحويين البصريين وأخبارهم . وكان له شعر .

٣ – المختار من كتاب الكامل

– من المقدمة :

.... هذا كتابٌ ألّفناه يجمع ضُروباً من الآداب ما بين كلامٍ منثور وشعر مرصوف ومَثَل سائرٍ وموعظة بالغة واختيار من خطبةٍ شريفةٍ ورسالة بليغة . والنيّةُ فيه أن نُفَسّرَ كلَّ ما وقع في هذا الكتاب من كلام غريبٍ أو معنًى مُسْتَغْلَقٍ وأن نشرح ما يَعْرِضُ فيه من الإعرابِ شرحاً شافياً حتّى يكونَ هذا الكتابُ بنفسه مُكْتَفِياً وعن أن يُرْجَعُ إلى أحدٍ في تفسيره مُسْتَغْنِياً ....

— كلام العرب (ص ١٧ من طبعة ليدن) :

قال أبو العبّاس : من كلام العرب الاختصارُ المُفهِّم والإطنابُ المُفخّم . وقد يَقَعُ الإيماء إلى الشيء فيُغْني عند ذَوِي الألباب عن كَشْفه ، كما قيل ، لمحةٌ دالّةٌ[١] . وقد يُضْطَرّ الشاعرُ المُفْلِقُ والخطيب المِصْقَع والكاتب البليغ فيقع في كلامِ أحدِهِمُ المعنى المستغلِقُ واللفظُ المُستَكْرَهُ ، فان انعطفت عليه جَنَبات الكلام غطّتا على عُواره وستَرتا من شَينه[٢] . وان شاء قائل أن يقول: بلِ الكلامُ القبيحُ في الكلام الحسن أظهر ومجاورته له أشهر كان ذلك لـه . ولكنْ يُغْتَفَرُ السيّءُ للحسَن والبعيدُ للقريب . فمن ألفاظِ العربِ البيّنةِ القريبة المُقْنِعة الحَسَنةِ الوصفِ الجميلة الرصفِ قولُ الحُطَيْئة :

وذاك فتىً إن تأتِهِ في صَنيعةٍ   إلى مالِهِ لا تأتِهِ بشفيعِ !

٤ — الكامل (نشره رايت) ، ليبزغ ١٨٧٤ — ١٨٩٢ م ؛ القاهرة (المطبعة الخيرية) ١٣٠٨ هـ ؛ (وقف على طبعه ابراهيم الدلجموني) ، مصر (المطبعة الازهرية) ١٣٣٩ هـ ، (عارضه بأصوله .... أبو الفضل ابراهيم والسيّد شحاتة) ، مصر (مكتبة نهضة مصر ومطبعتها) ١٣٧٦ هـ (١٩٥٦ م) .

الفاضل (عبد العزيز الميمني) ، القاهرة (دار الكتب) ١٩٥٦ م .

شرح لامية العرب للشنفرى (مع أعجب العجب في شرح لامية العرب للزمخشري) ، القسطنطينية (الجوائب) ١٣٠٠ هـ .

ما اتّفق لفظه واختلف معناه (عبد العزيز الميمني) ، القاهرة (السلفية) ١٣٥٠ هـ .

نسب عدنان وقحطان (الميمني) ، القاهرة (دار الكتب) ١٩٥١ م .

رسالة في اعجاز أبيات (عبد السلام هارون) ، القاهرة ١٩٥١ م .

•• اختلاف المبرّد مع سيبويه لمحمّد الفاضل بن عاشور (مجلّة المجمع

---

١ الايماء : الاشارة الخفيفة . قد تغني اللمحة الدالة عن تفسير القول الموجز .

٢ فان انعطفت جنبات الكلام غطتا على عواره : اذا كان ما قبل الكلام السيّء الضعيف وما بعده حسناً فان ذلك الكلام الحسن يغطي على ما جاء في أثنائه من الكلام السيء . العوار (بفتح العين وكسرها وضمها وباهمال الواو بلا تشديد) العيب . الشين : ضد الزين ، القبح .

العلمي العربي ، دمشق ، ٤٠ : ١ ، كانون الثاني – ينـاير ١٩٦٥ م ، ص ٣٠ – ٤٥) .

الفهرست ٥٩ – ٦٠ ؛ تاريخ بغداد ٣ : ٣٨٠ – ٣٨٧ ؛ طبقـات الزبيدي ١٠٨ – ١٢٠ ؛ معجم الأدباء ١٩ : ١١١ – ١٢٢ ؛ وفيات الأعيان ٢ : ٣٠٤ – ٣٠٨ ؛ إنباه الرواة ٣ : ٢٤١ – ٢٥٣ ؛ بغية الوعاة ١١٦ – ١١٧ ؛ شذرات الذهب ٢ : ١٩٠ – ١٩١ ؛ أعيان الشيعة ٤٧ : ١٥٢ ؛ بروكلمان ١ : ١٠٩ – ١١٠ ، الملحق ١ : ١٦٨ – ١٦٩ ؛ زيدان ٢ : ٢١٦ – ٢١٧ .

البُحْتُرِيُّ

١ – وُلِدَ أبو عُبادةَ الوليدُ بن عُبيدٍ البُحْتُرِيّ في مدينة مَنْبِج ، شَرْقَ حَلَبَ ، سَنَةَ ٢٠٦ هـ (٨٢٢ م) ، ونشأ فيها وفي باديتها ، في قبائلَ من بني طَيّء ، عربياً خالصاً وفصيحاً بارعاً.

طاف البحتريّ في بُلدانِ الشام يتكسّبُ بمديح أشخاصٍ عـادين حتّى اتّفَقَ له لِقاءُ أبي تمّامٍ . قال البُحتري عن نفسه[١] : « كان أولَ أمري في الشعر ونباهتي فيه أن صِرْتُ إلى أبي تمّامٍ ، وهو بحِمْص ، وعرَضْتُ عليه شعري – وكان الناس يَعْرِضون عليه أشعارهم – فأقبل عليّ وترك سائرَ الناس . فلمّا تفرّقوا قال لي : أنتَ أشعرُ من أنشدني ، فكيف حالُك ؟ فشكَوْتُ اليه خَلّةً[٢] ، فكتب إلى أهلِ مَعَرّةِ النُعْمانِ وشَهِدَ لي بالحِذْق وشَفَعَ لي إليْهِمْ . وقال امتدِحْهُم (وكان نصّ الكتاب : يَصِلُ كِتابي مَعَ الوليدِ أبي عُبادة البُحتري الطائيّ . وهو على بَذاذته[٣] شاعرٌ فأكرموه) ، فأكرموني ووظّفوا لي أربعةَ آلافِ درهمٍ (في العامِ) . فكان (ذلك) أولَ مال أصَبْتُه بالشعر » .

وكان أبو تمّامٍ أعظمَ شعراءِ زمانه فاحتاز جوائزَ الممدوحين حتى قـال

---

١ راجع أخبار البحتري ٦٥ .

٢ حاجة ، فقر .

٣ سوء حاله ورثاثة مظهره .

الأصفهانيّ (غ ١٥ – ٩٨) : «ما كان أحدٌ من الشُعراء يَقْدِرُ أن يأخذَ دِرْهماً بالشعرِ في حياة أبي تمّامٍ ؛ فلما ماتَ اقتسمَ الناسُ ما كان يأخذُه» . فلما تُوُفّيَ أبو تمّامٍ (٢٣٢ هـ = ٨٤٦ – ٨٤٧ م) ، أو قبلَ ذلك بزمنٍ يسير كما يبدو لي ، أمَّ البُحتريّ العراقَ ليتكَسّبَ بشعرِه فلم يَنَلْ حَظوةً عند أحد ، فعاد وَشيكاً إلى الشامِ خائباً حزيناً ناقماً . ثم توفّي الخليفةُ الواثقُ وخلَفَهُ أخوه المُتوكّلُ (٢٣٣ هـ = ٨٤٧ م) فعادَ البُحتريّ إلى العراقِ ، في رَجَبَ أو شَعبانَ من السَنَةِ ٢٣٣ هـ [١] (آذارَ ٨٤٨ م) واتصل بالفتح ابن خاقانَ وزيرِ المتوكّلِ وبالمتوكّلِ نفسه (٢٣٣ – ٢٤٧ هـ) وتكسّب منهما مالاً جزيلاً . فلما قُتِلا عادَ البُحتري إلى منبج ، ولكن سَرْعانَ ما نازعَتْهُ نفسُه إلى التكسّبِ فرَجَعَ إلى بغدادَ ومدح من الخلفاءَ المُنتصرَ والمُستعينَ والمُعتزّ والمُعتمِد . ولكنّ الحظوةَ التي كان قد نالَها لدى المُتوكّلِ والفتح ابن خاقانَ لم ينلْ مثلَها ولا قريباً منها عند هؤلاء الخلفاءِ الذين كانوا خلفاء اسماً لا يَمْلكون شيئاً من تصريفِ أمورِ الدولة ولا من التصرّفِ ببيت المال .

وغادرَ البُحتريّ العراقَ نهائياً سنة ٢٧٩ هـ [٢] إلى الشام – والدَوْلة الطُولونيةُ يومذاك مستطيلةٌ في مصر والشام – . ويرى الدكتور صالحُ الأشتَر في مقدمته لأخبار البحتري (ص ٨ – ٩) أنّ البحتريّ تكسب من الطولونيين ، ولكنّ أخبارَ هذا التكسبِ لم يَعمّ انتشارُها ولا تَضَمّنَتِ النسخُ المشهورةُ من ديوانِ البحتري ذلك المديحَ .

ثم اعتزل البُحتريّ في منبجَ وتُوُفّيَ فيها بمرض السكتة سنة ٢٨٦ هـ [٣] .

٢ – كان البُحتريّ قبيحَ الوجه أسمرَ طويلَ اللحية ، وكان وَسِخَ الثوبِ ثقيل الظل يتزاوَرُ في مَشيِه ذاتَ اليَمين وذات الشمال . وكذلك كان قليلَ الوفاء متقلّبَ الهوى يُحِبّ المالَ حتى جمع ثروةً طائلة عَيْناً وعَقاراً . وكان شديدَ البخل بما يَمْلِكُ .

شعر البُحتري قريب الأغراض ظاهرَ المعاني حُلْوَ الالفاظ سهل التراكيب .

---

١ راجع أخبار البحتري ٨٣ – ٨٤ .

٢ مثله ١١١ .

٣ مثله ٤٩ – ٥٠ ، راجع اجتهاد الدكتور صالح الاشتر في الصفحات ٥ ، ٦ ، ٥٠ الحاشية الأولى .

قال الآمديّ[1] : «البُحتريّ أعرابيّ الشعرِ مطبوعٌ وعلى مذهب الأوائل ، ما فارقَ عَمودَ الشعرِ قطُّ . وكان يتجنّبُ التعقيدَ ومُستَكْرَهَ الألفاظ ووَحْشِيّ الكلام» . وقال الثعالبيّ[2] : «الإجماع واقعٌ على أنه أطبعُ المُحدَثين والمُوَلَّدين ، وأنّ كلامَه يجمعُ الجزالة والحلاوة والفصاحة والسلاسة» . وقال فيه ابن رَشيق[3] : «وأما البُحتريّ فكان أملحَ صَنعةً[4] وأحسنَ مذهباً في الكلام : يَسلُكُ فيه دَماثةً وسُهولةً مَعَ إحكام الصَنْعة وقُرْب المأخذ لا يظهرُ عليه كُلْفَةٌ ولا مَشَقّة» . وقال فيه ابن الأثير : «إن مكانَهُ من الشعراءِ لا يُجهَل . وشعرُه هو السهل المُمْتَنِع الذي تراه كالشمس قريباً ضوءُها بعيداً مكانُها . وهُوَ على الحقيقة قَيْنَةُ[5] الشعراءِ في الإطراب وعَنْقاؤهم[6] في الإغراب» . وكذلك قال الصوليّ[7] : «ولا أعرِفُ أحداً بعد أبي تمّامٍ أشعرَ من البُحتريّ ، ولا أغَضَّ كلاماً ، ولا أحسنَ ديباجة . وهو مُستَوِي الشعر[8] حلوُ الألفاظ مقبولُ الكلام» .

والبُحتريّ شاعرٌ مُكثرٌ متكسِّبٌ مُحسِنُ المديح ومُجيد العِتاب ، بل هو أحسنُ المُحدَثين عِتاباً واعتذاراً . قال عبدُ الله بن المُعتَزّ : «واعتذاراتُه في قصائده إلى الفتحِ بن خاقانَ ليسَ للعرب ، بعد اعتذاراتِ النابغةِ إلى النُعمانِ ، مثلُها» . وفخرُه جيّدٌ قليلٌ ، ورثاؤه وهجاؤه قليلانِ رديئان . وغزله عَذْبٌ جميل ولكنه تقليديّ لا يَصْدُرُ عن عاطفةٍ . وأحسنُ خصائصه في الغزلِ حسنُ العتاب وبراعةُ الوصف وذكر الطَيْفِ والخَيال . أما الفن الذي فاقَ البُحتريّ فيه أقرانَه فالوصفُ بنوعيه وبأوجهه جميعِها ، ولقد غَلَبَ الوصفُ على فنون البحتري كلّها وكَثُرَتْ عنده أوصافُ القصور والرياض .

---

١ الموازنة ٢ .
٢ ثمار القلوب ، مستشهداً به في أمراء الشعر ١٩٤ .
٣ العمدة ١ : ١٠٩ .
٤ المقصود : من أبي تمام .
٥ الجارية المغنية (الجميلة) .
٦ العنقاء طائر خرافي . يقصد أن شعر البحتري لا يمكن النسج على مثاله .
٧ أخبار البحتري ١٤٨ .
٨ متقارب في الجودة ، ليس فيه رديء بالغ ولا جيد بالغ .

ومدح عبدُ الله بنُ المعتزّ سينيّة البحتريّ في إيوانِ كِسْرى فقال [1] : « ليس للعربِ سينيةٌ مثلها » .

وذكر ابنُ رشيقٍ (العمدة ١ : ٢٠٤) أن البحتريّ كان يصنعُ الابتداءَ (مَطْلَعَ القصيدة) سَهْلاً ويأتي به عَفْواً ، وكان كلّما تمادى (طالتْ قصائدُه) قَوِيَ كلامُه . غير أنّ تخلّصَه (انتقالَه في القصيدة من غَرَضٍ إلى غرض – كالانتقال من الغزلِ إلى المديحِ مثلاً) رديءٌ في أحيانٍ كثيرةٍ .

أبو تمّام والبحتري

أبو تمّام والبُحتريّ من أتباعِ المذهب الشاميّ [2] ، إلاّ أنّ أبا تمّامٍ أكثر تكلّفاً في الصناعة المعنوية والصناعة اللفظية وأشدّ غَوْصاً على المعاني من البُحتريّ :

كان أبو تمّامٍ يُوغِلُ في الغوص على المعنى ثم يُحاول أن يَعْرِضَه عَرْضاً غريباً عن المألوفِ في صُوَرٍ مبتكرةٍ ، بعدئذ يُحاول أن يَزْحَمَ البيتَ الواحدَ من القصيدةِ بأوجهِ الصناعتين اللفظيّةِ والمعنوية ، كقولهِ مثلاً :

السيفُ أصدقُ إنباءً من الكتبِ : في حَدِّه الحَدُّ بين الجِدِّ واللّعِبِ .
بيضُ الصفائحِ لا سودُ الصحائفِ في متونِهِنّ جلاءُ الشكِّ والرِيَبِ .

أما البُحتريّ فكان يتناولُ الأوْجُهَ الظاهرةَ من المعنى ثم يَسوقها في أسهلِ ما يُمكِنُ من التركيب مَعَ الاقتصاد في أوجه الصناعة ، يُمثّل ذلك كلّه ما يلي :

(١) وصفَ أبو تمّامٍ الأرضَ التي انقطعَ عنها المَطَرُ مُدّةً فصوّر لنا تلك الأرضَ العَطْشَى لا تُريدُ أن تَصْبِرَ حتى يَنْزِلَ عليها المطرُ ، بل أرادت أن لَوْ تَنْهَضُ هِيَ إلى لقاءِ ماء المطر قبل أن ينزلَ هو عليها ، فقال عن السّحابة المُقْبِلة تَحمِلُ ذلك المطرَ :

لَذّ شُؤْبوبُها وطابَ ، فلو تَسْطيـ ـعُ قامتْ فعانَقَتْها القلوبُ .

---

[1] أخبار البحتري ٧٢ .

[2] راجع ، فوق ، ص ٤١ وما بعدها .

(٢) أعْجِبَ البحتريّ بالصورة الشعرية التي في بيتِ أستاذه أبي تمّام ، ولكنّه وَجَدَها مَزْحومةً جداً ، واتّفق أنه أرادَ أن يمدحَ الخليفةَ المتوكّلَ عند خروجه إلى المسجد لإلقاء خُطبة العيد والإمامة في الصلاة ، فقال يُخاطبُ الخليفةَ المتوكّل مُشيراً إلى أن المِنْبَرَ في المَسْجِدِ لم يَبْقَ في استطاعته أن ينتظرَ وصولَ الخليفةِ إلى المسجدِ فَوَدَّ أنْ لو كانَ باستطاعتِه هو أن يَخْرُجَ للقائه ، فقال :

فَلَوَ انَّ مُشْتاقاً تَكَلَّفَ فوقَ ما في وُسْعِهِ لَسَعَى إليْكَ المِنْبَرُ !

والذي أجمعَ عليه النُقّادُ القُدماءُ أنّ في شعرِ أبي تمّام مَعانِيَ وصُوَراً شعريةً مُبْتَكَرَةً لم يأتِ أحدٌ بها من قبلُ ، وأنّ له أيضاً أبياتاً جياداً يُقصّر عن مِثْلِها جميعُ الشعراء . غيرَ أن في قصائد أبي تمّام أيضاً أبياتاً رديئةً أخرجها التكلّفُ عن مألوفِ الشعر ومألوف اللغة العربية كلّها فأصبحت تُعَدّ في معائبِ أبي تمّام . ولهذا قال النقّاد : إنّ شعر أبي تمّام مُتفاوِتٌ (تَجِدُ فيه أبياتاً جياداً من الطبَقة العليا وأبياتاً رديئة من درجة دُنْيا ثم أبياتاً وَسَطاً بين هذه وبين تلك . أما البُحتريّ فشِعرُه مُسْتَوٍ (يشبه بعضُه بعضاً) وكلّ أبياته وَسَطٌ في الجَوْدة : ليس فيها الجِيادُ الجِيادُ من أمثال الأبيات الجيادِ في شعرِ أبي تمّام ، ولا فيها الأبياتُ الرديئةُ التي تُلفى أحياناً عند أبي تمّام . ولقد أنْصَفَ الآمِديّ لمّا قال (في مطلع «الموازنة») : «.... إنّ شعرَ أبي تمّام لا يتعلّقُ بجيّدِه جيّدُ أمثاله ، ورديُّه مطروحٌ مرذول ، فلهذا كان مختلفاً لا يتشابهُ . وانّ شعرَ البحتريّ صحيحُ السبك حَسَنُ الديباج وليس فيه سَفْسافٌ ولا رديءٌ مطروح ، ولهذا صار مُسْتَوِياً يُشْبِهُ بعضُه بعضاً» .

٣ – المختار من شعره

– قدوم الربيع :

أتاكَ الربيعُ الطَلْقُ يختالُ ضاحكاً من الحُسْنِ حتى كاد أن يتكلّما .
وقد نَبّهَ النَوْرُوزُ في غَلَسِ الدُجى أوائلَ وردٍ كُنّ بالأمسِ نُوَّما [١] .

١ النوروز أول الربيع (أول السنة الفارسية) . – كانت براعم الورد نائمة (مطبقة) ، ففي صباح النوروز بدت وقد أخذت تتفتح (كأنها تستفيق من ليل الشتاء) .

يُفَتِّقُها بَرْدُ النَّدى فكأنما ... يَبُثُّ حديثاً كان قبلُ مُكَتَّما .
ومن شجرٍ كان الربيعُ لِباسَه ... عليه كما نَشَّرتَ وَشْياً مُنَمْنَما [1] .
أحَلَّ فأبدى للعيونِ بَشاشةً ، ... وكان قَذىً للعين إذْ كان مُحْرِما [2] .

– مصرع الذئب :

وليلٍ كأنَّ الصُّبح في أُخْرياتِه ... حُشاشةُ نَصْلٍ ضَمَّ إفْرِنْدَهُ غِمْدُ [3]
تَسَرْبَلْتُه – والذئبُ وَسْنانُ هاجعٌ ... بعين ابنِ ليلٍ ما له بالكَرى عَهْدُ [4] ،
أُثيرُ القَطا الكُدْرِيَّ عن جَثَماتِه ، ... وتألَفُني فيه الثعالبُ والرُّبْدُ [5] .
سما لي ، وبي من شِدَّةِ الجوع ما به ، ... ببَيْداءَ لم تُعْرَفْ بها عيشةٌ رَغْد .
كِلانا بها ذئبٌ يُحَدِّثُ نفسَه ... بصاحبِه ، والجَدَّ يُتْعِسُه الجَدّ [6] .
عَوَى ثم أقْعى ، فارْتَجَزْتُ فهِجْتُه ... فأقبلَ مثل البرقِ يتبعُه الرعدُ [7] .
فأوْجَرْتُه خَرْقاءَ تَحْسَبُ رِيشَها ... على كوكبٍ يَنْقَضَّ والليلُ مُسْوَدّ [8]
فما ازدادَ إلا جُرأةً وصَرامة ، ... وأيقنتُ أن الأمرَ منه هو الجِد [9] .

---

١ الوشي : الثوب الموشى (المطرز ، المزخرف) . منمنم : مزدحم بالزخرف الدقيق .
٢ هذه استعارة مأخوذة من الحج في الإسلام : قبل أن يدخل الحاج إلى مكة يحرم (يلبس ثوباً أبيض غير مخيط) فيبدو جميع الحجاج في شكل واحد فيه مساواة وخشوع وتواضع ولكن ليس فيه تنوع يلفت النظر . وكذلك الأشجار في الشتاء لا يكون عليها إلا لحاؤها (قشرها) . فاذا انتهت مناسك الحج أحل الحجاج (لبسوا ثيابهم العادية بأشكالها المختلفة وألوانها المتعددة . وهكذا الأشجار ، إذا جاء الربيع بدأت تكتسي بأوراقها وأزهارها المختلفة الأشكال والألوان) .
٣ الفرند (بكسر فكسر) والافرند (بكسر فسكون فكسر) : نصل السيف .
٤ تسربلته : لبسته ، سرت فيه وهو مظلم . وسنان : نعسان . هاجع : نائم. ابن ليل : اللص ، وعمله يقوم على السهر .
٥ القطا : طير صغير شهير بالسرعة وبقلة النوم . – بينما كانت الذئاب والقطا نائمة ، وهي المشهورة بالسهر ، كنت أنا يقظان أقطع البادية . الربد جمع أربد وربداء ، يقصد النعام . – ان الثعالب والنعام ، وهي المشهورة بنفارها ، قد أصبحت تألفه لطول ما سكن معها .
٦ الجد يتعسه الجد : الحظ يتحول شؤماً إذا اصطدم بحظ (أكبر منه) .
٧ أقعى : اعتمد قليلا على مؤخرته متهيئاً للوثوب . ارتجزت : أنشدت شعراً من بحر الرجز انتمى فيه (أذكر مفاخري ومفاخر قومي في القتال) . هجته : أثرته ، هيجته .
٨ أوجرته : طعنته بالرمح طعنة . خرقاء : تخرق الجسم ، تنفذ فيه من جانب إلى آخر . تحسب ريشها ... سريعة كأن نصلها الابيض شهاب يسقط في ليلة مظلمة .
٩ صرامة : حدة .

فأتبعتُها أخرى فأضللتُ نَصلَها بحيث يكونُ اللُبّ والرُعب والحِقْد [1]
فخرّ ، وقد أوْردته منْهَلَ الـرّدى على ظَمأ لو أنه عَذُبَ الوِرْد [2] .
وقُمت فجمّعت الحَصي فاشتويتُه عليها وللرّمْضاءِ من تحته وَقْد [3] .

– وصف بِرْكة المتوكّل في سامرّا :

يا مَنْ رأى البِركةَ الحسناءَ رؤيتُها والغانياتِ إذا لاحتْ مغانيها [4]
بَحَسْبِها أنها في فَضْلِ رُتْبتها تُعَدُّ واحدةً والبحرُ ثانيها [5] .
كأن جِنّ سُليمانَ الذين وَلُوا إبداعَها فأدقّوا في معانيها .
فلو تمرّ بها بَلْقيسُ عن عَرَضٍ قالت : هي الصَّرْحُ تمثيلاً وتشبيها [6] .
تَنْصَبّ فيها وُفودُ الماءِ مُعْجَلَةً كالخيلِ خارجةً من حبلِ مُجريها .
كأنما الفِضّةُ البيضاءُ سائلةً من السبائكِ تَجْري في مجاريها .
إذا عَلَتْها الصَبا أبدتْ لها حُبُكاً مِثلَ الجَواشِنِ مصقولاً حواشيها [7] .
فحاجبُ الشمس أحياناً يُضاحِكُها ، وريّقُ الغيث أحياناً يُباكيها [8] .
إذا النجومُ تراءت في جوانبها ليلاً حَسِبْتَ سماءً رُكّبَتْ فيها .
لا يبلُغُ السمكُ المحصورُ غايتَها لبُعْد ما بين قاصيها ودانيها :

– خروج المتوكّل إلى عيد الفطر (أول شوال ٢٣٣ هـ ؛ ٩–٥–٨٤٨ م) :
أُخفي هوىً لكَ في الضلوعِ وأُظهِرُ وأُلامُ مِن كَمَدٍ عليك وأُعذَرُ .

---

١ بحيث يكون اللب ... : في القلب .
٢ سقيته من منهل (نبع) الموت ، ولكن لم يكن ورده (الماء الذي شربه) عذباً حلواً .
٣ الرمضاء : الرمل الحار .
٤ المغاني جمع مغنى : المسكن ، الديار .
٥ بحسبها : يكفيها . واحدة : الأولى .
٦ بلقيس : ملكة سبأ في اليمن . الصرح : القصر . – في هذا البيت اشارة إلى قصة سليمان وبلقيس (راجع القصة في سورة النمل ، ٢٧ : ٤٤) ؛ يقصد هذه البركة تشبه قصر بلقيس العجيب .
٧ الصبا : ريح الشرق . الحبك : الغيم . الجواشن : الدروع . – إذا هبت الريح على سطح هذه البركة تموّج وسطها وظلت أطرافها هادئة ملساء .
٨ – تنعكس عنها أشعة الشمس وهي تبرق فكأن البركة والشمس تتضاحكان . وأحياناً يسقط رذاذ المطر على سطح البركة فتبدو كأنها والغيم يتباكيان .

وأراكَ خُنْتَ على النَوى من لم يَخُنْ عهدَ الهوى وغَدَرْتَ من لا يَغْدُر.
وطَلَبْتُ منك مَودّةً لم أعطَها ؛ إنّ المُعنّى طالبٌ لا يظفَر [1] .
هل دَيْنُ عَلْوةَ يُستطاعُ فيُقْتضى ، أو ظُلمُ علوةَ يستفيقُ فيُقْصِر [2] .
بيضاءُ يُعْطيكَ القضيبَ قَوامَها ، ويُريكَ عَيْنَيْها الغزالُ الأحْوَر [3] .
إنّي – وإنْ جانَبْتُ بعضَ بَطالَتي ، وتَوَهّمَ الواشونَ أنّيَ مُقْصِر [4] –
لَيَشوقُني سِحرُ العيونِ المُجتَلى ويَروقُني وَرْدُ الخُدودِ الأحمر .
بالبِرّ صُمتَ ، وأنت أفضلُ صائمٍ ، وبسُنّةِ الله الرَضيّةِ تُفْطِرُ .
فانْعَمْ بيومِ الفِطْر عيناً إنه يومٌ أغَرُّ من الزمانِ مُشَهَّر .
أظهرتَ عِزّ الملك فيه بجَحْفَلٍ لَجِبٍ يُحاط الدين فيه ويُنْصَر [5] .
خِلنا الجِبالَ تسيرُ فيه وقد غدتْ عُدَداً يسير بها العَديدُ الاكثر .
فالخيل تَصْهَلُ والفوارس تَدّعي ، والبيضُ تَلْمَعُ والأسِنةُ تَزْهَر [6] ؛
والأرض خاشعة تميد بثِقْلِها ، والجوّ معتكرُ الجوانب أغبر .
والشمسُ ماتِعةٌ تَوَقّدُ بالضُحى طَوْراً ، ويُطْفِئُها العَجاج الأكْدر [7] .
حتى طلعتَ بضوء وجهِكَ فانْجلَتْ تلك الدُجى وانجابَ ذاك العِثْيَر [8] .
وافْتَنّ فيك الناظرون ، فإصْبَعٌ يُوما إليك بها وعينٌ تنظر [9] .
يَجِدون رؤيَتك التي فازوا بها من أنْعُمِ الله التي لا تُكْفَرُ [10] .

---

١ المعنى : الذي يتكلف الأمور ويريد الحصول عليها بسرعة ومن كل وجه .
٢ علوة بنت زريقة الحلبية ، وزريقة أمها ، كان البحتري يكثر ذكرها في شعره ؛ وهو يدعي حبها .
٣ الأحور من كان في عينيه حور (بفتح الحاء المهملة وفتح الواو) : شدة سواد العين وشدة بياض بياضها .
٤ البطالة (بفتح الباء) : الهزل .
٥ الجحفل : الجيش . اللجب : الكثير الاصوات لكثرة ما فيه من المقاتلين ومن آلات القتال .
٦ تدعي : تنتمي ، تفتخر بمحامدها ومحامد أقوامها في القتال . تزهر : تلمع .
٧ ماتعة : مشرقة . العجاج : غبار الحرب .
٨ العثير : الغبار الثائر فوق رؤوس المتحاربين .
٩ يوما هي يومأ : يشار .
١٠ لا تكفر : لا تنكر . لا يستقل شأنها .

ذكروا بطلعتك النبيَّ فهلّلوا ... لما طلعتَ من الصفوف وكبّروا .
حتى انتهيتَ إلى المُصلّى لابساً ... نورَ الهُدى يبدو عليك ويظهَر .
ومَشَيْتَ مِشْيَةَ خاشعٍ متواضعٍ ... لله لا يُزْهَى ولا يتكبّر [1] .
فَلَوَ انَّ مشتاقاً تكلّف فوقَ ما ... في وُسْعِه لَسعى اليك المنْبر !

— إيوان كسرى :

لما جاء البُحتريّ إلى بغدادَ في المرةِ الأُولى ولم يَلْقَ حَظوةً فيها أراد أن يَبُثّ شكواه فذهبَ إلى المدينة البيضاء أو المدائنِ ، وهي على عِشرينَ ميلاً من بغدادَ شرقاً ، وفيها إلى اليوم بقايا قصرٍ كان لكسرى . ولكن يبدو من وصفِ البحتريّ أنّ القصرَ كان لا يزال سالماً في ذلك الحين ، وخصوصاً بما كان فيه من رسومٍ لمعركة أنطاكيّةَ ، بين الرومِ والفُرس ، تتصل على جُدران الإيوان . والأبياتُ السبعةُ التي تَلي البيتَ الحاديَ والعشرين من أحسنِ نماذجِ الوصفِ الحِسّي عند البحتريّ :

صُنْتُ نفسي عمّا يُدَنِّسُ نفسي ، ... وترَفّعتُ عن جَدا كُلِّ جِبْسِ [2]
وتماسكتُ حين زعزعني الدهـ ... ـرُ التماساً منه لتَعْسي ونَكْسي .
بُلَغٌ من صُبابة العيش عنـدي ... طَفّفَتْها الأيامُ تطفيفَ بَخْسِ [3] .
وبعيدٌ ما بين واردِ رِفْهٍ ، ... عَلَلٍ شُربُه ، وواردِ خِمْسِ [4] .
وكأنّ الزمانَ أصبح محمـو ... لاً هَواهُ مَعَ الأخَسِّ الأخسِّ .
واشترائي العِراقَ خُطّةُ غَبْنٍ ... بعد بيعي الشآمَ بَيْعَةَ وَكْسِ [5] .
لا ترُزْني مُزاولاً لاختباري ، ... بعد هذي البَلْوى ، فتُنكِرَ مَسّي [6] .

---

١ زهي الرجل : اغترّ بنفسه .
٢ الجبس : اللئيم .
٣ بلغ جمع بلغة : ما يتبلغ به الإنسان ، ما يسد رمقه فقط . طفف : نقص الكيل . البخس : أن تنقص شيئاً بعض حقه .
٤ وارد رفه : يشرب الماء متى شاء . الخمس : أن ترد الإبل الماء مرة في كل أربعة أيام لا يدخل فيها اليوم الذي شربت فيه (فيكون ورودها كل خمسة أيام) .
٥ — هجرت الشام لأتكسب في العراق فكان أن خسرت الشام ولم أربح العراق .
٦ لا تحاول معرفة وزني (قيمتي) بعد هذه البلوى (المصيبة ، مجيئي إلى العراق) فترى وزني قليلاً جداً .

وقديماً عَهِدتَني ذا هَنَاتٍ آبياتٍ على الدنيئات شُمْسِ [1] .
ولقد رابني نُبُوّ ابنِ عَمّي بعد لينٍ من جانبَيْه وأنسِ .
وإذا ما جُفيتُ كنتُ حَرِيّاً أن أرى غيرَ مُصْبِحٍ حيثُ أُمسي [2] .

* * *

حَضَرَتْ رَحْليَ الهُمُومُ فوجّهْـ ـتُ إلى أبيضِ المدائن عَنْسي [3] .
أتسلّى عن الحظوظِ وآسـى لمَحَلٍّ من آلِ ساسانَ دَرْس [4]
ذكّرتنيهُمُ الخطوبُ التـوالي ؛ ولقدْ تُذْكِرُ الخطوبُ وتُنْسي .
وهمُ خافضون في ظِلِّ عالٍ مُشْرِفٍ يُحْسِرُ العيونَ ويُخْسي [5] .
مُغْلَقٌ بابُه على جبلِ القَبْـ ـقِ إلى دارتَيْ خِلاط ومُكْس [6] .
حِلَلٌ لم تكن كأطلال سُعدى في ديارٍ من البسابس مُلْس [7] .
ومساعٍ لولا المُحاباةُ مني لم تُطِقْها مَسْعاةُ عَنْسٍ وعَبْس [8] .
نقل الدهرُ عهدَهُنّ عن الجِـدّ ةِ حتى غَدَوْنَ أنضاء لِبس [9] .
فكأنّ الجِرْمازَ من عَدَمِ الأُنْـ ـسِ وإخلالِه بَنيّةُ رَمْس [10] .

---

١ – وأنت تعرفني منذ أمد أن لي خصالا (بكسر الخاء) شمس (حرونة ، عنيدة) لا ترضى الذل .
٢ حريّاً : خليقاً بي ، جديراً بي .
٣ – كثرت همومي في وطني فركبت نياقي إلى المدينة البيضاء . الرحل (بفتح الراء): متاع البيت ، سرج الدابة .
٤ – أحاول أن أتناسى ما ناله غيري من الحظوظ . آسى : أحزن (لما أصاب قصر بني ساسان ملوك الفرس الذين غدر بهم الدهر ، فأتخذهم اسوة) . درس : ممحو ، بالٍ .
٥ خافض : يعيش عيشة منعمة . في ظل (قصر) عال . يحسر العيون ويخسي : يردها كليلة عاجزة عن موالاة النظر .
٦ القبق : جبل في آخر حدود أرمينية متصل بباب الأبواب واللان (في فارس) . خلاط : قصبة أرمينية الوسطى . مكس : موضع في أرمينية قرب قاليقلا . – يشرف على كل هذه الأراضي الشاسعة .
٧ حلل جمع حلة (بكسر فتشديد) : مدينة . البسابس : القفار . الملس : التي لا نبات فيها .
٨ مساع : محامد ، آثار حضارية . لولا المحاباة مني : لولا أنني عربي أميل بطبعي إلى العرب لقلت ان عنساً (من عرب الجنوب) وعبساً (من عرب الشمال) ، يقصد جميع العرب ، لا يستطيعون أن يجيئوا بمثلها .
٩ – أبلاها (أبلى تلك القصور) الدهر حتى أصبحت كالثياب البالية المتهرئة .
١٠ الجرماز : بناء عظيم كان عند المدائن ثم عفا (امحى) أثره . – هذا القصر قد هجر حتى أصبح كأنه مدفن .

لو تراه علمتَ أن الليالي جعلت فيه مأتماً بعد عُرْس .

• • •

وهو يُنْبيكَ عن عجائبِ قومٍ لا يُشاب البيانُ فيهم بلَبْس [1] .

فإذا ما رأيتَ صورة أنطا كيّةَ ارْتَعْتَ بين رومٍ وفُرس .

والمنايا مواثِلٌ وأنوشِرْ وانُ يُزْجي الصفوفَ تحتَ الدِرَفْسِ [2]

في اخضرارٍ من الثيابِ على أصفَ رَ يختالُ في صَبيغة وَرْس [3] .

وعِراكُ الرجال بين يَدَيْهِ في خُفُوتٍ منهم وإغماض جَرْس [4] :

من مُشيحٍ يَهْوي بعاملِ رُمْحٍ ومُليحٍ من السِنان بتُرْس [5] .

تَصِفُ العينُ أنهم جِدّ أحيا ءٍ لهم بينَهم إشارةُ خُرْس .

يغتلي فيهِمُ ارتيابيَ حتى تتَقَرّاهُمُ يَدايَ بلَمْس !

• • •

حُلُمٌ مُطْبِقٌ على الشكّ عيني ، أمْ أمانٍ غَيّرْنَ ظني وحَدْسي ؟

وكأن الإيوان من عَجَبِ الصَنْ عةِ جَوْبٌ في جنبِ أرْعَنَ جِلْس [6] .

عكستْ حظّه الليالي وباتَ الـ مشتري فيه وهو كوكبُ نحس .

فهو يُبْدي تجلّداً وعليه كَلْكَلٌ من كَلاكِلِ الدهر مُرْس .

لم يَعِبْهُ أن بُزّ من بُسُطِ الديـ باج واستُلّ من سُتور الدِمَقْس .

---

١ اللبس : الغموض ، الابهام . فضائلهم مشهورة لا تحتاج إلى شرح وتبيان .

٢ كسرى أنوشروان (٥٣٥ – ٥٧٨ م) أشهر ملوك الفرس عند العرب . يزجي : يرسل ، يوجه . الدرفس (الدرفش) : راية ملوك الفرس ، وكانت من جلد .

٣ الورس : نبات أحمر .

٤ الجرس : الصوت .

٥ مشيح يهوي بعامل رمح : هاجم بالرمح (على خصمه) . العامل : صدر الرمح . مليح من السنان بترس : الذي يحتمي بالترس من سنان الرمح الموجه اليه .

٦ جوب : الدلو العظيمة ، الدرع ، الترس ، الحفرة . الأرعن : الأحمق . الجلس : القدم ، الرجل الغليظ — ان التشبيه في هذا البيت غامض .

مُشمَخِرّ تعلو لـه شُرُفـاتٌ   رُفِعَتْ في رؤوس رَضْوى وقُدْس [1] .
ليس يُدْرَى : أصنعُ إنْسٍ لجِـنٍّ   سكنوه أمْ صُنعُ جِنٍّ لإنس ؟
ذاك عندي ، وليستِ الدارُ داري   باقترابٍ منها ولا الجِنْسُ جنسي [2] ،
غيرَ نُعمى لأهلهـا عنـد أهـلي   غرسوا من ذَكائها خيرَ غرس .
أيّدوا مُلْكَنـا وشدّوا قُـواه   بجنودٍ تحت السَّنَوّرِ حُمْسٍ [3] ،
وأعـانوا على كتـائبِ أريـا   طَ بطعنٍ على النحور ودَعْس :
وأراني من بعدُ أكلفَ بالاشـرا   فِ طُرّاً من كل سِنْخ وإس ! [4]

— وللبحتري البيتُ المشهورُ (ديوان ۲ : ۱۸۳) :

عليّ نَحتُ القوافي مِنْ مَعادِنِها ،   وما عليَّ إذا لم تَفْهَمِ البَقَرُ !

٤ — ديوان البحتري ، قسطنطينية (الجوائب) ۱۳۰۰ هـ ؛ (نشره رشيد عطية) بيروت (المطبعة الأدبية) ۱۹۱۱ م ؛ (بتحقيق حسن كامل الصيرفي) ، القاهرة (دار المعارف) ۱۹٦۳ م ؛ بيروت (دار صادر) ۱۹٦۳ م .

الحماسة (غاير ومرغوليوث) ، ليدن ۱۹۰۹ م ؛ (نشرهـا شيخو) ، بيروت (المطبعة الكاثوليكية) ۱۹۱۰ م ؛ (نشرها كامل مصطفى) ، القاهرة ۱۹۲۹ م .

•• أخبار البحتري للصولي (حققها .... صالح الاشتر) ، دمشق (المجمع العلمي العربي) ۱۳۷۸ هـ (۱۹۵۸ م) .

الموازنة بين أبي تمّام والبحتري للآمدي ، قسطنطينية (مطبعة الجوائب) ۱۲۸۷ هـ ؛ بيروت (مطبعة جريدة الاقبال) ۱۳۳۲ هـ ؛ القاهرة (محمّد علي صبيح) ۱۹۳۲ م ؛ (نشرها محمّد محيي الـدين

---

۱ مشمخر : عال . رضوى : جبل بالمدينة قرب ينبع ؛ جبل منيف (عال) ذو شعاب وأودية . قدس : جبل عظيم بأرض نجد . — القصر عال جداً كأن شرفاته على الجبال .
۲ في هذا البيت والابيات التي تليه يبرر البحتري اشادته بالفرس مع انه ليس من بلاد فارس وليس أصله من الفرس . غير ان الفرس أسرعوا الى نجدة اليمن (والبحتري طائي من اليمن) لما غزاها أرياط الحبشي .
۳ أيدوا (ساعدوا ، نصروا) . كماة : أبطال . السنور : الدروع . الحمس : الشجعان .
٤ السنخ أو الاس : الاصل . أنا أعجب (بضم الهمزة وفتح الجيم) بالأشراف من أي أصل كانوا .

عبد الحميد) ، القاهرة (محمّد توفيق) ١٩٤٤ م ؛ (نشرها أحمد صقر) ، القاهرة (دار المعارف) ١٩٦١ م .

أبو عبادة البحتري ، تأليف محمّد صبري ، القاهرة ١٩٤٦ م .

طيف الوليد أو حياة البحتري ، تأليف عبد السلام رستم ، القاهرة (دار المعارف) ١٩٤٧ م .

عبقرية البحتري ، تأليف عبد العزيز سيّد الأهل ، بيروت (دار العلم للملايين) ١٩٥٣ م .

حياة البحتري وفنّه ، تأليف أحمد أحمد بدوي ، القاهرة (مكتبة الانكلو) ١٩٥٥ م .

البحتري ، تأليف نديم مرعشلي ، بيروت (دار الشرق الجديد) ١٩٦٠ م .

الفهرست ١٦٥ ؛ الاغاني ١٨ : ١٦٧ — ١٧٥ ؛ تاريخ بغداد ١٣ : ٤٤٦ — ٤٥٠ ؛ معجم الأدباء ١٩ : ٢٤٨ — ٢٥٨ ؛ وفيات الأعيان ٣ : ٩٦ — ١٠٣ ؛ شذرات الذهب ٢ : ١٨٦ — ١٨٨ ؛ بروكلمان ١ : ٧٩ ، الملحق ١ : ١٢٥ — ١٢٧ ؛ زيدان ٢ : ١٨٤ — ١٨٧ ؛ Enc. Isl. I 1289 - 1290

الاشنانداني [١]

١ — هو أبو عثمانَ سعيدُ بنُ هرونَ من أهلِ البصرةِ ، أخذ عن أبي محمّدٍ عبدِ الله بن محمّدٍ التوّزيّ (ت ٢٣٠ هـ) مولى قُريش [٢] . وكانت وفاتُهُ سنة ٢٨٨ هـ (معجم الأدباء ١١ : ٢٣٢) ، ٩٠١ م .

٢ — كان أبو عثمانَ الأُشْنانداني من أئمّة اللغةِ والنحوِ وممن جَمَعَ بين

---

١ الاشنانداني نسبة إلى أشنان (محلة في بغداد) ، والدال زائدة (معجم الأدباء ١١ : ٢٣٢) ؛ وقيل نسبة إلى اشنان ذات موضع الاشنان واليه ينسب الاشنانداني هذا (تاج العروس ٩ : ١٢٢) . والاشنان نبات منظف يقوم مقام الصابون .

٢ طبقات الزبيدي ١٠٦ .

مذهبي أهلِ البصرةِ وأهلِ الكوفةِ في ذلك . وهو أستاذُ ابن دُريدٍ . واشتهر الأُشْنانداني بكتابه « معاني الشعر » رواه عنه ابنُ دريدٍ (في البصرة) ؛ وقد وذهب فرتز كرنكو [1] إلى أن هــذا الكتاب لابنِ دريدٍ . وللاشناندانيّ أيضاً كتابُ الأبيات .

٣ — المختار من آثاره

— قال ابنُ دريدٍ : وأنشدني أبو عثمانَ لذي الخِرَق الطُّهَويّ [2] أو لغيره :

ولمّا رَأيْنَ بني عــاصمٍ ذَ فَرْنَ الذي كُنّ أُنْسِينَهُ ،
فوَارَيْنَ ما كُنّ يَحْسِرْنَــهُ وأخْفَيْنَ ما كُنّ يُبْدِينَهُ !

يَعْني نِساءً (من بني عاصم) سُبِينَ فنَسِينَ الحياءَ وأبْدَيْنَ وُجوهَهُنّ . فلمّا رأينَ بني عاصمٍ أيقَنّ أنّهنّ قد استُنْقِذْنَ (نَجَوْنَ مِنَ الأسْرِ والسَّبْيِ) فراجَعْنَ حَياءَهن فستَرْنَ ما كنّ أبْدَيْنَه . يعني بني عاصمِ بن عبدِ الله بن ثَعْلَبةَ .

٤ — كتاب معاني الشعر (طبع بنفقة جمعية الرابطة الأدبية في دمشق) ، دمشق (مطبعة الترقّي) ١٣٤٠ هـ (١٩٢٢ م) ؛ القاهرة ١٩٣٢ م ؛ بيروت (دار الكتاب الجديد) ١٩٦٤ م .

•• الفهرست ٦٠ ؛ معجم الأدباء ١١ : ٢٣٠ — ٢٣٢ ؛ بغية الوعاة ٢٥٨ ؛ بروكلمان ، الملحق ١ : ١٦٩ .

أبو العبّاس ثعلب

هو أبو العبّاسِ أحمدُ بنُ يحيى بن يَسارٍ مَوْلى بني شَيْبانَ ،

١ Fritz Krenkow , JRSA , 1924 , p. 134

٢ ذو الخرق (بكسر الخاء وفتح الراء جمع خرقة : قطعة من النسيج) هو قرط أو ابن قرط الطهوي الشاعر القديم — وأصل التسمية « ذو الخرق » للنعمان بن راشد لأنه كان في الحرب يرفع خرقاً حمراً وصفراً (راجع القاموس ٣ : ٢٢٥ — ٢٢٦) .

وُلِدَ في بَغدادَ ، في ربيعِ الأوّلِ من سَنَةِ ٢٠٠ هـ (خريفَ ٨١٥ م) ونشأ فيها .

تلقّى أبو العبّاسِ ثعلبٌ العلمَ على الفرّاء بضعَ سَنَواتٍ (٢١٨ – ٢٢٥ هـ) ثمّ لازم ابنَ الأعرابيّ عَشْرَ سَنَواتٍ (منذُ سَنَةِ ٢٢٥ هـ) أو تزيدُ يأخذُ عنه اللُّغَةَ . وأخذ النحوَ عن سَلَمَةَ بنِ عاصمٍ . وكذلكَ قرأ على محمدِ بن حبيبَ والمبرّد .

وصُمّ ثعلبٌ في آخرِ حياتهِ ، واتّفق أن خرجَ من المسجدِ بعدَ صَلاةِ العَصْرِ ، في ١٦ جُمادى الأولى من سنة ٢٩١ هـ (٨–٤–٩٠٤ م) ، فصدمته فرسٌ فتهشّم جِسْمُهُ وتُوُفّيَ في اليوم التالي . وقد كان دَيّناً وَرِعاً .

كان ثعلب إمامَ الكوفيين في النحو واللغة يُشْبِهُ المبرّدَ في البصريين . ومَعَ أنّ ثعلباً قد جَمَعَ بَيْنَ مذهبِ الكوفيين ومذهب البصريين فإنّ مذهب أهلِ الكُوفة كان أغلبَ عليه ، وكان في النحوِ أبرعَ منه في اللغة . وكان ثعلب مصنّفاً مُكْثِراً ، له من الكتب[١] : معاني القرآن ، إعراب القرآن ، الوقف والابتداء ، المصون ، كتاب الفصيح ، حدّ النحو ، اختلاف النحويين ، التصغير ، ما ينصرف وما لاينصرف ، الأمثال ، شرح ديوان زهير ، ديوان ابن الدُّمينة ، مجالس ثعلب (وتعرف أيضاً باسم الأمالي) .

– كتاب الفصيح (بارت) ، ليبزغ ١٨٧٦ م .

مجالس ثعلب (شرح وتحقيق عبد السلام محمّد هارون) ، مصر (دار المعارف) ١٩٤٨ م .

فصيح ثعلب والشروح عليه (محمّد عبد المنعم خفاجي) ، القاهرة (مكتبة التوحيد) ١٩٤٩ م .

قواعد الشعر (بتحقيق محمّد عبد المنعم خفاجي) ، مصر ١٩٤٨ م ؛ (تحقيق رمضان عبد التواب) ، القاهرة (دار المعرفة) ١٩٦٦ م .

ومن المطبوع من دواوين الشعر التي هي من رواية ثعلب : شرح ديوان زهير ، القاهرة (دار الكتب) ١٩٤٤ م ؛ ديوان الأعشى (رودولف غاير) ، يانا ١٩٢٧ م ؛ ديوان ابن الدمينة (محمد راتب النفّاخ) ،

---

١ راجع ثَبتاً بمصنفات ثعلب (مجالس ثعلب ، المقدمة ٢٤ – ٢٨) .

•• الفهرست ١١٠ ؛ طبقات الزبيدي ١٥٥ – ١٦٧ ؛ تاريخ بغداد ٥ : ٢٠٤ – ٢١٤ ؛ معجم الأدباء ٥ : ١٠٢ – ١٤٦ ؛ وفيات الأعيان ١ : ٥١ – ٥٣ ؛ إنباه الرواة ١ : ١٣٨ – ١٥١ ؛ بغية الوعاة ١٧٢ – ١٧٤ ؛ شذرات الذهب ٢ : ٢٠٧ – ٢٠٨ ؛ بروكلمان ١ : ١٢١ – ١٢٢ ، الملحق ١ : ١٨١ – ١٨٢ ؛ زيدان ٢ : ٢٠٩ – ٢١٠ .

المفضّل بن سلمة

١ – هو أبو طالبٍ المُفَضّلُ بنُ سَلَمَةَ بن عاصم [١] من أهلِ بيتِ علمٍ ونُبلٍ في بَغدادَ ؛ وقد كان أبوه سلمةُ بنُ عاصمٍ صاحبَ الفرّاءِ وراويتَه ، ثم كان ابنُه أبو الطيّبِ محمّدُ بن المفضّل [٢] من كِبار الفقهاء .

وُلِدَ المُفَضّل بنُ سلمةَ بن عاصمٍ في مطلع القرن الثالث وأخذ العلمَ عن أبيه وعنْ ثَعْلَبٍ وابن السِكّيت وابن الأعرابي . وقد كان مُتّصلاً بالوزيرين الفتحِ بن خاقانَ (قتل ٢٤٧ ﻫ) واسماعيلَ بنِ بُلْبُلٍ ؛ وقيل كان بينَه وبينَ ابن الرومي عداوة .

ومات المُفَضّل بن سلمة سنة ٢٩١ ﻫ (٩٠٣ م) ، أو بُعيدَ ذلك .

٢ – المُفَضّل بن سَلَمَة بن عاصم من علماء اللغة والنحو وعلى مذهب أهلِ الكوفة (وقد كان في ذلك مخالفاً لوالده) . وللمفضّل هذا من الكتب [٣] : ضياء القلوب في معاني القرآن ، كتاب الاشتقاق ، كتاب البارع في اللغة ، كتاب خلق الإنسان ، كتاب الزرع والنبات والنخل وأنواع الشجر ، كتاب الردّ على الخليل واصلاح ما في كتاب العين من الغلط والمُحال ، كتاب الفاخر في ما

---

١ في وفيات الاعيان (١ : ٢٤٠) : المفضل بن سلمة بن عاصم الضبي ؛ وأخذ ذلك بروكلمان (١ : ١٢١ ، الملحق ١ : ١٨٨) ، ويرى زيدان (٢ : ٢١٨) أن ذلك خطأ ؛ راجع أيضاً مقدمة الفاخر ، الصفحة ق – ر .

٢ توفي أبو الطيب محمد بن المفضل في المحرم سنة ٣٠٨ ﻫ (٩٢٠ م) وهو غض الشباب (وفيات ٢ : ٢٤٠) .

٣ معجم الادباء ١٩ : ١٦٣ .

يلْحَن فيه العامّة ، المدخل إلى علم النحو ، المقصور والممدود ، كتاب آلة الكتاب (كتاب ما يحتاج اليه الكاتب) ، كتاب الأنواء والبوارح ، كتاب الخط والقلم ، كتاب العود والملاهي ، كتاب الطيف ، كتاب المطيّب (الطيب) ، كتاب جلاء الشبهة (الشبه) ، كتاب جاهير القبائل . وذكر ابن خلّكان له (وفيات ٢ : ٢٤٠) كتاب التاريخ في علم اللغة .

وللمفضّل شعر كثير (إنباه الرواة ٣ : ٣٠٨) ، ولكنّه شعر عاديّ .

٣ - المختار من آثاره

- من كتاب الفاخر :

حَدّثنا أبو طالبٍ المُفضّلُ بنُ سَلَمَةَ بنِ عاصمٍ قال : هذا كتابُ معاني ما يَجْري على ألْسُن العامّة في أمثالهم ومُحاوراتهم من كلامِ العرَبِ وهم لايَدْرون معنى ما يتكلّمون به من ذلك ، فبيّنّاهُ من وُجوهه على اختلافِ العُلماءِ في تفسيرِه ليكونَ مَنْ نَظَرَ في هذا الكتابِ عالماً بما يجري من لفظه ويدور في كلامه . وبالله التوفيق .

- قولهم : مَرْحباً وأهلاً

قال الفرّاء : معناه رحّبَ الله بكَ وأهّلكَ على الدعاءِ له ، فأخرجه مَخْرَجَ المصدرِ فنَصَبَهُ . وقال الأصمعيّ : أتيْتَ رَحْباً ، أي سَعَةً ، وأهلاً كأهلك فاستأنسْ !.... وذكر ابن الكلبي وغيرُه أن أوّلَ من قال «مرْحباً وأهلاً» سيفُ بنُ ذي يزَنَ الحِميَريّ لعبدِ المطّلبِ بن هاشمٍ لمّا وَفَدَ إليه معَ قُرَيْشٍ ليُهنّئوه برُجوعِ المُلْكِ إليه ، وذلك أنّ عبدَ المطّلب استأذنَه بالكلامِ ، فقال له سيفٌ : إنْ كُنتَ ممّن يتكلّم بين يدَي الملوكِ فقد أذنّا لك . فقال عبدُ المطّلب ، بعد أنْ دعا له وقرّظه [١] وهنّأه : نحنُ أهلُ حرَمِ الله وسدَنتُهُ ، أشْخَصَنا [٢] إليك الذي أبْهجَنا بك ، فنحن وَفْدُ التهْنِئةِ لا وَفْدُ المرْزئةِ . فقال (سيف بن ذي يزن) : فأيّهُمْ

---

١ قرظه : مدحه . حرم الله : بيت الله (الكعبة) . السدنة جمع سادن وهو الخادم والحاجب للهياكل الدينية .

٢ أشخصنا : أرسلنا من بلد إلى بلد . أبهجه : سره ، فرحه . المرزئة : المصيبة والنقص والخسارة.

أنتَ ؟ قال : أنا عبدُ المطّلب . فقال سَيفٌ : مَرْحَباً وأهْلاً ، وناقةً ورَحْلاً [1] ومُناخاً سَهْلاً ومَلِكاً رِبَحْلاً يُعْطي عَطاء جزْلاً !

– وله من أبيات يذكر فيها فراق أحبّته :

إلى اللهِ أشكو ما ألاقي من الجَـوى ومن طول وَجْدٍ تحتويه الضمائرُ .
إذا هَبّتِ الريحُ الشّمالُ هفا لها فؤادي حَنيناً نَحوَهم فهْوَ طائر .

٤ – الفاخر ، استانبول ١٣٠١ هـ ؛ القاهرة ١٣٢٧ هـ ؛ ليدن ١٩١٥ م ؛ (تحقيق عبد العليم الطحاوي ، مراجعة محمّد علي النجّار) ، القاهرة (وزارة الثقافة والارشاد القومي – في سلسلة : تراثنا) ١٣٨٠ هـ (١٩٦٠ م) .

كتاب الملاهي (العود والملاهي) (جايمس روبسون وهنري فارمر) ، غلاسكو ١٩٣٨ م .

•• الفهرست ٧٣ – ٧٤ ؛ تاريخ بغداد ١٣ : ١٢٤ – ١٢٥ ؛ وفيات الأعيان ٢ : ٢٤٠ (في ترجمة ابنه أبي الطيّب ١ : ٢٣٩ – ٢٤٠) ؛ إنباه الرواة ٣ : ٣٠٥ – ٣١١ ؛ بغية الوعاة ٣٩٦ ؛ بروكلمان ١ : ١٢١ ، الملحق ١ : ١٨٨ ؛ زيدان ٢ : ٢١٧ – ٢١٨ .

الناشىء الأكبر

١ – هو أبو العبّاس عبدُ اللهِ بنِ محمّد الناشي [2] الاكبرُ المعروف بابن شِرشير ، وُلِدَ في الأنبار وأقام مُدّةً في بغدادَ ثم خرج إلى مِصْرَ وأقام فيها إلى أنْ تُوُفّيَ سنة ٢٩٣ هـ (٩٠٦ م) .

٢ – كان الناشي الاكبرُ من علماءِ اللغة والنحو والعَروض حاذقاً قويّ

---

١ رحل : سرج (الناقة) . المناخ : المنزل « المكان الذي يبيت فيه أهل القافلة » . ربحل : عظيم الشأن . الجزل : العظيم ، الكثير .

٢ يثبت ابن خلكان « الناشي » بلا همزة ، اذ يقول (وفيات الاعيان ١ : ٤٧٢) : والناشي بفتح النون وبعد الالف شين معجمة وبعدها ياء .

الفِطْنة ، ثمّ كان مُتَبَحِّراً في عِدّةِ علومٍ منها المَنْطِقُ وعلمُ الكلام ، وقد مَزَجَ النحوَ والعَروض (قواعد الشعر) بقواعد المنطق والكلام . وكانت له تصانيفُ منها رسالة في تفضيل السُودانِ على البيض ، كتاب المفاخرة بين الذّهَب والزّجاج وكتاب تفضيل الشِعْر .

والناشي الأكبرُ شاعرٌ مُكثرٌ من الشعراء المُجيدين في طبقة ابن الرومي والبُحتري (وفيات الأعيان ١ : ٤٧١) له أشعارٌ في الخمر والغزل وأشعارٌ كثيرة في الصيْد وآلاته وفي الطَرْد (على مِثالِ طَرْدِيّات أبي نواس) . وله قصيدة في فُنون العلم تبلُغُ أربعةَ آلافِ بيتٍ على رَوِيٍّ واحدٍ .

٣ – المختار من شعره

– قال الناشي الأكبرُ في الخمر والغزل بقَيْنةٍ مُغَنِّية :

وَلِيتَ قضاءً فلم تَعْدِلِ ... سَفاهاً ، وقُلْتَ فلم تَفْعَلِ .
هَجَرْتَ فأشْمَتَّ بي الحاسديـ ... ـنَ وأشْفَقْتَ من عَذَلِ العُذّلِ[١]
لئِنْ لم أُبادِرْ غـداً قَهْـوَةً ... تُصَفَّقُ بالباردِ السَلْسَلِ[٢] :
مُداماً إذا جارَ بي حُكْمُها ... رَكِبْتُ على السَنَنِ الأعدلِ[٣] .
إذا ما انتشى الحُرُّ من كأسِهـا ... دَعَتْهُ إلى الخُلُقِ الأفضلِ[٤] ،
ترى آخِرَ القومِ قد ألحقتـ ... ـهُ أيْدي نَداماه بالأوّلِ[٥] .

---

١ ظلمتني فجعلت كل الناس ، حتى أعدائي ، يشفقون علي من ظلمك (لي سراً) ثم تقف بين الناس تبدي رحمة علي . – يمكن أن نقرأ البيت الأول والثاني على أنهما خطاب لمؤنث : وليت (بكسر التاء) قضاء فلم تعدلي ... الخ . ويبدو أن بعد هذين البيتين بيتاً أو أكثر من بيت ناقص في الأصل الذي أخذت عنه .

٢ أبادر : أسبق (بها طلوع الفجر) وأعجل بذلك . قهوة : خمرة مطبوخة بالنار (شديدة الفعل) تصفق : تمزج . السلسل : الماء العذب أو البارد .

٣ المدام : الخمر (لأن شربها يدوم ، يتعوده الانسان) . – اذا جار بي حكمها (اذا أسكرتني ومالت بي عن المجرى المألوف في الوعي) ركبت على السنن (الطريق) الاعدل (العادل ، المستقيم) : أكون قد فعلت ما ينتظر من (شاب) مثلي أن يفعل .

٤ – هذه الخمر إذا شرب منها رجل حر كريم حملته على فعل الأمور الحميدة .

٥ – إذا جاء أحد إلى مجلسها (متأخراً) فان الندمان يظلون يسقونه حتى ينتشي (يسكر) كمثل أول رجل من أهل المجلس بدأ بالشرب .

يُراحُ إلى الخير مُعتادُهـــا فيُعطي الجزيلَ ولم يُسْأل [1] .
(أديرا المُدام ، ولا بُدَّ لي من السُكْرِ منها ولا عُذْرَ لي) [2]
وقد آذنُونا بوقتِ الرحيل ، فإن كُنْتِ تَهْوَيْنَني فارْحَلي [3] .

– وله طَرْدِيةٌ في وصفِ بازٍ :

لمّا تَفَرّى الليلُ عن أثباجِـهِ وارتاحَ ضوءُ الصبحِ لابْتِلاجِهِ [4]
غَدَوْتُ أبغي الصيدَ في مِنْهاجِه بأقْمَرٍ أبْدِعَ في نِتـاجِه [5] .
ألْبَسَهُ الخالق من ديباجِـه وَشْياً أحارَ الطَرْفَ في اندراجِه ،
في نَسَقٍ منه وفي انْعِراجِـه وزانَ فَوْدَيْهِ إلى حِجاجِه [6] ،
بزِينَةٍ كَفَتْهُ نَظْمَ تاجِـه مِنْسَرُه يُنْبِىءُ عن خِلاجِه [7] ؛

---

١ يراح (يرد) إلى (فعل) الخير (بعد أن يكون قد مال إلى الشر) معتادها (الذي يشربها مرة بعد مرة) . الجزيل : الكثير . – راجع في أراح (بمعنى رد) قول النابغة : وصدر أراح الليل عازب همه (رد اليه همه الذي كان قد نسيه).

٢ هذا البيت مضمن جاء في مطلع صوت غنته القينة التي يتغزل الناشي الاكبر بها .

٣ آذنه بالشيء : أعلمه بـه وحـدد له وقتاً . فان كنت تهويني (تحبينني) فارحلي (معي) .

٤ تفرى : تقطع . تفرى الليل : مرت أنوار الفجر في سواده فبدا كأنه متقطع . أثباج جمع ثبج (بفتح ففتح) : معظم الشيء (وهنا معظم الظلام) . ارتاح ضوء الصبح لانبلاجه (ظهور الضوء) : حينما تمكن ضوء الفجر ووضح .

٥ غدوت : خرجت غدوة (باكراً) . في منهاجه = في منهاج الصيد «(العادة في الصيد أن يخرج اليه الصائد باكراً) . الاقمر : (باز أو بازي) ذو لون أقمر : آكدر (فيه بياض وسمرة ، أو ميل إلى الخضرة أو السواد) . أبدع في نتاجه : في تأصيله (استولد من بزاة أصيلة سليمة) . الديباج : نوع من النسيج الحريري اللامع . الوشي : النقش ، ويكون من كل لون . أحار ، يقصد «حير » (أحار : رد) . اندراج (يقصد الشاعر تجـاور الألوان المختلفة وتدرجهـا من الخفة إلى الشدة أو من لون إلى آخر) .

٦ في نسق : مستو ، على نظام واحد وترتيب معين . الانعراج : التوالي على غير نظام واحد ولا على ترتيب معين ولا على استقامة . الفود : جانب الرأس . الحجاج (بفتح الحاء ، وقد يكسر) العظم الذي ينبت عليه الحاجب (الشعر الذي فوق العين) = من قرب أذنه إلى عينه .

٧ بزينة (بألوان جميلة) كفته نظم تاجه : أغنته عن أن يكون له تاج . المنسر (بفتح الميم وكسر السين ، أو بكسر الميم وفتح السين) : المنقار . الخلاج (بكسر الخاء) : نوع من الثيـاب المخططة (قا ١ : ١٨٦) ؛ ولا معنى لها هنا ؛ والملموح أن الشاعر يقصد اصطياده ، أخذه الطريدة .

وظُفْره يُخبِر عن عِلاجِـه . لوِ استضاءَ المرءُ في إدلاجه [1]
بعَيْنِه كَفَتْهُ عن سِراجه ! [2]

٤ – •• طبقات ابن المعتزّ ٤١٧ – ٤١٨ ؛ تاريخ بغداد ١٠ : ٩٢ – ٩٣ ؛ وفيات الأعيان ١ : ٤٧١ – ٤٧٢ ؛ إنباه الرواة ٢ : ١٢٨ – ١٢٩ ؛ شذرات الذهب ٢ : ٢١٤ – ٢١٥ ؛ بروكلمان ١ : ١٢٨ ، الملحق ١ : ١٨٨ .

عبد الله بن المعتز

١ – هو أبو العبّاس عبدُ اللهِ بنُ الخليفةِ المُعْتَزّ بنِ الخليفةِ المُتوكّل بنِ الخليفة المُعْتَصِم بن الخليفة هرونَ الرشيد ، وُلِدَ في ٢٣ شعبان سنة ٢٤٧ هـ (٢–١١–٨٦١ م) في مدينة سامرّا ، في أيام جدّه المتوكّل ؛ وقد كان النزاع ، في ذلك الحين ، على الخلافة وعلى ولاية العهد ، ثائراً ومُنْذِراً بالحِدّة .

كان رُؤساءُ الجُنْدِ الاتراك قد بدأوا يتَلاعبون بالخِلافة والخُلفاء . فظاهرَ مُحمّدُ بنُ المتوكّلِ الجنودَ الأتراكَ على أبيه المُتوكّل حتى قَتلوا أباه (٢٤٧ هـ) فتولّى هو الخلافة باسم المُنتَصر . ثم ان المُنْتَصِرَ مات بعدَ ستة أشهرٍ فخلفه ابن عمه أحمد المستعين ، وكان ضعيفاً مُسْتَضْعَفاً . ثم خُلِعَ المنتصر (٢٥٢هـ) فخلفه ابن عمه محمد بن المتوكّل باسم المعتزّ بالله . ولكنّ الجُندَ الأتراك سَرعان ما طالبوا المعتزّ بالأموالِ فلم يكن لَدَيْه منها شيءٌ يرضيهم بـه فخلعوه (٢٥٥ هـ) ثم قتلوه . ثم جاء المُهْتَدي وكان كريماً صالحـاً ولكنه لم يَنْجُ من يَدِ الجند الأتراك فخلَعوه بعد أن بَقِيَ في الخلافة سَنَةً إلاّ عَشْرَةَ أيام . وجاء المعتمد ، وكان مُسْتَضْعَفاً فاستبد بأمرِ الدولة أخوه طَلْحَةُ المُوَفّق . وفي أيامه كانت ثورة الزَّنْج . ولما مات المعتمد ، سنة ٢٧٩ هـ (٨٩٢ م) ، خلفه

---

١ علاجه (تدبيره في القبض على الطريدة) . – لو أن إنساناً استضاء في أثناء ادلاجه (سيره في الليل) ....

٢ .... بعينه (بعين هذا البازي ، لشدة صفائها ولمعانها) لكفته (أغنته بضوئها) عن سراجه (عن أن يتخذ سراجاً) .

المعتضد ، «وكان شهماً عاقلاً فاضلاً ، ولكنّه وَلِيَ والدنيا خرابٌ» . ثم مات المعتضد (٢٨٩ هـ = ٩٠٢ م) فخلفه المكتفي ، وفي أيامه ظهر القرامطةُ . ولما مات المكتفي (٢٩٥ هـ = ٩٠٨ م) خلفه المقتدر .

في هذا العاصفِ السياسي لم يكن لابنِ المعتز ، ولا لأحدٍ غيره ، أن يَتَمَنّى الخلافةَ . من أجلِ ذلك كان ابن المعتزّ منْصَرِفاً إلى تلقّي العلمِ ونظم الشعر وتأليفِ الكتب ، وإلى حياةٍ ناعمةٍ لاهيةٍ . كان من أساتذة عبد الله بن المعتزّ المبَرِّدَ المشهور (ت ٢٨٥ هـ) وأبو جعفر بن زيادٍ الضّبي صاحب القِراءات والنحو ، ثم الاديب أبو الحسن الدِمَشْقي ، وأبو علي العَنَزي (ت ٢٩٠ هـ) وأبو العبّاس ثَعْلَبٌ (ت ٢٩١ هـ) الإمام في اللغة والنحو وغيرهم .

غيرَ أنّ الجندَ الأتراكَ لم يَرْضَوْا عن المقتدر طويلاً وأرادوا أميراً عباسياً يُوَلّونه الخلافة فوقعوا على عبد الله بن المعتزّ فبايعوه (٢٠ ربيع الأول ٢٩٦ هـ = ١٧-١٢-٩٠٨ م) ، بعد أن سجنوا المقتدر . غيرَ أن أنصارَ المقتدر عادوا فجمعوا صفوفهم ، في اليوم التالي ، وأخرجوا المقتدر من السجن ثم أخذوا عبد الله بن المعتزّ فعذبوه حتى مات .

وعاد المقتدر إلى الخلافة .

٢ — كان عبدُ الله بن المعتزّ أديباً شاعراً وناقداً عالماً مُصنّفاً مُجيد فَنّي النظمِ والنثر ، واسعَ الثّقافةِ بعددٍ من فُنونِ المعرفة بصيراً بصَنعة الألحانِ . ومن كتب ابن المعتزّ : كتاب الآداب (في الأخلاق ؟) ، كتاب البديع ، تباشير السرور ، فصول التماثيل ، طبقات الشعراء المحدثين (ألّفه نحو سنة ٢٨٠ هـ) ، أشعار الملوك ، سرقات الشعراء ، الزهر والرياض ، مكاتبات الاخوان بالشعر ، الصيد بالجوارح ، الجامع في الغناء ، حلى الاخبار .

وعبد الله بن المعتزّ شاعرٌ مُكْثِرٌ مُجيدٌ حَسَنُ الطَبْعِ جيدُ القريحة بليغاً صاحب صِناعة . ثم هو قريبُ المأخذِ حسنُ الاختراعِ للمعاني فصيحُ الألفاظ سَهْلُ التركيب جميلُ الديباجة يُصيب التشابيهَ والاستعارات . أما فنونُه فهي الأدبُ والفخرُ والمَدْحُ والرِثاء والهِجاء والوصف والنسيب والطَرْدُ والزُهْد .

ووصفه خاصةٌ يتناول وجوهَ الحياة المُتْرَفَةِ في القصورِ ، وهو يُكثِرُ من وصف الخمرِ ووصف الحُلَى والجواهر . وله في الهلال والنجوم أوصافٌ بارعةٌ هي بلا ريبٍ أفضلُ شعرِه .

٣ – المختار من آثاره

– قال ابن المعتز في الحسود :

اصْبِرْ على كَيدِ الحَسو ... دِ ، فانّ صَبْرَكَ قاتِلُهْ .
كالنّارِ تأكُلُ بعضَها ... إن لم تَجِدْ ما تأكُلُه .

– وقال في رأي الناس في الغِنى والغَنيّ :

إذا كنتَ ذا ثروةٍ من غِنىً ... فأنتَ المُسَوَّدُ في العالمِ .
وحَسْبُكَ من نَسَبٍ صورةٌ ... تُخَبِّر أنّك من آدمِ !

– واشتهر ابن المعتز بوصف الهلال والنجوم ، من ذلك قوله :

– زارني والدّجى أحَمّ الحواشي ، ... والثُريّا في الغربِ كالعُنقودِ ،
وهلالُ السما كطَوْقِ عَروسٍ ... بات يُجلَى على غَلائِلَ سود .
– أهلاً بفِطْرٍ قد أنارَ هلالُه ... – فالآن فاغْدُ إلى المُدامِ وبَكّرِ –
وانْظُرْ اليه كزَوْرَقٍ من فِضّةٍ ... قد أثقَلَتْه حُمولةٌ من عَنْبَر .
– أنظُرْ إلى حُسنِ هِلالٍ بدا ، ... يَهتِكُ من أنوارِه الحِنْدُسا ،
كمِنْجلٍ قد صِيغَ من فِضّةٍ ... يَحصُدُ من زُهْرِ الدُّجى نَرْجِسا !
– وكأنّ المَجرّ جَدْوَلُ ماءٍ ... نَوّر الأُقحوانُ في جانبيه .
وكأن الهلالَ نِصْفُ سِوارٍ ... والثّريّا كَفٌّ تُشير اليه .

– وقال يصف مجلس خمر تحت عريشة :

شَرِبْنا عَصيرَ الكَرْمِ تحتَ ظِلالهِ ... على وجه مَعشوقِ الشّمائل أغْيَدِ .
كأنّ عناقيدَ الكُرومِ وظِلّها ... كواكبُ دُرٍّ في سماءِ زَبَرْجَدِ !

– قال في الحُسن والقبح :

قَلْبِيَ وثّابٌ إلى ذا وذا ، ... ليس يَرى شيئاً فيأباهُ :

يَهيمُ بالحُسْنِ كما يَنْبغي ، ويَرْحَمُ القُبْحَ فيَهواه !

— وقال في زيارة الحبيب :

كم فيهِمُ من مليحِ الوجهِ مُكْتَحِلٍ بالسِحْرِ يُطْبِقُ جَفْنَيْهِ على حَوَرِ .
لاحظتُه بالهوى حتّى استْقادَ له طَوْعاً وأسْلَفَني الميعادَ بالنظرِ .
وجاءني في قميصِ الليْلِ مُسْتَتِراً يستعجلُ الخَطْوَ من خوفٍ ومن حذَرِ .
فقُمْتُ أفرُشُ خدّي في الطريقِ له ذُلاً ، وأسحَبُ أذيالي على الأثرِ .
ولاحَ ضوءُ هِلالٍ كاد يَفْضَحُنا ، مثلَ القُلامةِ قد قُدَّتْ من الظُفُرِ .
وكان ما كان مِمّا لستُ أذكُرُهُ فظُنَّ خيراً ولا تسألْ عن الخَبَرِ !

— من مقدّمة طبقات الشعراء :

الحمدُ لله الذي أفحَمَ مَصاقِعَ الفُصحاءِ بمُعْجِزِ كلامِه وأخرَسَ شَقاشِقَ البُلَغاءِ بترتيبه ونِظامه وبَهَرَ العرَبَ العرْباءَ باختراع مُفْتَتَحِه وختامه .... والصلاةُ والسلام على مَنِ اهتزّتْ بأرواحِ نَصرِه أعطافُ دولةِ العَرَب فماج بها خِضَمُّ دولةِ الاكاسِرَة والقياصرة فاضْطرَب ، وخَضَعَ من أعمالِ حُسامِه ربَّ التاج والسريرِ لصاحب الشاةِ والبعير فعَطَسَتِ العرَبُ فرَحاً بأنْفِ العِزِّ الشامخ وجرّت مرَحاً ذَيْلَ الشرفِ الباذخ ....

عقَدَ الفِكْرُ طَرْفي بالنجوم لواردٍ وَرَدَ عليَّ من الهُموم نَفَضَ عن عيْنيَّ كُحْلَ الرُقاد وألبَسَ مقلتي حُلَلَ السُهاد ، فتأمّلتُ فخَطَرَ عليَّ الخاطرُ في بعض الأفكار أنْ أذكُرَ في نُسْخةٍ ما وَضَعَتْه الشعراءُ من الأشعار في مدح الخُلفاء والوزراء والأُمراء من بني العبّاس ليكون مذكوراً عند الناس ، مُتابِعاً لما ألّفه ابن نُجيمٍ قَبْلي بكتابِه المسمّى **بطبقاتِ الشعر (الشعراء؟) الثقات**، مُستعيناً باللهِ المُسهِّلِ الحاجاتِ وسمّيته **طبقات الشعراء المتكلّمين من الأدباء المتقدّمين** .

فكان أولَ ترْجمةِ ابنِ نُجيمٍ بشّارُ بنُ بُرْدٍ وما له من الأشعار والآثار ، فنظرتُ في ذلك أن أجمعهم في هذا الكتاب فرأيتُ الاختصارَ لأشعارهم عينَ الصواب . ولو اقتصيت جميعَ الاشعارِ لطال الكتابُ وخرج عن حدّ القَصْد . فاختصرت ذلك وذكرتُ ما كان شاذاً من دواوينهم وما لم يُذْكَرْ في الكتبِ من أشْعارهم واقتصرت ما كان من مُطوّلات قصائدِهم ....

٤ – ديوان ابن المعتزّ ، القاهرة ١٨٩١ م ؛ (نشر محيي الدين الخيّاط) ، بيروت (مطبعة الاقبال) ؛ دمشق ؟ ١٣٧١ هـ ؛ بيروت (دار صادر) ١٩٦١ م .

طبقات الشعراء في مدح الخلفاء والوزراء (نشره عبّاس اقبال) ، لندن (لوزاك) ١٩٣٩ م ؛ (نشره عبد الستّار أحمد فرّاج) ، القاهرة (دار المعارف) ١٩٥٦ م .

كتاب البديع (اعتنى بنشره ... اغناطيوس كراتشقوفسكي) ، لينينغراد – لندن (لوزاك) ١٩٣٥ م ؛ (شرحه .... محمّد عبد المنعم خفاجي) ، مصر (شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي) ١٣٦٤ هـ (١٩٤٥ م).

ابن المعتزّ .... شعره ، صنعة أبي بكر الصولي (عني بتصحيحه لوين) ، استانبول (مطبعة المعارف) ١٩٤٥ – ١٩٥٠ م .

رسائل ابن المعتزّ في النقد والأدب والاجتماع ، جمعها محمّد عبد المنعم خفاجي ، القاهرة (مطبعة الحسين التجارية) ١٩٤٩ م .

يوم وليلة ، تأليف عبد العزيز سيّد الأهل ، بيروت (دار العلم للملايين) ١٩٥١ م .

عبد الله بن المعتزّ : أدبه وعلمه ، تأليف عبد العزيز سيّد الاهل (دار العلم للملايين) ١٩٥١ م .

عبد الله بن المعتزّ العبّاسي : حياته وانتاجه ، تأليف محمّد عبد العزيز الكفراوي ، القاهرة (مكتبة نهضة مصر) بلا تاريخ .

التشبيه في شعر ابن الرومي وابن المعتزّ ، تأليف محمّد عبد المنعم خفاجي ، (المطبعة الفاروقية) ١٩٤٨ م .

•• الفهرست ١١٦ ؛ الاغاني ١٠ : ٢٧٤ – ٢٨٦ ؛ تاريخ بغداد ١٠ : ٩٥ – ١٠١ ؛ أشعار أولاد الخلفاء للصولي (لندن ١٩٣٦ م) ص ١٠٧ – ٢٩٦ ؛ وفيات الأعيان ١ : ٤٦١ – ٤٦٤ ؛ فوات الوفيات ١ : ٢٠٨ – ٢١٣ ؛ شذرات الذهب ٢ : ٢٢١ – ٢٢٤ ؛ بروكلمان ١ : ٧٩ – ٨٠ ، الملحق ١ : ١٢٨ – ١٣٠ ؛ زيدان ٢ : ١٨٧ – ١٨٩ .

محمّدُ بنُ داوودَ بن الجرّاحِ

١ — هو أبو عبدِ الله محمّدُ بنُ داوودَ بن الجرّاح نشأ في أسرةٍ من الأدباء المؤلّفين (الفهرست ١٢٨ — ١٢٩) وأخذ عن العلماءِ والفصحاء والشعراء . ولمّا جاء المعتضدُ إلى الخلافة ، سَنَةَ ٢٧٩ ﻫ (٨٩٢ م) استوزرَ عبيدَ الله ابنَ سُليمانَ بنِ وَهْبٍ (ت ٢٨٨ ﻫ) فاتّخذ عبيدُ الله محمّدَ بنَ داوودَ بن الجرّاحَ كاتباً له . وكذلك تولّى محمدُ بنُ داوودَ هـذا دواوينَ الخَراجِ والضِياعِ والجَيْش في أيام المُكْتفي (٢٨٩ — ٢٩٥ ﻫ) وفي الفَتْرة الأولى من أيام المُقْتدر (٢٩٥ — ٢٩٦ ﻫ) . ولمّا تولّى عبدُ الله بن المعتزّ الخلافةَ اتّخذ محمّدَ بنَ داوودَ وزيراً . ولكنّ ابنَ المعتزّ لم يَبْقَ في الخلافة سوى يومٍ واحد ، فلمّا قُتِلَ تخفّى محمّدُ بنُ داوودَ مدّةً يسيرة ثمّ ظهر فقُبِضَ عليه وقُتِلَ ، سَنَةَ ٢٩٦ ﻫ (٩٠٨ — ٩٠٩ م) .

٢ — كان محمّد بنُ داوودَ الجرّاح كاتباً عارفاً بأيامِ الناس وأخبارهم وبأحوال الدول ، كما كان شاعراً مُقِلّاً متوسّطاً . وله تآليفُ منها : كتاب الوَرَقة في أخبار الشعراء «سمّاه بذلك لأنّه لا يتزيدُ في خبرِ الشاعر الواحد على وَرَقة» (الصفدي ٣ : ٦٢) . وكان له أيضاً كتابُ الشعر والشعراء (طبقات الشعراء ، أخبار الشعراء) ، وهو لَطيفٌ (مختصر) — كتابُ من سُمّيَ من الشعراء عَمْراً في الجاهلية والإسلام — كتاب الوزراء (أخبار الوزراء) — كتاب الاربعة (على مثال أبي هَفّان) .

٣ — المختار من شعره

— قال محمّدُ بن داوود بن الجرّاح في الشكوى من الدهر والناس :

قد ذَهَبَ الناسُ فلا نـاسُ ، وصار بَعْدَ الطمعِ الياسُ ؛
وساسَ أمرَ الناسِ أدْناهُمُ ، وصارَ تحت الذَنَبِ الراس .

— وقال في معاملته لإخوانه :

أعينُ أخي أو صاحبي في مُصابهِ : أقومُ له يومَ الحِفاظ وأقعدُ[١] .

١ يوم الحفاظ : يوم الحاجة إلى الحفاظ (الدفاع عن القوم أو عن العرض أو عن الصديق) . أقوم وأقعد : أبذل جهدي (بضم الجيم) كله .

ومن يُفْرِدِ الاقوامَ في ما يَنوبُهُم تُبيتْهُ اللّيالي مَرّةً وهو مُفْرَدُ[1] .

٤ ــ الورقة (عبد الوهاب عزّام وعبد الستّار أحمد فرّاج) ، القاهرة (دار المعارف) ١٩٥٣ م .

•• الفهرست ١٢٨ ؛ تاريخ بغداد ٥ : ٢٥٥ ؛ فوات الوفيات ٢ : ٢٥٠ ــ ٢٥١ ؛ الصفدي ٣ : ٦١ ــ ٦٢ ؛ شذرات الذهب ٢ : ٢٢٥ ؛ بروكلمان ، الملحق ١ : ٢٢٤ ــ ٢٢٥ .

أبو بكر محمّد بن داوود الاصفهاني

١ ــ هو أبو بكرٍ محمّدُ بنُ أبي سُليمانَ داوودَ بنِ عليِّ بنِ خلَفٍ الاصفهانيّ الظاهريّ ، وُلِدَ سنَةَ ٢٥٥ هـ (٨٦٨ م) ودَرَسَ على أبيه داوودَ ابنِ عليّ (ت ٢٧٠ هـ) صاحبِ المذهب الظاهريّ[2] وعلى أحمدَ بنِ يحيى الشيبانيّ ؛ ثُمّ إنّه خلَفَ أباه في رِئاسةِ المذهبِ وفي حلْقة التدريس وعُمْرُه ستَّ عشْرَةَ سنَةً .

وتُوُفّيَ أبو بكرٍ الاصفهانيّ باكراً ، في التاسعِ من رَمَضانَ ٢٩٧ هـ (٨٩٨ م) .

٢ ــ كان أبو بكرٍ محمّدُ بن داوودَ الظاهريّ فقيهاً وأديباً وشاعراً ظريفاً على شِعْرِه شيءٌ من جَفاف شعرِ الفُقهاء . على أن نثره كان أحسنَ من شعره. ونثرُه مسجوعٌ سَهْلٌ رائقٌ يجري على المَنْطِق ، ولكنْ يتَخلّله شيءٌ من الغُموض في بعض الأحيان . ثُمّ هو مؤلّفٌ له كتابُ الوصول إلى معرفة الأصول ، كتاب الإنذار ، كتاب الإعذار (وهي في الفقه) . أما شهرتُه فراجعةٌ إلى كتاب الزَهْرة ، وهو كتاب صنّفه في شبابه وجمع فيه أبياتاً في

---

١ يفرد الاقوام : يتخلى عنهم . ينوبهم : يصيبهم . تبته = تبيته « تجعله » . مرة : يوما ما . وهو مفرد : وحده (وقد تخلى عنه الناس كما كان قد تخلى هو عنهم) .

٢ المذهب الظاهري : مذهب يتقيد أتباعه بظاهر النص الوارد في القرآن الكريم والحديث الشريف . على انه مذهب باد (بطل العمل به الآن) .

الغزل منها المُقَطَّعاتُ القِصارُ ومنها الأبيات المختارةُ من القصائد الطوال . هذه المختاراتُ تمتدّ في الزمن مِنَ امرئِ القيس إلى الشعراء الذين عاصروا المؤلّف . وفي كتاب الزهرة مائةُ بابٍ كلّ باب منها في حال من أحوال الهوى والعشق ، وفي كلّ باب مائة بيتٍ تتعلّق بكلّ حالٍ من تلك الأحوال . والمؤلّف يُقَدِّمُ كلّ بابٍ ببضعةِ أسطرٍ من نَثْرِهِ الرائق في وصف حال الهوى المعيّنة في كل باب ؛ وربّما عقّبَ على عدد من المختارات بملاحظة تطولُ قليلاً أو تَقْصُرُ .

٣ — من مقدّمة كتاب الزهرة

قال أبو بكر محمّد بن داوود الاصفهاني يخاطب الذي ألّف هذا الكتاب له :

.... واعلمْ — أدامَ اللهُ تأييدَك — أن المُرْتَضَيْنَ [١] مِنَ الإخوانِ مَعْدومونَ في هذا الزمان . وانّما بَقِيَ قوم يَنْتَصِفون ولا يُنْصِفون : إن بَسَطْتَهم لم يَهابوكَ ، وإن أحْشَمْتَهُم اغتابوكَ ؛ ما داموا لك راجِينَ أو خائفين فهُمْ إليك منقطعون . فإنْ زايلوا هاتيْنِ الحالتَيْنِ لم يرْعَوْا لك إخاءً ولم يعتقدوا لك وفاءً . فإذا ظَفِرتَ بمُنافِقٍ فتَمَسَّكْ بهِ فإنّه على كلّ حالٍ خيرٌ من غيرِه لأنّه يُظْهِر لك بلسانه ما تُسَرّ به وإن كان يُضْمِرُ خلافَه بقلبهِ . وحَسْبُكَ بقومٍ خيرُهُمُ المنافقونَ وأهلُ الوفاءِ مِنْهم مَفْقودون !

.... وقد عزَمْتُ — لمّا رأيتُ بكَ من غَلَبَاتِ الاشتياقِ ومن مَيْلِكَ إلى تَعَرُّفِ أحوال العُشّاق — أنْ أوَجِّهَ لك نديماً يُشاهِدُ بكَ أحوالَ المتقدّمين ويُحْضِرُكَ أخبارَ الغائبين ، يَنْشَطُ بنَشاطك ، ويَمَلّ بمَلالك إن أدنَيْتَه دنا وإن أقْصَيْتَه نأى ، لا يَزْهى [٢] عليكَ عند حاجته إليك [٣] ..... انتزعتُه لك من خَواطري واختَرْتُهُ من غريب ما اتّصل بمَسامعي . إن اختَصَصْتَ به مَنْ تُحِبّ من إخوانك لم تَفْتَقِدْهُ من ديوانك ، وإن استَبْدَدْتَ به دون أوليائك فَضَلْتَ به على نُظَرائك ، وهو كتابٌ سمّيته

---

[١] الضاد في الأصل الذي نقلت منه مكسورة ، والصواب فتحها .

[٢] يزهى (بضم الياء ، وتكون بفتح الياء أيضاً ولكن على قلة) : يتيه يتكبر .

[٣] الكلام على الكتاب هنا يشبه « وصف الجاحظ للكتاب » .

كتاب الزَّهْرة واستودعتُه مائةَ باب ضَمَّنْتُ كلَّ باب مائةَ بيت أذكُرُ في خمسينَ باباً منها جهاتِ الهوى وأحكامَه وتصاريفه وأحوالَه ، وأذكرُ في الخمسينَ الثانيةِ أفانينَ الشعرِ الباقيةَ ، وأقتصِرُ في ذلك على قليلٍ من كثير وأقنع من كلِّ فنٍّ باليسير ، إذْ كانَ ما نَقْصِدُه أكثرَ من أن يتَضَمَّنَهُ كتابٌ أو يُعَبِّرُ عن حقيقته خطابٌ . ومثل هذا الكتاب إنّما يَطْلُبُهُ أهلُ الآدابِ ليَخِفَّ على الألفاظِ ويَتَسَهَّلَ للحُفّاظ ، فان بَعُدَ آخِرُه نُسِيَ أوّلُه . ولَسْنا وإنِ اجْتَهَدْنا في إطالتِه راجينَ التناهيَ إلى غايتِه ، ومن لم يَرْجُ الكمالَ في الإكثارِ كانَ حقيقاً أن يَقْنَعَ بالاختصار ....

وقد جعَلْتُ الأبوابَ المنسوبةَ إلى الغَزَل من هذا الكتابِ أمثالاً ورتّبتها على ترتيب الوقوعِ حالاً فحالاً ، فقدّمْتُ وصفَ كَوْنِ الهوى وأسبابِه وبَسَطْتُ ذِكْرَ الأحوالِ العارضةِ فيه بعد استحكامه[1] من الهَجْر والفِراق وما تُوجِبُه غَلَباتُ التَشَوّقِ والاشْتِياقِ ثمّ خَتَمْتُها بِذِكْرِ الوَفاء بعد الوَفاة ....

وأنا ، إن شاءَ اللهُ ، أذكرُ بعقِبِ كلِّ بابٍ منها ما يُشاكله من الأشعار واقتصرُ على القليل من الأخبار لأنّها قد كَثُرَتْ بأيدي الناس فَقَسّلَ مَنْ يَسْتَفيدُها ، وأفاضِلُ بين الأشعار على ما تُوجِبه الحالُ التي ادّعاها صاحِبُها .... ولن يَعْدَمَ كتابُنا هذا أنْ يُصادِفَ عاقلاً وجاهلاً مُتَحاملاً ، والمتحاملُ يَعْرِفُ مَغْزاه من فَحْواه ، والعاقلُ لا يرى لنفسه أن يَعيبَ من لم يَدّعِ أنّه قد كَمُلَ بما يَرى في كتابه من الخَلَل[2] ....

٤ — النصف الأول من كتاب الزهرة (اعتنى بنشره لويس نيكل بمساعدة ابراهيم طوقان) (حقوق الطبع للمعهد الشرقي في جامعة شيكاغو) ، بيروت (مطبعة الآباء اليسوعيّين) ١٩٣٢ م (١٣٥١ هـ).

•• تاريخ بغداد ٥ : ٢٥٦ — ٢٦٣ ؛ وفيات الأعيان ٢ : ٢٧٢ — ٢٧٣ ؛ شذرات الذهب ٢ : ٢٢٦ ؛ بروكلمان ١ : ٢٤٩ — ٢٥٠ .

---

١ استحكم الأمر : ثبت ، اشتد .

٢ في هذه الجملة اضطراب ونقص .

ابن بَسّامٍ البغداديُّ الشاعرُ

١ – هو أبو الحسن عليُّ بنُ محمّدِ بنِ نصرِ بن منصور بن بسّامٍ العَبَرْتائي ١ البغداديّ ، وأمّه أمامة شقيقة أحمدَ بنِ حَمدون النديمِ (لأمّه وأبيه) . كان من بيتٍ خدم نفرٌ من أهله في الدواوين كُتّاباً ، كما كان لبيته شيء من الوَجاهة والغِنى : فجَدّه نصرُ بن منصورِ بن بسّام كان يتولّى ديوان الخاتَم والنفقات والأزِمّة ، وقد مدحه أبو تمّام ؛ وأبوه محمّدُ بن نصرٍ كان مُتْرَفاً حَسَنَ الزّي مُتَنَعّماً في مَطْعمه وملبسه ومسكنه .

وُلِدَ أبو الحسن علي بن محمّد بن بسّام نحو سنة ٢٣٠ ﻫ (٨٤٧ م) ونشأ هَجّاءً خبيثَ اللسان لم يَسْلَمْ من لسانه أميرٌ ولا وزير ولا رجلٌ من جِلّة الناس وأفاضلهم ، كما هجا أباه وأمّه وأهله ، فهو لذلك أحد العَقَقَة ٢ .

تقلّدَ ابنُ بسّامٍ البغداديّ البريدَ في مصر ، في أيّام الوزير عُبيد الله بن سُليمان بن وَهْب (٢٧٧ – ٢٧٩ ﻫ) ؛ وتعلّق ابن بسّام الشاعر بهجاء القاسم ابن عُبيد الله حتّى أنه شَمِتَ بموتِ ولدٍ له (٢٨٤ ﻫ) ، وكان ينظم فيه الأهاجي ثم يَنْحَلُها لابن الروميّ ٣ . ولمّا تولّى القاسم بن عبيد الله الوزارة (٢٨٨ – ٢٨٩ ﻫ) أراد أن ينتقمَ من ابن بسّامٍ ، ولكنّ الخليفةَ المعتضد ردّه عن ذلك وحمله على أن يُحْسِنَ اليه وأن يُوَلّيَهُ بريد الصَيْمرة ٤ وما والاها ؛ وقد بَقِيَ ابن بَسّامٍ في هذا المَنْصِبِ إلى أواخر أيامِ المعتضد (٢٧٩ – ٢٨٩ ﻫ) .

وكانت وفاةُ أبي الحسن عليّ بن محمّد البسّامي الشاعر في صَفَرَ من سنة ٣٠٢ ﻫ (ايلول – سبتمبر ٩١٤ م) .

٢ – كان ابن بسّام البغداديّ شاعراً وكاتباً مُنْشِئاً مُتَرَسّلاً وأديباً مُصَنّفاً للكُتُب ، ولكنّ الشعرَ غَلَبَ عليه . وكذلك كان لَسِناً فَصيحاً ظريفاً ماجناً

---

١ عبرتى : قرية قرب النهروان (جنوب العراق) .

٢ العققة جمع عاق : الذي يعق (بكسر العين) : يعصي أباه ويستخف به .

٣ كانت بين ابن الرومي وبين القاسم بن عبيد الله عداوة ، وكان ابن الرومي كثير الهجاء للقاسم هذا .

٤ الصيمرة : اسم لعدد من البلدان ، لعل المقصود بها هنا بلدة في نواحي البصرة .

مُقْذِعاً . ثم كان له رِثاءٌ حَسَنٌ في آل البيتِ أبانَ فيه عن مذهبه في التشيّع (معجم الشعراء ١٥٤) ، وشيء من المدح والنسيب والوصف والحكمة ، ولكنّه كان يحسن المُقَطّعات ولا يُحْسِنُ إذا أطال .

ولابن بسّام البغداديّ من الكتب كتابُ أخبار عمر بن أبي ربيعة ، وقد مدحه ابن النديم وسائر الذين ترجموا لابن بسّام . وله أيضاً كتاب أخبار الأحوص ، وله كتاب الزنجيّين وهم المعاقرون أو كتاب المعاقرين [١] ، كتاب مناقضات الشعراء ، ديوان رسائل .

٣ — المختار من شعره

— يبدو أن والد ابن بسّام البغدادي كان بخيلاً أو كان يضنّ على ابنه بالمال لأن ابنه كان ماجناً مسرفاً ، فقال ابن بسّام يهجو أباه (لا أعانه الله) :

هَبْكَ عُمِّرْتَ عُمْرَ عِشْرِينَ نَسْراً ، أتَرى أنّني أموتُ وتَبْقَى ؟
فَلَئِنْ عِشْتُ بعدَ موتِكَ يوماً لأشُقَّنَّ جيبَ مالِكَ شَقّا [٢] !

— لمّا هَدَمَ الخليفةُ المتوكّل قبرَ الحسين بن عليّ رضي الله عنه ، سنة ٢٣٦ هـ ، قال ابن بسامٍ البغداديّ :

تاللهِ ، إن كانتْ أُمَيّةُ قد أتَتْ قَتْلَ ابنِ بِنْتِ نَبِيّها مَظلوما ،
فلَقَدْ أتاه بنو أبيه بمِثْلِه ؛ هذا — لَعَمْرُكَ — قبرُه مَهدوما :
أسِفوا على ألاّ يكونوا شارَكوا في قتلِه فتَتَبّعوه رَمِيما [٣] !

— لمّا تولّى أبو علي محمّد بن عُبيد الله بن يحيى بن خاقانَ الوِزارة (٢٩٩ — ٣٠١ هـ) للخليفةِ المُقْتَدِرِ أساء السيرة والتدبير وأخذ الرَشْوَةَ من كلّ طالبِ وظيفةٍ ، وربّما عيّن للوظيفة الواحدة عدداً من الموظّفين في وقت

---

١ الزلج (بفتح الزاي أو كسرها) : جيل من السودان . والزنج (بفتح الزاي وفتح النون) : شدة العطش . والمعاقرون : الذين يكثرون شرب الخمر ولا يرتوون (؟) .
٢ لأشقن جيب مالك شقا : لأسرفن بانفاق المال الذي سأرثه منك !
٣ الرميم : البالي ، المتفتت .

واحد : قيل إنه ولّي في يوم واحد تِسْعَةَ عَشَر ناظراً للكوفة وأخذ من كلّ واحد رَشوةً . وقد هجاه الشعراء ، فمما قاله فيه ابن بسّام البغدادي :

وزيرٌ ما يُفيقُ من الرَّقاعه : يُوَلّي ثُمّ يَعْزِلُ بعدَ ساعهْ ،
ويُدني من تَعَجّل منه مالاً ويُبْعِدُ من تَوَسّل بالشفاعه .
إذا أهلُ الرُّشا[1] صاروا اليه فأحظى القومِ أوفرُهم بِضاعه .
فلا رَحِمٌ تُقَرِّبُ منه خَلْقاً — سوى الوَرِق[2] الصِحاحِ — ولا شَفاعه.
وليس بِمُنْكَرٍ ذا الفعلُ منه ، لأن الشيخ أفْلَتَ من مَجاعه .

٤ — ٥٥ الفهرست ١٥٠ ؛ تاريخ بغداد ١٢ : ٦٣ ؛ معجم الأدباء ١٤ : ١٣٩ — ١٥٢ ؛ وفيات الاعيان ٢ : ٤٤ — ٤٥ ؛ أعيان الشيعة ٤٢ (١٩٥٨) : ٢٤ ؛ زيدان ٢ : ١٨٩ — ١٩٠ .

أبو جَعْفَرٍ الطَبَريُّ

هو أبو جَعْفَرٍ مُحَمّدُ بنُ جريرِ بنِ يزيدَ بنِ خالدٍ الطَبَرِيَ ، وُلِدَ في آمُلَ (قَصَبَة طَبَرِسْتانَ) في آخرِ سَنَةِ ٢٠٤ هـ أو أولِ سنة ٢٠٥ هـ (٨٢٠ م) .

بدأ أبو جعفرٍ الطَبَرِيّ كِتابةَ الحديثِ عن علماء بَلَدِه ثم انتقلَ إلى الريّ والبُلْدانِ المُجاورةِ فَسَمِعَ ممن فيها كلّها من العُلماء . ثم أنه قَصَدَ بَغْدادَ ليسمع من الإمام أحمد بن حنبل ، فلمّا دخلها كان أحمد بن حنبل قد تُوُفّيَ (٢٤١ هـ = ٨٥٥ م) . فمَكثَ مدّةً ثم انْحَدَرَ إلى البصرة فسَمِعَ من علمائها . بعدَئذٍ انتقل إلى الكوفة ثم عاد إلى بَغْدادَ .

بعدئذ قصد الطبريّ مِصْرَ وجعل في أثناء طريقهِ يكتُبُ عن العلماء في البُلدان

---

١ جمع رشوة .

٢ الورق (بفتح الواو وكسر الراء) : الفضة . الورق الصحاح : الدراهم من الفضة الصحيحة الوزن .

الشامية إلى أن دخل الفُسطاطَ ، سنة ٢٥٣ هـ (٨٦٧ م) . ثم عاد إلى الشامِ ورجع بعدَ ذلك إلى مِصر (٢٥٦ هـ) . وأخيراً استقرّ في بَغدادَ يَقْضي بعضَ وقتهِ في التدريسِ والإملاء والمناظراتِ ويقضي مُعْظم وقتهِ في التأليف حتى تُوُفّيَ في ٢٦ شوّالٍ من سنة ٣١٠ هـ (١٦-٢-٩٢٣ م) .

كان أبو جعفرٍ محمّدُ بنُ جريرٍ الطَبَريّ إماماً في التفسير والحديث والفقْه والتاريخ والنحوِ واللغة والعَروض والأدب ومُلِمّاً بالحِساب والجَبْر والمَنْطِق والطِبّ وسواها . ومعَ أنّه كان من الأئمّةِ في القراءات ، فانّه لم يُقْرِئْ أحداً اختياراً وإنّما كان يقرأ عليهِ الفَرْدُ بعدَ الفرد . أما التفسير فكان إماماً مُقدّماً فيه بَصيراً بمعاني القرآنِ فقيهاً بأحكامهِ عارفاً بالتأويل . وكذلك كان عارفاً بالحديثِ والسُنَنِ عليماً بطُرُقِ رِوايتها وبصَحيحها وسَقيمها وبناسِخِها ومَنْسوخها عارفاً بأقوالِ الصَحابةِ . وأما في الفقه فقد كان أحدَ الأئمّةِ أصحابَ المذاهبِ لم يُقَلِّدْ أحداً بل خطّ لنفسه مَذْهباً كان له فيه أتباعٌ . غيرَ أنّ مذهبَه بادَ (بَطَلَ العَمَلُ به) ؛ ونَجِدُ إشاراتٍ إلى مَذْهبهِ الفِقهي في معجم الأدباء (١٨ : ٥٣ ، ٥٧ — ٥٨ ، ٨٢ ، ٨٣) . وكان في النحو من أتباعِ المذهب الكوفي .

وتصانيفُ الطَبَريّ كثيرةٌ مَبْسوطةٌ (كبيرة) مُتَنَوّعةُ الموضوعاتِ يهمّنا منها :

(أ) كتابُ الأمم والملوك (يُعْرَفُ أيضاً بتاريخ الرُسُلِ والأنبياء والملوك ، وهو مشهورٌ باسم « تاريخ الطبري ») : كان هذا الكتابُ ثلاثينَ ألفَ وَرَقةٍ (٦٠٠,٠٠٠ سطرٍ) ، فلمّا أرادَ إملاءه على أصْحابه (طلاّبه) استكثروه فاختصره لهم في ثلاثة آلافِ وَرَقةٍ (٦٠,٠٠٠ سطرٍ) . هذا التاريخ يَبْدأ بآدَمَ ويَقفُ عند سنة ٣٠٢ هـ (٩١٤ م) ؛ وهو حَوْليّات على السنين يُورد الطَبَريّ فيه الأحداثَ مرتّبةً سَنَةً فسَنَةً في رِواياتٍ مُسْتَقِلّة ، كلّ رواية مُخْتصّةٌ بحادثٍ تاريخيّ أو بجُزْءٍ من حادثٍ تاريخيّ . وربّما كرّرَ ذِكْرَ الحادثِ الواحدِ ، إذا كان هُنالك رِواياتٌ مختلفة تتعلّق بذلك الحادث . والطبري في تاريخه يُثْبِتُ الرواياتِ المختلفةَ والمتناقضةَ أحياناً كما وَصَلَتْ إليه من غيرِ أن يُبْدِيَ فيها رأياً ؛ بل يَتْرُكُ للباحثِ أن يُقارِنَ الرواياتِ ويختارَ منها

ما يَثبُتُ عِنده على النقد . وفضلُ هذه الطريقةِ أنها تَحفَظُ كلَّ الرواياتِ - ولو كانَ بعضُها خاطئاً - كَيلا تَحذِفَ رِوايةً ربّما كان فيها شيءٌ من الحقيقة .

(ب) جامع البيان عن تأويلِ آيِ القرآن أو .... عن تأويلِ القرآن ، ويُعرَفُ باسم « تفسير الطبري » : كان هذا الكتابُ أيضاً نحوَ ثلاثينَ ألفِ ورَقة فاختصره لأصحابه في ثلاثةِ آلافِ ورَقةٍ . والطَبَريّ يَسلُكُ في تفسيرِ القرآنِ المَسلَكَ التاريخيّ في الدرَجةِ الأولى : إنّه يُحاول أن يَجمَعَ الرِواياتِ المتعلّقة بكلِّ آيةٍ من الناحيةِ التاريخيّةِ أو اللغوية أو الفقهية ثم يُوازِنُ بينَ الرِواياتِ (بخِلافِ مَسلَكِه في التاريخ) لِيَستَخرِجَ المَعنى المقصود ، وكان يقولُ (معجم الأدباء ١٨ : ٦٣) : « إنّي أعجَبُ ممّن قرَأ القُرآنَ ولم يَعلَمْ تأويلَه كيفَ يَلتَذّ بقراءته ! » وقد شرَحَ الطبريّ طريقةَ تَفسيره في مُقدّمةِ « جامع البيانِ » ولخّصها ياقوتُ الحمويّ (١٨ : ٦٣ - ٦٥) .

- جامع البيان عن تأويل القرآن ، القاهرة (المطبعة الميمنيّة) ١٣٢١ هـ ؛ القاهرة (البابي) ١٩٥٤ م ؛ (نشره محمود محمّد شاكر وأحمد محمّد شاكر) ، القاهرة (دار المعارف) ١٣٧٤ - ١٣٧٨ هـ .

تاريخ الرسل والملوك (دي خويه وغيره) ، ليدن (بريل) ١٨٧٩ - ١٩٠١ م ؛ القاهرة (المطبعة الحسينية) ١٣٣٦ هـ ؛ القاهرة (المكتبة التجارية) ١٩٣٩ م ؛ (نشره ابو الفضل ابراهيم) ، القاهرة (دار المعارف) ١٩٦٠ م .

الجزء الخامس من تاريخ الرسل والملوك (يقابل الجزء الرابع من طبعة ليدن) (نشره يوهان وغيره) ، غرايسفلد ١٨٣١ م .

كتاب الجهاد وكتاب الجزية واحكام المحاربين من كتاب اختلاف الفقهاء (نشرها يوسف شاخت) ، ليدن (بريل) ١٩٣٣ م .

دلائل الإمامة ، النجف (المطبعة الحيدرية) ١٩٤٩ م .

•• مجموعة الوثائق السياسية في العهد النبوي والخلافة الراشدية ، تأليف

محمّد حميد الله ، القاهرة (مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر) ١٩٤١ م .

الطبري ، تأليف أحمد محمّد الحوفيّ ، القاهرة (وزارة الثقافة والارشاد القومي) ١٩٦٣ م .

الفهرست ٢٣٤ – ٢٣٥ ؛ تاريخ بغداد ٢ : ١٦٢ – ١٦٩ ؛ تاريخ الكامل ٨ : ٤٥ – ٤٦ ؛ معجم الأدباء ١٨ : ٤٠ – ٩٤ ؛ وفيات الاعيان ٢ : ٢٣٢ – ٢٣٣ ؛ الصفدي ٢ : ٢٨٤ – ٢٨٧ ؛ انباه الرواة ٣ : ٨٩ – ٩٠ ؛ شذرات الذهب ٢ : ٢٦٠ ؛ بروكلمان ١ : ١٤٨ – ١٤٩ ، الملحق ١ : ١٢٧ ؛ زيدان ٢ : ٢٣١ – ٢٣٢ .

الزّجاج

هو أبو اسحقَ ابراهيمُ بن السّريِّ بنِ سَهْلٍ النحويّ المعروفُ بالزجّاج . وُلِدَ الزجّاجُ نحوَ سَنَةِ ٢٤٠ هـ (٨٥٤ م) ، وكان في صباه يَخْرُطُ الزّجاجَ (ومن هنا جاء لَقَبُه) ثمّ تاقَتْ نفسُه إلى تعلّمِ النحو فرَغِبَ إلى المبرّدِ أن يُعَلِّمَه النحوَ وضَمِنَ له أن يُعْطِيَهُ دِرْهَماً كلّ يوم إلى وَفاةِ أحدِهما .

بدأ الزجّاجُ تكسّبَه بتعليمِ نفرٍ من أبناء بني مارقةَ من أهل الصَّراة [١] . ثم طلبه الوزيرُ عُبيدُ الله بن سليمانَ بنِ وهبٍ بن سعيد الذي وَزَرَ للخليفةِ المُعْتَضِد [٢] لتعليم ابنه القاسمِ بن عبيد الله . ونال الزجّاجُ حَظوةً عند الوزير عبيد الله بن سليمان فجعله كاتبَه واتّخذه نديماً . ولمّا ماتَ عبيدُ الله (٢٨٨ هـ = ٩٠١ م) خلفه ابنُه القاسمُ في الوزارة فزادتْ منزلةُ الزجّاجِ رُفعة وأفاد بذلك

١ الصّراة (بفتح الصاد) : نهر في العراق (قا ٤ : ٣٥٢) أي قناة (شمال الحلة ، جنوب بغداد) تصل بين نهر دجلة ونهر الفرات ؛ والمقصود منطقة قناة البصرة .

٢ كان عبيد الله بن سليمان وزيراً للمعتمد (٢٥٦ – ٢٧٩ هـ) منذ سنة ٢٧٧ هـ . فلما جاء المعتضد إلى الخلافة استمر عبيد الله بن سليمان في الوزارة .

أموالاً كثيرةً فقد فوّضه القاسمُ بأن يَقْبَلَ رِقاعَ أصحابَ الحاجات في الدولة ويُساومهم على إنجازها (وكان الوزير) يُكْرِمه بإنجازها (مما يدلّ على أنّ الفسادَ والرّشوة في إدارات الدولة داءٌ قديم مزمن) . ولمّا تُوُفّيَ القاسمُ بن عبيد الله ، سنة ٢٩١ هـ ، كان الزجّاج قد جَمَعَ بوَساطته مَبْلَغاً يزيد على أربعين ألفَ دينارٍ .

وكانت وفاة الزجّاج في جُمادى الثانية سنة ٣١١ هـ (٩٢٣ م) في الأغلب .

كان الزجّاج حَسَنَ العِلْمِ بالنحو ضعيف العلم باللغة (معجم الأدباء ١ : ١٥٠) . وكان له شعرٌ . ومصنّفاته كثيرة منها : كتاب معاني القرآن (أو إعراب القرآن ومعانيه) [١] ، الإبانة والتفهيم عن بسم الله الرحمن الرحيم ، كتاب خَلْق الإنسان ، كتاب خلق الفرس ، كتاب الفَرْق ، كتاب النوادر ، كتاب العَروض ، كتاب القوافي ، كتاب مختصر النحو ، كتاب فَعَلْتُ وأفعلتُ ، كتاب ما ينصرفُ وما لا ينصرف ، كتاب شرح أبياتِ سيبويه .

— اعراب القرآن المنسوب إلى الزجّاج (تحقيق ابراهيم الابياري) ، القاهرة (الهيئة العامّة لشؤون المطابع الأميرية) ١٩٦٣ م .

رسائل في اللغة (نشرها ابراهيم السامرّائي) ، بغداد (مطبعة الارشاد) ١٩٦٤ م .

•• الفهرست ٦٠ — ٦١ ؛ طبقات الزبيدي ١٢١ — ١٢٢ ؛ تاريخ بغداد ٦ : ٨٩ — ٩٥ ؛ معجم الأدباء ١ : ١٣٠ — ١٥١ ؛ وفيات الأعيان ١ : ١٨ — ١٩ ؛ إنباه الرواة ١ : ١٥٩ — ١٦١ ؛ بغية الوعاة ١٧٩ — ١٨٠ ؛ شذرات الذهب ٢ : ٢٥٩ — ٢٦٠ ؛ بروكلمان ١ : ١١١ — ١١٢ ، الملحق ١ : ١٧٠ ؛ زيدان ٢ : ٢١٠ .

أبو عثمان الناجم

١ — هو أبو عثمان سَعْدُ بنُ شَدّادٍ السمّعي [٢] المعروف بالناجمِ ، من

١ بدأ الزجاج باملاء هذا الكتاب في صفر ٢٨٥ (آذار — مارس ٨٩٨ م) وأتمه في ربيع الأول ٣٠١ هـ (تشرين الأول — أكتوبر ٩١٣ م) .

٢ في القاموس (٣ : ٤١) : السمع (بفتح ففتح أو بكسر ففتح) هو السمع بن مالك بن زيد بن سهل أبوقبيلة من حمير (اليمن) .

أهلِ بغدادَ ، كان بينَه وبينَ ابنِ الروميّ صُحبةٌ ومودّة ومُخاطبات . وكانت وَفاتُه سنة ٣١٤ هـ (٩٢٦ م) .

٢ — كان الناجمُ أديباً فاضلاً وشاعراً مُجيداً حلوَ الكلامِ متينَ التركيبِ ، ومن فُنونهِ النسيبُ والوصف والهجاء . وكان راويةً لابنِ الروميّ .

٣ — المختار من شعره

— قال في وصف الشَدْوِ (الغناء) :

شَدْوٌ ألذُّ مِنَ ابتدا ءِ العَيْنِ في إغفائِها ،
أحلى وأشهى من مُنَى نَفْسٍ ونَيْلِ رَجائها .

— وقال في النسيب :

لئِنْ كانَ عَنْ عَيْنَيَّ أحمَدُ غائباً ، فما هُوَ عن عينِ الضمير بغائبِ .
له صورةٌ في القلب لم تُقْصِها النّوى ولم تَتَخَطّفْها أكُفُّ النّوائب .

٤ — •• معجم الأدباء ١١ : ١٩٣ — ١٩٤ ؛ فوات الوفيات ١ : ٢١٧ — ٢١٨ .

الاخفش الاصغر

هو أبو الحسنِ عليّ بنُ سُلَيْمانَ بنُ الفَضْلِ (المُفَضّلِ) المعروف بالأخفش الأصغرِ أو الصغير ، يبدو أن مَوْلِدَه كان في سنة ٢٣٥ هـ (٨٥٠م) .

روى الاخفشُ الأصغرُ عن أبي العبّاس المُبَرّدِ وأبي العبّاس ثعلبٍ وعن ابي العيناء الضريرِ (ت ٢٨٣ هـ) .

كان الأخفشُ الأصغرُ ضيّقَ الرزق جداً ، وكانت بَيْنَه وبينَ ابنِ الرومي الشاعر منافسةٌ تحوّلتْ عداوةً فكان ابن الروميّ يهجوه هجاء مُرّاً مُقْذِعاً ثم رَضِيَ عنه ومدحه .

جاء الأخفش الأصغر إلى مِصْرَ سنة ٢٨٧ هـ (٩٠٠ م) ثم غادرَها سَنة ٣٠٠ هـ (٩١٢ م) إلى حلَبَ . ومِنْ حلبَ عاد ، سنة ٣٠٥ هـ ، إلى بغدادَ حيثُ

تُوُفّـيَ فَجأةً في شَعبانَ سنة ٣١٥ هـ (تشرين الأوّل – أكتوبر ٩٢٧ م) في الأغلب .

كان الأخفشُ الأصغر عالِماً ثِقَةً ، ولكنّه لم يكنْ كثيرَ الرِواية لِلّغة ولا واسعَ الرِواية في الشِعرِ . وقد كانت له تعاليقُ على كتاب الكامل للمبرّد وكتاب النوادر لأبي زيدٍ الأنصاريّ وشيءٌ من الشَرْحِ على كتاب سيبوَيْه وشيءٌ من الأمالي عامّةً . وذكروا له كِتاب الأنواء وكتاب التثْنية والجمع .

– •• الفهرست ٨٣ ؛ تاريخ بغداد ١٢ : ٤٣٣ ؛ طبقات الزبيدي ١٢٥ – ١٢٧ ؛ معجم الأدباء ١٣ : ٢٤٦ – ٢٥٧ ؛ وفيات الأعيان ٢ : ٧ – ٨ ؛ إنباه الرواة ٢ : ٢٧٦ – ٢٧٨ ؛ بغية الوعاة ٢٣٨ ؛ شذرات الذهب ٢ : ٢٧٠ ؛ بروكلمان ١ : ١٣٠ ، الملحق ١ : ١٨٩ .
Enc . Isl . (new ed) I 321 .

ابن العلاّف

١ – هو أبو بكرٍ الحسنُ بنُ عليّ بنِ أحمدَ بن بشّار بن زيادٍ المعروف بابن العَلاّفِ من أهل النَهْروان ، وهي بُلَيْدَة قديمة قُرْبَ بغدادَ [1] . ويقال إن أباه كان يَبيع القَتّ [2] في قنطرة بَرَدانَ [3] ، وبذلك سُمّـيَ ابنَ العَلاّف (ابنَ بائعِ العَلَفِ) . وكان ابن العلاّف أعمَى (وفيات الاعيان ١ : ٢٤٥) أو مُصاباً بعينٍ واحدةٍ (طبقات ابن المعتزّ ٣٥٩) . ويبدو أنه عاش قسماً كبيراً من حياته في بغداد فنادم المُعتَضِدَ (٢٧٩ – ٢٨٩ هـ) ، وكان صديقاً لعبدِ الله بن المعتزّ (قتل ٢٩٦ هـ) ولأبي الحسنِ عليِّ بنِ محمّد

---

١ وفيات الأعيان ١ : ٢٤٨ . والنهروان اسم لثلاث قرى على مسافات مختلفة بين واسط وبغداد (راجع القاموس ٢ : ١٥٠) .
٢ نبات عشبي ذكرته القواميس العربية باسمه الفارسي (أسفست أو اسبست) وباسم عربي آخر هو الفصفصة (بكسر الفائين) . والعامة في الشام يقولون فصة (بالضم) وفي مصر يقولون برسيم .
٣ طبقات ابن المعتز ٣٥٩ . البردان قرية قرب بغداد (القاموس ١ : ٢٧٧) .

ابن الفُراتِ الذي وَزَرَ للخليفةِ المقتدرِ في فتَرات مختلفةٍ بينَ سنة ٢٩٦ هـ (٩٠٩ م) وبين مقتله (٣١٢ هـ = ٩٢٤ م).

وتوفي ابن العلاّف سنة ٣١٨ هـ (٩٣٠ م) أو ٣١٩ هـ، في بغداد في الأغلب، وقد قاربت سنه المائة.

٢ – ابنُ العَلاّف مُحَدِّثٌ وراويةٌ للشعر وشاعرٌ مُكثرٌ عدّه ابن المعتزّ (طبقات ٣٦٠) من المُجيدين. غيرَ أنّ على شِعره شيئاً من التكلّف والصّنعة ومن جَفاف شعرِ العلماء. وشعرُه يدور على المدح والرثاء والغزل والأغراض الوُجدانية. وفي شعره أيضاً رَمْزٌ ومَرَحٌ: كان له هِرٌّ يأنَسُ به. وكان هذا الهر يذهب إلى أبراج الحَمام عند جيرانهِ فيأكلُ من الحَمام. فأمسكه أصحاب الحمامِ وقتلوه. فحَزِنَ ابن العلاّف على هِره ورثاه بقصيدةٍ بارعة أبياتُها خمسةٌ وستون؛ وقيل بل رَمزَ بهذه القصيدةِ إلى رثاء عبدِ الله بن المعتزّ. وقيل إنما كنّى بالهرِ عن المُحَسِّنِ بن الفُرات (ابن الوزير علي بن محمّد ابن الفرات) في أيام محنَتِه؛ وقيل بل كانتْ لعلي بن عيسى بن الجرّاح وزيرِ المُقتدر جاريةٌ هَوِيَتْ غلاماً لابن العَلاّفِ ثم فُطِنَ لهما فقُتِلا كلاهما، فهذه القصيدة فيهما. والصفدي يرى أنها في هِرٍّ حقيقة (نكت الهميان ١٤٢).

٣ – المختار من شعره

– قال ابن العلاّف يرثي هراً كان عنده:

يا هِرُّ، فارقتَنا ولم تَعُدِ ،	وكنتَ منا بمنزل الوَلَدِ .
فكيف نَنْفكّ عن هواك وقد	كنت لنا عُدّةً من العُدَدِ:
تطرد عنّا الأذى وتحرُسُنا	بالغيب من حيّة ومن جُرَدِ[1]
يلقاك في البيت منهمُ مَدَدٌ ،	وأنت تلقاهمُ بلا مددِ .
لا ترْهبُ الصيف عند هاجرةٍ	ولا تَهاب الشتاء في الجَمَدِ .
وكان يجري – ولا سَداد لهم –	أمرُك في بيتنا على سَدَدِ[2] .

---

[1] بالغيب: عند غيابنا (عن البيت). جرد (خطأ عامي، والمقصود جرذ واحد الجرذان).

[2] السداد والسدد بمعنى واحد: الصواب والتوفيق.

حتى اعتقدتَ الأذى لجيراننا ،   ولم تكن للأذى بمُعْتَقد [1] !
وحُمتَ حول الردى بظلمهمُ ،   ومن يَحُمْ حول حوضه يَرِد [2] .
تدخل برجَ الحمام مُتّئداً ،   وتبلعُ الفرْخ غيرَ متئد [3] .
أطعمكَ الغيّ لحمَها ، فرأى   قتلكَ أربابُها من الرَّشَد .
عاقبة الظلم لا تنام ؛ وان   تأخّرت مُدّةً من المدد .
أردتَ أن تأكلَ الفراخَ ولا   يأكلَك الدهرُ أكلَ مُضْطهَد .
هذا بعيد من القياس ، وما   أعزَّه في الدُنُوّ والبَعَد [4] .
لا بارك الله في الطعام ، إذا   كان هلاكُ النفوس في المِعَد !

– وقال في المدح :

يتلقّى النّدى بوجه حَييٍّ ،   وصدورَ القنا بوجه وَقاحِ [5] .
هكذا هكذا تكون المعالي ؛   طُرُقُ الجِدّ غير طُرْق المُزاح !

– وقال في النسيب :

أداري بضِحكي عن هواك ، وربما   سَهِرتُ فتُبدي ما أجِنّ المدامع [6] .
وأمنع طَرْفي ، وهو ظمآنُ ، وِرْدَه   وأُخفي الذي تحنو عليه الاضالع [7] .

---

١ – حتى تعودت ايذاء جيراننا بأكل حمامهم ، ولم تكن تقصد الايذاء لهم لأن أكل الحمام سبيل من سبل معاشك .
٢ – تعرضت للموت ظلماً منهم (لأنهم لم يستطيعوا أن يفهموا وجهة نظرك في أكل حمامهم) . ومن يقترب من حوض الموت يرد (يشرب منه : يمت) .
٣ متئد : على مهل .
٤ أردت أن تقتل فراخ الحمام (لتأكلها) ولم تحسب حساب الدهر الذي يترصدك بالقتل (انتقاماً أو نفاداً لعمرك) . وهذا أمر مخالف للقياس المنطقي والفقهي ؛ وإذا جاز (بقاء الذنب بلا عقاب) ، قليلا أو كثيراً فإن هذا الجواز أمر عزيز (نادر) .
٥ يدفع المال على حياء منه (لأنه يرى دائماً قلة ما يعطي) ، ويخوض الحرب بوجه رجل وقاح (صبور على ركوب الخيل شديد على العدو) .
٦ أجن : أخفي ، أكتم (من حبك) .
٧ أمنع عيني أن تنظر اليه ، مع أنها مشتاقة إلى رؤيته . تحنو (الاصوب : تحنى بالبناء للمجهول) عليه الاضالع : هواك وحبي لك .

عَجِبتُ لطرفي كيف يبقى على الهوى ، ولیس لقلبي من ضميرك شافع .
أذوب وأبلَى من رَسيس هواكمُ ، وتسهر عيني والعيونُ هواجع .

٤ — ٥ تاريخ بغداد ٣ : ٣٧٩ ؛ وفيات الأعيان ١ : ٢٤٥ —٢٤٨ ؛ نكت الهميان ١٣٩ — ١٤٢ ؛ شذرات الذهب ٢ : ٢٧٧ — ٢٧٩ ؛ بروكلمان ١ : ٨٠ — ٨١ ؛ زيدان ٢ : ١٩٠ — ١٩١ .

٣ - تجزؤ الخلافة
والعودة إلى الخصائص القديمة

يمتد هذا العصر من أواسط القرن الثالث إلى أواسط القرن الخامس للهجرة (نحو ٨٥٠ – ١٠٥٠ للميلاد)؛ ولكنّ الحقبة الأساسية فيه هي القرن الرابع الهجري (٩١٠ – ١٠١٠ م).

الخلافة

كان الخلفاء العبّاسيون قد خسروا نفوذهم كلّه منذ الثلث الثاني من القرن الثالث ثمّ أصبحت الخلافة اسماً لغير مسمّى، مع أن نفراً من الخلفاء كانوا قد حكموا مدداً طوالاً كالمطيع (٣٣٤ – ٣٦٣ هـ) والقادر (٣٦٣ – ٣٨١ هـ) والقائم (٣٨١ – ٤٢٢ هـ) في فترة متّصلة. ويبدو أن الخلفاء أنفسهم لم يكونوا من الناحية المادّية في حال غير حسنة بل كانوا في أكثر الأحيان مترفين متنعّمين، قيل إنّه كان في دار الخليفة المقتدر (٢٩٥ – ٣٢٠ هـ) أحد عشر ألف خادم من الروم والسودان، وكانت خزانة الجواهر في أيامه مترعة بالجواهر النفيسة .... ففرّق ذلك جميعه وأتلفه في أيسر مدّة (الفخري ١٩١ هـ).

على أن الحالة النفسية في الخلفاء كانت سيئة، فان المقتدر خلع وأعيد إلى الخلافة بضع مرّات؛ ومن ذلك مثلاً أن عبد الله بن المعتزّ بويع في أيام المقتدر يوماً واحداً (سنة ٢٩٦ هـ) ثمّ خلع وقتل. ثمّ قتل المقتدر وقطع رأسه.

وكذلك سُمِلَتْ عَيْنا المُتّقي وقُتِل (سنة ٣٣٣ هـ) . ثم سُمِلَتْ عَيْنا المُستكفي أيضاً واعْتُقِل فمات في معتقَلِه مقتولاً (سنة ٣٣٤ هـ) ، كما قُتِل نفرٌ من الخلفاء بعد ذلك . ولم يكنِ الوزراءُ أحسنَ حالاً في ذلك من الخلفاء .

تجزّؤ بلاد الخلافة

بدأ تساقُطُ المُقاطعات من الخلافة العبّاسيّة منذ قامتِ الدولة العبّاسيّة . غير أن الدُويلاتِ الأولى التي قامت في المشرق والمغرب لم تكن مُعاديَـةً للعبّاسيين في بغداد : كان بعضُها يحكم المقاطعات باسم الخلافة العبّاسية كالدولة الأغلبيّة في تونُسَ ، تلكِ الدولة التي قامت على اتّفاق بين ابراهيمَ بنِ الأغلبِ وبين الخليفةِ هرونَ الرشيدِ ، سَنَةَ ١٨٤ هـ (٨٠٠ م) . ومعَ أنّ عبدَالرحمن ابنَ مُعاويةَ المعروف باسم عبدِ الرحمنِ الداخلِ قد قَطَعَ الأندلس كلّها عن سُلطان بغدادَ (١٣٨ هـ = ٧٥٥ م) ، بعد قيام الدولةِ العبّاسية بستِّ سَنَوات ، ثمّ أنشأ فيها دولة أمَويّة مستقلّة ، فانّه لم يُعادِ العبّاسيّين . وقريبٌ من ذلك كان شأنُ الدولة الإدريسيّة التي أنشأها إدريسُ بنُ الحسن في المغرب الأقصى ، سَنَةَ ١٧٢ هـ (٧٨٩ م) . أما أحمدُ بن طولونَ فانّه بدأ والياً على مصْرَ في خلافة المعتزّ بالله (٢٥٢ ـ ٢٥٥ هـ) . فلمّا غزا الرُومُ بلادَ الشام سار أحمد من مصر ليَرُدّ الرومَ عن بلاد الخلافة فهزَمَهم وردّهم إلى مـا وراء الإسكندرونة ، (سنة ٢٦٤ هـ) . ثمّ انّه رأى الخلفاء العبّاسيّين عاجزين عنِ الدفاع عن الشام وعن مِصْرَ أيضاً فأقام فيهما دولة مستقلّة ليس فيها عداء للعبّاسيّين .

ولم تكنِ الحال في المشرق بعيدة عن ذلك كثيراً فانّ المـأمون لمّا عاد من مَرْوَ إلى بَغدادَ (٢٠٤ هـ = ٨١٩ م) ترك أحدَ قُوّادِه طاهرَ بنَ الحسين والياً على خُراسان وما وراءها ، فاستعان طاهرٌ بنَفَرٍ من أتباعـه على حكم بـلاد ما وراءِ النهر وبعض بلاد خُراسانَ نفسها . ومع الأيّام أصبحت الدولـة الطاهرية مستقلّة في خراسان عن بغدادَ كما أصبحت الدولة السامانيّة في ما وراء النهر (نهر جيْحونَ) مستقلّة عن بغدادَ أيضاً ، ولكن من غير عداء بينهما وبين العبّاسيّين .

منصب أمير الأمراء

في أثناء هذا الضَعْف البالغ ، وفي اواخر خلافة المقتدر (٢٩٥ – ٣٢٠ هـ) برز شخصٌ خَصِيّ من موالي العبّاسيّين اسْمُهُ مُؤْنِسٌ الخادمُ . كان مؤنسٌ من قبلُ رئيساً للشُرطة في بغدادَ ثمّ نُفِيَ عنها إلى مكّة . ثمّ إنّه تمكّن من العَوْدة إلى بغدادَ وفرَضَ سُلْطانه على الخليفة المقتدر وتلقّب بلَقَبِ أميرِ الأمراء (الحاكم العسكري وقائد الجيوش) وتسمّى مؤنساً المُظَفَّرَ ، وذلك في أول سنة ٣١٧ هـ (٩٢٩ م) واستبدّ بأمر الخليفة والخلافة . وثار النِزاعُ بين الخليفةِ المقتدرِ وبين أميرِ الأمراء مؤنسِ المظفّرِ فسَقَطَ المقتدر قتيلاً في إحدى المعارِك بينهما (٣٢٠ هـ) .

على أنّ ثَمّتَ دُوَلاً تساقطت من الخلافة العبّاسيّة ثمّ كان لها أثرٌ كبير في الحياة السياسيّة والاجتماعية والأدبيّة :

أ – **الدولة الإخشيديّة** التي أسّسها محمّدُ بن طُغْجٍ في مدينة الفُسطاط (مِصْرَ) ، شرقَ القاهرة اليوم . كان محمّد بن طُغْجٍ قد تولّى على مِصْر ، سنة ٣٢١ هـ (٩٣٣ م) ثمّ استبدّ بها سنة ٣٢٦ هـ وبَسَطَ نفوذَه على الشام كلّها ، بما فيها فِلَسْطِينُ ، وعلى الحجاز ؛ فلمّا تُوُفّي ترك طِفْلين صغيرين كان أستاذُهما والقَيّمُ عليهما عبداً نُوبِيّاً أسودَ اسْمُهُ أبو المِسْك كافورٌ ، فاستبدّ كافورٌ بالمُلْك دونهما .

ب – **الدولة الحمدانيّة** التي أسّسها في المَوْصِل (شَماليّ العِراق) ناصرُ الدولة أبو محمّد الحسنُ بن حَمْدانَ (٣١٧ هـ = ٩٢٩ م) . وفي سنة ٣٣٣ هـ (٩٤٥ م) سار أبو الحسن عليّ بن حَمدانَ أخو ناصرِ الدولة على الشام وانتزع مدينة حَلَبَ من أيدي الإخشيديّين وأقام فيها دولة من أزهى الدُوَيلات في تاريخ العرب الأدبيّ والحَرْبي . إن عليَّ بنَ حَمدانَ المعروفَ بلقب **سيفِ الدولة** قد دافع عن الخلافة الإسلامية وقاتل الروم وهزمهم في معارِكَ كثارٍ كما أنشأ في حَلَبَ بَلاطاً جَمَعَ من الأدباء والشُعراء والعلماء ما لم يجتمعْ مِثْلُهُ إلا في بلاط هرونَ الرشيدِ في بغدادَ ، نَعُدّ من هؤلاء المتنبّيَ وأبا فراسٍ وأبا الفرجِ الأصفهانيّ والثعالبيّ وابنَ خالوية والفارابيّ . وقد كان سيفُ الدولة

نفسُه أديباً شاعراً مُحبّاً للعلم وللأدب .

على أن الدولة الحمدانية في حلبَ كانت مُعادية للدولة الإخشيدية في مِصْرَ ، وكانت الدولتان تتنازعان على أواسط الشام : مَرّةً يَمْتَدّ مُلْكُ الحمدانيّين إلى دِمَشْقَ جَنوباً ومرّة يتراجع إلى قُرْبِ حِمْصَ شَمالاً .

ج ــ الدولة البويهيّة

في ذلك الحين كان ثلاثةُ إخوة من آل بُوَيْهِ الفرسِ قد تقلّبوا في جيوش الدُّويلات في المشرق حتّى تمكّن أحدهم عِمادُ الدولة أبو الحسن عليّ بن بويه من متازعة مَرْداويج بن زِيار وإقامة دولة في فارس ، سنة ٣٢٠ هـ ، هي الدولة البويهية . ووسّع بنو بويه مُلْكَهم وتقسّموا الحكمَ على المقاطعات ؛ ثمّ غلا طموح أحدهم ، مُعزِّ الدولة أحمدَ ، فسار إلى بغدادَ ووصل اليها في جُمادى الثانية من سنة ٣٣٤ هـ (أول شهور سنة ٩٤٦ م) واتّخذ لقب أمير الأمراء ثمّ خلَعَ الخليفةَ المُسْتكفيَ وسَمَلَ عينيه واعتقله إلى أن تُوُفّي بعد أمد .

واتّخذ بنو بويه (عِماد الدولة وركن الدولة ومعزّ الدولة) بلاطات في حواضرهم وأظهروا الترفَ وشجّعوا الأدبَ ، كما شجّعوا جماعة إخوان الصفا . وكان البويهيون شيعيّي الهوى يُمالئون الفاطميين في مصر على العبّاسيّين في بغداد .

وامتدّ سُلطانُ بني بُوَيْهِ في فارسَ والعراقِ ، وقد ضمّ بنو بُوَيْهِ إلى دولتِهم دولةَ بني حمدانَ في المَوْصل (٣٧١ هـ = ٩٨١ م) . ولكنّ النزاعَ بين الحمدانيّين والبويهيّين لم يهدأ .

الفاطميّون والدولة الفاطمية

كان لجعفرِ الصادقِ ، السادسِ من أئمةِ الشيعة ، ابْنانِ : إسماعيلُ ، وهو بِكْرُهُ ، ثم موسى . ولم يكنْ إسماعيلُ مَرْضِيَّ السلوكِ في الحياةِ فخلَعَه أبوه من الإمامة وجعَلَها لموسى المعروفِ باسم موسى الكاظِمِ ، وكان يُدْعى العَبْدَ الصالحَ . ثم تُوُفّيَ إسماعيلُ ، سنةَ ١٤٣ هـ (٧٦٠ ــ ٧٦١ م) ، قبل أبيهِ جعفرٍ (ت ١٤٨ هـ = ٧٦٥ م) .

بعدَ وفاةِ جعفرِ الصادقِ افترقَ الشيعةُ فرقتينِ واضحتينِ :

(١) فرقاً يتألفُ من الكثرة من الشيعة الذين قبلوا عملَ جعفرِ الصادقِ وساقوا الإمامة في موسى الكاظمِ ونسله ، وهؤلاء يسمَّونَ الشيعةَ الجعفريةَ أو الإمامية أو الاثنيْ عشريةَ أو « الشيعةَ » باطلاقٍ . والخلافُ بين الشيعة الجعفرية وبين أهل السنَّة قليلٌ جداً .

(٢) فرقاً يتألف من قلةٍ من الشيعة خالفوا عمَل جعفرِ الصادق وظلّوا يعتقدون باستمرارِ إمامة إسماعيلَ ، وحجتهم في ذلك :

– أنّ الإمامةَ حقٌ منصوصٌ عليه للأكبر من أولادِ الإمام ، فليسَ من حقِ جعفرٍ أن ينقلُ الإمامة من صاحبِها .

– أنّ سلوكَ إسماعيلَ الخارجَ على المألوف لا يبرّر حرمانه من الإمامة ، فالإمام في الأصل « معصومٌ » فإذا اتفق أن فعَل فعلاً على غير مقتضى المألوف بين البشرِ فلا يؤاخَذُ عليه لأنه أعلى طبقةً من البشر ، ثم إنّه إمامٌ يُشرِّعُ للبشر وليس عليه أنْ يخضعَ لما يفرضُه عليهم .

ثمّ ساق هؤلاءَ الإمامةَ إلى محمّد بن إسماعيل . وقد عُرِفَ هؤلاء في التاريخ باسم الشيعة السبعية لأنهمُ اكتفَوْا من الأئمة الأولين بسبعةٍ فقط [١] . وهم يسمّونَ أنفسهم الاسماعيليةَ ، نسبةً إلى إسماعيل بنِ جعفرٍ ، أو الفاطميين نسبةً إلى فاطمةَ بنتِ محمّدٍ .

ولقيَ الشيعةُ الإسماعيلية أو السبعية اضطهاداً كبيراً لأنهم كانوا قلةً فعمَدوا إلى « ستْرِ » الدعوة إلى مذهبهم فكانوا ينشُرون المذهب الفاطميَ سراً بينَ الأفراد والجماعات القليلةِ العددِ ، ثمّ عدوا الحقبةَ التي بدأت بعدَ وفاة محمّدِ بنِ إسماعيلَ (١٩٨ ه = ٨١٤ م) « دوْرَ السترِ » ولم يشتهروا أسماءَ أئمتهم في هذا الدور . وإن كان قد قيلَ بعدَ ذلك أن هؤلاء الأئمة المستورين كانوا عبدَ الله بنَ محمدِ بنَ اسماعيلَ ، فأحمدَ بنَ عبدِ الله بنِ محمّدٍ ، ثم الحسينَ بنَ أحمدَ بنِ عبدِ الله . على ان الغموض والشكَ يعتوِران هؤلاء

١ الأئمة السبعة الأولون هم: علي بن أبي طالب وابناه الحسن والحسين ثم يأتي من نسل الحسين : محمد الباقر فجعفر الصادق فاسماعيل .

الأئمةَ في حياتهم العامةِ وفي صِحةِ نَسَبِهم أيضاً .

د ـ الدولة الفاطمية

نَشطَتِ الدعوة الفاطمية في النصف الثاني من القرن الثالث للهجرة ، ثم استطاع عُبيدُ الله المَهْديّ أن يؤسّس **الدولة الفاطمية** (الشيعية) في المغرب الأدنى (٢٩٦ هـ = ٩٠٩ م) واتخذ بلدة رَقّادة ، إحدى ضواحي القَيْروان ، جَنوب مدينة تونس ، عاصمة له وقضى على دولة بني الأغلب . ثم بسطت الدولة الفاطمية نفوذها على شَماليّ إفريقية وعلى مالطة وصِقِلّية وسَردانيـة وكورسيكا .

وفي أيام المُعزّ لدين الله ، رابع أئمّة الدولة الفاطمية ، استطاع القـائد جوهرٌ الصِقِلّيّ أن يفتح مصر باسم الفاطميين (٣٥٨ هـ = ٩٦٩ م) وأن يَقْضِيَ على الدولة الإخشيدية . وبنى الفاطميون القاهرة عاصمة لهم والجامع الازهر (نسبة إلى فاطمة الزهراء : البيضاء) مركزاً لدعوتهم . وسَرْعانَ ما امتدّ نفوذ الفاطميين إلى الحجاز والشام فاصطدموا بالحمدانيين وانتزعوا حلب (٣٩٤ هـ = ١٠٠٣ م) من أبي الفضائل سعيد الدولة ، حفيد سيف الدولة .

وبنى الحاكمُ بأمر الله ، سادسُ الخلفاء الفاطميين ، دارَ الحِكمة أو دار العلم (٣٩٦ هـ = ١٠٠٥ م) على مِثال بيت الحكمة في بغداد . ثم احتجب الحاكمُ ، سنة ٤١١ هـ (١٠٢١ م) ، قيل قتلته أخت له .

وأعظم ما يَتّصل بإمامة الحاكم نشوءُ **المذهب الدّرزي** . ويرى الدروز أن بابَ الدعوة إلى المذهب أُغلِقَ بموت الحاكم ، فجميعُ الدروز اليـوم ينتسبون إلى أسلافِهم الذين كانوا قد قَبِلوا الدعوةَ الدرزية قبل احتجاب الحاكم بأمر الله .

ويزعم المؤرّخون الافرنج أن سياسة الفاطميين القاسية على الحُجّاج النصارى إلى بيتِ المقدس كانتِ السببَ في حَمَلات الصليبيين على المشرق .

وظلّت الدولة الفاطمية متبسّطة في الأرض ومنازِعة للخلافة العباسية في بغدادَ وللدولة المروانية في قُرطبة حتى قضى عليها الأيوبيون .

وفي الجانب السياسي للحركات العلويّة عامة وللدعوة الفاطمية خاصّة أمرٌ جدير بالاعتبار : لا ريبَ في أن أهل أهواءٍ مختلفة قد استغلّوا العاطفة الدينية في العلويّين وحاولوا من خِلالها الوصول إلى تَهديم الدولة الإسلامية وإلى إضعاف الإسلام نفسه في بعض الأحيان . وإذا كان الخلفاء الفاطميّون صادقين مخلصين في اتجاههم السياسي ، فان القوى المحركة وراءهم كانت بعيدة عن المذهب العلويّ وعن الإسلام كلّه أحياناً .

ممّا يَلْفِتُ النظرَ أن نَفَراً كثيرين من رجال الدولة الفاطمية ، من الوزراء ومن القائمين بالمصالح الاداريّة ، كانوا غير فاطميّين وغير عَلَويّين وغير مسلمين . لأن كثيرين منهم كانوا يهوداً أو نَصارى من الذين بَقُوا على دينهم أو من الذين اعتنقوا الإسلامَ رِياءَ الناس . ولقد كان معاصرو هؤلاء ينظرون إلى إدارة الدولة الفاطمية هذه النظْرة .

ولقد كان من المنتظر في هذه الحال أن تَعْلُوَ مكانةَ اليهود والنصارى في الدولة والمجتمع وأن تنخفض مكانة المسلمين على نِسْبة ذلك ، والدلائل على ذلك كثيرة جداً ، يكفينا منها هنا قول أحد الشعراء في ذلك :

يهودُ هذا الزمانِ قد بَلَغوا غـايةَ آمالِهم وقد مَلَكوا .
العِزّ فيهم ، والمالُ عندهُمُ ، ومنهـم المستشارُ والمَلِك .
يا أهلَ مِصْرَ ، إنّي نَصَحْتُ لكم :
تَهَوّدوا ، قـد تَهَوّدَ الفَلَك [1] !

ومن الحركاتِ الفاطمية المتطرفة حركةُ **القرامطة** التي بدأها في سنة ٢٧٧ هـ (٨٩٠ م) داعية اسماعيلي من أهل الكوفة اسمه حَمْدانُ قُرْمُط . اتسعت هذه الحركة في بادية الشام وفي شرقي شبه جزيرة العرب ، ثم كَثُرَ عَيْثُ القرامطة في أيام رئيسهم أبي طاهرٍ سليمانَ (٣٠١ – ٣٣٢ هـ) الذي قطع طريق الحاجّ ونزع الحجر الاسود من الكعبة وحمله معه إلى عاصمته الأحساء (شرقي شبه جزيرة العرب) . ولكن ابنه سابورٌ ردّ الحجر الاسود إلى مكانه سنة ٣٣٩ هـ (٩٥١ م) ، في أيام الخليفة المطيع .

---

١ كان الحاكم بأمر الله يريد ان ينقذ الدولة الفاطمية من نفوذ اليهود الهدام ويقوم فيها باصلاح صحيح . وكان ذلك سبباً من اسباب الحملة عليه في حياته وبعد احتجابه .

٥ ـ الدولة المرداسيّة

في سنة ٤١٤ هـ (١٠٢٣ م) استطاع أمير بَدْوي اسمه صالحُ بن مِرْداس أن ينتزع حَلَبَ من الفاطميين وأن يؤسس فيها الدولة المرداسية . وقد امتد نفوذ المرداسيين إلى بَعْلَبَكّ جنوباً وإلى الفُرات شرقاً . ولكنّ النزاعَ استمرّ بين المرداسيين والفاطميين . واستفاد شرفُ الدولة الحمداني صاحبُ المَوْصِل من هذا النزاع فحاصر حلبَ وفتحها (٤٧٣ هـ = ١٠٨٠ م) واستنقذها من الفاطميين والمرداسيين معاً .

الجانب الاجتماعي

كان القرن الهجريّ الرابع (٩١٢ ـ ١٠١٠ م) عصراً بارزاً جداً في حياة العرب والمسلمين في كلّ جانب . وقد كان أثرُ الدولة البُوَيْهيّة فيه شديداً جداً ، لأن البويهيين وصلوا تاريخَهم بتاريخ الخِلافة العبّاسيّة صِلَةً وثيقة ؛ ولم يكن لسائر الدول في ذلك العصر مثلُ تلك الصلة .

ومع أن البويهيّين قد استَوْلَوْا على الأقطار بالقوّة والحَرْب ثمّ أقرّوا نفوذَهم في العراق وفي بغدادَ نفسِها فانّهم لم يُزيلوا الخلافة العبّاسية بل تركوها آلةً في أيديهم يحكُمون مكانَها فعلاً ويجعلون لها السُلطةَ الاسْمية الظاهرةَ في كلّ شيء . وقد كان ذلك أكثرَ تثبيتاً لسُلطتهم مما لو أنهم كانوا قد أزالوا الخلافة وتَسَمَّوْا بألقابها وحكموا مباشرة .

ونشر بنو بويه الإقطاع في العراق .

آثر بنو بُوَيْه أن تَصِلَ إليهم أموالُ الجِباية من أيسرِ السُبُلِ فكانوا يُقْطِعون الأرضَ والمناصبَ لمن يدفع لهم مبلغاً مقطوعاً مُعيّناً في كلّ عام . وإذا كان الوزير يأتي إلى مَنْصِبه من هذه الطريق في أحيانٍ كثيرة ، فانّه كان يَسْلُكُ في تَوْلِيَةِ أعمال الدولة مثلَ هذا المسلك . وقد يُعيّن الوزيرُ عاملاً (جابياً للأموال) ويستَوْفي منه مبلغاً مقدّماً ، ثمّ بَعْدَ أمدٍ طويل أو قصير يُعيّن عاملاً آخرَ مكانَ العاملِ الاول ويستوفي منه مبلغاً جديداً .

واتّسع هذا النظام الفاسِد حتّى شَمِلَ الحِسْبةَ [1] والقضاء .

---

[1] الحسبة : منصب مراقبة الاخلاق والاسعار في الاسواق والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ومساعدة الضعفاء والعاجزين . ومتولي هذا المنصب يسمى المحتسب (بضم الميم وكسر السين) .

وكَثُرَت الأجناس والجماعات في هذا العصر وخصوصاً في العراق . وليس معنى ذلك أن هذه الأجناسَ لم تكن موجودةً من قبلُ ، ولكنّ معناه أن هذه الاجناسَ والجماعاتِ أخذتْ تتكتّلُ وتتراصُّ وتنازعُ غيرَهـا : كانت هذه الجماعات من العربِ والكُرد والفُرس والتُرْك والزَّنج والآراميين والروم . وتَبَدّى خطرُ هذه الجماعاتِ في اختلافها في المذاهب والآراء وفي تنازُعها على ذلك الاختلاف ، وخصوصاً بعد أن ضَعُفَتْ سلطةُ الخلافة المُسْلمة السَّنّية وعَمِلَ بنو بُوَيْهِ على تشجيعِ الحركاتِ المناهضة لأهل السُنّة والجَماعة ظاهراً وباطناً . وكثيراً ما قاد هذا النزاع إلى فِتَنٍ وقتالٍ في الشوارع بين السُنّة والشيعة أو بين أتباعِ المذاهب السنّيّة أنفسِهم .

وإلى جانب هذا النزاع المذهبيّ كان ثَمّتَ نِزاعٌ فِكْريّ — وان لم يَتَخْرُجْ إلى قتالٍ ظاهر — بين المسلمين وبين النصارى والمَجوسِ والبوذيّين ، وكان هؤلاء يُريدون أن يحاربوا السلطة السياسية في الإسلام من طريـق الحركـات والاتـجاهات الفكرية المخالفة للإسلام . ونحن لا نستطيعُ أن نُشيرَ إلى هــذه الحركات على سبيلِ الحصر لأنها كانت في الأكثر حرَكاتٍ باطنيةً (سِرّيّةً) ولأنّها في الدَرَجة الأولى لم تَنْجَحْ في ما كانت ترمي إليه . حتّى الحركـة الفاطمية (وهي حرَكة شيعية متطرّفة كانت قد أنشأتْ دولةً استطالتْ في المغرب وفي مِصْرَ ثمّ نالت عَطْف بني بويهِ الحاكمينَ في بغدادَ نفسِها) لم تستطعْ أن تُزيلَ الخِلافةَ العباسيّة مَعَ كَثْرة سَعْيِها إلى ذلك .

وشَهِدَ القرنُ الهِجريّ الرابعُ حَضارةً مُزدهرة وتَرَفـاً بالغاً في المَطْعم والملبس والمسكن ، فقد غلب طرازُ الحياة الفارسي على هذا العصر غَلَبَـةً ظاهرة عامّة شاملة وأصبحتِ الأعياد الفارسية كالنَيْروز (رأس السَنَة الفارسية : ٢١ مارس — آذار) والمِهرَجانِ (في أول الخريف) أعياداً للعامّة والخاصّة من الفُرس وغير الفرس . وأسرف الفاطميون خاصة في إقامة المآدب للعامّة .

وكذلك اتّسَعَ اللّهْوُ وتعدّدتْ أنواعه وخرج في كثير من وُجوهـهِ إلى الاستهتار والمُجون . على أن المفكّرين والأدباء قد هوّلوا كثيراً في وصف ذلك اللّهْو ومَدى انتشاره . إن أحوالَ اللهو عامّة موجودةٌ في كلّ زمان ومكان ، ولكنّها تَسْتَتِرُ في عصور القوّة السياسية ثمّ تَظْهَر وتشتهر في عصور الضَعْف

السياسيّ ، وهذا ما جعل اللهو ظاهراً شاملاً منتشراً في القرن الهجري الرابع حينما فَقَدَ العرب سُلطانَهم السياسي وتقسّم الحُكْمُ الإسلامي بين دُوَيلاتٍ متنازعة .

على أن المؤرّخ المُنْصفَ لا يستطيع أن يُنْكِرَ ازدهارَ الحضارة في هذا العصر ولا اتّساعَ العُمران ولا رُقيَّ العلم والأدب على ما سنرى . غير أن الثَرَوات كانت مُوزّعة توزيعاً جائراً - كما هي الحالُ في جميع العصور إلى اليوم - فقد كان هنالك أفرادٌ من رجال الدولة ومن ذوي الجاه في المجتمع يَمْلِكونَ الملايينَ ويُسْرِفون في المآدب والملاهي ، بينما كان ثمّتَ ملايينُ من الناس لا يجدون أحياناً ما يُنْفِقون ولا ما يَشْبعون به .

الخصائص الأدبية

تَجَمّعَتْ في القرنِ الهِجْريِّ الرابعِ خَصائصُ أدبيّةٌ كثيرةٌ ثمّ اتّسعتْ في الشعر والنثر وبرزت بروزاً ظاهراً . ولم تقتصر هذه الخصائص الأدبيّة ، في جانبها الفنّيّ القـائم على التأنّق والمبالغة ، على الإنتاج الوُجْداني بل تعدّته إلى التأليفِ الذي يَميل إلى النَهْج العلمي أيضاً .

(أ) الخصائص اللفظيّة : أولُ مـا يَلْفِتُ النظرَ من خصائص الادب في الشعر والنثر الإسراف في الصناعة اللفظيّة خاصّةً مِنَ التزام السَجْعِ في الجُمَل وأقسام الجمل ومن الموازنة بين الجمل ومن كَثْرة التضمين للأشعار والأمثـال وللآيات والأحاديث في النثر ، ومن الإغراق في تَطَلّب التشابيه والاستعارات والتفنّن في الصُوَر الشعرية والمَيْل بها إلى الجوانب الطريفة من الحياة والتفكير ، من ذلك مثلاً رسالةٌ لبديع الزمان فيها :

« عافاكَ اللهُ ! مَثَلُ الإنسانِ في الاحسان مَثَلُ الأشجار في الإثمـار : سَبيلُ من أتى بالحَسَنة أن يُرَفّهَ إلى السَنَة . وأنا ، كما ذكرتُ ، لا أملِك عُضْوَيْنِ في جسدي : وهما فُوادي ويَدي . أما الفؤادُ فيَعْلَقُ بالوُفود ، وأما اليَدُ فتُولَعُ بالجود .... »

ويخرُجُ مِنَ الالتزام مَطالعُ الرسائل . كانتِ الرسائل منذ صدر الإسـلام كالخطب تبدأ باسْمِ اللهِ وحَمْدِه وبالصلاة على رسوله ويُوتى فيها عـادةً

بفَصْلِ الخطاب «أما بَعْدُ» لِيَبْدأ بسطُ الغَرَض من الرسالة بعدَ الافتتاح بالتحميد. أما في القرن الرابع فخالَف كُتّابُ الرسائل هذه السُّنّةَ وتحرّروا من المطلَع المفروض فكان كاتبُ الرسائل يبدأ كما يبدو له في حينِه. ففي رسائل أبي بكرٍ الخَوارزميّ مثلاً:

كتابي — وأنا بِنَ مِحْنةٍ قد أدْبرتْ ونِعمةٍ قد أقبلت، ووَليّ قد مَلَكَ وعَدُوّ قد هَلَكَ. والحمدُ لله الذي ابْتَلى ثُمّ أبْلى [1] فأنْعَمَ. وصلّى الله على سيّدِنا محمّدٍ وعلى آله الأكرمين.

ورقّ أسلوبُ الشعر ولانَ وأريد منه أن يكونَ عَذْباً سهلاً قريباً من فَهْم الرجل العاديّ، مَعَ الطرافة والظرافة، كقول أبي بكرٍ الخوارزمي يُعَرِّض بخلفاء بني العبّاس الذين لم يَجِدوا في خزائنهم مالاً يُنْعمون به على المستحقّين فجعلوا يَمْنحون الناسَ ألقاباً (لا قيمة لها):

ما لي رأيتُ بني العبّاسِ قد فتحوا مِنَ الكُنى ومن الألقاب أبوابا؟
قَلّ الدراهمُ في كَفّيْ خَليفتِنا هذا فأنفقَ في الأقوام ألقابا!

على أن الجانبَ الأكبرَ من الشعر ظلّ على الأسلوب الرصين المتين القريب من نَفْحة الجاهلية وخُشونة البَداوة وخصوصاً في بَلاطات الأمراء وفي مديح الكُبَراء وفي الأغراض المألوفة، كما نرى في شِعْر المُتَنبّي والشريف الرضيّ والمعرّي.

(ب) الخصائص المعنوية: لا نُنكِرَ في أن الأدبَ يتأثّر بالبيئة التي يُقال فيها. وقد تأثّر الأدب في القرن الرابع الهِجْري بتَعَدّد أوْجُه المجتمع وبتشجيع الملوك والأمراء في بَلاطاتِ المقاطعات، كما تأثّر بنُفوذ البويهيين السياسيّ والاجتماعي وبالتَشيّع الذي كان مُستطيلاً في ذلك العصر. إن بَلاطَ سيفِ الدولة في حَلَبَ وبَلاطَ كافورِ الإخشيدي في الفُسْطاطِ (مِصْرَ القديمة) وبَلاطاتِ البويهيّين في شيرازَ وأرّجانَ قد كانت ميداناً فسيحاً لازدهار الادب.

عَظُمَ التمدّح بالفُرس والفارسيّة تَزَلّفاً واعتقاداً: بالأصل الفارسي،

[1] أبلى (هنا) معناها: أنقذ من البلاء، شفى من المرض أو كشف المصيبة عن الإنسان.

بالأعياد الفارسيّة وبمظاهر الحياة الفارسيّة ، فبعد أن قال ابن الروميّ : بمنّ اللهُ طلعةَ المهرجان ، وقال : أعجميّ آيينُه (حضارتُه) عربيّ . والبُحتريّ العربي الخالصُ كان قد خصّ ايوانَ كسرى بقصيدة بارعة مشهورة ؛ جاء الآن مِهيارُ الديلميّ ففخَرَ فوقَ كلّ فخرٍ لمّا قالَ : «وأبي كسرى علا إيوانَه» (راجع ترجمته) .

ولقد هالَ المتنبّيَ أن يرى النفوذَ الفارسيّ يتزحّفُ على النفوذ العربيّ ثم ينحدر بالعرب إلى الفساد والذّلّة فقال :

وإنّما الناسُ بالملوكِ ، وهل تُفلحُ عُرْبٌ ملوكُها عَجَمُ !

ويُنكِرُ بديعُ الزمان الهمَذانيّ على العربِ احتفالَهم بالأعياد الفارسية وبليلة السَّذَق[1] خاصّة ، فهو يقول : «إنّ عيدَ الوَقود لَعيدُ إفكٍ ، وإنّ شعار النار لَشعارُ شِركٍ . وما أنزل اللهُ بالسَّذَق سُلطاناً ، ولا شرّف نيروزاً ولا مِهرَجاناً ؛ وإنّما صبّ اللهُ على فُروق العجم[2] لِما كَرِهَ من أديانها وسَخِطَ من نيرانها» .

إن التشيّعَ الذي مُزِجَ بالآراء الفارسيّة الوثنيّة أصبح التشيّعَ المتطرّف ، ذلك التشيّعَ الذي اعتقد بالتناسُخ والرِجعة وبتأليه عليّ وبحُلول روحِ الله في بنيه .

ويبدو أن بني بُوَيْهِ كانوا يشجّعون هذا التشيّعَ المتطرّفَ سِرّاً . غير أنّهم كانوا يشجّعون مظاهر التشيّع المُعتدل ليَخرُجوا به إلى التطرّف إنِ استطاعوا أو ليُثيروا بذلك الفِتَن بين أهلِ السُّنّة وبين الشيعة . إنّهم لم يكتفوا بأن يشجّعوا الاحتفالَ بيوم عاشوراءَ[3] على ما يحتفل به جميعُ المسلمين بالصَّوْم والتقوى وبِرّ الأقربين وبَذْلِ الصَّدَقات وبذِكْر الله وبالتأسّي بصُمود الحُسين بنِ عليٍّ رَضِيَ الله عنهما في وجه الظُلم والطغيان وببَذْل النفس في سبيل الحِفاظ على المبدأ ، بل حسّوا على التظاهر بأمورٍ لم يَشرَعْها اللهُ ولا يَرضى

[1] السذق : ليلة الوقود ، كان الفرس يشعلون فيها النيران العظيمة ويضيئون الشموع .

[2] جمع فرق : افتراق الشعر في مقدمة الرأس (المقصود : رؤوس العجم) ، كناية عن تغلب العرب بالإسلام على الفرس يوم كانوا مجوساً .

[3] العاشر من الشهر الأول (المحرم) من السنة القمرية (الهجرية) . في عاشوراء من سنة ٦١ هـ كانت مأساة كربلاء واستشهد الحسين بن علي رضي الله عنهما .

عنها الحُسين ، رضي الله عنه . جاء في تاريخ ابن الأثير (٧ : ٤، ٧) ، في أخبار سنة ٣٥٢ هـ ، أمرَ مُعِزّ الدولة الناسَ (في يوم عاشوراء) أن يُقْفِلوا دكاكينَهم ويُبْطلوا الأسواق والبَيْع والشراء ويُظهروا النياحة ويَنْصِبوا القِباب ويخرجَ النساء مُنَشَّراتِ الشعورِ مُسَوَّداتِ الوجوهِ قد شَقَقْنَ ثيابَهن ، يَدُرْنَ في البلد بالنوائحِ ويَلْطِمْنَ وجوهَهن على الحُسينِ ابن عليّ . ففعل الناسُ ذلك . وكان هذا أولَ يومٍ نِيحَ فيه على الحُسين ببغداد .

ونحن نَجِدَ في أدبِ هذا العصر نَوْعَيِ التشيّعِ المعتدلِ والمتطرّفِ كما نجد اشياء من العقيدة الفاطمية الاسماعيلية . ولا شكّ في أن الشريف الرّضِيّ هو الذي يُمثّل الشعرَ الشيعي المعتدل المتين الجميل .

اتسع **الوصف في هذا العصر في الطبيعة** ، في الشعر والنثر ، فكَثُرَ وصفُ الرِياض بما فيها من ماء وأشجار وأزهار وأثمار ، وبما يتقلّب فيها من الرياح والأمطار والبَرْد والثلج ، كما كَثُرَ وصف الحيوان من الاطيار والوحوش . ولقد رأينا غرضاً في وصف الطبيعة يصبح في هذا العصر فنّاً قائماً بذاته هو فن **الزهريّات** ؛ وأشهرُ ما يُشار اليه هنا **روضيّات الصَنَوْبَري** . وقصيدة المتنبّي في شِعْبِ بَوّانَ تصف الطبيعة بمائها وأثمارها ورياحَها وحرّها وصفاً بارعاً . وقد كَثُرَ أيضاً وصفُ مجالس الشراب ووصف الأطعمة ووصف الأشربة ووصف الحُلى والأقلام والجيوش والسفن والدوابّ وأثاثِ البيوت وأدَوات الصُنّاع . ولا نقول إن هذه الاغراضَ قد استجدّتْ في هذا العصر ، بل يَلْفِتُ نَظَرَنا فيها أمران : أن القولَ فيها قد اتّسع وأنّها كانت تأتي في الشعر والنثرِ فنّاً وُجْدانيّاً مخصوصاً بالكلام .

وكذلك اتّسع القولُ في هذا العصر في **الأدب الاجتماعيّ الوجداني** في الشعر والنثر أيضاً : في السياسة والأخلاق وأحاديث النفس . إن كثيراً من قصائد المتنبّي مثلاً تُعَنْوَنُ في الديوان على أنها قصائدُ مديحٍ أو رثاء أو فَخْر ، بينما هي في الحقيقة تعالج جوانبَ من حياةِ المجتمع وتَسْتقري أخلاقَ سيف الدولة وكافورٍ وأبي شجاعٍ فاتك . أمّا ديوانُ اللزوميّات لأبي العلاء المَعَرّي فديوانٌ مقصورٌ على هذا الجانب من الحياة الاجتماعيّة ، على النقد الاجتماعي بأوسع معانيه وأدقِّ دَلالته .

وبالغ أدباء هذا العصر في الغزَل المؤنّث والمذكّر في الشعر والنثر وزادوا في ذلك كلّه على مَنْ تقدّمهم ، ثمّ وسّعوا القول في وجوه اللهو وأسبابه وألوانه حتّى خرَج كثيرون منهم من ذلك إلى المُجون والاستهتار والفُحْش . والذي يطالع هذا النوعَ من النِتاج الأدبي في العصر الذي نَصِفه يُخيَّلُ إليه أن كثيراً من الألفاظ الجِنسية وما إليها قد فقد معناه ومدلولَه ، إذ نجد الأدباء يذكرون الألفاظ الجِنسية والتعابير البذيئة والمدارك الفاسقة ذكراً عاديّاً مألوفاً كما يذكرون ألفاظ الفَلَك والشجاعة وتعابير الدين والأخلاق وكما يُعالجون المدارك الرصينة النبيلة الشريفة سواءً بسواء .

ومن بارعِ الغزل في النثر قولُ ابن العميد :

سألتَني عمّن شَغَفَني وَجْدي به ، وشغفني حُبّي له . وزَعَمْتَ أنّي لو شئتُ لَذَهِلْتُ عنه ، ولو أردتَ لاعتَضْتُ منه ، زَعْماً لَعَمْرُ أبيك ليس بِمَزْعَم[1] ! كيف أسْلو عنه وأنا أراه ، وأنساه وهُوَ لي تجاه[2] ؟ هو أغلبُ عليّ وأقربُ إليّ من أن يُرْخي لي عِناني أو يُخلّيني واختياري بعدَ اختلاطي بمُلْكه وانخراطي في سِلكه .

واتّسع أيضاً فنّ الإخوانيّات وتعدّدتْ أغراضُه وتنوّعت .

الإخوانيّات رسائلُ يتبادلها الإخوان (الأصدقاء والأقارب على السواء) وتكون في النثر كما تكون في الشعر ، وإن كانت في النثر أكثر . فمن الاخوانيّات في الشعر تلك القصائدُ التي كان أبو فراس الحَمْدانيّ يبعث بها من أسْرِه في بلاد الروم إلى أهله وأصدقائه ، وإلى سيف الدولة خاصّةً ، يحثّهم فيها على أن يَفْتَدوه من الأسر . أما في النثر فأشهرُ ما يُشار اليه رسائلُ بديع الزمان الهمذانيّ ورسائل أبي بكرٍ الخَوارزميّ .

كانت هذه الرسائل تدور على أغراضٍ وُجْدانيّة خاصّة بالمتراسلين من العتاب والتشوّق واللّوْم والشكر واسْتنجاز وَعْد وطلب معروف . على أنها قد تتناول أحياناً بحثاً أدبياً أو جَدَلاً نَظَريّاً أو نقداً اجتماعيّاً أو نُصْحاً شخصيّاً . والمُهِمّ في هذه الرسائلِ الإخوانيّاتِ أنها كانت تُصاغ صِياغةً أنيقةً مُثْقَلةً أحياناً بأوجه البلاغة : من مُوازنة وسَجْع واستعارات وتَوْريات ، مع مَيْل

---

[1] هذا عجز بيت من معلقة عنترة .
[2] تجاه (بفتح التاء او كسرها او ضمها) : مقابل .

ظاهرٍ إلى التضمين والاقتباس من القُرآن الكريم والحديث الشريف ومن الأمثال والأشعار والأقوال ، ممّا يَدُلّ على مقدرَةٍ لُغوية وبراعة أدبية وإحاطة بعَدَد من وجوه المعرفة . من هذه الناحية تبدو لنا الرسائلُ الإخوانيّات وكأنّها مقدّمةٌ مُمَهِّدَةٌ للمقامات !

واتّسعَ فَنّ القَصَص في هذا العصر في أغراضٍ مختلفة وعلى أساليبَ متنوّعة، فكان منه القَصَص الفنّي البارع يُقْصَدُ به المثقّفون تَحَيّلاً على النقد الاجتماعي والنُصْح أو إبرازاً لخصائصَ أدبيةٍ ومقدرة شخصية أو كَشْفاً عن جانب من جوانبِ الفكر في معالجة القضايا العامّة ، كما كان منه الحكاية العاديّة لتَسْلِية جُمهور الناس . وربّما جاءت القِصَصُ والحكايات قائمةً بنفسها مقصودةً بالسَرْد ، كما نرى في أحاديثِ ابنِ دُريد مثلاً ؛ وربّما جاءت للتَرْويح عن القارئ في ثنايا البُحوث الأدبية أو العِلمية استطراداً بين الفَيْنة والفينة على غير نسق مخصوص ، كما نَجِد في كتاب الأغاني للأصفهاني ؛ ولا ريب في أن أشياءَ من سيرة عنترة ومن قصص ألف ليلة وليلة كانت قد وجدت طريقها ، في ذلك الحين ، إلى المجالس في المجتمع العربي .

ولقد كان هذا الاستطرادُ عامّاً عند الكتّاب والمؤلّفين حتّى أنّه أفْقَدَ التأليفَ وَحْدَتَه المَنْطِقية فأصبح كثيرٌ من الكُتُب مجاميعَ شخصيةً وأقوالاً مُتَراكِمَة يُذْكَرُ القولُ فيها في مكانٍ ثمّ يُخْرَجُ عنه إلى غيرِه قبل الاستيفاءِ ثمّ يعودُ إليه الكاتبُ مرّةً بعد مرّة .

والمقامات جمع مَقامة ؛ والمقامة هي المجلس . والمقصود بالمقامة في الأدب « قصّة تدور حوادثُها في مجلس واحد » .

المَقامَةُ قِصّةٌ وجيزةٌ أو حكاية قصيرة مبنية على الكُدْيَةِ (الاستعطاء) وعناصرها ثلاثة :

(١) راويةٌ ينقلها عن مجلس تحدُث فيه .

(٢) مُكدٍ (بطل) تدور القصة حوله وتنتهي بانتصاره في كل مرة .

(٣) مُلحة (نكتة ، عُقْدة) تُحاك حولها المقامة ؛ وقد تكون هذه الملحة بعيدة عن الاخلاق الكريمة وأحياناً تكون غثّة أو سَمْجة . وتبنى المقامة على الإغراق في الصّناعة اللفظية خاصة والصّناعة المعنوية عامة .

تحدر فن المقامات :

ليس فيما أثِرَ عن العرب مقامات سابقة على مقاماتُ بديع الزمان الهمذاني (٣٥٨ - ٣٩٨ هـ)، فهو من أجل ذلك مخترع هذا الفن [١]. على ان نَفَراً من الأدباء يحبون أن يقولوا إن بديع الزمان اشتقّ فن المقامات من فن قصصي سابق. ويريد الدكتور زكي مبارك [٢] أن يثبت ان مقامات بديع الزمان مشتقّة «من أحاديث ابن دُريد»؛ وابن دريد هذا كان راوية وعالماً ولغوياً وقد عُني برواية أحاديث عن الاعراب وأهل الحضَر. ولا ريب في ان بين أحاديث ابن دُريد وبين المقامات شبَهاً قوياً من حيثُ القَصَصُ والسَجْعُ، ولكنّ هناك أيضاً فروقاً كبيرة في الصِّناعة وفي العقدة وفي وجود بطل للمقامات هو المكدي، وفي انبناءِ المقامة على الكُدْيَةِ وعلى الهزء من عقول الجماعات معَ إظهار المقدرة في فنون العلم والأدب، إلى ما هنالك من خصائص فن المقامات.

على ان هذا لا يعني أن بديع الزمان لم يطلع على أحاديث ابن دُريد أو على ما رُوي عن العرب من قِصَصٍ وأحاديثَ وأسمارٍ، ولكن الفرق بين تلك الأحاديث وبين المقامات من حيث الغاية والاسلوب كبير جداً. وعلى كل فان بديع الزمان إن لم يكن مخترع فن المقامات، فان مقاماته أقدم ما وصل الينا من هذا الفن الأدبي الرائع.

خصائص المقامات

وللمقامات خصائص نستعرضها مع شيء من التبيان لأوجهها.

١. المجلس : يجب أن تدور حوادث المقامة في مجلس واحد لا تنتقل منه إلا في ما شذّ وندر (وحدة مكان ضيقة).

٢. الراوية : ولكل مجموع من المقامات راويةٌ واحدٌ ينقلها عن المجلس الذي تحدث فيه.

٣. المكدي : ولكل مجموع من المقامات مُكْدٍ واحد أيضاً - أو بطلٌ.

---

١ مقامات الحريري (بيروت ١٨٧٣) ص ١٣.

٢ النثر الفني ١ : ١٩٧ وما بعدها.

وهو شخص خيالي في الأغلب ، أبرز ميزاته انه واسعُ الحيلة ذَرِبُ اللسان ذو مقدرة في العلم والدين والأدب ، وهو شاعر وخطيب ، يتظاهر بالتقوى ويُضمر المُجون ، ويتظاهر بالجد ويضمر الهزل . وهو يبدو غالباً في ثوب التاعس البائس إلا أنه في الحقيقة طالب منفعة .

وتنعقد المقامة دائماً بأن يجتمع الراوية بالمكدي في مجلس واحد . ويكون المكدي دائماً متنكراً ، ولذلك قلما يفطن الراوية لوجوده – إذا كان قد سبقه إلى المجلس – أو لحضوره إذا حضر بعده . وتنحلّ عقدة المقامة بأن ينكشف أمر المكدي للراوية في الأقل أو يَكْشِفَ المكدي أمره للراوية (وأحياناً للحاضرين) في الأغلب . ولا يَكْشِف المكدي أمره إلا بعد أن يكون قد نال من أهل المجلس مالاً أو ثياباً ، بعد أن استدر عطفهم . وكثيراً ما يعلم أهل المجلس ان المُكْدِيَ قد خدعهم وسلبهم ، ولكنهم لا يُضْمِرون له شراً لأنه أطربهم أو سلاّهم أو أفادهم .

٤ . المُلحة (النكتة أو العقدة) . وهي الفكرة التي تدور حولها القصة المُتَضَمَّنَةُ في المقامة ، وتكون عادة فكرةً طريفة أو جريئة ، ولكنها لا تحُثّ دائماً على الاخلاق الحميدة ، وقد لا تكون دائماً موفقة .

٥ . القصة نفسها : كل مقامة وَحْدَةٌ قَصَصِيةٌ قائمة بنفسها ، وليس ثمة صلة بين المقامة والمقامة إلا أن المؤلف واحد والراوية واحد والمكدي واحد . وقد تكون القصص من أزمنة مختلفة مُتباعدة وان كان الراوية واحداً .

٦ . موضوع المقامة : موضوعات المقامات مختلفة منها أدبي ومنها فقهي ومنها فكاهي ومنها حماسي ، ومنها خمري أو مجوني . وهذه الموضوعات تتوالى على غير ترتيب مخصوص عند بديع الزمان . أما الحريري (فيما بعدُ) فالتزم أن تكون الموضوعات متعاقبة على نسق مخصوص . وقد تكون المقامة طويلة أو قصيرة .

٧ . اسم المقامة : واسم المقامة مأخوذ عادة من اسم البلد الذي انعقد فيه مجلس المقامة نحو : المقامة الدمَشْقية ، التَبْريزية ، الرَمْلية (نسبة إلى الرملة بفلسطين) ، المغربية ، السَمَرْقَنْدية ، البَلْخية ، الكُوفية ، البَغْدادية ،

العِراقية ، الخ ... أو من المُلحة التي تنطوي عليها المقامة نحو المقامة الدينارية ، الحِرْزية ، الشِعْرية ، الإبْليسية ، الخمرية الخ ...

٨ . شخصية المقامة : ان الشخصية التي تبدو في المقامة ليست شخصية المكدي ولكنها شخصية المؤلف . وتنبني هذه الشخصية على الدراية الواسعة بكل شيء يطرقه المكدي ، أو المؤلف على الأصح ، فهو واسع الاطلاع على العلوم العربية خاصة ، بصير بالفنون الأدبية من شعر ونثر وخطابة ، حاد الذهن قوي الملاحظة في حل الألغاز وكشف الشبهات ، مَرِحٌ طَروب في اجتياز العقبات وسلوك المصاعب .

٩ . الصناعة في المقامات : فن المقامات فن تصنيع وتأنق لفظي (وخصوصاً عند الحريري) فهناك إغراق في السجع وإغراق في البديع من جناس وطباق ، وإغراق في المقابلة والموازنة وفي سائر أوجه البلاغة حتى ما لا يدخلُ في باب البلاغة على وجه الحصر : كالخُطبة التي تقرأ طَرْداً وعكساً والخُطبة المُهْمَلة (التي لا نُقَط فيها) أو التي تتعاقب فيها الأحرف المُهْمَلة والأحرف المعجمة (المنقوطة) وما إلى ذلك .

١٠ . الشعر : المقامة قصة نثرية ولكن قد يتخللها شعر قليل أو كثير من نظم صاحبها على لسان المكدي ، أو من نظم بعض الشعراء ، فيما يروى ، على لسان المكدي أيضاً . وقد يكون إيراد الشعر لإظهار المقدرة في النظم أو لاظهار البراعة في البديع (عند الحريري خاصة) .

ويَتْبَعُ القَصَصَ والمقاماتِ فنّ الفُكاهةِ وهي رِوايَةُ الحِكاية في حال من المَرَحِ معَ الاشارة إلى ما يَسْتطيبه الناسُ عادةً من اللهو والجِنْسِ والهُزْءِ والإضحاك والإطراف . والمقاماتُ نفسها مملوءة بالفُكاهة . وتجيء الفُكاهة في الشعر أيضاً ، وتكون في الشعر لَفتةً بارعة أو مُلْحة نادرة أو نُكْتة صائبة أو تعبيراً جديداً طريفاً ، وقد تكون عَرْضاً لأمور لا تقتضي الإنسانَ تفكيراً بل يأخذ الإنسانُ منها بظاهِرِ القول هَوْناً . وفي هذا الباب أخبارُ المُكْدين (المُتَسَوِّلين) والطُفَيليّين [١] . ومِثْلُ ذلك الأحاجي ، وهيَ

---

١ الطفيلي هو الذي يذهب إلى المآدب من غير أن يكون مدعواً اليها (ويسلك مسلكاً فيه لباقة أو وقاحة) .

أسئلةٌ على غير المِنْهاج المَنْطِقي تحتاج في الإجابة إلى نَباهة وذكاء أكثرَ مما تحتاج إليه من العقل والمَعْرفة . وفي المقامات شيءٌ كثير من هذا كلّه مبنيٌّ على التَوْريات وراجعٌ إلى أحوالٍ مُفْرَدة ، وهو المسمّى « ألغازاً » . فمن الفُكاهةِ العاديّة قول ابنِ لَنْكَك :

لا تَخْدَعَنْكَ اللّحى ولا الصُّوَرُ   تِسْعَةُ أعشارِ مَنْ ترى بَقَرُ .

ومن الألغاز سؤال في مقاماتِ بديعِ الزمان هو : أيّ بَيْتٍ (من الشِعر) أولُه يَغْضَبُ وآخره يَلْعَب ؟ — وجواب هذا السؤال المُلْغَزِ : هو قولُ عمروِ بنِ كُلْثُومِ :

كأنَّ سُيوفَنا مِنّا ومنهم   مَخاريقٌ بأيْدي لاعبينا[1] !

(لأنّه يبدأ بالكلام على السيوف — وهي من آلات الحرب — ثم ينتهي باللّعِبِ بالمخاريق ، والمِخْراق خِرْقة مَلفوفة يتَضارب بها الصبيانُ) .

ويدخل في هذا البابِ كتبُ الجدال والمُناظرات والخُصومات ، كما نَجِدُ عند أبي حَيّانَ التَوْحيدي وفي كتب علماء الكلام من الأشعرية والمُعتزلة ، وما نراه في كتب التوحيد وأصول الدين ، كما يدخل فيه الكُتُبُ التي تَعْرِض الآراء والمذاهب كرسائلِ إخوانِ الصفا وجميع الكتب المؤلّفة في فنون السلوك والعلم وفي علوم العربية من اللغة والنحو والنقد . وأكثر ما يدخل في باب الإنتاج الوُجداني أو الحُكْم على الانتاج الوجداني (أي النقد) من هذا الباب مذكورٌ في تراجم أهلِه في هذا الكتاب .

ابن دريد

١ — هو أبو بكرٍ محمدُ بن الحَسَنِ بن دُريدٍ الأزْديّ من أزد عُمانَ . وقدِ انتقل أهلُه إلى البصرة بعدَ تَمَصُّرِها من غير أن تَنْقَطِعَ صِلَتُهم بموطِنِهمُ الأول .

وُلِدَ بن دُريد في البصرة ، سنة ٢٢٣ هـ (٨٣٨)[2] ونشأ فيها وأخذ العلم عن

١ المخراق : منديل (أو قطعة من نسيج) يلف على شكل العصا ويضرب به .

٢ في طبقات الزبيدي (ص ٢٠١) : توفي ابن دريد سنة ٣٢١ هـ وهو ابن ثلاث وتسعين ، فيكون مولده ، بحسب ذلك ، سنة ٢٢٨ هـ .

عَمّه الحسن وعن أبي عثمان الإشْنانديّ وأبي حاتم السجسْتاني وسواهما .
ولما دخل الزّنج البصرة ، سنة ٢٥٧ هـ (٨٧١ م) هجرها ابن دُريد إلى عُمانَ حيث بَقِيَ اثْنَتَيْ عَشْرَةَ سَنَةً . وفي نحو سنة ٢٩٦ هـ (٩٠٩ م) ذهب إلى الاهواز في صُحْبة واليها عبد الله بن محمد بن ميكالَ مؤدّباً لابنه اسماعيلَ الميكالي المشهور . ثم ان عبد الله بن ميكال وَلّى ابنَ دريد على ديوان فارسَ فمكث ابنُ دُريد في ولايته هذه نحوَ ستِّ سَنَوات . ثمّ انتهتْ ولايةُ عبدِ الله على الأهواز وذهب إلى خراسان فذهب ابن دريد معه . ولما تُوُفّيَ عبدُ الله عادَ ابن دريد إلى بغداد (٣٠٨ هـ = ٩٢٠ م) فأجرى الخليفةُ المقتدرُ عليه خَمسينَ ديناراً في الشهر .

وفُلِجَ ابنُ دُريد في آخرِ عُمُرِه وشُفِيَ ، ثم عاوده الفالجُ فأبطل نصفَه الأسفلَ ، وطال عليه ذلك سَنَتَيْنِ حتى تُوُفّيَ في ١٨ شعبان ٣٢١ هـ (٤–٨–٩٣٣ م) .

٢ — ابنُ دُريدٍ من علماءِ اللغة البارعين ومن النُقّاد والشعراء أخَذَ العلمَ عنهُ جماعةٌ من المشاهير منهم السيرافيّ والمَرْزُبانيّ وأبو الفرَج الأصفهانيّ والقالي والزّجاجيّ وابنُ خالَوَيْه . وأشهرُ كتبه وأعظمُها كتابُ الجَمْهرة في اللغة ألّفه لبني ميكالَ حينما كان في بَلاطهم . وله أيضاً كتاب الملاحن ، غريبُ القرآن ، أدب الكاتب ، المقصور والممدود ، المجتنى (من أقوال الرسول) ، المقتنى ، الخ .

ولابنِ دُريدٍ ديوانُ شعرٍ صغيرٌ يجري فيه على أسلوب العلماء بعيداً عن الطبع والرّوْنق . وفي هذا الديوان مدح وهجاء ورثاء وغزل ووصف وأغراض وُجْدانيةٌ مختلفة . وتكثُرُ في شعره الحكمة . وقد اشتهر ابن دُريدٍ بقصيدته المقصورةِ المعروفة بمقصورة ابن دريد .

٣ — المختار من شعره

— قال ابنُ دريد في وصف الخمر :

وحمراءُ قبلَ المَزْجِ صفراءُ بَعْدَهُ ... أتتْ بين ثَوْبَيْ نَرْجسٍ وشَقائقِ .
حكتْ وَجْنَةَ المعشوقِ قبلَ مِزاجها ، ... فلما مزجناها حكتْ خدّ عاشقِ .

— وله في نِفطويه النحْوي هجاءٌ مشهور :

لو أنزِلَ الوَحْيُ على نفطويـهِ ... لَـكانَ هذا الوحيُ سُخْطاً عليهِ .
وشاعرٌ يُدْعى بنصفِ اسمهِ ... مُسْتأهِلٌ للصَفْعِ في أخدعيه [1] .
أُفٍّ على النّحوِ وأربابِـه ، ... قد صار من أربابهِ نفطويـهِ .
أحرَقَـهُ اللهُ بنصفِ اسمهِ ... وصيّر الباقي صُراخاً عليه [2] !

واشتهر ابن دريد بقصيدة له على الألِفِ المقصورة تبلغ مائتين وستةً وأربعين بيتاً مدح بها بني ميكال وطواها على حكَم كثيرة . وفي هذه المقصورة وصف للإبل وللمطر وللخيل وفيها غزل وفخر كثير ؛ فمنها :

يا ظبيةً أشبهَ شيءٍ بالمَهـا ... ترعى الخُزامى بين أشجار النَقا [3] ،
أما ترَيْ رأسيَ حاكى لونُـه ... طُرّةَ صبحٍ تحت أذيال الدُجى ،
واشتعل المُبْيَضّ من مُسْوَدّه ... مثلَ اشتعال النار في جَزْل الغَضا [4] .
ان الجديدينِ إذا ما استَولَيـا ... على جديدٍ أدْنَياه للبِـلى [5] .
ان العراقَ لم أفارقْ أهلَـه ... عن شَنَآنٍ صَدّني أو عن قِلى [6] .
والناسُ كالنَبْتِ : فمنه رائـقٌ ... غضٌّ نضيرٌ عودُه مُرّ الجَنَى ؛
ومنه ما تقتحمُ العينُ ، فـإن ... ذُقْتَ جَنَاه انساغ عذباً في اللَهَا [7] .
وهم لمنْ أملَقَ أعداءٌ، وان ... شاركَهم في ما أفاد واقتنى [8] .
لا يرفعُ اللبُّ بلا جَدٍ ، ولا ... يحطُّك الجهلُ إذا الجَدّ علا [9] !

---

١ نصف اسمه : لا يقال مثلا : ابن فلان أو أبو فلان الخ . الاخدعان : عرقان في جانبي العنق .
٢ نصف اسمه هنا : نفط ؛ والنصف الباقي : ويه (أداة ندبة) .
٣ المهاة : بقر الوحش (نوع من الظباء) . الخزامى : نبت طيب الرائحة . النقا : الرمل الابيض .
— ظبية أشبه شيء بالمها : صغيرة السن ولكن تدرك ما تدركه المتقدمات في الشباب (؟) .
٤ الجزل : الغليظ . الغضا : شجر يدوم اشتعاله .
٥ الجديدان : الليل والنهار . البلى : الفناء .
٦ الشنآن والقلى : البغضاء والبغض . صدني : ردني ، صرفني عنه .
٧ اقتحمت العين فلاناً : رأته قميئاً ، لم تبال به . الجنا : الثمر . اللها : الحلق .
٨ أملق : افتقر . أفاد : استفاد ، جنى مالا او نفعاً ....
٩ الجد : الحظ . اللب : العقل . حطه : خفض منزلته .

من لم تُفِدْه عِبَراً أيامُـــه كان العمى أولى به من الهُدى.
والناس ألفٌ منهمُ كواحدٍ ، وواحدٌ كالألف ان أمر عَنى[1].
وللفتى من ماله ما قدَّمت يداه قبلَ موته لا ما اقتنى .
وإنمـــا المرء حديثٌ بعدَه فكن حديثاً حسناً لمن وَعى .
واللوم للحر مُقيم رادعٌ ، والعبد لا يردعُه إلا العصا .
وآفةُ العقل الهوى ، فمن علا على هواه عقلُه فقد نجـا .
إذا بلَوْتَ السيفَ محموداً فلا تَذْمُمْه يوماً إن تراه قد نبا .
والدهرُ يكبو بالفتى ، وتـارة يُنْهِضُه من عَثْرة إذا كَبا .
لا تَعجبَنْ من هالكٍ كيف هوى ، بل فاعجبنْ من سالمٍ كيف نجـا .

٤ ــ الاشتقاق (فستنفلد) ، غوطا ١٨٥٤ م ؛ (نشره عبد السلام محمّد هارون) القاهرة (الخانجي) ١٩٥٨ م .

جمهرة اللغة ، حيدراباد ١٣٤٤ ــ ١٣٤٥ هـ (١٩٤٤ ــ ١٩٤٥ م) .

في « جزرة الحاطب وتحفة الطالب » (جمعها وليم رايت) ، ليدن (بريل) ١٨٥٩ م : صفة السحاب والغيث (أو كتاب السحاب والغيث وأخبار الروّاد) ؛ صفة السرج واللجام .

كتاب وصف السحاب والمطر (حقّقه عزّ الدين التنوخي) ، دمشق (المجمع العلمي العربي) ١٩٦٣ م .

الملاحن ، هايدلبرغ ١٨٨٢ م ؛ (نشره أبو اسحاق ابراهيم اطفيش الجزائري) ، القاهرة (المكتبة السلفية) ١٣٤٧ هـ .

المجتنى ، حيدر اباد (مطبعة دائرة المعارف العثمانية) ١٣٦٢ هـ .

فصيح ثعلب والشروح عليه (نشره محمّد عبد المنعم خفاجي) ، القاهرة (مكتبة التوحيد) ١٩٤٩ م .

ديوان شعر الإمام ..... ابن دُريد (محمّد بدر الدين العلوي) ، القاهرة (لجنة التأليف والترجمة والنشر) ١٩٤٦ م .

---

[1] عنى : لزم وأتعب .

المقصورة الدريدية (نشرها أحمد جودت القدسي المشهور بالعكّاوي)، لا ذكر لمكان الطبع، ١٣١٩ هـ.

شرح المقصورة الدريدية، قسطنطينية (مطبعة الجوائب) ١٣٠٠، ١٣١٩ هـ (مع شرح لامية العرب).

شرح مقصورة ابن دريد مصر (محمّد علي صبيح) بلا تاريخ.

شرح مقصورة ابن دريد للخطيب البغدادي، دمشق (المكتب الإسلامي للنشر) ١٩٦١ م.

•• الفهرست ٦١ – ٦٢؛ تاريخ بغداد ٢ : ١٩٥ – ١٩٧؛ طبقات الزبيدي ٢٠١؛ معجم الأدباء ١٨ : ١٢٧ – ١٤٣؛ الصفدي ٢ : ٣٣٩ – ٣٤٣؛ إنباه الرواة ٣ : ٩٢ – ١٠٠؛ بغية الوعاة ٣٠ – ٣٣؛ شذرات الذهب ٢ : ٢٨٩ – ٢٩١؛ بروكمان ١ : ١١٢ – ١١٤، الملحق ١ : ١٧٢؛ زيدان ٢ : ٢١٨ – ٢٢٠؛ النثر الفني ١ : ٢٢٧ – ٢٣٣، ٢٤٦ – ٢٥٣.

ابن طباطبا العلَويّ

١ – هو أبو الحسنِ محمّد بنُ أحمدَ بنِ محمّدِ بنِ أحمدَ بنِ ابراهيم ابن طبّاطبا من نسل الحسن بن عليّ بن أبي طالبٍ. وُلدَ ابن طبّاطبا هذا في إصبهانَ ونشأ فيها ولم يُغادِرْها قطّ، وأخذ العلمَ والأدبَ عن أئمّتها. وكانت وفاتُه في إصبهانَ سَنَةَ ٣٢٢ هـ (٩٣٤ م).

٢ – كان أبو الحسن محمّد بن طباطبا العلَويّ شاعراً وناقداً ومؤلّفاً. ويبدو أنّه كان مُكثِراً من الشعر؛ ولكنّ شعرَهُ قليلُ البراعة وإنْ كان ينكشفُ عن مَقْدِرةٍ فإنّ له، مثلاً، قصيدةً مطلَعُها:

يا سيّداً دانتْ له الساداتُ وتتابعتْ في فعْله الحَسَناتُ،

أبياتُها تسْعةٌ وأربعون أخْلاها من حرْفَيِ الراء والكاف [١]. ويبْرُز في

١ راجع القصيدة وسبب نظمها في معجم الأدباء ١٧ : ١٤٥ – ١٤٩.

شعره المَرِح والمنزِّل . وله مدحٌ وهجاء ووصفٌ . وهو ناقدٌ له كتابُ « عيار الشعر » جعل فيه مقدّمةً موجزة في نقد الشعر استند في مُعْظَمِها إلى رأي ابنِ قُتَيْبَةَ ورأي الجاحظ ، وهو يُصِرّ على أهميّة استكمال عُدّة الشعر قبل نظمه وعلى ترديد النظر فيه بالتنقيح بعد نظمه . وله أيضاً من الكتُب : تهذيبُ الطبع ، كتاب العَروض ، المُدْخِل إلى مَعْرِفة المُعَمّى من الشعر ، كتاب في تقريظ الدفاتر .

٣ ــ المختار من آثاره

ــ الطبع وأدوات الشعر :

.... فمَن صحّ طَبْعُهُ وذوقه لم يَحْتَجْ إلى الاستعانةِ على نَظْمِ الشعر بالعَروضِ التي هي ميزانه ، ومَنِ اضْطَرَبَ عليه الذوقُ لم يَسْتَغْنِ من تصحيحه وتقويمه بمَعْرِفةِ العَروض والحذق به[١] .

وللشعر أدَواتٌ يجب إعدادُها قبل مِراسِه وتكلّف نظمه : فمن تَعَصّتْ عليه أداة من أدواته لم يَكْمُلْ له ما يتكلّفه منه ، وبانَ الخللُ في ما يَنْظِمُهُ ، ولَحِقَتْهُ العُيوبُ من كلّ جهة .

فمنها التوسّع في علم اللغة والبراعة في فَهْمِ الإعراب والروايةُ لفنون الآداب والمعرفة بأيام الناس ومَناقِبِهِمْ ومَثالبهم والوقوفُ على مذاهبِ العرب في تأسيس الشعر والتصرّف في معانيه ــ في كلّ فنّ قالته العربُ فيه ــ وسلوكُ مَناهِجها في صِفاتها[٢] ومُخاطباتها .... وإطالتها وإيجازها .... وعُذوبةِ ألفاظِها وجَزالةِ معانيها وحسنِ مبادئها وحلاوة مقاطعها وإيفاء كلّ معنىً حَظّه من العِبــارةِ وإلباسه ما يُشاكله من الألفاظ حتّى يَبْرُزَ (الشعر) في أحسنِ زيّ وأبهى صورة (و) حتّى لا يكونَ مُتفاوتاً مَرْقوعاً ، بل يكونُ كالسبيكة المُفْرَغَة[٣] والوَشْيِ المُنَمْنَمِ[٤] والعِقْد المنظّم واللباس الرائق فتُسابِقُ معانيه ألفاظَه

---

١ العروض (بفتح العين ، وهي لفظة مؤنثة) : ميزان الشعر . ولعل « الحذق به » = الحذق في علم الشعر .

٢ الصفات : الأوصاف (جمع وصف : أحد فنون الشعر) .

٣ السبيكة (القطعة المصبوبة من المعدن) المفرغة (المصبوبة مرة واحدة حتى لا يعرف أحد من أين تبتدئ ولا إلى أين تنتهي) .

٤ الوشي : التطريز . المنمنم : المزخرف (زخرفاً دقيقاً على نظام معلوم) .

فيلتذّ الفَهْمُ بحسن معانيه كالتذاذ السمعِ بمُونِقِ [1] كلامه .....

فإذا أراد الشاعرُ بناءَ قصيدة مَخَضَ [2] المَعْنَى الذي يريدُ بناء الشعر عليه في فكره نثراً وأعدّ له ما يُلْبِسُهُ إياه من الألفاظ التي تُطابقه والقوافي التي توافقه والوزنِ الذي يَسْلُسُ [3] القولُ عليه . فإذا اتّفق له بيتٌ يُشاكل المعنى الذي يَرومُه [4] أثبتَه وأعملَ فِكْرَهُ في شغل القوافي بما تقتضيه من المعاني على غير تَنْسيقٍ للشعر وترتيب لفنون القول فيه ، بل يُعَلّق [5] كلّ بيتٍ يتفق له نظمُه على (ما يمكن أن يكونَ من) تَفاوتٍ [6] بينَه وبينَ ما قبله . فإذا كَمُلَتْ له المعاني وكَثُرت الأبياتُ وَفّق بينَها بأبياتٍ تكون نظاماً لها وسلكاً جامعاً لما تشتّت منها . ثمّ يتأمّل ما قد أدّاه إليه طبعه ونتيجةَ فكرته فيستقصي إنتقاده ويَرِمّ ما وَهَى [7] منه ويُبَدّل بكلّ لفظة مُسْتَكْرَهة لفظةً سهلةً نقيّة . وان اتّفقتْ له قافيةٌ قد شَغَلَها في مَعْنىً من المعاني واتّفق له معنىً آخرُ مضادٌّ للمعنى الآخر – وكانت تلك القافيةُ أوقعَ [8] في المعنى الثاني منها في المعنى الأوّل – نَقَلَها إلى المعنى المُختار الذي هو أحسنُ وأبْطَلَ ذلك البيتَ أو نَقَضَ بعضَه [9] وطَلَبَ لمعناه قافيةً تشاكله ....

وقد جَمَعْنا ما اخترناه من أشعار الشعراء في كتابٍ سمّيناه « تهذيب الطبع » يرتاض مَنْ تعاطى قولَ الشعر بالنظر فيه ويَسْلُكُ المِنْهاجَ الذي سَلَكه الشعراءُ ويتناول المعانيَ اللطيفةَ كتناوُلِهِمْ إيّاها ويَحْتذي على تلك الأمثلة التي طرّقوا أقوالهم [10] فيها ....

---

١ المونق : الجميل الذي يسر العين .

٢ مخض فلان اللبن : (وضعه في وعاء ثم حركه) حتى ينفصل الزبد من المخيض (الماء الباقي بعد انفصال الزبد) .

٣ يسلس : يلين ويسهل .

٤ يشاكل : يشابه ، يوافق . يروم : يطلب .

٥ علق : أثبت ، دون ، كتب .

٦ التفاوت : التباين ، اختلاف الشيء الواحد في أحوال متعددة (على غير نظام معين) .

٧ رم : أصلح . وهى : ضعف .

٨ أوقع : أحسن موقعاً (أكثر موافقة) .

٩ نقض : هدم .

١٠ احتذى فلان شيئاً : صنع الأشياء على مثاله .طرقوا أقوالهم فيها : جعلوا أقوالهم (شعرهم ونثرهم) طرائق (أنواعاً) ...

٤ – عيار الشعر (بتحقيق طه الحاجري ومحمّد زغلول سلاّم) ، القاهرة (المكتبة التجارية الكبرى) ١٩٥٦ م .

•• معجم الأدباء ١٧ : ١٤٣–١٥٦ ؛ بروكلمان ، الملحق ١ : ١٤٦ .

نِفطوَيه

هو أبو عبدِ اللهِ ابراهيمُ بنُ محمّدِ بنِ عَرَفَةَ بن سليمانَ بنِ المغيرةِ بن حبيبِ بن المهلّبِ بن أبي صُفْرَةَ الأزديّ ، وُلِدَ في واسطِ ، سَنَةَ ٢٤٤ هـ (٨٥٨ م) ، وقيل سنة ٢٥٠ هـ ، آدَمَ (شديدَ السوادِ) دَميماً فلُقِّبَ نِفْطَوَيْهِ .

سكَنَ نِفْطَوَيْهِ بَغدادَ وأخذَ عن المبرّدِ وثعلبٍ وغيرهما . وقد كانَ قليلَ العِنايةِ بنَظافةِ بَدَنهِ ، كما كان كثيرَ الهجومِ على النـاس ، فكَرِهَهُ مُعاصروه وأهانَه بعضهم [1] . وقيل إنّه هجا ابنَ دُريدٍ بأبياتٍ مَطْلَعُها : « ابنُ دُريدٍ بَقَرَهْ ... » فردّ عليه ابنُ دريدٍ بأبياتٍ آخرها :

أحرَقَهُ اللهُ بنِصْفِ اسْمِهِ ، وصيَّرَ الباقي صُراخاً عَلَيْهْ [2] .

وكان نفطويهِ يَجلِسُ بالغَدَواتِ في جامعِ الأنباريّين ببَغدادَ يُقْرِئُ القُرآنَ على قراءةِ عاصمٍ ، ثم يُقرئُ كتابَ سيبَوَيْهِ وسواهُ من الكُتُبِ ، فعَلَ ذلك خمسينَ سَنَةً .

وكانت وفاةُ نِفْطَوَيْهِ في بَغدادَ ، في مَطْلَعِ سنة ٣٢٣ هـ (٩٣٥ م) في الأغلب .

---

١ راجع معجم الأدباء ١ : ٢٦٧ .

٢ النصف الأول من اسمه « نفط » (مادة محرقة) ، والنصف الثاني « ويه » (بسكون الهاء وكسرها) و « ويها » للإغراء (القاموس ٤ : ٢٩٦) ، ولعل استعمالها للندبة من كلام العامة . أما الأبيات نفسها فيرويها ياقوت (معجم الأدباء ١ : ٢٦٤) لابن دريد (راجع ، فوق ، ص ٤١٨) ؛ وأما ابن خلكان (وفيات الأعيان ١ : ١٨) فيرويها لأبي عبد الله محمد بن زيد بن علي بن الحسين الواسطي المتكلم المشهور صاحب الإمامة وكتاب اعجاز القرآن .

كان نفطويه حسَنَ الحفظِ للقُرآنِ عالماً بالحديث وفقيهاً ظاهرياً [1] على مذهب داوودَ الأصفهانيِّ (ت ٢٧٠ هـ) . وكذلك كان كثيرَ العلْم بالشعرِ ، وبشعرِ جريرٍ خاصةً ، يَحفَظُ نقائضَ جريرٍ والفرزدق وشعرَ ذي الرُّمّة وشعرَ غيرهم . على أن شُهرَتَه كانت في النَحْوِ . ومعَ أنه كانَ يَجري على طَريقة سيبويه ، فانّه كان يُلَفّقُ بينَ مَذْهب الكوفيين ومذهب البصريّين .

ونَظَمَ نِفْطَوَيْهِ الشعرَ في الهجاء والغَزَل وما جرَى مَجرى الغزل ، وقد روَى ياقوتٌ له عدداً من المُقطّعات .

ولِنفْطويهِ كُتُبٌ منها : كتابُ غريب القرآن ، كتاب الاستثناء والشرط في القراءة ، كتاب أمثال القرآن ، كتاب الرد على من قال بخَلْق القرآن ، كتاب في أن العرب تتكلّم طَبْعاً لا تَعلّماً ، كتاب الردّ على من يزعُمُ أن العرب يُشْتَقّ كلامُها بعضُه من بعضٍ ، كتاب المُقْنع في النحو ، كتاب الردّ على المفضّل بن سلَمة في نقضهِ على الخليل ، كتاب التاريخ ، الخ .

— •• تاريخ بغداد ٦ : ١٥٩ — ١٦٢ ؛ طبقات الزبيدي ١٧٢ ؛ معجم الأدباء ١ : ٢٥٤ — ٢٧٢ ؛ وفيات الأعيان ١ : ١٧ — ١٨ ؛ إنباه الرواة ١ : ١٧٦ — ١٨٣ ؛ بغية الوعاة ١٨٧ — ١٨٨ ؛ شذرات الذهب ٢ : ٢٩٨ — ٢٩٩ ؛ بروكلمان ، الملحق ١ : ١٨٤ .

جَحظةُ البَرْمكيُّ

١ — هو أبو الحسنِ أحمدُ بنُ جَعْفَرِ بنِ موسى بنِ يحيى بنِ خالدِ ابنِ برْمَكَ ، كانتْ وِلادتُه في شَعبانَ سَنَةَ ٢٢٤ هـ .

[1] القول بالظاهر في الفقه هو تفسير ألفاظ القرآن الكريم والحديث الشريف على ظاهرها ، إلا إذا كانت قواعد اللغة العربية تمنع ذلك التفسير الظاهر . وقد نشأ هذا المذهب رداً على المعتزلة والصوفية الذين كانوا يزعمون أن عدداً من ألفاظ القرآن وتراكيبه صور بلاغية لتقريب المعنى المقصود من أذهان جمهور الناس ، وخصوصاً فيما يتعلق بخلق العالم وبالجنة والنار .

كانَ أحمدُ بنُ جعفرٍ هذا قبيحَ المَنْظَرِ ناتِئَ العَيْنين فلَقّبَه عبدُ الله ابنُ المعتزّ جَحْظَةَ . وقد نشأ جحظةُ ، على الرُغم من غِنَى أسلافه ، فقيراً مُحتاجاً إلى العطاء يتكسّبُ بالشعرِ والغناء والعزفِ على الطُنبور من غير أن يستطيعَ تدبيرَ معاشه . ولا شكَّ في أن جحظة قد عُمِّرَ كثيراً فقد جاء في شعره ما يُفْهَمُ منه أنَّ سنّه زادتْ على التسعين [1] . وكانت وفاته في شَعبان سنة ٣٢٤ هـ في جبل [2] أو في واسطٍ [3] .

٢ — كان جحظةُ البرمكيّ حَسَنَ الأدب كثيرَ الروايةِ للأخبارِ متصرّفاً في فنونٍ من العلمِ كالنحوِ واللغة والنُجوم ، وكانَ ظريفاً مليحَ الشعر حاضرَ النادرةِ ، كما كان حاذقاً في العَزْفِ على الطُنبور . وكان أيضاً مُصنِّفاً له كتاب الطُنبوريين ، كتاب فضائل السكباج ، كتاب الترنّم ، كتاب المُشاهدات ، كتاب ما شاهده من أمر المعتمد على الله ، كتاب ما جمعه مما جرّبه المنجّمون فصحّ من الأحكام .

٣ — المختار من شعره

— قال جَحظةُ البرمكيّ في صديقٍ له يرغَبُ في قُربه وسَماع شَدْوه (غنائه) ثم لا يُثيبه إلاّ بقوله له : أحْسَنْتَ !

لي صديقٌ مُغْرىً بقُربي وشَدْوي، ... وله عندَ ذاك وجهٌ صفيقُ —
قولهُ إنْ شَدَوْتُ : «أحسنتَ، زِدْني»! ... وبأحسنتَ لا يُباعُ الدَقيــق [4] !

— وقال في النسيب بفتاةٍ تَسْتَكثرُ عليه أن يَنام إذا كان يُحبّها :

فقُلْتُ لها : بَخِلْتِ عَلَيَّ يَقْظَى ... فجُودي في المنـامِ لمُسْتَهامِ .
فقالتْ لي : وصِرتَ تَنامُ أيضاً ... وتَطْمَعُ أن أزورَكَ في المَنام !

— وقال في الرِزْقِ المَقْدورِ على الإنسان :

أنْفِقْ ولا تَخْشَ إقلالاً ، فقد قُسِمَتْ ... بينَ العبادِ مَعَ الآجالِ أرْزاقُ .

---

١ « هي التسعون قد عطفت قناتي .... » (معجم الأدباء ٢ : ٢٤٨) ؛ وراجع ، تحت ،ص ٤٢٦ .
٢ جبل قرية أسفل (جنوب) بغداد (القاموس ٣ : ٣٥٣) .
٣ واسط بلدة بين البصرة والكوفة .
٤ لا يستطيع الإنسان أن يعيش (يتغذى) بقول الناس له : « أحسنت ! » ، بل يجب أن يدفعوا له مالا

لا يَنْفَعُ البُخْلُ مَعْ دنيا مُوَلِّيَةٍ ، ولا يَضُرُّ مَعَ الإقبالِ إنْفاقُ !

— وقال جَحْظَةُ يَصِفُ حالَه ويُعَرِّضُ بأهلِ زمانِه :

تَعَجَّبَتْ إذ رأتني فوق مكسورٍ، مِنَ الحميرِ ،عقيرِ الظَّهرِ مَضْرورِ[1] ،
مِنْ بعْدِ كلِّ أميرِ الرسْغِ مُعْتَرِضٍ في السيرِ تَحْسَبُهُ إحدى التَّصاويرِ[2] .
فقُلْتُ : لا تَعْجَبي منّي ومِنْ زَمَنٍ أخنى عليَّ بتَضْييقٍ وتَقْتيرِ[3] ،
بَلْ فاعْجَبي من كِلابٍ قدْ خَدَمْتُهُمُ تِسْعينَ عاماً بأشْعاري وطُنْبوري !

٤ — ** تاريخ بغداد ٤ : ٦٥ — ٦٩ ؛ معجم الأدباء ٢ : ٢٤١ — ٢٨٢ ؛ وفيات الأعيان ١ : ٧١ — ٨٢ ؛ شذرات الذهب ٢ : ٣٠١ — ٣٠٢ .

الوَشّاء

١ — هو أبو الطَيِّبِ مُحمّدُ بن أحمدَ بنِ اسحقَ بن يحيى الوشّاءُ ويُعْرَفُ أيضاً بالأعرابيّ ، تلميذُ المُبَرِّدِ وثعلبٍ ،كان مُعَلِّماً (للصبيان) في مَكْتَبِ العامّة . وتُوُفّيَ الوشّاء سنة ٣٢٥ ﻫ (٩٣٦ م) .

٢ — كان الوشّاءُ أحدَ الأُدباء الظُرفاء ، وهو نَحْوِيٌّ وإخباريٌّ وشاعرٌ رقيقٌ ومُصَنِّفٌ بارعٌ ، له من الكتب : كتابٌ مُختصرٌ في النحو ، الجامع في النحو ، المقصور والممدود ، المذكّر والمؤنّث ، خَلْقُ الإنسان ، خَلْقُ الفرس ، أخبار صاحب الزّنج ، أخبار المتظرّفات ، الحنين إلى الأوطان ، الزاهر

---

١ مكسور (إحدى القوائم : يعرج — بفتح الراء) . عقير : معقور (مجروح جرحاً مزمناً لا يندمل) . مضرور : به ضر (مريض ، سقيم ، ضعيف ضعفاً عاماً ، عاجز عن الحمل والجري) .

٢ من بعد كل (حصان) أمين الرسغ : متين ، قوي الرسغ (المفصل الذي بين حافر الحصان وقائمته) . معترض : يمر (يركض مسرعاً) عارضاً على جنب واحد (لكثرة نشاطه لا يستطيع راكبه أن يسيطر عليه) .

٣ أخنى علي : جار علي ، ظلمني (أفقرني وأتعسني) . بتضييق (مذاهبي في طلب الرزق) وتقتير (قلة رزقي من الأوجه التي أعمل فيها : التكسب بالشعر وبالغناء) .

في الأنوار والزهر [1] ، المُوَشّح ، المُوَشّى ، وصايا ملوك العرب من أولاد الملك قَحْطانَ بنِ هودٍ النبيِّ ، تفريج المُهَج وسبب الوصول إلى الفرج (سرور المهج والألبابِ في رسائل الأحباب) ، الفاضل من الأدب الشامل (الكامل) .

٣ ـ المختار من شعره وكلامه

ـ قال أبو الطيّب الوشّاء في النسيب :

لا صبرَ لي عنكَ سوى أنني ... أرضى مِنَ الدهرِ بما يَقْدُر [2] .
من كان ذا صبرٍ فلا صبرَ لي ، ... مِثْلِيَ عن مِثْلِكَ لا يَصْبِرُ !

ـ وقال في النسيب والشكوى :

يا مَنْ يقومُ مَقامَ الروح في الجسدِ ، ... لا تَحْسَبَنّي خَلِيَّ البالِ من سهَدِ [3] .
حُزْني عليكَ جديدٌ لا نَفادَ له ... أوْهَى فُؤادي وأوهى عُقْدَةَ الجَلَدِ [4] .
والصبرُ عنك قليلٌ مُضْرِمٌ قَلَقاً ... بين الضلوعِ كصَبْرِ الأمّ عن ولد [5] .

ـ من مقدمة الموشّى أو الظرف والظرفاء :

.... يَجِبُ على المتأدّب اللبيبِ والمتظرّف الأريب المُتَخَلِّقِ بأخلاقِ الأدباءِ والمُتحلّي بحِلْية الظرفاء أنْ يَعْرِفَ ، قبلَ هجومه على ما لا يعلَمُهُ وقبلَ تعاطيهِ ما لا يفهمه ، تَبَيّنَ الظَرْفِ وشَرائعَ المُروءة وحدودَ الأدبِ ، فإنّه لا أدبَ لِمَنْ لا مُروءةَ له ، ولا مُروءةَ لِمَنْ لا ظَرْفَ له ، ولا ظرفَ لمن لا أدب له .

وقد وَصَفْنا في كتابنا هذا [6] ، على قَدْرِ ما بَلَغَهُ عِلْمُنا واحتوى عليه فِكْرُنا ، وجعلناه حدوداً مَحْدودةً ومَعالِمَ مقصورةً وشرائع بَيِّنَةً وأبواباً نَيِّرَةً . وشريطتُنا على قارئ كتابِنا الإقصارُ عن طَلَبِ عيوبِ خَطائنا والصفحُ

---

١ الأنوار جمع نور (بفتح النون) : الزهر الابيض .
٢ يقدر : يقضي ، يوجب .
٣ السهد : الأرق ، ذهاب النوم .
٤ أوهى : أضعف . الجلد : التجلد ، الاحتمال .
٥ مضرم : مشعل . كصبر الأم عن ولد : كما تضطر الأم أن تصبر عن موت ولدها (مع الحزن والاضطراب)
٦ هذا الذي ذكرناه في الأسطر السابقة .

عمّا يقف عليه من إغفالنا والتجاوزُ عمّا ينتهي اليه من إهمالنا[1] .... لأنّنا قد تقدّمنا بالإقرارِ ؛ ولا بُدُّ للإنسان من عثّار . وليس كلُّ الأدبِ قرأناه ، ولا كلُّ العلم دَرَيْناه ؛ وعلينا في ذلك الاجتهادُ وإلى الله الإرشاد . وقلَّ ما نجا مؤلّفٌ لكتابٍ من راصدٍ بمكيدةٍ أو باحثٍ عن خطيئة . وقد كان يقال : من ألّف كتاباً فقدِ استُشْرِفَ ، فإذا أصاب فقد استُهْدِفَ ، وإذا أخطأ فقد استُقْذِف[2] ....

٤ – تفريج (تفريح) المهج ، القاهرة ١٩٠٠ م .

الموشّى (برونوف) ، ليدن ١٨٨٧ م ؛ الموشّى أو الظرف والظرفاء ، القاهرة ١٣٢٤ هـ ، الطبعة الثانية (تحقيق مصطفى كمال) ، القـاهرة (الخانجي) ١٣٧٣ هـ (١٩٥٣ م) ؛ بيروت (دار صادر) ١٩٦٥ م .

وصايا ملوك العرب ، القاهرة ١٣٣٢ هـ .

** الفهرست ٨٥ ؛ تاريخ بغداد ١ : ٢٥٣ – ٢٥٤ ؛ معجم الأدباء ١٧ : ١٣٢ – ١٣٤ ؛ الوافي بالوفيات ٢ : ٣١ – ٣٢ ؛ بروكلمان ١ : ١٢٩ ، الملحق ١ : ١٨٩ ؛ زيدان ٢ : ٢٠١ .

عبد الرحمن الهمذاني

١ – هو أبو الحسنِ عبدُ الرحمنِ بنُ عيسى الهَمَذانيّ ، نِسبةٌ إلى هَمَذان من بلاد الجبالِ في فارس ، كان كاتباً لبكرِ بنِ عبدِ العزيزِ بن أبي دُلَفٍ . تُوُفّي عبدُ الرحمن الهمذانيّ سنة ٣٢٧ هـ (٩٣٨ – ٩٣٩ م) في الاغلب وبعدَ أنْ أسنَّ جِداً لأنّه كانَ قديمَ المَوْلد (إنباه الرواة ٢ : ١٦٦) .

---

١ الاغفال : ترك الشيء قصداً (السبب وجيه عند المغفل) . التجاوز : المرور بالخطأ مراً كريماً ، العفو ، الصفح . الاهمال : ترك الشيء جهلاً أو تقصيراً . انتهى إلى علم الشيء : وصل من طريق التعلم أو الاختبار إلى ما لم يصل اليه غيره .

٢ استشرف (بالبناء للمجهول) : نظر الناس اليه من بعيد يضعون أكفهم فوق عيونهم (ليتبينوا صورتـه جلية) . استهدف (بالبناء للمجهول) : جعله الناس هدفـاً يرمونه بسهام انتقادهم (حقاً أو باطلا) استقذف (صيغة مولدة غير موجودة في القاموس) : إذا أخطـأ فقد وجب أن يقذفه الناس بالحجارة (أن يبينوا أخطاءه) كأنما هو قد دعاهم إلى ذلك لما أخطأ في التأليف .

٢ – كان عبدُ الرحمنِ الهمذانيّ إماماً في اللغة والنحو وكاتباً وشاعراً ، ولكنّ شُهْرَتَه في اللُغة . له كتابُ الألفاظ [١] (الفهرست ١٣٧) ويُعْرَفُ بكتابِ ألفاظِ عبدِ الرحمن (إنباه الرواة ٢ : ١٦٦) ، وقد طُبِعَ باسْمِ « الألفـاظ الكتابية » .

– من مقدمة الألفاظ الكتابية لعبد الرحمن بن عيسى الهمذاني :

.... ووَجَدتُ من المتأخرين في الآلةِ [٢] قوماً أخطأهُمُ الاتّساعُ في الكلامِ فهم مُتَعلقون في مُخاطباتهم وكُتُبِهم باللفظةِ الغريبة والحَرْف الشاذّ ليتميّزوا بذلك من العامّة ويرتفعوا عند الأغبياء عن طَبَقة الحَشْو . والخَرَسُ البَكَمُ أحسنُ من النُطْق في هذا المذهبِ الذي تذهب اليهِ هذه الطائفة في الخِطاب ... وألفَيْتُ آخرين قد توجّهوا بَعْضَ التوجّه وعَلَوْا عن هذه الطبقة ، غيرَ أنهم يَمْزِجون ألفاظاً يسيرةً قد حَفِظوها من ألفاظ كُتّاب الرسائلِ بألفاظِ كثيرةٍ سخيفةٍ من ألفاظ العامّةِ اسْتِعانةً بها وضَرورةً إليها لِخفّة بِضاعتهم [٣] . و (هم) لا يَستطيعون تغييرَ معنىً بغيرِ لفظه لضيق وُسْعِهم ؛ فالتكلّف والاختْلال ظاهران في كُتُبِهم ومُحاوراتهم إذ كانوا يُؤلّفون بين الدّرة والبَعْرة في نِظامهم .

فجمعت في كتابي هذا لجميعِ الطَبَقات أجناساً من ألفاظِ كُتّاب الرسائلِ والدواوينِ البعيدةِ عنِ الاشتباه والالتباس ، السليمةِ من التَقْعير [٤] ، المحمولة على الاستعارة والتلويح ، على مذاهب الكُتّاب وأهلِ الخَطابة دونَ مذاهب المُتَشدّقين والمتفاصحين ... في كل فن من فنون المخاطبات ، مُلْتَقَطَةً من كتب الرسائلِ وأفواهِ الرجال ... ومُتَخَيّرة من بطون الدفاتر ومُصَنّفات العلماء . فليست لفظةٌ منها إلاّ وهي تَنوب عن أختها في موضعها من المكاتبة

---

١ يقول المستشرق فريتز كرنكو Fritz Krenkow (Z D M G 65 , 392) ان هذا الكتاب ينسب إلى عبد الرحمن الانباري (بروكلمان ، الملحق ١ : ١٩٥) .

٢ الآلة : وسائل الاجادة في صناعة الكتابة (الألفاظ ، النحو ، البلاغة ، المحفوظ من القرآن والحديث والشعر والأمثال ، الخ) .

٣ قلة معرفتهم بقواعد الكتابة .

٤ التقعير : التكلم (بملء الصوت) من أقصى الفم (شدة التكلف في طلب الكلمات الغريبة) .

أو تقومُ مَقامها في المعاورة [1] ، إما بمُشاكَلَةٍ أو بمَجانسةٍ أو بمجاورةٍ . فإذا عرَّفَها العارفُ بها وبأماكنِها التي توضع فيها كانت له مادّةٌ قويةٌ وعوْناً وظهيراً [2] . فإن كتب (أحدهم) عدّةَ كُتُبٍ في معْنى تهنئةٍ أو تعزيةٍ أو فتحٍ أو وَعْدٍ ... أو شُكْرٍ ... أو تأسيسِ جماعةٍ .... أو صَدْرِ دُسْتورٍ أو حكايةِ حسابٍ ... أمكنه تغييرَ ألفاظِها مَعَ اتفاقِ معانيها ؛ وأن يجعل مكان «أصلحَ الفاسدَ» «لَمَّ الشعَثَ» ، ومكان «لَمَّ الشعَثَ» «رَتَقَ الفتوق» و «شَعَبَ الصَدْعَ» . ولهذا قياس في ما سواه من هذا الكتاب . وان قعد به حُسْنُ المعنى لم يعدم من ألفاظه ما هو من بناء الكَلِمَةِ ....

٤ ــ الألفاظ الكتابية ، استانبول ١٣٠٢ هـ ؛ (نشره لويس شيخو) ، بيروت (المطبعة الكاثوليكية) ١٨٨٥ م ثم ١٨٩٨ م ؛ (نشره محمّد توفيق) ، القاهرة ١٣٤٤ هـ (١٩٢٥ م) ؛ القاهرة ١٩٣١ م .

** الفهرست ١٣٧ ؛ إنباه الرواة ١٦٥ ــ ١٦٦ ؛ بروكلمان ، الملحق ١ : ١٩٥ ؛ زيدان ٢ : ٢٢٠ ــ ٢٢١ .

الخُبزْ أرْزيّ

١ ــ هو أبو القاسم نصرُ بنُ أحمدَ بنِ نصرِ بن المأمون الخُبْزأرزي ، كان يَخْبِزُ خُبْزَ الأُرْز في دُكّانٍ له في مَرْبِدِ البصرة . وكان الخبزأرزي أُمّيّاً لا يقرأ ولا يكتُبُ ، ومَعَ ذلك فقد كان الناسُ يجتمعون عليه لاستماعِ شعرِه وللتمتّع بمَرَحِه وظَرْفه . وزار الخبزأرزي بغدادَ وأقام فيها ببابِ خُراسانَ زمناً طويلاً . وكانت وفاته سنة ٣٢٧ هـ (٩٣٩ م) .

٢ ــ كان الخبزأرزي رقيقَ الشعرِ سهلَ التراكيب مَعَ شيء من اللين والضَعْف ، إلاّ أن شِعرَه رُزِقَ سَيْرورةً وشُهرةً في أيامه لموافقة مَعانيه وتراكيبه لهَوى العامّةِ . وكذلك مالَ اليه الخاصّةُ استظرافاً لِما يقول . وقد

---

١ وضع شيء مكان شيء آخر .
٢ الظهير : المساعد (سراً) .

عُنِيَ الشاعر ابن لَنْكَكَ بشعرِه . ويكادُ يكونُ شعرُ الخُبزأرزي مقصوراً على الغزل لولا مُقطّعاتٌ في عددٍ من الاغراض الوجدانية .

٣ – المختار من شعره

– من شعر الخبزأرزي في الغزل :

رأيتُ الهلالَ ووجهَ الحبيب، فكانا هلالَيْنِ عند النظرْ .
فلم أدرِ من حَيْرتي فيهما هلالَ السما من هلال البشر.
ولولا التورّدُ في الوجنتينِ وما راعني من سَواد الشَعَرْ ،
لكُنْتُ أظُنّ الهِلالَ الحبيبَ ، وكنت أظنّ الحبيبَ القَمَرْ !

– وقال في الأدب :

إذا ما لِسانُ المرءِ أكْثرَ هَذْرُه فذاك لسان بالبَلاء مُوَكَّلُ .
إذا شئتَ أن تحيا عزيزاً مسلّماً، فدبّرْ وميّزْ ما تقولُ وتفعل !

٤ – •• تاريخ بغداد ١٣ : ٢٩٦ – ٢٩٩ ؛ يتيمة الدهر ٢ : ٣٣٧ – ٣٤٠ ؛ معجم الأدباء ١٩ : ٢١٨ – ٢٢٢ ؛ وفيات الأعيان ٣ : ٥٥ – ٦٠ ؛ بروكلمان ، الملحق ١ : ١٣١ ؛ زيدان ٢ : ١٩٠ .

أبو بكر بن الانباريّ

١ – هو أبو بَكْرٍ محمّدُ بنُ القاسم بن بشّار بن الحسنِ الانباريّ ، وُلِدَ في بَغْدادَ في الحادي عَشَرَ من رَجَبَ من سَنَةَ ٢٧١ هـ (٨٨٥ م) وأخذ طَرَفاً من العلم عن أبيه القاسم بن محمّدٍ [١] كما أخذ النحو عن ثَعْلَبٍ . وقد تصدّرَ للتعليم باكراً فكان يُملي هو في جانبٍ من المسجد (جامع المنصور في بغداد) ويملي أبوه في جانبٍ آخر . وكان ابن الانباريّ يُملي من حفظه لا من

١ توفي سنة ٣٠٤ هـ (٩١٦ – ٩١٧ م) ، راجع الفهرست ٧٥ ؛ تاريخ بغداد ١٢ : ٤٤٠ – ٤٤١ ؛ طبقات الزبيدي ٢٢٨ ؛ معجم الأدباء ١٦ : ٣١٦ – ٣١٩ ؛ إنباه الرواة ٣ : ٢٨٠ ؛ بغية الوعاة ٢٨٠ .

كتاب . أما وفاتُه فكانت في التاسع من ذي الحِجّة من سنة ٣٢٨ هـ (٢٦-٩-٩٣٩م) في الأغلب .

٢ - كان أبو بكرٍ الانباريّ أديباً عالماً باللغة والنحو وتفسير القرآن وبالحديث جامعاً لأخبار الناس[١] ثِقَةً في ما يَرْوي ويقول . ولكن بما انه كان يُمْلي من حِفظه فقد كانت الكتب التي خلّفها قليلة . وله شيء من الشعر العاديّ .

ولأبي بكرٍ الانباريّ من الكتب : كتاب المُشكل في معاني القرآن . رسالة المشكل (ردّ فيها على ابن قُتَيْبَة وعلى أبي حاتم السجِسْتاني : في مشكل القرآن) ، كتاب الردّ على مَنْ خالف (هجاء !) مُصْحَف عُثْمانَ ، كتاب نقض مسائل شَنْبوذ (في قراءاتِ القرآن) ، كتاب الوقف والابتداء ، كتاب الهاءات في كتاب الله عزّ وجلّ (في القرآن) ، كتاب اللامات ، كتاب الهجاء ، كتاب غريب الحديث . وله في اللغة : كتاب الزاهر في معاني الكلمات التي يستعملها الناس في صَلاتهم ودُعائهم وتسبيحهم وعبادة ربّهم ، كتاب المقصور والممدود ، كتاب المذكّر والمؤنّث ، كتاب الاضداد ، دقائق التصريف ، كتاب أدب الكاتب . وله في النحو خاصّة : كتاب الواضح ، كتاب الموضح ، شرح الكافي . وله في الأدب والشِعر : كتاب الجاهليّات (السبع الطوال : المعلّقات) ، شرح المفضّليات ، كتاب المجالس (الأمالي) ، شعر النابغة ، شرح شعر الأعشى ، شرح شعر زهير ، شرح شعر راعي الابل ، النابغة الجعدي ، الخ .

٣ - المختار من آثاره

- من كتاب الأضداد لمحمد بن القاسم الأنباري :

... هذا كتاب ذِكْرِ الحروف التي تُوقعها العرب على المعاني المتضادّة فيكون الحرف منها مؤدّياً عن معنيين مختلفين . ويظن أهل البِدَع والزَيغ والإزراء بالعرب ان ذلك كان منهم لنقصان حكمتهم وقِلة بلاغتهم وكَثْرة الالتباس في محاوراتهم وعند اتصال مخاطباتهم فيَسألون عن ذلك ويحتجّون بأن الاِسْمَ مُنبئٌ عن المعنى الذي تحته ودالّ عليه ومُوضِحٌ تأويله ؛ فاذا اعتَوَرَ

[١] لاخبارهم وحكاياتهم (راجع النثر الفني لزكي مبارك ١ : ٢٥٤ - ٢٥٧) .

اللفظة الواحدة مَعْنيان مُختلفان لم يَعْرِفِ المخاطَبُ أيّهما أراد المخاطِبُ ، وبَطل بذلك معنى تعليق الاسم على المُسمّى .

فأجيبوا عن هذا الذي ظنّوه وسألوا عنه بضروب من الأجوبة : أحَدُهنّ أن كلام العرب يُصَحِّحُ بعضُه بعضاً ويرتبط أوّلُه بآخره ، ولا يُعْرَف معنى الخطاب منه إلا باستيفائه واستكمال حروفه . فجاز وقوعُ اللفظة على المعنيين المتضادّين لأنه يَتَقَدّمها ويأتي بعدها ما يدل على خُصوصيّة أحد المعنيين دون الآخر ، ولا يُراد بها في حالِ التكلّم والإخبار إلاّ معنىً واحدٌ . فمن ذلك قولُ الشاعر :

كل شَيْء ما خلا الموتَ جَلَلْ   والفتى يَسعى ويُلهيه الأمل .

فدَلّ ما تقدم قبل « جلل » وتأخر بعده على أن معناه : كلّ شيء ما خلا الموت يسير ، ولا يتوهّم ذو عقل وتمييز ان « الجَلَلَ » هاهنا معناه « عظيم » .

٤ — شرح القصائد السبع الطوال الجاهليّات (نشره عبد السلام محمّد هارون) القاهرة ١٩٦٣ م ،

شرح المفضّليات (نشره كارلوس ليال) ، أوكسفورد (كلارندون) ١٩١٨ — ١٩٢٤ م .

الاضداد في اللغة (هوتسمان) ، ليدن (بريل) ١٨٨١ م ؛ القاهرة (المكتبة الازهرية الحسينية ؟) ١٣٢٥ هـ (١٩٠٧ م) ؛ (نشره محمّد أبو الفضل ابراهيم) ، الكويت ١٩٦٠ م .

شرح معلّقة طرفة (نشره ريشر) ، قسطنطينية (نيفاست) ١٣٢٩ هـ .

•• الفهرست ٧٥ ؛ طبقات الزبيدي ١٧١ — ١٧٢ ؛ تاريخ بغداد ٣ : ١٨١ — ١٨٦ ؛ معجم الأدباء ١٨ : ٣٠٦ — ٣١٣ ؛ وفيات الأعيان ٢ : ٣١٩ — ٣٢١ ؛ إنباه الرواة ٣ : ٢٠١ — ٢٠٨ ؛ بغية الوعاة ٩١ — ٩٢ ؛ شذرات الذهب ٢ : ٣١٥ — ٣١٦ ؛ بروكلمان ١ : ١٢٢ ، الملحق ١ : ١٨٢ — ١٨٣ ؛ زيدان ٢ : ٢١١ .

Enc . Isl . (new ed .) I 485

قُدامةُ بن جَعْفرٍ

١ – هو أبو الفرج قُدامة بن جعفرٍ ، وُلِدَ في بغدادَ سنة ٢٧٥ هـ (٨٨٨م) على الاغلب ونشأ فيها على النصرانية . ثم انه دخل في الإسلام على يد الخليفة المكتفي (٢٧٩ – ٢٩٥ هـ) . وفي سنة ٢٩٧ هـ (٩٠٨ م) تولّى مجلس الزمـام (في ديوان الأموال) في بغداد . وكانت وفاته سنة ٣٣٧ هـ (٩٥٨ م) ، وقيل سنة ٣٢٧ هـ ؛ ويميل بروكلمان إلى أن يجعل وفاته سنة ٣١٠ هـ (١ : ٢٦٢ ؛ الملحق ١ : ٤٠٦) . ويبدو أنه كان لا يزال حياً في سنة ٣٢٠ هـ (٩٣٢ م) .

٢ – قرأ قدامة بن جعفر علوم اللغة والأدب وقرأ الفقه والمنطق والحساب والفلسفة ولكن غلب عليه علم اللغة والأدب والبلاغة ونقد الشعر ، وكان حسن التصنيف للكتب مع الايجاز في اللفظ والسهولة في التركيب والتقريب للمعاني . وعلى أسلوبه شيء من الضَعْف ناتجٌ من رَغبته في التقرير العلمي والتقسيم المنطقي .

ومن كتب قدامةَ بن جعفرٍ التي وصلت الينا : « كتاب الخراج وصناعـة الكتابة » ، « كتاب نقد الشعر » فصّل فيه الكلام على أربعة أشياء هي في رأيه قِوام الشعر : اللفظ والوزن والقوافي والمعاني ، ثم تكلّم على ائتلاف الألفاظ مع المعنى ، واللفظ مع الوزن ، والمعنى مع الوزن ، والمعنى مع القافية ، فأصبحت أسسَ نقد الشعر عنده ثمانية . وكذلك تعرّض للكلام على الخصائص والفنون . وعنده أن « فَحاشة المعنى في نفسه ليست مما يُزيل جودةَ الشعر فيه (نقـد الشعر ٥ ، ١٠ ، ١٢ وما بعدها) ؛ يَقْصِدُ أن جَوْدةَ الشعر إنما هي في التعبير الفنّي الجميل ، سواءٌ أكان المعنى شريفاً ممـا يدلّ على سُمُوّ الاخلاق وبُـعْد الهِمّة أو كان فاحشاً يصف الفِسق والأمور الوضيعة . غير أن إغراق قُدامةَ في تطلّب المقاييسِ والقواعد حمله على أن ينظر إلى الناحية الفنّيّـة (أصول النظم) أكثر من نظره إلى روح الشعر . ونُسب إلى قدامة كتاب نقد النثر [١] .

---

١ نشر هذا الكتاب طه حسين وعبد الحميد العبادي (القاهرة ١٩٣٣ م) . غير أن مادة الكتاب وأسلوبه يدلان على أن الكتاب متأخر جداً عن عصر قدامة (راجع « كنوز الاجداد » لمحمد كرد علي ، دمشق ١٣٧٠ هـ = ١٩٥٠ م ، ص ١٥١) .

٣ – المختار من آثاره

– من «كتاب الخراج» : الصوائف والشواتي (غزوات الصيف والشتاء) :

.... إنَّ أجْهَدَها ، مما يَعْرِفُه أهلُ الخبرة من الثَّغْرِيّين [١] ، أن تقعَ الغَزاةُ التي تُسمّى الربيعية [٢] لِعَشْرةِ أيام تخلو من أيار [٣] بعد أن يكون الناس قد أربعوا دوابَّهم وحَسُنَتْ أحوالُ خيولهم ، فيقيمون ثلاثينَ يوماً هي بقيّة أيار وعَشْرةٌ من حَزيران ، فانهم يَجِدون الكَلأَ في بلاد الروم مُمْكِناً وكأنّ دوابَّهم ترتبع ربيعاً ثانياً . ثم يَقْفُلون فيُقيمون إلى خمسةٍ وعشرين يوماً ، وهي بقية حَزيران وخمسةٌ من تَمّوز ، حتّى يَقْوى ويَسْمَنَ الظَّهْرُ [٤] . ويجتمع الناسُ لغزوِ الصائفة [٥] ثم يَغْزُون لعَشْرٍ تخْلو من تَمّوز .

وأما الشّواتي فاني رأيتهم جميعاً يقولون : ان كان لا بُدَّ منها فَلْيَكُنْ مما لا يُبْعَدُ فيه ولا يُوغَلُ ، ولْيَكُن مَسيرةَ عِشرينَ لَيْلةً بمِقْدارِ ما يَحْمِلُ الرجل لفرسه ما يَكْفيه على ظَهْره ، وأن يكون ذلك في آخرِ شباطَ ، فيقيم الغُزاةُ إلى أيامٍ تمضي من آذار فانهم يَجِدون العَدُوَّ في ذلك الوقتِ أضعفَ ما يكون نفساً ودوابَّ ويجدون مواشيَهم كثيرة . ثم يَرْجِعون ويُرَبِّعون دوابَّهم .

– من كتاب «نقد الشعر [٦]» :

.... لما كانت فضائلُ الناسِ – من حيثُ أنهم ناسٌ ، لا من طريق ما هم مشتركون فيه مَعَ سائرِ الحَيَوان ، على ما هو عليه أهلُ الآداب من الاتّفاق في ذلك – إنّما هي العَقْلُ والشجاعة والعدل والعِفّة [٧] ، كان القاصدُ لِمَدحِ الرجال بهذه الأربعِ الخِصالِ مُصيباً والمادح بغيرها مُخْطِئاً . وقد

---

١ الثغريون : المرابطون (الذين يعيشون على أطراف البلاد – على حدودها – ليدفعوا عنها الاعداء) .

٢ الربيعية : الغزوة في زمن الربيع . الغزاة : الغزوة .

٣ الأشهر الآرامية المذكورة في هذا النص هي : أيار (مايو) ، حزيران (يونيو) ، تموز (يوليو) .

٤ الظهر : الدواب التي تحمل الاثقال .

٥ الصائفة : الغزوة في الصيف . الشاتية : الغزوة في الشتاء .

٦ نقد الشعر (محمد عيسى منون) ، ص ٣٩ .

٧ يبسط قدامة بن جعفر هنا الفضائل اليونانية القديمة . وكان العرب في الجاهلية يمدحون بأربعة خلال : النسب الشريف (القديم) والحلم (العقل) والشجاعة والكرم .

وقد يجوزُ في ذلك أن يَقْصِدَ الشاعرُ للمدح منها بالبعض والإغراق فيه دون البعض ، مثلَ أنْ يَصِفَ الشاعرُ إنساناً بالجُود – الذي هو أحدُ أقسامِ العَدل – وَحْدَهُ فيُغْرِقَ فيه ويَتَفَنَّنَ في معانيه ، أو بالنَّجْدة فقطْ فيَعْمَل فيها مثلَ ذلك ، أو بهما كلَيْهما ، أو يَقْتَصِرَ عليهما دونَ غيرهما فلا يُسَمَّى مُخْطِئاً لإصابته في مدح الإنسان ببعض فضائله ؛ لكنْ يُسمَّى مُقصِّراً عنِ استعمال جميعِ المدح . فقد وَجَبَ أنْ يكونَ ، على هذا القياسِ ، المُصيبَ [1] من الشعراء بهذه الخلاف [2] لا بغيرها ، والبالغَ في التجويد إلى أقصى حدودهِ مَنِ اسْتَوْعَبَها ولم يقتصرْ على بعضها ....

٤ – كتاب الخراج وصنعة الشعر (نشره ده خويه مع كتاب المسالك والممالك لابن خرداذبه) ، ليدن (بريل) ١٨٨٩ م .

نقد الشعر ، القسطنطينية (مطبعة الجوائب ١٣٠٢ هـ) ؛ (نشره محمّد عيسى منون) ، القاهرة (المطبعة المليجية) ١٣٤٣ هـ ، ١٣٥٢ هـ (١٩٣٤ م) ؛ (نشره بونيباكر) ، ليدن (بريل) ١٩٥٦ م ؛ (نشره عيسى ميخائيل سابا) ، حريصا – لبنان (المطبعة البوليسية) ١٩٥٨ م . (تحرير كمال مصطفى) ، القاهرة (مكتبة الخانجي) ١٩٦٣ م .

جواهر الالفاظ (مكتبة الخانجي) ، مصر (مطبعة السعادة) ١٣٥٠ هـ (١٩٣٢ م) .

* * قدامة بن جعفر والنقد الأدبي ، تأليف بدوي طبانه ، القاهرة (مكتبة الانجلو) ١٣٧٣ هـ (١٩٥٤ م) .

الفهرست ١٣٠ ؛ معجم الأدباء ١٧ : ١٢ – ١٥ ؛ كنوز الاجداد لمحمّد كرد علي ١٥٠ – ١٥٣ ؛ بروكلمان ١ . ٢٦٢ ، الملحق ١ : ٤٠٦ – ٤٠٧ ؛ زيدان ٢ : ٢٠٠ – ٢٠١ و ٢٣٦ – ٢٣٧ .

---

١ « المصيب » و « البالغ » خبر متعدد مقدم من « يكون » في قوله : « فقد وجب أن يكون » ؛ واسم الموصول « من » في قوله « من استوعبهما » اسم « يكون » مؤخر ، لأن اسم الموصول لا يجوز أن يكون خبراً ، أو الاصح ألا يكون خبراً .

٢ كذا في الأصل . – وهي : الخلائق أو الخلال (الخصال) .

الصَّنَوْبَرِيّ الحَلَبيّ

١ – هو أبو بكرٍ أحمد بنُ محمّدِ بنِ الحسنِ بنِ مُرادٍ الضبّيّ المعروف بالصَّنَوْبري[١] الحَلبي ، وُلِدَ في أنْطاكِيَةَ نحوَ سَنَةِ ٢٨٤ هـ (٨٩٧ م) .
قَدِمَ الصنوبريّ إلى دِمَشْقَ ثم اتّصلَ في أواخرِ حياته بسيفِ الدولةِ . ولعلّ وفاتَه كانتْ سَنَةَ ٣٣٤ هـ (٩٤٦ م) أو بُعَيْدَ ذلك .

٢ – الصنوبريّ شاعرٌ مُحْسِنٌ مُطيلٌ ، في شعره سهولةٌ وعذوبةٌ أحياناً ، ويَسمّونه حَبيباً الأصغرَ[٢] لجَوْدَةِ شعره . وأكثر أشعارِه في وصفِ الرياضِ والأنوار والأزهار ، وله وصفٌ في دِمَشْقَ وشيءٌ من الرثاء في أولادِه ومن النسيب والمُجون .

٣ – المختار من شعره

– قال الصنوبريّ الحلبي يَصِفُ ديكاً :

مغرّدُ الليل لا يألوكَ تغريدا ، ملّ الكرى فهو يدعو الصُبحَ مجهودا[٣] .
لمّا تطرّبَ هزَّ العِطفَ من طَرَبٍ ومدَّ للصَّوْتِ – لمّا مَدَّهُ – الجِيدا[٤] .
كلابسٍ مُطْرَفاً مُرْخىً ذوائبُه تُضاحِكُ البيضُ من أطرافه السُّودا[٥] .
حالي المُقَلَّدِ ، لو قِيستْ قِلادتُه بالوردِ قَصَّر عنها الوردُ تَوْريدا[٦] .

---

١ في سرد عمود نسبه اختلاف . ثم يذكر كامل الغزي (م م ع ع ١٠ : ٤٨٧ ع) : أحمد بن محمد الصبي الصنوبري ؛ وكلمة الضبي الواردة في ما ترجمه ابن عساكر محرفة عن الصبي . ويرى بروكلمان (الملحق ١ : ١٤٥) أن الصبي محرفة عن الضبي .

٢ حبيب – أبو تمام الطائي ؛ ولعل الصنوبري أشبه بالبحتري .

٣ لا يألوك : لا يقصر عنك ، لا يبطئ ، لا يتأخر (إنه دائم الصياح) . الكرى : النوم – مجهود : تعب (بفتح التاء وكسر العين) : تعبان .

٤ تطرب : تغنى ، رفع صوته وحاول تحسينه . الجيد : العنق (يصف حركة جسم الديك وهو يصيح) .

٥ – كأن على هذا الديك مطرف (ثوب حرير فيه أعلام : صور) وله ذوائب (خيوط مجدولة ومتدلية) بيض وسود ، فالبيض منها تضحك (تلمع في ضوء الفجر فيبدو لمعانها على السود) .

٦ حالي : (مزين) المقلد (موضع القلادة : العنق) . قلادته (الريش المختلف الألوان الذي في عنقه) . توريداً = توردا : احمراراً .

– وقال يصف شقائق النّعمان :

وكــأنّ مُحْمَرَّ الشّقيــ ــقِ إذا تَصَوّب أو تَصَعّدْ[1]
أعـلامُ ياقوتٍ نُشِـــرْ نَ على رِماحٍ من زَبَرْجَدْ[2] !

– وقال في غلامٍ جميلٍ يَشْرَبُ خَمراً (يُشبّهها بالشمس) :

بَدْرٌ غدا يَشْرَبُ شَمساً غَـدَتْ –وحَدُّها في الوصف من حَدّهِ –[3]
تَغْرُبُ في فيهِ ، ولكنّهــــا من بَعْدِ ذا تَطْلُعُ في خَدّهِ !

٤ – ديوان الصنوبري : الروضيّات (نشره محمّد راغب الطبّاخ) ، حلب ١٩٣٢ م.

•• فوات الوفيات ١ : ٧٧ – ٧٩ ؛ شذرات الذهب ٢ : ٣٣٥ ؛ أعلام النبلاء ١ : ٢٣ وما بعدها ؛ بروكلمان ، الملحق ١ : ١٤٥ ؛ م م ع ع ١٠ : ٤٨٤ – ٤٩١ (١٩٣١ م) .

أبو بكر الصوليّ

١ – هو أبو بكر محمّد بنُ يحيى بنِ عبدِ الله بن العبّاس بن محمّد بن صولٍ تِكين ، كان في نحو سنة ٢٦٠ هـ (٨٧٤ م) في بغدادَ شابّاً صُلْبَ العودِ يتردّد على حَلَقات نفرٍ من الأعلام منهم[4] أبو العبّاس المبرّدُ (ت ٢٨٥ هـ) وأبو العبّاس ثعلبٌ (ت ٢٩١ هـ) ؛ وقد اجتمع الصولي بالبحتري الشاعرِ في مجلس المبرّد سنة ٢٧٦ هـ (٨٨٩ م) .

بَرَعَ الصوليّ في علوم العربيةِ فأصبح إماماً في اللغة والأدب والأخبار يأخذ عنه الرواةُ والأدباء . ثمّ اتّخذه الخلفاء مُؤدِّباً لأبنائهم وكاتباً ونديماً لهم : نادمَ

١ إذا تصوب أو تصعد (ما كان متجهاً إلى أدنى : مائلا على ساقه في أول تفتيحه ، أو قائماً على ساقه متجهاً إلى أعلى في أول تفتيحه) .
٢ الياقوت : حجر كريم أحمر . والزبرجد : حجر كريم أخضر .
٣ حدها في الوصف من حده : لونها كلون وجهه وفعلها كفعل عينيه (؟) .
٤ في معجم الأدباء (١٩ : ١١٠) ووفيات الأعيان (٢ : ٢٢٨) أن أبا بكر الصولي أخذ عن أبي داوود السجستاني (ت ٢٥٧ هـ) أيضاً .

من الخلفاء المُكتفِي والمقتدرَ والراضيَ ، بينَ سَنَةِ ٢٨٩ وسَنَةِ ٣٢٩ هـ (٩٠٢ – ٩٤٠ م) .

ثم عُرِفَ عن الصولي مَيْلٌ على آلِ البيتِ فضاقت به الحالُ في بغدادَ فهجرها إلى البصرة حيثُ عاش مُعتزلاً متَخفّياً إلى أنْ مات في سنة ٣٣٥ هـ (٩٤٦ – ٩٤٧ م) ، وقد أسنّ .

٢ – أبو بكر الصولي راويةٌ ولُغويّ وأديبٌ مصنّفٌ ثم هو بارعٌ في الغِناء ولَعِبِ الشِطْرنج . ومن كُتُبِ أبي بكرٍ الصولي : كتابُ الأوراق في أخبار الخلفاء وأشعارهم ، أدب الكاتب ، أخبار أبي تمّام ، أخبار البحتري ، كتاب الوزراء ، أخبار ابن هَرْمة ، أخبار أبي عمرِو بن العلاء ، أخبار اسحق المَوْصلي أخبار السيد الحِميْري الشاعر ، أخبار القرامطة ، الخ [١] .

٣ – المختار من نقده

– قال أبو بكرٍ الصوليُّ في أبي تمّام والبحتري (أخبار البحتري ٦٠ – ٦١ ، ١٤٨ ، ١٤٩ ، ١٥٢) :

قيل للبُحتُريّ : الناسُ يَزْعَمون أنك أشعرُ من أبي تمّامٍ . فقال : واللهِ ، ما يَنْفَعُني هذا القولُ ولا يَضُرّ أبا تمّامٍ . واللهِ ، ما أكلت الخبزَ إلاّ بـه ، ولَوَدِدتَ أنّ الأمرَ كما قالوا ؛ ولكنّي ، واللهِ ، تابعٌ له ، لائذٌ به ، آخذ منه ؛ نسيمي يَرْكُد عند هوائه ، وأرضي تنخفِضُ عند سمائه .

قال الصولي : وهذا من فضلِ البُحتريّ أنْ يَعْرِفَ الحقّ ويُقرّ بـه ويُذْعِنَ له ، واني لأراه يَتْبَعُ أبا تمّامٍ ومَعانيَهُ حتى يستعيرَ مَعَ ذلك بعضُ لفظه فلا يقَعُ إلاّ دونه ، ويعودَ في بعضه طبعُه تكلّفاً وسَهْلُه صَعْباً ... ولا أعرِفُ أحداً بعدَ أبي تمّام أشعرَ من البُحتُريّ ولا أغضّ كلاماً ولا أحسنَ ديباجةً ولا أتمّ طبعاً . وهو مُسْتَوي الشعرِ حلوُ الألفاظ مقبولُ الكلام ، يقع على تقديمه الإجماعُ . وهُوَ مَعَ ذلك يلوذ بأبي تمّامٍ في معانيه . فأيّ دليلٍ على فضلِ أبي تمامٍ ورئاسته يكونُ أقوى من هذا ؟

---

١ راجع ثبتاً بكتب أبي بكر الصولي للدكتور صالح الأشتر (أخبار البحتري ٢٢ – ٢٦) .

ومَنْ تَبَحَّرَ شعرَ أبي تمّامٍ وَجَدَ كلَّ مُحْسنٍ بعدَه لائذاً بـه ، كما أن كلَّ مُحسنٍ بعدَ بشّارٍ لائذٌ ببشّارٍ ومنتسبٌ اليه في أكثر احسانه .

ولولا أنَّ بعضَ أهل الأدبِ ألّف في أخذ البُحتري من أبي تمّام كِتاباً لَكُنْتُ سُقْتُ كثيراً (من) مثل ما ذكرنا ، ولكنّني أكره إعادة ما أُلِّف ، وأجتنبُ أن أجتذبَ من الأدب ما مُلِكَ قبلي .

ـ أبو تمّام وابن أبي عيينة (أخبار البحتري ١٦٥ ـ ١٦٦) :

وكان أبو تمّام يُبْصِرُ الشعرَ كلّه ويَنْقُدُه ، ويفضّل الجيّدَ منه وان كان على غيرِ مذهبه . ولا أعلمُ شاعرينِ أشدَّ تبايُناً ولا أبعدَ شَبَهاً من أبي تمّام وابن أبي عُيَيْنةَ المطبوعِ : فان أبا تمّام يَصْنَعُ الكلامَ ويَخْتَرِعُه ، ويَتْعَبُ في طلبهِ حتى يُبْدِعَ ، ويَستعيرُ ويُغْرِب [1] في كل بيت إنِ استطاع . وابن أبي عُيَيْنَةَ لا يصنعُ من هذا شيئاً ، ويُرْسِلُ نفسَه في شعره على سَجيّته ، ويُخْرِجُ كلامَه مَخْرَجَ نفسه بغير كُلْفَة ؛ ورُبّما اختلّ معناهُ ولانَ لفظُه . وأبو تمام لا يَسْقُطُ معناه البتّةَ وإنما يختلّ في الوقت لفظُه . فإذا استوى له اللفظُ فهو الجيّدُ من شعرِه النادرُ الذي لا يُتَعَلَّقُ به . وقد أحكمتُ وصفَه في رسالةٍ أحتَجّ فيهما عنه ، وعَمِلْتُ بِعَقِبها شعرَه . وكان ابن أبي عُيينةَ عند أبي تمّام ، مَعَ هذا التباعدِ بينهما ، شاعراً مُجيداً :

حدّثني أبو الحسنِ الكاتبُ قال : حدّثني عليّ بنُ العباسِ الروميّ [2] قال : حدّثني أبو يوسفَ الدّقاق قـال : كُنّا مَعَ أبي تمّام وبينَ يَدَيْهِ أشعارُ المُحْدَثين يختارُ منها ، فلما بَلَغَ إلى شعرِ أبي عُيينةَ هذا قال : وهذا كلّه مُختارٌ !

٤ ـ أخبار الراضي بالله والمتّقي لله (نشره هيورث دنّ) ، القاهرة (مطبعة الصاوي) ١٩٣٥ م .

أشعار أولاد الخلفاء (نشره هيورث دنّ) ، القاهرة (مطبعة الصاوي) ١٩٣٦ م .

---

١ يغرب : يأتي (بالمعنى) الغريب ، البعيد ، الجميل .

٢ ابن الرومي (ص ٣٤٠ وما بعدها) .

شعر ابن المعتزّ (عني بتصحيحه ب. لوين)، استانبول (مطبعة المعارف) ١٩٤٥ – ١٩٥٠ م.
أخبار أبي تمّام (نشره خليل محمّد عساكر، محمد عبده عزّام، نظير الإسلام الهندي)، القاهرة (لجنة التأليف والترجمة والنشر) ١٩٣٧م.
أخبار البحتري (حقّقها .... صالح الاشتر)، دمشق (المجمع العلمي العربي) ١٩٥٨ م بيروت؛ (المكتب التجاري) ١٩٦٧.
أدب الكتّاب (نشر محمّد بهجة الاثرى)، بغداد (المكتبة العربية) ١٩٤١ م.
كتاب الأوراق (راجع أشعار أولاد الخلفاء).
•• الفهرست ١٥٠ – ١٥١؛ تاريخ بغداد ٣ : ٤٢٧ – ٤٣٢؛ معجم الأدباء ١٩ : ١٠٩ – ١١١؛ وفيات الاعيان ٢ : ٣٢٨ – ٣٣٢؛ إنباه الرواة ٣ : ٢٣٣ – ٢٣٦؛ شذرات الذهب ٢ : ٣٣٩ – ٣٤٢؛ أعيان الشيعة ٤٧ – ١٤٧ – ١٤٩؛ بروكلمان ١ : ١٤٩ – ١٥٠، الملحق ١ : ٢١٨؛ زيدان ٢ : ٢٠٣.

أحمد بن الداية يوسف[1] بن ابراهيم المصري

١ – هو أبو جعفرٍ أحمدُ بنُ يوسفَ المعروفُ بابنِ الدايةِ بنِ ابراهيمَ المصريّ كاتبُ آلِ طُولونَ، وُلِدَ في مِصْرَ بُعَيْدَ سَنَةَ ٢٤٠ هـ (٨٥٥ م) ونشأ كاتباً، كما كان والدُه. ولكنّ صِلَتَه وصِلَةَ أبيه بأحمدَ بنِ طولونَ لم تكن حَسَنَةً. ثم ان أحمدَ بنَ يوسفَ خَدَمَ أخلافَ أحمدَ بنِ طولونَ: خمارويهِ بنَ أحمدَ وجيشاً وهرونَ ابْنَيْ خمارويهِ وشَيْبان بن أحمدَ بنِ

١ كانت أم يوسف جدة أحمد بن يوسف لأبيه ظئراً (مرضعاً ومربية) لابراهيم بن المهدي أخي هرون الرشيد ومرضعاً للمعتصم بن هرون الرشيد. ولذلك كان يوسف بن ابراهيم يعرف باسم ابن الداية.
وكان أبو يعقوب يوسف بن ابراهيم المعروف بابن الداية كاتباً وحاسباً وذا اطلاع على علوم الرياضيات والفلك. ولد في بغداد سنة ١٨٠ هـ وتوفي في مصر سنة ٢٦٠ هـ. ذكر له ياقوت (معجم الأدباء ٥ : ١٥٩) من الكتب «أخبار الطب»، وأضاف محمود محمد شاكر (كتاب المكافأة وحسن العقبى، ص ٩ من المقدمة) كتاب الطبيخ وأخبار ابراهيم بن المهدي.

طولونَ وحاشيتَهم . وكذلك استطاع أحمدُ بن يوسفَ أن ينْجوَ من سوء المعاملة التي لقيَها الطولونيون وأتباعُهم على يَدِ مُحمّدِ بن سليمانَ العبّاسيّ[1] . ولكن يبدو أنه انقطع مُنْذُ ذلك الحينِ عن خِدْمة الدولةِ واعتزل الفُسطاطَ (مدينةَ مصرَ القديمةَ) ليعيشَ في بعضِ ضياعه في الأغلب .

وعُمِّرَ أحمدُ بنُ يوسفَ وتُوُفّيَ قُبيلَ سنة ٣٤٠ هـ (٩٥٠ م) .

٢ ـ أحمدُ بن يوسفَ بن الدايةِ أديبٌ ناثرٌ يَسْلُكُ مَسْلَكَ الجاحظ في تنميق مُقدّماتِ الكتب وفي الجَرْيِ على السليقة في مُتون الكتبِ ، وربّما أوْرَدَ اللحنَ في أثناء نَثْرِه حُبّاً بتقريبِ المَوْضوع إلى القارئ على غِرارِ ما كان الجاحظُ[1] يفعل في كتابِ البخلاء خاصّةً . ثم هو كاتبٌ مترسّلٌ قديرٌ . أما شعره فكان قليلاً ، والمقطوعة التي يُوردُها لنفسه في كتاب المُكافأة (ص ٢٢) تقليدٌ لأبي تمّامٍ .

وأحمد بن يوسف مُصنِّف له كتبٌ في الأدب والتاريخ والعلوم ، منها سيرة أحمد بن طولون ، سيرة أبي الجيش خمارويهِ ، سيرة هرونَ بن أبي الجيش ، أخبار غِلْمان بن طولون ، شرح الثمرة (من أقوال بطليموس) ، كتاب المنطق ، كتاب النسبة والتناسب ، كتاب الصحيفة (فلك) ، كتاب المكافأة ، كتاب حسن العقبى .

٣ ـ المختار من آثاره

ـ من مقدّمة كتاب المكافأة :

سَدّدَ اللهُ فِكْرَكَ وأحسنَ أمرَكَ وكفاكَ مُهِمَّك[2] . إنّ أشدّ (؟) على المُمْتَحِنِ في مِحْنَتِه[3] عدولُه في سعيه عن مَصلحته وتَنَكّبُه الصوابَ في بُغْيته . ولكلِّ وِجْهَةٍ من الجَدْوى مأتىً تَسْتَنْزَلُ بـه عوائدُها ويُقرّب معه ما استُصْعِبَ

---

١ راجع ص ٣٠٧ ، ثم راجع مطلع كتاب الحيوان .

٢ المهم : الذي يشغل بالك . كفاك مهمك : صرف عنك ما يشغل البال .

٣ المحنة : الشدة ، اختبار الإنسان بأمر لا يحتمله (مادياً أو معنوياً) . عدوله : ميله ، تركه (بارادته) . التنكب : الحيد عن الطريق الصحيح المستقيم . الجدوى : الفائدة . العوائد جمع عائدة : ما يرجع على الإنسان بفضل أو منفعة أو نتيجة حسنة . حسن الرواية (لأخبار الماضين) .

منها يَستَثيره حسنُ الرِواية ويَهدي إليه صالحُ التوفيق ....

وقد كتبتُ لكَ في هذه الرسالةِ أخباراً – في المكافأةِ على الحَسَنِ والقبيحِ تُنعِمُ (تُنَعّمُ) الخاطرَ وتقرّبَ بُغيةَ الراغب – مِمّا سمعناه ممّن تقدّمنا وشاهدْناه بعصرِنا ، وباللهِ التوفيقُ .

– من المكافأة على القبيح :

إنّ أحمد بن طولون [1] كان مذعوراً من خروج أبي عبدِ الرحمن العُمَري [2] ، فوافاه الخبرُ بقتلِ غِلمانِ أبي عبد الرحمن إيّاه وانتشارِ أمرِه [3] . ثم صار إليه جماعةٌ تُقاربُ العَشَرةَ ، ومَعَهم رأسٌ ، فقالوا : « نحن غِلمانُ العُمريِّ ، وهذا رأسُه ! »

فجمع (أحمدُ بنُ طولونَ) الخاصَّ والعامَّ وأدْخلَهم إليه ، واستحضَرَ قوماً استأمنهم إليه وسألهم ، فأجمَعوا على أنه رأسُ أبي عبدِ الرحمنِ وأنَّ الغِلمانَ من خاصّتِه . فقال أحمدُ بن طولون لهم : هل كان (العمري) مُسيئاً إليكم ؟ قالوا : لا ، واللهِ ، فلقدْ كان مُحسِناً إلينا ومُفْضِلاً علينا ! قال : فما حَمَلَكُمْ على قتلهِ ؟ قالوا : طَلَبنا الحَظْوَةَ عندكَ والمكانــة منك ! فقال (أحمد بن طولون) : قتلتُمْ مَوْلاكُمُ المُحْسِنَ إليكم بالتَطَرّب إلى المزيد [4] ؟

ثمّ أمرَ بهم فشُقَّ عن جَماعتهم وأخَذَتهُمُ السياطُ حتّى سَقَطوا ، (ثم) ضُربوا على رُؤوسِهم بالشُدوخ حتّى ماتوا جميعاً . وأمرَ بدفنِ رأسِ عبدِ الرحمن .

---

١ أحمد بن طولون ولاه المأمون على مصر سنة ٢٥٤ هـ (٨٦٨ م) ثم استبد بأمر مصر سنة ٢٦٦ هـ ، وتوفي سنة ٢٧٠ هـ (٨٨٤ م) فخلفه خمارويه ثم جيش (٢٨٢ هـ) ثم هارون (٢٨٣ هـ) ثم شيبان في ١٨ صفر ٢٩٢ هـ (آخر ٩٠٤ م) . وبعد أحد عشر يوماً (٩٠٥ م) استولى محمد بن سليمان العباسي على مصر . وقد كان أحمد ابن طولون قاسياً عنيفاً في معاملة أنصار العباسين كما كان محمد بن سليمان شديد القسوة في معاملة الطولونيين وأتباعهم .

٢ كان أبو عبد الرحمن سوار العمري من نسل عمر بن الخطاب يسكن ، في أيام أحمد بن طولون في صعيد مصر ، فخرج (ثار) عليه .

٣ انتشر أمره : تفرق ، اضطرب ، تفرق أتباعه ثم لم يقم فيهم رئيساً يجمعهم .

٤ التطرب إلى المزيد : الفرح بأن يزدادوا خيراً فوق ما كان لهم من قبل .

– الروم والعرب !

وحدّثني يوسفُ بن ابراهيمَ والدي أنه سَمِعَ بطرسَ يحدّث ابراهيمَ بن المَهْديّ :

أنّ نَقَفورَ الملكَ لمّا تأدّى إليه الخبرُ بوفاةِ الرشيد جَعَلَ ذلك اليومَ عيداً للروم . ثم جَعَلَ عيداً أعظمَ منه في اليوم الذي تأدّى إليه وقوعُ الشرّ بين الأمينِ والمأمونِ . ثمّ عيّدَ عيداً ثالثاً في الوقت الذي خرج فيه أبو السرايا[١] .

٤ – كتاب السياسة لأفلاطون (نشره جميل العزيز) ، بيروت بلا تاريخ .

كتاب المكافأة (نشره أمين عبد العزيز) ، القاهرة ١٣٣٢ هـ (١٩١٤ م) ؛

كتاب المكافأة وحسن العقبى (حقّقه .... محمود محمّد شاكر) ، مصر (المكتبة التجارية الكبرى) ١٣٥٩ هـ (١٩٤٠ م) .

•• معجم الأدباء ٤ : ١٥٤ – ١٦٠ ؛ بروكلمان ١ : ١٥٥ ، الملحق ١ : ٢٢٩ ؛ النثر الفنّي لزكي مبارك ١ : ٢٩٤ – ٣١١ ؛ أعيان الشيعة ١٠ : ٣٥٢ – ٣٨٤ .

أبو القاسم الزجّاجيّ

١ – هو أبو القاسم عبدُ الرحمن بن اسحقَ النَهاونديّ ، أصلُه من الصَيْمرة ، بين ديار الجبل وديار خوزستان (في الجَنوب الشرقيّ من العراق) . كان في أوّل أمره يَعْمَلُ معَ أستاذه أبي اسحقَ لإبراهيمَ بنِ السريّ الزجّاج (ت ٣٢١ هـ) وكان يَخْرُطُ الزُجاجَ فاكْتَسَبَ منه النسبةَ «الزجّاجيّ» . ثمّ بدا للزجّاجِ وللزجّاجيّ أن يَتْرُكا صناعة خَرْطِ الزجاج ويتعلّما النَحْوَ ، ولذلك عرف كلّ واحد منهما بلقب «النحويّ» أيضاً .

أخذ الزجّاجي النحوَ عن الزجّاج ومحمّد بن العبّاس اليزيدي وابنِ دُريد وأبي الحسن علي بن سليمان الأخفش الأصغر . ثمّ إنه ذهب إلى مكّةَ وجاوَرَ

---

١ أبو السرايا ثار في الكوفة والبصرة في أوائل خلافة المأمون ، سنة ١٩٩ هـ (٨١٤ م) وجعل يدعو إلى آل علي ، ثم قتل وشيكاً ، سنة ٢٠٠ هـ .

فيها مدّة ألّف في أثنائها كتاب الجُمَل ثم جاء إلى حَلَبَ وأقام بها مدة ثم جاء إلى دِمَشْقَ وصنّف فيها . بعدئذ عزم على الذّهابِ إلى مصْرَ ولكنّه تُوُفّيَ في طريقهِ اليها ، في طَبَرِيّةَ (•) ، في رَمَضانَ من سنة ٣٤٠ هـ (٩٥٢ م) .

٢ – أبو القاسم الزجّاجي نَحويّ متوسّط المَكانةِ ألّف كتابَ الجمل الكبير (في النحو) وطَوّله وأكثر فيه من ضَرْبِ الأمثلة [١] . ومَعَ الإجْماع على أن الكتابَ قاصرٌ من الناحية العلْمية فان الاجماع أيضاً واقعٌ على أنه مُفيدٌ جداً من الناحية العَمَلية «ما قرأه أحدٌ إلاّ انتفعَ به» . وللزجّاجي أيضاً كتابُ القوافي (الفهرست ٨٠) . وكذلك له كتابُ مجالس العلماء جمع فيه عدداً كبيراً من المُناظرات والمُجادلات بين علماء اللغة وعلماء النحو •• .

٣ – **المختار من كتاب مجالس العلماء** (ص ٢٧٢ – ٢٧٣) :

– حدّثني محمّدُ بن يزيدَ (المبرّد) قال : حدّثني أحدُ العلمـاء بالشعر والمتقدّمين فيه أنْ ابنَيْ عبدِ الملك : الوليدَ وسُليمانَ اختلفا في امرئ القيسِ والنابغةِ . فقدّمَ الوليدُ النابغةَ ، وقدّم سليمانُ امرأ القيس . فذُكِرَ ذلك لعبدِ الملك فَبَعَثَ إلى أعرابيٍّ فصيحٍ فذَكّرَ له ذلك . فقال (الاعرابي) : أنا لا أقَدّمِ الرجالَ على أسمائها ، ولكنْ أنشِدوني لهما وقاربوا بين المَعْنَيَيْنِ . فقال الوليدُ : صاحبي الذي يقولُ :

وصَدْرٍ أراحَ الليلُ عـازِبَ همّـهِ تضاعفَ فيه الحزنُ من كلّ جانبِ :
تَطاوَلَ حتّى قُلْتُ ليس بمُنْقَضٍ ، وليس الذي يرعى النجومَ بآيبِ [٢] .

فقال (الأعرابي للوليد) : ما ينبغي أن يكونَ في الدنيا أشعرُ من صاحبِكَ .
فقال سليمانُ : لا تَعْجَلْ حتّى تَسْمَعَ صاحبي الذي يقولُ :

وليلٍ كمَوْجِ البحرِ مُرْخٍ سُدولَـه عليّ بأنواعِ الهمـوم ليَبْتَلي .

• في طبقات الزبيدي (ص ١٢٩) : توفي بدمشق في رجب سنة سبع وثلاثين وثلاثمائة .
١ راجع وفيات الأعيان ١ : ٤٩٧ .
•• راجع ثبتاً مفصلا لمؤلفات الزجاجي في كتاب «الايضاح» (ص ٤ – ٨) .
٢ راجع الجزء الأول ١٨٠ .
٣ راجع الجزء الأول ١١٨ .

قال (الأعرابيّ) : حَسْبُكَ ، صاحبُك أشعرُ منك [1] . قال سليمان : فاسْمَعْ ما بَعْدَهُ . قال : لا أحتاجُ .

٤ — الامالي (بشرح أحمد بن الامين الشنقيطي) ، القاهرة (مطبعة السعادة) ١٣٢٤ هـ ؛ (بتحقيق عبد السلام محمّد هارون) ، القاهرة (المؤسسة العربية الحديثة) ١٣٨٢ هـ .

الجُمَل (اعتنى بتصحيحه محمّد ابن أبي شنب) ، الجزائر (مطبعة كربونل) ١٣٢٦ هـ .

الايضاح في علل النحو (تحقيق مازن المبارك) ، القاهرة (مكتبة دار العروبة) ١٣٧٨ هـ (١٩٥٩ م) .

الابدال والمعاقبة والنظائر (حقّقه عزّ الدين التنوخي) ، دمشق (مجمع اللغة العربية) ١٩٦٢ م .

مجالس العلماء (تحقيق عبد السلام محمّد هارون) ، الكويت (وزارة الارشاد والانباء) ١٩٦٢ م .

•• الفهرست ٨٠ ؛ طبقات الزبيدي ١٢٩ ؛ وفيات الأعيان ١ : ٤٩٧ — ٤٩٨ ؛ إنباه الرواة ٢ : ١٦٠ — ١٦١ ؛ بغية الوعاة ٢٩٧ ؛ شذرات الذهب ٢ : ٣٥٧ ؛ بروكلمان ١ : ١١٢ ، الملحق ١ : ١٧٠ — ١٧١ ؛ زيدان ٢ : ٢١٢ — ٢١٣ .

القاضي أبو القاسم التَنوخيّ

١ — هو أبو القاسم عليّ بنُ محمّدِ بنِ داوودَ التَنوخيّ الإنطاكيّ ، وُلِدَ في أنطاكيةَ في ذي الحِجّة من سَنَةِ ٢٧٨ هـ (٨٩٢ م) وتَفَقّهَ فيها على مذهبِ أبي حَنيفة ؛ وقَدِمَ إلى بَغْدادَ ، سَنَةَ ٣٠٦ هـ ، ثم تَولّى القَضاء في البَصْرةِ والأهوازِ بِضْعَ سِنينَ ثم صُرِفَ عَنْهُ فَذَهَبَ إلى سيفِ الدولة

[1] كذا في الأصل ، ويجب أن يكون الصواب : أشعر من صاحبه .

(ت ٣٥٦ هـ) زائراً ومادحاً فأكرمَهُ سيفُ الدولة ثم كَتَبَ إلى أُولي الأمرِ في بَغدادَ في شأنهِ فأُعيدَ إلى مَنْصِبِه وزيدَ في رُتْبته ومَكانته . بعدَئذٍ تقلّبَ في مَنْصِبِ القضاءِ في بُلْدانٍ عديدةٍ .

وتوفّي القاضي ابو القاسمِ التَنوخيّ في البصرة في ربيعٍ الأولِ سنة ٣٤٢ هـ (٩٥٣ م) .

٢ ـ كان القاضي أبو القاسم التَنوخيّ حافظاً للحديثِ عارفاً بالفِقْه والفَرائض (قواعد تقسيمِ الإرث) وما يتّصل بأعمالِ القضاء والإدارة ، بارعاً في الهندسة وعِلْم الفلك قديراً في اللُغَةِ والنحو ، أديباً وشاعراً مُكثراً ومجيداً . وكان أيضاً مُصنّفاً له كتابٌ في العَروض (قيل ما عُمِلَ أجودُ منه) ، كتابٌ في عِلم القوافي ، وكُتُبٌ كثيرةٌ في الفقه .

٣ ـ المختار من شعره

ـ قال القاضي أبو القاسمِ التَنوخيّ يَصِفُ البَدْرَ طالعاً فوقَ دِجْلةَ :

لم أنسَ دِجْلَةَ والدُجى مُتَصَوّبٌ والبَدْرُ في أُفُقِ السماءِ مُغَرِّبُ ؛
فكأنّهـا فيه بِساطٌ أزْرقٌ ، وكـأنّه فيها طِرازٌ مُذْهَبُ .

ـ وله في مُداراة العَدُوّ :

اِلْقَ العَدُوّ بوجهٍ لا قُطوبَ به يكاد يَقْطُرُ من ماء البَشاشاتِ .
فأحزَمُ الناسِ مَنْ يلقى أعاديَهُ في جِسْمِ حِقْدٍ وثَوْبٍ مِن مَوَدّات.
الصبرُ خيرٌ ، وخيرُ القولِ أصْدَقُـه ؛ وكَثْرَةُ المَزْحِ مِفْتاحُ العَداوات !

ـ وقال في النسيب :

رِضاك شَبابٌ لا يَليهِ مَشيبُ ، وسُخْطُكَ داءٌ ليس منـه طبيبُ .
كأنّكَ من كلِّ النفوسِ مركّـب فـأنتَ إلى كلِّ النفوسِ حبيبُ!

ـ وقال يَصِفُ النُجومَ في أواخرِ الليل وقد بدأ الفجر يَلوحُ :

ولَيْـلةِ مُشْتاقٍ كأنّ نُجومها قد اغْتَصَبَتْ عَيْنَ الكَرى وهي نُوّمُ .
كأنّ عيونَ الساهرينَ ـ لِطولِها ـ إذا شَخَصَتْ لِلأنجُمِ الزُهْرِ ، أنْجُمُ .
كأنّ سوادَ الليلِ والفجرُ ضاحِكٌ ، يلوحُ ويَخفى ، أسْوَدٌ يَتَبَسّمُ !

– وله قصيدة في مفاخرة اليمن تبلغ ستمائة بيت مطلعها (تاريخ بغداد ١٢ : ٧٨) :

أفيقي من مَلامِك ، يا ظَعينا ، كفاكِ اللّوْمَ مرُّ الأربعينا !

٤ – •• يتيمة الدهر ٢ : ٣٠٩ – ٣١٨ ؛ تاريخ بغداد ١٢ : ٧٧ – ٧٩ ؛ معجم الأدباء ١٤ : ١٦٢ – ١٩١ ؛ وفيات الأعيان ٢ : ٤٦ – ٤٧ ؛ شذرات الذهب ٢ : ٣٦٢ – ٣٦٤ ؛ أعيان الشيعة ٤٢ : ٨٨ – ٩٤ .

أبو عمرَ الزاهدُ

١ – هو أبو عُمَرَ محمّد بنُ عبدِ الواحد بنِ أبي هاشمٍ المُطَرِّزُ المعروف بالزاهدِ الباوَرْديّ غُلامُ ثَعْلبٍ . أصله من باوَرْدَ (أبيوردَ) ومنشأه في بغدادَ .

كان مولدُ أبي عمرَ الزاهدِ في سَنَةِ ٢٦١ هـ (٨٧٤ م) . وكانت صنعتُه التطريزَ . ولقد صَحِبَ أبا العبّاسِ ثعلباً وأكثرَ الأخذَ عنه حتّى عُرِفَ بغلام ثعلبٍ ، كما أخذ عن المُبَرِّدِ وسَمِعَ الحديثَ من موسى بن سَهْلٍ الوشّاءِ . ولقدْ كان كثيرَ الإقبال على العلمِ قليلَ الاحتفالِ بأمر الدنيا حتّى عُرِفَ بالزاهدِ . كذلك كان يُؤدِّبُ وَلَدَ القاضي أبي عُمَرَ بنِ محمّدِ بن يوسفَ بن يعقوبَ الازديّ[١] .

وتوفّي أبو عمر الزاهدُ في بغدادَ ، في ١٢ من ذي القعدة سنة ٣٤٥ هـ (١٦–٢–٩٥٧ م) .

٢ – كان أبو عُمَرَ الزاهدُ من كِبار علماء اللغةِ على مذهب أهلِ الكوفة واسعَ الحِفْظِ ثِقَةً يُملي من غير كتابٍ ؛ غير أن أعداءه كانوا كثيرين لأنه كان مُغالياً في المَيْلِ إلى مُعاويةَ بن أبي سُفْيانَ مُتَّهَماً بالتحامُلِ على عليّ

١ تولى القضاء في بغداد (٢٨٤ – ٢٩٦ هـ ، ثم في فترة أخرى بعد ذلك) وكانت وفاته ٣٢٠ هـ .

ابن أبي طالب . ثمّ كانت له تخريجاتٌ غريبةٌ فنَسَبَهُ بعضُهم من أجْلِها إلى الكَذِبِ .

ولأبي عمر الزاهد كتبٌ كثيرةٌ[1] منها ما لا يزال موجوداً : كتاب المُداخلات ، كتاب اليواقيت أو الياقوت في اللغة ، كتاب غريب الحديث (صنّفه على مُسْنَدِ أحمدَ بن حنْبل وكان يستحسنه جدّاً) ، كتاب شرح الفصيح لثعلب ، كتاب الموشّح (الموضّح) ، ما أنكره الأعراب على أبي عبيدة في ما رواه وصنّفه ، كتاب فائت العين ، كتاب الجمهرة والردّ على ابن دُريد ، كتاب فرق ما بين الضاد والظاء ، كتاب فضائل معاوية ، كتاب تفسير أسماء القرّاء (الشعراء) ، كتاب النوادر ، كتاب العشرات ، الخ .

٣ ــ المختار من آثاره

ــ من كتاب المداخل[2] :

قال (أبو عُمرَ الزاهدُ) : أخبرنا ثعْلبٌ عن ابنِ الأعرابيّ ، قال : الكِرْيِزُ : القِثّاء الكِبار جمع كَبَرٍ ، والكبر : الطَّبْل ، والطبل : السّدّ ، والسدّ : السَلّة[3] ، والسلّة : الناقة التي لم يَبْقَ لها سِنٌّ من الكِبَر ، أي الهَرَم ، والسنّ : الثَوْر ، والثور : السَيِّد ، والسيِّد : الزَوْج ، والزوج : النَمَطُ من الديباج ، والديباج : الناقة اللَيِّنة المَسّ ، والمسّ : الجُنُون ، والجُنون : سَتْرُ الليل وسَوادُ الليل ، والليل : فَرْخ الكَرَوانِ[4] ....

٤ ــ المداخل في اللغة (قدّم له وحقّقه وعلّق عليه محمد عبد الجواد) ، القاهرة (مكتبة الانكلو المصرية) ١٣٧٥ هـ (١٩٥٦ م) .

كتاب المداخلات (هو الكتاب السابق) (نشره عبد العزيز الميمني الراجكوتي) م م ع ع ٩ : ٤٤٩ ــ ٤٦٠ .

•• الفهرست ٧٦ ــ ٧٧ ؛ طبقات الزبيدي ٢٢٩ ؛ تاريخ بغداد ٢ : ٣٥٦ ــ ٣٥٩ ؛ معجم الأدباء ٢٢٦ ــ ٢٣٤ ؛ وفيات الأعيان

---

١ راجع ثبتاً مفصلا منسقاً في (م م ع ع ٩ : ٦١٢ ــ ٦١٦) .

٢ المداخل : تداخل الألفاظ بمعانيها (يكون لفظ معنى هو بدوره لفظ لمعنى آخر ثم يتسلسل ذلك) .

٣ السلة : سقوط الأسنان .

٤ الكروان (بفتح ففتح) : الحبل (بفتح ففتح) .

٢ : ٣١٣ ـ ٣١٦ ؛ إنباه الرواة ٣ : ١٧١ ـ ١٧٧ ؛ بغية الوعاة ٦٩ ـ ٧٠ ؛ شذرات الذهب ٢ : ٣٧٠ ـ ٣٧١ ؛ بروكلمان ١ : ١٢٣ ، الملحق ١ : ١٨٣ ـ ١٨٤ ؛ زيدان ٢ : ٣٥٢ ؛ مجلّة المجمع العلمي العربي بدمشق (ايلول ـ سبتمبر ١٩٢٩ م : أبوعمر الزاهد لعبدالعزيز الميمني الراجكوتي) .

المسعوديّ

١ ـ هو أبو الحسنِ عليُّ بنُ الحسينِ المَسْعوديّ ، نِسبةً إلى الصّحابيّ المشهورِ عبدِ اللهِ بن مسعودٍ ، وُلِدَ في بَغْدادَ سَنَةَ ٢٨٥ هـ (٨٩٨ م) .

دَرَسَ المسعوديّ النحوَ على نِفْطَوَيْهِ ودرسَ عُلومَ الحديث . ثم أغْرِمَ بالأسفارِ فبدأ (٣٠٥ هـ = ٩١٧ م) بالمناطق الشرقية الجنوبية : فارس والهند وسَرَنْديبَ (سَيْلانَ) والصين وجزيرتي مَدْغَشْقَرَ وزَنْجبارَ وعُمّان . بعدئذ بدأ رِحلةً ثانية (٣١٤ هـ) زارَ فيها المناطق الشمالية الغربية : أذربيجانَ وجُرجانَ (منطقة بحر الخَزَر ـ قَزْوين) والشام . وفي سنة ٣٣٤ هـ (٩٤٥ م) زارَ الشام ثانيةً وجَعَلَ يتنقّل بين الشامِ ومِصْرَ إلى أن توفّي في مدينة الفُسْطاط في جُمادى الثانية من سنة ٣٤٦ هـ (تشرين الأول ـ اكتوبر ٩٥٦ م) .

٢ ـ المسعوديّ جغرافيٌّ رحّالة كَتَبَ في فنونٍ مختلفةٍ ولكنّه اشْتَهَرَ بالتاريخ ، وقد كان كثيرَ الاسْتِطْراد كمُعاصريه ، وكانت مصادرُ المعارف في كُتُبه أربعةٌ : مشاهداته ، شيوخَه الذين تلقّى عنهم العلم ، احتكاكه بالذين لَقِيَهُمْ في أسفارِه ، ثم كُتُبَ المؤرّخين . وقد كانت طبيعةُ الجَمْع والمَيْل إلى الإطراف بالأخبار النادرةِ من أسْبابِ تَسَرّبِ الأوهام والخُرافات ، في بعضِ الأحيانِ ، إلى كُتُبه . غير أنه كان يَتَحَرّى الحقائق حينما يَنْقُلُ من كتب المؤرّخين .

للمسعوديّ : التنبيهُ والإشراف (وفيه كلام على الفَلَك والجغرافية واللُغات والعلوم ثم موجز التاريخ مُنْذُ أقدمِ الأزمنة إلى سنة ٣٤٥ هـ) وله مُروجُ الذهب ومعادن الجوهر (وهو موجز من كتاب آخرَ له اسمه كتاب أخبار الزمان ومن أباده الحَدَثانُ من الأمم الماضية والأجيال الخالية والممالك الدائرة ـ وقد

ضاع أكثره) . بدأ المسعودي كتابَ مروج الذهب بذكر الخليقةِ ويذكر الأنبياء، ثم وَصَفَ البحارَ وما فيها من العَجائب ، ثم تواريخ الأمم القديمة من الفرس والسّريان واليونان والروم والإفرنج والعرَب القدماء فتكلّم على عاداتِهم وأديانِهم. بعدئذٍ بدأ بظهورِ الإسلام حتّى انتهى إلى خلافةِ المُطيع العبّاسيّ الذي بُويع بالخِلافة سنة ٣٣٤ هـ .

٣ — المختار من كلامه

— من مروج الذهب : سَبَبُ تسميةِ الكتاب بهذا الاسم :

ولَقَدْ وَسَمْتُ كتابِيَ هذا بكتابِ « مروج الذهب ومعادن الجوهر » لِنَفاسةِ ما حَوَاه وعِظَمِ خَطَرِ ما استولى عليه من طَوالعِ بَوارعِ ما تَضَمَّنَتْهُ كُتُبُنا السالفةُ في معناه وغُرَرِ مؤلّفاتنا في مَغْزاه . وجَعَلْتُه تُحفَةً للأشراف من الملوك وأهلِ الدِراياتِ لِمَا ضَمَّنْتُهُ من جُمَلِ ما تدعو الحاجةُ إليه وتُنازِعُ النفوسُ إلى عَمَلِه من دِرايةِ ما سَلَفَ وغَبَرَ من الزمان ، وجَعَلْتُه مُنَبِّهاً على أغراضِ ما سَلَفَ من كُتُبِنا ومشتملاً على جوامعَ يَحْسُنُ بالأديب العاقل مَعْرِفَتُها ولا يُعْذَرُ بالتغافلِ عنها . ولم نَتْرُكْ فَرعاً من العلوم ولا فَنّاً من الأخبار ولا طَريفة من الآثارِ إلاّ أوْرَدْناه في هذا الكتاب مُفَصّلاً أو ذكرناه مُجْمَلاً أو أشَرْنا اليه بضَرْبٍ من الإشاراتِ أو لوّحْنا إليه بفَحْوَى من العِبارات .

٤ — مروج الذهب (نشره باربييه دي مينارد وبافه دي كورتاي) ، باريس ١٨٦١ — ١٨٧٦ م ، ثمّ طبع في مصر (بولاق) ١٢٨٣ هـ ؛ (أعيد طبع طبعة باريس بعناية شارل بلاّ) ، بيروت (الجامعة اللبنانية) ١٩٦٦ م ؛ وعلى هامش نفح الطيب للمقّري ، القاهرة ١٣٠٢ هـ ؛ وعلى هامش تاريخ الكامل لابن الأثير ، القاهرة ١٣٠٣ هـ ؛ (بعناية محمّد محيي الدين عبد الحميد) ، القاهرة (مطبعة السعادة) ١٩٥٨ م .

التنبيه والاشراف (نشره دي خويه) ، ليدن (بريل) ١٨٩٤ ، (أعاده بالطبع عبد الله اسماعيل الصاوي ، القاهرة ١٣٥٧ هـ (١٩٣٨ م) ؛ (أعاده بالتصوير مكتبة خيّاط) ، بيروت ١٩٦٤ م .

رسالة في اثبات الوصيّة لعليّ بن أبي طالب ، طهران ١٣٢٠ هـ ؛ النجف (المطبعة المرتضوية) ، ط ٣ (بلا تاريخ) .

أخبار الزمان ... (تحرير عبد الله الصاوي) ، القاهرة (عبد الحميد أحمد حنفي) ١٩٣٨ م ؛ ثمّ بيروت مكتبة الأندلس) ١٩٦٦ م .
رسالة في أحوال الإمامة ، طهران ١٣٢٠ هـ .

•• الفهرست ١٥٤ ؛ معجم الأدباء ١٣ : ٩٠ – ٩٤ ؛ فوات الوفيات ٢ : ٥٧ ؛ شذرات الذهب ٢ : ٣٧١ ؛ أعيان الشيعة ٤١ : ١٩٨– ٢١٣ ؛ بروكلمان ١ : ١٥٠ – ١٥٢ ، الملحق ١ : ٢٢٠ – ٢٢١ ؛ زيدان ٢ : ٣٦٣ – ٣٦٤ .

الفارابيّ اللغويّ

وُلِدَ أبو ابراهيمَ اسحقُ بنُ ابراهيمَ الفارابيّ في فاراب وتلقّى فيها العِلْم ثم جلَسَ فيها للتدريس . ثمّ إنّه انتَقَلَ إلى زَبيدَ في اليَمَن . ويبدو أنه لمْ يَعِشْ كثيراً . وكانت وَفاتُه في اليمن سنة ٣٥٠ هـ (٩٦١ م) في الأغلب .

كانَ الفارابيّ اللغويّ من أئمّةِ اللغةِ ومن الذين وَضَعوا أسُسَ المعاجم العربية .
وللفارابي اللغوي من الكتب : بيانُ الإعراب ، شرحُ أدبِ الكاتب ، ديوان الأدب .

صنّف الفارابيّ اللغويّ ديوانَ الأدب في زَبيدَ ، وهو مُعْجَمٌ جُعِلَتِ الكَلِماتُ فيه ستّةَ أقسامٍ : السالمَ (ما ليس في أحرُفِه الأصلية حرفُ علّةٍ أو همزةٌ أو تضعيف ، نحو : سمع) ، المضاعفَ (ما كانَ الحرفانِ الثاني والثالثُ منه حرفاً واحداً ، نحو : جدّ ، ملّ) ، المثال (ما كان أوّلُه حرفَ علّةٍ ، نحو : وعد ، يبس) ، ذواتَ الثلاثة (الأجوف : ما كان وَسَطُه حرفَ علّةٍ ، نحو قال ، راب) ، ذواتَ الأربعة (الناقص : ما كان آخرُه حرفَ علّةٍ ، نحو دعا ، رمى ، خَشِيَ) ، الهمزة .

واتّبع الفارابيّ اللغويّ في ترتيب مُعْجَمه الترتيبَ الشكلي للأحرف الهجائية : ب ت ث ج ح الخ . واعتمد الحرفَ الأخيرَ من الكلمة عند سَرْد الكلمات في كلّ قسم ، نحو : حسب ، ذهب ، ضرب ، نبت ، لبث ، سمج ، ربح ، الخ .

– •• معجم الأدباء ٦ : ٦١ – ٦٥ ؛ بغية الوعاة ١٩١ ؛ بروكلمان ١ : ١٣٣ ، الملحق ١ : ١٩٥ – ١٩٦ ؛ راجع « الصحاح ومدارس المعجمات العربية » تأليف أحمد عبد الغفور عطّار ، القاهرة ١٣٧٥ هـ (١٩٥٦ م) ، ص ١٠٦ – ١٠٨ وغيرها .

جعفر بن ورقاء الشيباني

١ – هو جَعْفَرُ بنُ مُحمّدِ بنِ ورقاءَ الشَّيْبانيّ ، وُلِدَ في سامرّا سَنَةَ ٢٩٢ هـ (٩٠٥ م) .

تَولّى جَعْفَرُ بنُ ورقاءَ عدداً من الولايات في أيام الخليفة المُقْتدر ، ثم كانَتْ بَيْنَه وبينَ سيف الدولة مكاتباتٌ إخوانية شِعراً ونَثْراً .

وتُوُفّي جعفرُ بن محمّدِ بن وَرْقاءَ الشيباني في رَمَضان من سنة ٣٥٢ هـ (تشرين الثاني – نوفمبر ٩٦٣ م) .

٢ – كان جعفرُ بن ورقاءَ الشيباني كاتباً شاعراً جيّدَ البديهةِ والرويّة حَسَنَ العِتاب والرثاءِ والوصف والنسيب .

٣ – المختار من شعره

– قال جعفر بن ورقاءَ في العتاب :

هَزَزْتُكَ ، لا أنّي عَلِمْتُكَ ناسِياً ... لِحقّي ، ولا أنّي أسأتُ التّقاضِيا .
ولكنْ رأيتُ السيفَ من بَعْدِ سَلّهِ ... إلى الهزّ مُحتاجاً وإن كانَ ماضِيا !

– وقال يصف العَزْفَ (لعلّه يُشَبّهُ الحَمامَ بالعازفات على العود)[1] :

ولمّا عَبَثْنَ بأوْتارِهِـ ... ـنّ قُبيلَ التَبَلّجِ[2] أيْقَظْنَني :
جَسَسْنَ (البِهام) وأتْبَعْنها ... بنَقْرِ المَثاني فهَيّجْنَني .
عَمَدْنَ لإصْلاحِ أوتارِهِـ ... ـنّ فأصْلَحْنَهن وأفْسَدْنَني

٤ – •• فوات الوفيات ١ : ١٣٥ – ١٣٦ .

منصورُ بن كَيْغَلِغَ

١ – نَعْرِفُ رجلاً اسمُه كَيْغَلِغَ كان والِياً في الدولة الطاهريّةِ على

١ وردت هذه الابيات ، مع عدد من اختلاف القراءات في ديوان كشاجم (ص ١٧٥) .
٢ التبلج : طلوع الصبح .

الريّ (٢٦٢ – ٢٧٥ ه) ، ثمّ نَعْرِفُ ثلاثةَ أبناءٍ لأحدِ أمراءِ الاتراكِ في الشام (سُوْرية) كان اسمه كَيْغَلِغَ . كان هؤلاءِ الإخوةُ الثلاثةُ شعراءَ اهمهم ابراهيمُ (فوات الوفيات ١ : ٣٨) وأحمدُ ومنصورٌ (يتيمة الدهر ١ : ٧٥ – ٧٧) ، وكانوا من أحياءِ القرنِ الهجريّ الرابع ؛ ولعلّ وفاةَ منصورٍ كانت بين سَنَةِ ٣٥٠ ه (٩٦١ م) وبين سنة ٣٦٠ ه .

٢ – كان منصور بن كَيْغَلِغَ أديباً بارعاً وشاعراً رقيقاً يُجيد الوصفَ ويأتي في شعره بالمُلَح المُسْتَطابة . وشعره الذي رُوِيَ لنا يدور على الوصفِ والغزل والنسيب .

٣ – المختار من شعره

– قال منصورُ بنُ كيغلغَ يَصِف فتاةً وجهُها كالبدر والقُرْط الذي في أذنها ككوكب المُشْتري إذا اقترب من القمر في رأيِ العين . ولا ريب في أن التشبيهَ بلاغيّ مَحْضٌ ، لأنه إذا اتّفق أن يكونَ كوكبُ المُشتري قريباً في رأي العين من البدر فانّه لا يظهَرُ للعين ، لأن المشتري من الكواكب التي لا تَسْهُلُ رُؤيتها ، ولأن نورَ البدر يَحْجُب حينئذٍ كلّ نجمٍ حولَه :

كأنّها والقُرْطُ في أُذْنِها   بدرُ الدُجى قَرّطَهُ المُشْتري .
قد كتبَ الحُسْنُ على وجهِها :   يا أعيُنَ الناسِ ، قِفي وانظري !

– وقال في الغزل والنسيب والخمر :

عادَ الزمانُ بِمَنْ هَوِيتُ فأعتَبا ،   يا صاحِبَيَّ ، فَسَقّياني واشْرَبا[1] .
كم لَيْلةٍ سامرْتُ فيها بَدْرَها   من فوقِ دِجْلَةَ قبلَ أنْ يَتَغَيّبا
قام الغلامُ يُديرُها في كَفّه   فحَسِبْتُ بدرَ التِمِّ يَحْمِلُ كَوْكبا .
والبدرُ يَجْنَحُ للغُروبِ كأنّه   قد سَلّ فوقَ الماءِ سَيْفاً مُذْهَبا !

– ومن مليحِ قولِه :

كَتَبْتُ اليكَ بماءِ الجُفو   نِ ، وقلبي بماءِ الهَوى مُشْرَبُ ؛

---

١ أعتب : أرضى .

فكَفّي تَخُطّ وقلبي يَمَــ لّ ،وعَيْنِي تَمْحو الذيأكْتُبُ[1].

٤ – •• يتيمة الدهر ١ : ٧٥ – ٧٧ ؛ بروكلمان ١ : ٨٥ – ٨٦ .

أبو الطيّب اللغوي

١ – هو أبو الطيّب عبدُ الواحدِ بن عليّ ، وُلِدَ في عسكرِ مُكْرَمٍ (الاهواز) ولذلك يُعْرَفُ بالعسكري . وتَلَقّى أبو الطيّب هذا علومَه الأولى اليسيرةَ في عسكر مُكْرَمٍ . وبما أن أبا الطيّب بدأ بتلقي شيءٍ من علم الرواية في اللغة مَعَ أبي هلالٍ العسكري على أبي أحمد الحسن بن عبد الله بن سعيد اللغوي العسكري (وكانَ أبو أحمد العسكري خال أبي هلال العسكري) ، فالراجح أن يكون أبو الطيّب تِرْبَ أبي هلال العسكري (وُلِدَ سنة ٢٩٣ هـ) . وعلى هذا يبدو أن مَوْلِدَ أبي الطيّب اللغويّ لم يكن قبل ٢٩٠ هـ .

وانتقلت أسرة أبي الطيّب إلى بغدادَ ، فقرأ أبو الطيّب العلم فيها على أبي عُمَرَ الزاهدِ : قرأ عليه فصيحَ اللغة ، و «إصلاح المنطق» (لابن السِكّيت) كما أخذَ عن أبي بكرٍ محمّد بن يحيى الصولي وعن غيره .

وجاءت أسرةُ أبي الطيّب إلى حَلَبَ واستوطنَتْها ، وتابعَ أبو الطيّب في حَلَبَ توسّعه في العلم ثم اتّصل ببَلاطِ سيفِ الدولة وَوَقَفَ بجانب المتنبّي وابنِ جِنّي في وجه ابن خالويه وأنصارِه . وفي حَلَبَ عُرِفَ أبو الطيّب بلقب اللغوي الحلبي .

وفي أواخر سنة ٣٥١ هـ هاجمَ الرومُ حَلَبَ وعَجَزَ سيفُ الدولة عن الدفاع عنها فدخلوها وأكثروا القتلَ في أهلِها فقُتِلَ أبو الطيّب اللغوي ، في ٢١ من ذي القعدة ٣٥١ (٢٣–١١–٩٦٢ م) .

٢ – أبو الطيّب اللغوي الحلبي من عُلماء اللغة الكبار ، وعلمِ الصرف

---

١ في القاموس (٤ : ٥٢) : أمله بمله : قال له (أمل عليه) فكتب . في الأصل : تكتب (لعل الضمير فيها يكون راجعاً إلى «كفي» ، كما يمكن ، من باب أولى أن يرجع إلى عيني . لذلك جعلتها : أكتب لتلافي هذا الغموض ولموافقة أول البيت الأول : كتبت اليك ....) .

خاصّة. وقد خُلِعَ عليه بعد موته لَقَبُ «حجّة العرب». وكان لأبي الطيّب اللغوي شعرٌ يسيرٌ هو من شعر العلماء يَضْعُفُ فيه العُنْصر الوُجداني ويَبْرُزُ فيه أثرُ الثقافة. وأما نثره فعاديّ فيه سَجْعٌ وموازنة وعددٌ من الجُمَلِ المُعْتَرِضة في الدعاء للقارئ على نَمَطِ ما كنّا نرى للجاحظ وللذين جاءوا من بعدِه، وكان أبو الطيّب هذا من المُعْجَبينَ بالجاحظ.

ولأبي الطيّب اللغوي من الكتب:

كتاب الإبدال (وهو يستعرض الكلمات الّتي تختلف أحدُ حروفها من غير أن تختلف معناها، نحو هذرم وهذرم: خلط في كلامه، العتَهَ والعَلَه: الجنون، المِحراث والمِحراك: الخشبة الّتي تُحرّكُ بها النارُ، يحرف ويقرف: يكسب) — مراتب النحويين — شجر الدرّ (وهو يستعرض الكلمات المتداخلة المعاني: التي يكون لمعنى كلّ كلمة منها معنى آخر، نحو الهائم: السائح في الأرض، السائح: الصائم، الصائم: القائم، القائم: صومعة الراهب، الراهب: المتخوّف، المتخوّف: الذي يقتطع مال غيره ....) — المثنّى — الإتباع (توكيد معنى الكلمة بتكرارها بعد تبديل حرف واحد، في أولها في الغالب، نحو: جائع نائع، شديد أديد، حسن بسن، شحيح أنيح، مجنون محنون) — كتاب الاضداد — كتاب الفرق أو الفروق — طبقات الشعراء.

٣ — المختار من آثاره

— لأبي الطيّب اللغوي أبياتٌ التزم في قافيتها كلمةَ الغروب بمعنى: غروب الشمس، جمع غَرْب أي الدَّلْو العظيمة، ثم جمع غرب بمعنى الوَهْدة (المكان الشديد الانخفاض):

يا ويحَ قلبي من دواعي الهوى ... إذ رَحّلَ الجيرانُ عند الغُروبْ.
أتْبَعْتُهُم طَرْفي وقد أزْمعوا، ... ودَمْعُ عيني كفَيْض الغُروب.
كانوا، وفيهم طَفْلَةٌ حُرّةٌ ... تَفْتَرّ عن مِثْل أقاحي الغُروب.

— من مقدّمة شجر الدرّ:

الحمدُ للهِ حَمْدَ مُسْتَدْعٍ مزيدَه ومعتقدٍ توحيدَه ومصدّقٍ وعدَه

١ راجع، فوق، ص ٤٤٩: كتاب المداخل.

ووعيدَه . وصلّى الله على محمّدٍ خاتَمِ الرّسُلِ إلى أقصَدِ السبل .....
العلمُ سهلٌ وعَويص وذَلول وجَموح ، لا يُستَغنَى باحتواء سهله عن معرفة عويصه ، بل لا يتوصّل إلى تقصّي ذَلوله إلا باستنباط جامحه ....

هذا كتاب مُداخَلَةِ الكلام بالمعاني المختلفة سمّيناه شجرة الدر لأنّا ترجمنا كلّ باب منه بشجرة وجعلنا لها فروعاً . فكلّ شجرة مِائَةُ كَلِمَةٍ أصلُها كلمةٌ واحدة تتضمّن من الشواهد عَشَرَةَ أبياتٍ .... وإنّما سَمّينا الباب شجرة لاشتجار بعض كلماته ببعض ، أي تداخُلِه ؛ وكلّ شيء تداخل بعضُه ببعضٍ فقد تشاجر ، ومنه سُمّيَتِ الشجرةُ شجرةً لتداخل بعض فروعها ببعض .....

٤ ــ كتاب الإبدال (حقّقه .... عز الدين التنوخي) ، دمشق (مطبوعات المجمع العلمي العربي) ١٣٧٩ هـ (١٩٦٠ م) .
كتاب الابدال (هفنر) ، بيروت (المطبعة الكاثوليكية) ١٩٠٣ م .
كتاب الاتباع (حقّقه .... عز الدين التنوخي) ، دمشق (مطبوعات المجمع العلمي العربي) ١٣٨٠ هـ (١٩٦١ م) .
شجر الدر في تداخل الكلام بالمعاني المختلفة (قدّم له وحقّقه .... محمد عبد الجواد) ، القاهرة (دار المعارف) ١٩٥٧ م .
•• اعلام النبلاء ٤ : ٣٦ ؛ بغية الوعاة ٣١٧ ؛ بروكلمان ، الملحق ١ : ١٩٠ .

أبو الطيب المتنبي

١ ــ هو أبو الطيّبِ أحمدُ بنُ الحسينِ بنِ الحسنِ بن عبدِ الصمدِ الجُعْفيّ من بني جُعْفي[١] بن سعدِ العَشيرةِ بن مَذْحِج من اليمن عرب الجنوب .

وُلِدَ أبو الطيّب أحمد بن الحسين سنة ٣٠٣ هـ (٩١٥ ــ ٩١٦ م) في حي بني كِنْدة في الكوفة ولذلك يُقال له الكِنْدي والكوفي أيضاً . ولا نعلم من

١ كان اسم جعفي مالكاً .

نسبه شيئاً آخرَ إلاّ أنه كان يفتخر ، فيما بَعْدُ ، بشرف قومه وشَجاعتهم وبأسهم وبقوم جَدّته لأمّه خاصّةً . وكان أبوه الحُسينُ دقيقَ الأطراف ، فيما يَبْدو ، فقد جاء في القاموس [1] : «وعيدانُ السقاء بالكسر (بكسر السين) لَقَب والد أحمدَ بن الحُسين المتنبيّ» .

نشأ أبو الطيبِ في الكوفة وتَلَقّى فيها جانباً من العلوم ثم غادَرَها ، مَعَ أبيه في الأغلب ، سَنَةَ ٣٢٥ هـ (٩٣٧ م) ، أو قُبيل ذلك في الأصحّ . ويَذْكُرُ بعضُهم أنّ أبا الطيّبِ وأباه غادرا الكوفةَ لمّا انكَشَفَتْ لها صِلةٌ بالقَرامطة [2] . ومَعَ أن حالَ القرامطةِ كانتْ في ذلك الحين شَديدةَ الاضطراب ، فإنّنا لا نَستَطيعُ أن نَجزِمَ بشيءٍ لم يَذْكُرْهُ التاريخُ ولا أشارَ إليه أبو الطيّب نفسُه من قريبٍ ولا من بعيدٍ . على أن في ديوانِ المتنبّي أن أبا الطيّب تطوّفَ مدّةً في الشام يتَلَقّى شيئاً من العلم في بَعْلَبَكّ وطَرابُلُس واللاذِقيّةِ — وقد كانتْ هذه المُدُنُ في ذلك الحينِ مراكزَ للعلمِ وللتعليم .

ويَغْلِبُ على ظَنّنا أن أبا الطيّب لم يكنْ فقيراً ، ولكنّ أباه تُوُفّيَ وَشيكاً في الشام ثم احتاج أبو الطيّب إلى المال ولم يَستَطعْ التكسّبَ بشعره في ذلك الطَوْرِ الباكرِ من حياته ، فطَمِحَ إلى شيءٍ من النفوذِ لنيل وِلاية وتَحصيلِ عَيْشٍ رَغْدٍ فأثارَ في نواحي حمصٍ فتنةً بين الأعراب ودعاهم إلى الامتناعِ عن دَفْعِ الضرائب — وليس أحبَّ إلى البَدْوِ من مثلِ هذه الدعوة — : فأخذه لؤلؤٌ والي حمصَ من قِبَلِ الإخشديّين واتّهمه بالتنبّوْ ثم سَجَنَهُ مدّةً ؛ فلَزِمَهُ منذُ ذلك الحينِ لَقَبُ المتنبّي . وكان أبو الطيّب يَكْرَهُ هذا اللقبَ (وقيل في أصل هذا اللقبِ قَوْلانِ آخَرانِ) . على أن لاتّهام أبي الطيّب بالتَنَبّؤِ سَنَداً ظاهراً ، هو أنّ أبا الطيّب لمّا أرادَ استمالةَ البَدْوِ في باديةِ حمصَ كان يَزْجُرُ لَهُمُ المطرَ [3] أو يَتَنَسّمُ لَهُمُ الأخبارَ

---

[1] القاموس المحيط للفيروزابادي ١ : ٣٢٠ ، السطر الأول ؛ راجع تاج العروس ٢ : ٤٤٠ .

[2] القرامطة جماعة قاموا بدعوة علوية متطرفة في البحرين (شرقي شبه جزيرة العرب) وقاوموا الخلافة العباسية وأعملوا القتل في أهل السنة .

[3] زجر المطر : التعرف إلى ظواهر علوية (بضم العين) في أحوال الجو تدل على اقتراب سقوط المطر كاحمرار الأفق الغربي في المساء والإحساس بزيادة الرطوبة في الهواء (وذلك محتاج بالطبع إلى شيء من الحس المرهف ومن الاختبار) .

ثم يُخبرُهم بها قبلَ انتشارها .

وفي السجن نظم المتنبّي قصيدةً يَمْدَحُ فيها الواليَ ويعتذرُ اليه بأنَّ ما فَعَله كان ذنباً دعا اليه طَيْش الصبا ، ثم بالغ فقال عن نفسه إنّه صغيرُ السنِّ لم يَجبْ عليه السُّجودُ (•) بعدُ ، فلا يجوزُ أن يُعاقبَ بالحبس . وأراد الوالي التخلّصَ منه فأخرجه من السجن على أن يَبْتَعِدَ عن مِنْطَقَة حِمْصَ ما أمكنَ . فذهب المتنبّي إلى جَنوبِ الشام (فِلَسْطِين) وجَعَلَ يتطوّف في البلادِ ويمدحُ نفراً من الأُمراء والوُلاةِ والأعيان .

في هذا الدورِ الأوّلِ نظمَ المتنبي شعرَه الموسومَ بشعرِ الصبا ، في أغراضٍ مختلفةٍ ؛ وكان بعضُه قصائدَ مُطَوّلةً في المديحِ والفخر وذم الزمان ، وفي الحِكَم التي يَحْمِلُ عليها الشبابُ من التهوّرِ والمُغالاة في الاعتزازِ بالنفسِ ومن الطُّموح :

فُؤادٌ ما تُسلّيه المُدامُ ، وعَيْشٌ مِثْلَما تَهَبُ اللئامُ .
وما أنا منهمُ بالعيشِ فيهمْ ، ولكنْ مَعْدِنُ الذهبِ الرَّغامِ[1] .
أرانبُ ، غيرَ أنّهُمُ مُلوكٌ مفتّحةٌ عيونُهُمُ نِيامُ .

ــ أطاعنُ خيلاً من فَوارسِها الدهرُ وحيداً ؛ وما قولي كذا ومَعي الصبرُ ؟
وأشْجَعُ مني كلَّ يومٍ سَلامتي ، وما ثَبَتَتْ إلاّ وفي نفسها أمرُ .
تمرّستُ بالآفاتِ حتى تركتُها تقولُ : أماتَ الموتُ أمْ ذُعِرَ الذُعْرُ ؟
وأقدمتُ إقدام الأتيِّ كأنَّ لي سوى مُهجتي أو كان لي عندها وِتْرُ[2] .
ذَرِ النفسَ تأخُذْ وُسْعَها قبل بَيْنِها ؛ فمفترقٌ جاران دارُهما العُمْرُ .
ولا تحسبنّ المجدَ زِقّاً وقَيْنَةً ، فما المجدُ إلا السيفُ والفَتْكةُ البِكْرُ[3]
وتضريبُ أعناق الملوكِ ، وأن تُرى لك الهَبَواتُ السودُ والعسكر المَجْرُ[4] ؛

• يؤمر الأطفال في الإسلام بالصلاة إذا بلغوا سبع سنوات ويضربون على ترك الصلاة إذا بلغوا عشراً .

١ الرغام : التراب . معدن : أصل .

٢ الأتي : السيل . وتر (بفتح الواو او كسرها) : ثأر .

٣ الزق : وعاء الخمر . القينة : الجارية المغنية . البكر : العظيمة ، التي لم يسبق مثلها .

٤ الهبوة : العدد الكثير . السود الكثيرة السلاح . المجر : الكثير .

وتركُكَ في الدُنيا دَوِيّاً كأنما تَدَاوَلَ سَمْعَ المرءِ أنْمُلُهُ العشر [1] !

ومن خصائصَ المتنبّي في هذا الدورِ الغموضُ في المعاني والتعقيدُ في التراكيب وتكلُّفُ الاستعاراتِ والكِنايات والتصنيع :

اتصاله بسيف الدولة (الدور الثاني من حياته)

واتفق أن كان المتنبي في أنطاكية سنة ، ٣٣٧ هـ (٩٤٨ م) ، يمدح والِيَها أبا العشائر الحَمْداني ، لما قَدِمَ إليها سيفُ الدولة . « فعرّف أبو العشائر سيفَ الدولة مقامَ المتنبّي وشاعريتَه وفروسيتَه » . وكان سيفُ الدولة أديباً محبّاً للأدب قد جمع في بَلاطه من الأدباء والشعراء والعلماء ما لم يجتمع مثله إلا في بلاط هرون الرشيد . فعرّضَ سيف الدولة على المتنبّي أن يَصْحَبَهُ إلى حَلَبَ ؛ فاشترط المتنبّي على سيف الدولة ألاّ يُنْشِدَه إلاّ جالساً وألا يُقَبِّلَ الأرضَ بين يديه وأن يَضْمَنَ له سيفُ الدولة ثلاثةَ آلافِ دينارٍ في العامِ على ثلاثِ قصائدَ سوى ما يَعِنّ له .

وعَظُمَ مقام المتنبّي في بلاط سيف الدولة ، في الشعر والحرب ، كما عَظُمَ مَيْلُ سيفِ الدولة إليه . ولعلّ سيفَ الدولة أدْرَكَ الطُموح في نفس المتنبّي إلى السلطانِ والحُكم فأقطعه قريةً قُرْبَ حَلَبَ اسمُها سبعين (القاموس ٣ : ٣٦ ؛ تاج ٥ : ٣٧٣) . ولكنّ قريةَ سبعين لم تُطْفِىءْ غُلّةَ المتنبّي إلى الإمارة — إلاّ أنّ تلك الغلّةَ لم تكنْ بعدُ قد اشتدّت ، فانّ المتنبي كان لا يزال يَشْعُرُ بشيءٍ مِنَ الاطمئنان الروحيّ والرِضا النَفْسي من الناحيةِ العمليةِ على الأقلّ إذ كان يَذْهَبُ في الغزَواتِ معَ سيفِ الدولة مُقدَّماً على الجُنود والقُوّاد .

غير أن ذلك كلّه كانَ يُؤجّجُ حَسَدَ رِفاقِ المتنبّي في بَلاطِ سيف الدولة : لقد كان المتنبّي — بالإضافةِ إلى الحظوةِ العظيمةِ لدى سيف الدولة — ينال من سيفِ الدولة على القصيدةِ الواحدةِ ألفَ دينارٍ ، بينما كان في البلاط مِائةُ شاعرٍ لا ينالُهم كلّهم مِثْلُ هذا المبلغِ . فما زالَ هؤلاء يُوقِعون بينَ

---

[1] دوياً : صوتاً ، ضجة ، شهرة . تداول سمع المرء انمله (بتثليث الميم والهمزة — وهكذا تصح قراءتها على عشرة وجوه) العشر : ازداد سماع الناس بشهرته حتى لكأنهم يسمعون بعشر أصابع مكان سماعهم بأذنين .

المتنبّي وبينَ سيف الدولة . وضاق صدرُ سيف الدولة بمن معه : إذ كانوا يتنازعون في الألفاظ والإعراب والأشعارِ ويطلُبون العطاءَ ليُنْفِقَهُ مُعْظَمُهم على الغَزَلِ والخَمْر ، بينما الرومُ يُهاجمون البلادَ وهو عاجزٌ عن قتالهم إلا قليلاً . وفي سنة ٣٤٥ ﻫ دخل الرومُ ميّافارقين (بلدَ سيف الدولة) فهدموها وأحرقوها وقتلوا مَنْ قتلوا مِنْ أهلِها وسَبَوْا مَنْ سَبَوْا ثم عادوا عنها بعد أن نَهَبوا الأموال .

ثمّ وَقَعَتِ الحربُ بينَ مُعِزِّ الدولة بن بُوَيْه (أميرِ الأمراء في بَغدادَ والمتسلّطِ على الخِلافة) وبين ناصرِ الدولة صاحبِ المَوْصل (وهُوَ أخو سيفِ الدولة) ، منذُ سنة ٣٤٥ ﻫ (٩٥٦ م) . وظلّتِ الحربُ بينهماسِجالاً حيناً ثم انهزم ناصرُ الدولة ولجأ إلى أخيه سيفِ الدولة في حَلَبَ . وعزم مُعِزّ الدولةِ على المسير إلى حلب ، ولكنّ سيفَ الدولة راسلَ مُعِزّ الدولة في طَلَبِ الصلح ، فأبى مُعِزّ الدولة تَضْمينَ ناصرِ الدولةِ ولايةَ المَوْصل من جديدٍ ، لأن ناصرَ الدولة كان كثيرَ الإخلافِ بما يَعِدُ . فضَمِنَ سيفُ الدولة لمعزّ الدولة عن أخيه ناصرِ الدولة ٢,٩٠٠,٠٠٠ درْهمٍ (نحو مائة وعشرين ألف ليرةٍ ذهباً بعملتنا الحاضرة) في العام ، وأن يُطْلِقَ سَراح الأسرى من رجال مُعِزّ الدولة ؛ وكان ذلك في المُحرّمِ من سَنَةِ ٣٤٨ ﻫ (ربيع عام ٩٥٩ م) . والذي حمَلَ مُعِزّ الدولة على قَبولِ عَرْضِ سيفِ الدولة ، مَعَ أنه كان مُتمكّناً من البلادِ قادراً على أن ينالَ ما يُريد بالحربِ ، أن الأموالَ قلّتْ في يديه ، إذ «تقاعد الناسُ في حملِ الخَراج (دفع الضرائب) واحتجّوا بأنهم لا يَصِلون إلى غلاّتهم وطَلَبوا حِمايتَهم من العَرَب (الأعرابِ ، البَدْوِ) من أصحابِ ناصر الدولة» . فلمّا وَرَدَتْه رسالةُ سيفِ الدولة في طَلَب الصلح ودَفْع ثلاثةِ ملايينَ درهمٍ ، عَدّ ذلك ظفراً كبيراً إذ كفاه مَؤونة حربٍ جديدةٍ فعادَ إلى بغدادَ (راجع تاريخ الكامل ٨ : ١٨٥ وما بعدها) .

في مثلِ هذه الحال كان سيفُ الدولة يُضطَرّ إلى أنْ يَستَمِعَ إلى الشعراءِ في بَلاطهِ يتناقشون في شِعرِ للمتنبّي : يَزْعُمُون مرّةً أن المتنبّي سرق معناه من شاعرٍ سبقه ؛ ويقولون للمتنبي مرةً أخرى : أسأت التشبيهَ الفُلانيّ أو أتيتَ بوجهٍ ضعيفٍ من الإعراب . فيقالُ إنّ سيفَ الدولة حَذَفَ المتنبّي ، والمتنبّي يُنْشِدُ شِعْرَه ويَرُدّ على المنتقدين ، بدَواةٍ كانت بينَ يديه فأصابه بجُرْحٍ في وجههِ .

وقيل بل إنّ ابن خالَوَيْه (وكان من قَبلُ مُعلِّماً لسيفِ الدولة ولنفرٍ آخرينَ من بني حَمْدانَ) حَذَفَ المتنبّي بمِفتاحٍ كان يَحْمِلُه . فغَضِبَ المتنبّي وغادَرَ حَلَبَ ، سنة ٣٤٦ هـ (٩٥٧ م) .

هذا الدورُ عند المتنبّي هو دورُ العَظَمة ، فيه تتجلّى عظمةُ نفسه وبُعْدُ هِمّته واندفاعُه في تصويرِ عظمة العربِ وعظمة الإسلام . وقد بَرَعَ المتنبّي في وصف المعارك لأنه كان فارساً شجاعاً عالماً بأمور الجيوش عارفاً بأساليب القتال ، ولأنه خاضَ المعارك فعلاً وأبلى فيها بلاءً حسناً . وفي هذا الدور هَجَرَ المتنبّي التكلّفَ وجرى في شِعره على السّليقة ، فأخذ شعرُه يتدفّقُ حَماسةً وفخراً .

ذهابه إلى كافور (الدور الثالث من حياته)

ذَهَبَ المتنبّي إلى مِصْرَ ليمدح كافوراً الإخشيديّ المستبدَّ يومذاك بحُكْمِ مِصْرَ ، وهو يرجو أنْ ينالَ من كافورٍ إمارة أو ولايةً يُغيظ بها الذين كادوا له في حلب وأخرجوه منها — ظَنّاً منه أنّ كافوراً المغتصبَ للسلطانَ يَهونُ عليه أن يتنازلَ عن قِطعةِ أرضٍ بأيسرَ مما يتنازلُ عنها أميرٌ أصيلٌ استولى عليها بسيفه كسيف الدولة .

ولم يُخْدَعْ كافور عن قِطعةٍ من مُلْكه فانقلَبَ عليه المتنبّي . وأدرك كافورٌ ذلك فضَرَبَ حولَ المتنبّي نِطاقاً من الرّقابة حتى لا يَهْرُبَ ويُعْلِنَ أهاجيَهُ ، بعد أن كان المتنبي قد بدأ يُعَرِّض بكافورٍ جهراً أو يهجوه سراً . وأعَدَّ المتنبّي عُدّته للهرب ، ثم انتهز فرصة اشتغالِ الناس بليلةَ عيد الأضحى من سَنَة ٣٥٠ هـ (كانون الثاني ٩٦٢ م) فانسل من مِصْرَ آيباً إلى المشرق .

في هذا الدور بَلَغَ شِعر المتنبّي غاية نُضْجه وكثُرتْ فيه الحِكَمُ والأمثال المضروبة ، كما خَلا من التعقيد والتكلّف . ثم ارْعوى المتنبّي فتَرَكَ التهوّرَ واعتدل في طموحه وأخذ يَنْظُرُ إلى الأمورِ بعين العقل بعد أن صَدَمَتْهُ الحياةُ في حَلَبَ وفي مِصْرَ صَدَماتٍ متواليةً . فليس من المُسْتَغْرَبِ ، إذنْ ، أن تظهرَ الشكوى في شِعره وأنْ يُعَرِّضَ هُوَ بسيفِ الدولة من غير أن تَسْمَحَ له نفسُه بهجائه . ولكن لما عَظُمَتْ نِقْمَتُهُ على كافورٍ وهجاه قال في آخر قصيدته :

أوْلى الأنامِ كُوَيفيرٌ بمَعْذِرَةٍ في كل أمرٍ ، وبعضُ العُذر تَفْنيدُ[1]:
وذاك أن الفُحولَ البيضَ عاجزةٌ عن الجميلِ ؛ فكيف الخِصْيَةُ السود ؟[2]

ذهابه إلى المشرق (الدور الرابع من حياته) وموته

توجّهَ المتنبّي إلى الكوفة مَسْقَطِ رأسه . وبعد مدّة صَعِدَ إلى بَغْداد ، سنة ٣٥١ هـ ، فلم يجد الأمورَ على ما يشتهي ، ولا رأى أن يمدح فيها أحداً : لا الخليفةَ المُطيعَ ، ولا أميرَ الأمراء مُعِزّ الدولة بن بُوَيْهِ ، ولا الوزيرَ المُهَلّبيّ . فأغرى المهلبيّ به الشعراء فأخذوا بهجائه وشَتْمه .

واتفقَ أنّ الأديب المشهور ابن العَميد ، وزيرَ رُكْنِ الدولة بن بويه ، كتب إلى المتنبّي من أرّجانَ يستزيرُه ، فذهب اليه المتنبّي في عام ٣٥٤ ، (٩٦٥ م) ومدحه . ثم كتب اليه عَضُدُ الدولة بن بويه من شيراز يستزيره أيضاً فسار اليه المتنبي (٣٥٤ هـ) ومدحه .

وفي ذلك العامِ نفسِه استأذن المتنبي عَضُدَ الدولة لزيارةِ الكوفة ، وكان في الحقيقة يُريد أن يذهبَ إليها ليقيمَ فيها ، بما كان معَه من المال الذي جَمَعَه من ممدوحيه ، إمارة في مسقط رأسِه . وفي أثناء الطريق عرَض له فاتكٌ الأسديّ ، أحدُ رؤساء الأعراب ، وقاتله طمعاً بما كان معَه من المال وقتله (٢٨ رمضان ٣٥٤ هـ = أواخر تشرين الثاني ١٩٦٥ م) ، قيل في موضع يقال له الصافية ، قرب النعمانية عند دير العاقول على نحو ميلين من الضواحي الغربية لبغداد .

إن شِعر المتنبّي في هذا الدور أدنى من شِعره في حلَبَ ومِصْرَ ، فقد خلا من الحِكمة ومظاهرِ العظمةِ ومن وَصْفِ المعارك ثم ضَعُف بناؤه . وتفسير ذلك سهل ، هو أن المتنبّي ترك مِصْرَ مكسورَ النفس بعد أن كان قد غادر حلب مجروحاً في كبريائه فلم يكن شِعره يعبّر عن ذلك العُنْفوان وذلك الطموحِ اللذَيْنِ كانا له في حلب . غير أن شِعره اكتسب في هذا الدور رِقّةً وبَرَزَ فيه الوصفُ . قال المتنبّي يمدح عَضُدَ الدولة ويَصِفُ شِعْبَ

---

١ التفنيد : اللوم والتقريع . — عذرك لشخص ما دليل على انه مذنب ، فإذا أنت عذرته فكأنك تلومه .
٢ الفحول البيض : أمثال سيف الدولة . الخصية السود : أمثال كافور لأنه كان خصياً أسود مملوكاً .

بوّان [1] :

مغاني الشِعبِ – طيباً في المغاني – بمنزلةِ الربيعِ من الزمانِ [2] .
ولكنّ الفتى العربيّ فيها غريبُ الوجهِ واليدِ واللسان [3] .
ملاعبُ جِنّةٍ لو سار فيها سُليمانٌ لسارَ بتَرْجُمانِ [4] !
طَبَتْ فُرسانَنا والخيلَ حتى خَشيتُ – وانْ كَرُمْنَ – من الحِران [5] .
غَدَوْنا تَنْفُضُ الأغصانُ فيها على أعْرافها مثلَ الجُمان [6] .
فسِرْتُ وقد حَجَبْنَ الحرّ عني وجِئْنَ من الضياء بما كَفاني [7] .
وألقى الشرقُ منها في ثيابي دَنانيراً تَفِرّ من البَنان [8] .
لها ثمرٌ تُشير إليك منه بأشْرِبَةٍ وَقَفْنَ بلا أوان [9] ،
وأمواهٌ تَصِلّ بها حَصاها صليلَ الحَلْيِ في أيدي الغواني [10] .

عناصر شخصيته – خصائصه وفنونه

كان المتنبي بعيدَ الطموح شديدَ العصبية مُعْتَدّاً بنفسه يتعاظم على الناس . ولقد غفرَ الدارسون له ذلك عند الكلام على صِفاته لأنه كان فارساً شجاعاً ، بعيدَ التفكير واسع المعرفة ، وفيّاً لمن عرَفَهم عفيفاً النفس واليد .

امتاز المتنبّي بالإكثار من المعاني وبضَرْبِ الأمثال والمبالغة في كل شيء .

---

١ شعب بوان في أرض فارس ، بين أرجان والنوبندجان ، وهو أحد متنزهات الدنيا (ياقوت ١ : ٧٥٠) .

٢ نسبة شعب بوان للأماكن المسكونة في العالم كنسبة الربيع إلى سائر الفصول .

٣ كانت اللغة الفارسية ، في أيام المتنبي ، قد أخذت تستعيد مقامها في ايران .

٤ الجنة : الجن . – ان سليمان الذي كان يعرف لغات الناس والطير يحتاج في فارس إلى ترجمان .

٥ طبت : دعت ، طابت ، أفادت .

٦ جاء الليل فجمد الماء في الاغصان ، فلما مررنا في الصباح أخذ الماء المتجمد في الاغصان يذوب ويسقط على أعناق الخيل كأنه اللؤلؤ .

٧ الأغصان الكثيفة كانت تحجب حر الشمس عني وتسمح بالمقدار الضروري من النور بالوصول إلى طريقي .

٨ وكان الضياء يخترق الفروج بين أوراق الشجر ويظهر على ثيابي كأنه دنانير .

٩ وكان لتلك الاشجار ثمر ناضج جداً حتى لكأنه بلا قشر (قشره شفاف جداً) .

١٠ والمياه الجارية تحدث عند مرورها على الحصا في مجاريها صوتاً ناعماً عذباً كصوت الحلي في معاصم النساء الحسان .

وكان أسلوبُه فخماً متيناً جداً وغنياً بالتشابيه البارعة والاستعارات الأنيقة وبعض الصِناعة اللفظية ، فلقد كان المتنبّي من أتباع المذهبِ الشاميّ القائمِ على التأنّق في التعبير .

ولم يَعْرُ أسلوبُ المتنبّي نفسَه إلاّ للفخر والمديح ، وكان الفخرُ والمديح يَغْلِبانِ على كل فنّ آخرَ من فنون المتنبّي . أما الحكمة فنثرها المتنبي في جميع قصائدِه . وله شيءٌ مِنَ الوصفِ ومن الشعر الوُجداني الخالص .

أما مَقامه في الشعر فقد أفاض فيه النقاد وأجْمعوا على أنه في المقام الأول بين جَميع الشُعراء وفَوْقهم . وأشهرُ الأقوال في ذلك ، عند الموازنة بين الشعراء كلهم ، قولُ ابنِ رشيقٍ القَيْرواني[1] : « وليس في المُوَلّدين أشهرُ اسْماً من الحسن أبي نواس ، ثم حبيب[2] والبُحتريّ ، ويُقالُ إنهما أخملا في زمانِهما خَمْسَمِائةَ شاعرٍ كلُّهم مُجيد . ثم يتبعهُما في الاشْتهارِ ابنُ الرومي وابنُ المعتز ، فطار اسْمُ ابن المعتز حتى صارَ كالحسنِ في المولّدين وامرئ القيسِ في القدماء . فإنّ هؤلاء الثلاثةَ (أبا نواسٍ وأبا تمّام والبُحتريّ) لا يَكاد يجهلُهم أحدٌ من الناس . ثم جاء المتنبي فملأ الدنيا وشَغَلَ الناسَ » .

وفي سَنَةِ ١٣٥٤ هـ (١٩٣٥ م) احتفل العالمُ العَرَبي بمرور ألف سَنَةٍ قَمَريةٍ (٣٥٤ — ١٣٥٤ هـ) على وَفاة المتنبّي ، وقد أقام عدد من الدول الأجنبية اجتماعاتٍ لمناسبة هذه الذكرى .

أ — فخره : كان المتنبّي متعاظماً شديدَ الذَهابِ بنفسِه لا يرى أحداً فوقه ولا أحداً مثله . وقد ملأ قصائده بالفخر ، حتى تلك التي كان يُلقيها بين يَدَيِ المَمْدوحين . وربما رفع نفسَه فوقهم . وكان المتنبّي يفتخر بأسلافه وبأهله وبنفسه : يفتخر بعِفّته ووفائه وعزْمِه وبنفوذِ بصره في الأمور ، كما كان يفتخر بشعره ويجعل معانيَ الشعراء المعاصرين له تَبَعاً لمعانيه هو : أخذوها منه ثم نَسَبوها إلى أنفسِهم ومدحوا بها ممدوحيهم . فمن فخره المشهور قوله (في دوره الأوّل) :

---

[1] العمدة ١ : ٨٢ .

[2] حبيب : أبو تمام (حبيب بن أوس) .

أينَ فضلي إذا قَنِعتُ من الدهـ ـرِ بعيشٍ مُعَجَّلِ التنكيدِ ؟
عِشْ عزيزاً أو مُتْ وأنتَ كريمٌ بين طعن القَنا وخفق البنود .
لا كما قد حَيِيتَ غيرَ حَميدٍ ، وإذا مِتَّ مِتَّ غيرَ فقيد .
فاطلُبِ العزَّ في لَظَى ودعِ الذ لَّ ولو كان في جِنانِ الخلود[1] .
ما بقومي شَرُفْتُ ، بل شَرُفوا بي . وبنفسي فَخَرْتُ لا بجدودي .
وبهم فخرُ كلِّ من نَطَقَ الضا دَ وعَوْذُ الجاني وغَوْث الطريد .
إنْ أكُنْ مُعْجَباً فعُجْبُ عَجيبٍ لم يَجِدْ فوقَ نفسِه من مزيد .
أنا تِرْبُ النَّدى وربُّ القوافي وسِمامُ العِدى وكيدُ الحسود[2] .
أنا من أمّةٍ ، تداركها اللـ ـهُ ، غريبٌ كصالحٍ في ثمود[3] .

ورثى المتنبّي جدّته بقصيدة ملأها بالفخر بنفسه ، فمما قاله في هذه القصيدة :

ألا لا أُري الأحداثَ مدحاً ولا ذمّا ؛ فما بطشُها جهلاً ولا كَفّها حِلْما .
عرَفْتُ الليالي قبل ما صنعت بنا ، فلما دَهَتْني لم تَزِدْني بها عِلْما .
أتاها كتابي بعدَ يأسٍ وتَرْحةٍ فماتت سُروراً بي فمِتّ بها غمّا .
وكنت قُبيلَ الموتِ أستعظم النوَى ، فقد صارت الصغرى التي كانت العُظمى[4] .
هَبِيني أخذتُ الثأرَ فيك من العِدى ، فكيف بأخذ الثأرِ فيك من الحُمّى ؟
ولو لم تكوني بنتَ أكرمِ والدٍ لكانَ أباكِ الضَخْمَ كونُكِ لي أُمّا[5] .
تغرّب لا مُسْتَعْظِماً غيرَ نفسه ولا قابلاً إلا لخالقه حُكما .
يقولون لي : ما أنتَ في كل بلدةٍ وما تبتغي ؟ ما أبتغي جلّ أن يُسْمى !
واني لمن قوم كأن نفوسَهم بها أَنَفٌ أن تسكن اللحمَ والعظما .

---

١ لظى اسم علم مؤنث (لا يحلى بلام التعريف ولا ينون) على جهنم .
٢ الترب هو الشخص المولود مع شخص آخر في عام واحد (أنا والندى – الكرم – تربان ، لي من المقام ما للكرم عند العرب) . سمام : السموم ، الريح الحارة التي تقتل .
٣ صالح : نبي أرسل إلى قوم ثمود فلم يصدقوه ، وقد أمرهم مرة ألا يذبحوا ناقة فما أطاعوه .
٤ – كنت أرى البعد عن جدتي أمراً شديداً علي ، فلما ماتت أدركت أن البعاد أمر عادي تافه ، بالنسبة إلى الموت.
٥ الأم : الوالدة وكل جدة في عمود النسب .

وللمتنبّي فخر كثير فيه مبالغة وتعاظم واحتقار لبني دهره ، قال يمدح سيف الدولة ويعاتبه :

واحرَّ قلباهُ ممن قلبُهُ شَبِمُ ... ومن بجسمي وحالي عنده سَقَمُ [1] .

ما لي أُكتّمُ حُبّاً قد برى جسدي ، ... وتدّعي حُبَّ سيفِ الدولة الأممُ .

ان كان يجمعُنا حُبٌّ لغُرّته ... فليت أنّا بقَدْرِ الحبّ نقتسم .

يا أعدَلَ الناسِ إلاّ في مُعاملتي ، ... فيك الخِصامُ وأنت الخَصْمُ والحَكَمُ .

أعيذُها نظَراتٍ منك صادقةً ... أن تحسَبَ الشحمَ في من شحمُهُ ورم .

وما انتفاعُ أخي الدنيا بناظره ... إذا استوتْ عندَه الأنوارُ والظُلَمُ؟

سيعلَمُ الجمعُ مِمّنْ ضَمّ مجلسُنا ... بأنني خيرُ مَنْ تَسْعى به قدم .

أنا الذي نظرَ الأعمى إلى أدبي ... وأسمعتْ كَلماتي من بهِ صَمَمُ .

أنامُ مِلءَ جُفوني عن شَوارِدها ... ويسهرُ الخَلْقُ جرّاها ويختصم [2] .

وجاهلٍ مَدّه في جهلهِ ضَحِكي ... حتى أتته يدٌ فَرّاسةٌ وفَمُ [3] .

إذا رأيتَ نُيوبَ الليث بارزةً ... فلا تظنَّنّ أنّ الليثَ يبتسم .

الخيلُ والليلُ والبَيْداء تعرِفُني ... والسيفُ والرمح والقِرْطاس والقلم .

يا من يَعِزّ علينا أنْ نُفارِقَهم ، ... وُجدانُنا كلَّ شيءٍ بعدكم عَدَم .

إنْ كان سَرّكُمُ ما قالَ حاسدُنا ... فما لجُرْحٍ إذا أرضاكُمُ ألَمُ .

كم تطلُبون لنا عَيْباً فيُعْجِزُكُمْ ! ... ويَكْرَهُ اللهُ ما تأتون والكرم .

ما أبعدَ العيبَ والنُقصانَ من شرفي ! ... أنا الثُريّا وذانِ الشيبُ والهرم [4] .

ليتَ الغَمامَ الذي عندي صواعقُه ... يُزيلُهُنَّ إلى مَنْ عنده الدِيَمُ [5] .

إذا ترحّلت عن قومٍ وقد قَدَروا ... ألاّ تُفارِقَهم فالراحلون هُمُ .

شرُّ البلاد مكانٌ لا صديقَ به ، ... وشرُّ ما يَكْسِبُ الإنسانُ ما يَصِمُ [6] .

---

١ شبم : بارد ، معطش .

٢ – أنظم الشعر بسهولة والناس يسهرون الليالي في محاولة فهمه والمجادلة في معانيه .

٣ فراسة : مفترسة ، شديدة الافتراس .

٤ أنا لا آتي ما يعيب الإنسان أو يحط من قدره طبعاً وخليقة ، كما أن الثريا لا تشيب ولا تهرم .

٥ سيف الدولة يهددني ويحسن إلى غيري . فليته يهدد الذين يحسن اليهم .

٦ يصم : يعيب . شر مكاسب الإنسان ما كانت مصادرها غير شريفة .

بأيِّ لفظٍ تقولُ الشعرَ زِعْنِفَةٌ تَجوزُ عندك لا عُرْبٌ ولا عَجَمُ[1] !

وفي ذي الحِجّة من السَّنَة ٣٤٨ هـ (نَيْسان – أبريل ٩٦٠ م) أصيب المتنبّي ، وهو في مِصْرَ ، بحُمّى الرِبْع (الحُمى الراجعة ، لأنها تعود في كل أربعةِ أيامٍ مرةً – الملاريا) فقال يشكو المرضَ والألم ، وكَنّى عن الحُمّى بكَلِمة زائرة . وليسَ في هذه القصيدةِ غير شكواه من المرض ومن إقامته في أرضِ مِصْرَ لا يحارب ولا يقوم بعملٍ عظيم :

ولما صارَ وُدُّ الناسِ خِبّاً جَزَيْتُ على ابتسامٍ بابتسامِ[2] .
ولستُ بقانعٍ من كلِّ فضلٍ بأنْ أُعزى إلى جَدٍّ هُمامِ .
ولم أرَ في عيوبِ الناسِ عيباً كنقصِ القادرين على التَّمامِ .
أقمتُ بأرضِ مِصْرَ ، فلا ورائي تَخُبُّ بيَ الرِكابُ ولا أمامي .
قليلٌ عائدي ، سَقِمٌ فؤادي ، كثيرٌ حاسدي ، صَعْبٌ مَرامي .
وزائرتي كأنَّ بها حَياءً : فليسَ تزورُ إلاّ في الظلامِ .
بذلتُ لها المَطارفَ والحَشايا فعافَتْها وباتتْ في عِظامي[3] .
يَضيقُ الجِلْدُ عن نَفَسي وعنها فتُوسِعُهُ بأنواعِ السَّقامِ .
كأن الصُبْحَ يَطْرُدُها فتجري مدامعها بأربعةٍ سِجامِ[4] .
أُراقبُ وقتَها من غيرِ شَوْقٍ مُراقبةَ المَشوقِ المُسْتَهامِ .
ويَصْدُقُ وعدُها ، والصِدقُ شرٌّ إذا ألقاكَ في الكُرَبِ العِظامِ .
يقولُ لي الطبيبُ : أكلتَ شيئاً ؛ وداؤكَ في شرابكَ والطعامِ .
وما في طِبِّه أني جَوادٌ أضرَّ بجسمِهِ طولُ الجِمامِ[5] .
تعوَّدَ أنْ يُغَبِّرَ في السَّرايا ويدخُلَ من قَتامٍ في قَتامِ[6] .

---

١ زعنفة (بالكسر أو الفتح) : جماعة لا وزن لها ولا قيمة . تجوز عندك : تقبل قولها .

٢ الخب : المكر .

٣ المطرف (بالكسر) : الثوب الثمين . الحشية : الفراش . – نمت على فراش ولبست ثياباً ، ومع ذلك لم يفارقني البرد .

٤ – مع اقتراب الصبح ينضح جسم المصاب بالبرداء عرقاً وتذهب عنه الحمى ويفارقه البرد. في البيت أيضاً تورية : كأن العرق دموع الحمى (حزناً على فراقه) .

٥ الجواد : الحصان الأصيل . الجمام : الراحة واللهو .

٦ – تعود أن يحارب دائماً . السرية : الغزوة . القتام : غبار الحرب .

فأمسكَ لا يُطالُ له فيَرْعى ، ولا هو في العَليق ولا اللِجام [1] .
فان أمرَض فما مَرَضَ اصطباري، وان أحمَم فما حمَّ اعتزامي .
وان أسلَم فما أبقى ، ولكنْ سَلِمتُ من الحِمام إلى الحمام .

ب – مدحه : المتنبي شاعرٌ مدّاحٌ متكسّبٌ ، وقصائدُ المديحِ تؤلف القسمَ الأعظمَ من ديوانه . وهو يُبالغ في وَصْفِ الممدوح بالشجاعة والكرم والمروءة وأصالة النسب وبالذكاء . ومدائح المتنبي في سيف الدولة أحسنُ مدائِحه كلّها ، لأنه كانَ يحبّ سيفَ الدولة فوقَ احترامه له وإعجابه به . والمتنبي يرفع ممدوحه أحياناً فوق مرتبة البشر ، قال يمدح سيف الدولة :

لكلّ امرئٍ من دهرِه ما تعوّدا ، وعادةُ سيف الدولة الطعنُ في العِدا .
هو البحرُ غُص فيه – إذا كان ساكناً – على الدرّ ، واحذَرْهُ إذا كان مُزْبِدا .
ورُبَّ مُريدٍ ضَرَّه ضَرَّ نفسَه ، وهادٍ إليه الجيشَ أهْدى وما هَدَى [2] .
ومُستَكبِرٍ لم يَعْرِفِ اللهَ ساعةً رأى سيفَه في كفِّه فتشهّدا .
تَظَلّ ملوكُ الأرضِ خاضعةً له : تُفارِقُه هَلْكى وتلقاه سُجّدا .

وأحسن مديحِ المتنبي يأتي مَعَ وَصْفِ المعاركِ ، ذلك لأن المتنبي فارسٌ شَهِدَ المعاركَ مَعَ سيف الدولة . وأحسن شاهدٍ على ذلك وصفُ قلعة الحَدَث الحمراء ومديح سيف الدولة في خِلال ذلك :

على قدْرِ أهلِ العزمِ تأتي العزائمُ ، وتأتي على قدرِ الكِرامِ المكارمُ .
وتَعْظُمُ في عين الصغيرِ صِغارُها ، وتَصْغُرُ في عين العظيمِ العظائمُ .
يُكلِّفُ سيفُ الدولة الجيشَ همَّه وقد عَجِزَت عنه الجيوشُ الخضارم [3] .
ويطلُبُ عند الناسِ ما عندَ نفسِه ، وذلك ما لا تَدّعيه الضَراغم [4] .

---

١ « ولا هو في العليق ولا اللجام » مثل ضربه المتنبي لنفسه : لا يعمل عملا .
٢ هدى : دل ، قاد . أهدى : قدم ، أعطى . – قد يقود ملك جيشاً لقتال سيف الدولة فيكون هذا الجيش هدية (غنيمة) لسيف الدولة .
٣ الخضرم (بالكسر) : الكثير . – يريد سيف الدولة من جميع الناس أن يفعلوا فعله ، وذلك امر تعجز عنه الجيوش الكثيرة .
٤ الضرغام : الاسد . – يظن سيف الدولة أن جميع الناس مثله (أسود) .

هلِ الحَدَثُ الحمراءُ تَعْرِفُ لونَها ،   وتَعْلَمُ أيُّ الساقِيَيْنِ الغمائمُ ؟
سَقَتْها الغَمامُ الغُرّ قبلَ نُزولِه ،   فلما دنا منها سقَتْها الجَماجم [1] .
بناها فأعْلى والقَنا يَقْرَعُ القَنـا   ومَوْجُ المنـايا حَوْلَها مُتلاطم .
وكان بها مِثْلُ الجُنونِ فأصبحتْ   ومن جُثَثِ القَتلى عليها تَمائم [2] .
طريدةُ دهرٍ ساقها فرددتَها   على الدين بالخَطّيّ والدهرُ راغم [3] .
وكيف تُرَجّي الرومُ والروسُ هدمَها   وذا الطعنُ آساسٌ لها ودعائم ؟
وقد حاكموها ، والمنايا حَواكمٌ ،   فما ماتَ مظلومٌ ولا عاش ظالم .
أتَوْكَ يجُرّون الحديد كأنما   سَرَوْا بجيادٍ ما لهنّ قوائم .
إذا بَرَقوا لم تُعْرَفِ البيضُ منهمُ ؛   ثيابُهُمُ من مِثْلِها والعمائم [4] .
خميسٌ بشرقِ الارضِ والغربِ زَحْفُه   وفي أُذُنِ الجَوْزاء منه زَمازم [5] .
تجمّعَ فيه كلّ لِسْنٍ وأمّةٍ ،   فما يُفْهِمُ الحُدّاثَ إلا التراجم [6] .
وقَفْتَ وما في الموت شكٌّ لواقف: كأنك في جَفْنِ الرّدى وهو نائم .
تمرّ بك الابطال كَلْمى هزيمةً ،   ووجهُك وضّاحٌ وثغرك باسم .
تجاوزتَ مِقْدارَ الشّجاعة والنُهى   إلى قولِ قومٍ : أنتَ بالغيب عالم .
ضَمَمْتَ جَناحَيْهِمْ على القلب ضمّة   تموتُ الخوافي تحتَها والقوادم [7] .
بضَرْبٍ أتى الهاماتِ والنصرُ غائبٌ ،   وصار إلى اللَّبّاتِ والنصر قادم [8] .

١ غسلها ماء المطر ثم لونتها الدماء .
٢ – كثرت الجثث حول القلعة حتى أصبح من المستحيل الوصول اليها . التميمة : الحرز ، الحجاب (لرد الاذى عن حامله) .
٣ رددت القلعة إلى حكم المسلمين بالخطي (بالرماح ، أي بالقوة) .
٤ جميع ملابسهم (الخوذات والدروع والاحذية) وسلاحهم من حديد ، فاذا طلعت الشمس عليهم وانعكست أشعتها عنهم لم يدر الناظر إذا كانت الشمس تنعكس عن ثيابهم أو خوذهم .
٥ الخميس : الجيش . الجوزاء : برج من أبراج السماء . زمازم أصوات . – الاصوات المنبعثة من هذا الجيش مرتفعة جداً (لأن عدده كبير) تصل إلى نواحي السماء .
٦ هذا الجيش مؤلف من أمم مختلفة تتكلم لغات مختلفة ، فما يستطيعون التفاهم إلا بواسطة التراجمة .
٧ الجناحان : جانبا الجيش . القلب : وسط الجيش . القوادم : الريش الطوال في جناح الطائر . الخوافي: الريش الصغار والزغب في باطن جناح الطائر . – طوقت هذا الجيش وقضيت على جميع أفراده .
٨ الهامة : الرأس . اللبة : أعلى الصدر . انتصرت عليهم بسرعة (بمقدار ما يصل السيف من أعلى الرأس إلى أعلى الصدر) .

حقَرْت الرُدَيْنياتِ حتى طَرَحْتَها وحتى كأن السيفَ للرمح شاتم [1] .
ومن طَلَبَ الفتحَ الجليلَ فإنما مفاتيحُه البيضُ الخِفافُ الصوارم [2] .

يختلف مديح المتنبي في كافور من مدحه في سيف الدولة . كان المتنبي يحب سيفَ الدولة ويُجِلّه ويُكْبِر أعماله إكباراً صحيحاً . ولكن المتنبي لم يجد في كافورٍ ، منذ نزوله في مِصْرَ ، سبباً للحب أو الإكبار . من أجلِ ذلك امتلأت القصائدُ التي قالها المتنبي في كافورٍ بالتعريض والغَمْز ؛ وكان التعريض في القصائد المتأخرة خاصةً بارزاً جداً لا يكاد يخفى على أحدٍ لكثْرة ما ذُكِرَ فيها من ألفاظ الغَدْر والكَذِب والتمويه . قال المتنبي يمدحُ كافوراً في آخرِ رمَضانَ من سَنَةِ ٣٤٦ هـ (٢٥-١-٩٥٨ م) . :

مَنِ الجآذرُ في زيِّ الأعاريبِ حُمْرَ الحُلى والمَطايا والجلابيبِ [3] ؟
ما أوجهُ الحَضَرِ المُسْتحسناتُ بـه كأوجـهِ البَدَوِيّات الرَعابيب [4] :
حُسْنُ الحضارة مجلوبٌ بتَطْرِيَةٍ [5] ، وفي البَداوة حسن غير مجلـوب !
أفدي ظِباء فَلاةٍ ما عَرَفْنَ بها مَضْغَ الكلام ولا صبغ الحَواجيب [6] .
ومن هَوى كُلِّ من ليست مُمَوِّهَـةً تركتُ لونَ مشيبي غيرَ مخضوب .
ومِنْ هوى الصِدْق في قولي وعادتـه رَغِبْتُ عن شَعَرٍ في الرأس مكذوب .
ليتَ الحوادثَ باعتني الذي أخـذتْ مني بعلمي الذي أعطتْ وتجريبي .
فما الحداثةُ من حِلْمٍ بمانعـةٍ ؛ قد يُوجد الحِلْمُ في الشُبّان والشِيب !
ترعرعَ الملكُ الأُستاذُ مكتهِلاً قبلَ اكتهالٍ أديباً قبل تأديب .
يدبّر المُلْكَ من مِصْرٍ إلى عَدَنٍ إلى العراق فأرض الروم فالنُوبِ [7] .

---

١ الرديني : الرمح . تركت الحرب بالرماح وقاتلت بالسيوف (قاتلتهم بالسلاح الأبيض) .
٢ الجليل : العظيم . البيض الصوارم : السيوف الحادة .
٣ الجآذر : الظباء الصغار ، يقصد النساء الشابات . في زي الاعاريب : يلبسن ثياباً بدوية . المطايا : (هنا) النوق .
٤ الرعبوبة : الفتاة الممتلئة الجسم .
٥ التصنيع في الوجه (بالمطريات والاصباغ) .
٦ فلاة : بادية . مضغ الكلام : التكلف فيه .
٧ النوبة : مقاطعة جنوب مصر .

قالوا : هجرتَ إليه الغيثَ ! قلت لهم : إلى غُيوث يديه والشآبيب ؛
إلى الذي تَهَبُ الدُولاتِ راحتُه ولا يَمُنّ على آثار موهوب .
ولا يَرُوعُ بمغدورٍ به أحداً ، ولا يُفزِعُ مَوْفوراً بمنكوب [1] .
وجدتُ أنفعَ مالٍ كنت أذْخَرُهُ ما في السوابق من جَرْيٍ وتَقْريب [2].
لما رأينَ صروفَ الدهر تَغْدُرُ بي وَفَيْنَ لي ، وَوَفَتْ صُمّ الأنابيب .
وكيف أكْفُرُ ، يا كافورُ ، نِعْمَتَهـا وقد بَلَغْنَك بي ، يا كلّ مطلوبي .
أنتَ الحبيبُ ، ولكنّي أعوذُ به من أن أكونَ مُحِبّاً غير مَحْبوب !

ج ـ **رثاؤه** : رثاء المتنبي بابٌ من أبوابِ مديحه ، ليس فيه شيءٌ من عاطفة الخنساء أو جَريرٍ أو ابنِ الرومي . وليس فيه تَفَجّع أو جَزَعٌ . والمتنبي إذا رثى ذكَرَ حسناتِ المَيْت في الحياة ومَدَحَ أهله . وربما افتخر المتنبّي في رثائه بنفسه إذا كان المَيْتُ قريباً له . ثم انه ، في الحالين ، يتأمل الحياةَ واقعياً وفلسفياً ويستجمع الحِكَمَ ويَضْرِبُ الأمثالَ ؛ توفيت أمُّ سيف الدولة سنة ٣٣٧ هـ (٩٤٨ م) فقال المتنبي يرثيها :

نُعِدّ المشرفيّةَ والعَوالي وتقتُلُنا المَنونُ بلا قِتالِ [3] .
ومن لم يَعْشَقِ الدُنيا قديماً ؟ ولكنْ لا سبيلَ إلى الوصال .
رماني الدهرُ بالأرزاء حتّى فؤادي في غِشاءٍ من نِبال.
فصِرْتُ إذا أصابتني سِهامٌ تكسّرتِ النِصالُ على النِصالِ
أطابَ النفسَ أنكِ مِتّ ِ موتاً تمنّته البواقي والخوالي [4] ؛
وزِلْتِ ولم تَرَيْ يوماً كريهـاً تُسَرّ النفس فيه بالزوال.
رِواق العزّ فوقك مُسْبَطِرّ ، ومُلْك عليٍّ ابنِك في كمال [5] .

١ لا يغدر بأحد حتى يخيف بعمله خصومه . ولا ينكب أحداً (بمصادر أمواله) ليهدد الأغنياء حتى يتزلوا له عن شيء من أموالهم .
٢ أنفع شيء كنت أدخرته السوابق (الخيل) وما لها من الجري (السرعة) والتقريب (القفز ببطء) .
٣ المشرفية : السيوف . العوالي : الرماح .
٤ ــ من لم يرد الخلود في الدنيا؟
٥ مسبطر : وارف ، ممتد . علي : سيف الدولة .

يعلّلُها نُطاسيّ الشّكايا ... وواحدُها نُطاسيّ المعالي[1] .
إذا وصفوا لـه داءً بثغـرٍ ... سقاه أسنّةَ الأسَلِ الطِوال[2] .
وليستْ كالإناثِ ولا اللواتي ... تُعَدّ لها القُبورُ من الحِجال[3] .
مَشى الأُمراء حوْلَيْها حُفاةً ... كأن المَرْوَ من زِفّ الرِئال[4] .
وما التأنيثُ لاسْمِ الشمسِ عَيْبٌ، ... ولا التذكير فخرٌ للهِـلال .
ولو كان النساءُ كمَنْ فقَدْنـا ... لَفُضّلَتِ النساءُ على الرجال .
يُدفّنُ بَعْضنا بعضـاً ، ويمشي ... أواخِرُنا على هامِ الأوالي[5] .
أسيفَ الدولة، استَنْجِدْ بصبرٍ . ... وكيف بمِثْلِ صبرِكَ للجبـال !

وفي سنة ٣٥٠ هـ (٩٦١ م) تُوُفّـِيَ أبو شُجاعٍ فاتكٌ ، وكان قائداً زميلاً وصديقاً لكافورٍ ، فلما استبدّ كافورٌ بحكمِ مِصْرَ وقعتِ الوَحْشةُ بينهمـا فاعتزل فاتكٌ إلى ضيعة له بالفَيّوم . ونمَت الصداقة بين المتنبّي وفاتك لكرههما كافوراً . والمتنبّي يرثي فاتكاً بالشجاعة والكرم وسموّ الهمّة ويستطرد إلى الوعظ والحكمة :

الحُزْنُ يُقلِقُ والتجمُّل يَرْدَعُ ، ... والدمعُ بينهما عَصِيٌّ طَيّعُ .
أني لأجْبُنُ عن فِراقِ أحبّتي ، ... وتُحِسّ نفسي بالحِمام فأشْجَعُ .
تصفو الحياةُ لجاهلٍ أو غافـلٍ ... عمّا مضى فيها وما يُتوقّـع ،
ولمن يُغالطُ في الحقائقِ نَفْسَـه ... ويَسومُها طلبَ المُحال فتطمـع .
أين الذي الهَرَمانِ من بُنْيانِه : ... ما قومُه ؟ ما يومه ؟ ما المَصْرَعُ ؟
تَتَخلّفُ الآثارُ عن أصحابهـا ... حيناً ، ويُدْرِكُها الفناءُ فتتبع .
يا من يبدّل كلّ يومٍ حُلّـةً ، ... أنّى رَضيتَ بحلّةٍ لا تُنْزَع !

---

١ يعللها : يداويهـا . نطاسي الشكايا : الطبيب . النطاسي : العالم (الطبيب البارع القدير) . واحدها ابنها الوحيد (لم يكن لها ابن غيره) .
٢ – إذا ثارت فتنة في ثغر (تخم من تخوم بلاده) داواه بالرماح الطويلة (بالحرب) .
٣ الحجال جمع حجلة (بفتح ففتح) : ستر المرأة .
٤ المرو : الحصا . زف الرئال : ريش النعام .
٥ – يدفن المتقدمون تحت الأرض ثم يسير المتأخرون (الاحياء) فوق الأرض ، كأنهم يسيرون فوق هام (رؤوس) الذين سبقوهم في الحياة .

ما زِلْتَ تدفَعُ كلَّ أمرٍ فادحٍ حتى أتى الأمرُ الذي لا يُدْفَع !
قُبْحاً لوجهِك ، يا زمانُ ، فإنّه وجهٌ له من كلِّ لُؤْمٍ بُرْقُعُ :
أيموتُ مثلُ أبي شُجاعٍ فاتكٍ ويَعيشُ حاسِدُهُ الخَصِيَّ الأوْكَعُ[1] ؟
أبْقَيْتَ أكذبَ كاذبٍ أبقَيْتَه ، وأخذت أصدقَ من يَقول ويَسْمع .
من كان فيه لكلِّ قومٍ ملْجأً ، ولسيفهِ في كلِّ قوم مَرْتع .

وتُوُفِّيَتْ خَوْلَةُ ، أختُ سيف الدولة الكبرى ، سنة ٣٥٢ هـ (٩٦٣ م) ، وبلغ الخبر إلى المتنبي – وكان قد ترك مِصْرَ وجاء إلى الكوفة – فنظم في رثائها قصيدةً بارعةً بعث بها إلى سيف الدولة يُعزّيه . هذه المَرْثِية فوق مراثي المتنبّي كلّها جَوْدَةً واتّقادَ عاطفة . إنها رثاء صحيحٌ . وقد وَقَفَ نفرٌ من النُقّادِ ومؤرخي الأدبِ من المتنبّي ، من أجلِ هذه القصيدةِ ، مَوْقفاً قاسياً : قالوا إنَّ المتنبّي كانَ يُحبّ خَوْلَةَ ، ولولا ذاك لما جرى رثاؤها على لسانه بمثل هذه العاطفةِ والجَوْدة . قد يكونُ ذلك صحيحاً ، ولكنَّ هنالك ملاحظةً واحدةً : ان هذه القصيدةَ من الدَّوْرِ الرابعِ في حياة المتنبّي ، وشعرُ المتنبّي كان قد رَقَّ في هذا الدورِ فَجَرَتْ قصيدتُه في خَوْلةَ هذا المجرى :

يا أختَ خيرِ أخٍ ، يا بنتَ خيرِ أبٍ – كِنايةً بهما عن أشرف النسبِ –
أُجِلُّ قدرَك أن تُسْمَيْ مُؤبَّنةً ، ومَنْ يَصِفْكِ فقد سمّاكِ للعرب !
طوى الجزيرةَ حتى جاءني خبرٌ فَزِعْتُ فيه بآمالي إلى الكَذِبِ .
حتى إذا لم يدعْ لي صِدْقُه كَذِباً شَرِقْتُ بالدمع حتى كاد يَشْرَقُ بي .
أرى العراقَ طويلَ الليل مذ نُعِيَتْ ؛ فكيف ليلُ فتى الفِتيان في حلب ؟
يَظُنُّ أنَّ فؤادي غيرُ مُلْتَهِبٍ ، وأن دمعَ جفوني غيرُ منسكب .
بلى ! وحُرْمةِ من كانت مُراعيَةً لِحُرْمةِ المجد والقُصّاد والأدب .
وإنْ تَكُنْ خُلِقَتْ أنثى لقد خُلِقَتْ كريمةً غيرَ أنثى العقل والحسب .
وان تكنْ تَغْلِبُ الغَلْباءُ عُنْصُرَها فإنّ في الخمر معنىً ليس في العِنَبِ !

---

[1] الاوكع : اللئيم ، يقصد كافوراً .

فليتَ طالعةَ الشمسين غائبةٌ ، وليت غائبةَ الشمسين لم تَغِب [1] .
وليتَ عينَ التي آبَ النهارُ بها فداءُ عينِ التي غابتْ ولم تَؤُب [2] .
وما ذكرتُ جميلاً من صنائعها إلا بكَيْتُ ؛ ولا وُدٌّ بلا سبب !

د – هجاؤه : كانت طبيعةُ المتنبي وخصائصُ شعره بعيدةً عن الهجاء : كان مترفعاً لا يريد أنْ يضعَ نفسه في مثلِ منزلةِ خصومه ؛ وكان شعره فخماً رصيناً لا يُعير نفسَه للهجاء بسهولة . ومعَ ذلك فإنَّ له شيئاً مستجاداً في الهجاء ، قال في الدور الأول يتهكم برجُلين قتلا جُرَذاً ثم أبرزاه يُعجّبان الناسَ من كِبَرِه :

كِلا الرجلين اتّلى قتلَه ؛ فأيُّكما غلَّ حُرَّ السَّلَبْ ؟ [3]
وأيُّكُما كان من خلفِه ؟ فإنَّ بهِ عَضّةً في الذنب !

وكثر تعريضُ المتنبّي بخصومِه في بَلاطِ سيف الدولة على ما ترى في كثيرٍ من قصائدِ الدور الثاني . أما الهجاءُ الحقيقي عند المتنبّي فتجدُه ، في الدورِ الثالث ، في كافورِ الأخشيديّ تلميحاً وتصريحاً . وأشهر هجاء المتنبّي وأجودُه داليّتُه التي أنشدها في كافورٍ بعد أن هرب من مِصْرَ :

عيدٌ ، بأيةِ حالٍ عُدتَ ، يا عيدُ ؟ بما مضى أم لأمر فيك تجديد ؟
اني نزلت بكذّابين ضَيفُهُمُ عن القِرى وعن الترْحال مَحْدود [4] .
جودُ الرجال من الأيدي ، وجودُهُمُ من اللسانِ . فلا كانوا ولا الجود !
ما يَقْبِضُ الموتُ نفساً من نُفُوسِهِمُ إلاّ وفي كفّه ، من نَتْنِها ، عود [5] .
أكُلّما اغتالَ عبدُ السوء سيّدَه ، أو خانَه ، فله في مِصْرَ تمهيد ؟

---

[1] و [2] ليت طالعة الشمسين (شمس النهار) هي التي غربت إلى الأبد ؛ وليت غائبة الشمسين (خولة) لم تغب (لم تمت) . وليت شمس النهار التي طلعت مرة جديدة كانت فداء لخولة التي غابت (بالموت) ولم ترجع .

[3] كل واحد منهما أقسم انه هو الذي قتله .

[4] لا يحسنون ضيافته ولا يدعونه يذهب في سبيله .

[5] يمكن أن يفهم هذا البيت على وجهين : إذا أراد عزرائيل قبض أرواحهم وضع في كفه عوداً (طيباً) حتى تغلب رائحة الطيب على نتنهم . والمعنى الثاني : إذا أراد عزرائيل قبض أرواحهم أخذ بيده عوداً (قضيباً) حتى لا يباشر قبض أرواحهم بيده .

صارَ الخَصِيّ إمامَ الآبقينَ بها ، فالحُرّ مُسْتَعْبَدٌ والعبدُ معبود [1] .
نامتْ نواطيرُ مِصْرٍ عن ثعالبهـا وقد بَشِمْن ، وما تَفْنَى العناقيد .
لا تَشْترِ العبدَ إلاّ والعصا معه ، ان العبيدَ لأَنْجاسٌ مناكيدُ !

الأدب والحكمة والمثل المضروب

الحِكَمُ في شعرِ المتنبّي كثيرةٌ ، وهي منثورةٌ في جميعِ قصائده . وتدورُ حِكَمُ المتنبّي في الأكثر حولَ كُرْهِه للناس وسوء الظن بهم وقِلّة المُبالاة بالدهرِ ، وهو مُعْجَبٌ بالقوة أشدَّ الإعجاب . وله في الحياة والموتِ وأحداث الدهر أقوالٌ كثيرةٌ صائبة . على أنّ المُهِمّ في حِكَمِ المتنبّي أنه أخرج بعضَها مَخْرَجَ المَثَلِ المضروبِ فسارتْ على ألْسُنِ الناسِ واسْتَشْهَدَ بها الكُتّابُ في كتاباتِهم ومناقشاتهم . من ذلك كله قوله :

— إنّ السلاحَ جميعُ الناس تَحْمِلُه ؛ وليسَ كلُّ ذواتِ المِخْلَبِ السَّبُعُ .
— بذا قضتِ الأيامُ ما بين أهلِها : مصائبُ قومٍ عند قومٍ فوائدُ .
— إذا رأيتَ نُيوبَ الليثِ بارزةً فلا تظُنّنّ أنّ الليثَ يَبْتَسِمُ .
— إذا أنتَ أكرمتَ الكريمَ ملكته ، وإنْ أنتَ أكرمْتَ اللئيمَ تمرّدا .
— ما كلّ ما يتمنّى المرءُ يُدْرِكه ؛ تجري الرياح بما لا تشتهي السُّفُنُ .
— ومن يَكُ ذا فَمٍ مُرٍّ مريضٍ يَجِدْ مرّاً بـه المـاءَ الزُلالا .
— واحتمالُ الأذى ورُؤيةَ جانبـ ـه غِذاءٌ تضوى بـه الأجسامُ [2] .
ذلّ من يَغْبِطُ الذليلَ بعيشٍ؛ ربّ عيشٍ أخفُّ منه الحِمام .
كلّ حِلْمٍ أتى بغير اقتدارٍ حُجّةٌ لاجيءٌ إليها اللئام .
من يَهُنْ يَسْهُلِ الهَوانُ عليه ، مـا لجرحٍ [3] بميّتٍ إيلامُ .
— فلا مجدَ في الدنيا لِمَنْ قلّ مالُه ، ولا مالَ في الدُّنيا لمن قلّ مَجْدُه !

---

٣ الخصي يقصد به كافوراً . الآبق : العبد الهارب من سيده .
١ إذا كان المجرم يسرح أمامك ويمرح وأنت عاجز عن الاقتصاص منه (أو إذا رأيته يقوم بجنايته وأنت عاجز عن منعه) فذلك الذي يجعل الأجسام هزيلة بالتأسف والتحرق .
٢ الرواية بضم الجيم . ولعل فتح الجيم ابلغ .

ومن الحكم المتوالية في قصائده قولُه :

ذو العقلِ يَشْقى في النعيم بعقله ، وأخو الجَهالة في الشَقاوة يَنْعَمُ .
لا يسلمُ الشرفُ الرفيعُ من الأذى حتّى يُراقَ على جوانبه الدمُ .
والظُلم من شِيَمِ النفوسِ ، فان تَجِدْ ذا عِفّةٍ فَلِعلّةٍ لا يَظْلِمُ .
ومِنَ البليّة عَذْلُ من لا يَرْعوي عن جَهْلِه وخِطابُ من لا يَفْهَم .
والذُلّ يُظْهِر في الذليلِ مَوَدّةً ؛ وأودُّ منه لِمَنْ يَوَدّ الأرْقَم [1] .

للمتنبّي مقطوعة في الحكمة تامّةٌ نظمها في مِصْرَ . ويبدو أنه كان يريد أن يُنْشِدَها كافوراً ثم لم يفعلْ :

صَحِبَ الناسُ قبلَنا ذا الزمانا ، وعَنّاهم من أمرِه ما عَنّانا [2] .
وتَوَلَّوْا بغُصّةٍ كلّهم منـ ـه وإنْ سَرّ بعضَهم أحيانا .
ربما تُحْسِنُ الصنيعَ لياليـ ـهِ ولكنْ تُكَدِّرُ الإحسانا .
وكأنّا لم يَرْضَ فينا برَيْبِ الـ ـدَهْر حتى أعانه من أعانا [3] .
كلّما أنبتَ الزمانُ قناةً رَكّبَ المرء في القناةِ سِنانا [4] .
ومُرادُ النفوس أصغرُ من أنْ تَتَعادى فيه وأن تَتَفاني [5] .
غيرَ أنّ الفتى يُلاقي المَنايا كالحاتٍ ولا يُلاقي الهَوانا .
ولَوَ انّ الحياةَ تبقى لحيٍّ لعَدَدْنا أضلّنا الشُجْعانا [6] .
وإذا لم يكنْ من الموتِ بُدٌّ فمن العَجْزِ أنْ تكونَ جَبانا .
كلّ ما لم يكنْ من الصَعْبِ في الانـ ـفُسِ سهلٌ فيها إذا هو كانا [7] .

---

١ الذليل (المغلوب على أمره) يظهر الحب لك ، ولكنه يبطن لك عداوة أشد من شداوة الحية .
٢ عناهم : أهمهم ، شغلهم .
٣ من الناس من لا يرى مصائب الدهر كافية ، فيكيد هو أيضاً لاخوانه .
٤ كلما نبتت قصبة وضع الناس في رأسها حديدة (جعلوها سلاحاً للقتل) .
٥ مطالب الناس في الحياة أحقر من أن يعادي بعضهم بعضاً من أجلها وأن يفني بعضهم بعضاً في سبيل الوصول إليها .
٦ لو كانت الحياة تدوم لأحد لعددنا الشجعان (الذين يخوضون المعارك ويتعرضون للقتل) أضل الناس ، أسواهم رأياً .
٧ الإنسان يستصعب الأمور قبل أن تحدث ، فإذا حدثت وجدها سهلة يسيرة .

مصادر الحكمة في شعره

لما وَرَدَ المتنبّي بغداد تعاظم على أدبائها . واتّفق أن زاره أبو عليّ الحاتميّ فلم يُحْسِنِ المتنبّي لِقاءَهُ ، فوضع الحاتميّ رسالةً يعزو فيها نحوَ مائة من معاني المتنبّي في الحكمة إلى أرسطو[1] ؛ ذكر مثلاً أن أرسطو قال : « من أفنى مدّته في جَمْعِ المالِ خوفَ العَدَم فقد أدّى بنفسه إلى الفقر » ، ثم زَعَمَ أن المتنبّي سَرَق هذا المعنى فقال :

ومَنْ يُنفقِ الساعاتِ في جميعِ مالِه   مخافةَ فقرٍ فالذي فَعَلَ الفقرُ .

ثم زَعَمَ أيضاً أن أرِسْطو قال : « خَوْفُ وقوعِ المكروه قبلَ تناهي المدة خَوَرٌ في الطبع » ، فسرقه المتنبّي فقال :

وإذا لم يكنْ مِنَ الموتِ بُدٌّ   فمن العَجْزِ أن تكونَ جبانا !

لقد كان ذلك تَحاملاً من الحاتمي على المتنبّي وتَمَحُّلاً بعيداً في تَطَلّبِ الشَّبَه بين ما قال أرسْطو ، ان صحَّ ذلك ، وبين ما قال المتنبي . غيرَ أنَّ هذا لا يَعْني أن المتنبي لم يَقْتَبِسْ بعضَ معانيه في الحِكمة وغير الحكمة من أحدٍ ، فإنّ كتبَ البلاغة والنقد والأدبِ مملوءةٌ بمآخذ الشعراء وسَرِقاتِ بَعْضِهم من بعض .

لحكمة المتنبّي مصادرُ أشهرُهـا وأهمها أسفارُه وتَجارِبُهُ واحْتكاكُـه بالناس . ثم إنه اطّلَعَ على بعضِ الآراء في الكتب فأعْجِبَ بهـا وأخذهـا . ولعل المتنبّي قرأ في كتاب الحَيَوان للجاحظ « أن الجُعَل[2] متى دَفَنْتَه في الوَرْدِ سكنتْ حركتُه في رأي العين » فقال عن قصائده :

بذي الغباوةِ من إنشادِها ضَرَرٌ   كما تَضُرُّ رِياحُ الورد بالجُعَلِ .

ويبدو أيضاً أنّ المتنبّي قرأ في كتابِ كَلِيلةَ ودِمنةَ « إذا لَقِيَ الرجُـلُ عدوّه في المواطن التي يعلم فيهـا أنه هالكٌ سواء أقاتلَ أم لم يقاتلْ ، كـان حقيقاً أن يقاتلَ عن نفسه حِفاظـاً وكَرَماً » ، فقال وأحسن في الإيجاز وفي التعبير :

---

١ راجع ترجمة الحاتمي (ت ٣٨٨ هـ) . وأرسطو أو أرسطوطاليس فيلسوف يوناني (ت ٣٢٢ ق. م.) .
٢ الجعل : دويبة صغيرة سوداء كريهة المنظر والرائحة (مختصاه) .

وإذا لم يَكُنْ من الموتِ بُـدٌ   فمن العجز أن تكونَ جباناً .

وكذلك وَرَدَ في كتاب كليلة ودمنةَ : « ان الحيلة تُجْزِئ[1] ما لا تجزئ القوةُ » ، ثم رأينا في ديوان المتنبّي :

الرأيُ قبلَ شَجاعةِ الشُجعانِ ؛   هو أوّلٌ وَهْيَ المَحلّ الثاني .

٤ — لديوان المتنبّي[2] وشروحه طبعات كثيرة[3] أقدمها ظهر في الهند : كلكتّا ١٢٣٠ هـ (١٨١٤ م) ، ١٢٥٧ هـ ، ١٢٦١ هـ . ثمّ في أماكن أخرى من الهند : بشرح الواحدي ، بومباي ١٢٧١ هـ (١٨٥٥ م) . ثم في مصر : بولاق (القاهرة ، المطبعة الاميرية) ١٢٦١ ، ١٢٧٧ هـ ؛ بشـرح الواحدي ، بولاق ١٢٨٧ هـ ؛ القاهرة ١٢٨٣ هـ الخ ؛ وفي الشام : دمشق ، ١٣٠٦ هـ (١٨٩٨ م) .

ديوان المتنبّي (نشره بطرس البستاني) ، بيروت ١٨٦٠ م ، ١٩٠٠ م ؛ (علّق على حواشيه وفسّر كلماته اللغوية سليم ابراهيم صادر) ، بيروت (المطبعة العلمية) ١٩٠٠ و ١٩٢٦ م .

ديوان المتنبّي (شرحه عمر الرافعي من شرح العكبري والواحدي) ، القاهرة ١٢٨٣ ثمّ ١٣١٥ هـ .

— شرح ديوان المتنبّي للواحدي (ديتريصي) ، برلين (ميتلر) ١٨٦١ م .

العرف الطيّب في شرح ديوان أبي الطيّب (الشيخ ناصيف اليازجي) ، (المطبعة الأدبية) ١٨٨٩ م ، (دار صادر ودار بيروت) ١٩٦٤ م .

شرح التبيان عن ديوان أبي الطيّب أحمد بن الحسين المتنبّي للعكبري ، القاهرة (المطبعة الشرفية) ١٣٠٨ هـ ؛ (ضبطه مصطفى السقّا ، ابراهيم الابياري ، عبد الحفيظ شلبي) ، القاهرة (مطبعة البابي) ١٣٥٥ هـ (١٩٣٦ م) .

---

١ تُغني ، تسد ، تقوم بما لا تقوم به القوة .

٢ كان راوية المتنبي أبو الحسن محمد بن أحمد بن محمد المغربي أحد الائمة الادباء والاعيان والشعراء خدم سيف الدولة ولقي المتنبي ولقرا من ألمة الادب . وكان أبو الحسن المغربي شاعراً وصاحب تصانيف مذكورة مشهورة (راجع معجم الادباء ١٧ : ١٢٧ – ١٣٢) .

٣ راجع ذكراً مفصلا لطبقات ديوان المتنبي في بروكلمان ١ : ٨٧ – ٨٨ ، الملحق ١ : ١٤١ – ١٤٢ .

شرح ديوان أبي الطيّب المتنبّي (عبد الرحمن البرقوقي) ، القاهرة ١٩٢١م، الطبعة الثانية ، القاهرة (المطبعة التجارية الكبرى) ١٣٤٨ هـ (١٩٣٠ م) وما بعد .

ديوان أبي الطيّب المتنبّي (عبد الوهّاب عزّام) ، القاهرة (لجنة التأليف والترجمة والنشر) ١٩٤٤ م .

ديوان المتنبّي ، بيروت (دار صادر ودار بيروت) ١٩٥٨ م .

زيادات شعر المتنبّي (لعبد العزيز الميمني الراجكوتي) ، القاهرة (المطبعة السلفية) ١٣٤٥ هـ .

•• أبو الطيّب المتنبّي : ما له وما عليه ، تأليف أبي منصور الثعالبي ، القاهرة (محمد علي عطية) ١٣٣١ هـ (١٩١٥ م) .

الصبح المنبي عن حيثية المتنبّي ، تأليف يوسف البديعي (على هامش شرح التبيان) ، القاهرة (المطبعة الشرفية) ١٣٠٨ هـ ؛ (نشره ياسين عرفات) ، دمشق (مطبعة عرفة) ١٣٥٠ هـ (١٩٣٠ م) .

الوساطة بين المتنبّي وخصومه ، تأليف عبد العزيز الجرجاني (عبد المتعالي الصعيدي وأحمد عارف الزين) ، القاهرة (مطبعة صبيح) ١٩٤٨ م ؛ (تحقيق وشرح محمّد أبي الفضل ابراهيم وعلي محمّد البجاوي) ، القاهرة (دار إحياء الكتب العربية) ١٣٦٤ هـ (١٩٤٥ م) ، ١٩٥١ م .

أمثال المتنبّي ، جمعها الصاحب بن عباد (شرحها زهدي يكن) ، بيروت (مكتبة صادر) ١٩٥٠ م .

الأمثال السائرة من شعر المتنبّي والروزنامجة (تحقيق محمّد حسن آل ياسين) ، بغداد (مكتبة النهضة) ١٩٦٥ م .

الرسالة الحاتميّة في ما وافق المتنبّي في شعره كلام أرسطو في الحكمة ، تأليف أبي عليّ الحاتمي (نشرها فؤاد افرام البستاني) ، بيروت (المطبعة الكاثوليكية) ١٩٣١ . = الرسالة الموضحة في ذكر سرقات المتنبّي وساقط شعره ، تأليف أبي عليّ الحاتمي (تحقيق محمّد يوسف نجم) ، بيروت (دار صادر) ١٩٦٥ م ؛ (منشورة في « التحفة البهية والطرفة الشهية ») ، استانبول ١٣٠٢ هـ .

الإبانة عن سرقات المتنبّي لفظاً ومعنى لأبي سعيد محمّد بن أحمد العميدي (بالتزام مكتبة نخلة قلفاط) القاهرة، (المطبعة العباسية) بلا تاريخ (ربّما ١٨٩٥ م).

الكشف عن مساوئ المتنبي للصاحب بن عبّاد، القاهرة (مكتبة القدسي) ١٩٤٩ م؛ (تحقيق محمّد حسن آل ياسين)، بغداد (مكتبة النهضة) ١٩٦٥ م.

الأدب المربّي في حياة المتنبّي، تأليف حسين حسني حسن، الاسكندرية ١٩١٧ م.

أبو الطيّب المتنبّي، تأليف محمّد كرد عليّ، القاهرة ١٩٢١ م.

النهج العربي إلى شرح حكم المتنبّي، تأليف ابراهيم عبد الخالق، القاهرة، بلا تاريخ.

أبو الطيّب المتنبّي: حياته، خلقه، شعره، أسلوبه، تأليف كمال حلمي، القاهرة (مطبعة الشباب) ١٣٣٩ هـ (١٩٢١ م) و١٩٣٠م.

المتنبّي مالىء الدنيا وشاغل الناس، تأليف شفيق جبري، دمشق (مطبعة الشرق) ١٣٤٩ هـ (١٩٣٠ م).

أمثال المتنبّي وحياته بين الألم والأمل، تأليف أحمد سعيد البغدادي، القاهرة ١٩٣٢ م.

ذكرى أبي الطيّب بعد ألف عام، تأليف عبد الوهاب عزّام، بغداد ١٩٣٦ م؛ القاهرة ١٩٥٦ م.

أبو الطيّب المتنبّي، تأليف محمّد محمود شاكر، القاهرة (مطبعة المقتطف) ١٩٣٦ م.

مع المتنبّي، تأليف طه حسين، القاهرة ١٩٣٦ م الخ.

شاعر الطموح: المتنبّي، تأليف عليّ الجارم، القاهرة (دار المعارف) ١٩٤٧ م.

المتنبّي، تأليف زكي المحاسني، بيروت (دار المعارف) ١٩٥٦ م.

أبو الطيّب المتنبّي، تأليف جوزيف الهاشم، بيروت (دار الشرق الجديد) ١٩٥٩ م.

نظرة إجمالية في حياة المتنبّي ، تأليف معروف الرصافي ، بغداد (دار المعارف) ١٩٥٩ م .

أبو الطيّب المتنبّي عملاق الواقعيّة في الأدب العربي ، تأليف رضوان الشهّال ، بيروت (مطابع البحتري) ١٩٦١ م .

فنّ المتنبّي بعد ألف عام ، تأليف ابراهيم العريّض ، بيروت (دار العلم للملايين) ١٩٦٢ م .

المتنبّي بين ناقديه في القديم والحديث ، تأليف محمّد عبد الرحمن شعيب ، القاهرة (دار المعارف) ١٩٦٤ م .

المتنبّي : دراسة عامّة ، تأليف جورج غريّب ، بيروت (دار الثقافة) ١٩٦٧ م .

غرام المتنبّي بخولة أخت سيف الدولة ، بيروت (مطبعة ديب) بلا تاريخ .

المتنبّي وشوقي ، تأليف عبّاس حسن ، القاهرة (مكتبة البابي) ١٩٥١ م .

الشعراء الثلاثة : المتنبّي ، أبو العلاء المعرّي ، الشريف الرضيّ ، تأليف نور الدين نور الدين ، بيروت (دار الانصاف) ١٩٥٦ م .

المتنبّي وسعدي : أثر الثقافة العربية في سعدي الشيرري ، تأليف حسين علي محفوظ ، طهران (مطبعة الحيدري) (١٩٥٧ م) .

ديوان المتنبّي في العالم العربي وعند المستشرقين ، تأليف ريجيس بلاشير ، نقله إلى العربية أحمد أحمد بدوي ، القاهرة (مكتبة نهضة مصر) بلا تاريخ .

محاضرات المجمع العلمي العربي في دمشق ، الجزء الثالث ١٣٧٤ هـ (١٩٥٤ م) : المتنبي وسيف الدولة لأحمد أحمد ص ٧٥ ؛ فلسفة القوّة في شعر المتنبّي لأحمد أمين ص ٩٢ ؛ المتنبّي رسول العروبة لأمين الريحاني ص ١٠٢ ؛ سيفيّات المتنبّي لمحمّد اسعاف النشاشيبي ص ١٢٨ ؛ لغة المتنبّي لعبد القادر المغربي ص ٢٠١ ؛ روح الطموح في المتنبّي لأحمد رضا ص ٢١٢ ؛ ثقافة المتنبّي

ومصادرها لمحمّد سليم الجندي ص ٣٩١ .

المتنبّي وغوركي (عدد خاصّ من مجلّة الطليعة) ، بيروت ١٩٣٦ م (المجلّد الثاني ، العددان ٦ و ٧) .

مناقب المتنبّي ومعائبه لتوفيق البكري (مجلّة المقتطف ، القاهرة ، ١٧ : ٣٦١) .

أبو الطيّب المتنبّي ونسبه العلويّ لوديع تلحوق (المقتطف ٨٩ : ٢٣١)

بين المتنبّي والحاتمي لكامل كيلاني (المقتطف ٧٦ : ١٨٩ و ٣٢٤) .

شرح ديوان المتنبّي لابن عدلون لا للعكبري ، بقلم مصطفى جواد (م م ع ع ١٩٤٧ م) .

أبو الطيّب والنحاة لمحمد محيي الدين عبد الحميد (م م ع ع ١٤ : ٢٩٤) .

الطبيعة في شعر المتنبي لأحمد زكي أبي شادي (الحديث — حلب ٩ : ٥٢٥) .

أبو الطيّب وشراح ديوانه لعيسى اسكندر المعلوف (الضاد ٦ : ٧٥) .

المتنبي بعد ألف عام : منزلته في أندية الشعر ومحاكم النقد لخليل الخالدي (مجلّة الكليّة العربية بالقدس ١٨ : العددان ١ و ٢) .

يتيمة الدهر ١ : ٩٠ — ١٨٧ ؛ تاريخ بغداد ٤ : ١٠٢ — ١٠٣ ؛ وفيات الأعيان ١ : ٦٢ — ٦٦ ؛ شذرات الذهب ٣ : ١٣ — ١٦ ؛ أعيان الشيعة (١٩٦٠) ٨ : ٤٢ — ١٩٩ ؛ بروكلمان ١ : ٨٦ — ٨٨ ، الملحق ١ : ١٣٨ — ١٤٢ ، ريدان ٢ : ٢٨٥ — ٢٨٩ ،

Enc. Isl. (first ed.) III 845 ff., JROS 1915, 108 - 122. Islamica II 439 ff. RSO XI (1926) 27 - 42.

سيف الدولة

١ — هو سيفُ الدولةِ أبو الحسن عليّ بنُ أبي الهيجاءِ عبدِ الله بن حَمْدانَ ، وُلِدَ في ١٧ من ذي الحِجّة من سَنَةِ ٣٠٣ هـ (صيف ٩١٦ م) أو قبلَ ذلك بقليلٍ ، في مدينة المَوْصِل في الاغلب حيثُ كان والدُه أميراً مُسْتَبِدّاً بتلك

الناحية عن سُلْطة الخِلافة وعن سِيادة بني بُوَيْه .

كان الحَسَنُ أخو سيف الدولة الأكبرُ مُسْتولياً على المَوْصل بعد وَفاةِ أبيهما فالتفت سيفُ الدولة إلى جَنوبِ العِراق واستطاع أن يكون له شيءٌ من المُلْك على واسطٍ وما حوْلها .

حاسَن الحمدانيون بني العبّاس ونَصَروهم على الذين كانوا يَسْتبدّون بالحُكْمِ في بغدادَ وفي سائرِ بلاد الخِلافة ، سواءٌ أكان هؤلاءِ من بني بُوَيْه أو من غيرِهم . ولمّا قَتَل أمراءُ من آل حمدانَ أميرَ الأمراء محمدَ بنَ رائقٍ ، خَلَعَ الخليفةُ المتّقي علَيْهم الألقابَ : لَقّبَ الحسنَ «ناصرَ الدولة» ، ولقّب عليّاً «سيفَ الدولة» .

في سنة ٣٣٣ هـ (٩٤٤ — ٩٤٥ م) استولى سيفُ الدولة على حَلَبَ من يد أحمدَ بن سعيدِ الكِلابي وَالِي الإخْشيديين . وبعد حربٍ سِجال طويلةٍ بين سيفِ الدولة وبين الاخشيدِ محمدِ بنِ طُغْج صاحب مِصْرَ ، اصطلحَ الخصمانِ على أن تكون البلاد من مصرَ إلى دِمَشْقَ للإخشيدِ وتكونَ البلادُ وراءَ دِمشق شمالاً لسيفِ الدولة . واستقرّ الأمر على ذلك ، إلاّ أن دِمَشْقَ نفسَها كانت دائماً مَحِلَّ نِزاعٍ بين الخصمين .

لم يَصْفُ الحُكمُ لسيفِ الدولة قَطّ ، فإلى جانبِ الحُروب الشديدةِ الّتي كان سيف الدولة يخوضُها مَعَ الإخشديين ، كان القرامطة يُثيرون عليه القلاقلَ ؛ وكان الأعراب في بادية الشام من بني كِلابٍ وبني كَعْبٍ خاصةً لا تهدأ ثَوْراتُهم . ثم كانت حروبه مَعَ الروم شِبْهَ متّصلةٍ ، وكان قلّما انتصر في معركة بالمعنى المعروف من الانتصار ، إلاّ أنه استطاعَ بقتالِ الروم أن يَرُدّ خَطَراً كبيراً عن بلادِ الخِلافة الإسلامية في العِراق خاصّة ، كما استطاعَ المتنبّي أن يَجْعَلَ هزائمَ سيفِ الدولة انتصاراتٍ . حتّى مَعْرَكةُ الحَدَثِ الحمراء الّتي قال فيها المتنبّي أحسن مدحه في سيف الدولة لم تكن نصراً خالصاً ، ألم يقل المتنبّي لسيف الدولة :

وَقَفْتَ ، وما في الموت شَكٌّ لواقفٍ : كأنّك في جَفْنِ الرّدى وهو نائمُ .
تَمُرّ بِكَ الأبطالُ كَلْمى هزيمةً ، ووَجْهُكَ وضّاحٌ وثغرُك باسم !

وعلى كلّ فان الحرب في تلك الأيام كانت غاراتٍ ، ولم تكن الغايةَ منها أن يستقرّ خصم في أرض خصمه : لقد كانت غاية سيف الدولة من حرب الروم

أن يهدّم حصونهم وأن يبيد رجالهم ويتلف معدّاتهم مما كانوا يقصدون به أن يغيروا على بلاد الخلافة .

وفي سنة ٣٥٠ هـ (٩٦١ م) أصيبَ سيفُ الدولة بفالج نِصْفيّ خفيفٍ لم يَمْنَعْهُ من الذهاب إلى الحرب . ثم أصيب بقُولَنْج (إمساك مُزْمن) وباحتباس البَوْل . وكانت وفاته باحتباس البول في حَلَبَ في ٢٤ صفر ٣٥٦ هـ (١٨ - ٢ - ٩٦٧ م) ، ودُفن في ميافارقين .

٢ - سيفُ الدولةِ أديبٌ مُحِبّ للأدباءِ والشعراء ، ولَقَدِ اجتمع في بَلاطه بحلبَ من الأدباء والشعراء والعلماء والفلاسفة ما لم يَجْتمع مثلُه إلاّ في بَلاطِ هرونَ الرشيدِ . ولقد كان له بَصَرٌ بالأدبِ وحُسْنُ نقدٍ للشعر . وشعره المَرْوِيّ له بعضه منحولٌ وبعضه الآخرُ لا بَراعةَ خاصّةً فيه . وإنّما كان ذكرُ سيف الدولة هنا لأنّه يُمَثّلُ عصراً في الأدب العربي وأثراً في اتّساع الأدب ما كان مُمْكِناً لولاه ولولا تشجيعُه للشعراء .

٣ - المختار من أبياته

- كانتْ لسيفِ الدولةِ جاريةٌ بارعةُ الجمالِ فحَسَدَتْها سائرُ جواريه فخاف أن يُوقِعْنَ بها مكروهاً فنقلها إلى بعض حصونه ثم قال :

راقَبَتْني العُيونُ فيك فأشْفَقْـ ـتُ ، ولم أخْلُ قطُّ من إشفاقِ ؛
ورأيتُ العَذولَ يَحْسُدُني فيـ ـك مُجِداً ، يا أنفسَ الأعلاقِ[1] ،
فتَمَنَّيْتُ أنْ تكوني بَعيداً - والذي بَيْنَنا من الحبِّ باقِ .
ربَّ هَجْرٍ يكونُ من خَوْفِ هجرٍ، وفِراقٍ يكون خَوْفَ فراقِ !

- ولسيف الدولة في الغزل أيضاً :

قد جرى في دَمْعِه دَمُهُ ، فإلى كم أنتَ تَظْلِمُهُ ؟
رُدَّ عنه الطَّرْفَ منك ، فقد جَرَحَتْه منكَ أسْهُمُه[2] .

---

١ الاعلاق جمع علق (بكسر العين) : الشيء الثمين العزيز الذي يضن الإنسان به ويحرص عليه . أنفس : أغلى ، أعلى ما يتنافس الناس في الحصول عليه .

٢ ... جرحته أسهم طرفك (بصرك ، عينك) .

كيفَ يَسْتطيعُ (؟) التَجَلّدَ مَنْ   خَطَرَاتُ الوَهْمِ تُؤلِمُهُ [١]

– وجرت وحشة بين سيف الدولة وبين أخيه ناصر الدولة فقال سيفُ الدولة [٢] :

رَضِيتُ لكَ العَلْيا ؛ وقد كنتَ أهلَها ،   وقلت لهم : بيني وبين أخي فَرْقُ ؟
ولم يكُ لي عنها نُكولٌ ، وإنّما   تجافيْتُ عن حقّي فتَمّ لكَ الحقّ .
ولا بُدّ لي من أن أكون مُصَلّياً ،   إذا كنتُ أرضى أن يكونَ لكَ السَّبْقُ [٣].

٤ – •• نخب تاريخية وأدبية جامعة لأخبار سيف الدولة الحمدانيّ ، جمعها ماريوس كانار ، الجزائر (مطبعة جول كاربونيل) ١٩٣٤ م .
سيف الدولة وعصر الحمدانيّين ، تأليف سامي الكيّالي ، حلب ، (المطبعة الحديثة) ١٩٣٩ م .
يتيمة الدهر ١ : ١١ وما بعدها ؛ وفيات الأعيان ٢ : ٦٦ – ٧٠ ؛ شذرات الذهب ٣ : ٢٠ – ٢١ ؛ اعيان الشيعة (١٩٦٠) ٤١ : ٣١٣ – ٣٢٧ ؛ بروكلمان ١ : ٨٦ ، الملحق ١ : ١٣٨ ، وما بعدها (بلاط سيف الدولة) .

أبو عليّ القالي

١ – هو أبو عليٍّ اسماعيلُ بنُ القاسم بن عَيْذون بن هرون ... القالي البَغداديّ ، وُلِدَ في بلدة منازَجِرْد بديارِ بكرٍ (شَمالي العراق) . قال أبو عليّ القالي (معجم الأدباء ٧ : ٢٧ ، ٣١ – ٣٢) : «لمّا دخلتُ بغدادَ في رُفْقَةٍ من أهلِ قالي قلا ، وهي قريةٌ من قُرى منازجَرْد وثغر من ثغور المسلمين ، وأهلُها مُرابطون (في وجه الروم دِفاعاً عن البلاد الإسلامية) ، وكان أهلُها يُكْرَمون لذلك . فانتسبت اليها رجاءَ ان أنتفع بذلك . ثم ثبتت عليّ تلك النِّسبة .

١ يؤلمه خطران الوهم على باله (بأن المحبوب سيهجره) .

٢ الوحشة : الفتور ، توهم العداوة . يبدو أن هذه الأبيات قد قالها سيف الدولة في أول أمره حينما استبد أخوه الأكبر بالموصل دونه .

٣ مصلياً : ثانياً (بعدك ، يا أخي) في المرتبة أو الحكم ... إذا كنت قد تنازلت لك عن المرتبة الأولى في دولة بني حمدان .

كان دخول القالي إلى بغدادَ سنة ٣٠٣ هـ فسَمِعَ من أبي القاسم عبد الله ابن محمّد البغوي وأبي بكر عبد الله بن سليمان السجستاني وقرأ على ابن دريد وأبي بكرٍ السرّاج ونِفطويه وأبي اسحق الزجّاج وأبي الحسن عليّ بن سليمان الأخفش. وقرأ كتاب سيبويه على ابن دَرَسْتَوَيْه. وفي أول نزوله في بغداد صَعِدَ إلى المَوْصل وسمع فيها الحديث من أبي يَعْلى المَوْصلي ثم عاد إلى بغدادَ سنة ٣٠٥ هـ، ليستأنفَ تَلَقّي العلمِ على علمائها.

وبعد أن قضى القالي خمساً وعشرينَ سنة في بَغدادَ أدرك أنْ لا حظَّ له فيها فغادرها سنة ٣٢٨ هـ إلى المغرب ووصل إلى قرطبة في سنة ٣٣٠ هـ، في أيام الخليفةِ عبد الرحمنِ الناصرِ، فنالَ عند الناصر وعند ابنه ووليّ عهدهِ الأمير أبي العاصِ الحكَمِ حظوةً عظيمة. ويقال ان أبا العاص الحكَمَ هو الذي كتب إلى القالي يَستَقْدِمه إلى قرطبة.

وأدرك القالي ستّة أعوامٍ من خِلافةِ الحكمِ المُستنصرِ، إذ توفّي في قُرْطُبَةَ في ربيع الأول سنة ٣٥٦ هـ (٩٦٧ م).

٢ — كان القالي من أعاظم علماء العربية في اللغة والشعر واسع المعرفة والرواية، وخصوصاً لنحو البصريين؛ وكتبه على غاية التقييد والضبط والإتقان، وكان أكثرُها مما أملاه (ألقاه على الذين يسمعون منه) في الأندلس. فمن هذه الكتب: كتاب الامالي (في الشعر واللغة في الأكثر)، كتاب البارع في اللغة على حروف المعجم جمع فيه كتب اللغة في ثلاثة آلاف ورقة (ابن خلكان ١ : ١٣٠ خمسة آلاف)، كتاب المقصور والممدود، كتاب فعلت وأفعلت، كتاب الإبل ونتاجها، كتاب حُلى الإنسان والخيل وشياتها، كتاب تفسير السبع الطوال (شرح المعلّقات)، كتاب مقاتل الفرسان.

٣ — المختار من كلامه

— من مقدمة كتاب الامالي:

.... إنّي لمّا رأيتُ العلمَ أنفسَ بضاعة أيقنتُ ان طلبَه أفضلُ تجارة، فاغتربتُ للرواية ولزِمتُ العلماءَ للدِراية. ثم أعملتُ نفسِيَ في جمعهِ وشغلتُ ذِهنِيَ بحفظهِ حتّى حويتُ خطيرَه وأحرزتُ رفيعَه ورَوَيتُ جليلَه وعرَفتُ دَقيقَه .... ثم صُنْتُه بالكِتمان عمّن لا يَعرِف مِقدارَه ونزّهته عن الإذاعة

عندَ من يجهلُ مكانَه . وجعلتُ غَرَضي أن أودِعَه من يَسْتَحِقُّه .... وأنشُرُه عند من يُشرِّفه وأقْصِدُ به من يُعَظِّمه .... فمكثتُ دهراً أطلُبُ لإذاعته مكاناً ، وبَقِيتُ مُدّةً أبتغي له مُشرِّفاً ، وأقمتُ زماناً أرْتاد له مُشْترياً حتّى تَواتَرَتِ الأنباءُ المُتّفِقَةُ .... بأن مشرِّفَه في عَصْرِه أفضلُ من مَلَكَ الوَرَى وأكرمُ من جاد باللُّهى [1] .... أميرُ المؤمنين وحافظُ المسلمين وقامعُ المشركين ودامغ المارقين وابنُ عمِّ خاتَمِ النبيِّين محمّدٍ صلّى اللهُ عليه وسلّم ، عبدُ الرحمن ابنُ محمّد [2] ، مُحْيي المكارمِ ومُبْتني المفاخر .... وأنّ مُعظِّمه ومُشْتَريَه وجامعه ومُقْتنيه .... ذو الفضلِ والتَّمام والعقل والكمال المُعْطي قبل السؤال .... الحَكَمُ وَلِيّ عهدِ المسلمين وابنُ سيّد العالم أميرِ المؤمنين عبدِ الرحمن بن محمّدٍ الإمامِ العادلِ والخليفةِ الفاضلِ [3] ....

فخرجت [4] جائلاً بنفسي .... أجوبُ مُتونَ القِفاز وأخوض لُجَجَ البِحار ... مُؤمّلاً أن أوصِلَ العِلْقَ النَّفيسَ إلى من يَعْرِفُه وأنشُرَ المَتاعَ الخَطير [5] ببلدِ مَنْ يُعَظِّمه .... فمَنّ اللهُ جلّ وعزّ بالسلامة .... حتّى حَلَلْتُ بعُصْرَة الخُوّافَ وعِصْمة المُضاف .... فِناء أمير المؤمنين عبدِ الرحمن بن محمّد ... وصَحِبْتَ الحَيا المُحْسِب [6] والجوادَ المُفْضِل .... الحَكَمَ فرأيته — أيّده اللهُ —

---

١ اللهى جمع لهوة (بضم اللام) : العطية أو العطية العظيمة .

٢ دامغ = الذي يدمغ : يضرب على الدماغ (يقتل بضربة واحدة) . المارق : الخارج من عصمة الدين . الثائر (وكان عبد الرحمن الناصر قد قضى على ثورة عمر بن حفصون بعد أن دامت خمسين سنة . وكان عمر ابن حفصون يظهر الإسلام ويبطن النصرانية) . عبد الرحمن بن محمد أو عبد الرحمن الناصر أعظم خلفاء الأندلس (٣٠٠ — ٣٥٠ هـ) .

٣ الحكم الثاني المستنصر بن عبد الرحمن الناصر تولى الخلافة في الأندلس بعد أبيه . ولما ذهب أبو علي القالي إلى الأندلس كان الحكم لا يزال ولياً للعهد .

٤ خرجت : غادرت بغداد .

٥ أجوب : أتجول . متون جمع متن : ظهر . القفار جمع قفر : الصحراء . — يقصد أتجول جميع البلاد باحثاً . العلق : الشيء الثمين . النفيس : الذي يتنافس الناس في الحصول عليه . المتاع : البضاعة . الخطير : الذي له خطر (قيمة ، شرف) .

٦ عصرة الخواف : المكان الذي يلجأ اليه الخائفون فينجون . العصمة : المكان الذي يحتمي به الإنسان ويمتنع فيه من عدوه . المضاف : (هنا) الذي أحيط به في الحرب (كثر أعداؤه من كل جانب) . الفناء (بكسر الفاء) : باحة الدار . الحيا : المطر (الجود ، الكرم) . المحسب : الذي يسقي فيروي (ويطعم فيشبع) .

أجلَّ الناسِ بعد أبيه خَطَراً .... فتابَعَا لَدَيَّ النِعْمة وَواتَرا عليَّ الإحسانَ حتّى أبْدَيْتُ ما كنتُ له كاتماً ونَشَرْت ما كنت له طاوياً وبَذَلْت ما كنت به ضَنيناً ومَذَلْتُ[1] بما كنت عليه شَحيحاً .

فأمْلَلْتُ هذا الكتاب من حِفْظي في الأخْمِسَةِ بقُرْطُبَةَ ، وفي المسجد الجامعِ بالزهراءِ المُباركة[2] . وأوْدَعْتُه فُنوناً من الأخبار وضروباً من الأشعار وأنواعاً من الأمثال وغرائبَ من اللّغات[3] . على أني لم أذْكُرْ فيه باباً من اللغة إلا أشْبَعْتُه ، ولا ضربـاً من الشعر إلاّ اختَرْتُهُ ، ولا فنّـاً من الخبر إلاّ انْتَخَلْته ، ولا نوعاً من المعاني والمَثَلِ إلاّ اسْتَجَدْتُه[4] . ثمّ انّي لم أخْلِه من غريبِ القُرآنِ[5] وحديثِ الرسولِ صلّى الله عليه وسلّم . على أنّي أوْردتَ فيه من الإبدالِ ما لم يُورِدْهُ أحدٌ ، وفسّرت فيه من الإتباعِ[6] ما لم يفسّره بَشَر لِيكونَ الكتابُ الذي اسْتَنْبَطَهُ إحسانُ الخليفةِ جامعـاً ، والديوان الذي ذُكِرَ فيه اسم الإمامِ كاملاً[7] . وأسألُ اللهَ عِصْمَةً من الزَّيْغِ والأشَرِ ، وأعوذ به من العُجْبِ والبَطَر ، وأسْتَهْديهِ السبيلَ الأرْشَدَ والطريقَ الأقْصَدَ[8] .

---

١ تابع النعمة عليه : والاها ، أنعم عليه مرة بعد مرة . واتر : تابع ، أعطى بين الحين والحين . حتى أبديت (أظهرت) ما كنت له كاتماً .... : أي « كتاب الأمالي » . مذل الشيء : أفشاه ؛ مذل بالشيء : سمح للآخرين باستعماله .

٢ أملل : أملى (قرأ على الناس) . الأخمسة : أيام الخميس . الزهراء : مدينة بناها عبد الرحمن الناصر قرب قرطبة (عاصمة الأندلس) .

٣ غرائب اللغات : الألفاظ النادرة في اللغة .

٤ انتخل الشيء : انتقاه ، تخيره . استجاد الشيء : اختاره من أجود الأشياء الحاضرة . لم أخله : لم أجعله خالياً .

٥ غريب القرآن : الألفاظ الغريبة (التي يجهلها عامة الناس وبعض خاصتهم) .

٦ الابدال اللغوي (ص ٤٤٩) : استعمال ألفاظ يقوم بعضها (في المعنى مكان بعض) ؛ وهو غير الابدال في النحو . الاتباع : المجيء بألفاظ يؤكد بعضها بعضاً (ولو لم يكن لعدد منها معنى) ، نحو حسن بسن ، جوعا وثوعا ، الخ (راجع ص ٤٥٦) .

٧ استنبطه : استخرجه (من باطن) الأرض ، كان سبب تأليفه ونشره . الإمام : الخليفة . الزيغ : الحيد عن الصواب . الأشر : البطر من العجب (بضم العين) بالنفس أو بما يملك الإنسان .

٨ الأقصد : المستقيم ، المعتدل .

٤ – الأمالي ، بولاق ١٣٢٤ هـ ؛ القاهرة (دار الكتب المصرية) ١٣٤٨ هـ .

كتاب البارع في اللغة (نشره وقدّم له فولتون) ، لندن (المتحف البريطاني) ١٩٣٣ م .

** فهارس الشواهد الشعرية لكتاب الأمالي : أسماء الشعراء (فريتز كرنكو) القاهرة (مطبعة بولاق) ١٣٢٤ هـ ، القوافي (بيفان) ، ليدن (بريل) ١٩١٣ م .

سمط اللآلي في شرح أمالي القالي لأبي عبيد عبد الله بن عبد العزيز البكري (نشره عبد العزيز الميمني الراجكوتي) ، القاهرة (لجنة التأليف والترجمة والنشر) ١٩٣٦ م .

التنبيه على أوهام أبي عليّ القالي للبكري أيضاً ، القاهرة (دار الكتب المصرية) ١٩٢٦ م .

طبقات الزبيدي ١٣٠ – ١٣٣ ؛ ابن الفرضي ١ : ٨٣ – ٨٤ ؛ جذوة المقتبس ١٥٤ وما بعد ؛ بغية الملتمس ٢١٦ – ٢١٩ ؛ معجم الأدباء ٧ : ٢٥ – ٣٣ ، وفيات الأعيان ١ : ١٣٠ – ١٣١ ؛ إنباه الرواة ١ : ٢٠٤ – ٢٠٩ ؛ بغية الوعاة ١٩٨ ؛ شذرات الذهب ١ : ١٨ ؛ نفح الطيب (بولاق) ٧٢٣ – ٧٢٦؛ بروكلمان ١ : ١٣٩ ، الملحق ١ : ٢٠٤ ؛ زيدان ٢ : ٣٥٣.

أبو الفرج الاصفهاني

١ – هو أبو الفرج عليّ بن الحسينِ بن محمّدِ بن أحمدَ الأصفهانيّ (أو الإصبهاني) ، كان من نسل مروانَ بنِ الحكَمِ أمَويّاً قُرَشيّاً عربيّاً ، وكان شيعيّ المذْهب ، وهذا – كما يقول ابن الأثير [1] – من العَجَبِ !

وُلِدَ أبو الفرج الأصفهانيّ في إصبهانَ ، سَنَةَ ٢٨٤ هـ (٩٨٧ م) ونشأ في بَغدادَ وتلقّى العلمَ فيها على ابنِ دُرَيدٍ وأبي بكرِ بن الأنباريّ والأخفشِ الأصغرِ ونِفْطَوَيْهِ والطبري وسواهم . ثم نال حَظْوة عند مُعِزِّ الدولة البُوَيْهِيّ وعند

[1] تاريخ الكامل ، مصر ، ٨ : ٢٢٩ (اخبار سنة ٣٥٦) .

وزيره أبي محمدٍ الحسنِ المُهلّبي .

وبعد أن كان الأصفهاني قد قضى خمسينَ سَنَةً في تأليف كتابِ الأغاني جاء إلى حَلَبَ وقدّمه إلى سيف الدولة فأعطاه سيفُ الدولة ألفَ دينارٍ (وكان سيفُ الدولة يُعطي المتنبّي ألفَ دينارٍ على القصيدةِ الواحدة) . ولم تَطُلْ إقامةُ الأصفهانيّ في حَلَبَ ، فقد عاد إلى بغدادَ حيثُ تُوُفّيَ في ١٤ من ذي الحجةِ سَنَةَ ٣٥٦ هـ (خريف ٩٦٧ م) .

٢ - الاصفهانيّ من الأدباء المُحْسنين والمُصَنِّفين المُكثِرين ، كان حافظاً للحديث والأشعار ولِأنساب العرب وأيامهم وأخبارهم ، عالماً باللغة والنحو وبعددٍ من العلوم الطبيعية كعلمِ الطيور الجوارحِ والطِبّ والنجوم . وله شعرٌ يجمع إتقانَ العلماء وإحسان الشعراء الظرفاءِ . ويدور شعره على المدح والهجاء وعلى عددٍ من الأغراض الوجدانية .

ومؤلّفات الأصفهانيّ كثيرة [1] منها كتاب الأغاني ، كتاب المماليك الشعراء ، كتاب مقاتل الطالبيين ، كتاب الخمّارين والخمّارات ، كتاب نسب بني عبد شمس ، كتاب التعديل والانتصاف في أخبار القبائل وأنسابها ويسمّى أيضاً جمهرة أنساب العرب . وجمع الاصفهاني عدداً من دواوين الشعراء منها : ديوان أبي تمّام وأبي نواس والبحتري .

كتاب الاغاني : كان هرونُ الرشيد قد أمر المغنّين أن يختاروا له مائة صوت [2] ، ثم طَلَبَ منهم أن يختاروا من هذه عَشْرَةً ثم ثلاثةً . فلما جاء الأصفهاني جعل الأصواتَ المائةَ أساسَ كتابٍ له سماه كتاب الاغاني . بدأ الأصفهاني كتابه بالأصوات الثلاثةِ وأصحابِها : بدأ بأبي قَطيفة ثم بمَعْبَدِ ابن وهبٍ الذي غنّى صوتَ بي قطيفة . وثنّى بعُمَرَ بن أبي ربيعةَ ثم بابن سُريجٍ الذي غنّى صوتَ عُمَرَ . وثلّث بنُصيبِ بنِ رباحٍ ثم بمُسْلِمِ بن مُحْرِزٍ الذي غنّى صوتَ نُصيب . بعدئذ جاء بالشعراء والمغنين على غير نَسَقٍ مخصوصٍ .

---

١ معجم الادباء ١٣ : ٩٩ - ١٠٠ .

٢ الصوت أبيات من الشعر تغنى على لحن معين .

في كتاب الأغاني أربعمائة من الشعراء في الأكثر ومن المغنين في الأقل ترجم لهم الأصفهاني تراجمَ مقصودةً مبسوطةً تناول فيها أنسابهم وأخبارهم وأشعارهم وأصواتهم . فإذا اعتبرت الشعراء والمغنين الذين وردَ ذكرُهم في كتاب الاغاني عرَضاً معَ شيء من أخبارهم وأشعارهم ، بلغَ هؤلاء ألفاً ومائتين . فإذا اعتبرتَ سائرَ الأعلام من الأدباء والولاة والخلفاء واللغويين والقُواد والأعيان والعوامّ كان لك في كتاب الأغاني ثروةٌ تاريخية أدبية لا مثيلَ لها .

ثم إنّ في كتاب الأغاني صورةً مبسوطةً للحضارة العربية منذ الجاهلية إلى أواخر القرن الثالث للهجرة (التاسع للميلاد) تتناول الحياةَ الاجتماعية في جانبيها الهيّن المَرِح في الأكثر : مجالسَ اللهو والخمر ، حياةَ البلاط ، الأسواق الأدبية ، اللباسَ والطعام ، صِلاتِ الخلفاء والأمراء بالشعراء وبالعامة ، الغناءَ وأسبابه وقواعدَه ، الخ .

على أن الأصفهاني لم يُحاولْ أن يتّبع في كتابه كلّه نَسَقاً مخصوصاً ولا قاعدةً ثابتة ، ولا هو أرادَ أن يَستَنفِدَ الأخبار التي جاء بها أو أن يُحقّقها أو أن يأتيَ بها دائماً منسوبةً إلى رُواتها ، بل ربما لفّق الخبَرَ إلى شبهه ، أو ترك الخبر الأوثق ليأتيَ بالخبر الأطرف . إن الأصفهاني لم يُرِدْ أن يؤلّفَ كتاباً في قواعد الغناء أو تاريخ الشعر ، ولا كان هَمَّهُ الإتيانُ بالتاريخ على وجهه . ولكن بما أن الكُتُبَ التي اعتمدها الأصفهانيّ قد ضاعتْ ، فإنّ كتاب الأغاني يُعَدّ اليومَ مَصْدَراً أساسياً[1] للشعر العربي وللحياة العربية في الجاهلية وصدر الإسلام وفي صدر الدولة العبّاسيّة ، ثم مَصْدراً مُهِمّاً في التاريخ العربي .

٣ ـ مختارات من مقدّمة كتاب الاغاني

قال مؤلّف هذا الكتاب : « ولعل بعضَ من يتصفّح (كتابنا) ينكر تَرْكَنا تصنيفَه أبواباً على طرائق الغناء أو على طبقات المغنّين في أزمانهم ومراتبهم ، أو على ما غُنّيَ به من شعر شاعر . والمانع من ذلك والباعث على ما نَحَوْناه عِلَلٌ : منها أنّا لمّا جعلنا ابتداءه الثلاثةَ الاصواتَ المختارةَ كان شعراؤها من

---

١ كتاب الأغاني في الحقيقة مرجع يقوم مقام المصدر (راجع تاريخ الجاهلية للمؤلف، بيروت ١٣٨٤ هـ = ١٩٦٤ م ، ص ١٢) .

المتأخّرين ، وأوّلهم أبو قَطيفة ، وليس من الشعراء المعدودين ولا الفحول ، ثم عمر بن أبي ربيعة ثم نُصيب . فلمّا جرى أول الكتاب هذا المجرى ، ولم يمكن ترتيبُ الشعراء فيه ، أُلحِق آخرُه بأوله وجُعِل على حسب ما حضَرَ ذِكْرُه . وكذلك المائةُ الصوتِ المختارةُ فانها جاريةٌ على غير ترتيب الشعراء والمغنين . وليس المغزى في هذا الكتاب ترتيبَ الطبقات وإنما المغزى فيه ما ضُمِّنَه من ذكر الاغاني بأخبارها ، وليس هذا مما يَضُرّ فيها . ومنها أن الاغاني قلّما يأتي منها شيء ليس فيه اشتراك بين المغنين في طرائقَ مختلفة لا يمكن معها ترتيبُها على الطرائق ، إذ ليس بعض الطرائق ، ولا بعض المغنّين ، أولى بنسبة الصوت اليه من الآخر . ومنها أن ذلك لو لم يكن كذلك لم يَخْلُ فيها — إذا أتينا بغناء رجلٍ رجلٍ وأخبارِه ، وما صنّف اسحاق وغيره — من أن نأتيَ بكل ما أتى به المصنّفون والرواة منها ، على كَثْرة حشوه وقِلّة فائدته، وفي هذا نقض ما شَرَطْناه من إلغاء الحشو ، أو أن نأتي ببعض ذلك (فقط) فيُنْسَبَ الكتابُ إلى قُصورٍ عن مَدى غيره .

وكذلك تجري أخبار الشعراء ، فلو أتينا بما غُنّي به من شعر شاعر منهم ولم نتجاوزْه حتى نَفْرُغَ منه .... لكانت للنفس عنه نَبْوةٌ وللقلب منه مَلّة . وفي طباع البشر محبّةُ الانتقال من شيء إلى شيء ، والاستراحة من معهود إلى مستجدّ . وكلّ مُنْتَقَلٍ اليه أشهى إلى النفس من المنتقَل عنه ، والمُنتظَر أغلب على القلب من الموجود . وإذا كان هذا هكذا فما رتّبناه أحلى وأحسن ليكونَ القارئُ له — بانتقاله من خبر إلى غيره ، ومن قِصّة إلى سواها ، ومن أخبار قديمة إلى مُحْدَثة ، ومليكٍ إلى سُوقة ، وجِدّ إلى هزل — أنشطَ لقراءته وأشهى لتصفّح فنونه ، لا سيّما والذي ضَمّنّاه اياه أحسنُ جنسه وصَفْوُ ما أُلِّف في بابه ولُباب ما جُمع في معناه ! »

لأبي الفَرَج الأصفهانيّ دِفاعٌ عن أبي تمّامٍ يتكافأ فيه الأدبُ الرفيعُ والخُلُق النبيل . قال أبو الفرج (الاغاني ١٥ : ٩٦ ، ١٢ : ٦٧ ، بولاق ١٢ : ٧٠) :

« وفي عَصْرِنا هذا مَنْ يَتَعَصّبُ له فيُفْرِطُ حتّى يُفَضّلَه على كلِّ سالفٍ وخالفٍ ، وأقوامٌ يَتَعَمّدون الرّديءَ من شِعرِه فيَنْشُرونه ويَطْوون محاسنَه ، ويَسْتَعْمِلون القِحة والمُكابرةَ في ذلك لِيقولَ الجاهلُ بهم إنّهم لم يَبْلُغوا علمَ هذا وتمييزَه إلا بأدبٍ فاضلٍ وعلمٍ ثاقبٍ . وهذا مما يَتَكَسّبَ

به كثيرٌ من أهلِ هذا الدَّهْر ويَجْعلونه ، وما جرى مجراه من ثَلْبِ الناس وطلب مَعائبِهِم ، سَبَباً للترفّعِ وطلباً للرئاسة . وليستْ إساءةُ من أساء في القليلِ وأحْسَنَ في الكثير مُسْقِطةٌ احسانَه . ولو كَثُرَتْ إساءتُه أيضاً ثم أحْسَنَ لم يُقَلْ له عند الإحسان اسأتَ ، ولا عندَ الصواب أخطأتَ ! والتوسّط في كل شيءٍ أجملُ ، والحقّ أحقّ أن يُتَّبَعَ ...

« ... وقد فَضَّلَ أبا تمّامٍ من الرؤساء والكُبَراء والشعراء مَنْ لا يَشُقّ الطاعنون عليه غُبارَه ولا يُدْرِكون — وان جدّوا — آثارَه ، وما رأى الناسُ بعدَه إلى حيثُ انْتَهَوْا له في جِدّه نظيراً ولا شكلاً ... وكان في ابن مَهْرَوَيْه تحاملٌ على أبي تمّامٍ لا يَضُرّ أبا تمامٍ هذا منه ؛ وما أقلّ ما يقدحُ مثلُ هذا في مثلِ أبي تمّامٍ » .

٤ — كتاب الأغاني ، القاهرة (بولاق) في عشرين جزءاً ١٢٨٥ هـ . — الجزء الحادي والعشرون (حرّره رودولف برونو) ، ليدن (بريل) ١٣٠٥هـ .

•• جداول كتاب الأغاني الكبير (جمع أغناطيوس غويدي) ، ليدن (بريل) ١٩٠٠ م .

تصحيح كتاب الأغاني لمحمّد محمود الشنقيطي (عني بجمعه محمّد عبد الجواد الأصمعي) ، القاهرة (المطبعة الجمالية) ١٩١٦ م .

مختارات الاغاني في الاخبار والتهاني لابن منظور (حقّقه ابراهيم الابياري) ، القاهرة (المؤسّسة العامّة للتأليف والنشر) ١٩٦٥ م .

مهذّب الأغاني ، صنعه محمّد الخضري ، القاهرة (مطبعة مصر) بلا تاريخ.

كتاب الأغاني (بتصحيح أحمد الشنقيطي) ، القاهرة (محمّد الساسي) بلا تاريخ ؛ القاهرة (دار الكتب المصرية) ظهر منه ستّة عشر جزءاً من سنة ١٣٤٥ إلى ١٣٨١ هـ (١٩٢٧ — ١٩٦١ م) ؛ بيروت (دار الثقافة) ١٩٥٥ — ١٩٦٤ م .

مقاتل الطالبيّين ، النجف ١٣٥٣ هـ ؛ (شرح وتحقيق أحمد صقر) القاهرة (دار احياء الكتب العربية) ١٩٤٩ م . وهنالك طبعات أخرى .

•• أبو الفرج الأصفهاني وكتابه الأغاني ، تأليف محمّد عبد الجواد الأصمعي ، القاهرة (دار المعارف) ١٩٥١ م .

صاحب الأغاني أبو الفرج الراوية (مكتبة نهضة مصر) ١٩٥٣ م .

أبو الفرج الأصفهاني ، تأليف شفيق جبري ، بيروت (دار المعارف) ١٩٥٥ م .

تاريخ بغداد ١١ : ٣٩٨ – ٤٠٠ ؛ يتيمة الدهر ٣ : ٩٦ – ١٠٠ ؛ معجم الأدباء ١٣ : ٩٤ – ١٣٦ ؛ وفيات الأعيان ٢ : ١٠ – ١٢ ؛ إنباه الرواة ٢ : ٢٥١ – ٢٥٣ ؛ شذرات الذهب ٣ : ١٩ ؛ اعيان الشيعة ٤١ : ١٥٥ (١٩٦٠) ؛ بروكلمان ١ : ١٥٢–١٥٣ ، الملحق ١ : ٢٢٥ – ٢٢٦ ؛ زيدان ٢ : ٣٢٥ – ٣٢٨ ، النثر الفنّي ١ : ٢٣٤ – ٢٤٥ .

Enc · Isl . (new ed .) I 118

أبو فراس الحمداني

١ – هو أبو العَلاءِ الحارثُ بنُ سعيدِ بنِ حَمْدانَ بن حمدون بن الحارث، وُلِدَ في المَوْصل سَنَةَ ٣٢٠ هـ (٩٣٢ م) ، ونَشأ يتيماً لأنّ ناصرَ الدولة أخا سيفِ الدولة قتل أباه ، فكَفَلَ سيفُ الدولة أبا فراس . وتنقّلتْ أم أبي فراس بابنها بينَ المَوْصل وآمِدَ ومَيّافارقين وماردين والرَّقّة ثمّ استقرّت به في مَنْبِجَ قُرْبَ حَلَبَ .

وتلقّى أبو فراسٍ علومَ زمانهِ على علماء بَلاطِ سيف الدولة وأشهرهم ابنُ خالويه . ولمّا بلغ السادسةَ عَشْرَةَ قلّده سيفُ الدولة ولايةَ مَنْبِجَ وحرّانَ وعَهِدَ اليه بالدفاعِ عن التخوم الشّمالية ضِدّ الروم وبقتال القبائل البَدْوية التي تَشُقّ عصا الطاعة على الحمدانيين .

في سنة ٣٣٧ هـ دخلَ المتنبّي بَلاطَ سيف الدولة ، أراد سيف الدولة بذلك أن يَكْسِفَ نور أبي فراس في الشعر والحرب . ثم وقَعَ أبو فراسٍ في أسرِ الروم في شَوّال من سنة ٣٥١ هـ وبَقِيَ فيه إلى رجب ٣٥٥ هـ (٩٦٢ – ٩٦٦ م) ولم يَرْغَبْ سيفُ الدولة في افْتدائه افتداء خاصّاً بعظيم من عظماء الروم ، بل تَرَكَه في الأسر حتّى فُودِيَ بالطريقة العاديّة في مبادلة الأسرى .

وتُوُفّي سيفُ الدولة وشيكاً (صفر ٣٥٦ هـ = كانون الثاني – يناير ٩٦٧ م) فخلفه ابنه أبو المعالي ، فاستبد أبو فراسٍ بحِمصَ ثم وَقَعَتِ الحربُ بين أبي المعالي وبين أبي فراسٍ فسقط أبو فراسٍ في المَعْرَكَة قتيلاً (٣ جمادى الأولى ٣٥٧ هـ = ٤–٤–٩٦٨ م) .

٢ – أبو فراس شاعر مطبوعٌ مشبوبٌ العاطفةِ يقولُ الشعر إرضاءً لنفسه ولم يتّخذِ الشعرَ حِرفةً . وشعرُه وُجداني خالصٌ يدور على فنّين : الفخرِ والغزلِ. وهو من أتباعِ المذهب الشامي ولكن قد يبدو على شعره أحياناً شيء من الضَّعْف . وغزله المؤنّث عفيفٌ رقيق ، وبعض شعرِه صريحٌ . وفخره على عمودِ الشعرِ متينٌ فَتخمٌ . وله وَصْفٌ للطبيعة وخمرٌ .

نظم أبو فراسٍ في الأسر قصائدَ عرفت بالأسريات والرُّوميّات ، وكان بعضُها إخوانيّات (يُرْسِلها إلى إخوانه كما تُرسَلُ الرسائلُ) ، ولكن لم يظهر على هذه الروميّات خصائصُ جديدةٌ سوى أنها كانت أكثرَ رِقّة وأكثرشكوى . وقد صنع ديوانه بنفسه .

٣ – المختار من شعره

– قال أبو فراس يفتخر :

ألم تَرَنا أعزَّ النّاسِ جَاراً ، وَأمْنَعَهُمْ وَأمْرَعهُم ، جِنَابَا[١] !
لنا الجَبَلُ المُطِلّ عَلى نِزَارٍ ، حَلَلْنَا النّجْدَ مِنْهُ والهِضَابا .
تُفَضّلُنا الأنامُ ولا تُحاشي ، وَنُوصَفُ بالجميلِ وَلا نُحَابى .
وَقَدْ عَلِمَتْ رَبِيعَةُ بَلْ نِزَارٌ بِأنّا الرأسُ وَالنّاسَ الذُّنابى .
مَنَحْنَاهَا الحَرَائبَ ، غيرَ أنّا – إذا جارَتْ – مَنَحناها الحِرَابَا[٢] .
وَلَمّا ثَارَ سَيْفُ الدّين ثُرْنَا كَمَا هيّجْتَ آساداً غِضابا .
أسِنّتُهُ إذا لاقَى طِعاناً ، صَوَارِمُهُ إذا لاقَى ضِرَابا .
دَعَانَا – وَالأسِنّةُ مُشْرَعَاتٌ – فَكُنّا عِنْدَ دَعْوَتِهِ الجَوَابا .

– وسمع هديل حمامة على شجرة قرب سجنه في القسطنطينية فقال :

أقولُ وقد ناحتْ بقُرْبي حَمامةٌ : أيا جارتا ، لَوْ تَشْعُرينَ بحالي !
مَعاذَ الهوى ! ما ذُقْتِ طارقةَ النّوى ، ولا خَطَرَتْ مِنْكِ الهمومُ ببال .

---

١ أمنعهم : أكثرهم منعة (بكسر الميم : تحصناً) أبعدهم عن وصول العدو . أمرعهم : أخصبهم .
٢ الحرائب جمع حريبة : المال المسلوب من العدو (أحسنا اليهم باعطائهم الأموال التي نغنمها) . جارت : حادت عن طريق القرابة (ثارت على دولتنا وهم أقاربنا) . منحناها الحرابا (جمع حربة : سلاح) : حاربناها ، قاتلناها (تغلبنا عليها وقتلنا رجالها) .

أتَحْمِلُ محزونَ الفؤادِ قوادمٌ   على غُصُنٍ نائي المَحلّةِ عالِ ؟
أيا جارتا ، ما أنصفَ الدهرُ بيننا !   تعالَيْ أقاسِمْكِ الهمومَ تعالي .
أيَضْحَكُ مأسورٌ وتبكي طَليقةٌ ،   ويَسكُتُ محزونٌ ويَنْدُبُ سالِ ؟
لقد كنت أولى مِنْكِ بالدَمْعِ مُقْلةً ،   ولكنَّ دمعي في الحوادث غالِ !

— ومن قصيدة يستحث بها سيف الدولةِ على فِدائه :

دَعَوْتُكَ للجَفْنِ القريحِ المسهّد   لديَّ ، وللنومِ القليلِ المُشرّدِ .
وما ذاكَ بُخْلاً بالحياة ، وإنّها   لأوّلُ مبذولٍ لأولِ مُجْتَدِ [1] .
ولكنّني أختارُ موتَ بني أبي   على صَهَوات الخيل غيرَ مُوسّدِ [2] .
وتأبى وآبى أنْ أموتَ مُوَسَّداً   بأيدي النّصارى موتَ أكمدَ أكبدِ [3] .
نَضَوْتُ على الأيّام ثَوْبَ جَلادتي ،   ولكنّني لم أنضُ ثَوبَ التجلّدِ .
متى تُخْلِفُ الأيّامُ مِثْلي لكم فتىً   طويلَ نِجادِ السّيفِ رَحبَ المُقلَّدِ [4] ؟
فإنْ تَفْتدوني تَفْتدوا شرَفَ العُلا   وأسْرَعَ عَوّادٍ إليها مُعَوَّدِ [5] .
وإنْ تَفتدوني تَفْتدوا لِعُلاكُمُ   فتىً غيرَ مَرْدودِ اللسان أو اليَدِ .
يُطاعِنُ عَنْ أعْراضِكُم بِلِسانهِ ،   ويَضْرِبُ عَنْكم بالحُسامِ المُهنّد .

— وله من قصيدة في الفخر والغزل :

أرَاكَ عَصِيَّ الدمعِ شيمَتُكَ الصّبرُ .   أما للهَوَى نَهْيٌ عَلَيْكَ ولا أمْرُ ؟
بلى ، أنا مُشْتاقٌ وعِنْديَ لوعَةٌ ؛   ولَكِنَّ مِثْلي لا يُذاعُ له سِرّ !
إذا اللّيْلُ أضْواني [6] بَسَطْتُ يَدَ الهوى
وأذْلَلْتُ دَمْعاً من خَلائِقِهِ الكِبْرُ .

---

١ مجتد : طالب المال (أغامر بحياتي عند أول مهاجم من الأعداء) .
٢ على صهوات الخيل : في الحرب . غير موسد : لا أريد أن أموت حتف أنفي على الفراش .
٣ الأكمد والأكبد ليستا في القاموس بالمعنى الذي يقصده أبو فراس (المملوح : شديد الحزن وشديد التألم) .
٤ طويل نجاد (حمالة) السيف : طويل القامة (يقصد : شجاع قادر على الوصول إلى اعدائه) . رحب المقلد : واسع مكان القلادة (أعلى الصدر) : حليم !
٥ عواد اليها : إلى الحرب بجانبكم في وجه أعدائكم الروم .
٦ إذا الليل أضواني : جاء علي وغطاني ، جعلني أشعر أني وحيد . بسطت يد الهوى : جعلت أفكر في طلب الرحمة منك . واذللت دمعاً من خلائقه الكبر : وبكيت ، مع أنني لا أبكي عادة حتى لا يرى أحد ضعف عزيمتي (أما بيني وبين نفسي فأنا أبكي وأظهر التذلل في الحب) .

تُسائِلُني : «من أنتَ ؟» وَهْيَ عليمةٌ. وهَلْ بفتىً مِثْلي عَلى حالِه نُكْرُ؟
فقُلْتُ ، كَما شاءَتْ وشاءَ لها الهوى :
«قَتيلُكِ !» قالَتْ : «أيُّهُمْ ؟ فهُم كُثْرُ».
فقُلْتُ لها : «لَوْ شِئتِ لم تَتَعَنّتي [1] ولم تسألي عَنّي ، وعِنْدكِ بي خُبرُ !»
فقالتْ : «لقدْ أزْرَى بكَ الدهرُ بَعْدَنا [2]» ؛
فقُلْتُ : «مَعاذَ الله ، بَلْ أنتِ لا الدّهرُ».
ويا رُب دارٍ ، لَمْ تُخِفْني ، منيعَةٍ
طَلَعْتُ عليها بالرّدَى أنا والفَجْرُ [3] .
وساحِبَةِ الأذيالِ نَحْوي ، لقيتُها فَلَمْ يَلْقَها جَهْمُ اللقاء ولا وَعرُ .
وَهَبْتُ لها ما حازَهُ الجيشُ كُلَّهُ ، ورُحتُ ولم يُكشَفْ لأبياتِها سِترُ .
ولا راحَ يُطغِيني بأثْوابِهِ الغِنى ، ولا باتَ يَثْنيني عَنِ الكرَمِ الفقرُ .
ومَا حَاجَتي بالمالِ أبْغي وفورَهُ ؟ إذا لم أفِرْ عِرْضي فلا وَفَرَ الوَفر [4] .
أُسِرتُ وَما صَحْبي بعُزْلٍ ، لدى الوغى ،
ولا فَرَسي مُهْرٌ ولا رَبّهُ غمْرٌ ! [5]
ولكن إذا حُم القَضاءُ على امرئٍ فَلَيْسَ له بَرّ يَقيهِ ولا بَحْرُ ! [6]
وقالَ أُصَيْحابي : «الفِرارُ أو الرّدى» ؛ فقُلْتُ : «هُما أمرانِ أحلاهما مـرّ» .
ولكِنّني أمْضي لِما لا يَعيبُني . وحَسبُكَ مِنْ أمرينِ خَيرُهُما الأسر.
يَمُنّون أن خلّوْا ثيابي ؛ وإنما عليّ ثيابٌ من دمائهمُ حُمر .
سيذكرني قومي إذا جدّ جِدهم ؛ وفي الليلة الظلماء يُفتقد البدر .
ونَحْنُ أُناسٌ لا توَسُّطَ عِنْدنا : لنا الصّدْرُ دونَ العالَمينَ أوِ القَبرُ .

---

١ تتعنتين : تتشددين ، تتطلبين فوق ما يألفه الناس في الأمور .
٢ أزرى الدهر به : عابه (أصبح مظهرك رثا) .
٣ الردى : الموت (هاجمتها باكراً) .
٤ الوفر : المال ، الغنى .
٥ العزل جمع أعزل (بلا سلاح) . غمر : جاهل ، غير مجرب .
٦ حم القضاء : نزل القضاء . إذا أراد الله أمراً قضاه .

تَهُونُ علَيْنا في المعالي نُفوسُنا ، ومَنْ خطَبَ الحسناء لم يُغْلِها المَهرُ .
أعزّ بنِي الدّنيا وأعلى ذَوي العُلا وأكرَمُ مَنْ فوقَ التُّرابِ ولا فخرُ.

٤ — ديوان أبي فراس (نشره نخلة قلفاط) ، بيروت ١٩٠٠ ثمّ ١٩١٠ م .

ديوان أبي فراس الحمداني (عني بجمعه ونشره .... سامي الدّهان) ، بيروت (المعهد الفرنسي في دمشق) ١٩٤٤ م ، بيروت (دار بيروت) ١٩٥٩ م .

إيناس الجُلاّس بتشطير وشرح قصيدة أبي فراس ، الطبعة الثانية ، بولاق (المطبعة الأميرية) ١٩٠١م .

أبو فراس شاعر وبطل ، تأليف رودولف دفوراك ، ليدن (بريل) ، ١٨٩٥ م . (النصّ بالألمانية والعربية) .

فخر أبي فراس وأبي الطيّب ، تأليف عبد الغني باجقني ، دمشق ١٩٣٢ م .

أبو فراس الحمداني ، تأليف محسن الأمين ، دمشق ١٩٤١ ثمّ ٩٤٥ م .

فارس بني حمدان ، تأليف علي الجارم ، القاهرة (دار المعارف) ١٩٤٥م. (سلسلة اقرأ ٣٤)

شاعرية أبي فراس ، تأليف نعمان ماهر الكنعاني ، بغداد ١٩٤٧ م .

شاعر بني حمدان ، تأليف أحمد أحمد بدويّ ، القاهرة (مكتبة الانكلو) ١٩٥٢ م .

أبو فراس فارس بني حمدان وشاعرهم ، تأليف عمر فرّوخ بيروت (مكتبة منيمنة) ١٣٧٣ هـ (١٩٥٤ م) .

أبو فراس الحمداني ، تأليف أحمد أبي‌حاقة ، بيروت (دار الشرق الجديد) ١٩٦٠ م .

أبو فراس الحمداني ، تأليف جورج غريّب ، بيروت (دار الثقافة) ١٩٦٦ م .

•• يتيمة الدهر ١ : ٢٧ — ٧١ ؛ تاريخ حلب لابن العديم ١ : ١٥٦ وما بعد ؛ وفيّات الاعيان ١ ٢٢٤ — ٢٢٧ ؛ شذرات الذهب

٣ : ٢٤ – ٢٥ ؛ أعلام النبلاء ٤ : ٤٤ – ٤٩ ؛ أعيان الشيعة (١٩٤٥ م) ١٨ : ٢٩ – ٢٨٩ ؛ بروكلمان ١ : ٨٨ – ٨٩ ؛ الملحق ١٤٣٢ – ١٤٤ ؛ زيدان ٢ : ٢٨٩ – ٢٩٢ ؛
Enc. Isl. (new ed) I 119 - 120.

أبو الفضل بن العميد (الأوّل)[1]

١ – أسرة ابن العميد فارسية من بلدة قُمّ كانت ذات وجاهة وأدب.

أمّا ابن العميد هذا نفسه فهو **أبو الفضل محمّد** بن العميد أبي عبد الله الحسن؛ العميد لقب والده (وفيات الاعيان ٢ : ٤٦٣). وقد ولد أبو الفضل بن العميد نحو سنة ٣٠٠ هـ (٩١٢ م) ونشأ في بيئة علم وفضل، ولكننا لا نَعرِفَ شيوخه وأساتذته على الحَصْر. وشَبّ ابنُ العميد عارفاً بالفلسفة والأدب والتاريخ. وفي سنة ٣٢٨ هـ (٩٤٠ م) وَلِيَ الوزارة لرُكْن الدولة بن بُوَيْه، وكان والده في ذاك الحين وزيراً للملكِ السعيدِ نَصْر بن أحمدَ السامانيّ.

ولما ثار حَسْنَوَيْه بن الحسن الكُردي بنواحي الدِينَوَرِ بعثَ رُكنُ الدولة لقتاله جيشاً بقيادة ابن العميد. فلما وصل ابن العميد إلى هَمَذان، والزمانُ بردٌ، اشْتدّتْ علته عليه، وكان مصاباً بالنِقْرِس (داء المفاصل) والقُولَنْج (الإمساك المزمن)، فتوفّي في صفر ٣٦٠ هـ (آخر ٩٧٠ م).

٢ – ابن العميد ناثرٌ شاعرٌ، ولكنه شُهِرَ بنثره وفاق أقرانَه حتّى قيل: بُدِئَتِ الكتابة بعبدِ الحميد[2] وخُتِمَت بابنِ العميد. وابن العميد صاحبُ مذهبٍ في الكتابة هو **مزيجٌ من أسلوب ابنِ المقفع وأسلوب الجاحظِ معَ التوسّعِ في الصناعة والمَيْل إلى التكلّف**. وكان يُسمّى الجاحظَ الثاني (وفيات الأعيان ٢ : ٤٦٣ س).

---

١ تمييزاً له من ابنه أبي الفتح : علي ذي الكفايتين (ت ٣٦٦ هـ)، وقد تولى الوزارة بعده (راجع معجم الأدباء ١٤ : ١٩١ – ٢٤٠).

٢ راجع الجزء الأول ٧٢٣ – ٧٣١.

وفي نثر ابن العميد موازنةٌ كثيرةٌ وسَجْعٌ قليلٌ مَعَ التأنّق والإسهاب والتضمين للأشعار والأمثال . ولكنّ في نثره شيئاً من الغُموض مَردّه إلى الإسهاب وإلى كَثْرة ما يَجْمَعُه في رسائله من فنون المَعْرفة والإشارات التاريخية واللغوية وإلى تَداخُل جُملَه أحياناً .

وعلى شعر ابن العميد شيءٌ من الطَبْع والرَوْنَق ، ولكنه مُثْقَلٌ بالصناعة والتكلّف ، وهو على كلّ حالٍ أقلّ شأناً من نثرِه .

٣ - المختار من نثره وشعره

لما استَعصى ابنُ بلكا على رُكن الدولة كَتَبَ اليه ابنُ العميد يَلُومُهُ ويَتَوَعّده معاً :

كتابي وأنا مُتَرَجِّحٌ بين طَمَعٍ فيك ويأسٍ منك ، وإقبال عليك وإعراض عنك ؛ فإنّك تُدِلّ بسابقِ حُرمةٍ وسالفِ خِدمة أيسرُهما يُوجب رِعايةً ويقتضي مُحافظة وعِناية . ثم تشفعهُما بحادثِ غُلول وخِيانة[1] ، بآنِفٍ[2] خِلاف ومَعْصية ؛ وأدنى ذلك يُحْبِط أعمالَك ويَسْحق كل ما يُرْعى لك .

لا جَرَمَ أني وَقَفْتُ بين مَيْلٍ اليك ومَيْلٍ عليك ، أُقَدِّمُ رِجلاً لصدّكِ وأؤخّر أخرى عن قَصْدِك ، وأبْسُط يداً لاصْطِلامِك واجتياحِك[3] وأثْني ثانيةً لاستبقائك واستِصْلاحك ، وأتَوَقّف عن امتثال بعض المأمورِ فيك ضِنّاً بالنِعمةِ عِندَك ومُنافسةً في الصَنيعة لَدَيْكَ وتأميلاً لفَيْئَتِكَ وانصرافِك ،

---

١ - مترجح (متردد في الحكم) بين طمع (في رجوعك إلى الطاعة) . الحرمة : الصلة من القرابة أو العهد أو الدين أو العرض لا يجوز أن تهتك . سالف : سابق . خدمة : القيام بعمل فيه ولاء وطاعة ونفع لشخص آخر . أيسرهما (أقل شيء قمت به منهما نحو الدولة) يوجب (على الدولة) رعاية (مراعاتك والاهتمام بأمرك) . الغلول : الخيانة في احتجان (سرقة مال الدولة) المال خاصة .

٢ آنف : مستجد ، متجدد .

٣ أقدم رجلا (أحاول مرة ، وأنا مطمئن) لصدك (عن العصيان) ؛ بالنصيحة وأؤخر (رجلا) أخرى (أتحرج ، أمنع نفسي) عن قصدك (بالجيوش لمحاربتك) . الاصطلام : قطع جزء من كل . الاجتياح : الذهاب بالشيء كله . اثني ثانية : ...... عن امتثال (طاعة ، تنفيذ) بعض المامور به (معاقبتك) . ضناً بالنعمة عندك : محافظة على أن تبقى نعمة الدولة عليك (وتبقى لها صداقتك) . ومنافسة الصنيعة لديك : ليكون لنا عندك فضل أكبر مما كان لك من الخدمة عندنا . الفيئة : الرجوع (إلى الحق ، أو الطاعة) .

ورجاءٌ لمُراجعَتك وانعطافك ؛ فقد يَغْرُبُ العقل ثم يَؤوبُ ، ويَعْزِبُ اللبّ ثم يَثوب [1] ، ويَذْهَبُ الحَزْمُ ثم يَعود ، ويَفْسُدُ العزمُ ثم يَصْلُح ، ويُضاعُ الرأيُ ثم يُسْتَدْرَك ، ويَسْكَرُ المرءُ ثم يَصْحو ، ويَكْدُر الماء ثم يَصفو . وكلُّ ضيقةٍ إلى رَخاءٍ ، وكل غَمْرةٍ إلى انْجِلاء ....

وكتب إلى القاضي ابن خلاّد :

وصل كِتابُك الذي وَصَلْتَ جناحَه بفنون صِلاتِك وتفقّدك ، وضُروب بِرّك وتَعَهّدك [2] ؛ فارْتَحْتُ لكلِّ ما أوْلَيْتَ ، وابتهجتُ بجميع ما أهْدَيْتَ ، وأضَفْتُ إحسانَك في كل فَضْلٍ إلى نظائره التي وَكَلْتُ بها ذِكري ، ووَقَفْتُ عليها شُكري . وتأمّلت النظمَ فَمَلَكني العَجَبُ بهِ ، وبَهَرَني التعجّب منه . وقد رُمْتُ أن أجْرِيَ على العادةِ في تَشْبيهه بمُسْتَحْسَنٍ من زَهَرٍ جَنِيّ ، وحُلَلٍ وحُلِيٍّ ، وشُذورِ الفرائدِ في نُحور الخرائد [3] :

كالعَذارى غَدَوْنَ في الحُلَلِ البيـ ـضِ وقد رُحْنَ في الخُطوط السود !

فلم أرَهُ لشيءٍ عِدلاً ، ولا أرْضى ما عَدَدْتَه له مِثْلاً . والله يَزيدُك من فضلِه ولا يُخْليك من إحسانه ، ويُلْهِمَك من بِرّ إخوانك ما تُتَمِّمُ به صَنيعَك لَدَيْهِم ويَرُبّ مَعَه إحسانك إليهم [4] .

---

١ المراجعة : أن يعاود الرجل التفكير في ما كان قد عزم عليه . غرب = عزب : غاب ، زال ، بعد . آب = ثاب : عاد ، رجع . الرخاء : السعة في العيش . الغمرة : الموجة العظيمة ، معظم الماء من البحر (المصيبة تأتي فتغمر الناس : تصيبهم جميعاً) . انجلاء : انكشاف ، انقضاء ، زوال .

٢ فنون = ضروب : أنواع . الصلات والتفقد ثم البر والتعهد : العطاء والاحسان (الماديان والمعنويان) . النظائر : الأمثال (ما يماثل أو يشابه بعضه بعضاً) . أضفت احسانك في كل فضل إلى نظائره : أحسنت إلي الآن احساناً جديداً مثل الذي كنت قد أحسنته إلي من قبل (فذكرت أنا الفضلين معاً) . وكلت بها ذكرى : جعلت دأبي أن أتذكرها دائماً . وقفت عليها شكري : جعلت كل شكري لها (لم أشكر غير على فضل إلي) .

٣ النظم : الشعر ، القصيدة . زهر جني : طري (مقطوف حديثاً) . الحلل : الثياب الثمينة . الحلي : الزينة الثمينة من الذهب والجواهر . شذور الفرائد : عقود من الفرائد (اللآلي الكبار) تفصل فيها بين كل لؤلؤة ولؤلؤة شذرة (قطعة صغيرة من الذهب) . الجيد : أعلى الصدر . الخريدة : الفتاة البكر لم تمس بعد .

٤ العدل (بكسر العين) : الند (بكسر النون) : المثيل والشبيه المكافئ . يلهمك من بر اخوانك = البر باخوانك : اصطناع المعروف إلى اخوانك .... رب يرب : زاد .

– ولابن العميد من قصيدة اخوانية وجدانية :

قد ذُبتُ غيرَ حُشاشةٍ وذَماءِ ما بين حَرّ هوىً وحرّ هواءِ[1] .
لا أستفيق من الغَرام ، ولا أرى خِلواً من الأشْجان والبُرَحاء[2] .
وصروفُ أيامي أقمْنَ قيامي بنَوَى الخليطِ وفُرقة القُرَناء ،
وجفَاءِ خِلٍّ كُنت أحسَبُ أنه عَوْني على السَرّاء والضَرّاء ؛
أبكي ويُضْحِكه الفِراقُ ، ولن ترى
عَجَباً كحاضرِ ضِحْكِه وبُكائي .
من يُشْفَ من داءٍ بآخرَ مثلِه أثْرَتْ جَوانِحُه من الأدْواء !
لا تَغْتَنِمْ إغضاءتي فلعلّها كالعين تُغْضيها على الأقذاء .
واستَبْقِ بعضَ حُشاشتي فلعلّني يوماً أقيك بها من الأسواءِ .

٤ – ٥٥ مثالب الوزيرين : أخلاق الصاحب بن عبّاد وابن العميد ، تأليف أبي حيّان التوحيدي (بتحقيق ابراهيم الكيلاني) ، دمشق (دار الفكر) ١٩٦١ م =؛ أخلاق الوزيرين : مثالب الوزيرين : الصاحب ابن عبّاد وابن العميد ، تأليف أبي حيّان عليّ بن محمّد التوحيدي (حقّقه محمّد تاويت النجي) ، دمشق (مطبوعات المجمع العلمي العربي) المطبعة الهاشمية ١٣٨٥ هـ (١٩٦٥ م) .

ابنُ العميد ، تأليف خليل مردم ، دمشق (مكتبة عرفة) ١٩٣١ م .

يتيمة الدهر ٣ : ١٣٧ – ١٦٢ ؛ وفيات الأعيان ٢ : ٤٦٣ – ٤٧٠ ؛ شذرات الذهب ٣ : ٣١ – ٣٤ ؛ بروكلمان ، الملحق ١ : ١٥٣ ؛ زيدان ٢ : ٣١٢ – ٣١٥ ؛ النثر الفنّي ٢ : ١٩٣ – ٢٠١ ؛
Isl . Culture , January 1961 .

---

١ الحشاش والحشاشة (بضم الحاء فيهما) : بقية الروح في المريض أو الجريح . الذماء (بفتح الذال) : بقية النفس (بسكون الفاء) .

٢ الأشجان جمع شجن (بفتح ففتح) : الحزن . البرجاء : شدة الأذى (من الشيء الذي يصاب الإنسان به ، كالحمى والحب الخ) .

ابن لنكك

١ ـ هو أبو الحسن مُحمّدُ بنِ محمّدِ بنِ جعفَرٍ المعروف بابن لَنْكَكَ البصريّ ، لم يَصِلْ إلينا من أخبار حياتِه إلاّ أنه كان مُعاصراً للمتنبّي فخمَلَ ذِكْرُه وكَسَدَ شِعْرُه فجعل يَهْجو المتنبّيَ . وقد زار بغداد . ويبدو أنّ وفاته كانت بين سنة ٣٦٠ وسنة ٣٦٢ هـ (٩٧٠ ـ ٩٧٢ م) .

٢ ـ أكثر شعر ابنِ لَنْكَكَ في الشكوى من الزمن وفي هجاء الشُعَراء المعاصرين له . وأبلَغُ شِعْرِه ما لم يَتَجاوَزِ البَيْتينِ أو الثلاثةَ . وشِعْرُه سهلٌ واضحُ المعاني متين التركيبِ ينكشفُ عن إحاطة بمعارفِ عصرِه . غير أن ابن لنكك ليس مِنْ نَجْرِ المُتَنبّي في النَفَسِ الشِعْريّ ولا في صِناعةِ الشِعر ولا في العِلْم .

وابنُ لَنْكَكَ مُصَنِّفٌ جَمَعَ ديوانَ الخُبْزأرزي ؛ وله رسالةٌ في فَضْلِ الوردِ على النسرين (... على النرجس) .

٣ ـ المختار من شعره

ـ قال ابن لنكك في الزمان وأهله :

يَعيب الناسُ كلّهم الزمانا ، وما لزمانِنـا عيبٌ سوانا .
نعيب زماننا والعيبُ فينا ؛ ولو نَطَقَ الزمان إذَن هجانا !
ذئابٌ كلّنا في زِيّ ناسٍ ، فسُبحانَ الذي فيـه برَانا .
يَعافُ الذئبُ يأكلُ لحمَ ذئبٍ ؛ ويأكلُ بعضُنا بعضـاً عِيانا !

وقال يهجو المتنبّي ويزعُمُ أن أباه كان سقّاء في الكوفة ويعرض بمجافاة أهل بغداد له :

قولا لأهل زمان لا خَلاقَ لهم، ضلّوا عن الرشد، من جهل بهم، وعمُوا:
أعطيتُمُ المتنبّي فوقَ مُنْيَتِـه فزوّجوه بِرُغمٍ أمّهاتِكُمُ .
لكنّ بغدادَ ، جادَ الغيثُ ساكنَها : نِعالُهم في قفا السَقّاء تزدحم !

ـ وقال يصف الخمر والرياض :

قد شَرِبْنا على شَقائقِ روضٍ شَرِبَتْ عَبْرَةَ السَحاب السَكوبِ .

صُبِغَتْ من دمِ القلوب ، فما تُبْـ ـصَرُ إلاّ تَعَلّقَتْ بالقـلوب !

٤ — •• يتيمة الدهر ٢ : ٣٢٠ — ٣٢٤ ؛ معجم الأدباء ٨ : ٢٤٤ ح ، (١٩) :٦ — ١١ ؛ الوافي بالوفيات١ : ١٥٦ — ١٥٧ ؛ راجع فوات الوفيات ١ : ٣٨ .

كشاجم

١ — هو أبو الفتحِ محمودُ بنُ الحسينِ بنِ شاهكَ المعروفُ بكُشاجِمٍ ، كان جدّه من السِند ، كما سكن أبوه سِجِسْتان فكان يُعلّم الصبيانَ في قرية من قراها تُدعى شامستيان . ويبدو أن كُشاجماً تقلّب في بلادٍ كثيرة : قيل وُلِدَ في قرية من قرى بَلْخَ ، ثمّ سكن الشام فقضى مدّة طويلة في الرمْلَة (فلسطين) فعُرِف من أجل ذلك بالرمليّ ، وكذلك سكن حلَبَ فكان طبّاخاً ومنجّماً لسيف الدولة . وذهب إلى مصر مرّتين وطال مكثه فيها وقال في وصفها شعراً كثيراً . وكذلك عرَفَ العراق وأقام في المَوْصل معَ جماعة كان منهما الخالديّان (راجع ، تحت ، الخالديان) . وعُرِف كُشاجمٌ بلقبِ السندي نسبةً إلى جدّه ، كما أن لقبه كُشاجم منْحوتٌ من ألفاظٍ تدلّ على صِفاته وعلى الفنون التي برَع فيها : الكاف من كِتابة ، والشين من شعر ، والألف من انشاء ، والجيم من جدل ، والميم من منطق . أمّا وفاته فكانت سنة ٣٦٠ ﻫ (٩٧٠ — ٩٧١ م) في الأغلب .

٢ — كان كُشاجمٌ من أهل الفصاحة والبلاغة كاتباً أديباً وشاعراً مشهوراً مدح أميرَ الزاب جعفرَ بنَ عليِّ بنِ حمْدانَ بقصيدة فأجازه جعفرٌ عليها بألف دينار . وكذلك كان كُشاجم مصنّفاً ، له : كتاب أدب النديم ، أدب الندماء ولطائف الظرفاء ، كتاب البيزرة ، المصايد والمطارد . وله ديوان شعر .

٣ — المختار من آثاره

— من مقدّمة كتاب « أدب النديم » لكشاجم :

.... فانّي وجدتُ من تَقَدّمَ من العلماء وعُنِيَ بتأليف الكتب من الأدباء

قد جرّدوا بِذِكْرِ الشراب [1] كُتُباً ضَمّنوها من نُعوتِ أصنافِه ، وأوصافِ مُحَلَّلِه ومُحَرّمه وتَبْيِينِ خِصاله ولَطائفه وحدودِ منافعه ومَضارِّهِ وضُروبِ [2] مَلاذِّهِ ومَسارِّهِ ما استَغْرقوا فيه المَعنى واستَوْفَوْا بهِ المَدى . وأغْفلوا ذِكْرَ النديمِ بما يَجِبُ ذِكْرُهُ والتَنْبيهُ على مَنْزِلته ومَوْقِعه وإفرادَه من القول بما يُبَيِّنُ عن فضلِه ويَدُلُّ على مَحلِّهِ ، إلاَّ في جُمَلٍ أدْرجوها ولم يَبْسُطوها ولُمَعٍ في أطراف الكتب فرّقوها ولم يُؤَلِّفوها .

فأحببتُ أن أجرِّدَ [3] في ذلك كتاباً أفصّلُه وأبوِّبه وأوفّيَ كلَّ معنىً فيه حقَّه وأضُمَّ إلى كلِّ شكلٍ شَكْلَه ، وأجمعَ إلى ما تَستَطيبه القَريحةُ أحسنَ ما وَجدتُه في هذا المعنى مُتَفرّقاً في أمثالِ الحكماءِ ومنظومِ الشعراء ومنثورِ البُلَغاء وأخبار الظرفاء ، وأودِعَه من أدب النديم ما لا يَستَغني عنه شريفٌ ولا يجوزُ أن يُخِلَّ به ظريفٌ لِيكونَ مِنهاجاً واضحاً لِمَنْ نَظَرَ فيه وإماماً يَقتَدي به مَنْ وقع اليه .....

— باب أخلاق النديم (من كتاب أدب النديم) :

وليسَ أحدٌ من أصحابِ الملوك وخُلَطائهم هو أوْلى باستِجماعِ محاسنِ الأخلاق وأفاضل الآدابِ وطرائف المُلَحِ وغرائبِ النُتَفِ من النديم . حتّى إنه لَيَحتاجُ (إلى) أن يكونَ فيه أشياءُ مُتَضادةٌ فيكونَ فيه مَعَ شَرَفِ الملوك تواضعُ العبيد ، ومَعَ عفافِ النُسّاك مُجونُ الفُتّاك [4] ، ومَعَ وَقار الشيوخ مُزاحُ الأحداث . وكلٌّ واحدة من هذه الخِلال هو مُضْطَرٌّ إليْها في حالٍ لا يَحسُنُ أنْ يُخِلَّ فيها ، ووَقْتٍ لا يَسَعُهُ العدولُ [5] عنها ، وإلى أن يَجتَمِعَ إليه من قوّة الخاطر ما يفهمُ بهِ ضميرَ الرئيس الذي يُنادمه على حَسْبِ ما يَبْلوه [6] من أخلاقه ويعلمُ من معاني لَحْظِهِ وإشارته ما يُغْنيه عن تَكلّفِ عبارته

١ الشراب : الخمر .
٢ ضروب : أنواع .
٣ أجرد في ذلك كتاباً : أجمع أخباره (مجردة من غيرها) في كتاب .
٤ الفتك : اتيان ما تميل اليه النفس من المعاصي .
٥ العدول : الحيد ، الانصراف ، الرجوع .
٦ يبلوه : يختبره ، يعرفه .

والإفصاح بـه فيَسْبِقُهُ إلى شهوتـه ويَبْدُرُه [1] إلى إرادته ، كما قال بعض الكُتّاب :

ونديمٍ حُلْوُ الحديثِ يُجاريـ ـكَ بما تَشْتهيه في مَيْدانِكْ ؛
ألْمَعِيٌّ [2] كأنّ قَلْبَكَ في أضْـ ـلاعِه أو كلامَهَ بِلِسانِكْ !

– وقال كشاجم يتغزّل :

ورأيتُه في الطِرْسِ يكتبُ مَـرّةً غَلَطـاً ويُوصِلُ مَحْوَه بِرُضابِهِ [3] .
فَوَدِدتُ أنّي في يَدَيْهِ صَحيفـةٌ ، ووَدِدتُه لا يَهْتدي لِصَوابِـه !

– وقال يتغزّل أيضاً :

لاعَبْتُ بالخـاتَمِ إنسانـةً كالبدرِ في داجي الدُجى الفاحِمِ ؛
ثمّ إذْ تابَعْتُ أخْذي لـه من البَنانِ المُتْرَفِ النـاعمِ [4]
خبّتْه في فيها فقُلْتُ : انْظُروا ، قد خبّتِ الخاتَمَ في الخاتَمِ [5] !

– وقال يفتخر :

بَكَرَتْ تلومُ على السَماحِ وتَعُدّ ذلك من صَلاحي [6] .
هيهاتِ ! ليسَ يَصونُ لي عِرْضي سوى المالِ المُبـاحِ .
وأبي اللّواحي ، إنّنـي لَهِجَ بِعِصْيانِ اللواحي [7] ،
مُعْطي البَطالَةِ مـا تُحِبّ من البَطالةِ والمِراحِ [8] ،
مُتَفَرِّقٌ : في الجِدِّ أحْـ ـياناً ، وحيناً في المُزاحِ .

---

١ يبدره : يسبقه ، يعجل قبله (إلى تنفيذ ارادته) .
٢ الألمعي : الذكي المتوقد الذكاء .
٣ الطرس : الورق . الرضاب : الريق ما دام في الفم .
٤ البنان : جمع بنانة : عقدة الاصبع (المقصود : الاصبع) .
٥ الخاتم الثانية : الفم (كناية من صغره) .
٦ السماح : (الكرم) . تعد ذلك : تحسب لومها أياي على الكرم . من صلاحي : حبا بي .
٧ اللواحي جمع لاحية : لائمة . وأبي اللواحي : أقسم بأبي اللواحي . لهج بالشيء : أغرم به ، تعلقت به نفسه .
٨ البطالة (بفتح الباء) : الهزل واللهو . المراح (بكسر الميم) : النشاط والاختيال والتبختر .

بَيْناً أجُرّ من الغَـــلا ئلِ رُحْتُ في شكّ السلاحِ[1].
ومريضةِ الأجفانِ تعـ ـمَلُ في ضَنى المُهَجِ الصِحاحِ[2]؛
رُودُ القَوامِ خريـدةٌ أعْطافُها طَوْعُ الرِّياحِ[3]،
رَيّا الروادفِ طَفْلَـةٌ ظَمْأى الحَشا غَرْثى الوِشاحِ[4].
في حِجْرِها مُتَرَنِّـمٌ يشدو بأوتارٍ فِصاحِ[5].
تُغْضي على حَوَرٍ وتضـ ـحكُ حين تضحكُ عن أقاحِ[6].
قومي بنو سامانَ ليـ ـسَ حِماهُمُ بالمُسْتَباحِ[7].
العاقدي التيجـانِ تضـ ـحكُ عن وُجوهِهِمُ الصِباحِ[8].
وإذا تَشاجرتِ الرِّما حُ فانّ أقلامي رماحي[9].
يا ويلَ دهري! لو تَبَيَّنَني لأحْجَمَ عن كِفاحي[10].
ولقدْ عَجِبْتُ من اللّيا لي كيفَ هاضَتْ من جَناحي[11].

---

١ في بعض الأحيان ألبس غلالة (بكسر الغين) : ثوب رقيق يلبس تحت الدثار (كناية عن البقاء في البيت والعيش في هدوء ونعمة) ؛ وفي بعض الأحيان تراني في شك (بكسر الشين) جمع شكة (بكسر الشين) : المجموعة الكاملة من السلاح (كناية عن الذهاب إلى الحرب) .

٢ مريضة الاجفان : ناعسة العيون . تعمل (تسبب) ضنى (مرض) المهج (القلوب) .

٣ رود : لينة . القوام : القامة ، بناء الجسم . الخريدة : المرأة البكر الحيية (الجميلة) . أعطافها طوع الرياح : تتمايل كثيراً (للين جسمها ودلالها) كأنما تتلاعب بها الرياح .

٤ طفلة (بفتح الطاء) : لينة . ظمأى الحشا : جائعة البطن (كناية عن دقة خصرها) غرثى (شبعى ، ملأى) الوشاح : الرداء تلقيه المرأة على كتفيها (كناية عن اتساع صدرها وعرض كتفيها) .

٥ في حجرها (حضنها) مترنم (مغن ، أي عود) . فصاح ، فصيحة : ظاهرة المعاني والمرامي .

٦ تغضي : تطبق أجفانها . الحور : شدة سواد العين وشدة بياض بياضهـا . وإذا ضحكت ظهرت أسنانهـا مثل بتلات زهرة الاقحوان (كناية عن بياضها وجمالها وصحتها) .

٧ بنو سامان : قوم من الترك من أهل بلخ أصبحوا ملوكاً . الحمى : المسكن وما يحامى عنه . المستباح : الذي يقتحمه العدو أو يستولي عليه .

٨ عقد التاج : لبسه . الوجه الصبيح : الأبيض المشرق الجميل .

٩ تشاجرت الرماح : اشتبك بعضها ببعض (وقعت الحرب) . فان اقلامي رماحي : أنا أجاهد بأقلامي (كما أجاهد برماحي أو كما يجاهد غيري برماحه) .

١٠ لو تبينني : لو عرف مقـداري ومنزلتي . لأحجم : لتراجع وهاب . كفاحي : صراعي وقتالي .

١١ هاض جناحه أو من جناحه : جعله ضعيفاً ذليلا .

لكنّها حَرْبُ الحَيِيِّ وسَلْمُ ذي الوَجْهِ الوَقاحِ [1] .
وعليَّ أن أسْعى ، وليـــس عليَّ إدراكُ النجاح !

٤ ــ أدب النديم ، بولاق ١٢٩٨ هـ .
ديوان .... كشاجم ، بيروت ، (المطبعة الانسية) ١٣١٣ هـ .
أدب الندماء ولطائف الظرفاء ، الاسكندرية ١٣٢٩ هـ .
المصايد والمطارد (نشره محمّد أسعد طلس) ، بغداد ١٩٥٤ م .
•• الفهرست ١٣٩ ؛ زهر الآداب ١ : ٣١٦ وما بعد ؛ وفيات الأعيان ١ : ٣٥٨ ــ ٣٦٠ (في ترجمة السريّ الرفّاء) ؛ شذرات الذهب ٣ : ٣٧ ــ ٣٨ ؛ أعيان الشيعة ٤٧ : ١٦٦ ــ ١٧٢ ؛ بروكلمان ١ : ٨٥ ، الملحق ١ : ١٣٧ ؛ زيدان ٢ : ٢٩٢ .

السَّرِيُّ الرَّفّاء

١ ــ هو أبو الحسنِ السَّرِيّ بنُ أحمدَ بنِ السري الكِنديّ المَوْصليّ الرفّاء، وَضَعَهُ أبوه صغيراً عندَ الرفّائين (في سوق البزّازين) فتعلّمَ صِناعةَ الرَّفْوِ والتطريزِ ليتكسّبَ بها ، ولكنّه كان مَيّالاً إلى قول الشِعر . فلما جادَ شِعرُه تركَ صِناعةَ الرَّفْوِ واشتغل بالوِراقةِ (نسخ الكتب) . غير أن رزقه لم يتّسِعْ .

ويبدو أن المُنافسةَ بينَه وبين الخالديَّيْنِ (انظر : تحت) بدأتْ منذ كانوا كلّهم في المَوْصِلِ . ثم اجتمعوا في بلاط سيف الدولة في حلب فحالت المنافسةُ بينه وبينَهما عداوةً وضَغِينةً . ويبدو أن سببَ ذلك كلّهِ كان فقرَ السَّريِّ الرفاءِ وحسدَه بينما كانا هما يتمتعانِ بحَظْوة عند الأمراء والكُبراء أقبلتْ بها الدُّنيا عليهما .

ولما تُوُفّـِيَ سيفُ الدولة ، سنة ٣٥٦ هـ (٩٦٧ م) ، رَحَلَ السَّريّ عن حَلَبَ

[1] لكنها : لكن الدنيا . حرب الحيي وسلم الوقاح : تحارب الحيي ذا المروءة وتقاومه ثم تسالم الوقح وتنيله مطالبه .

إلى بَغدادَ ؛ وكان المُهلّبي قد تُوُفّـيَ قبلَ أربعِ سَنَوات ، فتكسّب بمدحِ الكُبراء والأعيان ؛ ولكنّ الدنيا أبتْ أن تُقْبِلَ عليه حتّى توفّي سنة ٣٦٢ هـ (٩٧٣ م) ، في رواية ياقوت (معجم الأدباء ١١ : ١٨٥) .

٢ – كان السَّريّ الرفّاءُ شاعراً مطبوعاً عَذْبَ الألفاظِ مليحَ المـأخَذِ كثيرَ الافتنان (التفنّن) في التشابيهِ والأوصاف ، ولكنّه كان لا يُحْسِنُ من العُلوم إلا قولَ الشعر . وكان مُعْجَباً بكُشاجم « في طريقه يذهَبُ وعلى قالَبه يَضرِب » . أما فنونُ شعره فكانت المديحَ والرثاء والهجاء والغزل والخمريات والأوصافَ . وكل شعرِه جيّدٌ .

واشتغالُ السريّ الرفّاءِ بالوِراقةِ سَهّل عليه تصنيفَ الكُتُبِ ؛ فمـن تصانيفه كتاب المُحِبّ والمحبوب والمشموم والمشروب[١] . وديوان شِعره جَمَعَه بنفسه .

٣ – المختار من شعره

– قال يصف الهلال :

مرحَباً بالصَّبوحِ في الظلماء ، وبعذراءَ من يَدَيْ عذراءِ ،

وبُسكرين : من لِحاظِ غزالٍ ساحرٍ لحظُه ، ومن صهبـاء .

وكأن الهلال نونُ لُجَيْنٍ غَرِقَتْ في صحيفةٍ زرقاء!

– وقال في النسيب :

أظِباءُ وَجْرَةَ أقْصَـدَتْـ ـكَ بسحرِ أجفانٍ فواتِرْ[٢] !

جَنَتِ الهوى وتَنَصّلَتْ باللحظ من تلك الجَرائر .

لأُخاطِرَنّ ، ومـا المُـنى في الحُبّ إلاّ للمُخاطر ،

ولأُوضِحَنّ صَبـابـتي بالدَّمْع في الدِمَنِ الدواثر[٣] .

---

١ يلمح من النسخة المطبوعة من معجم الأدباء ان هذه الألفاظ الأربع اسمان لكتابين .

٢ أظباء (مختارات البارودي ٤ : ٢٦٧) مضبوطة بالنصب . وجرة : علم بين مكة والبصرة مشهور بالظباء ، يبدو أنه قريب من الكويت اليوم . أقصد : أصاب فقتل .

٣ سأشرح صبابتي (شدة عشقي) وأقيم الدليل عليها بكثرة بكائي في المنازل التي هجرت بعد أن كـانت معمورة .

تالله ، أغْـدُرُ في الهَوى ما دُمْتُ مُسْوَدَّ الغَدائِرِ [1] .

– وله في الهجاء :

كيفَ يَخْشى المُلْحِيّ رِقّةَ حالٍ بعد أن فاز من قَفاه بكَنْزٍ [2] .
قد لَعَمْري ، رَفَعْتُه بِهِجائي ؛ وارتفاعُ المَصلوبِ ليس بعِزّ !

– وقال يمدح الوزير المهلّبي :

وتاجرةٍ بالخَمْرِ تُوثِرُ صَوْنَها عن البَيْعِ أو تلقى الغِنى فتَبيعُها.
إذا زارها وَفْدُ الرّضاع تَبَرّعت بعذراءَ لا يَهْوى الفِطامَ رَضيعُها [3]
فلا طيبَ إلاّ أنْ يَفوحَ نسيمُها ، ولا فجرَ إلاّ أن يَلوحَ صَديعها .
أقَمْنا لَدَيْها في رِياضٍ أنيقةٍ نَمارقُها مَوْشِيّةٌ وقُطوعها [4] ،
نَروعُ بأسيافِ المُدام هُمومَنا كأنّا بأسياف الأميرِ نَروعها [5] .
وأزهرَ ينقادُ الزمان لأمره ، وتأمره زُهْرُ العُلا فيطيعها ؛
هُمامٌ وقى الاعداءَ من سطواته تباعدُها من سخطه فنزوعها [6] :
أعَلّ صدورَ السُّمْرِ وهو حَبيبها ، وفلّ شِفارَ البيض وهو ضَجيعها [7].
وقد علِمَتْ أموالُه حين سامَها حِفاظَ المَعالي أنّه سيُضيعها .

---

١ أغدر : لا أغدر (الفعل المضارع في جواب القسم يكون منفياً من غير حرف نفي . قال الله تعالى : تالله، تفتأ تذكر يوسف – سورة يوسف ، رقم ١٢ : ٨٥) مسود الغدائر (الضفائر) : اسود الشعر ، شاب .

٢ الملحي = الملتحي : الذي نبتت لحيته . في الشطر الثاني من هذا البيت كناية قبيحة .

٣ وفد الرضاع كناية عن الجماعة الذين يريدون شرب الخمر . عذراء : (خمر في دن لم يشرب أحد منه بعد) . لا يهوى الفطام رضيعها : الذي يشرب من هذه الخمر لا يريد أن ينقطع عنها (لطيبها ولاكتفائه بالعيش عليها) .

٤ النمارق والقطوع : الطنافس والبسط (والمقصود هنا أن أرض الرياض ونباتها المرتفع عن مستوى الأرض مزدهر بأنواع الازهار المختلفة الألوان) .

٥ نروع : نخيف . – شبه الخمر بجيش يحمل أفراده السيوف ويهجمون على الهموم فتخاف الهموم وتهرب عنا . في هذا البيت استطراد بارع من وصف الخمر إلى مدح الأمير .

٦ حمى الاعداء من بطشك بهم أنهم يسكنون بلاداً بعيدة عنك ونزوعهم (امتناعهم عن الاقدام عليك : مسالمتك) .

٧ – لقد أمرض السمر من الرماح لكثرة ما طعن بها (مع أن السمر من النساء يحببنه) ، ثم هو قد قطع حد البيض من السيوف (مع أنه يحب البيض من النساء) .لاحظ التورية أيضاً بين شفار السيوف (حدها) وبين شفار العيون (الشعر النابت في أجفانها) .

ومعرَكةٍ يَسْوَدُّ للنقع أفْقُها ، وتَحْمَرُّ من فيض الدماء رُبوعها ،
إذا ازدحمتْ فيها السيوف حَسِبْتَها يَنابيعَ ماءٍ ضاقَ عنها نَجيعهـا .
وكم خُطةً حاولتَها فاستطَعْتَها بسيفِكَ ، والأيامُ لا تستطيعها !

– قال السري الرفّاء في السلوّ والنسيان :

سَلَوْتُ محمّداً لمّا تَمادى به الهِجْرانُ وانقَطعَ العتابُ .
وقدْ يُنْسى الربيعُ إذا تَولّتْ لياليهِ ، وقد يُسْلى الشباب !

– وقال في الإخفاق في السعي للغنى :

سَفَرٌ رَجَوْتُ به النِهايةَ في الغِنى فبلغتُ منه نِهايةَ الإملاقِ [1] ،
مِثْلَ الهِلالِ أغذَّ شَهْراً كاملاً فرماه آخرُ شَهْرِه بمُحاقِ [2] .

– وقال يصف منزل لهو :

مِنْزِلٌ في فِناء دِجلةَ ، يَسْـ ـتاحُ اليه الخليعُ والمَستورُ [3] ،
طائرٌ في الهواءِ : فالبرقُ يَسْري دونَ أعلاه ، والحمام يطير .
ليس فيه إلاّ خُمار وخَمْرٌ ، ومَمات من سَكْرة ونُشور [4] .

٤ – ديوان السريّ الرفّاء ، القاهرة (مكتبة القدسي) ١٣٥٥ هـ .
•• السريّ الرفّاء ، تأليف يوسف أمين قصير ، بغداد (مطبعة الشباب) ١٩٥٦ م .

الفهرست ١٦٩ ؛ تاريخ بغداد ٩ : ١٩٤ ؛ يتيمة الدهر ٢ : ١٠٣ – ١٦٥ ؛ معجم الأدباء ١١ : ١٨٢ – ١٨٩ ؛ وفيات الأعيان ١ :

---

١ النهاية في الغنى : غاية الغنى (المال الكثير) . الاملاق : الفقر .
٢ أغذ السير : أسرع . المحاق : الامحاء الكامل لنور القمر في آخر الشهر .
٣ الفناء : الباحة الفسيحة أمام البيت وغيره . الخليع : الذي لا يبالي بكلام الناس . المستور : الذي يحاذر أن يتكلم الناس فيه (فإما أن يجتنب اللهو مرة واحدة وإما أن يأتي شيئاً يسيراً من اللهو في ستر) .
٤ الخمار (بضم الخاء) : السكر (ما يصيب الإنسان بعد شرب الخمر) . ممات : سكر من الخمر (غيبة عن الوعي) . النشور في الأصل : قيام الأموات من القبور يوم القيامة (هنا : الاستفاقة والوعي = الصحو من السكر (حتى نعاود شرب الخمر لنرجع إلى السكر ، فصحونا وسكرنا متصلان) .

٣٥٨ – ٣٦٠ ؛ شذرات الذهب ٣ : ٧٣ – ٧٤ ؛ بروكلمان ١ : ٨٩ – ٩٠ ؛ زيدان ٢ : ٢٩٢ – ٢٩٤ ؛ أعيان الشيعة ٣٤ : ٣٥ (؟) – ١٤٦ .

الناشيء[1] الاصغر

١ – هو أبو عليّ الحَلاّء عليّ بنُ عُبيدِ الله بنِ وَصيفٍ المعروف بالناشئ الأصغر ، وُلِدَ في الجانب الشَرقيّ من بَغدادَ ، سَنَةَ ٢٧١ هـ (٨٨٤ – ٨٨٥ م) .

كان الناشي الأصغرُ يعملُ حلاّءً في صِناعة الصُّفْر (النحاس الأصفر) وتخريمها ويصنع القناديلَ وغيرَها مِنَ الأدواتِ التي تُصنعُ عادةً من النّحاس ، إلى جانبِ تكسّبهِ بالشعر . واتّصل الناشي بآل البَريديّ المُستبدّينَ بالبصرة (٣٢٠ – ٣٣٤ هـ) فمدح أبا عبدِ الله أحمدَ البريديّ الكبيرَ الذي وَزَرَ فيما بعد للخليفة الراضي وللخليفة المتّقي ثلاثَ مرّاتٍ في فتَرات مُختلفةٍ بين سنة ٣٢٥ وسنة ٣٣٢ هـ . وفي مطلع تلك الفترةِ زارَ الناشي الأصغرُ الكوفةَ ، فقد قال (معجم الأدباء ١٣ : ٢٩٠) : « كنتُ بالكوفةِ في سَنة ٣٢٥ ، وأنا أُملي شِعري في المسجدِ الجامعِ بها والناسُ يكتبونه عنّي . وكان المتنبّي إذ ذاك يَحضُرُ مَعَهُم ، وَهُوَ بَعْدُ لم يُعْرَفْ ولم يُلَقّب بالمتنبّي .... فلمحتُه يكتُبُ .... » ثم اتّصل الناشي الأصغر بالخليفة الراضي (٣٢٢ – ٣٢٩ هـ) على يد ابن رائقٍ الذي تولّى إمارة الأمراء في بَغدادَ من أولِ سَنة ٣٢٤ إلى أواخرِ سَنة ٣٢٦ للهجرة (أواخر سنة ٩٣٥ إلى أواخر ٩٣٧ م) ومدح ابنَ رائقٍ أيضاً . وكذلك اتّصل الناشي الأصغرَ بسيفِ الدولة (٣٣٣ – ٣٥٦ هـ) اتّصالاً وثيقاً ومدحه ، كما مدح عَضُدَ الدولة بنَ بُوَيْهِ صاحبِ فارسَ وخوزستانَ (٣٣٨ – ٣٧٢ هـ) وابنَ العميدِ الذي وَزَرَ لرُكْنِ الدولة بن بويه في أرّجانَ من سَنة ٣٢٨ إلى ٣٥٩ للهجرة ، وكافوراً الإخْشيديّ (٣٥٥ – ٣٥٧ هـ) .

وكانت وفاةُ الناشي الأصغرِ يومَ الاثنين في الخامس من صفَر سنة ٣٦٥ هـ (١٤–١٠–٩٧٥ م) .

---

[1] الناشيء بالهمزة ، ولكن كثيراً ما يرد اسمه « الناشي » بلا همزة .

٢ – كان الناشي الأصغر أديباً وشاعراً ، كما كان متكلّماً بارعاً على مذهب المُعْتَزِلَةِ . وكان يعتقدُ حقّ آلِ أبي طالبٍ في الإمامةِ ويُجادِلُ عنهم ، وقد استنفدَ مُعْظَمَ شِعرِهِ في مديح آلِ البيتِ .

٣ – المختار من شعره

– قال الناشي الأصغرُ قصيدة في مديح آل البيت جاء فيها :

بني أحمدٍ ، قلبي لكم يتَقَطَّعُ ؛ بمِثْلِ مُصابي فيكُمُ ليس يُسْمَعُ .
عَجِبْتُ لكم تَفْنَوْنَ قتلاً بسَيْفِكِم ، ويسطو عليكم مَنْ لكم كان يَخضَعُ [١] .
كأنّ رسولَ اللهِ أوصى بقَتْلِكُمْ وأجسامُكم في كلّ أرضٍ تُوَزَّعُ [٢] !

– وقال يصف الثّريّا :

ولَيْلٍ تَوارى النّجمُ من طولِ مُكْثِه كما ازْوَرّ محبوبٌ لخوفِ رقيبِه [٣] .
كأنّ الثّريّا فيه باقَةُ نَرْجِسٍ يجيءُ بها ذو صَبْوَةٍ لحبيبه .

– وله قصيدة يصف فيها الخمر ، بعد أن وصف الديار فقال :

وَقَفْتُ على أرجائها أسألُ الرُّبى عن الخُرَّدِ الأتراب والدارُ صَفْصَفُ [٤] .
وكيف يجيبُ السائلينَ مرابعٌ عَفَتْها شآبيبٌ من المُزنِ وُكّفُ [٥] ؟
دِنانٌ – كرُهبانٍ عليها برانِسٌ من الخزِّ – دُكْنٌ يومَ فُصْحٍ تُصَفَّفُ [٦] ؛

---

١ تفنون قتلا بسيفكم : تقتلون بالسيف (بالحكم ، بالدولة) الذي هو بالاصل لكم (من حقكم) . – ويستبد بكم (يحكمكم) من كان رعية لكم .

٢ .... وكأنه أوصى بأن توزع أجسامكم في كل أرض (بأن تقتلوا في كل مكان من الأرض) .

٣ لعل الشاعر يصف الليل في آخره حينما لا يبقى من النجوم إلا ما كان في أطراف السماء (النجوم ذوات الاقدار الكبيرة) .

٤ الخرد جمع خريدة : الفتاة البكر ، الحيية الطويلة السكوت ، الخافتة الصوت ، المتستّرة (قا ١ : ٢٩١) . الاتراب : الأولاد في سن واحدة . الصفصف : الأرض المستوية (التي لا بناء فيها ولا نبات الخ ... أو التي خربت بعد أن كانت عامرة) .

٥ عفتها : محت معالمها ، أزالت ما عليها من العمران . شآبيب جمع شؤبوب (بضم الشين) : الدفعة الشديدة من المطر . المزن : المطر . وكف جمع وكوف (في الأصل الناقة الغزيرة اللبن) : الغمامة التي تهطل بلا انقطاع .

٦ دنان جمع دن (بفتح الدال) : وعاء كبير للخمر . خز : حرير . دكن جمع أدكن : قاتم اللون (صفة لدنان) . الفصح : عيد النصارى يأتي في الربيع .

يُنَظِّمُ منها المَزْجُ سِلكاً كأنّــه ، إذا ما بدا في الكأسِ ، دُرٌّ مُنَصَّفُ[1] .

– ومما يروى له :

إذا أنا عاتَبْتُ المُلوكَ فإنّمـــا أخُطُّ بأقلامي على الماءِ أحرُفا .

وهَبْهُ ارْعَوى بعدَ العِتابِ ، ألَمْ يكنْ
تَوَدُّدُهُ طبعاً فصار تَكَلُّفا !

٤ – •• الفهرست ١٧٨ ؛ يتيمة الدهر ١ : ١٩٧ – ١٩٨ ؛ معجم الأدباء ١٣ : ٢٨٠ – ٢٩٩ ؛ وفيات الأعيان ٢ : ٤٧ – ٤٩ ؛ اعيان الشيعة (١٩٦٠ م) ٤١ : ٣٢٩ – ٣٤١ ؛ بروكلمان ، الملحق ١ : ١٨٨ في الحاشية .

أبو سعيد السيرافي

١ – هو أبو سعيدٍ الحسنُ بن عبدِ الله[2] السيرافي ، وُلِدَ في سيرافَ[3] سَنَةَ ٢٨٠ هـ (٨٩٣ م) في الأغلب وبدأ تحصيلَ العلمِ في بَلَدِه . وفي نحو سنة ٣٠٠ هـ رَحَلَ إلى عُمان ودرس شيئاً من الفِقْه ثم عاد إلى سيراف . ثم إنه انتقل إلى عسكر مُكْرَمٍ وقرأ النحو على أبي بكر المَبْرَمان . وكذلك قرأ القرآن على أبي بكر بن مجاهد ، والأصولَ على محمد بن عُمَرَ الصَّيْمري ، وتبحّر في النحو على أبي بكرٍ بن السرّاج . وكذلك درسَ أشياءَ من الرياضيات والهندسة والفَلَكِ والمَنْطق .

ولعل السيرافي دخلَ إلى بغدادَ بُعَيْدَ سَنة ٣١٠ هـ ودرس فيها اللغةَ على أبي بكرٍ بن دُرَيد (توفي سنة ٣٢١ هـ) . ويبدو أن قاضِيَ القُضاةِ أبا محمدِ

---

١ – إذا مزجت هذه الخمر بالماء ظهرت (على سطح المزيج) في الكأس أسلاك (عقود) من الحباب (بفتح الحاء : فقاقيع) كأنه در (لؤلؤ) منصف (مفصول بين حباته في العقد) – يقول : حينما تمزج هذه الخمر بالماء تطفو على وجهها فقاقيع كأنها عقود من اللؤلؤ ، ولكن على غير نظام معين .

٢ كان أبوه على المجوسية وكان اسمه بهزاد ثم أسلم فسماه عبد الله . ويبدو أن أباه كان مرزباناً (حاكماً على مقاطعة) ولذلك نجد في نسبه : .... أبو سعيد الحسن بن عبد الله المرزبان ....

٣ سيراف : بلدة على الشاطئ الجنوبي الغربي من فارس ، على خليج البصرة .

ابن معروف قَدْ جَعَلَ السيرافي نائبَه في القضاء في الجانب الشرقيّ من بغدادَ (في الرّصافة) نحو سنة ٣١٨ هـ ثم أنابَه مكانَه في الجانب الشرقي والجانب الغربي (في الكَرْخ) .... وفي سنة ٣٢٠ هـ كانت المناظرة بين السيرافي وبين أبي بِشْر مَتّى بن يونس القَنّائي المَنْطيقي في المنطق، وقد خَرَجَ السيرافي منها منصوراً. وفي سنة ٣٤٠ هـ كان جاهُه قـد عَظُم وانتشر صيتُه ووردتْهُ المكاتبات من أقطار العالم الإسلامي تخاطبه بالألقاب: إمام المسلمين والشيخ الفَرْد وشيخ الإسلام. في هذه الأثناء كان السيرافي يدرّس ويَلِي القضاءَ من غير أن يأخذَ على التدريس أو على الحُكم مالاً، بل كان يعيشُ من كسب يده في نَسْخ الكتب. وفي هذه الفَتْرة كان السيرافي مُؤدِّباً لأبي اسحقَ بن مُعزِّ الدولة [1]. وفي سنة ٣٦٤ هـ جرت المناظرة بينه وبين أبي الحسن العـامري الفيلسوف النيسابوري.

وكان السيرافي تقيّاً زاهداً كثيرَ الصوم. أمّا وفاته فكانت في الثاني من رَجَبَ سَنَةَ ٣٦٨ (٣-٢-٩٧٩ م).

٢ ــ كان السيرافي عالماً بعلوم القرآن وبالحديث أميناً ثقة، وله عـلمٌ بالفرائضِ (تقسيم الإرْث) وبالفِقْه والكلامِ واللغة والنحو والشِعر. وقد كان مُعْتَزِليَّ الرأي إلاّ أنه لم يُظْهِرْ شيئاً من الجدال في ذلك. وهو الذي سهّل تعليمَ النحو، وشرح كتاب سيبويه فأجاد. ويبدو أنه كان على جانب وافرٍ من المعرفة بالحساب والهندسة والفلك.

وكان السيرافي مقتدراً في المناظرة جيّدَ الأُسلوبِ جامعَ الرأي قادراً عـلى استمالةِ السامعين وعلى إقناعهم.

وللسيرافي كُتُب منها: شرح كتاب سيبويه (٣٠٠٠ ورقة)، شواهـدُ كتابِ سيبويه، المدخل إلى كتاب سيبويه، ألِفات الوصل والقطع، أخبـار النحويين البصريين، الوقف والابتداء، صنعة الشعر والبلاغة، الاقناع في النحو، شرح مقصورة ابن دريد، كتاب جزيرة العرب.

٣ ــ المختار من نثره

ــ من مقدّمة كتاب أخبار النحويين البصريين:

بسم الله الرحمن الرحيم: كتابٌ فيه ذِكْرُ مَشاهيرِ النَحْوِيّين وطُرَفٌ من

[1] أصبح معز الدولة أمير الأمراء في بغداد سنة ٣٣٤ هـ.

أخبارِهم وذِكْرُ أخذِ بَعْضِهِم عن بعضٍ والسابقُ منهم إلى عِلْمِ النحو . اختلفَ الناسُ في أولِ من رَسَمَ النحوَ فقال قائلون أبو الأسودِ الدُؤليّ ؛ وقال آخرونَ نَصْرُ بن عاصمٍ الدّؤليّ ؛ ويُقال اللّيثي . وقال آخرون عبدُ الرحمن بن هُرْمُزَ . وأكثرُ الناسِ على أبي الأسودِ الدُؤليّ ، واسْمُه ظالمُ بنُ عَمْرِو بنِ سُليمانَ بن عمرو بن حِلْس بن نُفاثة بن عَديّ بن الدُؤل ابنِ بكرِ بنِ كِنانة ، وكان من سُكّان البصرة . والنسبة اليه دُؤَلي ، كما يُنْسَبُ إلى نَمِر نَمَرِيّ فيُفْتَحُ استثقالاً للكَسْرة . ويجوزُ تخفيفُ الهمزة فيُقال دُوَليّ بقلبِ الهمزة واواً محضة [1] ، لأن الهمزة إذا انفتحتْ وكان ما قبلَها ضمةٌ فتَخفيفُها بقَلْبِها وواً محضة ، كما يُقال في جُؤْن [2] جُوَن . وقد يُقال الدُيَليّ بقلبِ الهمزة ياء حينَ انكسرت ؛ فإذا انقلبتْ ياءً كُسِرتِ الدالُ لِتَسْلَمَ الياء كما تقول قِيل وبِيع ....

٤ ــ كتاب أخبار النحويين البصريين (اعتنى بنشره وتهذيبه فريتس كرنكو) ، بيروت وباريس (المطبعة الكاثوليكية ومكتبة بول كتنر) ١٩٣٦ م .

•• الفهرست ٦٢ ــ ٦٣ ؛ تاريخ بغداد ٧ : ٣٤١ ــ ٣٤٢ ؛ طبقات الزبيدي ١٢٩ ــ ١٣٠ ؛ معجم الأدباء ٨ : ١٤٥ ــ ٢٣٢ ؛ وفيات الأعيان ١ : ٢٣١ ــ ٢٣٢ ؛ إنباه الرواة ١ : ٣١٣ ــ ٣١٥ ؛ بغية الوعاة ٢٢١ ــ ٢٢٢ ؛ شذرات الذهب ٣ : ٦٥ ــ ٦٦ ؛ بروكلمان ١ : ١١٥ ، الملحق ١ : ١٧٤ .

أبو منصور الازهريّ الهرويّ

١ ــ هو أبو منصورٍ محمّدُ بنُ أحمدَ الأزهريّ ــ نِسْبةٌ إلى جَدّه أزهرَ ابنِ طلحةَ بنِ نوحِ بنِ أزهرَ ــ وُلِدَ في هَراةَ سنة ٢٨٢ هـ (٨٩٥ ــ ٨٩٦ م) .

---

[1] كذا في الأصل المطبوع ، والصواب أن تكون محضاً لأنها مصدر يقوم مقام النعت ، والمصادر لا تؤنث .

[2] الجؤنة والجونة : سلة صغيرة مستديرة مغشاة أدماً (جلداً) .

أخذ أبو منصور الأزهري العلم عن أبي الفضل المنذري عن ثعلب [1] وعن نفر كثيرين من أئمّة الدين وأئمّة اللغة [2].

حجّ أبو منصور الأزهري في سنة ٣١١ هـ (٩٢٤ م). ثم غادر المدينة مع القوافل الأولى من أهل العراق. فلمّا وصلت قافلتُهم إلى الهَبِير [3] سقط عليهم القرامطة [4]، في ١٨ من المحرّم سنة ٣١٢ هـ (٢٦-٤-٩٢٤ م) فقتلوا جماعةً منهم وأسروا جماعةً. ووقعَ الازهري في أسرِ قومٍ من البدوِ فكانوا يَحْملونه معهم في رحلاتهم يَشْتو في الدَّهناء ويرتبع في الصَّمَّان ويقيظ (يَصيف، يَقْضي الصيفَ) في السِتارَين [5]. ويبدو أن الأزهريّ أقام في هذا الأسرِ بِضْعَ سَنَواتٍ جَمَعَ في خِلالِها كثيراً من ألفاظِ اللغة من قبائلَ لم يكن قد تَطَرَّقَ إلى كلامِها لَحْنٌ كثيرٌ.

ولمّا نجا الأزهريّ من أسره دَخَلَ بغدادَ وأدركَ فيها ابنَ دُريد (توفي سنة ٣٢١ هـ) ولكن لم يأخذْ عنه شيئاً لِكِبَرِ سنّه، غير أنه أخذ عن نِفْطويه (ت ٣٢٣ هـ). ثمّ انه عاد إلى هَراةَ قبل وفاةِ أستاذه المُنْذري (توفي ٣٢٩ هـ) واشتغل فيها بالتعليم.

وكانت وفاةُ أبي منصورٍ الأزهريّ في هَراةَ، سَنَةَ ٣٧٠ هـ (أواخر ٩٨٠ م) في الأغلب.

٢ ــ كان أبو منصورٍ الأزهريّ إماماً في التفسير والحديث والفقه واللغة والأدب، ولكنْ غَلَبَتْ عليه اللغةُ. وله من الكُتب: التقريبُ في التفسير، تفسير أسماء الله عزّ وجلّ، كتاب عِلل القراءات، كتاب الروح وما جاء فيه من القرآن والسنّة، كتاب معاني شواهد غريب الحديث، كتاب تفسير شواهد

---

١ أبو الفضل محمد بن أبي جعفر المنذري الهروي، أخذ عن أبي الهيثم الرازي ثم جساه إلى بغداد وسمع من أبي العباس ثعلب. والمنذري من الكتب: كتاب نظم الجمان، كتاب الملتقط (بفتح القاف)، كتاب الشامل، كتاب الفاخر، الخ ... وكانت وفاة المنذري في رجب ٣٢٩ هـ = ٩٤١ م (معجم الأدباء ١٨ : ٩٩ - ١٠١).

٢ راجع أسماء أساتذته في معجم الأدباء (١٧ : ١٦٥).

٣ الهبير : أرض منخفضة على الطريق بين المدينة والكوفة.

٤ القرامطة (انظر، فوق، ص ٤٠٤).

٥ الدهناء والصمان والستاران في شرقي شبه جزيرة العرب.

غريب الحديث (!) ، كتاب معرفة الصبح ، تفسير ألفاظ المزني (أبي محمّد) ، كتاب تفسير اصلاح المنطق (لابن السكّيت) ، كتاب الأدوات ، كتاب التهذيب في اللغة ، كتاب تفسير السبْع الطِوال ، كتاب تفسير شعر أبي تمّام (معجم الأدباء ١٧ : ١٦٥) . وله أيضاً الزاهر في غريب ألفاظ الشافعي (بروكلمان ١ : ١٣٥) ، ولعله كتاب غريب الألفاظ التي استعملها الفقهاء (وفيات الأعيان ٢ : ٣١٦) .

روى أبو منصورٍ الأزهريّ كتابَ التهذيب عن شيخه المنذري ثمّ دوّنه نحو سنة ٣٥٠ هـ ، [١] ولكن أضاف اليه إضافات كثيرة ثم رتّبه على مخارج الحروف، على مثال كتاب العين للخليل بن أحمد [٢] . وأدخل الأزهري أسماءَ الأماكن والمياه في كتاب التهذيب الذي أصبح بذلك يَضُمّ مادّةً جغرافية مهمّةً جداً .

٣ ــ المختار من كلامه

ــ من مقدّمة كتاب التهذيب لأبي منصورٍ الأزهريّ :

.... وسمّيتُ كتابي تهذيبَ اللغة لأني قصَدتُ بما جمَعتُ فيه نَفْيَ ما أُدخِلَ في لُغة العرب من الألفاظ التي أزالها الأغبياء عن صِيَغها ، فهذّبتُ ما جمَعْتُ في كتابي من التصحيف والخطأ بقَدْرِ علمي . ولم أحرِصْ على تطويلِ الكتاب بالحَشْو الذي لم أعرِفْ أصلَه والغريبِ الذي لم يُسنِدْهُ الثُقاتُ إلى العرب (البدو) . ولو أنّني أودعتُ كتابي هذا ما دوّنه دفاتري وقرأته من كتبِ غيري ووَجَدتُه في الصحف التي كتبها الورّاقون وأفسدها المصحّفون لطالَ كتابي ، ثمّ كنتُ أحدَ الجانينَ على لغةِ العرب ولسانِها ؛ ولَقليلٌ لا يُخزي صاحبَه خيرٌ من كثيرٍ يَفْضَحُه . ولم أُودِعْ كتابي إلاّ ما صحّ لي سَماعاً منهم أو رِوايةً عن ثِقَةٍ أو حكايةً عن خطّ ذي معرفةٍ ثاقبةٍ اقترَنَتْ إليها معرفتي .... ،

٤ ــ تهذيب اللغة (حقّقه عبد السلام محمّد هارون وغيره ــ راجعه محمّد عليّ النجّار) ، القاهرة (المؤسّسة المصرية العامّة) ١٩٦٤ م وما بعدها .

١ يرى بروكلمان (١ : ١٣٥ ، الملحق ١ : ١٩٧) أن كتاب التهذيب بهذا المعنى للمنذري .

٢ راجع ، فوق ، ص

•• معجم الأدباء ١٧ : ١٦٤ — ١٦٧ ؛ طبقات الشافعيّة ٢ : ١٠٦ وما بعدها ؛ وفيات الأعيان ٢ : ٣١٦ — ٣١٧ ؛ بغية الوعاة ٨ ؛ شذرات الذهب ٣ : ٧٢ — ٧٣ ؛ بروكلمان ١ : ١٣٤ — ١٣٥ ، الملحق ١ : ١٩٧ ؛ زيدان ٢ : ٣٥٦ ؛

Enc. Isl. (new ed) I 822.

ابن خالويه

١ — هو أبو عبدِ الله الحسينُ بن أحمد (وقيل : ابن محمد) بن خالَوَيْهِ ، أصلُه من هَمَذانَ دخلَ ، بَغدادَ سَنَةَ ٣١٤ ﻫ (٩٢٦ م) طالباً للعِلم فقرأ القرآنَ على ابن مجاهد المُقْرِئ ، وقرأ النحوَ والأدب على ابن أبي بكرِ ابن دريدٍ وأبي بكرِ بنِ الأنباريّ ونِفْطَوَيْهِ ، وأخذ اللغة عن أبي عمرو الزاهدِ ، وسَمِعَ من محمّدِ بنِ مَخْلَدٍ العطّار وأبي سعيدِ السيرافي وغيرهما . وقد دَرَسَ الحديثَ ثم حَدَّثَ به مُدّةً في مَسْجِدِ المدينة[1] .

ثم إنه انتقلَ إلى الشام فنَزَلَ في حَلَبَ في بَلاطِ سيفِ الدولة فأكرمه سيفُ الدولة وقرأ عليه مَعَ نَفَرٍ من آلِ حمدانَ كثيراً من العلم . وكانت له مَعَ سيف الدولة والمتنبّي وغيرِهما مُناظرات أو مُطارحات .

وكانت وفاة ابن خالويه في حَلَبَ سنة ٣٧٠ ﻫ (٩٨٠ م) .

٢ — ابن خالويه أحَدُ كِبارِ العلماء في اللغة والنحو والأدب بصير بقراءة القرآنِ ثِقَةٌ مشهور . وله أيضاً شعر بعضه حسن .

ولابن خالويه تصانيفُ كثيرةٌ منها : رسالة في إعراب ثلاثين سورة (من القرآن الكريم) ، أسماء الاسد (ذكر فيه خمسمائة اسم) ، كتاب البديع في القراءات ، كتاب الاشتقاق ، كتاب « ليس (في كلام العرب ...) » ، كتاب الجُمَل (في النحو) ، كتاب المقصور والممدود ، كتاب المذكّر والمؤنّث ، كتاب الآل (آل محمد ، آل فلان الخ ، ذكر فيه الائمّة الاثني عشر عند الشيعة وذكر فيه مواليدهم ووفياتهم وغير ذلك) ، شرح مقصورة ابن دريد ،

---

١ في مسجد مدينة الرسول في الحجاز (بروكلمان ١ : ١٣٠) .

ديوان أبي فراس ، كتاب الشجر (في أسماء النبات ، ولعلّه رواية عن أبي عمرو الزاهد) ، الخ .

٣ ـ المختار من شعره

إذا لم يكنْ صَدْرُ المجالس سَيِّـداً   فلا خيرَ في من صَدَّرَتْهُ المجالسُ .
وكم قائلٍ : ما لي رأيتُكَ راجِلاً ؟   فقلت له : من أجلِ أنك فارس !

ـ من كتاب ليس في كلام العرب :

بسم الله الرحمن الرحيم : الحمدُ لله مُوجِدِ الخَلْقِ ومُبْدِئِه ، ومُبْقيه ما شاء ومُفْنِيه ، وصلّى الله على سيّدنا محمّدٍ وأقربيه . قال ابنُ خالويه : « ليسَ في كلامِ العربِ » إنّما هو على ما أحاطَ به حِفْظي . وفوقَ كلِّ ذي علمٍ عليمٌ [١] .

باب ليسَ في كلامِ العربِ فَعَلَ يَفْعَلُ مما ليس فيه حرفُ الحَلْقِ عيْناً ولا لاماً [٢] إلاّ عَشَرَةَ أحرُفٍ : أبَى يأبَى ، قَلَى يَقْلَى ، جَبَى يَجْبَى (جَمَعَ الماء في الحوض) ....

٤ ـ رسالة في اعراب ثلاثين سورة (من القرآن الكريم) ، القاهرة (دار الكتب المصرية) ١٣٦٠ هـ (١٩٤١ م) .
كتاب الشجر ، برلين ١٩٠٩ م .

---

١ القرآن الكريم ١٢ : ٧٦ (سورة يوسف) .

٢ يعد علماء الصرف « فعل » ميزاناً لسائر الافعال . ففي الفعل نصر مثلا : النون فاء الفعل (لأنها تقابل الفاء في « فعل ») ، والصاد عين الفعل والراء لام الفعل . حروف الحلق : الهمزة والحاء (المهملة ، بلا نقطة) والخاء (بواحدة من فوقها) والعين المهملة والغين المعجمة والهاء . ـ القاعدة العامة أن الفعل إذا كانت عينه أو لامه (الحرف الثاني أو الثالث فيه) حرف حلق أن تكون عينه (الحرف الأوسط فيه) مفتوحة في الماضي وفي المضارع في العادة ، (أو في الماضي وحده أو في المضارع وحده) ، نحو : سأل يسأل ، جنح يجنح ، جمع يجمع ، نهى ينهى ، فانها كلها مفتوحة العين (وسط الفعل) في الماضي والمضارع معاً . غير أن هنالك شواذ لهذه القاعدة العامة ، نحو : سمع (بكسر الميم = عين الفعل) يسمع (بفتحها) ، رجع (بفتح الجيم = عين الفعل) يرجع (بكسرها) . والأمثلة التي يأتي بها ابن خالويه هنا هي الافعال المفتوحة العين في الماضي والمضارع معاً من غير أن تكون عين الفعل أو لامه فيهما حرفاً من حروف الحلق .

ليس في كلام العرب (ديرنبورغ) ؛ (بتصحيح ... أحمد ابن الأمين الشنقيطيّ) ، مصر (محمّد أمين الخانجي الكتبي وشركاه) ١٣٢٧ هـ .

كتاب الريح (كراتشقوفسكي)

•• الفهرست ٨٤ ؛ يتيمة الدهر ١ : ٨٨ – ٨٩ ؛ معجم الأدباء ٩ : ٢٠٠ – ٢٠٥ ؛ وفيات الأعيان ١ : ٢٨١ – ٢٨٢ ؛ إنباه الرواة ١ : ٣٢٤ – ٣٢٧ ؛ بغية الوعاة ٢٣١ – ٢٣٢ ؛ شذرات الذهب ٣ : ٧١ – ٧٢ ؛ بروكلمان ١ : ١٣٠ – ١٣١ ، الملحق ١ : ١٩٠؛ زيدان ٢ : ٣٢٧ .

الوأواء الدمشقي [١]

١ – هو أبو الفَرَجِ محمّدُ بن أحمدَ الغسّاني الدِمَشْقِي ، وُلِدَ في دِمَشْقَ ونشأ فيها فقيراً يبيع الخُضَرَ والفاكهةَ ويَقْضي يومَه رائحاً وغادِياً بها يتغنّى عليها مُنادياً بصوت يشبه الوأوأة (صِياح ابنِ آوى أو صياح الكلب) ، ومن هنا جاء لقبه . ولعلّ وِلادتَه كانت بين سنة ٣١٠ وسنة ٣١٥ هـ (٩٢٢ – ٩٢٧ م) .

مالَ الوأواء إلى المطالعة والأدب فحفِظَ دَواوينَ نفرٍ من فُحولِ الشعراء كعُمَرَ بنِ أبي ربيعةَ وأبي نُواسٍ وأبي تمّامٍ والبُحتري وابن المُعتَزّ والمُتَنبّي حتّى قال الشِعرَ وأجادَه فبدأ حياته الأدبية العمَلية بمدحِ الشريف العقيقي (توفي سنة ٣٧٨ هـ) ، وهو رجل علَويّ من أعيانِ دِمَشْقَ كان شُجاعاً كريماً مُمدَّحاً كما كان عالماً ومن ذوي المراتبِ العالية . ثم اتفق أن وَرَدَ سيفُ الدولة إلى دِمَشْق (٣٣٤ هـ = ٩٤٥ – ٩٤٦ م) فتعرّض له الوأواء بمِدْحة فضمّه سيفُ الدولة إلى بَلاطه في حلب . ولكنّ مُقامَ الوأواء لم يَطُلْ في حلب ، فإنه عاد إلى دمشق وقد حَسُنَتْ حالُه فعاش على شيءٍ من التَرَف

---

١ تمييزاً له من أبي الفرج الوأواء الحلبي عبد القاهر بن عبد الله بن الحسين النحوي الشاعر (ت ٥٥١ هـ) الذي شرح ديوان المتنبي .

واللهو إلى أن أدْركته الوفاةُ ، سنة ٣٧٠ هـ (٩٨٠ – ٩٨١ م) في الأغلب .

٢ – الوأواء الدِمَشْقي شاعرٌ غيرُ مُكْثِرٍ ، في ديوانه نحوُ ألفٍ وخمسمائة بيتٍ هو فيها من فُحولِ الشعراء في مَتانة الأُسلوب وإصابة التشبيه والاستعارة ، وإنْ كان شعرُه يَضْعُفُ أحياناً حتّى يَرِكَّ . والوأواء مُقِلٌّ في المديح (قصر مَدْحَه على الشريف العَقيقي وسيفِ الدولة) وفي الهجاء (ففي ديوانِه قصيدةٌ واحدة منه) . وهو مُكثِرٌ في الوصفِ : في الوصفِ الحِسّيِ لمظاهرِ الطبيعةِ ؛ وفي الخمر يَغْتَرِفُ في وصفِها من أبي نواسٍ ثم يُضيفُ إلى ذلك شيئاً من صِناعة زمانِه . وغزلُه أيضاً كثيرٌ وفيه مُذَكَّر ومُؤنَّث ومُجونٌ . وأكثر شِعره مقطّعات .

ويبدو أن الوأواء كان كثيرَ الأخذ من الشعراء ، إلاّ أنه كان يُحَسِّنُ كثيراً مما كان يأخذُه . قال أبو نواس لمّا رأى جنان جارية آل عبد الوهاب الثقفي تبكي في مأتم سيدها :

يَبْكي فيُذْري الدُرّ من نَرْجِسٍ ويَلْطُمُ الخدَّ بعُنّابِ[١] .

فلمح الوأواء هذا المعنى فأخذه وأبدَعَ فيه لمّا قال :

وأسبلتْ لُؤلؤاً من نَرْجِسٍ وسَقَتْ ورداً وعَضّت على العُنّاب بالبَرَدِ !

٣ – المختار من شعره

– قال الوأواء في الخمر :

هي الحياة ، فلو تأتي إلى حَجَرٍ لولّدتْ فيه منها نَشْوةَ الطربِ .
كأنّها – ولسانُ الماء يَقْرَعُها – دمعٌ ترقرقَ في أجفان مُنتَحِبِ .
إذا علاها حَبابٌ خِلتَه شَبَكاً من اللُجين على أرضٍ من الذهب .
تصورتْ من أديمِ الكأس سَوْرتُها فأنْبَتَتْ بَرَداً منها على لَهَبِ .
تخال منها بِجيدِ الكأس إن مزجت عِقداً من الدُرّ أو طَوْقاً من الحَبَبِ.

---

١ يذري : يساقط . الدر : اللؤلؤ (الدمع) . العناب : الثمر الأحمر المعروف (أطراف الأصابع المصبوغة بالحمرة لتجميلها) .

– وقال في الغزل :

قالت ، وقد فتكت فينا لواحظها : كم ذا ؟ أما لقتيل الحب من قود !
وأمطرت لؤلؤاً من نرجس وسقت وَرداً وعضت على العنّاب بالبَرَد .
أنسيةٌ لو رأتها الشمس ما طلعت من بعد رؤيتها يوماً على أحد .
كأنما بين غابات الجفون لها أُسْدُ الحِمام مقيمات على الرصد .

– وقال يصف شمعة (مضيئة تقصر قليلاً قليلاً) :

ممشوقةٌ في قدِّها تحكي لنا قدّ الأسَلْ
كأنها عُمْرُ الفتى والنارُ فيها كالأجل .

– وقال يمدح الشريفَ العقيقيّ (وهي أول قصيدة له في المدح) :

تظلّم الوردُ من خدّيه إذ ظلما وعلّم السُّقْمُ من أجفانه السَّقَما .

منها :

إلى الذي افتخرتْ أرضُ العقيق به ، ومن به أصبحتْ بَطْحاؤها حَرَما .
إلى فتىً تَضْحَكُ الدُّنيا بغُرّته فما ترى باكياً فيها إذا ابتسما .
لو أن للبُخْلِ أغصاناً وقابلَها بوجهه أنبتتْ من وقتها كَرَما :
أزرى على الغيثِ غيثٌ من أنامله في روضة الشُّكرِ لمّا بَخّل الديَما .

٤ – ديوان الوأواء الدمشقي (عني بنشره سامي الدهّان) ، دمشق (مطبوعات المجمع العلمي العربي) ١٣٦٠ هـ (١٩٥٠ م) .

•• يتيمة الدهر ١ : ٢٣٥ – ٢٤٤ ؛ فوات الوفيات ٢ : ١٨٢ – ١٨٥ ؛ بروكلمان ١ : ٨٥ ، الملحق ١ : ١٣٨ ؛ زيدان ٢ : ٢٩٥ – ٢٩٦ ، الوأواء الدمشقي لعارف النكدي (م م ع آب – أغسطس ١٩٢٤ م ، ص ٣٣٩ – ٣٤٨) .

الحسن بن بشر الآمدي

١ – هو الحَسَنُ بنُ بِشْرِ بنِ يحيى الآمديّ الكاتبُ النحويّ من أهلِ البصرة ، أخذ عن أبي الحسنِ عليِّ بنِ سليمانَ الأخفش (الأصغر) وأبي إسحق

الزّجّاج وأبي بكرٍ بن دُريدٍ وأبي بكرٍ السرّاج . وسمع كتاب القوافي للمبرّد على نفطويه (ت ٣٢٣ هـ) .

انتقل الآمديّ إلى بَغدادَ فكتب فيها (كان أمين سرّ) لأبي جعفرٍ هرونَ ابنِ محمّدٍ الضبّيّ خليفةِ أحمدَ بن هلالٍ صاحبِ عُمانَ بحضرةِ المقتدر باللهِ ووزارته ، ثم كتب لغيره من بعدِه .

عادَ الآمدي إلى البصرةَ قبل سنة ٣٥٠ هـ (٩٦١ م) فكَتَبَ لأبي الحَسَنِ أحمدَ وأبي أحمدَ طلحةَ بنِ الحَسَن بن المُثنّى . ثم كتب بعدَهما لقاضي البلدِ أبي جعفرِ بنِ عبد الواحدِ الهاشميّ على الوُقوف[1] التي يليها القُضاة ، ثم (بعد سنة ٣٥٠ هـ) لأخيه أبي الحسنِ محمّدِ بن عبدِ الواحد .

وجعل الآمديّ في آخر أيامه يرْوي الأخبارَ بالبصرة . ثم إنه لزم بيته إلى أن مات سنة ٣٧١ هـ (٩٨٧ م) .

٢ ــ كان الآمديّ حَسَنَ الفَهْمِ جيّد الدراية سريعَ الإدراك واسعَ المَعْرِفَةِ بالأدبِ واللغة والأخبار . وهو شاعر مُكثّر حسنُ الطَبْع جيّدُ الصَنعة مشتهر بالتشبيهات الحِسان . وكان يكتب خَطّاً حسناً . وقد جَمَعَ الآمديّ أشعار عددٍ من القبائل وشرحَ عدداً من دواوين الشعراء . وكان يتعاطى مذهبَ الجاحظ في ما يَعْمَلُه من الكتب . وهو شديدُ التحاملِ على أبي تمّام .

للآمديّ من الكتب : ديوان شعره (نحو مائة ورقة) ، المختلف والمؤتلف من أسماء الشعراء وألقابهم ، كتاب الشعراء المشهورين ، تفضيل شعر امرئ القيس على (شعر الشعراء) الجاهليين ، الموازنة بين أبي تمّام والبحتري ، الردّ على ابن عمّار في ما خطّأ به أبا تمّام ، تبيين غلط قُدامة بن جعفر في كتاب نقد الشعر ، كتاب ما في عيار الشعر لابن طباطبا من الخطأ ، كتاب نثر المنظوم ، كتاب فرق ما بين الخاص والعام من معاني الشعراء ، كتاب في أن الشاعرين لا تتفقُ خواطرُهما .

٣ ــ المختار من آثاره

ــ من مقدمة الموازنة بين أبي تمّام والبحتري :

---

[1] الوقوف جمع وقف : أرض أو بناء ما يجعله أصحابه هبة موقوفة على أعمال الخير .

.... ووجدتُ – أطالَ الله عُمُرَكَ – أكثرَ من شاهدتَه ورأيتُه من رُواةِ الأشعار المتأخرين يزعُمون أنّ شعرَ أبي تمّام لا يتَعلّقُ بجيّدِه جيّدُ أمثاله ، ورديئُه مطروحٌ ومرذولٌ ، ولهذا كان مُختلفاً لا يتشابهُ ؛ وأنّ شعرَ الوليدِ ابن عُبيد الله البُحتريّ صحيحُ السبكِ حسنُ الديباج ليس فيه سَفْسافٌ ولا رديءٌ مطروحٌ ، ولهذا صارَ مُستوياً يُشبِهُ بعضُه بعضاً . ووجدتُهم فاضَلوا بينَهما لغَزارةِ شِعْرَيْهما وكثرةِ جيّدِهما وبدائعهما ؛ ولم يتّفقوا على أيّهما أشعرُ كما لم يتّفقوا على أحدٍ ممن وقعَ التفضيلُ بينهما من شُعراءِ الجاهليةِ والإسلامِ والمتأخّرين . وذلك كمَنْ فضّل البحتريّ ونَسَبَه إلى حَلاوةِ النّفَسِ وحُسْنِ التخلّص ووضعِ الكلام في مواضعه وصِحّةِ العبارة وقُربِ المأتى وانكشافِ المعاني ، وهُمُ الكُتّابُ والأعرابُ والشعراء المطبوعون وأهلُ البلاغة ؛ ومثل من فضّل أبا تمّام ونَسَبَه إلى غموض المعاني ودِقّتها وكثرة ما يُورده مما يُحتاج (فيه) إلى استنباطٍ وشرحٍ واستخراجٍ ، وهؤلاء أهلُ المعاني والشعراءُ أصحابُ الصنعةِ ومن يَميلُ إلى التدقيقِ وفَلْسَفِيّ الكلامِ .... وإنّهما لَمُختلفان لأن البحتريّ أعرابيّ الشعرِ مَطبوعٍ وعلى مذهبِ الأوائل ما فارقَ عَمودَ الشعر قطُّ ، وكان يتجنّبُ التعقيدَ ومُستَكرَهَ الألفاظِ ووَحشيّ الكلام .... ولأن أبا تمّامٍ شديدُ التكلّفِ صاحبُ صَنعةٍ ومُستَكرَهُ الألفاظِ والمعاني[1] ، وشعرُه لا يُشْبِهُ شعرَ الأوائل ولا (هو) على طريقتهم لِما فيه مِنَ الاستعاراتِ البعيدةِ والمعاني المُوَلّدة ....

ولست أُحِبّ أن أُطْلِقَ القولَ في أيّهما أشعرُ عِندي لتَبايُنِ الناسِ في العِلمِ واختلافِ مذاهبِهِم في الشعر .... فان كُنتَ – أدام اللهُ سلامتَكَ – ممن يُفَضّلِ سهلَ الكلامِ وقريبَه ويُؤثِر صِحّةَ السَّبْكِ وحُسْنَ العبارةِ وحُلْوَ اللّفْظ وكَثْرَةَ الماءِ والرونقِ فالبُحتريّ أشعرُ عِنْدَك ضَرورةً . وإنْ كُنْتَ تَميلُ إلى الصَنْعةِ والمَعاني الغامِضَةِ التي تُستَخرَجُ بالغَوْصِ والفِكْرة ثم لا تَلْوي على غيرِ ذلك فأبو تمّامٍ عندك أشعرُ لا مَحالةَ . فأمّا أنا فلستُ أُفْصِحُ بتفضيلِ أحدِهما على الآخرِ ، ولكنّي أُقارِنُ بينَ قصيدتين من شعرِهما إذا (اتفقتا) في الوزن والقافيةِ وإعراب القافيةِ ؛ وبينَ معنىً ومعنىً ، فأقولُ

---

١ المستكره : الشيء الذي يؤتى بـه كرهـاً أو اقتداراً (على غير المجرى الطبيعي العادي المألوف) .

أيّهما أشعرُ في تلك القصيدةِ وفي ذلك المعنى ثم احكُمْ أنتَ على جُمْلَةِ ما لكلِّ واحدٍ منهما إذا أحطتَ عِلماً بالجيّدِ والرديء .

٤ – الموازنة بين أبي تمّام والبحتري ، الاستانة (مطبعة الجوائب) ١٢٨٧ ﻫ ؛ بيروت (مطبعة جريدة الاقبال) الطبعة الثانية ١٣٣٢ ﻫ ؛ القاهرة (مكتبة محمّد علي صبيح) ١٩٢٨ ﻫ (١٩٣٢ م) ؛ (حقّق أصوله محمّد محيي الدين عبد الحميد) ، القاهرة (محمود توفيق) ١٩٤٤ م ؛ الموازنة بين شعر أبي تمّام والبحتري (تحرير أحمد صقر) ، القاهرة (دار المعارف) ١٩٦١ م .

المؤتلف والمختلف في أسماء الشعراء وكُناهم وألقابهم وأنسابهم وبعض شعرهم (بتصحيح فريتز كرنكو) مطبوع مع معجم الشعراء للمرزباني ، القاهرة (مكتبة القدسي) ١٣٥٤ ﻫ ؛ (تحقيق عبد الستّار أحمد فرّاج) ، القاهرة (البابي الحلبي) ١٩٦١ م .

•• الفهرست ١٥٥ ؛ معجم الأدباء ٨ : ٧٥ – ٩٣ ؛ إنباه الرواة ١ : ٢٨٥ – ٢٨٩ ؛ بغية الوعاة ٢١٨ ؛ بروكلمان ١ : ١١٢ ، الملحق ١٧١ – ١٧٢ ؛ زيدان ٢ : ٣٣٥ ؛ النثر الفنّيّ ٢ : ٨٢ – ٩٣ .

ابن نباتة الفارقيّ

١ – هو أبو يحيى عبدُ الرحيمِ بنُ محمّدِ بن اسماعيلَ الحُذاقيّ (نسبةٌ إلى قبيلة بني حُذاقة من قُضاعة أو من إياد) الفارقيّ (نسبةٌ إلى بلدِهِ ميّافارقين) .

وُلِدَ ابنُ نُباتةَ الفارقيّ في ميّافارقينَ سَنَةَ ٣٣٥ ﻫ (٩٤٦ – ٩٤٧ م) ، ولا نَعْرِفُ من أحداثِ حياتِه إلاّ أنه كان خطيباً في بَلاطِ سيفِ الدولةِ في حَلَبَ ، وهنالك لَقِيَ المتنبّي .

يَرْوي ابنُ نُباتةَ أنه رأى رسولَ الله في مَنامه وأن رَسولَ الله مَدَحه على خطبه وسمّاه « خطيباً » . والذي يَلْفِتُ النظرَ أنّ ابنَ نُباتةَ – فيما رُوِيَ – لم يَذُقْ بعدَ هذه الرؤيا طعاماً ولا شراباً ، ثم مات بعد ثمانيةَ عَشَرَ يوماً

في ميافارقين ، سنة ٣٧٤ هـ (٩٨٤ م) ، قبل أن يَبْلُغَ أربعين سَنَةً من العُمُر .

٢ – ابن نباتة الفارقي صاحب خُطَبٍ مِنْبَرِيَّةٍ :

الخُطبة المِنْبرية هي الخطبة التي تُلقى في صلاةِ الجُمُعة والعيدَيْنِ وفي النوازلِ العظيمة : في الخُسوف والكُسوف والزلازلِ وانحباسِ المَطر والمَوْتان والأمراض العامّة . وتتألّف الخُطبة المِنْبرية من خطبتين : خطبة أساسيّة وخطبةٍ ثانيةٍ أو لاحقةٍ يَجْلِسُ الخطيبُ بينهما بِضْعَ ثَوانٍ . وتبدأ كلّ خطبة بحمدِ الله وبالصلاةِ على رسولِ الله . ويتكلّم الخطيبُ في الخطبة الأولى على مَوْضوع من الموضوعات أو على حَدَثٍ من الاحداث أو على أمر من الأمور الجارية ممّا يَهُمّ المسلمينَ عموماً وخصوصاً . وتنتهي الخطبة الأولى عادةً بقراءة آيةٍ من آيِ القرآنِ الكريم أو حديثٍ من أحاديث رسولِ الله يَتَعَلّقانِ بموضوع الخطبة . وتشتمل الخطبة الثانية من الخُطبة المِنْبرية على دُعاء عامّ للمسلمين ودعاء خاصّ بالخليفةِ أو بالحاكم المحلّي والحُكّامِ الآخرينَ في العالم الإسلامي . وتنتهي الخطبة الثانية عادةً بقراءةِ آيةٍ من القرآن الكريم ، هي في العادة [1] : « إنّ اللهَ يَأْمُرُ بالعَدْلِ والإحسانِ وإيتاء ذي القُرْبَى ، ويَنْهَى عَنِ الفَحْشاءِ والمُنْكَرِ والبَغْيِ ، يَعِظُكُمْ لَعَلّكُمْ تَذَكّرون » .

وكان ابنُ نُباتةَ الفارقي خطيباً مُكثِراً لِحاجةِ سيفِ الدولةِ إلى كَثْرةِ تَحْريضِ الناسِ على الجهاد لِتَجْييشِ الجُيوشِ للغَزْوِ في بلادِ الروم ولِصَدّ الجيوش الرومية عن بلادِ الشامِ والعراقِ . وخُطَبُ ابن نباتةَ قريبةُ المعاني ظاهرةُ المقاصدِ واضحةٌ سهلةُ التركيبِ يستشعرُ السامعُ منها خَشْيةً دينيةً صادقةً . أمّا موضوعاتُ تلك الخطبِ فكان التذكيرَ بتقوى الله وبالموتِ والحثّ على طَلَبِ رِضْوانِ الله بالعمل الصالح والزُهد في الدنيا والسرور بالآخرة . وكان ابنُ نباتة يستمدّ موضوعاتِ الخُطَبِ من « الزمن الجاري » فلكلّ أسبوعٍ من كلّ شهر خُطبةٌ خاصّةٌ ، ولكلّ مناسبةٍ دينيةٍ : كعاشوراءَ ورَمَضانَ وعيدِ الفِطْرِ وعيدِ الأضحى خطبةٌ ، بالاضافةِ إلى ما يَحدُثُ في أثناء السنة من الأحداث

---

١ القرآن الكريم ١٦ : ٩٠ ، سورة النحل .

العارضة كالمعركة التي أسّر سيف الدولة فيها عدداً كبيراً من جنود الروم فيهم الدُّمُسْتُقُ (قائد جيوش الروم) : ابنُ أختِ الإمبراطور وقائد الجيش الرومي .

٣ ـ المختار من خطبه

ـ خطب ابن نباتة الفارقي يذكر الجهاد ويشير إلى أسر الدُّمُسْتُق :

الحمدُ للهِ الفائتِ حدودَ النُّعوتِ والأوصاف ، العائدِ بتجديدِ النعَم وخَفيِّ الألطاف ١ .... أحْمَدُهُ على نعَمه التي لا تُحْصى عَدداً ، وأشْهَدُ أنْ لا إلَهَ إلاّ اللهُ شَهادةً لا تنقطعُ أبداً ، وأشْهَدُ أنّ مُحمّداً عبدُه ورسولُه أرْسَلَهُ حين مَدَّ الشِقاقُ على القلوب ظُلَلَهُ ونصب للكافةِ بكل صِراط حِبِلَه ٢ .... صلّى اللهُ عليهِ وعلى آلهِ صلاةً يُنْجِزُ بها يومَ القيامةِ ما ضَمِن لَه ٣ ، وسَلَّمَ تَسليماً .

أيّها الناسُ : اتّقوا اللهَ تَقْوى مَنْ أنابَ اليه ، واحْذَروا مُخالَفَتَهُ حَذَرَ من يُوقِنُ بالعَرْضِ عليه ، واشْكُروا نِعَمَهُ يَزِدْكُمْ من فَضْلِه وسَعَةِ ما لَدَيْه ، واسألوه التوفيقَ فإنّ أزِمّةَ الأمورِ في يَدَيْه ٤ . واعلموا أنّ اخْتِلافَ الاهواء هاتِكٌ سُتورَ النَعْماء وباتِكٌ أسْباب الرجاء ومُؤْذِنٌ بحُلولِ البلاء . وما هَلَكَتْ أمّةٌ من الأمَمِ السالفةِ إلاّ بتَشاحُنِها وأهوائها المُتخالِفَة . فراقبوا اللهَ ، عِبادَ اللهِ ، في السِرّ والجَهْر ، وأخْلِصوا الضمائرَ في طاعة أولي الأمْر .... وانظروا إلى صَنيعِ اللهِ بِعَدُوِّكُمْ طاغِيَةِ الرومِ الذي ضلّتْ في انْتظامِ أحْواله ثَواقِبُ الأحْلامِ والفُهوم حينَ دَوّخَ الأقطارَ وفتحَ الأمصارَ وأخْرَبَ الديارَ وجاوَزَ بَغْيُهُ وعُتُوّه المِقدار . حتّى إذا ارْتَعَدَتْ منهُ فرائصُ الإسلامِ وخامَتْ عَنه جُيوشُ الإقدامِ .... وتقاعَسَتْ

---

١ اللطف الخفي : عناية الله بالإنسان من حيث لا يدري الإنسان وفوق ما ينتظر .

٢ الظلل جمع ظلة : القطعة العظيمة من الظلام أو من الغيم الذي يحجب كل شيء . الكافة : السواد الاعظم من الناس (خلاف الخاصة) . الصراط : الطريق الواسع المعبد (يسهل عليه السير) .

٣ ينجز لهم .... : يفي لهم بما وعدهم من المغفرة ودخول الجنة .

٤ أناب اليه : رجع إلى الله بالطاعة . من يوقن بالعرض عليه : يثق بأنه معروض أمامه يوم القيامة للمحاسبة على ما صنع في الدنيا . هاتك لستور النعماء : ممزق لأستار النعم (التي تمتد عليهم بالخير والبركة) . باتك : قاطع .

عن الفتك به صُروف الليالي والأيام ، ووقع اليأسُ من دَفْعه ، لَطَفَ اللهُ الكريمُ لكم بلَطيفِ صُنْعه ، وأتاه مِنْ مأمنِه وقتَلَهُ بأنصارِه في وَطَنِه : مِنّةٌ من الله لم تَسْتَوْجِبْها أفعالُنا ....

فالآنَ ، عِبادَ الله ، فاسْتَديموا بإصلاحِ السّرائرِ وقابِلوها بالإقلاعِ عن الصغائرِ والكبائرِ ، وخُذوا على أيْدي سُفهائكم [1] ، والزَموا طاعةَ وُلاتِكُمْ وأمرائِكُمْ ، وعُودوا بفَضْلِ أموالكم على فُقَرائكم ، وسُدّوا ثُغَرَكُم باتّفاقِ أخلاقِكم وآرائكم يُعْزِزْكُمُ اللهُ ويَنْصُرْكُمْ على أعدائكم ....

عَصَمَنا اللهُ وإيّاكُم بتَقْواه ، ووفّقنا وإيّاكم لما يُحبّه ويَرْضاه ، وجَمَعَ الكلمةَ على اتّباعِ هُداه .... إنّ أنْجَعَ الوَعْظِ وأنْهاهُ وأنفعُ الإنذارِ وأشْفاه [2] كلامُ مَنْ لا إله سواه . يا أيّها الذينَ آمنوا : أطيعوا اللهَ وأطيعوا الرسولَ وأولي الأمْرِ مِنْكُم ؛ فإنْ تنازَعْتُمْ في شيءٍ فرُدّوه إلى اللهَ والرسولِ ، إنْ كُنْتُم تُؤمنون باللهِ واليومِ الآخِرِ . ذلك خيرٌ وأحسنُ تأويلا [3] .

— خُطبةٌ من الخُطَبِ الثواني أو اللّواحق :

(بعدَ أن يُلْقيَ الخَطيبُ الخُطبةَ الأُولى — كالخُطبةِ السابقةِ — يَجْلِسُ بِضْعَ ثَوانٍ ثم يَنْهَضُ فيَخْطُبُ الخُطْبَةَ الثانيةَ) . قال ابن نباتة في خطبة من الخطب الثواني :

الحمدُ للهِ اتّباعاً لِمَا أمَرَ ، وأشْهَدُ أنْ لا إلهَ إلاّ اللهُ وَحْدَهُ لا شريكَ له إرغاماً لِمَنْ جَحَدَ بهِ وكَفَرَ . وأشْهَدُ أنّ مُحَمّداً عَبْدُهُ ورَسولُه سَيّدُ البَشَر . صلّى اللهُ عليه وعلى آلهِ ما اتّصلتْ عَيْنٌ بنَظَر . إن اللهَ أمَرَكُمْ بأمرٍ بَدَأ فيهِ بنفسِه وثنّى بملائِكته وأيّه بالمؤمنين من عِباده [4] ،

---

[1] الاقلاع : الامتناع ، ابطال ، ترك . الصغائر : الذنوب الصغيرة . الكبائر : الذنوب الكبيرة . خذوا على أيدي سفهائكم : امنعوهم من عمل الشر والاعتداء على الناس .

[2] أنجع : أنفع . أنهاه (على خلاف القاعدة) : أقدر وسيلة للنهي والزجر والمنع (عن الشر) . أشفاه (على خلاف القاعدة) أقربه إلى الشفاء وحسم الخلاف .

[3] القرآن الكريم ٤ : ٥٩ ، سورة النساء . — تنازعتم : اختلفتم في تفسير شيء أو في الفصل فيه . ردوه إلى الله ورسوله : ارجعوا فيه إلى حكم الله (في القرآن) وإلى رسول الله (في الحديث) . ذلك خير (لكم) وأحسن تأويلا (تفسيراً وتعليلا) .

[4] أيه : نادى ، خاطب بقوله تعالى : « يا أيها » .

فقالَ عزَّ مِنْ قائلٍ [١] : إنَّ اللهَ وملائكتَه يُصلّونَ على النبيِّ ؛ يا أيّها الذينَ آمنوا : صلّوا عليهِ وسلّموا تَسليماً .... اللّهمَّ : صلِّ على محمّدٍ وعلى آلِ محمّدٍ ، وارحَمْ محمّداً وآلَ محمّدٍ ، وبارِكْ على مُحمّدٍ وعلى آلِ محمّدٍ ، كما صلّيتَ وباركتَ وترحمتَ على إبراهيمَ وعلى آلِ إبراهيمَ ؛ إنّكَ حميدٌ مجيدٌ ....

اللّهُمَّ : أَصْلِحْ عَبْدَكَ وخليفَتَكَ أميرَ المُؤمنينَ بما أصلحتَ به الخُلفاءَ الراشدين المَهْدِيّينَ الذين قَضَوْا بالحقِّ .وكانوا به يَعْدِلون [١] . اللّهُمَّ : وأَصْلِحِ الأميرَ صَلاحاً تُعِزّ بهِ نَصْرَهُ وتُعْلي به قَدْرَه ، وتَرْفع به ذِكره . اللّهُمَّ : سَهِّلْ له سَبيلَ الظَفَرِ في الجهادِ وأَعِنْهُ على ذوي الكُفْرِ والعِناد .... إنّكَ كريمٌ جَوادٌ . اللّهُمَّ : سَدِّدِ الإسلامَ وثَقِّفْ أَوَدَهُ وشَيِّد بُنْيانَه وارْفَعْ عَمَدَه .... وضَعْضِعِ الكُفرَ ودَكْدِكْ سَنَدَه ، وشَتِّتْ شَمْلَه واقْطَعْ مَدَدَه ....

وبعد هذا يقول الخطيبُ مثلاً :

عِبادَ الله : إن الله يأمر بالعدل والإحسان (الآية ؛ ١٦ : ٩٠ سورة النحل) . أقم الصلاة .

٤ — ديوان خطب ابن نباتة (مشروحاً .... بقلم الشيخ طاهر الجزائري) ، بيروت (مطبعة جريدة الاقبال) ١٣١١ هـ .

ديوان خطب ابن نباتة ، القاهرة ١٨٨٢ م و ١٣٠٢ هـ .

ديوان خطب ابن نباتة ، بومبي ١٢٨٢ هـ .

•• وفيات الأعيان ١ : ٥٠٧ — ٥٠٩ ؛ شذرات الذهب ٣ : ٨٣ — ٨٤ ؛ بروكلمان ١ : ٩٢ ، الملحق ١ : ١٤٩ — ١٥٠ ؛ النثر الفنّي لزكي مبارك ٢ : ١٥٩ — ١٦٥ .

تميم بن المعز الفاطمي

١ — هو الأميرُ أبو عليٍّ تميمُ بنُ المُعِزِّ لدينِ الله الفاطميِّ ، وُلِدَ في

---

١ القرآن الكريم ٣٣ : ٥٦ ، سورة الأحزاب .

المَهْدية (القطر التونسي) سَنَةَ ٣٣٧ هـ (٩٤٨ م) .

كان تميمٌ أكبرَ إخوتِه ، ولكنّه لمّا مالَ إلى الفِسْق والفُجور والاستهتارِ بِهِما صَرَفَ أبوه الإمامةَ عنه[١] إلى أخيه نِزارٍ . ولمّا بُنِيَتِ القاهرة وانتقلتِ الدولةُ من القَيْروانِ إليْها ودَخَلها المُعِزّ الفاطميّ في رَمَضان سنة ٣٦٢ هـ (٩٧٣ م) كان تميمٌ مَعَهُ ، وعُمُره يومذاك خمسٌ وعشرونَ سَنَةً .

اتّخَذَ تميمٌ في مِصْرَ بساتينَ وقصوراً واستمرّ على مِنهاجِهِ في حياةِ اللّهْوِ وما يَتْبَعُ اللّهْوَ . ثمّ تُوُفّيَ والدُه المُعِزّ وخَلَفَه نِزارٌ العزيزُ (أخو تميمٍ) في ٥ ربيعٍ الثاني سنة ٣٦٥ هـ (١١-١٢-٩٧٥ م) فكانتْ صِلةُ الأخوَيْنِ حَسَنَةً ثم ساءتْ بأقوالِ الذين كانوا يُكثِرون من نَقْلِ أخبارِ تميمٍ إلى أخيه العزيزِ ، فنفى العزيزُ أخاه تميماً إلى الرّملة (فِلَسْطين) ؛ ثمّ إنه رَضِيَ عنه وأعادَه .

وكانت وفاةُ تميمٍ في القاهرةِ في ١٣ ذي القَعْدة ٣٧٤ هـ (١٠-٣-٩٨٥ م).

٢ — تميمُ بنُ المُعِزّ شاعرٌ مُكثِرٌ مُطيلٌ مُقْتَدِرٌ في التشابيهِ والاستعارات يَذْهَبُ فيها مذهبَ ابنِ المعتزّ : ألفاظُه فصيحةٌ وتراكيبه سهلَةٌ ، ولكنّ له تكلّفاً في تَطَلّبِ أوجهِ البلاغةِ والاستكثار منها . وعلى شعرِه شيءٌ من المَرَحِ . أما فنونُه فهي المدحُ والتهنئةُ لأبيه المُعِزّ وأخيه العزيزِ ، وله فخر بآلِه ونفسِه . ثم له رثاءٌ في بعضِ أهله وفي آل البيت . وله غَزَلانِ وخمرٌ يذهبُ فيها كلّها مذهبَ أبي نواسٍ مَعَ المُجونِ والزندقةِ . وله طَرْدِيّاتٌ وعِتابٌ وشكوى من الدّهر . ووصف الطبيعة عنده كثيرٌ أكثره على مِثالِ أوصافِ ابن المُعتزّ . ومَعَ أنه لم يَعِشْ طويلاً فانّ له زهداً يُظْهِرُ فيه الندمَ على ما بَدَرَ منه ويتخوّف من مَصيرِ المُذنبين في الآخرة .

٣ — المختار من شعره

— قال تميم بن المُعِزّ يصف نافورة في بستان (السجسج : ما لا حرّ فيه ولا برد) :

---

١ في أدب مصر الفاطمية لمحمد كامل حسين ، القاهرة (١٣٦٩ هـ — ١٩٥٠) ، ص ١٧٠ .

وقاذفةٍ بالماءِ في وسط بِرْكـة قد التحفَتْ ظِلاً من الأَيْكِ سَجْسَجا[1] ؛
إذا انبثقت بالماءِ سلّته مُنْصُلاً ، وعاد عليها ذلك النّصل هَوْدجا[2] .
تحاول إدراك النجوم بقذفهـا كأنَّ لها قلباً على الجوّ مُحْرَجا[3] .

– وقال يفتخر :

أنا ابنُ المُعزّ سليلِ العُلا وصِنوُ العزيزِ إمامِ الهدى[4] .
سما بي مَعَدٌّ إلى غايـة من المجد ما فوقها مُرتقى ،
فَرُحْتُ بها فاطميّ الجَنى حُسَيْنِيَّةٌ علَوِيّ الجَنَى (؟) .
ولست بِوانٍ إذا ما أمَرَّ زمانٌ ، ولا فَرِحٌ إن حَلا[5] .
إذا أصبح الموت حَتْماً فـلا تَخَفْهُ دنا وقتُه أو نأى .

– وقال في الخمر (وفيها زندقة) :

دع مقال العـاذلاتِ والْهُ عن سَعْي السُّعاة[6] ،
واشربِ الراح وشُبْهَـا بالثنـايا العَطِرات[7] ؛
وانْتَقِلْ ، ان شئتَ، تُفّا حَ رياض الوَجَنات[8] .
أنا ، مـا بـين نَداما يَ وراحي وسُقاتي ،
ثَمِلٌ لا أعرِفُ الصَحْـ ـوَ ولا وقتَ الصـلاة .
وإذا نَوّمني السُـكْـ ـر على تلك الهَيْات[9] .

---

١ الايك : شجر الاراك . سجسجاً : معتدلا ، ليس (ظله) حاراً ولا بارداً .
٢ – إذا خرج الماء من النافورة ارتفع دقيقاً كحد السيف ، فإذا وصل إلى غاية ارتفاعه انفرج واتسع حتى يصبح كالهودج .
٣ محرجاً : ضيقاً (قلقاً ، غضبان) .
٤ المعز والعزيز ومعد (في البيت التالي) من خلفاء الفاطميين .
٥ وان : تعبان ، قليل الهمة . أمر : صار مراً (اشتد الزمان علي) .
٦ السعاة جمع ساع : (هنا) الذي ينقل أخبار قوم إلى آخرين ليوقع بينهم العداوة .
٧ شبها – شب (بضم الشين وسكون الباء) امزج . ها (مفعول به راجع إلى الخمر) .
٨ انتقل – تنقل : أكل نقلا (بفتح النون) وهو حبوب وفستق (أنواع الجوز واللوز الخ) يأكلها السكارى عادة وهم يشربون الخمر .
٩ الهيات – الهيأة – الهيئة : ... على تلك الحال ، على ذلك الشكل .

لمْ يُنَبّهنّي سوى حِسُّ مَثاني الغانيات [1]
وغِناهنّ سُحيراً : «سقّينيها ، بحياتي [2] ! »

– وقال يصف النيلوفر (زنبق ينمو في الماء) :

وبِركة تزهو بنَيْلُوفر نسيمُه يشبه نَشْر الحبيبْ :
مُفتّح الأجفانِ في نومه ، حتّى إذا الشمس دنت للمغيب
أطبق جَفْنَيْه على خدّه وغاص في البِركة خوفَ الرقيب !

٤ – ديوان تميم بن المعزّ لدين الله الفاطمي ، القاهرة (دار الكتب) ١٣٧٧ هـ ، (١٩٥٧ م) .

•• يتيمة الدهر ١ : ٣٩٠ – ٣٩٨ ؛ وفيات الأعيان ١ : ١٧٢ – ١٧٣ ؛ أعيان الشيعة (٩ ١٩٣) ١٤ : ٣٠٨–٣٢٥ ؛ بروكلمان ١ : ٩١ ، الملحق ١ : ١٤٧ .

أبو الحسن الانباريّ

١ – هو أبو الحسنِ محمّدُ بنُ أبي محمد عُمَرَ بنِ يعقوبَ الانباريّ ، ولا نَعلَمُ من أحداثِ حياتهِ إلاّ أنّه كان أحدَ العُدولِ [3] في بَغْدادَ صديقاً لناصرِ الدولةِ أبي طاهرٍ محمّدِ بن بَقيّةَ وزيرِ عزِّ الدولةِ بَخْتِيارَ . وكان ابنُ بقيّةَ قد حرّض عزّ الدولة على قتال ابنِ عمّهِ عَضُدِ الدولة . فلمّا انتصر عضدُ الدولة سَمَلَ عَيْنَيِ ابنِ بقيّةَ ثمّ قتله – في حديثٍ طويل – في السادسِ من شوّالِ من سَنَةِ ٣٦٧ هـ (١٦–٥–٩٧٧ م) وصلبه . فرثاه أبو الحسن الأنباريّ . ولعلّ وفاة أبي الحسن الأنباريّ كانت ٣٧٥ هـ (٩٨٥ م) أو بعدها بقليل .

٢ – كان أبو الحسن الأنباريّ صوفيّاً واعظاً وشاعراً مُقِلاّ شُهِرَ بقصيدته

---

١ المثاني من أوتار العود . ... – لم ينبهني من نومي سوى عزف النساء الحسان على الآلات الموسيقية .
٢ أي وهن يغنين في الصباح (غير الباكر) : « سقنيها ، بحياتي ! » (أقسم عليك أن تسقيني خمراً) .
٣ العدول جمع عدل (بفتح العين وسكون الدال) وعادل : الرجل المنصف الذي يرضي الناس حكمه وشهادته .

في رثاء ابن بقيّة ، و «هي قصيدة مُستَحسَنة معروفة» . ولأبي الحسن الأنباري أبياتٌ تدلّ على براعته في الوصف [1] .

٣ – المختار من شعره

– قال أبو الحسنِ الأنباريّ يرثي محمّدَ بنَ بَقيّةَ :

عُلُوٌّ في الحياة وفي المماتِ ، لَحَقٌّ ، تلك إحدى المُعجزاتِ !
كأنّ الناسَ حولَكَ حين قاموا وُفودُ نَداكَ أيامَ الصِلاتِ [2] .
كأنّكَ قائمٌ فيهِم خطيباً وكلّهُمُ قِيامٌ للصَلاةِ .
مَددتَ يدَيْكَ نحوَهُمُ احتفاءً كمَدِّهما إليْهِم بالهِباتِ [3] .
ولمّا ضاق بَطْنُ الأرضِ عن أنْ يَضُمّ عُلاكَ من بعدِ الوَفاةِ ،
أصاروا الجوّ قبرَكَ ،واستَعاضوا عن الأكفانِ ثَوْبَ السافياتِ [4] .
لِعُظْمِكَ في النُفوسِ بَقيتَ تُرْعى
بحُفّاظٍ وحُرّاسٍ ثِقاتِ [5] .
وتُوقَدُ حولَكَ النيرانُ لَيْلاً – كذلك كُنْتَ أيامَ الحياةِ !
ولم أرَ قبل جِذْعِكَ قطُّ جِذْعاً تمكّنَ من عِناقِ المَكْرُماتِ [6] .
أسأتَ إلى النوائبِ فاسْتَثارتْ ، فأنت قتيلُ ثأرِ النائباتِ [7] .
وكُنْتَ تُجيرُ من صَرْفِ الليالي فصارَ مُطالِباً لكَ بالتِراتِ [8] .

---

١ ذكر الثعالبي (يتيمة الدهر ٢ : ٢٤٥) أن أبا الحسن الأنباري أخذ بعض معانيه من ابن الرومي .
٢ وفود نداك : الوفود (الآتية لنيل) نداك . الندى : الكرم . الصلة : العطية .
٣ الاحتفاء : المبالغة بالاكرام واظهار السرور (بالقادم) . الهبة العطية .
٤ السافيات : الريح (الشديدة) التي تحمل التراب .
٥ العظم (بضم العين) : الكبر ، علو المقام ، المكانة الرفيعة . ثقات جمع ثقة : (الرجل) الموثوق به . – خوفاً من أن ينزله الناس عن الخشبة التي صلب عليها (تحدياً لإرادة الدولة) .
٦ الجذع : ساق الشجرة الطويل (الخشبة التي يرفع عليها المصلوب) . العناق : المعانقة .
٧ استثارت : طلبت الثأر (لنفسها) . النائبات = النوائب : المصائب (كنت بكرمك وحسن معاملتك قد قضيت على المصائب) .
٨ أجار الرجل أخاه : جعله في جواره (منعه من الضيم ، دفع عنه المصائب) . صرف الليالي : حادث الدهر (المصائب) . فصار صرف الليالي مطالباً لك (طالباً لك ، ملاحقاً لك) بالترات (جمع ترة ، بكسر التاء وفتح الراء : ثأر) . – كنت تثأر الناس (تأخذ بحقهم) من الدهر فصار الدهر يثأر منك .

ولو أنّي قَدِرْتُ على قِيـامٍ — بفَرْضِك والحُقوقِ الواجبات .
ملأتُ الأرضَ من نَظْمِ القوافي — ونُحْتُ بها خِلافَ النائحات ١ ،
ولكنّي أُصَبِّرُ عنك نفسـي — مَخافةَ أن أُعَدَّ من الجُناة ٢ .
وما لك تُرْبَةٌ فأقولَ تُسْقَى ، — لأنّك نُصْبُ هَطْلِ الهاطلات٣ .
عليك تَحِيّةُ الرحمن تَتْـرى — برَحْماتٍ غَوادٍ رائحـات ٤ .

لم أعثر لأبي الحسن الأنباري على تاريخ وفاة ولا على ترجمة مفصّلة . وأكثر ما نجد شيئاً عنه عند الكلام على مقتل ناصر الدولة أبي طاهر محمّد بن محمّد بن بقيّة الذي قتله عضد الدولة بن بويه في السادس من شوّال من سنة ٣٦٧ هـ ؟

٤ — •• يتيمة الدهر ٢ : ٣٤٤ — ٣٤٦ ؛ راجع تاريخ بغداد ٣ : ٥٣ ؛ حياة الحيوان للدميري (القاهرة ، المطبعة الميمنية ١٣٠٥ هـ) ١ : ٨٦ ؛ وفيات الأعيان ٢ : ٤٧٤ — ٤٧٧ (في ترجمة محمّد بن بقيّة) ؛ الصفدي ١ : ١٠٠ وما بعد ؛ شذرات الذهب ٣ : ٦٣ — ٦٤ ، راجع أيضاً تاريخ الكامل لابن الأثير (أخبار سنة ٣٦٧ هـ) ؛ تاريخ ابن عساكر ، الخ .

ابو عليّ الفارسيّ

١ — هو أبو عليٍّ الحسنُ بنُ عليِّ بنِ أحمدَ بنِ عبدِ الغفّارِ الفَسَوِيّ الشيرازيّ ، وُلِدَ سَنَةَ ٢٨٨ هـ (٩٠٠ م) في مدينة فَسا (أو بَسا) لأبٍ

٢ النائحة : المرأة التي تبكي زوجها (أو ابنها أو أخاها الخ) .
٩ مخافة أن أعد من الجناة (الذين يقتلون أنفسهم بالحزن) .
١ ما لك (ليس لك) تربة (مكان في الأرض يدفن فيه الناس) . فأقول تسقى : أقول سقى الله تربتك ! نصب : منصوب، مرفوع . الهطل : نزول المطر متتابعاً، متوالياً . الهاطلة : السحابة يتوالى منها سقوط المطر .
٢ تترى : متوالية ، متتابعة . غواد جمع غادية : السحابة الحاملة للمطر في الصباح . الرائحات جمع رائحة : السحابة الحاملة للمطر في المساء .

فارسيّ وأمٍ من الجالية العربية تَنتمي إلى بني سَدوس بن شَيْبانَ من ربيعةِ الفرَسِ .

في سَنَةِ ٣٠٧ هـ (٩١٩ م) جاء أبو عليٍّ الفارسيّ إلى بَغدادَ ودَرَسَ على الزجّاجِ وابنِ السرّاجِ . وفي سنة ٣٤١ هـ (٩٥٢ م) جاء إلى حَلَبَ ، إلى بَلاط سيف الدولة . ثم إنّ عَضُدَ الدولة استدعاه إلى شيراز ليُؤدِبَ أبناءَ أخيهِ خُسْروَهْ (كِسْرى) فنالَ حَظوة عند عَضُدِ الدولة وألّف له الإيضاحَ والتكملةَ .

وكانتْ وفاةُ أبي عليٍّ الفارسيِّ في بغدادَ في أوائلِ سنة ٣٧٧ هـ [1] (في صيف ٩٨٧ م) .

٢ — كان أبو عليٍّ الفارسيّ إمامَ وقتهِ في النحو ، وكانتْ له في علمِ اللغة العربيةِ تَخريجاتٌ جيادٌ . وربّما نَظَمَ شعراً مقبولاً . وكتبه كثيرةٌ منها : كتاب تفسيرِ قولهِ تعالى [2] : « يا أيها الذين آمنوا : إذا قُمْتُمْ إلى الصلاة .... » ، كتاب التتبّع لكلام أبي عليّ الجُبّائي [3] في التفسير ، كتاب الحجّة (في القراءات) ، كتاب الإيضاح (في النحو ، ألّفه لعضد الدولة ، فلم يجد فيه عضد الدولة إلاّ أشياءَ يسيرةً معروفةً فألّف له أبو عليٍّ الفارسيّ بعدَ ذلك كتابَ التكملةِ (لكنّ كتابَ التكملة كان كثيرَ الغموض) ، كتاب التذكرة ، كتاب الإغفال (وهو مجموع مسائل في المعاني أصلحها أبو عليّ الفارسيّ على أستاذه الزجّاج) ، كتاب المقصود والممدود ، كتاب الترجمة . ثم له كتب عديدة تُعْرَف بالمسائل (لعلّها في موضوعاتٍ مختلفةٍ كان أبو عليّ الفارسيّ يستدرك فيها على العلماء) منها : المسائل المنثورة ، المسائل (البَغدادية) ، المسائل الحلبية (ألّفها لسيف الدولة) ، المسائل الشيرازية (ألّفها لعَضُد الدولة) ، المسائل البصرية ، المسائل العسكرية ، المسائل المُصْلَحة من كتاب ابن السرّاج ، كتاب الشعر (أو الايضاح الشعري ، ألّفه لعضد الدولة) .

---

١ في تاريخ الكامل (٩ : ٣٦) : سنة ٣٧٦ هـ .

٢ القرآن الكريم ٥ : ٧ ، سورة المائدة .

٣ أبو علي محمد بن عبد الوهاب الجبائي (تلفظ باسقاط الألف) : أحد أئمة المعتزلة (٢٣٥ — ٣٠٣ هـ) .

٣ – المختار من شعره ونثره

– قال أبو عليّ الفارسي في الشيب :

خَضَبْتُ الشَيْبَ لمّا كان عَيْباً ؛ وخَضْبُ الشيبِ أوْلى أن يُعابا
ولم أخْضِبْ مَخافَةَ هَجْرِ خِلٍّ ، ولا عَيْباً خَشِيتُ ولا عِتابا .
ولكنّ المَشيبَ بـدا ذَميمـاً فصَيّرتُ الخِضابَ له عِقـابا !

– وصف كتاب الحجّة : ألف أبو عليٍّ الفارسيّ هذا الكتابَ في الرّيِّ للصاحبِ بنِ عَبّادٍ وكتب إلى الصاحب على ظهر هذا الكتاب (شِبْهَ إهداءٍ مَعَ رَغبةٍ في شيءٍ من التقريظ) :

« أطالَ اللهُ بقاءَ سيّدِنا الصاحبِ الجليلِ ، أدامَ اللهُ عِزّه ونَصْره وتأييده وتمْكينه : كتابي في قُرّاء[1] الأمصارِ الذين بيّنتُ قراءاتِهم في كتاب أبي بكرٍ أحمدَ بنِ موسى ، المعروفِ بكتاب السَّبْعة[2] . فما تضمّنَ من أثرٍ وقِراءة ولُغةٍ فهو عن المشايخ الذين أخذْتُ ذلك عنهم وأسْنَدتّه إليهم . فمتى أثَرَ[3] سيّدُنا الصاحبُ الجليلُ – أدامَ الله عِزّه ونَصرَه وتأييدَه وتمكينه – حكايةَ شيءٍ منه عَنْهم ، أو عنّي ، لهذه المُكاتبةِ فعَلَ .

٤ – أسماء الأفعال (نشره يوهانّس روديغر) هالّه ١٨٧٠ م .

•• أبو علي الفارسي ، حياته الخ ، تأليف عبد الفتّاح اسماعيل شلبي ، القاهرة (مكتبة نهضة مصر) ١٣٧٧ هـ .

الفهرست ٦٤ ؛ طبقات الزبيدي ٨٦ ؛ تاريخ بغداد ٧ : ٣٤١ – ٣٤٢ ؛ معجم الأدباء ٧ : ٢٣٢ – ٢٦١ ، وفيات الأعيان ١ : ٢٣٢ – ٢٣٤ ؛ بغية الوعاة ٢١٧–٢١٦ ؛ إنباه الرواة ١ : ٢٧٣ – ٣٧٥ ؛ شذرات الذهب ٣ : ٨٨ – ٨٩ ؛ بروكلمان ١ : ١١٦ ، الملحق ١ : ١٧٥ – ١٧٦ ؛ زيدان ٢ : ٣٥٠ – ٣٥١ ؛
Enc . Isl (new ed) II 802 - 803

١ قراء القرآن الكريم (الذين يحفظون القرآن ويقرأونه ويقرئونه للناس)
٢ بعض الالفاظ في القرآن الكريم تقرأ على وجهين معينين معروفين أو أكثر . ومجموع أوجه القراءة المتفق لعدد من من الالفاظ لا تزيد على سبع (تسمى سبعة أحرف) ، غير الشواذ .
٣ أثر : روى ، نقل عن .

الخالديّان

١ – الخالديّان أخَوان كانتْ لهما حياةٌ أدبيةٌ واحدةٌ ، وهما : أبو بكرٍ محمّدُ بنُ هاشمٍ بن وعلةَ بن عثمانَ بن بَلالٍ بن خالدٍ بن عبدمُنبّهٍ من بني عبد القَيْس ، ثم أخوه أبو عثمانَ سعيدٌ .

وُلِدَ الخالديانِ قُرْبَ المَوْصلِ ، في قرية اسمها الخالديّة فيما يبدو . وإذا صحّتْ رواية ياقوتُ (معجم الأدباء ٣ : ١٠٦) ، وهي أنّ أبا بكرٍ محمداً ، وهو أسنّ الأخَوين ، قد شَهِدَ مُناظرةً جرتْ في مجلس الوزيرِ أبي الفتح الفَضْل بن جعفرٍ بن الفُراتِ بين الفيلسوفِ متّى بن يُونس وبين أبي سعيد السيرافي ، في سنة ٣٢٠ هـ (٩٣٢ م) ، فيجبُ أن يكونَ مولدهُ قبل أنِ انْصَرَمَ القرنُ الهجريّ الثالثُ بزمنٍ كيما يُتاحُ له أن يَدْخُلَ مجلسَ الوزيرِ لِمِثْلِ تلك المناسبة .

وتَذْكُرُ الرواياتُ أن الأخَوَيْنِ تلقّيا العِلم على أبي بكرٍ محمدِ بنِ منصورٍ الخياطِ النحوي (توفي ٣٢٠ هـ) وعلى ابن دُريدٍ (توفي ٣٢١ هـ) وجَحْظَةَ البرمكي (توفي ٣٢٤ هـ) والصولي (توفي ٣٣٥ هـ) . ولعلّهما لم يُدْرِكا جحظة البرمكيّ مثلاً ، كما يَرى سامي الدهانُ [١] ، بل كانا يأخذانِ من كُتبه فقط .

واتّصل الخالديانِ ببِلاطِ سيف الدولة قَبْلَ أنْ دَخَلَه المتنبي (٣٣٧ هـ = ٩٤٨ م) وبَقيا فيه بعدَ أن غادَره المتنبّي (٣٤٦ هـ = ٩٥٧ م) .

وفي نحو سَنَةَ ٣٤٩ هـ تولّى ابو اسحق الصابي ديوانَ الرسائل للوزيرِ المُهلّبي ، وكانت بينه وبين الخالديَّيْنِ مودةٌ ، وكان هو بهما مُعْجَباً ؛ واتفقَ أن وَقَعَتْ وَحْشةٌ بين سيفِ الدولة والخالديين وافقتْ تمهيدَ الصولي لهما للاتصال بالمُهلبي ، فغادرا حلَبَ إلى بَغدادَ . ثم تُوُفّيَ المهلّبيّ سنة ٣٥٢ هـ (٩٦٣ م) وغابتْ أخبارُ الخالديين ؛ ولا يُستَبْعَدُ أن يكونا قد انقطعا بعدَ ذلك إلى التصنيف .

وشِبْهُ المُجْمَعِ عليه أن أبا بكرٍ الخالديّ توفّي سنة ٣٧٠ أو سنة ٣٧١ هـ (٩٨١ م) وأن أبا عثمانَ توفّي في حُدود سنة ٤٠٠ هـ (١٠٠٩ م) . غير أن

---

١ كتاب التحف والهدايا ، م ٢٥ . ويستبعد جداً أن يكون أبو عثمان قد أدرك ابن دريد وسمع منه .

سامي الدهانَ (التحف والهدايا م ٢٢ ، م ٢٥) يَميل إلى جعل وَفاتَيْهما بين سنة ٣٨٠ و ٣٩٠ هـ (٩٩٠ — ٩٩٩ م) .

٢ — قال الثعالبي في الخالديين : « كانَ يَجْمَعُهما من أُخُوّة الأدب مثلُ ما يَنْظِمُهما من أخوّة النسب . فهما في الموافقة والمساعدة يَحْيَيان بروح واحدة . ويشتركان في قَرْض الشعر وينفردان . ولا يكادانِ في الحَضَرِ والسَفَرِ يَفترقان » . ثم هما شاعران مُحْسنان مُجيدان رقيقان ، في شعرهما تأنّق ولفتاتٌ بديعة . وأما فنونهما فهي المديح والهجاء والخمر والغزل . وكانا يهاجيان السريّ الرفّاء مهاجاة عنيفة .

وقد أكثرَ الرواةُ ونُقّادُ الأدب في أخذِهما من الشعراء مَعانيَ يصوغانها صياغةً أسنى أو أدنى وأبياتاً ومقاطع ليست لهما يَنْتَحلانها . والذي يتلمّسُ شعرَهما (يتيمة الدهر ٢ : ١٦٥ — ١٩٣) يَرى أنهما يُلِمّانِ بمَعاني الشعراء من أمثال أبي نواسٍ وأبي تمّامٍ والبُحتريّ وابن المعتزّ وسواهم إلماماً قريباً ثم يُلْقيان عليها تَراكيبَ أسهلَ وألْيَنَ . ففضلُهما في اللّفْظ العَذْبِ لا في المعنى المُقْتَنَص .

وأما نثرُهما فعليه أثرٌ من أسلوب الجاحظ .

وكان الخالديّان مُصَنِّفَيْنِ لهما : التحف والهدايا ، حماسة الخالديين (الأشباه والنظائر) ، حماسة شعر المحدثين ، أخبارُ المَوْصل ، اختيار شعر بشّار ، أخبار أبي تمّام ومحاسن شعره ، اختيار شعر البحتري ، اختيار شعر ابن الرومي ، اختيار شعر مسلم بن الوليد وأخباره ، اختيار شعر ابن المعتزّ والتنبيه على معانيه ، كتاب الديارات ، الخ .

٣ — المختار من شعرهما ونثرهما

أ — من شعر أبي بكرٍ محمّدِ بن هاشمٍ الخالديّ :

قام ، مِثْلَ الغُصُنِ المَيّا — دِ في غَضّ الشَبابِ ،
يَمزُجُ الخمرَ لنا بالصَفْـ — ـوِ من ماء الشراب[1] .
فكأنّ الكأسَ ، لمّا — ضَحِكَتْ تَحتَ الحَباب ،
وَجنةٌ حمراءُ لاحتْ — لك من تحت النِقاب !

---

١ لعلها من ماء السحاب .

– وسحاب يَجرُّ في الأرضِ ذَيْلَــيْ مُطْرَفٍ زِرّه على الأرضِ زِرّا ؛
بَرْقُه لَمْحةٌ ، ولكنَّ لـه رَعْـــدَاً بَطيئاً يكسو المسامع وَقْــرا :
كخليليَّ مُنافق للـذي يَهْـوَاه يَبْكي جَهْراً ويَضْحَكُ سرّا .

– يا مُعيري بالصدِّ ثَوْبَ سَقامٍ ، أنتَ همّي في يَقْظتي ومنامي ،
أنت أُمْنِيَّتي ، فإنْ رُمْتُ غَمْضاً سلّمتْكَ المُنى إلى الأحلام !

– يا خليليَّ ، مَنْ عَذيري من الدُنْـيا ومن جَوْرِها عليَّ وصبري ؟
عَجَباً ، إنّني أُنافِسُ في عُمْـرانِ أيّامِها وتَخْرِبُ عُمْري !

ب – من شعر أبي عثمانَ سعيدِ بنِ هاشمٍ الخالدي ، وقد كان يتشيّع ويُدْخل المداركَ الشيعيةَ في شعره :

وحَمائِمٍ نَبّهْنَنــي والليلُ داجي المَشْرِقَيْنِ ؛
شَبّهْتُهُنَّ ، وقدْ بَكَيْـنَ وما ذَرَفْنَ دموعَ عَيْنِ :
بِنِساءِ آلِ مُحمّــدٍ لما بَكَيْنَ على الحُسَيْنِ !

– ومن القول البارع في استنجاز العَطاءِ قولُ أبي عثمان الخالدي (اليتيمة ٢ : ١٩٣) :

أهُزُّكَ ، لا أنّي عَرَفْتُكَ ناسِياً لوَعْدٍ ، ولا أنّي أرَدتَ التقاضيا ؛
ولكنْ رأيْتُ السيفَ من بَعْدِ سَلّه إلى الهزِّ مُحتاجاً وإنْ كان ماضيا !

– ومُدامٍ كَسَتِ الكـأ سَ من النُورِ وِشاحا .
ظَهَرَتْ في جُنْحِ ليـلٍ فكأنَّ الفَجْـر لاحا .
لم يَكُنْ وقتُ صباحٍ فحَسِبْناهُ صَباحـا !

جـ – من مقدمة الأشباه والنظائر (ص ٢):

.... فلسنا نطعن على (الشعراء) المُحْدَثين ، ولا نَبْخَسُهم تجويدَهم ولُطْفَ تدقيقِهم وطريفَ معانيهم وإصابة تشبيههم وصِحّة استعاراتهم . إلا أنّا نَعْلَم أن الأوائلَ من الشُعراء رسموا رسوماً تَبِعها مَنْ بَعْدَهم وعوّل عليها من قَفَا أثرَهم . وقلَّ شِعْرٌ من أشعارهم [١] يَخلو من معانٍ صحيحة وألفاظٍ

١ الملموح : من أشعار الجاهليين .

فصيحة وتشبيهات مصيبة واستعارات عجيبة . ونحن – أطالَ اللهُ بقاءك وكَبَتَ بالذُلّ أعداءك – نُضمِّنُ رسالتَنا هذه مُختارَ ما وقع إلينا من أشعار الجاهلية ومَنْ تَبِعَهم من المخضرمين ، ونجتنب أشعارَ المَشاهير لكثرتها في أيدي الناسِ فلا نَذْكُرُ منها إلاّ الشيءَ اليسيرَ ولا نُخليها من غُرَرِ ما رَوَيْنا للمُحْدَثين ، ونذكُرُ شيئاً من النظائرِ إذا وَرَدَتْ والإجازاتِ إذا عَنَّتْ . ونتكلّم على المَعاني المُختَرعة والمُتْبعَة . ولا نَجْمَعُ نظائرَ البيتِ في مكانٍ واحدٍ ، ولا المعنى المسروقَ في موضعٍ ، بل نجعلُ ذلك في موضع ذِكْرِه .... »

(ومعنى الجملة الأخيرة غامض ، ولكنه يتّضح إذا قرأنا في الصفحة ٢٠٦) :

لولا أننا شرَطْنا ألاّ نُقَدِّمَ في هذا الكتابِ إلا أشعارَ المُتقدمين ، ثم نأتيَ بعدَ ذلكَ بالنظائرِ للمُحْدَثين والمُتَقدمين [1] .

٤ – المختار من شعر بشّار (اعتنى بنسخه محمّد بن بدر الدين العاوي) ، القاهرة (مطبعة الاعتماد) ١٣٥٣ هـ (١٩٣٤ م) .

التحف والهدايا (بتحقيق سامي الدهّان) ، القاهرة (دار المعارف) ١٩٥٦ م .

الأشباه والنظائر (حقّقه محمّد يوسف) ، القاهرة (لجنة التأليف والترجمة والنشر) ١٩٥٨ م .

•• الفهرست ١٦٩ ؛ يتيمة الدهر ٢١ : ١٦٥ – ١٩٤ ؛ معجم الأدباء ١١ : ٢٠٨ – ٢١٢ ؛ فوات الوفيات ١ : ٢١٨ – ٢٢٠ و٢ : ٣٣٩ ؛ أعيان الشيعة ٤٧ : ١٠٧ – ١٠٩ ؛ بروكلمان ١ : ١٥٣ ، الملحق ١ : ٢٢٦ ؛ زيدان ٢ : ٣٣٦ .

أبو أحمد العسكري

١ – هو أبو أحمدَ الحسنُ بنُ عبدِ اللهِ بنِ سعيدِ بن زيد بن حكيمٍ

---

١ نورد أولا الأبيات الجاهلية ذات المعنى المبتكر في غرض من الاغراض ، ثم نأتي بالأبيات المحدثة التي التي قيلت في الاغراض نفسها وشابهت الابيات الجاهلية في سياقة المعنى .

العسكريّ اللّغويّ ، وكان خالَ أبي الهلال العسكري المشهور .

وُلِدَ الحسنُ بنُ عبدِ الله بنِ سعيد في ١٦ شوّال سنة ٢٩٣ هـ (١١-٨-٩٠٦ م) في عسكر مُكْرَمٍ . وكان له مشايخُ كثارٌ أخذ عنهم ، منهم أبو بكر ابن دُريد وأبو بكر الصولي وأبو محمّدٍ عبدانُ الاهوازي ونِفْطويهِ وأبو القاسم البَغَويّ وأبو حاتمٍ السِجِسْتاني . ثم جلس للإملاء في عسكر مُكرَمٍ وتُستَرَ وما جاورهما وزار أصفهانَ مِراراً . في هذه الأثناء كلّها كان يبيعُ البزّ (الثيابَ من الحرير) ليعيشَ من كَسْبِ يده نَزاهةً عن أن يتكسّب بالأدب .

وارتفعتْ مَكانةُ أحمدَ العسكريِ وذاعتْ شُهرته حتّى قَصَدَه الصاحبُ بن عبّادٍ وفخرُ الدولة بن بُوَيْهِ في عسكرِ مَكْرَمٍ ، سنة ٣٧٩ هـ (٩٨٩ م) .

وكانت وفاةُ أحمدَ العسكري في ٧ من ذي الحِجّة من سنة ٣٨٢ هـ (٣-٢-٩٩٣ م) ، وقيل في ٩ من ذي الحِجّة من سنة ٣٨٧ هـ (ابن الأثير ٩ : ٥١) .

٢ - كان أبو أحمد العسكري راويةً للأدب متصرّفاً في أنواع الفنون جيّدَ التأليف حَسَنَ التصنيف ذوّاقةً للشعرِ والنثر عارفاً بالنقد مَعَ سَعَةٍ في الرواية وكثْرةٍ للمحفوظ . على أن الأدب والشعر غلبا عليه . وقد كان يَنظِم الشعر أيضاً .

ولأبي أحمد العسكري من الكتب : المُختلف والمؤتلف (من أسماء الرجال وكُناهم ، مما يشتبه على الرواة والأدباء) ، ما لَحَنَ فيه الخواصّ من العلماء ، علم النظم (صِناعة الشعر) ، الحِكَم والأمثال ، الزواجر والمواعظ ، عِلْم المنطق ، تصحيح الوجوه والنظائر ، راحة الأرواح ، الورقة ، المصون في الأدب ، شرح ما يقع فيه التصحيف والتحريف .

٣ - المختار من كلامه

- من كتاب المصون في الأدب (ص ٥٧) :

- العرَبُ تُشَبِّهُ على أربعةِ أضْرُبٍ : تشبيهٌ[١] مُفْرط وتشبيه مُصيب وتشبيه مُقارِب وتشبيه يحتاج إلى التفسير لا يقوم بنفسه . فمن المفرط قولُهم للسّخيّ : هو كالبحر ، وسما حتّى بلَغ النّجْم . ثمّ زادوا في ذلك ، فمنه

---

١ كذا في الأصل ؛ والأصوب : تشبيهاً .

قول بعضهم [1] :

له هِمَمٌ لا منتهى لكِبارِها، وهِمّتُه الصّغرى أجلّ من الدهر ....

ومن تشبيههم المتجاوز الجيّد قوله [2] :

أضاءتْ لهم أحسابُهم ووجوهُهم دُجى الليلِ حتّى نَظّم الجَزْعَ ثاقِبُهْ .

٤ ــ التصحيف والتحريف وشرح ما يقع فيه ، القاهرة (مطبعة الظاهر)١٩٠٨ م ؛
شرح ما يقع فيه التصحيف والتحريف (تحقيق عبد العزيز أحمد) ، القاهرة
(مصطفى البابي الحلبي) ١٩٦٣ م .
المصون في الأدب (تحقيق عبد السلام محمّد هارون) ، الكويت (دائرة
المطبوعات والنشر) ١٩٦٠ م .

●● معجم الأدباء ٨ : ٢٣٣ ــ ٢٥٨ ؛ وفيات الأعيان ١ : ٢٣٤ ــ ٢٣٥ ؛
إنباه الرواة ١ : ٣١٠ ــ ٣١٢ ؛ بغية الوعاة ٢٢١ ؛ شذرات
الذهب ٣ : ١٠٢ ــ ١٠٣ ؛ بروكلمان ١ : ١٣١ ــ ١٣٢ ، الملحق
١ : ١٩٣ . Enc . Isl . I 712

أبو بكرٍ الخوارزميّ

١ ــ هو أبو بكرٍ مُحمّدُ بنُ العبّاس الخوارِزميُّ ، ويُقالُ له أيضاً الطَبَرْخَزِيّ لأنّ أباه كان من خَوارِزْمَ ، وكانت أمّه من طَبَرِستانَ أختاً للمؤرخِ مُحمّدِ بنِ جريرٍ الطَبَريّ (توفي ٣١٠ هـ = ٩٢٣ م) ، فنُحِتَتْ له نِسْبَة مِن اسْمَيْ البَلَدَيْنِ .

وُلِدَ أبو بكرٍ الخوارِزميّ سَنَةَ ٣٢٣ هـ (٩٣٥ م) في خَوارِزْمَ . ولمّا شَبّ بدأ يَتَطَوّفُ في البلاد في سبيل العِلْم والمالِ . وقدْ أقامَ حيناً في الشامِ واتّصل بسيفِ الدولةِ . ثمّ انه غادَرَ حَلَبَ إلى بُخارى واتّصل بأبي عَليّ البَلْعَميّ وزيرِ منصورِ (الأول) بنِ نوحٍ السامانيّ (٣٥٠ ــ ٣٦٦ هـ) ، ولكنّه فارَقَهُ وَشيكاً وذهب إلى نيسابور . ثمّ اسْتَأنَفَ رِحْلَةً إلى سِجِسْتانَ ولكنّه

[1] بيت من ثلاثة أبيات لبكر بن النطاح ؛ راجع ، فوق ، ص ٢٣٨-٢٤٠ .
[2] البيت لأبي الطمحان القيني ؛ راجع الجزء الأول ، ص ٣١٦ .

لم يُسَرّ فيها فهجا وَالِيَهَا طاهرَ بنَ محمّد فأُلقِيَ في السجن مُدّةً . بعدئذ قَصَدَ الصاحبَ بن عبّاد في أرّجانَ ، ولكنّه هجاه أيضاً وغادرَ أرّجانَ . ثم عاد إلى نيسابور ؛ فلمّا لم يَنَلْ حظْوة عندَ الوزيرِ أبي نصرٍ العُتْبيّ هجاهُ ، فصادرَ العُتبيُّ أموالَه وألقاه في السجن . ولكن الخوارزميّ استطاعَ أن يَنْجُوَ مِنَ السجْنِ وهَرَبَ إلى جُرْجانَ . فلمّا قُتِلَ العتبي (؟) خلَفَه أبو الحسنِ المُزَنيّ فاستقدمَ الخوارزميّ إلى نيسابور ، فقد كان صديقاً له ومُحِبّاً ، ثمّ عَوّضَهُ عمّا كان قدْ صُودِرَ من أمواله .

وتعرّضَ أبو بكرٍ الخوارزميّ في أواخر أيامه لمُنافسة بديعِ الزمانِ الهَمَذانيّ ونالَه من جرّاء ذلك أذىً كبيرٌ ، وخصوصاً في المناظرة المشهورة [1] .

وكانت وفاةُ الخوارزمي في نيسابور في مُنتصفِ رَمَضانَ من سَنَة ٣٨٢ هـ (٩٩٣ م) في الأغلب .

٢ – أبو بكرٍ الخوارزميّ أديبٌ شاعرٌ ناثرٌ . لقد كان إماماً في اللغة عالماً بأشعار العرب عارفاً بأنسابها وأخبارها كثيرَ الحفْظ للأشعار . أما شعْره القليلُ الذي سَلِمَ من الضَيَاعِ فهو أقربُ إلى شعْرِ الكُتّابِ منه إلى شعر الشُعراء المطبوعين : إنه حَسَنُ المعاني قويّ السَبْكِ صافي الأُسلوبِ ولكنّه قليلُ الروْنق والطلاوة . ومن فنونِ شعره الهجاءُ والمديح والرثاء مَعَ شيء من الحكم المنثورةِ فيها . وأما نثْره فكان تَرَسُّلاً ، وكانَ أسْمى طبَقَةً من شعره . ومَعَ جودَةِ رَسائله فإنّنا نرى عليْها شيئاً من الجفاف والجفاء إذا قيستْ برسائلِ بديعِ الزمانِ الهَمَذانيّ . وأبو بكرٍ الخوارزميّ يتكلّف الصناعة في رسائله ، ولكنّه يُصيبُها في أحيانٍ كثيرةٍ . ويقْصِدُ إلى الفُكاهة والتهكّم فيُجيدُهما حيناً .

٣ – المختار من شعره ونثره

– قال الخوارزميّ يرثي رُكْنَ الدولة الحسنَ بن بُوَيْه :

أَلَسْتَ ترى السيفَ كيفَ انثَلَمْ ورُكْنَ الخلافةِ كيف انهدَمْ .
طوى الحَسَنَ بنَ بُوَيْهِ الرّدى ؛ أيَدْري الرّدى أيَّ جيْشٍ هزم [2] !

---

[1] راجع ترجمة بديع الزمان الهمذاني .
[2] الردى : الموت .

فصيحُ اللسانِ بديعُ البَيانِ رَفيعُ السِنانِ سريعُ القلم[1] .

إذا تَمَّ شيءٌ بدا نَقْصُهُ ؛ تَوَقَّعْ زَوالاً إذا قيلَ تَمّ !

— وقال يذكر ضَعْفَ خلفاءِ بني العبّاس :

أما رأيتَ بني العبّاسِ قد فتَحوا مِنَ الكُنى ومن الألقابِ أبْوابا ؟

ولَقّبوا رَجُلاً لو عاشَ أوّلُهم ما كان يَرْضى به للقَصْرِ بوّابا[2] !

قلَّ الدراهمُ في كَفّيْ خَليفتِنا هذا فأنْفَقَ في الأقوامِ ألْقابا .

— وقال أبو بكر الخوارزمي يَصِفُ والياً ظالماً عاتياً :

وَرَدَ علَيْنا فُلانٌ ونحنُ نيامٌ نومَ الأمَنَةِ وسُكارى سُكْرَ الثَرْوَةِ (؟) ومُتَّكِئونَ على فِراشِ العَدْلِ والنَصَفَة[3] ؛ فما زال يفتحُ علينا أبوابَ المظالمِ ويحتلب فينا ضِرْعَيِ الدنانيرِ والدراهمِ ويسيرُ في بلادِنا سيرةً لا يسيرها السِنَّوْرُ في الفار ولا يَسْتَخيرها المُسلمون في الكُفّار[4] ، حتّى افْتَقَرَ الأغنياءُ وانْكَشَفَ الفُقَراء ، وحتّى تَرَكَ الدَهْقانُ ضَيْعَتَه ، وجَحَدَ صاحبُ الغَلّة غلّته وحتّى نَشَفَ الزَرْعَ والضَرْعِ وأهْلَكَ الحَرْثَ والنَسْلَ[5] ، وحتّى أخْرَبَ البلادَ ، بلْ أخربَ العِبادَ ، وحتّى شَوّق إلى الآخرةِ أهلَ الدُنيا وحَبّبَ الفقرَ إلى أهل الغِنى ، وحتى لُقّبَ بالجَراد وكُنّي أبا الفَساد ، وحتّى صارَ الدِرْهم في أيامه أقلَّ من الصدقِ في كلامه ، وصار الأمْن في أعْماله أعزَّ من السَداد في أفعاله[6] . فليْتَهُ إذْ أوْحَشَ الرجالَ حَصَّلَ

---

١ رفيع السنان سريع القلم (كناية عن الظفر في الحروب وعن نفاذ أوامره !) .

٢ لو عاش أولهم : لو كان الخلفاء العباسيون الاولون أحياء .

٣ الأمنة (بفتح الهمزة والميم والنون) : الأمن ، الأمان ، السلامة . النصفة (بفتح النون والصاد والفاء) : الانصاف ، المساواة في المعاملة .

٤ السنور : الهر ، القط . الكفار : الذين ليس لهم كتاب سماوي ولا نبي مرسل ، والذين يجحدون الله أو يشركون به غيره .

٥ ترك الدهقان (صاحب الأراضي) ضيعته وجحد (أنكر ، تبرأ من) غلته لأن الضريبة عليهما أكبر من قيمتهما . الزرع : نبات الأرض . الضرع : ثدي الأنعام الحلوبة (كالغنم والبقر والإبل) . الحرث : الزرع . النسل : ما يتكاثر بالتوالد من الإنسان (والحيوان) — استولى على نتاج كل شيء ثم أهلك جميع المنتجين .

٦ أعز : أندر ، أقل . السداد (بفتح السين) : الصواب في القول والعمل .

المالَ ، وليته إذ ضيّع المالَ أرضى الرجال [1] ؛ ولكنّه حُرِمَ الاثنَيْن فأفلس من الجهتَين . ووالله ، ما الذئبُ في الغَنَم بالقياس إليه إلاّ من المُحْسنين ، ولا السُّوس في الخزّ في الصيف إلاّ من المُصلحين ، ولا الحَجّاجُ بنُ يوسُفَ الثَّقَفيّ في العِراقِ إلاّ أولُ العادلين ، ولا يَزْدَجَرْدُ الأثيمُ في أهلِ فارسَ بالإضافةِ إليه إلاّ من النَّبيّينَ والصِّدّيقين ، ولا فِرْعَونُ في بني إسرائيلَ إذا قابَلْتَهُ بهِ إلاّ من المَلائكةِ المُقرّبين .

– مَرِضَ أبو بكرٍ الخوارزميّ فأغفَلَهُ أحَدُ أصدقائه : لم يَعُدْهُ (يَزُرْه) في عِلّتهِ ولا كَتَبَ إليه مُهنّئاً بزَوالِ العِلّةِ عنه . فكَتَبَ الخوارزميّ إلى ذلك الصديقِ :

كتابي – وقدْ خَرَجْتُ من البَلاء خروجَ السيفِ من الجِلاء [2] وبُروزَ البَدْرِ من الظَّلْماء ؛ وقد فارَقَتْني المِحْنة وَهيَ مُفارَقٌ لا يُشتاقُ اليه ، ووَدّعَتْني وهي مُوَدَّعٌ لا يُبْكى عليه . فالحَمْدُ لله تعالى على مِحْنةٍ يُجْلّيها ونعمة يُنيلُها ويُوليّها . كنتُ أتوقّعُ أمْسِ كِتابَ سَيّدي بالتَّسْلية ، واليومَ بالتّهنِئة : فلم يكاتِبْني في أيامِ البُرَحاء [3] بأنّها غَمّتْهُ ولا في أيّامِ الرّخاء بأنّها سَرّتْه . وقد اعْتَذَرْتُ عنه إلى نفسي وجادَلْتُ عنه قلبي فقُلْتُ : أمّا إخلالُه بالأولى فلأنّه شَغَلَه الاهتِمامُ بها عن الكلام فيها ، وأما تَغافُلُه عنِ الأُخرى فلأنّه أحَبَّ أن يُوَفِّرَ عَلَيَّ مَرْتَبَةَ السابق إلى الابْتداء ويَقِفَ بنفسه على مَحَلِّ الاقْتِدا [4] لِتكونَ نِعَمُ الله تعالى مَوْقوفةً من كلِّ جانبٍ عَليَّ ومَحفُوفة من كلِّ بيئةٍ [5] بي . فإنْ كُنْتُ أحْسَنْتُ الاعتِذارَ عَن سَيّدي فَلْيَعْرِفْ لي حَقَّ الإحْسان وَلْيَكْتُبْ لي بالاستِحْسان . وإنْ كُنْتُ أسأتُ فَلْيُخْبِرْني بعُذْرِه فإنّه أعْرَفُ منّي بسِرّه ، ولْيَرْضَ منّي بأنّي حارَبْتُ عنه قَلْبي ، واعتَذَرْتُ من ذنبِه حتّى كأنّه ذَنْبي ، وقلتُ :

---

١ أوحش الرجال : نفرهم منه . حصل المال : جمع مالا (للدولة) . – إنه بأعماله قد نفر الناس من الدولة وجعلهم لها أعداء ثم لم يستطع أن يجمع الخراج والضرائب لأنه أفسد كل شيء وأفقر البلاد .

٢ الجلاء (بكسر الجيم) : صقل السيف ، شحذه ، سنه (بفتح السين) .

٣ البرحاء (بضم الباء وفتح الراء) : شدة الأذى (من المرض وغيره) .

٤ يقف بنفسه على محل الاقتداء : لا يتقدم علي في عمل بل يقتدي بي في كل شيء .

٥ البيئة (بكسر الباء) : المحل ، المكان ؛ الحال .

يا نَفْسُ ، اعذُري أخاكِ وخُذي منه ما أعطاكِ ، فمَعَ اليومِ غَدٌ ، والعَوْدُ أحمَدُ !

– كلماتٌ لأبي بكرٍ الخوارزميِّ تَجْري مَجْرى الأمثال (يتيمة الدهر ٤ : ١٨٢ – ١٨٥) :

الشُكْرُ على قَدْرِ الإحسان ، والسِلَعُ بإزاء الأثمان [١] . النفسُ مائلةٌ إلى أشكالها ، والطيرُ واقعةٌ على أمثالها . الأيام مِرآةُ الرجال . الاعتذارُ في غير مَوْقعه ذَنبٌ . الدَواء لغيرِ حاجةٍ إليه داءٌ . الغَضَب ينسي الحُرُمات [٢] ويَدْفِن الحَسَناتِ ويخلُقُ للبريءِ جِناياتٍ . الدنيا عَروسٌ كثيرةُ الخُطّاب المُلْكُ سِلْعةٌ كثيرةُ الطُلاّب . الشُجاعُ مُحَبَّبٌ حتّى إلى مَنْ يُحارِبه . حِفْظُ الصحة أيسَرُ من عِلاجِ العِلّة . في الزوايا خَبايا ، وفي الرجال بَقايا . نِعْمَ الشفيعُ الحُبّ . نِعْمَ العُدّةُ المُدّةُ [٣] ، ونِعْمَ الوقاية العافية . بِئسَ الخَصْمُ الزمانُ ، وبئس الشفيعُ الحِرْمان ، وبئس الرفيقُ الخِذْلان .

٤ – رسائل أبي بكر الخوارزمي (محمّد قسطة العدوي) ، القاهرة (عبد الرحمن رشدي) ١٢٧٩ هـ ؛ ثمّ استانبول ١٢٩٧ هـ ؛ مصر (المطبعة العثمانية) ١٣١٢ هـ ؛ بومباي ١٣٣١ هـ الخ .

•• يتيمة الدهر ٤ : ١٨٢ – ٢٢٦ ؛ وفيات الأعيان ٢ : ٣٥٥ – ٣٥٧ ؛ الوافي بالوفيات ٣ : ١٩١ – ١٩٦ ؛ شذرات الذهب ٣ : ١٠٥ – ١٠٦ ؛ بروكلمان ١ : ٩٢ – ٩٣ ، الملحق ١ : ١٥٠ ؛ زيدان ٢ : ٣١٥ – ٣١٦ ؛ أعيان الشيعة (١٩٥٩ م) ٤٥ : ٢٥٨ – ٢٦٢ ؛ النثر الفنّي ٢ : ٢٩٥ – ٢٧٦ .

القاضي أبو عليّ التنوخيّ

١ – هو أبو عليّ المُحَسِّنُ بنُ عليّ بنِ محمّدٍ المعروف بالقاضي التَنوخي كان مَوْلِدُهُ في البَصْرةِ في ٢٦ من ربيعِ الأول من سنة ٣٢٧ هـ .

٨ جودة السلعة (البضاعة) تابعة لمقدار ثمنها .

٦ الحرمات جمع حرمة (بضم الحاء المهملة) : ما يجب على الإنسان الدفاع عنه كالعرض والكرامة ...

٧ العدة : الاستعداد ، التهيؤ . المدة : الزمن (طول العمر) .

دَرَسَ أبو عليٍّ التنوخيُّ الحديثَ والفِقهَ ثم قرأ الأدبَ (واللغة) على أبي بكرٍ الصوليِّ وأبي العبّاس الأثرم وأبي الفَرَجِ الأصفهاني ، ونالَ من أبي الفَرَجِ الأصفهاني إجازَةً بِروايةِ كتابِ الأغاني .

في سنة ٣٤٩ هـ (٩٦٠ م) تَقَلَّدَ أبو عليٍّ التنوخي القضاءَ ، من قِبَلِ أبي السائب عُتْبَةَ بنِ عُبيدِ الله بالقَصْرِ وبابلَ (نواحي الكوفة) وما والاها. وفي سنة ٣٤٩ هـ ولاّه الخليفةُ المطيعُ للهِ القضاءَ في عَسْكرِ مُكْرَمٍ وإيذَجَ ورامهُرمزَ. ثم انه تولّى القضاء في أماكنَ مختلفة .

وفي سَنَةِ ٣٦٩ هـ (٩٧٩ م) أرسَلَه الخليفةُ الطائعُ لله إلى عَضُدِ الدولة ابنِ بُوَيْهِ رسولاً ، حينما أرادَ الطائعُ خِطْبَةَ أختِ عَضُدِ الدولة لنفسه .

وكانت وفاةُ أبي عليٍّ التنوخيِّ في بَغْدادَ ، في ٢٥ من المُحرَّم سنة ٣٨٤ هـ (٢-٣-٩٩٤ م) .

٢ ــ كان أبو عليٍّ التنوخيُّ أديباً إخبارياً حَسَنَ الحَديثِ والتَحْديث ، وكان له شعرٌ عاديٌّ ؛ ثم هو مصنّف بارِعٌ له من الكُتُبِ : الفرجُ بعد الشدّة ، المُسْتَجاد من فَعَلاتِ الأجواد ، نِشوار المحاضرة وأخبار المذاكرة (أو جامع التواريخ) ، عنوان الحكمة .

٣ ــ المختار من آثاره

ــ قال القاضي أبو عليٍّ التنوخيُّ يُعَرِّضُ بأحدِ الفُقهاء :

خرَجْنا لِنَسْتَسْقي بيُمْنِ دُعائِه ، وقد كادَ هدبُ الغَيْمِ أن يَبْلُغَ الأرضا[1] .
فلمّا ابتدأ يَدْعو تَقَشّعتِ السما ؛ فما تَمَّ إلاّ والغَمامُ قد انْفضّا[2] .

ــ من «المستجاد من فعلات الأجواد» ، من المقدّمة :

.... انكَ طلبتَ منّي أن أجْمَعَ لك من أخبار الأجوادِ أجودَها ، ومن فَعالات الكِرامِ أسْناها وأرْشَدَها . فاستخرتُ الله في المَقال ، وتَخَيّرتُ من ذلك ما سَنَحَ لي في الحال ، ممّا أحْسَبُهُ يَستَفِزّ القارئَ والسامعَ ويَقَعَ منه أرفعَ

---

١ الاستسقاء : الدعاء إلى الله بسقوط المطر . اليمن : البركة . هدب (في الأصل) : شعر أشفار العين ، في أطراف الجفون (وهنا أطراف) .
٢ انقشع الغيم وتقشع : انكشف وتفرق .

المواقع . وألّفتُه كتاباً سمّيته «المُستجاد من فَعالات الأجواد» فكان لِلَقبه مُطابقاً ولغَرَضِك موافقاً ، ولِما يُستَحسَنُ سابِقاً ....

– من المستجاد ، قصّة :

اشترى عبدُ الله بنُ عامرٍ من خالدِ بنِ عُقْبَةَ بنِ أبي مُعَيْط داره التي في السوق[1] بتسعين ألفَ درْهَمٍ . فلَمّا كان الليلُ سَمِعَ بكاءَ آلِ خالد ، فقال لأهله : ما لِهؤلاء ؟ قالوا : يَبْكونَ لِدارِهِم التي اشتَرَيتَ . قالَ : يا غُلامُ ، إيتِهِم فأعْلِمْهُم أنّ الدارَ والمالَ لَهُم جميعاً !

من كتاب الفرج بعد الشدّة :

– من (المقدّمة)[2] :

.... وكثيراً إذا عَلِمَ اللهُ تعالى من وَلِيّه وعبده انقطاعَ آماله إلاّ من عنده ، لم يَكِلْهُ إلى سعيه وجُهده ، ولم يَرْضَ له باحتماله وطَوْقه ، ولم يُخْلِه[3] من عِنايته ورِفْقه . وأنا بمشيئةِ اللهِ تعالى جامعٌ في هذا الكتاب أخباراً من هذا الجنس والباب أرجو بها انشراحَ صدورِ ذوي الألباب ، عندما يَدْهَمُهُم من شدّة ومُصاب . إذ كنتُ قد قاسَيْتُ من ذلك في مِحَنٍ دُفِعْتُ إليها ما يَحْنو بي على المُمْتَحَنين ويحدو بي على بذل الجُهد[4] في تفريج غموم المكروبين .

وكنت وَقَفْتُ في بعضِ مِحَني على خمس أو ستّ أوراق[5] جمعها

---

١ في سوق مكة .

٢ لم أستشهد بشيء من متن الكتاب لأن مواده جمع ليس فيها نتاج المؤلف ولا أسلوب . وأبواب هذا الكتاب تدور على أحوال يكون فيها الفرج بعد شدة : آيات من القرآن الكريم – أحاديث لرسول الله ثم أخبار الصحابة وغيرهم تتصل بذلك أو لا تتصل – قصص في أحوال مختلفة (أحد عشر باباً) ينال فيها أصحابها فرجاً بعد شدة – مختارات من الشعر توافق القصص التي ذكرت في الأبواب السابقة .

٣ وكله إلى سعيه (إلى سعي نفسه) : تركه يتدبر أموره بنفسه . الطوق : الطاقة ، القدرة . لم يخله من عنايته : لم يتخل عن العناية به .

٤ ... إلى ما يجعلني أحنو (أشفق) على الذين وقعوا في محنة (بكسر الميم) : في مصاعب تمتحن (تختبر) قدرتهم على الصبر (مصائب فوق احتمالهم) . يحدو بي : يدفعني . الجهد (بفتح الجيم) : التعب ، (بضم الجيم) : أقصى ما يستطيع الإنسان بذله أو عمله ، القيام به .

٥ هذا التركيب خطأ (لإضافة مضافين إلى مضاف اليه واحد) . اقرأ : خمس أوراق أو ست .

أبو الحسن عليّ بنُ محمّد المَدِينيّ [1] وسمّاها **كتاب الفرج بعد الشدّة والضيق** ، وذكر فيها أخباراً تدخل جميعُها في هذا المعنى فوجدتُها حسنةً ، ولكنّها لقلّتها نَموذَجٌ صغيرٌ ؛ ولم يأتِ بها مؤتلِفةً ولا سَلَكَ بها سبيلَ الكتب المُصَنَّفة ولا الأبواب الواسعة المُؤلّفة معَ اقتدارِه على ذلك . ولا أعلمُ غَرَضَهُ في التقصير ، ولعلّه أرادَ أن يَنْهَجَ طريقَ هذا الفنّ من الاخبار ويَسْبِقَ إلى فتح هذا الباب فيه بذلك المِقْدار ويَنْقُلَ جميعَ ما عنده فيه من الآثار .

ووَقَعَ إليَّ كتابٌ لأبي بكرِ عبدِ الله بنِ أبي محمّدِ بنِ أبي الدّنيا [2] قد سمّاه **كتاب الفرج بعد الشدّة** في نحو عشرينَ ورقةً ؛ والغالبُ فيه أحاديثُ عن النبيِّ صلّى الله عليه وعلى آلهِ وصَحْبه وسلّمَ وأخبارٌ عن الصحابة والتابعين رَحِمَهُمُ الله تعالى يدخُلُ بعضُها في معنى طِلْبَتِهِ ولا يخرجُ عن قَصْدِهِ وبُغْيَته ، وباقيها أحاديثُ وأخبارٌ في الدعاء والصبر والأرزاق والتوكّل والتعرّض للشدائد بذِكْرِ الموت وما يَجري مَجْرى التعازي ويُتَسَلّى به عن طوارقِ الهمومِ ونوازلِ الأحداث والغموم ويُسْتَحَقّ عليها من الثواب في الأُخرى [3] مَعَ التَمَسّك بالحَزْمِ في الأولى [4] . وهو عِنْدي خالٍ من فَرَجٍ بعدَ شدّةٍ غيرُ مستحقٍ أن يدخلَ في كتابٍ مقصورٍ على هذا الفنّ . وضَمّنَ الكتابَ نُبَذاً قليلةً من الشعر وروى فيه شيئاً يسيراً جداً ممّا ذكره المدايني ، إلاّ أنّه جاءَ به بلا إسنادٍ له الاّ عن المدايني .

وقرأتُ أيضاً كتاباً للقاضي أبي الحسينِ عُمَرَ بنِ القاضي أبي عمرٍو محمّدِ ابن يوسفَ القاضي رَحِمَهُمُ الله ، في مقدارِ خمسينَ ورقةً ، قد سمّاه

---

١ أبو الحسن علي بن محمد المدائني ، ولد في البصرة سنة ١٣٥ ﻫ ونشأ فيها ، وعاش مدة في المدائن (شرق بغداد) ثم انتقل إلى بغداد فسكنها إلى أن توفي فيها ، سنة ٢٢٥ ﻫ (٨٣٩ – ٩٤٠ م) في الأغلب . وللمدائني كتب كثيرة تبلغ نحو مائتين وأربعين كتاباً في الاخبار خاصة ، في التاريخ والسير (بكسر السين وفتح الياء) : في أخبار رسول الله ، وفي أخبار قريش وأخبار الخلفاء وأخبار الشعراء ، الخ . (الفهرست ١٠٠ – ١٠٤ ؛ تاريخ بغداد ١٢ : ٥٤ – ٥٥ ؛ معجم الأدباء ١٤ : ١٢٤ – ١٣٩ ؛ شذرات الذهب ٢ : ٥٤ ؛ بروكلمان ١ : ١٤٦ ، الملحق ١ : ٢١٤ – ٢١٥) .

٢ راجع ، فوق ، ص ٣٣٦ – ٣٣٨ .

٣ الأخرى : الحياة الآخرة . الأولى : الدنيا .

كتاب الفرج بعد الشدّة أوْدَعَهُ أكثرَ ما رواه المدايني وجمعه وأضافَ إليه أخباراً أُخَرَ أكثرُها حسنةٌ وفيها ما هو غيرُ مُماثِل عِنْدي لِما عناه ولا مُشاكِل لما نحاه [1] . وأتى في أثنائها بأبياتِ شِعْرٍ يسيرةٍ من معادنَ لأمثالها [2] جمة كثيرة . ولم يُلِمّ بما أورده ابنُ أبي الدنيا . ولا أعلمُ أتَعَمَّدَ ذلك أم لم يَقِفْ على الكتاب . ووجدتُ أبا بكرٍ بنَ أبي الدنيا والقاضيَ أبا الحسين لم يَذْكُرا للمدايني كتاباً في هذا المعنى : فإن لم يكونا عرَفا هذا فَهُوَ ظَريفٌ ، وإن كانا تَعَمّدا تَرْكَ ذِكْرِه — تَشَقيفاً لكتابيهما وتَغْطِيَةً على كتاب الرجل [3] — فهو أظرف . ووجدتُهما قد استحسنا لَقَبَ كتاب المدايني على اختلافهما في الاستعارة وَحَيْدِهما عن أنْ يأتيا بجميع العبارة [4] . فتوهّمتُ أن كلَّ واحدٍ منهما لمّا زاد على قَدْرِ ما أخرجه المدايني اعتقد أنه أوْلى منه بلقب كتابه . فان كان هذا الحُكْمُ ماضياً والصواب به قاضياً [5] فيجب أن يكون من زادَ عليهما أيضاً في ما جمعاه أوْلى منهما بما تعبا في تصنيفه ووضعاه .

فكانَ هذا مِنْ أسبابِ نَشاطي لتأليف كتابٍ يحتوي من هذا الفنّ على أكثرَ ممّا جَمَعه القوم وأبين للمعنى وأكشفَ وأوضح ، وإنْ خالف مذهبَهم في التصنيف وعَدَل عن طريقهم في الجمع والتأليف . فانّهم نَسَقوا ما أوْدعوه كُتُبَهُمْ جملةً واحدة وربّما صادفتْ مَلَلاً من سامعيها أو وافقت سآمةً من الناظرين فيها . فرأيتُ أن أُنوِّعَ الأخبارَ وأجْعَلَها أبواباً ليزدادَ مَنْ يَقِفَ على الكتب الاربعةِ بكتابي من بينها إعجاباً ، وأنْ أضَعَ ما في الكتب الثلاثة في مواضعه من أبواب هذا الكتاب إلاّ ما أعتقد أنّه يجب ألاّ يَدْخُلَ

---

١ مشاكل : مشابه . نحاه : قصد اليه ، قصده .

٢ ربما كان ينقص هنا كلمة : أشياء ، أقوال . أو ربما كانت الجملة ... أمثالها جمة كثيرة .

٣ تثقيفاً (؟) . تغطية على كتاب الرجل : طمساً لذكره . لاختلافهما في الاستعارة : لاختلافهما في ما استعاراه (نقلاه من الكتاب) وحيدهما (ابتعادهما) عن أن يأتيا بجميع العبارة (بنقل عبارة الكتاب الذي نقلوا منه بكاملها) .

٤ ماضياً : صحيحاً ، عادلا . الصواب به قاضياً : يقضي به (يوجبه) الصواب .

٥ نسقوا ما أودعوه كتبهم جملة واحدة : أوردوا القصص المختلفة مسرودة تباعاً من غير تمييز بين أنواعها .

فيه وأنَّ تَرْكَهُ وتَعَدّيه [١] أصوبُ وأولى والتشاغل بذكرِ غيره ممّا هو أدْخَلُ في هذا المعنى – ولم يَذْكُرْهُ القوم – ألْيَق وأحْرى ، وأن أعْزُوَ ما أخْرجهُ ممّا في الكتب الثلاثة إلى مؤلّفيها تأديةً للأمانة واسْتيثاقاً في الرواية وتَبْيِيناً لِما آتي به من الزِيادة وتَنْبيهاً على مَوْضع الإفادة .

فاسْتَخَرْتُ [٢] اللهَ عزّ وجلّ ذِكْرُه وبدأتُ بذلك في هذا الكتاب ولقّبته بكتاب الفرج بعد الشدّة تيَمّناً لقارئه بهذا المَقال وليَسْتَسْعِدَ في ابتدائه بهذا الفال . ولم اسْتَبْشِعَ إعادةَ هذا اللقب ، ولم أحْتَشِمْ تكريرَهُ على ظهور الكتب ، لأنّه قد صار جارياً مجرى تَسْمِيَةِ رَجُلٍ ابْنَهُ محمّداً أو محموداً أو سَعْداً أو مسعوداً ، وليس لقائلٍ – مَعَ التَداوُلِ لهذين الاسْمَيْنِ – أن يقولَ لِمَنْ سمّى بهما الآنَ إنك انْتَحَلْتَ هذا الاسْمَ أو سرقته . ووَجَدتَني مَتى أعْطَيْتُ كتابيَ هذا حقّه مِنَ الاستقصاء وبلغتُ به حَدّه من الاستيفاء جاء في ألوفِ أوراقٍ لِطول ما مضى من الزمان وأنّ [٣] الله سُبْحانَه وتعالى بحِكْمَته أجْرى فيه أمورَ عباده مُنْذُ خَلَقهم وإلى أن يَقْبِضَهُمْ على التَقلّب بين شِدّة ورَخاء ورَغَدٍ وبلاء وأخذٍ وعطاء ومنعٍ وصُنْعٍ وضيق ورَحْب وفَرَحٍ وكَرْبٍ ، عِلْماً منه تعالى بعواقِبِ الأمور ومَصلحة الكافّة والجمهور فأخبار ذلك كثيرة المِقدار عَظيمة التَرْداد والتكرار ، وليست كلّها بمُسْتَحْسَنَة ولا مُستفادة [٤] ولا مُستطابة الذِكْرِ والإدعاء . فاقْتَصَرْتُ على أحسنِ ما رويتُه من هذه الأخبار وأصحّ ما بلغني في معانيهنّ من الآثار وأملح ما وجدتُ في فنونها من الأشعار . وجعلتُ قَصْديَ إلى الإيجاز والاختصار وإسقاط الحَشْوِ وترك الإكثار ، وإنْ كان المُجْتَمِعَ من ذلك جُملةٌ يَسْتَطيلُها المَلول ولا يَتَفَرّغُ لقراءَتِها المَشْغول .

وأنا أرغبُ إلى مَنْ يَصِلُ اليه كتابي هذا ويَنْشَطُ للوقوف عليه أن يَصْفَحَ عمّا يَعْثَرُ بهِ من زَلَلٍ ويُصْلِحَ ما يجد فيه من خطأٍ أو خَلَلٍ . واللهَ أسألُ

---

١ تعديه : تجاوزه .

٢ استخرت الله في فعل كذا : طلبت من الله أن يختار لي ما يجب أن أعمله .

٣ ... ولأن الله جعل أمور الناس في الحياة كلها تتقلب في تلك الأحوال ، فالكلام عليها كلام على حياة جميع الناس في جميع أيامهم .

٤ ولا مستفادة : لا تستحق أن يستفيدها (يكتسبها) الإنسان .

السلامةَ من المَعاب والتوفيقَ لِبُلوغ المَحابّ والإرشاد إلى الصواب . ويَفْعَلُ اللهُ ذلك بكرمهِ ، إنّه جَوادٌ وَهّاب .

٤ – الفرج بعد الشدّة ، القاهرة (محمود رياض) ١٩٠٣ – ١٩٠٤ م ؛ بومباي ١٩١٩ م ؛ الفصل السابع منه (جمال الرحمن) بومباي ١٣٢٩ هـ .
المستجاد من فَعلات الاجواد (نشره محمّد الزهري الغمراوي) ، القاهرة ١٩٠٣ – ١٩٠٤ م ؛ (نشره باولي) شتونكارت ١٩٣٩ م ؛ (عني بنشره وتحقيقه محمّد كرد علي) ، دمشق (مطبوعات المجمع العلمي العربي) ١٣٦٥ هـ (١٩٤٦ م) .
نشوار المحاضرة وأخبار المذاكرة (نشره مرغوليوث) ، لندن ١٩١٨ – ١٩٢١ م ثمّ دمشق (المعهد العلمي العربي) ١٩٣٠ م .
•• تاريخ بغداد ١٣ : ١٥٥ ؛ يتيمة الدهر ٢ : ٣١٩ – ٣٢٠ ؛ معجم الأدباء ١٧ : ٩٢ – ١١٦ ؛ وفيات الأعيان ٢ : ٢١١ – ٢١٤ ؛ شذرات الذهب ٣ : ١١٢ ؛ أعيان الشيعة ٤٧ : (١٤٧) ؛ بروكلمان ١ : ١٦١ – ١٦٢ ، الملحق ١ : ٢٥٢ – ٢٥٣ ؛ زيدان ٢ : ٣٢٨ ؛ النثر الفنّي ١ : ٣١٥ – ٣٣٨ .

المرزبانيّ

١ – هو أبو عُبيدةَ محمّدُ بن عِمرانَ بن موسى بن سعيد بن عبيد الله المَرْزُباني البَغدادي الكاتب ، كان من بيت رِئاسةٍ ووَجاهةٍ ، يَرْجِعُ أصله إلى أحد مَرازِبة الفُرس[١] ، وكان أبوه نائبَ صاحِبِ بابِ خُراسانَ (رئيس الحرس) في بغداد .

وُلِدَ محمّد بن عِمرانَ المَرْزُباني في جُمادى الثانية من سَنَةَ ٢٩٦ هـ (٩٠٩ م) في بَغداد ؛ وأخذ العِلم عن عبد الله بن محمّد البَغَوِيّ وأبي بكرِ ابن أبي داوود السجِستاني ، وكذلك روى عن أبي بكر بن الأنباري وأبي بكر بن دُريد وأبي القاسم البَغدادي (وفيات ٢ : ٣٢٨) . ثمّ انه نالَ حَظوة عِند بني بُوَيْهِ .

١ المرزبان (عند الفرس) : الرئيس ، الحاكم على مقاطعة من المقاطعات الفارسية .

وكانت وفاة المرزباني في بَغداد ، في الثاني من شوّال سنة ٣٨٤ هـ (٩-١١-٩٩٤ م) .

٢ - كان المرزباني ذكيّاً مُمْتِعَ المُحاضرةِ والمذاكرة راويةً للأدب صاحبَ أخبارٍ جميلةٍ واسعَ العِلمِ بفنونِ اللغةِ والأدب مائلاً إلى مذهب المُعْتَزِلة . وكذلك كانَ بارعاً في تصنيف الكتب حَسَنَ التنسيقِ لما يكتبه ، كثيرَ التأليف . ومُعْظَمُ كُتُبِه مُطوَّلة ، له من الكتب[١] : الموثّق ، المستنير ، المفيد ، المُعجم ، الموشّح ، كتاب الشعر ، أشعار النساء ، أشعار الخلفاء ، كتاب المراثي ، شعر الشيعة ، أخبار عبدالصمد بن المعذّل ، أخبار أبي تمّام ، كتاب أعيان الشعر في المديح والفخر والهجو ، شعر يزيد بن معاوية (وكلّ هذه في الشعر والشعراء) . ثم له المعلّى في فضائل القرآن ، المفضّل في البيان والفصاحة ، المشرّف في آداب النبيّ صلّى الله عليه وسلّم والصحابة وفي الوصايا وحكم العرب والعجم ، أخبار الأجواد ، المقتبس في أخبار النحويين واللغويين والناسبين ، المرشد في أخبار المتكلّمين أهل العدل والتوحيد (المعتزلة) ، الرياض في أخبار المتيّمين والعاشقين ، الرائق في أخبار الغناء والأصوات ونسبتها إلى المغنّين ، الخ .

٣ - المختار من كلامه

- من مقدّمة كتاب المُوَشّح :

.... سألتَ - حَرَسَ اللهُ النِعْمةَ عليْكَ وأسبغ الموهِبَةَ لديْكَ - أن أذْكُرَ لك طرَفاً ممّا أُنكِرَ على الشُعراء في شعرهم من العيوب الّتي سبيلُ أهلِ عصرِنا هذا ومَنْ بَعْدَهم أن يَجْتَنِبوها ويَعْدِلوا عنها . فأجَبْتُكَ إلى ما سألتَ وعَمِلْتُ بما أحبَبْتَ . و (قد) أوْدعتُ هذا الكتابَ ما سَهُل وجودُه وأمكن جمعُه وقَرُبَ مُتناوَلُه من ذِكْرِ عُيوبِ الشعراء الّتي نَبّهَ عليها أهلُ العِلم وأوضحوا الغلط فيها : من اللّحن والسِناد والإيطاء والإكفاء والتضمين

---

١ راجع ثبتاً بمصنفات المرزباني في مقدمة الموشح (القاهرة ، جمعية نشر الكتب العربية ، ١٣٤٣ هـ) ص٧-٤٩ معجم الأدباء ١٨ : ٢٦٩ - ٢٧٢ . ثم وصفاً لعدد منها في الفهرست (ص ١٣٢ - ١٣٤) .

والكسر [1] والإحالة والتناقض واختلاف اللفظ وهَلْهلة النسج وغير ذلك من سائر ما عيبَ على الشعراء قديمهم ومُحدَثيهم في أشعارهم خاصةً — سوى عيوبهم في أنفسهم وأجسامهم وأخلاقهم وطبائعهم وأنسابهم ودياناتهم وغير هذه الخصال من مَعايبهم فإنّا قد استقصيناه في كتابنا الذي لقّبناه بالمفيد وغيره من كتبنا التي ضمّنّاها أخبارَ الشعراء وشرحنا فيه أحوالهم — ؛ وسوى سَرِقاتِ معاني الشعراء فإنّها أحدُ عيوبه ، وخصوصاً إذا قصّر قولُ السارق عن مَدى المسروق ، فإنّا قد أتينا بكثيرٍ من ذلك في كتاب الشعر الذي نبّهنا فيه على فضائله ووصف نُعوته وعيوبه .

وابتدأنا (هذا الكتاب) بباب أبنّا فيه عن حالَ السِناد والإيطاء والإقواء والإكفاء ، وإن لم يكن هذا الكتابُ مفتقراً إلى ذِكْره .... وختَمنا الكتابَ بباب أتينا فيه بما رُوِيَ من ذمّ رديء الشعرِ وسَفْسافه والمُضطرِب منه ، وعلى أن [2] كثيراً ممّا أُنكِرَ في الأشعار قد احتُجّ له جَماعةٌ من النَحْويين وأهلِ العِلمِ بلُغاتِ العَرَبِ وأَوْجَبوا العُذْرَ للشاعرِ في ما أَوْرَدَه ورَدّوا قولَ عائبه وضربوا لذلك أمثلَةً قاسوا عليها ونظائرَ اقتَدَوْا بها ، ونَسَبَهُ بعضُهم إلى ما يَحتَمله الشعرُ أو يُضطَرّ اليه الشاعر ....

٤ — الموشّح في مآخذ العلماء على الشعراء (عنيت بنشره جمعية نشر الكتب العربية في القاهرة) ، القاهرة (المطبعة السلفية ومكتبتها) ١٣٤٣ هـ (١٩٢٦ م) ؛ (تحقيق علي محمّد البجاوي) ، القاهرة (دار نهضة مصر) ١٩٦٥ م .

معجم الشعراء (نشره فريتز كرنكو مع « كتاب المؤتلف والمختلف »)

---

١ اللحن : (المجيء باللفظة أو بالصيغة لم ترد في كلام فصحاء العرب) . السناد : اختلاف كل حركة قبل الروي (عروشا — قريشا : إذا جاءتا قافيتين في قصيدة واحدة) . الايطاء : تكرار القافية في بيتين قريب أحدهما من الآخر في القصيدة الواحدة . الأقواء : اختلاف حركة القافية في القصيدة الواحدة كقول النابغة : عجلان ذا زاد وغير مزود (بكسر الدال) .... وبذاك خبرنا الغراب الأسود (بضم الدال) . الاكفاء : اختلاف حرف الروي كأن يكون في قوافي القصيدة الواحدة « ليل » و « قين » . التضمين في الشعر ألا يتم معنى بيت إلا في الذي يليه (القاموس ٤ : ٢٤٣) . والكسر (الشذوذ الكثير في وزن أبيات القصيدة الواحدة) .

٢ مع ان .... على الرغم من أن .... برغم ان ....

القاهرة (مكتبة القدسي) ١٣٥٤ هـ .
أخبار السيد الحميري (تحقيق محمد هادي الاميني) ، النجف (منشورات دار الباقر) (مطبعة النعمان) ١٣٨٥ هـ (١٩٦٥ م) .
نور القبس المختصر من المقتبس في أخبار النحاة والأدباء والشعراء والعلماء، اختصار أبي المحاسن يوسف بن أحمد اليغموري (عني بتحقيقه رودولف زلهام) ، فيسبادن (شتاينر) ١٩٦٤ م .

•• الفهرست ١٣٢–١٣٤ ؛ معجم الأدباء ١٨ : ٢٦٨ – ٢٧٢ ؛ تاريخ بغداد ٣ : ١٣٥ – ١٣٦ ، وفيات الأعيان ٢ : ٣٢٧ – ٣٢٨ ، إنباه الرواة ٣ : ١٨٠ – ١٨٤ ؛ شذرات الذهب ٣ : ١١١ – ١١٢ ؛ بروكلمان ، الملحق ١ : ١٩٠ – ١٩١ ؛ النثر الفنيّ ٢ : ١٢٠ – ١٣٠ .

الرُّمّانيّ

١ – هو أبو الحسن عليّ بن عيسى الرُّمّانيّ الإخْشيديّ الورّاق الكاتبُ البَغداديّ ، أصلُه من سامرّا .

وُلِدَ الرمّانيّ في بَغدادَ سنة ٢٧٦ هـ (٨٨٩ م) وأخذ علومَ العربية عن أبي بكر محمّدِ بن السّريِّ بن السرّاجِ اللغويّ البَغداديّ (توفي سنة ٣١٦ هـ) وعن ابن دُريد والزجّاجِ ، كما أخذ الاعتزالَ وعلمَ الكلامِ عن ابن الإخشيد المتكلّم .

وكانت وفاةُ الرمّانيّ في بَغدادَ ، يومَ الاحد ١١ من جُمادى الأولى سنة ٣٨٤ هـ (٢٤–٦–٩٩٤ م) .

٢ – قال ياقوت (١٤ : ٧٤ – ٧٥) عن الرّمّاني : « كان إماماً في علم العربية علاّمةً في الأدب ، في طَبَقة أبي عليٍّ الفارسيّ وأبي سعيدٍ السيرافي .. وله تصانيفُ في جميعِ العلوم من النحو واللغة والنجوم والفقه والكلام على رأي المعتزلة . وكان يَمْزُجُ كلامَه في النحوِ بالمَنْطِقِ ، حتّى قال أبو عليٍّ الفارسيّ : ان كان النحوُ ما يقوله الرمّانيّ فليس معَنا منه شيءٌ ، وان كانَ النحوُ ما نقوله نحن فليس معَه منه شيء » . وكان كلامُه على النحوِ لا يُفْهَم بسهولة .

وللرمّانيّ من التصانيف : كتاب تفسير القرآن المجيد ، كتاب إعجاز القرآن ، كتاب الألفات في القرآن ، كتاب الهجاء (التهجئة) ، كتاب معاني الحروف ، كتاب الحدود الأكبر ، كتاب الحدود الأصغر ، كتاب الاشتقاق الكبير ، كتاب الاشتقاق الصغير ، كتاب التصريف ، كتاب الايجاز في النحو . ثم له شروح على عدد من كتب الذين تقدّموه ، منها : كتاب شرح مختصر الجرمي ، كتاب شرح المدخل للمبرّد ، كتاب شرح سيبويه ، كتاب شرح معاني الزجّاج ، كتاب شرح الموجز لابن السرّاج ، كتاب شرح أصول ابن السرّاج ، كتاب الخلاف بين النحويين . وكذلك له كتاب الرد على الدهرية ، كتاب تفضيل علي .

٣ — جملة من كلامه

— قال أبو حيّان : سَمِعْتُ عليّ بن عيسى يقولُ لبعض أصحابه :
لا تُعادِيَنّ أحداً وإنْ ظَنَنْتَ أنه لن يَنْفَعَكَ ، فانّك لا تدري متى تخافُ عَدُوّكَ أو تحتاجُ إليه ، ومتى ترجو صديقَكَ أو تَسْتَغْني عنه . وإذا اعتذرَ اليك عدوّك فاقبلْ عُذْرَهُ ، ولْيَقِلّ عَيْبُهُ على لِسانِكَ [١] .

٤ — النكت في مجاز القرآن (نشره الدكتور عبد العليم) ، دلهي ١٩٣٤ م ؛ (نشره محمّد خلف الله ومحمود زغلول سلاّم في «ثلاث رسائل في اعجاز القرآن» ، القاهرة (دار المعارف) ١٩٥٥ م .

٥ • الفهرست ٦٣ — ٦٤ ؛ تاريخ بغداد ١٢ : ١٦ — ١٧ ؛ معجم الأدباء ١٤ : ٧٣ — ٧٨ ؛ وفيات الأعيان ٢ : ٦ ؛ إنباه الرواة ٢ : ٢٩٤ — ٢٩٦ ؛ بغية الوعاة ٣٤٤ ؛ شذرات الذهب ٣ : ١٠٩ ؛ بروكلمان ١ : ١١٥ ، الملحق ١ : ١٧٥ .

أبو اسحق الصابي

١ — هو أبو إسحقَ إبراهيمُ بنُ الهِلالِ بنِ ابراهيمَ الحَرّاني الصابي ، وُلِدَ في ٥ رَمَضان من سَنَةَ ٣١٣ هـ (٩٢٥ م) ، في بَغْدادَ في الأغلب ونشأ

١ لا تكثر من ذكر معائبه .

فيها على دينِ الصابئةِ الحرّانيّين [1] ، عفيفاً في مذهبِه حَسَنَ العِشرة للمسلمين يصوم رمَضانَ ويحفَظُ القُرآنَ ويصرّف آياته في رسائله . وقد كانتْ بينَه وبينَ الصاحبِ بن عبّاد والشريفِ الرضي مودّةٌ أكيدةٌ ومراسلاتٌ كثيرة .

في سنة ٣٤٩ ﻫ (٩٦٠ م) تقلّد أبو اسحقَ الصابي ديوانَ الرسائلِ فكانت تَصْدُرُ عنه مكاتباتٌ إلى عَضُدِ الدولة تُؤلِمُه . فلمّا ماتَ عزّ الدولةِ أميرُ الأمراء واستولى عَضُدُ الدولة على بَغدادَ (٣٦٧ ﻫ = ٩٧٨ م) حبس أبا اسحقَ الصابي فبقي أبو اسحق في السجن حتّى تُوُفّيَ عَضُدُ الدولة (٣٧٢ ﻫ = ٩٨٣ م) وخَلَفَهُ ابنُه صَمصامُ الدولة فأطلق سراح أبي اسحق .

ومات أبو اسحق الصابي في بَغدادَ ، في ١٢ شوّال من سَنَة ٣٨٤ ﻫ (٢٠-١١-٩٩٤ م) .

٢ — كان أبو اسحقَ الصابي أديباً بارعاً وكاتباً مترسّلاً بليغاً وشاعراً مقتدراً رقيقاً . وفنونُ شعره المدحُ والهجاء والأدب والغزل والنسيب والخمر . وللصابي هذا من الكتب : المختار من رسائله (ألفَ ورَقة ، عِشرين ألفَ سَطْرٍ) ، كتاب أخبار أهلِه ، كتاب أخبار بني بويه (ألّفه في السجن) ، كتاب اختيار شعر المهلّب .

٣ — المختار من آثاره

— في يومِ المهرجان من أحد الأعوام أهدى أبو اسحق الصابي اصطرلاباً (منظاراً للنجوم) صغيرَ الحجم دقيقَ الصَنْعة ، قيل أهداه إلى عَضُدِ الدولة ، وقيل أهداه إلى المُطهّر بنِ عبدِ الله وزيرِ عَضُدِ الدولة ، وكتب معَه الأبياتَ التاليةَ :

أهدَى إليكَ بنو الحاجاتِ ، واختلفوا، ... في مَهْرجانٍ عظيمٍ أنتَ مُبْليه [2] .
لكنّ عبدَكَ ابراهيمَ حين رأى ... عُلوّ قَدْرِكَ لا شيءٌ يُساميه ،
لم يَرْضَ بالأرْضِ يُهْديها إليك فقد ... أهدى لك الفَلَكَ الأعلى بما فيه !

---

[1] الصابئة أهل حران (في شمالي العراق) يقولون إنهم على دين نوح ، وقبلتهم (بكسر القاف) نحو الشمال وهم يقدسون النجوم .

[2] بنو الحاجات : الذين لهم في التقرب منك أغراض وغايات . أنت مبليه (شبه الشاعر عيد المهرجان بثوب يلبسه الممدوح فيتهرأ الثوب فيتبدله بغيره) : يدعو له أن يعيش طويلا ويشهد أعياداً عديدة .

— وَرَدَتْ على عَضُدِ الدولةِ رسائلُ فأخذَ بقراءتِها ، وكان يقومُ بجانبِهِ غلامٌ تُركيٌّ له جميلٌ يَحْجِبُ عنه الشمسَ ، فقال أبو اسحق الصابي [1] :

قامَتْ تُظَلِّلُني من الشَّمْسِ   نَفْسٌ أحبُّ إليّ من نفسي ؛
قامت تُظَلِّلُني ، ومِنْ عَجَبٍ   شَمْسٌ تُظَلِّلُني من الشمسِ !

— وله في الغزل :

إنْ تَحْنُ قِسْناكَ بالغُصْنِ الرطيبِ فَقَدْ
حِفْنا عَلَيْكَ به ظُلْماً وعُدْوانا [2] ،
لأنّ أحسنَ ما نَلْقاهُ مُكْتَسِياً ،   وأنتَ أحسنَ ما نَلقاكَ عُرْيانا !

— تُوُفِّيَ أبو سعيدٍ سِنانٌ ، بِكْرُ أولادِ أبي اسحقَ الصابي ، فكتب الشريفُ الرَّضِيّ إلى أبي اسحقَ رِسالةً يعزّيه فيها ؛ فأجابه أبو اسحق برسالةٍ منها :

وَصَلَتِ الرُّقْعَةُ — أطالَ اللهُ بقاءَ سيّدي الشريفِ الجليلِ ، وأدام عِزّه وتأييدَه ونِعْمته وكِفايتَهُ وحِراسته ووِقايته — بالتفَضُّلِ الذي زادَ وأوْفى ، والقولِ الذي نَفَعَ وشَفَى ، والتَعْزِيَةِ التي غَمَرَني إحْسانها وبَهَرَني استِحْسانُها [3] ، فصادفتْ منّي قلباً عَليلاً وخاطراً كليلاً ونفساً قد أثْخَنَتْها الرَّزِيّةُ [4] .... ولو جَرَيْتُ في مَيْدانها وطالبت نفسي بجوابٍ مِثْلِها لما شَقَقْتُ غُبارَها .... وإذا أفَقْتُ من السَكْرةِ وخرجتُ من الغَمْرَةِ بدأتُ بقَصْدِ [5] حَضْرَته الجليلةِ ومُشاهدة غُرّته الشريفةِ النَبيلة ، ثم واظبتُ على حقّه الذي قد لَزِمَني ، وتأدِيةِ فرضِه الذي قد اسْتَرقّني وارْتَهَنَني ، إنْ شاء اللهُ ، وهُوَ حَسْبُنا ونِعْمَ الوكيلُ .

---

١ الشمس مستعملة حقيقة (الجرم السماوي الذي يبعث الضوء إلى أرضنا فيكون في أرضنا نهار) ومجازاً (للفتاة الجميلة التي تشبه الشمس بجمالها) — وهنا : للغلام . راجع معجم الأدباء ٢ : ٥٦ .
٢ حاف : جار ، ظلم (بخس الآخرين حقوقهم) .
٣ بهرني استحسانها : غشي على بصري نور حسنها (فعجزت عن كتابة مثلها في الرد عليها) .
٤ خاطر كليل : قريحة ضعيفة تعبة . أثخنتها (أكثرت الجراح فيها) الرزية (المصيبة) .
٥ بقصد حضرته الجليلة : توجهت الى حضرته (الدار التي هو حاضر فيها) لزيارته . الجليلة : السامية المقام التي تقابل بالاحترام

٤ – المختار من رسائل أبي اسحق ... الصابي (نقّحه شكيب أرسلان)، بعبدا – لبنان (المطبعة العثمانية) ١٨٩٨ م؛ بيروت (دار النهضة الحديثة) ....
رسائل الصابي والشريف الرضيّ (تحقيق الدكتور محمّد يوسف نجم)، الكويت (التراث العربي: سلسلة تصدرها دائرة المطبوعات والنشر في الكويت) ١٩٦٠ م.

• الفهرست ١٢٢، ١٣٤؛ يتيمة الدهر ٢: ٢١٨ – ٢٨٦؛ معجم الأدباء ٢: ٢٠ – ٩٤؛ شذرات الذهب ٣: ١٠٦ وما بعدها؛ بروكلمان ١: ٩٥، الملحق ١: ١٥٣ – ١٥٤؛ زيدان ٢: ٣١٦ – ٣١٧؛ النثر الفنّي ٢: ٢٩٠ – ٣٠١.

الصاحبُ بنُ عبّاد الطالقاني

١ – هو كافي الكُفاة أبو القاسم اسماعيلُ بنُ أبي الحسن عبّادِ (توفي سنة ٣٣٥ هـ) بنِ العبّاسِ بنِ عبّادِ بنِ أحمدَ بنِ إدريسَ، وُلِدَ في الطالقان من أعمال قَزْوينَ في ١٦ من ذي القَعْدة من سنة ٣٢٦ هـ (١٤–١٠–٩٣٨ م) في الأغلب، في بيتِ علمٍ وجاهٍ.

تلقّى اسماعيلُ بن أبي الحسنِ العلمَ على أحمدَ بنِ فارسٍ وابنِ العميدِ وعلى جماعةٍ من البغداديّين والرازيّين، ثم بدأ حياتَه العَمَليّةَ في خدمةِ ابنِ العميدِ – وكان ابنُ العميدِ يَعْطِفُ عليه ويُجِلّه فكَثُرَتْ ملازمةُ إسماعيل له حتّى سُمّيَ «صاحبَ ابنِ العميدِ» أو «الصاحبَ» فاشتهر باسم «الصاحبِ ابنِ عبّادٍ». ثم انّ ابن العميدِ وَصَلَ الصاحبَ بنَ عبّادٍ بخدمةِ مُؤيّدِ الدولة ابنِ رُكْنِ الدولة البُوَيْهيّ في إصْبهان (قُبيل ٣٤٧ هـ = ٩٥٨ م).

رَحَلَ مؤيّدُ الدولةِ إلى بَغدادَ فرافقه الصاحبُ إليها فأعجبَتْه فأخذَ عن بعضِ عُلمائها وناظر بعضَهُمُ الآخرَ وتعاظم على نفرٍ منهم.

ولمّا جاء المتنبّي إلى العراقِ كَتَبَ إليه ابنُ العميدِ من أَرّجانَ يستزيره، فذهب إليه المتنبّي (٣٥٤ هـ = ٩٦٥ م) ومدحه؛ فتعرّض الصاحبُ بن عبّاد للمتنبّي وبَذَلَ له عِشرينَ ألفَ دينارٍ على أن يمدحَه فلم يتقبّلِ المتنبّي (فإنّ الصاحبَ لم يكنْ في ذلك الحينِ قد بلغ الثلاثينَ من عُمُرِه).

ولمّا تُوُفّـيَ أبو الفضلِ بنُ العميدِ (٣٦٠ هـ) خَلَفَهُ ابنُه أبو الفَتْحِ ابنُ العميد في الوزارة لمؤيّدِ الدولة ، فنشأ ـ من أجل ذلك في الأغلب ـ شيءٌ من العَداوةِ بين الصاحبِ وبين أبي الفتح . ثمّ اغْتِيلَ أبو الفتح ابن العميد (٣٦٦ هـ) فخَلَفَه الصاحبُ في الوزارة لمؤيّدِ الدولة . ولمّا تُوُفّي مؤيّدُ الدولةِ (٣٧٣ هـ) وخَلَفَهُ أخوه فَخْرُ الدولة استمرّ الصاحب في الوزارة .

اعتلّ الصاحبُ بن عبّاد ثم توفّي في الرّيّ في ٢٤ من صَفَرَ سَنَةَ ٣٨٥ هـ (٣١ـ٥ـ٩٩٥ م) .

٢ ـ كان الصاحبُ بن عبّادٍ أديباً مُتَرسّلاً وشاعراً وعالماً . وهو يتخيّر ألفاظه الفصيحةَ ويَسُوقُها في التّركيبِ المتين . ثم هو شديدُ التكلّف في الصناعتين المَعْنوية واللفظية مولعٌ بالسّجع بَلَغَ من وُلوعه به أنْ كَتَبَ إلى قاضٍ بقُمَّ : « أيها القاضي بِقُمْ ، قد عزَلْناك فَقُمْ ! » فعزَلَ قاضياً كَيلا تفلتَ منه سَجْعةٌ . وشعرُ الصاحب يتّسمُ بخصائصِ نثره إلاّ أنه أقلّ قيمةً . وفي شِعرِه مَدْحٌ ورثاء وهجاء وغزل وحكمة ومُلَحٌ ومُداعباتٌ ، وفيه إخوانيات . وكان الصاحب مُعْتَزِلِيّاً .

وللصاحبِ بن عبّادٍ تواليفُ كثيرةٌ منها : كتاب الوقف والابتداء ، المُحيط في اللغة ، الكَشْف عن مساوئ المتنبّي ، كتاب الإمامة في تفضيل عليّ بن أبي طالب وتصحيح إمامة من تقدّمه ، نهج السبيل في الأصول ، تاريخ المُلْك واختلاف الدول ، كتاب الإبانة عن مذهب أهل العَدْل بحجج من القرآن والعقل. ثم له ديوان شعرٍ وديوان رسائلَ .

٣ ـ المختار من نثره وشعره

ـ كتب ابنُ العميدِ إلى الصاحبِ بن عبّادٍ يَصِفُ له البحرَ ، فرد عليه الصاحبُ برسالة منها :

وصل كتابُ الأستاذِ الرئيسِ صادراً عن شطّ البحر بوصفِ ما شاهَدَ من عجائبِه ، وعايَنَ من مَراكبه ورآه من طاعةِ آلاتها للرياحِ كيفَ أرادَتْها، واستجابةَ أدَواتها لها متى نادَتْها ، وركوبَ الناس أشباحَها والخوفُ بمسرأىً

ومسمعٍ ، والمنونُ بمَرْقبٍ ومَطْلَع .... وعرَفْتُ ما قاله مِنْ تمنّيه كَوْني عِنْدَ ذلك بحضرته وحُصولي على مساعدته . ومن رأى بحرَ الأُستاذِ كيفَ يتَزْخرُ[1] بالفضل وتتلاطم فيه أمواج الأدبِ والعلمِ لم يَعْتُبْ على الدهرِ فيما يُفيتُه من مَنْظَرِ البحر . ولا فضيلةَ له (للبحر) عندي أعظمَ من إكبار الاستاذ لأحواله واستعظامه لأهواله ....

– وقال يصف الخمر (وفيات ١ : ١٣٣) :

رقَّ الزّجاجُ ورقّتِ الخمرُ وتَشابهَا ، فتشاكلَ الأمرُ .
فكأنما خَمْرٌ ولا قَدَحٌ ، وكأنما قَدَحٌ ولا خمرُ !

– وكتب إلى أبي الفضل بن شُعيب :

يا أبا الفضلِ ، لِمْ تأخّرتَ عنا ؟ فأسأنا بحسنِ عَهْدِكَ ظَنّا .
كم تمنّتْ نفسي صديقاً صَدوقاً ، فإذا أنْتَ ذاكَ المُتَمَنّى .
فَبِغُصْنِ الشبابِ لمّا تثنّى ، وبعهدِ الصبا وإنْ بانَ منا[2] ،
كُنْ جوابي إذا قرأتَ كِتابي ؛ لا تقلْ للرسول : كان وكُنّا[3] !

٤ – المقصور والممدود (نشره برونوله) لندن – ليدن ١٩٠٠ م .

رسالة الهداية والضلالة (نشرها حسن علي محفوظ) ، طهران (مطبعة الحيدري) ١٩٥٥ م .

عنوان المعارف في ذكر الخلائق (حرّره محمّد حسن آل ياسين) ، الكاظمية (دار المعارف) ١٩٥٣ – ١٩٥٥ م .

رسالة في أحوال عبد العظيم الحسني (حرّرها محمّد حسن آل ياسين) ، الكاظمية (دار المعارف) ١٩٥٣ – ١٩٥٥ م .

الإبانة عن مذهب أهل العدل (حرّره محمّد حسن آل ياسين) ، الكاظمية (دار المعارف) ١٩٥٣ – ١٩٥٥ م .

---

١ زخر : امتلأ وعلا وفاض واضطرب .
٢ فبغصن (الباء للقسم) . بان (الصبا) منا : أصبحنا متقدمين في السن .
٣ كن جوابي : احضر إلي . لا تقل : كان وكنا : لا تتعلل بأعذار (كيلا تجيب على رسالتي اليك) .

التذكرة (حرّرها محمد حسن آل ياسين) ، الكاظمية (دار المعارف) ١٩٥٣ ـ ١٩٥٥ م .

ديوان الصاحب بن عبّاد (تحقيق الشيخ محمّد حسن آل ياسين) ، بغداد (منشورات المجمع العلمي العراقي) ، (مكتبة النهضة) ١٣٨٤ هـ (١٩٦٥ م) .

أمثال المتنبّي ، جمعها الصاحب بن عبّاد (شرحها زهدي يكن) ، بيروت (مكتبة صادر) ١٩٥٠ م .

•• الكشف عن مساوئ المتنبّي ، القاهرة (مكتبة القدسي) ١٣٤٩ هـ .

شرح على متن الحكم لابن عطاء السكندري ، أو : غيث المواهب العليّة بشرح الحكم العطائية ، القاهرة (المطبعة الخيرية) ١٣٠٣ هـ .

رسالة الارشاد في أحوال الصاحب بن عبّاد ، تأليف أحمد بن محمّد الحسيني الحسني (نشرها جلال الدين الحسيني الطهراني) ، طهران (مطبعة المجلس) ١٣٤٢ هـ .

الصاحب بن عبّاد ، تأليف خليل مردم ، دمشق (مطبعة الترقّي) ١٩٣٣ م .

الصاحب بن عبّاد ، تأليف حامد حفني داوود ، ١٩٥١ م .

الصاحب بن عبّاد : حياته وأدبه ، تأليف محمّد حسن آل ياسين ، بغداد (مكتبة المعارف) ١٩٥٧ م .

مثالب الوزيرين : ابن العميد والصاحب بن عبّاد ، تأليف ابي حيان التوحيدي (عني بتحقيقه ابراهيم الكيلاني) ، دمشق (دار الفكر) ١٩٦١ م ؛ = أخلاق الوزيرين : «مثالب الوزيرين الصاحب بن عبّاد وابن العميد» (حقّقه محمّد بن تاويت الطنجي) ، دمشق (مطبوعات المجمع العلمي العربي بدمشق) ١٣٨٥ هـ (١٩٦٥ م) .

الصاحب بن عبّاد : الوزير الأديب العالم ، بقلم الدكتور بدوي طبانه ، أعلام الأدب رقم ٢٧ ، القاهرة ١٣٨٣ هـ (١٩٦٤ م) .

الفهرست ١٣٥ ؛ يتيمة الدهر ٣ : ٦٩ ـ ٢١٥ ؛ معجم الأدباء ٦ : ١٦٨ ـ ٣١٧ ؛ وفيات الأعيان ١ : ١٣١ ـ ١٣٤ ؛ إنباه الرواة

١ : ٢٠١ – ٢٠٣ ؛ بغية الوعاة ١٩٦ – ١٩٧ ؛ شذرات الذهب ٣ : ١١٣ – ١١٦ ؛ بروكلمان ١ : ١٣٦ – ١٣٧ ، الملحق ١ : ١٩٨ – ١٩٩ ؛ زيدان ٣ : ٣١٧ – ٣١٨ ؛ النثر الفنّي ٢ : ٢٤٣ – ٢٥٨ .

ابنُ سُكَّرة

١ – هو أبو الحسنِ محمّدُ بنُ عبدِ الله بنِ محمّدِ الهاشمي ، من ذُرّيـة أبي جعفرٍ المنصور ومن أهل بَغدادَ . كان ابنُ سُكّرةَ على فقرِه يأخذُ الحياةَ هَوْناً ويَسْلُكُ سَبيلَ الهَزْل والمُجون . وقد توفّي في بغدادَ في ١١ ربيعٍ الآخر ٣٨٥ ﻫ (١٤–٥–٩٩٥ م) .

٢ – ابنُ سُكّرةَ شاعرٌ مُكثِرٌ ، قيل : ديوانُه خمسونَ ألفَ بيتِ شعرٍ منها عشرةُ آلافٍ في جاريةٍ سوداءَ اسمُها خَمْرةُ . وأكثرُ شعره الهَزْل والمُجون ، وهو فائقُ القول في المُلَح والإحماض .

٣ – المختار من شعره

– قال ابنُ سُكّرةَ في الشّباب :

لقد بانَ الشبابُ وكان غُصْناً ... له ثمرٌ وأوراقٌ تُظِلُّكْ .
وكان البعضُ منكَ فماتَ ، فاعْلَمْ ... متى ما مات بَعْضُكَ ماتَ كُلُّكْ !

– وقال في الغزل :

أنا ، واللهِ ، هالِكٌ آيسٌ من سَلامتي ،
أو أرى القامةَ التي قد أقامَتْ قِيامتي !

– ولِيمَ في حبّ غُلام أعرَجَ فقالَ :

قالوا : بُليتَ بأعرجٍ ! فأجَبْتُهُم : ... العيبُ يَحْدُثُ في غصونِ البانِ .
إني أريدُ حديثَه وأريدُه ... للنّومِ ، لا للجَرْيِ في المَيْدانِ !

– وروى الحريريّ في المَقامةِ الكَرَجيّة بَيْتَيْ ابنِ سُكّرةَ في كافاتِ الشَّتْوة (في

سبعةِ أشياءَ يريدها ابن سكّرة في الشتاء يبدأ اسْمُ كُلِّ شيءٍ منها بكافٍ) :

جاء الشتاءُ وعندي من حوائجهِ سَبْعٌ ، إذا القَطْرُ عن حاجاتنا حبسا[1]
كِنٌّ وكيسٌ وكانونٌ وكأسُ طِلا بعد الكَباب و ــ ناعمٌ وكِسا[2] ؛

٤ ـ •• يتيمة الدهر ٣ : ٣ ـ ٢٥ ؛ وفيات الأعيان ٢ : ٣٦١ ـ ٣٦٣ ؛ الوافي بالوفيات ٣ : ٣٠٨ ـ ٣١٢ ؛ شذرات الذهب ٣ : ١١٧ ـ ١١٨ ؛ بروكلمان ١ : ١٣١ ، الملحق ١ : ٣٠٧ ؛ زيدان ٢ : ٣٠٧ .

ابن النديم

١ ـ هو أبو الفرجِ مُحمّدُ بنُ أبي يعقوبَ إسحاقَ النديمِ الورّاقِ البَغداديّ : كان أبوه ورّاقاً (يَنْسَخُ الكُتُبَ ويجلّدها ويَبيعُها) في مدينةِ بغدادَ ، ولكن لا نَعْرِفُ من أينَ جاءه لقبُ النديم ، مَعَ شُهرَتِه عليه .

وُلِدَ أبو الفرجِ ابنُ النديمِ في بغدادَ سَنَةَ ٣٢٠ هـ أو قُبيلَ ذلك ثم عَمِلَ في الوراقةِ صِناعةِ أبيه ؛ وسافرَ مَعَ أبيه مراراً إلى المَوْصِلِ . وكانت وَفاتُه في ١٩ شَعبانَ من سنة ٣٨٥ هـ (١٨ـ٩ـ٩٩٥ م) في الأغلب . وقد كان شيعياً معتزلياً .

٢ ـ تقومُ شهرة ابن النديمِ على **كتاب الفِهْرِسْت** ، ولم يَصِلْ إلينا منه إلاّ هذا الكتابُ . وابنُ النديمِ أوّلُ مَنْ عرّفنا أنه دوّنَ أسماءَ الكُتُبِ وتكلّم على أصحابها . ثم إنّ كتابَه أولُ سِجِلٍّ مَوْضوعي للثقافاتِ التي كانت ظاهرةً في القرنِ الرابعِ للهجرةِ[3] . ويبدو مِنْ مُقَدّمةِ كتابِ الفِهرِست أنّ ابنَ

---

١ القطر : المطر .

٢ الكن : البيت ، المأوى . الكيس : غلاف يضع الإنسان فيه الطعام . كانون : موقد النار (للتدفئة) . الطلا = الطلاء : الخمر . الكباب : اللحم المشرح (بفتح الراء المشددة) .... الكسا = الكساء : الثوب .

٣ إن رسائل اخوان الصفا ، وهي أيضاً صورة للحياة العقلية في القرن الهجري الرابع ، قد عنيت بالجانب النظري من الحياة في الأكثر وجاءت بالثقافات ممزوجاً بعضها ببعض وعلى سبيل الرمز ثم اتخذت ما أثبتته منها وسيلة إلى بث آراء اخوان الصفا الدينية في الأكثر .

النديم كانَ يُحِبّ الإيجازَ ويُؤثِرُ تَدْوينَ النتائجِ على سَوْقِ المُناقَشاتِ . ولقد جَمَعَ في كِتابِ الفِهرِسْت أسماءَ الكُتُبِ وشيئاً من الأخبارِ المتعلّقة بأصحابها مَعَ التطويل أحياناً أوِ الاختصارِ (وربّما أهمَلَ ذلك جملةً كما نرى في المقالة المتعلّقة بالشعر والشعراء) . وفي كِتابِ الفهرست ملاحظاتٌ قيّمة جِداً في تاريخ العُلوم وتاريخ التأليف . والكتاب مُقَسّمٌ عَشْرَ مقالاتٍ ؛ والمقالةُ تُسَمّى أيضاً جُزْءاً (راجع ص ٢٠٣ ، ٣٥١) . أما المقالات العَشْرُ ففيها :

(١) وصفُ لغاتِ الأُمَمِ وخُطوطِها ثم ذكر الشرائعِ والكتب السماوية : القرآن الكريم والكتب المؤلّفة في علوم القرآن ، ثم التوراة والإنجيل . (٢) النحو واللغة والنحويون واللغويون . (٣) الأخبار والآداب والإخباريون والرُواة والكُتّاب (موظّفو الدولة) والمترسّلون وعُمّال الخَراج وأصحاب الدواوين وأسماء كتبهم ثم أخبارُ النُدَماءِ والمغنّين والمضحكين الخ . (٤) الشعر والشعراء . (٥) علم الكلام والمتكلّمون (المعتزلة والشيعة) والجَبْرية والخوارج والزهاد والمُتَصوّفة . (٦) الفقه والفُقَهاء والمُحَدِّثون . (٧) الفلسفة والعلوم القديمة (الحساب والهندسة والموسيقى والتنجيم والطبّ) الخ . (٨) الأسمارُ والخُرافات والسحر الخ ، ثم الكتب المصنّفة في أسماءِ شتّى لا يُعْرَفُ مصنّفوها ولا مؤلّفوها . (٩) المذاهبُ والاعتقادات (غيرَ الإسلام واليهوديةِ والنصرانيةِ) . (١٠) أخبار الكيماويين والصَنْعَويين (الذين يَعْمَلون في محاولة تحويل المعادنِ الخَسيسة كالنّحاس والرّصاص إلى معادنَ شريفةٍ كالذهب والفضّة) .

وقد انْتهى ابنُ النديمِ من تأليفِ كتابه هذا سَنَةَ ٣٧٧ هـ (٩٨٧ م) وجمع فيه أسماءَ كتبٍ كثيرةٍ . ولا شكَّ في أنه رأى مُعْظَمَ هذه الكتبِ وكانَ حَسَنَ الاطّلاعِ عليها مُحيطاً بكثيرٍ من فنونِها . ومَعَ العلمِ بأنّ مُعْظَمَ هذه الكتبِ قد ضاعَ ، فانّنا نَعْرِفُ من أسمائها جانباً كبيراً من الحياة العقلية والاجتماعيةِ والفنّية للعربِ وللمُسلمين في القرون الأربعة الأولى من الإسلام .

٣ – المختار من آثاره

– من مقدّمة كتاب الفهرست :

رب ، يَسِّرْ برَحْمَتِكَ . النفوسُ تَشْرَابُ [١] إلى النتائج دونَ المُقدّماتِ ، وترتاح إلى الغَرَضِ المقصود دون التطويل في العِبارات . فلذلكَ اقْتَصَرْنا على هذه الكلمات في صدرِ كتابِنا هذا ، إذ كانت دالّةً على ما قَصَدْناه في تأليفه – ان شاءَ اللهَ – فنقولُ ، وايّاه نَسْتَعِينُ ، وايّاه نسألُ الصلوةَ على جميعِ أنبيائِه وعِبادهِ المُخْلِصين في طاعتِه ، ولا حولَ ولا قوّةَ إلاّ باللهِ العليِّ العظيم :

هذا فِهْرِسْتُ كُتُبِ جميعِ الأمم من العرب والعجم الموجود منها بلغةِ العرب وقَلَمِها في أصناف العلوم وأخبارُ مصنّفيها وطَبَقات مؤلّفيها وأنسابهم وتاريخ مواليدهم ومبلغ أعمارهم وأوقات وَفاتِهم وأماكنِ بُلْدانهم ومناقبهم ومثالبهم ، منذ ابتداء كلّ علمٍ اخْتُرِعَ إلى عصرنا هذا ، وهو سَنَةُ سبعٍ وسبعينَ وثلاثمائةٍ للهجرة [٢] .

– مقدار دواوين الشعراء :

قال محمّد بن اسحق (ص ١٥٧) : غَرَضُنا في هذه المقالة [٣] أن نُبَيِّنَ عن ذكر صُنّاعِ أشعار القدماء [٤] وأسماء الرواة عنهم ودواوينهم وأسماء أشعار القبائل ومن جَمَعَها وألّفها . ونذكر ، في الفن الثاني من هذه المقالة و (هو) يحتوي على أشعار المُحْدَثِينَ ، مِقدارَ شعرِ كلّ شاعرٍ والمُكْثِرَ منهم والمُقِلُ . واللهُ يُعينُ على ما ألزمناه نفوسَنا من ذلك بمَنّه ولُطْفه .

قال محمّد بن اسحق (ص ١٥٩) : قد قُلنا في أوّل هذه المَقالة إنّا لا نَسْتَحْسِنُ أن نطبّق [٥] الشعراءَ لأنّه قد قدمنا (تقدمنا) من العُلماءِ والأدباء من

---

١ تشراب = تشرأب = تشرئب : تتطلع (ترغب في أن) .

٢ ٩٩٥ م .

٣ المقالة الرابعة .

٤ صناع الاشعار (هنا) : الذين يجمعون شعر الشعراء ويدونونها (يرتبونها في دواوين) .

٥ أن نطبق الشعراء : أن نجعل الشعراء طبقات (مجاميع بعضها فوق بعض بالاضافة إلى أزمنتها أو إلى درجتها في الشاعرية أو بحسب الفنون الشعرية ، الخ) .

فعل ذلك . وانّما غرضنا أن نورد أسماء الشعراء ومقدار حجم شعر كلّ شاعر منهم ، سيّما المُحْدَثين ، والتَفاوُتَ الذي يَقَعُ في أشعارهم ليَعْرِفَ الذي يُريدُ جمعَ الكتب والاشعار ذلك ويكونَ على بَصيرة فيه . فإذا قُلْنا إنّ شعر فُلانٍ عَشْرُ وَرَقاتٍ فانّه إنّما عَنَيْنا بالورقةِ أنْ تكون سُليمانية ، ومقدارُ ما فيها عِشرونَ سَطْراً ، أعني في صَفْحة الوَرَقةِ فَلْيُعْمَلْ على ذلك في جميع ما ذَكَرْتُه من قليل أشعارهم وكثيرِه . وعلى التقريب قُلْنا ذلك ، وبحَسَبِ ما رأيناه على مَرّ السنين ، لا بالتحقيق والعَدَدِ الجَزْمِ .

٤ – الفهرست (نشره غوستاف فلوغل) ، ليبسيك ١٨٧١ م ، وقد أعادت مكتبة خيّاط (بيروت) طبعه بالتصوير ١٩٦٤ م ؛ القاهرة (المطبعة التجارية) ١٣٣٨ هـ ؛ مصر (المطبعة الرحمانية) ١٣٤٨ هـ .

•• تتمّة اليتيمة ٢ : ٣٠ ؛ معجم الأدباء ١٨ : ١٧ ؛ الوافي بالوفيات ٢ : ١٩٧ ؛ بروكلمان ١ : ١٥٣ ، الملحق ١ : ٢٢٦ – ٢٢٧ ؛ زيدان ٢ : ٣٦٥ – ٣٦٦ .

أبو عليّ الحاتميّ

١ – هو أبو عليٍّ محمّدُ بنُ الحسنِ المُظفَّرِ الكاتبُ اللغَويّ البَغداديّ المعروفُ بالحاتِميّ [١] ، كان مَوْلِدُه – فيما يبدو [٢] – نحوَ سَنَةِ ٣١٠ هـ (٩٢٢ م) . أخذَ الحاتميّ عن أبي عمر الزاهدِ (توفي ٣٤٥ هـ) وأدركَ ابنَ دُريدٍ (توفي ٣٢١ م) ، ولكنّنا لا نُوافق ياقوتاً (معجم الأدباء ١٨ : ١٥٤) في قوله إنّ الحاتميّ أخذَ عن ابنِ دُريدٍ .

يقولُ الحاتميّ عن نفسه [٣] إنّه اتّصلَ بسيفِ الدولةِ ونالَ عنده حَظوةً جعلته في مرتبةِ أبي عليٍّ الفارسيّ وابنِ خالويه وأبي الطيّب اللغويّ وسِنّهُ لم تكنْ زادتْ بعدُ على تسعَ عَشْرَةَ . غيرَ أننا لا نعلمُ إذا كان هذا الاتّصالُ

---

١ في كتاب وفيات الأعيان (٢ : ٣٣٦) : الحاتمي بتاء مكسورة نسبة إلى أحد أجداده اسمه حاتم .

٢ راجع قول الحاتمي أنه كان في التاسعة عشرة لما اتصل بسيف الدولة (سنة ٣٣٠ أو ٣٣٢ هـ) .

٣ معجم الأدباء ١٨ : ١٥٦ س .

بسيفِ الدولة قد كان في المَوْصِلِ بعدَ أن قام ناصر الدولة وأخوه سيف الدولة بقتلِ أميرِ الأمراء محمّد بنِ رائقٍ (سنة ٣٣٠ هـ) ونالا على ذلك لَقَبَيْهِما : ناصرَ الدولة وسيفَ الدولة ، أو بعدَ أنِ انتقلَ سيفُ الدولة إلى حَلَبَ (٣٣٣ هـ) .

غير أنّ الحاتميّ لم يبلغ إلى المنزلةِ العُليا التي صارتْ له في السياسة والأدب إلاّ بعدَ أنِ اتّصل بأبي محمّد الحسن بن محمدٍ المُهَلَّبِيّ الذي أصبح ، في سَنَةِ ٣٣٩ هـ (٩٤٩ – ٩٥٠ م) كاتباً لمُعِزِّ الدولةِ بن بُوَيْهِ . ثم زادتْ منزلته عُلُوّاً لمّا أصبح المهلّبيّ يُدَبِّرُ الوزارة للخليفةِ المُطيع (٣٣٤ – ٣٦٣ هـ) من غيرِ تَسْمِيَةٍ بلقبِ «وزير» .

أما الذي شَهَرَ أبا عليٍّ الحاتميّ في تاريخ الأدب فهو لِقاؤه للمتنبّي في بغدادَ – لمّا وردَ المتنبّي إلى بغدادَ ، سَنَةَ ٣٥٠ هـ – ومناظرتُه في معاني شعره ثم تأليفه للرسالة المُوضِحة ، وَهِيَ المشهورةِ بالرسالة الحاتميّة والتي تدور على الشَّبَهِ الملموحِ بينَ معاني المتنبّي في الحكمةِ وبين الأقوالِ التي كانتْ رائجةً في ذلك الحينِ ومنسوبةً إلى الفلسفةِ اليونانية وإلى أرسطو خاصةً أو غيرَ منسوبة .

وتوفّي أبو عليٍّ الحاتميّ في ٢٦ ربيعٍ الثاني من سنة ٣٨٨ هـ (٢٦–٤–٩٩٨ م) .

٢ – كان أبو عليٍّ الحاتميّ واسعَ الاطّلاعِ ومِنْ حُذاقِ أهلِ اللّغَةِ والأدبِ كثيرَ الحِفْظِ شديدَ العارضةِ (في الجدال والمُناظرة) ، ولكنْ كان فيه اعجابٌ شديد بنفسه وغرورٌ مَعَ شيءٍ كثيرٍ من البُغْضِ لأهلِ العِلم (معجم الأدباء ١٨ : ١٥٤) والجرأةِ عَلَيْهِمْ . ثم كان أيضاً شاعراً قديراً حَسَنَ التَصَرّف في فنون الشعر ، كما كان يَجْمَعُ بينَ البلاغة في النثر والبَراعةِ في الشعر ؛ غير أنّ شعرَه كان ، كشعرِ سائر العلماء ، قليلَ الرونق .

وأبو عليٍّ الحاتميّ مُصَنِّفٌ له : حِلية المحاضرة ؛ الهِلباجة [1] ، سر الصِناعة ، الحالي والعاطل ، كتاب المجاز (وكلّها في الشعر وصِناعته) ، الرسالة الناجية ، مختصر العربية ، كتاب الشراب ، مُنتَزَعُ الأخبار ومطبوع الاشعار ،

---

١ صنف الحاتمي كتاب الهلباجة للوزير أبي عبد الله بن سعدان في رجل سبه (شتمه) عنده ، وسمى الرجل الهلباجة (الأحمق) ولم يصرح باسمه .

كتاب المغسّل (في خصال أبي الحسن البتّي) . ثم له كتاب الموضّحة في مساوئ المتنبّي (وهو المعروف بالرسالة الحاتمية) في ستّ عشْرةَ كرّاسةً (نحو مائةِ صفحةٍ) شرح فيها ما جرى بينه وبين أبي الطيّب المتنبّي من إظهار سَرِقاتِه وإبانة عيوبِ شِعره (وفيات ٢ : ٣٣٢) [1] .

٣ — المختار من نثره وشعره

— من الرسالة الحاتمية :

.... وقد ثبت عند ذوي العقل والتمييز أنّ الإنسان إنّما فضَل سائرَ الحيوان بالعقل المتناولِ علمَ ما غاب عن الحواسّ ، وثبت أن النظر الفكري في النفس مُفصِح عمّا تناول علمَهُ العقلُ ، وهو على ضربين : ضربٍ منه منثور الألفاظ مبثوث المعاني تتصرّف النفس في اجتلابه من حيث يَسنح ، وضربٍ منظوم موجز مفهوم .

ووجدنا أبا الطيّب المتنبّي قد أتى في شعره بأغراض فلسفية ومعان منطقية . فان كان ذلك منه عن فحص ونظر وبحث فقد أغرق في درس العلوم ، وإن يك ذلك منه على سبيل الاتّفاق فقد زاد على الفلاسفة بالايجاز والبلاغة والألفاظ الغريبة . وهو في الحالين على غاية من الفضل وسبيل نهاية من النبل . وقد أوردتُ من ذلك ما يستدلّ به على فضله في نفسه وفضلِ علمه وأدبه واغراقه في طلب الحكمة ممّا أتى في شعره موافقاً لقول أرسطوطاليس في حكمته . قال أرسطو : إذا كانت الشهوة فوق القدرة ، كان هلاك الجسم دون بلوغها .

---

١ في معجم الأدباء (١٨ : ١٥٩ س) يورد ياقوت « مخاطبة جرت بين أبي الطيب المتنبي وأبي علي الحاتمي حكيتها كما وجدتها . قال أبو علي الحاتمي : كان أبو الطيب المتنبي عند وروده مدينة السلام (بغداد) .... » مما يدل على أن « هذه المخاطبة » غير الرسالة الحاتمية . وفي وفيات الأعيان (٢ : ٣٣٣) يقول ابن خلكان : « وله الرسالة الحاتمية التي شرح فيها ما جرى بينه وبين أبي الطيب المتنبي من اظهار سرقاته وإبانة عيوب شعره . ولقد دلت على غزارة مادته وتوفر اطلاعه . وحكى في أول الرسالة السبب الحامل له على ذلك فقال : لما ورد أحمد بن الحسين المتنبي مدينة السلام .... » مما يوحي بأن الحاتمي دون في الرسالة الحاتمية ما جرى بينه وبين أبي الطيب المتنبي في المجلس المذكور ، فتكون الرسالة الحاتمية وما سماه ياقوت « مخاطبة » شيئاً واحداً . ويرى زكي مبارك (النثر الفني ٢ : ١١٥ ع) أن الحاتمي ترك في انتقاد المتنبي رسالتين . — راجع في خصائص الحاتمي في النقد وفي مكانته الأدبية عموماً (النثر الفني ٢ : ١١١ — ١١٩) .

فقال المتنبّي :

٤٢ وإذا كانت النفوس كبـارا تعبت في مُرادها الأجسام .

.... قال أرسطو : علل الأفهام أشدّ من علل الأجسام ، فقال المتنبّي :

يهون علينا أن تُصاب جسومنا وتسلمَ أعراض لنـا وعقول .

.... قال أرسطو : بالغريزة يتعلّق الأدب لا بتقادم الميلاد . فقال المتنبّي :

وإذا الحلم لم يكن عن طباع ، لم يحلِّمْ تقدّم الميـلاد

— وقال أبو عليّ الحاتمي يصف الثريا قبيل طلوع الفجر :

وليل أقمنا فيـه نُعمل كأسَـنا إلى أن بدا للصبح في الليل عسكرُ ،

ونجم الثريّا في السماء كـأنّـه على حِلّةٍ زرقاءَ جيبٌ مدنّر .

٤ — الرسالة الحاتمية في ما وافق المتنبّي في شعره كلام أرسطو في الحكمة (نشرها فؤاد أفرام البستاني) ، بيروت (المطبعة الكاثوليكية) ١٩٣١ م ؛ = الرسالة الموضّحة في ذكر سرقات المتنبّي وساقط شعره (تحقيق محمّد يوسف نجم) ، بيروت (دار صادر) ١٩٦٥ م ؛ (منشورة في « التحفة البهيّة والطرفة الشهيّة ») ، استانبول ١٣٠٢ هـ .

•• يتيمة الدهر ٣ : ٩١ — ٩٤ ؛ تاريخ بغداد ٢ : ٢١٤ ؛ معجم الأدباء ١٨ : ١٥٤ — ١٧٩ ؛ وفيات الأعيان ٢ : ٣٣٢ — ٣٣٦ ؛ الوافي بالوفيات ٢ : ٣٤٣ — ٣٤٤ ؛ إنباه الرواة ٣ : ١٠٣ — ١٠٥ ؛ بغية الوعاة ٣٥ ؛ شذرات الذهب ٣ : ١٢٩ ؛ بروكلمان ، الملحق ١ : ١٩٣ ؛ النثر الفنّي ٢ : ١١١ — ١١٩ .

مدرك بن عليّ الشيباني

١ — كان مُدْرِكُ بنُ عليٍّ الشَيّباني أعرابيّاً « من باديةِ البَصرة ، دَخَل بَغْدادَ صغيراً ونشأ بهـا فتـفـقّـهَ وحصّل العربيةَ (النحو) والأدب » ، وقد تَولّى القضاء في بَغْداد .

في حياةِ مُدْرِكِ الشَيباني هذا حادثٌ واحدٌ وَصَلَ إلينا هو أنه كان يذهب

أحياناً إلى دَيْر الروم (حيّ النصارى) في الجانب الشرقيّ من بغدادَ (الرُّصافة) فتعشّقَ غلاماً اسمُه عَمْرو بنُ يوحنّا حتّى ذَهَبَ عقله.

ويبدو أن مُدْرِكَ بن عليّ تُوُفّيَ في أعقابِ القرن الرابع الهجري، ربّما في سنة ٣٩٠ هـ (١٠٠٠ م).

٢ – كان مُدْرِكُ بن عليّ شاعراً أديباً فاضلاً، فلمّا هام بعمرِو بنِ يوحنّا قال فيه أُرْجوزةً مُزْدَوِجةً جَمَعَ فيها عَدَداً كبيراً من مُصْطَلَحات النصارى في عقائدِهم وأوْردها على سبيل الحِكاية وهو، معَ ذلك، يعْلَمُ أنّ ما فعله مخالف للمَدْرَك الإسلاميّ في الدين. إلا أنّ مُدْرِكاً كانَ يَسْتَحْلِفُ حَبيبَه بما يُورد من المُصْطَلَحات النّصرانية حتّى يَعْطِفَ عليه.

٣ – المختار من الارجوزة المزدوجة (نُلاحظُ أن كلّ بيتين يؤلفانِ وَحْدَةً في القافية):

– قال مدرك الشيباني يتغزّل بعمرو بن يوحنّا ويَتَعَطّفه:

من عاشقٍ ناءٍ هواهُ دانِ ناطقِ دَمْعٍ صامتِ اللسانِ[1]
مُعَذّبٍ بالصدّ والهجران مُوثَقٍ قلبٍ مُطْلَقِ الجثمان.
من غير ذنبٍ كَسَبَتْ يداهُ غيرَ هوىً نَمّتْ به عَيْناه[2]؛
شَوْقاً إلى رُؤيةِ من أشْقاه كأنّما عافاه مَنْ أضْناه.
ما أبصرَ الناسُ جميعاً بَدْراً ولا رَأوْا شَمساً وغُصْناً نَضْرا[3].
أحسنَ من عَمْرو– فَدَيْتُ عَمْرا.
ظَبْيٌ بعَيْنَيْهِ سقاني خَمرا.
يا عُمرو، ناشَدْتُكَ بالمسيحِ، إلاّ سَمِعْتَ القولَ من نصيحِ
يُخْبِرُ عن قلبٍ له جريحِ باحَ بما يَلْقى من التَبْريح[4].

---

١ ناه: بعيد (في الدين والسن والحياة الاجتماعية). هواه دان: قريب بحبه لك.

٢ نمت به عيناه: وشت به، أظهرته عيناه. كأنما عافاه من أضناه (؟) – (الذي أسقمه وأشقاه قادر على شفائه واسعاده!).

٣ النضر: الأخضر اللين (الذي يلمع فيه النشاط من الصحة).

٤ التبريح: الشدة، التعذيب.

بحقِّ قومٍ حَلَقوا الرؤوسا   وعالجوا طولَ الحياة بُوسا[1]
وقرَعوا في البِيعةِ الناقوسا   مُشْمعِلين يَعبُدون عيسى ...

٤ ــ ٥٥ تاريخ بغداد ١٣ : ٢٧٣ ؛ معجم الأدباء ٤ : ١٢٢ ــ ١٢٦ (في ترجمة أحمد بن كليب) ثمّ ١٩ : ١٣٥ ــ ١٤٦ ؛ بروكلمان ، الملحق ١ : ١٣٢ ــ ١٣٣ .

ابنُ الحجّاجِ الكاتبُ

١ ــ هو أبو عبدِ الله الحسنُ بنُ أحمدَ الكاتبُ المعروفُ بابنِ الحجّاج ، من كِبارِ الشيعةِ ، تَوَلّى الحِسْبَةَ[2] في بغدادَ زمناً ، وتُوُفّيَ في بلدةِ النيل على الفُرات (بين الكوفة وبغدادَ) ، في ١٧ جُمادى الثانيةِ من سَنَةِ ٣٩١ هـ (٢٥ــ٤ــ١٠٠١ م) عند مَشْهَدِ موسى الكاظمِ في ظاهرِ بغدادَ (في الكاظمية اليومَ) . وقد رثاهُ الشريفُ الرضيّ .

٢ ــ ابن الحجّاجِ شاعرٌ مُكثِرٌ مُحسِنٌ تكسّبَ بشعره من الملوكِ والأُمراء والوزراء ، ولكنّه أكثرَ القول في الهِجاءِ والمُجون والسُخْف والخَلاعة وملأ شِعره بألفاظِ العَوامّ والسُوقة ومَزَجَه بالدُعابة والمَرح فعَظُمَ ميلُ الناسِ اليه . وكانت له في الجِدِّ أشياءُ حسنةٌ .

٣ ــ المختار من شعره

ــ قال يَعتذِرُ عن كثرةِ المُجون والسُخف في شِعره بميلِ الناس إلى هذا النوعِ من الكلام :

لَوْ جَدَّ شِعْري رأيتَ فيه   كواكبَ اللّيْلِ كيف تَسْري .

[1] قوم حلقوا الرؤوس : الرهبان . البوس = البؤس : الشقاء والفقر والشدة . البيعة (بكسر الباء) : الكنيسة . في القاموس (٣ : ٤٠٤) : شمعلة اليهود : قراءتهم (الصلاة في التوراة) .

[2] الحسبة : منصب للأمر بالمعروف والنهي عن المنكر (لمنع الغش في الصناعات والتلاعب بالأسعار والمحافظة على الأخلاق في الأسواق) .

وإنّما هَزْلُهُ مُجونٌ … يمشي به في المَعاش أمري !

– قال في وصف فوّارة :

صنعتَ في دارك فوّارةً … أغرقْتَ في الأرض بها الأنجُما .
فاض على نجم السُّهى ماؤها … فأصبحتْ أرضك تَسقي السما .

– وقال يصف فرسا :

كالدجى تُبصر من غُرّته … فوق أطباق دُجاه فَلَقَا [1] .
جلّ أن يُلحقَ مطلوباً ؛ ومن … طلب الريح عليه لَحِقا .
فتراه واقفاً في سَرجه … يتلظّى من ذَكاه قَلَقا [2] .
فإذا طاب به المشيُ مضى … وهو كالريح يَشُقّ الطرقا .

– وقال في بخيل نزل به ضيوف :

يا رائحاً في داره غاديا … بغير معنىً وبلا فائدهْ ،
قد جُنّ أضيافُك من جوعهم … فاقرأْ عليهم سورةَ المائدهْ !

– وقال يصف سوء حاله :

وأيّ دارٍ تيَمّمْتُها … تبَمَّمَ بوّابُها حُجتي [3] .
وان أنا زاحمت حتّى أموتَ … دخلتُ وقد زَهِقت مُهجتي ،
فيَرْفعني الناسُ عند الوصول … إليهم وقد سقطت عِمّتي .
ولا لي غلامٌ فأدعو به … سوى من أبوه أخو عمّتي [4] .
وكنت مليحاً أروق العيو … نَ قَبْلاً فقد قَبُحَت خِلقتي .
وقوّسني الدهرُ حتّى انطويتُ … فصِرت كأنّي أبو جدّتي .
وكان المُزيّن ، فيما مضى ، … تُكسِّر أمشاطَه طُرّتي [5] ....

---

١ الفلق : ضوء الصبح .
٢ الذكا والذكاء : الحرارة .
٣ الحجة : الخصومة .
٤ الغلام : الخادم (ليس لي خادم يخدمني إلا من أبوه أخو عمّي – أنا خادم نفسي) .
٥ المزين : الحلاق (كان شعري كثيفاً يكسر أمشاط المزين) .

٤ — ** تاريخ بغداد ٨ : ١٤ — ١٥ ؛ يتيمة الدهر ٣ : ٢٥ — ٨٧ ؛ وفيات الأعيان ١ : ٢٧٦ — ٢٧٧ ؛ معجم الأدباء ٦ : ٢٠٦ — ٢٣٢ ؛ شذرات الذهب ٣ : ١٣٦ — ١٣٧ ؛ بروكلمان ١ : ٨١ ، الملحق ١ : ١٣٠ ؛ زيدان ٢ : ٣٠٧ .

أبو الفتح بن جِنّي

١ — وُلِدَ أبو الفتحِ عُثمانُ بنُ جِنّيّ في المَوْصِلِ قبل سَنَةَ ٣٣٠ هـ[١] (٩٤١ م) . وقد كان والدُه جنّي مملوكاً رومياً لسُلَيمانَ بن فهدِ بن أحمد الأزديّ الموصليّ .

قرأ ابنُ جِنّيّ العِلمَ في العراق والموصل والشام وفي غيرها ، ولكنّ تَتَلْمُذَه الصحيحَ كان على أبي عليٍّ الفارسيّ في الموصل وبغدادَ : فارقه مُدَيْدَةً ثم عادَ إليه ، ويُقالُ إنه سَمِعَ منه أربعين سَنَةً . ولمّا تُوُفّيَ أبو عليٍّ الفارسيّ (٣٧٧ هـ = ٩٨٧ م) تصدّرَ ابن جِنّيّ للتدريس مكانَه في بغداد .

ولما كان المتنبّي في بَلاطِ سيف الدولة كان مَعَهُ ابن جِنّي وأبو علي الفارسيّ. وكان بين ابن جِنّي والمتنبّي مودّةٌ واحترام ، وكانا يتفاوضان أموراً في النحو .

ومات ابن جِنّي في بغدادَ ، في ٢٧ صفر سنة ٣٩٢ هـ[٢] .

٢ — كان ابن جِنّي إماماً في اللغة والنحو ومن أحذقِ أهلِ الأدبِ وأعلمهم بالتصريفِ خاصةً . وموقفه وسط بين الكوفيين والبصريين . وكان ناثراً شاعراً رثى المتنبّي بقصيدة جيّدة مَطْلَعُها :

غاضَ القريضُ وأذْوَتْ نُضْرَةُ الأدبِ ،
وصَوّحت بَعْدَ رِيِّ دَوْحةُ الكُتُبِ .

ولابن جِنّي مُصنّفاتٌ كِثارٌ كبارٌ جِيادٌ منها : الخصائص (ألف ورقة) ،

١ وفيات الاعيان ١ : ٥٦٣ . — اذا اعتبرنا صلة ابن جني بالمتنبي في بلاط سيف الدولة فيجب ان تكون ولادته أسبق على سنة ٣٣٠ كثيراً .

٢ أوائل عام ١٠٠٢ م . وفي تاريخ الكامل لابن الأثير (٩ : ٦٧) سنة ٣٩٣ هـ .

التمام في تفسير أشعار هُذيل مما أغفله السكّري (خمسمائة ورقة)، سر الصناعة، تفسير تصريف المازني، شرح مُستَغلِق أبيات الحماسة واشتقاق أسماء شعرائها، شرح المقصور والممدود عن ابن السكيت، تفسير ديوان المتنبّي الكبير، رسالة في مدّ الأصوات ومقادير المدّات، كتاب الفصل بين الكلام الخاص والكلام العام، كتاب المحتسب في علل شواذّ القراءات .

٣ ـ المختار من كلامه

ـ من عقود الهمز :

بسمِ اللهِ الرحمنِ الرحيمِ : للهمزةِ المَصُوغة في نفسِ الكَلِمَةِ ١ من التقدّمِ والتأخّرِ ثلاثُ أحوالٍ : حالٌ تكونُ (الهمزةُ) فيه مُبْتَدأةً، وحالٌ تكونُ فيها حَشْواً، وحالٌ تكون فيه طَرَفاً ٢ . فإذا وقعتْ مبتدأةً كُتِبَتْ ألفاً البتّةَ، مضمومةً كانت أو مفتوحةً أو مكسورةً ؛ فالمضمومةُ نحو : أُذُن وأُخت وأُتْرُجّة، والمفتوحةُ نحو : أخٌ وأبٌ وأَحَدٌ وأَحْمَدُ، والمكسورةُ نحو : إبْرة وإثْمِد وإبراهيم . فإذا وقعتِ الهمزةُ حَشْواً لم يَعْدُ أنْ تكونَ ساكنةً أو متحرّكةً . فان كانتْ ساكنةً وانضمّ ما قبلَها كُتِبَتْ واواً نحو : جُؤْنة وبُؤْس وثُؤْلول، وانِ انْفَتَحَ ما قبلَها كُتِبَتْ إلِفاً نحو : رَأس وفأس وفأل، وانِ انْكَسَر ما قبلَها كُتِبت ياءً وذلك نحو : بِئْر وذِئْب وبِئْسَ الرجُلُ زَيْدٌ . فإنْ كانتْ مفتوحةً وانفتح ما قبلَها كُتِبت ألِفاً نحو سأَل وبأَر وزأَر . وإنِ انضمّ ما قبلَ المفتوحةِ كُتِبت واواً نحو جُؤَن ويُؤَذّن .... فإنِ انضمّتْ الهمزةُ حَشْواً وانضمّ ما قبلَها كُتِبت واواً وذلك (نحو) : شُؤُون وعُؤُود (؟) و تُؤُمّل . وكذلك إذا انفتح ما قبلَ المضمومةِ كُتِبت واواً أيضاً وذلك نحو : لَؤُم الرجُل وضَؤُل جسمُهُ . ولا يَقَعُ قبلَهما في هذا الموضعِ الكسرةُ لأنّه ليسَ في كلامِ العربِ خُروج من كسْرٍ (إلى ضمّ) بناءً لازماً . فانْ كانت الهمزةُ المتوسّطةُ مكسورةً كُتِبت ياءً على كل حالٍ، انفتحَ ما قبلَها أو انكَسَرَ أو انْضَمّ . فالمفتوحُ ما قبلَها نحوُ سَئِم

---

١ كذا في الأصل المطبوع، والصواب : في الكلمة، أو في الكلمة نفسها .

٢ حشواً : في وسط (بفتح السين) الكلمة . طرفاً : في آخر الكلمة .

وحـِثر ، والمكسور ما قبلها نحو بِئس وسئم وحئر [1] ، والمضمومُ ما قبلها نحو سُئِل ورُئِد أي أفزِع ....

– من كتاب الخصائص : باب القول على اللغة وما هي ؟

أمّا حدّها فإنّها أصواتٌ يُعبّرُ بها كلّ قومٍ عن أغراضهم . هذا حدّها . وأمّا اختلافُها فلِما سنذكُرُهُ في باب القول عليها : أمُواضَعَةٌ هيَ أم إلهام [2] ؟ وأمّا تصريفُها ومعرفةُ حروفها فإنّها فُعلَةٌ من لغَوْتُ ، أي تكلّمتُ . وأصلُها لُغوَة ككُرَة وقُلَة وثُبَة كلّها لاماتُها واواتٌ [3] لقولهم : كرَوْتُ بالكُرة وقلَوْت بالقُلَة ، ولأنّ ثُبَة من مقلوب « ثاب – يثوب » . وقد دلَلْتُ على ذلك وغيره من نحوه في كتابي في سر الصناعة . وقالوا (في الجمع) : لُغاتٌ ولُغونَ ككُرات وكُرون ....

٤ – مختصر التصريف الملوكي (تحرير غودفريدوس هوبرغ) ، ليبريغ (بروكهاوس) ١٨٨٥ م .

ثلاث رسائل : المقتضب من كلام العرب ؛ ما يحتاج اليه الكاتب ؛ عقود الهمز (عني بنشرها فارس الكيلاني) ١٣٤٢ هـ (١٩٢٣ م) .

الالفاظ المهموزة على سياق حروف المعجم (حقّقها .... صلاح الدين المنجّد) ، دمشق (مطبعة الترقّي) ١٩٤٧ م .

المبهج في تفسير أسماء شعراء ديوان الحماسة (حماسة أبي تمّام) (عنيت بنشره مكتبة القدسي والبدير) ، دمشق (مطبعة الترقي) ١٣٤٨ هـ .

سرّ صناعة الاعراب (بتحقيق مصطفى السقّا وغيره) ، القاهرة (البابي) ١٩٥٤ م .

الخصائص ، القاهرة (دار الكتب المصرية) ١٩١٢ م ؛ (بتحقيق محمّد علي النجّار) ، الطبعة الثانية ، القاهرة (دار الكتب المصرية) ١٩٥٢ – ١٩٥٤ م .

المنصف : شرح لكتاب التصريف لأبي عثمان المازني (بتحقيق ابراهيم مصطفى وعبد الله أمين) ، القاهرة (البابي) ١٩٥٤ – ١٩٦٠ م .

---

١ ليس في القاموس رسم يوافق بئس وسئم وحئر بكسر الحرف الأول والثاني فيها .

٢ آتفق الناس على الكلمات التي يتفاهمون بها أم أن الله هو الذي ألهم الإنسان الكلام ؟

٣ لام الفعل : الحرف الأخير من الفعل نحو « قلو » ، فان الواو هي لام الفعل لأنها تقابل اللام في « فعل » . وكذلك الراء في « نصر » مثلا تقابل اللام في « فعل » .

التمام في تفسير أشعار هذيل ممّا أغفله أبو سعيد السكّري (حقّقه ..... أحمد ناجي القيسي ، خديجة الحديثي ، أحمد مطلوب ، وراجعه مصطفى جواد) ، بغداد (مطبعة العاني) ١٩٦٢ م .

تفسير أرجوزة أبي نواس في تقريظ الفضل بن الربيع (تحقيق محمّد بهجة الأثري) ، دمشق (مطبوعات مجمع اللغة العربية) ، المطبعة الهاشمية ١٣٨٦ هـ (١٩٦٦ م) .

•• الفهرست ٨٧ ؛ يتيمة الدهر ١ : ٨٩ ؛ دمية القصر ٢٩٧ – ٢٨٩ ؛ تاريخ بغداد ١ : ٣١١ ؛ معجم الأدباء ١٢ : ٨١ – ١١٥ ؛ وفيات الأعيان ١ : ٥٦١ – ٥٦٣ ؛ إنباه الرواة ٢ : ٣٣٥ – ٣٤٠ ؛ شذرات الذهب ٣ : ١٤٠ – ١٤١ ؛ بروكلمان ١ : ١٣١ ، الملحق ١ : ١٩١ – ١٩٣ ؛ زيدان ٢ : ٢٤٨ – ٣٥٠ .

السَّلاميُّ الشاعرُ

١ – هو أبو الحسنِ محمّدُ بنُ عبدِ الله بنِ محمّدٍ من بني الوَليدِ بن الوليد ابن المُغيرةِ [١] بن عبد الله بن عُمَرَ بنِ مَخْزومٍ ، يلتقي نسبَه بخالدِ بنِ الوليدِ بالوليدِ بنِ المُغيرة .

وُلِدَ أبو الحسن محمّدُ بنُ عبدِ الله في ٦ رَجَبَ من سَنَةِ ٣٣٦ هـ (٢٢–١–٩٤٨ م) في الكَرْخ (الجانب الغربي من بَغدادَ) ، وقد نشأ في مدينة السّلامِ فعُرِفَ بالسَّلاميِّ (بفتح السين) وبالبَغداديّ .

خرَجَ السَّلاميّ إلى المَوْصِل ، وهو صَبيّ (ربّما في حدود سنة ٣٦٠ هـ) ، فاجتمع فيها بالخالديَّيْنِ والبَبَّغاء وأبي الحسن التلعفري . ثم إنّ السّلاميّ قصَدَ الصاحبَ بن عبّادٍ في أرّجانَ وأقام عنده مُدّة . بعدئذٍ أحبّ أنْ يتوجّهَ إلى عَضُدِ الدولةِ في شيرازَ ، فكتب له الصاحبُ بن عبّادٍ رسالةً إلى أبي القاسمِ عبدِ العزيزِ بن يوسُفَ الكاتبِ ، كاتبِ عَضُدِ الدولة ، فوَصَلَهُ أبو القاسمِ بعَضُدِ الدولة .

---

١ كان الوليد بن الوليد بن المغيرة أخا خالد بن الوليد ...

نالَ السَّلاميّ عند عَضُدِ الدولة مكانةً رفيعةً ودَرّتْ عليه الدنيا . وبعدَ وفاةِ عَضُدِ الدولة (٣٧٢ هـ = ٩٨٣ م) تراجعتْ حالُ السَّلاميّ وتقلّبتْ به الدنيا . ثم مات في ٤ جُمادى الأولى سنة ٣٩٣ هـ (١٠-٣-١٠٠٣ م) .

٢ - السَّلاميّ شاعرٌ مطبوعٌ مُحْسِنٌ ، وكانت أمّه أيضاً شاعرةً . نَظَمَ الشعر منذ حَداثته الأولى (قيل كان عُمُرُهُ عَشْرَ سِنينَ) وقال قصيداً ورَجَزاً ، رَوِيّةً وارتجالاً . وله السَّبْكُ المتين واللفظ العَذْب . وفنونُ شعره الوصف البارع والغزل معَ شيءٍ من المُجون ، والخَمريات ، وله مديحٌ وهجاء وعِتاب .

٣ - المختار من شعره

- قال السَّلاميّ يَصِفُ دِرْعَه : تُحْسِنُ اليه إذ تدفع عنه الموتَ ثم هو يُسيءُ اليها غيرَ مُفَنَّدٍ (غير مُخْطِئٍ) إذ يُعَرِّضُها لوقع السيوف :

يا رُبَّ سابغةٍ حَبَتْني نِعْمةً ، كافأتُها بالسوء غيرَ مُفَنَّدِ [1] :
أضحتْ تصونُ عن المنايا مُهْجَتي ، وظَلَلْتُ أبْذُلُها لكلّ مُهَنَّدِ !

- وقال السَّلاميّ من قصيدةٍ يَمْدَحُ بها عضد الدولة :

إليكَ طوى عَرْضَ البسيطةِ جاعــلٌ قُصارى المَطايا أنْ يلوحَ لها القَصْرُ [2] .
فكنتُ وعَزْمي في الظلامِ وصارمي ثلاثةَ أشباهٍ كما اجْتَمَعَ النَسْرُ [3] .
وبَشَّرتُ آمالي بمَلْكٍ هُوَ الوَرى ! ودارٍ هيَ الدنيا ، ويومٍ هُوَ الدهر [4] !

- وقال في الغزل :

وفيهن سَكْرى اللحظِ سَكرى مِنَ الصبا تعاتب حلو اللفظ حلو الشمائل [5] .
أدارتْ علَيْنا من سُلافِ حديثِها كؤوساً وغَنَّتنا بصوتِ الخَلاخل !

---

١ السابغة : الدرع الواسعة .
٢ جاعل = رجل جاعل (فاعل « طوى ») . قصارى المطايا = أقصى همها ، غاية ما تُريده .
٣ كما اجتمع النسر (!) .
٤ ملك (بسكون اللام) = ملك (بفتح الميم وكسر اللام) .
٥ تعاتب (؟) حلو اللفظ (فيها) حلو الشمائل - الاستعارة غير واضحة لي .

– وقال السّلاميّ يصف مجلساً للخمر ، وفي قوله شيءٌ من الزندقة :

اشْرَبا واسْقِيا فتىً يُصْحِبُ الأيْـ ـامَ نَفْساً كثيرةَ الأوطارِ .
ونفوسُ الكبارِ تأنَفُ للـ ـسادةِ أنْ يشربوا بغَيْرِ الكِبار [1] .
في جِوارِ الصبا نَحِلّ بُيوتاً عَمَرَتْ بالغُصونِ والأقمار [2] .
ونصلّي على أذانِ الطَّنابيـ ـرِ ونُصْغي لنَغْمَةِ الأوتار ،
بين قومٍ إمامُهم ساجدٌ للـ ـكأسِ أو راكعٌ على المِزْمار !

٤ – •• يتيمة الدهر ٢ : ٣٦٤ – ٣٩٨ ؛ تاريخ بغداد ٢ : ٣٣٥ – ٣٣٦ ؛ وفيات الأعيان ٢ : ٣٥٧ – ٣٦٠ ؛ الوافي بالوفيات ٣ : ٣١٧ – ٣١٩ ؛ زيدان ٢ : ٢٩٦ – ٢٩٧ .

ابن وكيع التنّيسيّ

١ – هو أبو محمدٍ الحسنُ بنُ عليِّ بنِ أحمدَ بنِ محمّدٍ (وكيعٍ) بن خلَفٍ ، أصلُه من بَغدادَ ومولده في تِنّيسَ قربَ دُمْياط (مصر) .

نشأ ابن وكيع التنّيسي في بيتٍ على شيءٍ من اليَسار وشيءٍ مثله من العلم فقد كان جدّه وَكيعُ (محمّدُ بنُ خلَفٍ) عالماً مُصنِّفاً للكتب وشاعراً (توفي سنة ٣٠٦ هـ في بغدادَ) . وتنّيسُ بلدٌ خِصْبٌ جميلٌ آثرَ ابنُ وكيعٍ فيه أن يَنْصرفَ إلى تركِ الكِفاحِ في الحياةِ للاستمتاع باللهوِ وحدَه فلم يُعْرَفْ أنه عَمِلَ عَملاً في الحياة ولا تكَسّبَ بشعرِه . وكانت وفاتُه أيضاً في تِنّيس في ٢٣ جُمادي الأولى ٣٩٣ هـ (٣٠–٤–١٠٠٣ م) .

٢ – ابن وَكيعٍ التِنّيسي شاعرٌ بارعٌ ظريفٌ خفيفُ الروحِ وَقَفَ شِعْرَه على الوصفِ والغزل ، ومالَ إلى المُجون فاتّخذه مَذْهباً في الحياة يدعو إليه

---

١ نفوس (الناس) الكبار .... بغير (الكئوس) الكبار .
٢ في جوار الصبا لا نزال قريبين من عهد الشباب .... عمرت (امتلأت بحسان قاماتهن) كالغصون و (وجوههن) كالبدور .

ويُدافعُ عنه ويُحسّنه في العيونِ والآذان . وشعره الباقي مُقَطّعاتٌ حسنةُ المعاني جميلة السَبْكِ واضحةُ القَصْد . ثم له مُرَبّعةٌ (قصيدةٌ كلّ بيتين فيها بقافيةٍ واحدةٍ في صَدْرَيْهما وعَجزَيْهما معاً) ، نحو :

رسالة من كَلِفٍ عميدِ حياتُه في قبضة الصدودِ
بلّغه الشوقُ مدى المجهودِ ما فوق ما يلقاه من مزيدِ
جارَ عليه حاكمُ الغرامِ فدقّ أن يُدْرِكَ بالأفهامِ
فلو أتاه طارقَ الحِمام [1] لم يَرَهُ من شدّة السَّقام

وكذلك له مُزْدَوِجَةٌ (قصيدة كلّ بيت فيها بقافية واحدةٍ في صَدْره وعَجْزه) ، نحو :

يا سائلي عن أطيب الدهورِ [2] ، وَقَعْتَ في ذاك على الخبيرِ .
سألتني : أيُّ الزمانِ أحلى ، وأيُّه بالقَصْف عندي أولى [3] !
عِنْديَ في وصف الفصول الأربعه مقالةٌ تُغني اللبيب مُقْنِعَهْ .

وأكثر مَيْلِ ابن وكيعٍ إلى المقطّعات أو ما يُشْبِهُ المقطّعاتِ (في قصائده المربّعة مثلاً) . وأوسعُ فنونِ شعرهِ وصفُ الازهار والخمرُ والغزل ، وله شيءٌ من الهجاء والحكمة .

ولابن وكيعٍ كتاب «المُنْصف» بيّن فيه سَرِقاتِ أبي الطيّب المتنبّي :

٣ ـ المختار من شعره

ـ لقد قَنِعَتْ همّتي بالخمول وصدّت عن الرُتَب العاليهْ ؛
وما جَهِلت طعمَ طيبِ العلا ولكنّها تؤثر العافيهْ !
ـ جانبت بعدَك عِفّتي ووَقاري وخلعت في طُرُق المُجون عِذاري ،
لا تأمُرَنّي بالتَستّر في الهوى ، فالعيش أجمع في رُكوب العار .
من تابعت أمرَ المُروءة نفسُه فَنِيَتْ من الحسَرات والأفكار .

---

١ الحمام (بكسر الحاء) : الموت .
٢ الدهور : العصور = الأزمنة .
٣ القصف (غير عربية) : اللهو (القاموس ٣ : ١٨٥) .

خوّفتني بالنار جُهْدَكَ دائباً ولَجَجْتَ في الإرهاب والإنذار.
خوفي كخوفك ؛ غير أني واثقٌ بجميل عفو الواحد القهّار .
انظُرْ إلى زهر الربيع وما جلَتْ فيه عليك طرائفُ الأنوار [1] ؛
أبدت لنا الأمطارُ فيه بدائعاً شَهِدت بحكمة مُنْزِل الأمطار :
ما شئتَ للازهار في صحرائه من دِرْهَمٍ بَهِجٍ ومن دينار ،
وجواهراً لولا تغيّرُ حُسْنِها جلّتْ عن الأثمان والأخطار :
من أبيضٍ يَقَقٍ وأصفرَ فاقعٍ مثل الشموس قُرِنَ بالأقمار ؛
ناحت لنا الأطيار فيه فأرْهجت [2] عِرسَ السرور ومأتَمَ الأطيار .
دارٌ لوِ اتّصلَ السرورُ لأهلها لم يَحْفِلوا بنعيم تلك الدار [3] .
فانهضْ بنا نحوَ السرور فإنّه ما زال يسكن حانة الخمّار ،
واشربْ مُعَتّقَةً كأن نسيمها مسكٌ تُضَوِّعُه يدُ العطّار ،
أخفى دبيباً في مفاصل شَرْبِها وأدقُّ ألطافاً من المِقدار [4] !

٤ – •• ابن وكيع التنيسي ، جمع شعره وحقّقه دكتور حسين نصّار ، القاهرة (بلا تاريخ) .
يتيمة الدهر ١ : ٣١٧ – ٣٤٣ ؛ تتمة اليتيمة ١ : ١٢٩ ؛ وفيات الأعيان ١ : ٢٤٣ – ٢٤٥ ؛ شذرات الذهب ٣ : ١ : ١٤١ – ١٤٢ ؛ بروكلمان ١ : ٩١ ، الملحق ١ : ١٤٧ .

الواسانيّ الدمشقيّ

١ – هو أبو القاسمِ الحسينُ بنُ الحسنِ بن واسانَ بن محمّدٍ الواسانيّ الدِمَشْقيّ ، كان مُعادياً لرجلٍ يَهوديٍ اسمه منشّا بنُ إبراهيمَ القزّازُ . ويبدو

١ النور (بفتح النون) : الزهر الابيض ؛ (وهنا) الزهر عامة .
٢ أرهج = أرهجت السماء : همت بالمطر . أرهج الرجل : كثّر (فعل لازم) . بخور بيته (« بخور » فاعل « كثّر ») ، الرائحة الطيبة في بيته . – المعنى غير واضح .
٣ تلك الدار = الجنة .
٤ الشرب (بفتح الشين) : الذين يشربون الخمر معاً . المقدار : القضاء والقدر . الموت .

أن ابن القزّاز هذا كان يغدو على نفرٍ من حُكّام دِمَشْقَ باللهو ، فهَجاه الواسانيّ مرّةً بقصيدة واستطردَ فيهـا إلى التعريضِ بأبي الفَضْل يوسفَ بن عليّ بن قُسطا بن صمع يتّهمهُما بالفِسق والفاحشةِ ، فكانت تلك القصيدةُ سبباً لعزْلِ الواسانيّ من مَنْصِبه . وتوفي الواسانيّ سَنَةَ ٣٩٤ هـ (١٠٠٣ م) .

٢ ــ الواساني شاعرٌ مُحْسِنٌ طويلُ النفسِ بَرَع في الهجاء فكان في دمشق في أيامه كما كان ابن الرومي في زمانه في بغداد . وفنونه الهجاء الذي يَسُوده الهَزْل والإقذاع والفُحش . ومن فنونه الوصفُ والغزل والمجون والخمريات . وأشهر شعره قصيدته النونية التي يَصِفُ فيها دَعوةً لنفر من أصحابه في قرية قُرْبَ دمشق ، وهي مائة وخمسة وتسعون بيتاً (يتيمة الدهر ١ : ٣٠٠ ــ ٣٠٩) .

٣ ــ المختار من شعره

ــ من القصيدة النونية :

ضُرِبَ البوقُ في دِمَشْقَ ونادَوْا — لِشقائي – في سائرِ البُلْدانِ :

النفيرَ النفيرَ : بالخيلِ والرَّجْلِ إلى قَفْرِ[١] ذا الفتى الواساني .

جَمَعوا لي الجُموعَ من جيلِ جيلا — نَ وفَرْغانةٍ ومن دَيْلَمانِ[٢] ،

ومن الرومِ والصَقالبِ والترْ — كِ وبعضِ البُلْغارِ واليونانِ ؛

لم يُحاشوا، مِمَّنْ عَدَدتَ من الآ — فاقِ ، من مُسْلِمٍ ومن نَصْراني.

كلَّ ذي مِعْدَةٍ تُقَعْقِعُ جوعاً، — وهو شاكي السِلاحِ بالأسنان:

كل ذي اسمٍ مُسْتَغرَبٍ أعْجَميَ — مَنَعَتْهُ صَرْفَ اسْمِه عِلّتان ،

كَمَرَنْدٍ وطُغْتَكِينَ وطَرَخا — نَ وكِسْرى وخُرَّمٍ وطغاني .

لستُ أنسى مُصيبَتي يومَ جاءو — ني وقد ضاقَ عنهمُ الواديان[٣] .

قَصَدَتْ هذه الطوائفُ خمرا — يا[٤] ابتلاءً ونَكْبَةً لامْتحاني ،

---

١ وفي رواية : قفر (؟) .

٢ فرغانة = بلاد الشاش وراء النهرين (في التركستان) . ــ يسمي الشاعر أقواماً كثيرين من غير أن يقصد تعيين مواطنهم .

٣ يقصد أن الذين جاءوا إلى أن يأكلوا عنده أشخاص وأقوام لا يعرفهم .

٤ خمرايا بلدة الشاعر ....

وأناخوا بنا — فيا لكَ من يو م عصيبٍ من حادثاتِ الزمان !
أكلوا لي من الجِداءِ [1] ثلاثيـ ـنَ وسَبْعاً بالخلِّ والزعفران ؛
أكلوا ضِعْفَها شِواءً وضِعفَيْـ ـها طبيخاً من سائرِ الألوانِ ؛
أكلوا لي سبعين حُوتاً من النَهْـ ـرِ كبيراً من أعظم الحيتان[2] .
ثم لمّا أتَوْا على كلِّ شيءٍ ختموا مِحنتي بكسر الأواني !

٤ — •• يتيمة الدهر ١ : ٢٩٥ — ٣١٧ ؛ معجم الأدباء ٩ : ٢٣٣ — ٢٦٥ ؛ بروكلمان ، الملحق ١ : ١٣٨ ؛ زيدان ٢ : ٣٠٧ .

القاضي الجرجانيّ

١ — وُلِدَ أبو الحسنِ عليّ بنُ عبدِ العزيزِ الجُرجانيّ في جُرْجانَ وتطوّف في صِباه في فارسَ والعراقِ والشامِ ، وسَمِعَ الحديثَ في نيسابور . وقدْ تولّى القضاءَ على المذهبِ الشافعيّ مِراراً في بُلدانٍ مختلفةٍ حتّى أصبح قاضيَ القُضاةِ في الرّيّ .

اتّصل القاضي الجرجاني بالصاحبِ بن عبّادٍ وتَوثّقتِ الصِلةُ بينَهما بِرُغْمِ ما كان بينَهما مِنَ اختلافِ الرأيِ في المتنبّي : فلمّا ألّفَ الصاحبُ بنُ عبّادٍ رسالته في الكشف عن مساوئ المتنبّي ألّف الجُرجانيّ كتابَه القَيِّمَ « الوساطةَ بينَ المتنبّي وخصومهِ » . ولمّا مات الصاحبُ بن عبّادٍ (سنة ٣٨٥ هـ) تصرّفتِ الأحوالَ بالجُرجانيّ كثيراً . ثم تُوفّي الجُرجاني ، وهوَ قاضي القُضاةِ في الريّ ، سنة ٣٩٣ هـ[3] (١٠٠٢ — ١٠٠٣ م) ، ودفن في جرجان .

---

١ الجداء جمع جدي : الخروف الصغير .
٢ الحوت : السمكة .
٣ ابن الأثير (٩ : ٦٧) . في معجم الأدباء (١٤ : ١٥) : مات بالري يوم الثلاثاء لست (ليال) بقين من ذي الحجة سنة اثنتين وتسعين وثلاثمائة ، وورد نيسابور سنة سبع وثلاثين وثلاثمائة . وفي وفيات الأعيان (١ : ٥٨٤) : ذكر الحاكم في تاريخ النيسابوريين أنه (الجرجاني) توفي في سلخ (آخر) صفر سنة ٣٦٦ هـ بنيسابور ، وعمره ست وسبعون سنة ؛ وورد به أخوه محمد نيسابور في سنة ٣٣٧ هـ وهو صغير غير بالغ ؛ وسمعا من سائر الشيوخ : مات بالري سنة ٣٩٢ هـ .... ونقل الحاكم أثبت وأصح .

٢ – كان القاضي الجُرجاني إماماً فاضلاً وشاعراً وناثراً وفقيهاً ومتكلّماً ، ولكنّه شُهِرَ بالشعر وبالتأليف في الأدب . وشعرُه متينُ السبكِ عالي النَفَس مَعَ سُهولة وعُذوبة في المُقَطّعات والقصائد على السواء . وهو مُكْثِر ، وأحسنُ فنونه الحكمة والغزلُ . أما نثرُه فسَهْلٌ مُمْتَنِعٌ مُرْسَل حَسَن التقسيم والمُعالجة للمَوْضوعات التي يتَناولُها . وله كُتُبٌ منها : تفسيرُ القرآن المجيد ، تهذيب التاريخ ، الوَساطةُ بينَ المتنبّي وخصومه ، وقد ألّفه للردّ على الصاحب بن عبّاد (راجع فوق ، ص ٥٦٢) .

٣ – المختار من شعره ونثره

– قال عليّ بنُ عبد العزيزِ القاضي الجُرْجانيّ في حقّ العِلْم على العالِمِ :

يقولون لي : فيكَ انْقِباضٌ ، وإنّما ... رأَوْا رَجُلاً عن موقفِ الذُلّ أحْجَما[1] .
أرى الناسَ : من داناهُمُ هان عِندهم ، ... ومن أكْرَمَتْهُ عِزّةُ النَفْسِ أُكْرِما .
إذا قِيلَ : هذا مَشْرَبٌ ؛ قلتُ : قد أرى ، ... ولكنّ نَفْسَ الحُرِّ تَحْتَمِلُ الظَما .
وما كلّ بَرْقٍ لاحَ لي يَسْتَفِزّني ، ... ولا كلّ أهلِ الأرضِ أرْضاهُ مُنْعِما[2] .
ولم أقْضِ حقّ العِلْم إن كنتُ كلّما ... بدا طَمَعٌ صَيّرته ليَ سُلّما[3] .
ولم أبْتَذِلْ في خِدْمَةِ العِلْم مُهْجتي ... لأَخْدُمَ من لاقَيْتُ لكن لأُخْدَما .
أَأَشْقى به غرساً وأجنيه حَنْظَلاً ؟ ... إذَنْ ، فاتّباعُ الجهلِ قد كان أحْزَما[4] .
ولو أنّ أهلَ العِلمِ صانوه صانَهُمْ ، ... ولَوْ عَظّموهُ في النُفوسِ لعُظّما ،
ولكنْ أهانوهُ فهانَ ، ودَنّسوا ... مُحَيّاهُ بالأطماعِ حتى تَجَهّما[5] .

– وقال القاضي الجرجاني في الغزل والخمر :

أفدي الّذي قالَ وفي كَفّهِ ... مِثْلُ الذي أشْربُ من فيه[6] :

[1] انقباض : انكماش ، قلة رغبة في الانبساط إلى الناس . أحجم : تأخر ، أمسك نفسه عن الاقدام .
[2] – لا أركض وراء كل أمل يبدو لي ، ولا أرضى التفضل علي من أي انسان اتفق .
[3] .... صيرت (العلم) سلماً (وسيلة) إلى كل حاجة أو مطمع مادي .
[4] طال شقائي وتعبي في غرس العلم (في التعلم وأنا صغير) فلا أريد أن أقطف الآن ثمراته بإذلال نفسي للآخرين (تسخير علمي للاستفادة المادية من الناس) . لو كنت أرغب في مثل ذلك لما كنت تعلمت (فأنا أستطيع بإذلال نفسي للآخرين أن أتكسب منهم كثيراً ، سواء أكنت عالماً أو جاهلا) .
[5] المحيا : الوجه . تجهم : غلظ ، قبح (لقد سخر نفر من الناس علمهم في سبيل أغراضهم الدنيا حتى كره الناس العلم) .
[6] مثل الذي أشرب من فيه « كناية عن الخمر وتشبيه ريق المحبوب بها » .

الوردُ قد أينَعَ في وَجْنتي ، قُلْتُ : فَمي باللثْمِ يَجْنيه [1] .

— وقال في الوحْدةِ (البعد عن الناس) :

ما تَطَعَّمْتُ لَذّةَ العيشِ حتّى صِرتُ للبيتِ والكتابِ جَليسا .
ليسَ شيءٌ عِندي أعَزَّ من العلْـ ـمِ ، فَلِمْ أبْتغي سِواهُ أنيسا [2] ؟
إنّما الذُلّ في مُخالطةِ النّا سِ ، فَدَعْهُمْ وعِشْ عزيزاً رئيسا .

— الشعر والشعر المحدَث (من الوساطة بين المتنبّي وخصومه ٢٣) :

ومتى سَمِعْتَني أختارُ للمُحْدَثِ هذا الاختيارَ ، وأبْعَثُه على التَطَبّعِ وأحَسِّنُ له التسهيلَ ، فلا تَظُنَّنَّ أني أريدُ بالسَمْحِ السَهْلِ الضعيفَ الركيكَ ، ولا باللطيفِ الرشيقِ الخَنِثَ المُؤنّثَ ، بل أريد النَمَطَ الأوْسَطَ : ما ارْتفعَ عن الساقطِ السُوقي وانْحطّ عن البَدْوِيّ الوَحْشِيّ ، وما جاوزَ سَفْسَفَةَ نَصْرٍ ونُظَرائه ولم يَبْلُغْ تَعَجْرُفَ هَمْيانَ بنِ قُحافةَ [3] وأضْرابه . نَعَمْ ، ولا آمُرُكَ بإجراءِ أنواعِ الشعْرِ كلّه مَجْرىً واحداً ، ولا أن تَذْهَبَ بجميعه مذهبَ بعضه . بل أرى لك أن تُقَسِّمَ الألفاظَ على رُتَبِ المعاني ، فلا يكونُ غَزَلُكَ كافتخارِكَ ، ولا مدحُكَ كوعيدِكَ ، ولا هجاؤكَ كاستبطائِكَ ، ولا هَزْلُكَ بمنزلةِ جِدِّكَ ، ولا تعريضُكَ مثلَ تصريحك ؛ بل تُرَتِّبُ كُلاًّ مرتبتَه وتُوَفّيه حَقَّهُ : فتَتَلَطّفُ إذا تغزّلتَ ، وتَفَخّمُ إذا افتخرتَ ، وتتصرّفُ للمديح تصرّفَ مواقعه ، فإنّ المدحَ بالشجاعةِ والبأس يَتَمَيّزُ عنِ المدحِ باللَباقةِ والظَرْف ، ووصفُ الحربِ والسلاحِ ليسَ كوصفِ المجلسِ والمُدامِ . فلكلّ واحد من الأمرينِ نَهْجٌ هو أمْلَكُ بهِ وطريقٌ لا يُشارِكُه الآخَرُ فيه ..... فأمّا الهجوُ فأبْلَغُه ما جرى مَجْرى الهَزْلِ والتهافُتِ ، وما اعترضَ بينَ التصريحِ والتعريضِ ، وما قَرُبَتْ معانيه وسَهُلَ حِفْظُه وأسرَعَ عُلوقُه بالقلبِ ولُصوقه بالنفس . فأما القَذْفُ والإفحاشُ فسُبابٌ مَحْضٌ ، وليسَ للشاعرِ فيه إلاّ إقامةُ الوزنِ وتصحيحُ النظم .

---

١ الورد في الخد (حمرة الخد ، جمال الوجه) لا يقطف باليد (كورد الشجر) بل يلثم (يقبل بالفم) .
٢ .... فلماذا أبتغي (أطلب) مؤنساً سوى العلم .
٣ نصر = الخبز أرزي (راجع ، فوق ، ص ٤٣٠ – ٤٣١) ؛ هميان بن هميان بن قحافة : شاعر قديم (أموي) راجز من بني عامر .

– المطبوعون في الشعر والنقد الصحيح (الوساطة ٢٣ – ٢٤) :

وإذا أردتَ أن تَعرِفَ موقعَ اللفظِ الرشيقِ من القلب ، وعِظَمَ غَنائه في تَحسين الشعر ، فتصفَّحْ شِعرَ جَميلٍ وذي الرُّمَّة في القدماء ثم البُحتريَ في المتأخّرين ، وتتبَّعْ نسيبَ مُتَيَّمي العربِ ومُتغزِّلي أهلِ الحِجازِ كعُمَرَ وكُثَيِّرٍ وجَميلٍ ونُصَيبٍ وأضرابِهم وقِسْهُمْ بمَنْ هم أجودُ منهم شِعراً وأفصحُ لَفظاً وسَبْكاً ، ثمّ انظُرْ واحكُمْ وأنصِفْ ، ودَعْني من قولِكَ : هل زادَ على كذا ، وهلْ قالَ إلاّ ما قالَ فُلانٌ ! **فإنّ رَوْعةَ اللفظِ تُفضي بك إلى الحُكْمِ** (السريع) ، **وإنما تُفضي (أنت) إلى المَعنى عند التفتيش والكَشْف** . ومِلاكُ الأمر تركُ التكلّفِ ورفضُ التعمّل والاسْتِرسالُ للطبع وتَجنّب الحَمْلِ عليه والعُنْف به . **ولستُ أعني بهذا كلّ طبعٍ ، بل المهذّبَ الذي صَقَلَهُ الأدبُ وشَحَذَتْهُ الرِوايةُ وجَلَتْه الفِطنَة وأُلهِمَ الفصلَ بين الرديء والجيّدِ وتصوُّرَ أمثلة الحُسْنِ والقُبْحِ .**

– القول في المتنبّي (الوساطة ٤٨) :

إن خَصْمَ هذا الرجلِ فريقانِ : أحدُهما يَعُمّ بالنقصِ كلّ مُحْدَث ، ولا يرى الشعرَ إلاّ القديمَ الجاهليَ وما سُلك به ذلك المنهجَ وأُجْرِيَ على تلك الطريقة .... فإذا نَزَلْتَ به إلى أبي تمّامٍ وأضرابه نَفَضَ يدَه وأقسَمَ واجْتَهَدَ أنّ القومَ لم يَقْرِضوا بيتاً ولم يَقَعوا من الشعر إلا بالبُعْدِ . وأنا أرى لَكَ ، إذا كنتَ مُتوخّياً للعَدْلِ مُؤثراً للإنصافِ أنْ تَقسِمَ شِعْره (شعرَ المتنبّي) فتجعلَه في الشطرِ الأولِ تابعاً لأبي تمام ، وفيما بَعْدَهُ واسطةً بينه (بين أبي تمّامٍ) وبينَ مسلمٍ (بن الوليد) ....

٤ – الوساطة بين المتنبّي وخصومه ، صيداء (مطبعة العرفان) ١٣٣٦ هـ ؛ (نشرها أحمد عارف الزين) ، القاهرة (مكتبة صبيح) بلا تاريخ ؛ (تحقيق وشرح محمّد أبي الفضل إبراهيم وعلي محمّد البجاوي) ، القاهرة (دار إحياء الكتب العربية) ١٣٦٤ هـ (١٩٤٥ م) .

هـ يتيمة الدهر ٤ : ٣ – ٢٥ ؛ معجم الأدباء ١٤ : ١٤ – ٣٥ ؛ وفيات الأعيان ١ : ٥٨٣ – ٥٨٤ ؛ شذرات الذهب ٣ : ٥٦ – ٥٧ ؛ بروكلمان ، الملحق ١ : ١٩٩ ؛ النثر الفنّي ٢ : ٧ – ١٦ .

أبو هِلالِ العسكريُّ

١ – هو أبو هلالٍ الحسنُ بنُ عبدِ اللهِ بن سهلٍ العَسْكريّ تلميذُ أبي أحمدَ الحسنِ بنِ عبدِ اللهِ العسكريّ . كان أبو هلالٍ العسكريّ فارسيّ الأصلِ من أهلِ إصبهانَ في الغالبِ ثم سَكَنَ البصرةَ وبغدادَ وتلقّى العلمَ فيهما . ولا نَعْلَمُ تاريخَ ولادتِه ولا تاريخَ وفاتِه ، سوى أن ياقوتاً ذَكَرَ (معجم الأدباء ٨ : ٢٦٤) أنه وَجَدَ على كتاب الاوائل لأبي هلالٍ العسكريّ : « وفرَغْنا من إملاء هذا الكتابِ يومَ الاربعاء لعَشْرٍ خَلَوْنَ من شَعْبان سنة خمسٍ وتسعينَ وثلاثِمائةٍ » (٢٢–٥–١٠٠٥ م) ، فلعلّ وفاتَه كانت بعدَ ذلك بقليلٍ .

٢ – كان أبو هلالٍ العسكريّ لُغوياً وناثراً وشاعراً ، الا أن شُهرتَه وبراعته إنما هما في النثرِ وفي النَقْدِ على الأخصّ ، وهو يَرى أن الألفاظَ يَجِبُ أن تكونَ وافيةً بالمعاني ، و (تكون) المعاني على قَدْرِ الألفاظ . ثم هو يَرى أن جَوْدَةَ الشعر راجعةٌ إلى جودة التشبيهِ والاستعارة والتَوْرِيَةِ والمُطابقة ، ثم إلى تحسين اللفظ وتجميل الصورة .

ولأبي هلال العسكري من الكتب ديوان شعر ، جمهرة الامثال ، المحاسن في تفسير القرآن (خمس مجلّدات) ، كتاب من احتكم من الخلفاء إلى القضاة ، شرح الحماسة ، كتاب التلخيص (في اللغة) ، العمدة ، التبصرة ، كتاب ما تلحن فيه العامّة والخاصّة ، كتاب الدرهم والدينار ، كتاب فضل العطاء على العُسر ، **كتاب صناعتي النظم والنثر** (اختصر هو منه كتاب الصناعتين سنة ٣٩٤ هـ) ، كتاب معاني الأدب ، اعلام المعاني في معاني الشعر ، كتاب الأوائل (فرَغ من تأليفه ٣٩٥ هـ) .

٣ – المختار من آثاره

– قال أبو هِلالٍ العسكريُّ في الشكوى من الدهر والناس :

جلوسيَ في سوقٍ أَبيعُ وأشتَري ... دليلٌ على أن الأنامَ قُرودُ .
ولا خيرَ في قومٍ تَذِلّ كرامهم، ... ويَعْظُمُ فيهم نَذْلُهم ويَسود .

ويهجوهُمُ عني رثاثةُ كُسوتي هِجاءً قبيحاً ما عليه مزيد .

ــ وقال في الغزل :

يا هلالاً من القصور تَدلّى صام وجهي لمُقلتيه وصلّى.
لستُ أدْري أطالَ ليليَ أم لا ؛ كيف يدري بذاك من يَتَقَلّى !

ــ وكان يفضّل البرد على الحر ، قال من قصيدة :

ان روحَ الشتاء خلّص روحي من حَرورٍ تشوي الوجوه وتكْوي[1] .
لستُ أنْسى منه دماثةَ دَجْنٍ ثُمّ من بعده نَضارةَ صَحْوِ[2] ،
وجَنوباً تُبَشّرُ الأرضَ بالقَطْرِ كما بُشّرَ العليلُ ببرْوِ[3] !

ــ من كتاب الصناعتين :

وقد علِمْنا أنّ الإنسانَ إذا أغْفَل عِلْمَ البلاغة وأخلّ بمعرفة الفَصاحة لم يقَعْ علمُه بإعجاز القُرآن من جِهةِ ما خصّه الله به من حُسْنِ التأليف وبراعة التركيب .... وضَمّنه من الحلاوة وجلّله من رونقِ الطّلاوةِ مَعَ سُهولة كَلِمِه وجَزالتها وعُذوبتها وسلاستها ، إلى غير ذلك من محاسنه التي عَجَزَ الخلقُ عنها وتحيرت عقولهم فيها .... فينبغي من هذه الجهة أن يُقَدّمَ اقتباس هذا العلمِ على سائرِ العلومِ بعدَ توحيدِ الله تعالى ومعرفة عَدْله والتصديق بوعده ووعيده على ما ذكرنا ، إذ كانت المعرفةُ بصحّة النبوّة تتلو المعرفةَ بالله جَلّ اسمُه .... فلمّا رأيتُ تخليطَ هؤلاء الأعلامِ (الذين ألّفوا في البلاغة والبيان) في ما راموه مِنَ اختيار الكلام ، وَوَقَفْتُ على موقعِ هذا العلم من الفضل ومكانه من الشرف والنُبْل ووجدتُ الحاجةَ إليه ماسّةً والكُتُبَ المُصنّفة فيه قليلةً .... رأيتُ أنْ أعملَ كِتابيَ هذا مشتملاً على جميع ما يُحتاج اليه في صَنعة الكلام نثرِه ونظمِه ويُستعملُ في محلولهِ وعقده ، من غيرِ تقصير وإخلال وإسهاب وإهذار .... وليس الغَرَضَ في هذا الكتابِ سلوكُ مذهبِ المتكلّمين (في الجدال ؟) ، وإنّما قصدتُ فيه مَقْصِدَ صُنّاع الكلام من الشعراء والكُتّاب ، فلهذا لم أُطِلِ الكلامَ في هذا الفصل .

---

١ الحرور : الحر .

٢ الدجن : الغيم الذي يطبق (يملأ ما بين) الأرض والسماء ، المطر الكثير .

٣ البرو = البرء : الشفاء .

ونحن نفهم رَطانة السُوقيّ وجَمْجمة الأعجمي للعادة التي جرَتْ لنا في سَماعها (في المدن التي تُخالِطُ فيها السوقةَ والأعاجم)، لا لأن تلك بلاغة. ألا ترى أنّ الأعرابي (لمكانِه في البادية بعيداً عن أهلِ المدن) إذا سَمِعَ ذلك لم يَفْهَمْه، إذ لا عادةَ له بسَماعه.

وأبلغُ من هذه المنزلة (التصرفِ في فنون القول المختلفة) أن يكونَ في قوّة صائغ الكلام أن يأتِيَ مرّةً بالجزل ومرّة بالسهل فيَلينُ إذا شاء ويشتدّ إذا أراد. ومن هذا الوجهِ فضّلوا جَريراً على الفَرَزْدَقِ وأبا نُواسٍ على مُسْلمِ (بن الوليد).

٤ ـ كتاب الصناعتين: الكتابة والشعر، الاستانة (محمود بك) ١٣٢٠ هـ؛ القاهرة، الطبعة الثانية، (مكتبة صبيح) بلا تاريخ؛ (نشره محمّد البجاوي ومحمّد أبو الفضل ابراهيم)، القاهرة (دار إحياء الكتب العربية) ١٩٥٢ م.

ديوان المعاني، القاهرة (مكتبة القدسي) ١٣٥٢ هـ.

اللمعة من الفروق (اللغوية)، مكة المكرمة (مطبعة الترقّي الماجدية) ١٣٢٩ هـ.

ديوان أبي محجن الثقفي وشرحه في كتاب «طُرَف عربية» (لاندبرغ)، ليدن (بريل) ١٣٠٢ ـ ١٣٠٦ هـ.

الفروق في اللغة (اللغوية)، القاهرة (مكتبة القدسي) ١٣٥٣ هـ.

الكرماء (مفسّر ألفاظه محمود الجبّال)، القاهرة (مطبعة الشورى) ١٣٢٦ هـ.

جمهرة الأمثال (بهامش مجمع الأمثال للميداني)، القاهرة (المطبعة الخيرية) ١٣١٠ هـ.

المعجم في بقية الاشياء (أكمله وعلّق عليه ابراهيم الابياري وعبد الحفيظ شلبي)، القاهرة (دار الكتب المصرية) ١٣٥٣ هـ (١٩٣٤ م).

التفضيل بين بلاغتي العرب والعجم، الاستانة ....

«مجموعة رسائل ودواوين من روايته» في «طرف عربية (جمعها كارلو لاندبرغ)، ليدن (بريل) ١٣٠٣ ـ ١٣٠٦ هـ.

•• أبو هلال العسكري ومقاييسه اللغوية ، تأليف بدوي أحمد طبانه ، القاهرة (مخيمر) ١٣٥٢ هـ = أبو هلال العسكري ومقاييسه النقدية والبلاغية ، الطبعة الثانية (مزيدة منقّحة) ، القاهرة (مكتبة الانكلو المصرية) ١٩٦٠ م .

معجم الأدباء ٨ : ٢٥٨ — ٢٦٧ ؛ بغية الوعاة ٢٢١ ؛ بروكلمان ، راجع ١ : ١٣٢ ع ، الملحق ١ : ١٩٣ ؛ زيدان ٢ : ٣٢٨ — ٣٢٩ ؛ Enc · Isl . (new ed .) I 712 ؛ النثر الفنّي ٢ : ٩٤ وما بعد .

أحمد بن فارس

١ — هو أبو الحسينِ أحمدُ بنُ فارسِ بنِ زكريا بنِ حبيبٍ القَزوينيّ الهَمَذاني الرازي اللغوي ، وُلِدَ في هَمَذانَ أو قَزوين نحو سنة ٣٠٦ هـ (٩١٨ م) أو بعدها بقليل . ويبدو انه زار بلاداً كثيرةً .

بدأ أحمدُ بنُ فارسٍ تَلَقّي العِلمِ على أبيه (وكان أبوه لغوياً) ثم أخذ أكثر علمهِ عن أبي الحسنِ عليِّ بنِ ابراهيمَ بنِ سَلَمةَ بنِ حربٍ القَطّانِ القَزْويني (توفي سنة ٣٤٥ هـ) ، كما قرأ على أبي بكرٍ أحمدَ بنِ الحسنِ الخطيبِ راويةِ ثعلبٍ وعلى أحمدَ بنِ طاهرِ بنِ المُنَجّمِ . وأقام ابنُ فارسٍ زمناً في خدمةِ ابن العميد (ص ٥٠٠) فمالَ عنه الصاحبُ بن عَبّادٍ (ص ٥٦١) ، فلمّا تُوُفّيَ ابنُ العميد (٣٦٠ هـ) تَقَرّبَ ابنُ فارسٍ من الصاحبِ بن عبّادٍ فرَضِيَ عنه الصاحبُ وقرّبه . وبعدَ سَنَةِ ٣٧٣ هـ (٩٨٣ م) دُعِيَ ابنُ فارسٍ إلى الريّ لِيَقْرَأَ عليهِ مجدُ الدولة أبو طالبِ بنِ فخرِ الدولة بنِ أبي الحسنِ ابنِ بُوَيْهِ .

ومات ابن فارسٍ في الريّ في صَفَرَ سنة ٣٩٥ هـ (أواخرَ ١٠٠٤ م) .

٢ — كان أحمدُ بنُ فارسٍ فارسياً ولكنّه ردّ على الشُعوبية ردّاً شديداً . وكان بارعاً في علوم كثيرة كارهاً للفلسفة اليونانية ويرى إعجازَ القُرآنِ فوقَ كلّ شيءٍ ، كما كان مُعْجَباً بالشِعْرِ العَرَبي لا يَرَى لأُمّةٍ من الأمم مِثْلَه .

وابنُ فارسٍ لُغَوِيّ ثقةٌ مشهورٌ وأديبٌ كبير وله تصانيفُ كثارٌ [1] منها الصاحبي في فِقْه اللغة ، جامع التأويل في تفسير القرآن ، سِيرة النبيِّ صلّى الله عليه وسلم ، أصول الفِقه ، كتاب حلية الفقهاء ، المُجْمَل (في اللغة) ، مقالة في أسماء أعضاء الإنسان ، شرح رسالة الزُّهري إلى عبد الملك بن مروان ، كتاب قَصَص النهار وسَمَرَ الليل ، الخ [2] ...

ولابن فارسٍ شيءٌ من الشِعْر الجيّد ورسائلُ أنيقةٌ ومَقامة وعددٌ من مسائل الفقه على سبيل المُعاناة والمعاياة ، وقد اقتبس ذلك منه الحريري صاحبُ المقامات . وكانت له آراء في النقد أيضاً .

٣ ـ المختار من آثاره

قال ابن فارس في الحكمة :

إذا كنتَ في حاجةٍ مُرْسِلاً ، وأنت بها كَلِفٌ مُغْرَمُ ،
فأرسلْ حكيماً ولا توصه ؛ وذاك الحكيم هو الدِرْهم !
ـ اسمعْ مقالةَ ناصحٍ جمع النصيحة والمِقَةْ [3] :
إيّاك واحذَرْ أن تبيتَ من الثِقاةِ على ثِقَهْ .

ـ من نثره : من مقدّمة الصاحبي :

ـ ان « بعض علمائنا ذَكَرَ ما للعرب من الاستعارة والتمثيل والقلب والتقديم والتأخير وغيرها من سنن العرب في القرآن فقال : ولذلك لا يَقْدِرُ أحدٌ من التراجم على أن يَنْقُلَه إلى شيء من الألسنة كما نُقل الإنجيل عن السُرْيانية إلى الحبشية والرومية ، وتُرجمت التوراة والزَبورُ وسائرُ كتبِ الله عزّ وجلّ بالعربية، لأن العَجَمَ لم تتّسع في المجاز اتّساعَ العرب . ألا ترى أنك لو أردتَ أن تنقل قوله جلّ ثناؤه : **وإمّا تخافَنّ من قومٍ خيانةً فانْبُذْ إليهم على سَواءٍ** ، لم تستطع أن تأتي بهذه الألفاظ مُؤدِّيةً عن المعنى الذي أودِعَتْهُ حتّى تَبْسُطَ

---

١ راجع مناقشة الخلاف في عمود نسبه وفي موطنه في «التعريف بابن فارس » لعبد السلام محمد هارون ، في «معجم مقاييس اللغة » .

٢ هنالك ثبت (بفتح الثاء والباء) مفصل بتآليفه في « الصاحبي » (تحقيق مصطفى الشويمي ، ١١ ـ ١٩) ؛ راجع أيضاً ثبت هذه التآليف في مقدمة « معجم مقاييس اللغة » (بتحقيق عبد السلام محمد هارون) .

٣ المقة : الحب والمودة .

مجموعها وتَصِلَ مقطوعها وتُظْهِرَ مَسْتورها فتقول : ان كان بينك وبينَ قومٍ هُدنةٌ وعهدٌ فخِفْتَ منهم خيانةً ونقضاً فأعلمهم أنّك قد نَقَضْتَ ما شرطتَه لهم وآذِنْهُمْ بالحربِ لتكونَ أنت وهم في العِلْم بالنقض على استواء ...

ــ مقدمة معجم مقاييس اللغة :

أقول ، وباللهِ التوفيقُ : إنّ للغة العربِ مقاييسَ صحيحةً وأصولاً تَتَفرّعُ منها فُروعٌ . وقدْ ألّفَ النّاسُ في جوامعِ اللغةِ ما ألّفوا ، ولم يُعْرِبوا في شيءٍ من ذلك عن مِقياسٍ من تلك المقاييسِ ولا أصلٍ من الأصول . والذي أوْمأنا إليهِ بابٌ من العِلمِ جليلٌ ، وله خَطَرٌ عظيمٌ . وقدْ صَدّرْنا كلّ فصلٍ بأصلِه الذي تَتَفرّعُ منه مسائله حتّى تكونَ الجُملةُ المُوجزةُ شاملةً للتفصيل ، ويكونَ المُجيبُ عمّا يُسألُ عنه مُجيباً عن الباب المبسوطِ بأوْجَزِ لفظٍ وأقربه . وبِناءُ الأمرِ في سائرِ ما ذَكَرْناه على كُتُبٍ مشهورةٍ عاليةٍ تَحْوي أكثرَ اللغة . فأعلاها وأشرفها كتابُ أبي عبدِ الرحمنِ الخليلِ بنِ أحمدَ المُسمّى **كتابَ العَيْنِ** .... ومنها كِتابا أبي عُبيدةَ في **غريبِ الحديث ومُصنّف الغريب** .... ومنها **كتابُ المَنْطق** .... لابنِ السكّيت . ومنها كتاب أبي بكرٍ ابنِ دُريدٍ المُسمّى الجَمْهَرَةَ . فهذه الكُتُبُ الخَمْسَةُ مُعْتَمَدُنا في ما استَنْبَطْناه من مَقاييسِ اللغةِ ، وما بعدَ هذه الكُتبِ فمَحْمولٌ عليها وراجعٌ إليها ، حتّى إذا وَقَعَ الشيءُ النادرُ نَصَصْناه إلى قائلهِ ، إن شاءَ اللهُ .

ــ من مُقَدّماتِ الفُصول (وهو ما يُسمّيه ابنُ فارسٍ **أصولاً** تتخذ **مَقاييسَ**) :

• **أبّ** : اعْلَمْ أنّ للهمزة والباء في المُضاعف أصلَيْنِ : أحدهما المَرْعى والآخر التَهَيّؤ ....

• **بور** : الباء والواو والراء أصلان : أحدهما هَلاكُ الشيء وما يُشبهه من تَعَطّلِه وخُلُوّه ، والآخرُ ابتلاءُ الشيء وامتحانه ....

• **جزأ** : الجيم والزاي والهمزة أصل واحد هو الاكتفاء بالشيء ....

٤ ــ أوجز السير لخير البشر ، بومباي ١٣١١ هـ .

الاتباع والمزاوجة (تحرير برونوف) ، غيسن (تويلمان) ١٩٠٦ م .
الصاحبي في فقه اللغة ، القاهرة ١٣٢٨ هـ ، القاهرة (المطبعة السلفية) ١٩١٠ م ؛ (حقّقه مصطفى الشويمي) ، بيروت (مؤسّسة بدران للطباعة والنشر) ١٩٦٣ م .
مقالة كلاّ وما جاء منه في كتاب الله (منشورة في « ثلاث رسائل » نشرها عبد العزيز الميمني الراجكوتي) ، القاهرة ١٣٤٤ هـ .
ذمّ الخطأ في الشعر (مطبوع مع « الكشف عن مساوئ المتنبي » للصاحب ابن عبّاد) ، القاهرة (مكتبة القدسي) ١٣٤٩ هـ .
مجمل اللغة (تحقيق محمّد محيي الدين عبد الحميد) ، القاهرة (مطبعة السعادة) ١٣٦٧ هـ (١٩٤٧ م) .
معجم مقاييس اللغة (تحقيق عبد السلام محمّد هارون) ، القاهرة (دار إحياء الكتب العربية) ١٣٦٦ — ١٣٧١ هـ .
•• الفهرست ٨٠ ؛ يتيمة الدهر ٣ : ٣٦٥ — ٣٧٤ ؛ دمية القصر ٢٩٧ ؛ معجم الأدباء ٤ : ٨٠ — ٩٨ ؛ وفيات الأعيان ١ : ٦١ — ٦٢ ؛ إنباه الرواة ١ : ٩٢ — ٩٥ ؛ بغية الوعاة ١٥٣ ؛ شذرات الذهب ٣ : ١٣٢ — ١٣٣ ؛ بروكلمان ١ : ١٣٥ — ١٣٦ ، الملحق ١ : ١٩٧ — ١٩٨ ؛ زيدان ٢ : ٣٥٧ — ٣٥٨ ؛ النثر الفنّي ٢ : ٢٧ — ٤٧ .

بديع الزمان الهمذانيّ

١ — هو بديع الزمانِ أبو الفضلِ أحمدُ بنُ الحسينِ بن يحيى بنِ سعيدِ ابنِ بِشْرٍ ، وُلِدَ في مدينة هَمَذانَ ، في شماليّ فارسَ ، في ١٣ جمادى الثانية سنة ٣٥٨ هـ (٥—٥—٩٦٩) ، وفيها نشأ .

دَرَسَ بديعُ الزمان على أحمدَ بنِ فارسٍ (توفي سنة ٣٩٠ هـ) وأخذ عن عيسى بن هِشامٍ الأنصاري .

في سنة ٣٨٠ هـ (٩٩٠ م) غادر بديعُ الزمان هَمَذانَ إلى الرَيّ واتّصل فيها بالصاحبِ بنِ عبّادٍ وأدرك عندهُ جاهاً ومالاً ، ولكن سَرْعانَ ما ساءَ

ما بينَهما وتَهاجيا . ثم قَدِمَ جُرجانَ وأقام فيها مُدّة على مُداخلةِ الإسماعيلية والتَعَيُّشِ في أكنافِهم . وغادرَ بديعُ الزمان جُرجانَ إلى نيسابور (٣٨٢ هـ) حيث « نَشَرَ بَزّه وأظهرَ طَرْزه » ، وأملى فيها على أحدِ الكُتّاب أربَعَمائةَ مَقامة ، فيما قيل . في هذه المدينة اتّصل بديع الزمان بأبي سعيد محمّد بن منصور أحد أعيانِ البلدِ ، ثم حَرَصَ على الاتّصال بأبي بكرٍ الخوارزمي لِيَنالَ شيئاً من الحظّ الأدبي على يديه . ولكنّ الخوارزميّ لم يُحْسِنِ استقبالَ بديعَ الزمان فأخذَ بديعُ الزمان يُراسله مُعاتباً ويُطاوله مُتَجَرِّئاً عليه ، حتّى استَفزّ قَوْمٌ فجمعوا بينَهما في مناظرةٍ [1] رَكِبَ بديعُ الزمان في أثنائها سبيلَ التَهَجّمِ والقِحَةِ (مَعَ بوارقَ من الذكاء) فحكم النظّارة له بالغلب على الخوارزمي . وقدِ اغتمّ الخوارزميّ ثم جَعَلَ يَطْعَنُ في مَقاماتِ بديعِ الزمان ، ولكنّه مات قبلَ أن يَحولَ الحَوْل على هذه المناظرة ، في سنة ٣٨٣ هـ (٩٩٣ م) .

وزار بديع الزمان سِجِسْتان ونالَ حظوةً عند أميرها أبي أحمدَ خَلَفِ ابنِ أحمدَ (توفي سنة ٣٩٩ هـ) ، ولكنّه انتقل وَشيكاً إلى غَزْنَةَ واستقرّ فيها حيناً . ثمّ مات في هَراة ، على نحو ثلاثِمائةِ كيلومتر من غزنةَ شرقاً ، قبلَ أن يُجاوِزَ الأربعين من العُمُر ، وذلك في ١١ جُمادى الآخِرةِ سنة ٣٩٨ هـ (١٠٠٧ م) مسموماً ، وقيل أصيبَ بالسكتة ودُفِنَ قبلَ أن يموتَ ، فسُمِعَ صوتُه بالليل فنبشوا عنه ولكنهم وجدوه مَيْتاً من هَوْل القبر .

٢ — كان بديعُ الزمان مقبولَ الصورة خفيفَ الروح قويّ النفس حلْوَ الصداقة مُرّ العداوة . ولكنّه كان ظاهر الأنانية والغُرور . وكان عظيمَ التقى كثيرَ التعصب لأهلِ الحديثِ والسُنّةِ شديدَ المَيل على المعتزلة يُحِبُّ العرب ويكره الشعوبيين ، لأنه عربي .

وبديعُ الزمانِ كان صافيَ الذهن قويّ الذاكرة سريعَ الخاطر يَتحفّظُ القصيدة الطويلةَ من مرةٍ واحدة ، وينتهي من الرسالة أو الكتابِ حينما يُطلب ذلك منه بلا إبطاء . وربمـا بدأ بآخِرِ سطرٍ من الرسالة أو بآخِرِ بيتٍ من القصيدة ثم

---

[1] راجع تفاصيل هذه المناظرة في رسائل بديع الزمان الهمذاني (الجوائب ، ص ٢٨-٨٣) ؛ وفي معجم الأدباء (٢ : ١٧٣ - ١٨٢) ؛ وفي النثر الفني لزكي مبارك (٢ : ٣٢١ - ٣٥٠) .

انتهى إلى المطلع عكساً . وتراه يُدخل الشعرَ في النثر أحسنَ إدخالٍ واقتباس . «وكلامه كله عفوُ الساعة وقبضُ اليد» . وربما ارتجلَ تعريبَ الشعرِ الفارسيّ إلى العربية فيأتي بأحسنِ الشعرِ معَ محافظة على المعنى والمبنى .

بديع الزمان شاعرٌ وناثرٌ ، ولكنه اشتهر بنثره . ونثره رسائل ومقامات . ورسائله إخوانيةٌ متحضٌ لأنه لم يدخل خدمة الدواوين (لم يعيّن كاتباً في دواوين الدولة) .

مقاماتُ بديعِ الزمان قصارٌ في الأغلب وفيها فصاحةٌ وسهولة ووضوح إلى جانب الدُعابة والمرح والتهكّم . وبديعُ الزمان حسَنُ الابتكار قلَّ أنْ تجدَ له مقامتَيْنِ في معنىً واحدٍ ، وهو يُجيد في مقاماته السردَ والوصْفَ الحسّيَّ والتحليلَ ويُحسِنُ دراسةَ الطبائع وتصويرَ المعائبِ وعرْضَ مساوئ المُجتمع . غيرَ أنّه لا يقصدُ أنْ يُصلحَ هذه المساوئ بنُصحٍ أو بردْعٍ ، وإنّما غايتُه التهكّم بأصحابِها وإطرافُ الآخرينَ بتصويرِها واستعراضها . وهو كثيرُ الاحتقارِ للناس .

وأسلوب بديعِ الزمانِ ، في مقاماته خاصّةً ، حلوُ الألفاظِ سائغُ التركيب جميلُ الرّصْف كثيرُ الصناعة المعنوية (في الاستعاراتِ والكناياتِ والتورْيات خاصّةً) من غير تكلّف ولا إغراق في السجع .

وللمقاماتِ الخمسينَ التي بدأها بديعُ الزمان في سنَة ٣٧٥ هـ (٩٨٥ م) راويَةٌ واحدٌ هو عيسى بن هشامٍ ومُكْدٍ (بطَلٌ) واحدٌ هو أبو الفتحِ الإسكندريّ (نسبةٌ إلى الإسكندرية التي هيَ قُرْبَ الكوفةِ على الفُرات) ، وهما شخصيّتانِ تاريخيّتانِ .

٣ – المختار من آثاره

– المقامة الحرزية

حدّثنا عيسى بن هشامٍ ، قال : لما بلَغَتْ بيَ الغُربةُ بابَ الابواب [١] ، ورضيتُ من الغنيمة بالإياب [٢] ، ودونه من البحر وثابٌ بغاربه ، عسّاف

---

١ باب الأبواب : ناحية بشمالي فارس .

٢ رضيت من الغنيمة بالاياب : رضيت أن أرجع من سفري بلا ربح . في هذه الجملة تضمين من قول امرئ القيس .

وقد طوفت في الآفاق حتّى   رضيت من الغنيمة بالاياب

براكبه ، استخرتُ اللهَ في القُفول ، وقعدتُ من الفُلْكِ بمثابة الهُلْكِ . ولمّا ملكنا البحرُ وجنّ علينا الليلُ غشيتنا سحابةٌ تمدّ من الأمطار حبالاً وتحوذ [1] من الغيم جبالاً ، بريح ترسلُ الأمواجَ أزواجاً والأمطارَ أفواجاً . وبقينا في يد الحَين ، بين البحرين لا نملكُ عُدّةً غيرَ الدعاء ، ولا حيلةَ إلاّ البكاء ، ولا عصمةً إلا الرجاء [2] . وطويناها ليلةً نابغية [3] . وأصبحنا نتباكى ونتشاكى . وفينا رجلٌ لا يخضلّ جفنُهُ ولا تبتلّ عينه : رخيّ [4] الصدر منشرحُه : نشيط القلب فرِحه .

فعجبنا ، والله ، كل العجب ، وقلنا له : ما الذي أمّنك من العطب ؟ فقال : حرزٌ لا يغرق صاحبه ؛ ولو شئت أن أمنح كلّ واحد منكم حرزاً لفعلت . فكلٌ رغِبَ إليه ، وألحّ في المسألةِ عليه . فقال : ان أفعل ذلك حتى يعطيني كل واحد منكم ديناراً الآن ، ويعدني ديناراً إذا سلِم .

قال عيسى بن هشام : فنقدناه ما طلب ووعدناه ما خطب [5] . وآبت يده إلى جيبه فأخرج منها قطعة ديباج فيها حُقّةُ عاج ، قد ضُمّن صدرُها رِقاعاً وحذف كلّ واحد منها بواحدةٍ منها .

فلما سلمت السفينةُ وأحلّتنا [6] المدينةَ اقتضى الناسَ ما وعدوه فنقدوه [7] . وانتهى الأمرُ إليّ ، فقال : دعُوه ! فقلت : لك ذلك على أن تعلمني سِرّ

---

١ دونه : دون باب الأبواب ، بين باب الأبواب والعراق . وثاب بغاربه : بحر ثائر بأمواجه يثب إلى ظهور المراكب . عساف براكبه : يدفع راكبه يميناً وشمالا على غير هدى وبشدة .

٢ استخار الله : اتجه بقلبه إلى الله ليلهمه ما يعمل ، أو رجع معتمداً على الله في توفيقه في عودته . القفول : الرجوع . الفلك : السفينة . بمثابة الهلك : كأني هالك ، لا أرجو النجاة . ملكنا البحر : صرنا على ظهره لا نستطيع الرجوع إلى البر لو أردنا . تحوذ : تدفع ، تسوق .

٣ الحين : الموت . البحران : بحر من فوقنا هو المطر ، وبحر من تحتنا هو البحر . العدة : السلاح . العصمة : الملجأ . ليلة نابغية : ليلة طويلة سوداء شاقة ، نسبة إلى قول النابغة :

كليني لهمّ يا أميمة ناصب   وليل أقاسيه بطيء الكواكب

٤ يخضل : يبتل . رخي الصدر : واسع الصدر ، مطمئن .

٥ خطب : طلب . آب : رجع . الجيب : شق القميص عند العنق . ديباج : حرير فاخر . حقة : وعاء . عاج : سن الفيل . حذف : رمى .

٦ أحلتنا المدينة : أنزلتنا (سالمين) إلى المدينة . اقتضى الناس : طلب منهم تأدية الدين .

٧ نقدوه : دفعوه له عيناً (ذهباً) .

ـالك . قال : أنا من بلاد الإسكندرية . فقلت : كيف نصرك الصبرُ وخذلنا [1] ؟ فأنشأ يقول :

ويكَ ، لولا الصبرُ ما كنـ ـتُ ملأت الكيسَ تبرا [2] .
لن ينالَ المجدَ من ضـاق بما يغشاه صبرا [3] .
ثم ما أعقبني السـا عةَ ما أعطيتُ ضرّا [4] .
بل به أشتدَّ أزراً وبه أجبُرُ كسرا [5] .
ولَوَ اني اليومَ في الغرْ قى لما كُلِّفتُ عذرا [6] .

ــ المقامة البغدادية :

حدثنا عيسى بنُ هشامٍ قال : اشتهيتُ الأزاذَ وأنا ببغدادَ ، وليس معي عَقْدٌ على نَقْدٍ [7] . فخرجتُ أنتهزُ محالّه حتى أحلّني الكرْخَ ، فإذا أنا بسَواديّ يسوقُ بالجَهْدِ حِمارَهُ ويُطرِفُ بالعَقْدِ إزارَه [8] . فقلت : ظفرْنا ، والله ، بصيْدٍ . وحيّاكَ اللهُ ، أبا زَيْدٍ ! من أيْنَ أقبلتَ ؟ وأينَ نزَلتَ ؟ ومتى وافيْتَ ؟ وهلُمّ إلى البيتِ » .

فقال السَّواديّ : لست بأبي زيدٍ ، ولكني أبو عُبَيْدٍ ! فقلت : نَعَمْ ، لعنَ اللهُ الشيْطانَ وأبعدَ النسْيانَ . أنسانيكَ طولُ العهْدِ واتصالُ البُعْدِ . فكيفَ حالُ أبيكَ : أشابٌ كعَهْدي أم شابَ بعْدي ؟ فقال : قد نبَتَ الربيعُ على دِمْنَتِهِ [9] وأرجو أن يُصَيّرَهُ اللهُ إلى جنّتهِ . فقلتُ : إنّا للهِ وإنّا إليهِ راجعونَ ، ولا حوْلَ ولا قوّةَ إلاّ باللهِ العليّ العظيمِ .

---

1 خذله الصبر : فارقه عند الحاجة اليه .
2 ويك : ويل لك . التبر : الذهب .
3 غشيه : أتى عليه .
4 ما حرف نفي . أعقبني : أثر في ، حصل لي . الضر (بالفتح والضم) : الضرر .
5 الازر : الظهر — ازداد قوة .
6 لو غرقنا لما طالبني أحد بشيء ، ولا بأن اعتذر .
7 الازاذ : تمر جيد . ليس معي عقد على نقد : ليس معي مال (النقد : العملة المسكوكة من ذهب أو فضة . والعادة أنها تصر ، يعقد عليها) .
8 الكرخ الجانب الغربي من بغداد . السوادي : الفلاح من أهل سواد (اخضرار ، الأرض المزروعة) الكوفة يطرف بالعقد ازراره : يعقد جانبي ازراره على عدد من قطع العملة .
9 توفي منذ زمن بعيد حتى نبت العشب على قبره الذي أصبح دمنة (أثراً ممحواً) .

ومددتَ يَدَ البِدارِ إلى الصِدارِ أريدُ تَمزيقَهُ . فقبَضَ السَوادِيّ على خَصْري بجُمعه [1] ، وقال : ناشَدتُكَ اللهَ لا مزّقْتَهُ . فقلتُ : هلُمّ إلى البيتِ نُصِبْ غَداءً ، أو إلى السوقِ نَشْتَرِ شِواءً . والسوق أقربُ ، وطعامُه أطيبُ » .

فاستَفَزّتْهُ حُمَةُ القَرَمِ ، وعَطَفَتْهُ عاطفةُ اللَقَمِ . وطَمِعَ ولم يعلم أنّه وَقَعَ . ثم أتينا شَوّاءً يتَقاطرُ شِواؤه عرَقاً ، وتَتَسايَلُ جُوذاباتُه مرَقاً [2] ، فقلتُ : افْرِزْ لأبي زيدٍ من هذا الشِواءِ ، ثم زِنْ له من تلك الحَلْواء . واختَرْ له من تلك الأطباقِ ، وانْضِدْ عليها أوراق الرُقاق ، ورشّ عليها شيئاً من ماء السُمّاق ليأكُلَه أبو زيد هَنيئاً [3] .

فانحَنَى الشَوّاءُ بساطورِه على زُبْدَةِ تَنّورِه فجعَلَها كالكُحْلِ سَحْقاً وكالصَحْنِ دَقّاً . ثم جلَسَ (أبو زيد) وجلستُ ، وما يَئِسَ ولا يَئِستُ حتى استَوْفَيْنا [4] . وقلتُ لصاحبِ الحَلْوى : زِنْ لأبي زيدٍ مِنَ اللَوْزِينَجِ [5] رَطْلَيْنِ ، فهُوَ أجرى في الحُلوقِ وأمضى في العُروقِ ؛ ولْيَكُنْ لَيْلِيَّ العُمْرِ يَوْمِيَّ النَشْرِ رَقيقَ القِشْرِ كَثيفَ الحَشْوِ لُؤلُؤِيَّ الدُهْنِ كَوْكَبِيَّ اللَوْنِ ، يَذوبُ كالصَمْغِ قبلَ المَضْغِ ، ليأكله أبو زيدٍ هَنيئاً . فوَزَنَهُ . ثم قَعَدَ (أبو زيد) وقَعَدتُ . وجرّدَ وجرّدتُ حتى استَوْفَيْناه [6] .

---

١ مددت يد البدار : بادرت ، أسرعت . الصدار : ثوب يلبس على الصدر . جمعه : قبضة كفه .

٢ حمة القرم : لذع الشهوة إلى أكل اللحم . اللقم : جعل اللقمة كبيرة ، النهم . الشواء : بائع اللحم المشوي . يتقاطر .... عرقاً : يقطر منه الدهن بكثرة . الجوذابة : خبز مندى بدهن اللحم المشوي .

٣ نضد : صف . أوراق الرقاق : رقاق (أرغفة) رقيقة كرقة الورق . السماق : شجر له ثمر حامض يظهر عناقيد .

٤ التنور : الموقد . زبدة تنوره : أحسن قطعة لحم عنده . الساطور : آلة كالسكين ولكن سميكة جداً يكسر بها العظم ويرقق اللحم . ما يئست : (المعنى غامض) ، وفي رواية : فلا نبس ولا نبست (بفتح الباء) : ما تكلمنا ، بل كنا نأكل ونحن سكوت . استوفينا : أكلنا كل ما كان أمامنا .

٥ اللوزينج : حلواء تصنع بالدقيق ودهن اللوز وتحشى بالجوز أو اللوز (تشبه القطائف) . الرطل (بفتح الراء أو كسرها) : وزن قديم (٤٥٣ غراماً ؟) .

٦ ليلي العمر : صنع في الليل (صنع في وقت كاف ينضج فيه جيداً) . يومي النشر : طازج جديد . لؤلؤي الدهن : دهنه متكاثف متبلور (جيد) . كوكبي اللون : أبيض ، ناصع (نظيف) . جرد : استعمل يده في الأكل كأنه يضرب بها بالسيف .

ثم قلت : يا أبا زيد ، ما أحوجَنا إلى ماءٍ يُشَعْشَعُ بالثلجِ ليَقْمَعَ هذه الصارّةَ ويفثأ هذه اللُقَمَ الحارّة [1] . اجلِسْ ، أبا زيد ، حتى نأتيكَ بسقّاءٍ يأتيكَ بشَرْبَةِ ماء » . ثم خرجتُ وجلستُ بحيثُ أراه ولا يَراني أنظُرُ ما يَصْنَعُ . فلمّا أبطأتُ عليه قام السّواديّ إلى حمارِه ، فاعتَاق الشَوّاءُ بإزارِه ، وقال : أينَ ثمَنُ ما أكلتَ ؟ فقال أبو زيد : أكلته ضَيفاً ! فلَكَمَهُ لكمةً ، وثَنّى عليه بلَطْمَة . ثم قال الشوّاءُ : هاكَ ، ومتى دعوناكَ ؟ زِنْ ، يا أخا القِحة ، عشرينَ [2] . فجعَلَ السّواديّ يبكي ويَحُلّ عُقَدَهُ بأسنانه ، ويقول : كم قلت لذلك القُرَيْدِ : أنا أبو عُبيدٍ . وهو يقول : أنتَ أبو زيدٍ . فأنشدتُ :

أعْمِلْ لرِزْقِكَ كلَّ آلَهْ لا تَقْعُدَنّ بكلِّ حالَهْ [3] .
وانهَضْ بكلِّ عظيمةٍ ، فالمَرْءُ يَعْجِزُ لا مَحالَهْ .

– المقامة المضيرية

– المقامة المضيريّة : هذه مقامة رائعة ، ولكنّها تخالف الخصائص العامّة لمقامات بديع الزمان . إنّها طويلة جداً (بالاضافة إلى مقاماته) ثم ليس فيها كُدية (احتيال على النظّارة بمال) . والسرد والوصف فيها بارعان إلى درجة أن قارئها لا يشعر بملل البتّة . وبديع الزمان الهمذاني يريد أن يصوّر في هذه المقامة طبيعة نفر من الذين استجدّ لهم غنىً فهم يحبّون دائماً أن يقصّوا على الآخرين وصف أحوالهم بالتفصيل من غير أن يملّوا من الكلام على أنفسهم :

حدّثنا عيسى بنُ هشامٍ ، قال : كنتُ بالبصرةِ ، ومعي أبو الفتح الإسكندريّ ، رجلُ الفصاحةِ يدعوها فتُجيبه ، والبلاغةِ يأمرها فتطيعه . وحضَرْنا معه دعوةَ بعضِ التجّار ، فقَدِمَتْ إلينا مَضيرةٌ تُثني على الحضارة ، وتترجرج في الغضارة ، وتُؤذِنُ بالسلامة ، وتَشْهَدُ لمعاويةَ ، رحمه الله ،

---

١ يشعشع : يمزج . يقمع : يقهر ، يذهب . الصارة : العطش . يفثأ : يسكن ، يكسر حدة الحرارة .
٢ هاك : خذ . القحة : الوقاحة . زن عشرين : ادفع ثمن ما أكلت زنة عشرين درهماً . يحل العقد التي عقدها على قطع من العملة في أطراف ازاره . (راجع الحاشية ٧ ص ٥٩٩) .
٣ افعل كل ما يخطر ببالك قبل أن تعجز من عمل مثله .

بالإمامة [1] ، في قَصْعة يزِلّ عنها الطَّرْفُ ، ويموج فيها الظَّرْف [2] . فلمّا أخذتْ من الخِوان مكانَها ، ومن القلوب أوطانَها ، قام أبو الفتح الاسكندريُّ يلعنُها وصاحبَها ، ويمقتُها وآكلَها ، ويثلُبها وطابخَها . وظنَنّاه يمزحُ ، فإذا الأمر بالضِدّ ، وإذا المُزاحُ عينُ الجِدّ . وتنحّى عن الخِوان ، وترك مُساعدةَ الإخوان [3] . ورفعناها ، فارتفعتْ معها القلوبُ ، وسافرت خلفَها العيون ، وتحلّبتْ لها الأفواهُ ، وتلمّظتْ لها الشفاهُ ، واتّقدت لها الأكباد ، ومضى في إثرها الفؤاد [4] . ولكنّا ساعدناه على هجرِها ، وسألناه عن أمرها ، فقال : قِصّتي معها أطولُ من مصيبتي فيها . ولو حدثتكم بها ، لم آمن المَقْتَ [5] وإضاعةَ الوقتِ . قلنا : هات . قال : دعاني بعض التجّار إلى مَضيرة ، وأنا ببغداد ، ولزِمني مُلازمةَ الغريم والكلبِ لإصحاب الرّقيم [6] ، إلى أنْ أجبْتُه إليها ، وقمنا . فجعل طولَ الطريق يُثني على زوجته ، ويُفَدّيها بمُهجته ، ويصف حِذقَها في صَنْعتها وتأنّقَها في طَبْخها ، ويقولُ : يا مَولاي ، لو رأيتَها والخِرْقةُ [7] في وسَطها ، وهيَ تدورُ في الدور من التنّور إلى القُدور ، ومن القدور إلى التنّور ، تنفُثُ بفيها النار ، وتدُقّ بيدَيها الأبزار ؛ ولو رأيت الدّخان وقد غبّر في ذلك الوجه

---

١ المضيرة : لبن يطبخ بمرقة اللحم . تثني على الحضارة : فيها تأنق أهل الحضر . تترجرج : تهتز . النضارة : سعة العيش ، الترف — متقنة الصنع . تؤذن بالسلامة : ان الاسراف منها لا يضر الآكل لطيبها وإتقان صنعها وفائدتها . تشهد لمعاوية بالإمامة : لو طبخها معاوية لخصومه لشهدوا له بالإمامة (بالخلافة) .

٢ قصعة : وعاء . يزل عنها الطرف : يزلق عنها البصر لملاستها ونقاوتها إذ لا يقع فيها على عيب أو سوء . يموج فيها الظرف : سكبت المضيرة في القصعة بذوق .

٣ الخوان : منضدة الطعام . ثلب : ذم . تنحى : ابتعد . مساعدة الاخوان : موافقتهم .

٤ تحلبت الأفواه : سال ريقها شوقاً اليها . تلمظت الشفاه : تحركت كأنها تتذوق طعاماً .

٥ الكره والبغض

٦ الغريم : الدائن . لزمني : لحق بي ولم يفارقني . الرقيم : لوح من بلاط منقوش . وأصحاب الكهف والرقيم بضعة أشخاص أنامهم الله في كهف ثلاثمائة وتسع سنوات ثم أيقظهم . وكان معهم كلب طول هذه المدة (راجع سورة الكهف الآية التاسعه وما بعدها) .

٧ الخرقة : قطعة نسيج تعقدها المرأة في وسطها في أثناء مكوثها في المطبخ لتدفع عن ثيابها رشاش الماء والطعام . تدور : تمشي بغرف البيت الكثيرة . التنور : موقد يخبز فيه العجين . القدور جمع قدر : وعاء لطبخ الطعام الابزار : جمع بزر كالصنوبر وكبش القرنفل والكزبرة اليابسة وسواها مما يوضع في الطعام .

الجميل ، وأثر في ذلك الخدّ الصقيل ، لرأيتَ منظراً تحار فيه العيون ! وأنا أعشقها لأنها تعشقني . ومن سعادة المرء أن يُرزق المساعدةَ من حليلته ، وأن يُسعَدَ بظعينته ، ولا سيّما إذا كانت من طينته . وهي ابنة عمي لحاً : طينتها طينتي ، وأرومتها أرومتي [1] . لكنها أوسع مني خُلقاً ، وأحسن خَلقاً .

وصدّعني [2] بصفات زوجته ، حتى انتهينا إلى محلته . ثم قال : يا مولايَ ، ترى هذه المحلة ؟ هي أشرف محالّ بغدادَ ، يتنافس الأخيار في نزولها ، ويتغاير [3] الكبارُ في حلولها . ثم لا يسكُنُها غيرُ التجّار ، وإنما المرء بالجار . وداري في السِّطة من قلادتها ، والنُّقطة من دائرتها [4] . كم تُقدِّرُ ، يا مولايَ ، أُنفِقَ على كلّ دارٍ منها ؟ قُلْهُ تخميناً إن لم تعرفه يقيناً . قلتُ : الكثيرُ ! فقال : يا سُبحانَ الله ! ما أكبرَ هذا الغلطَ ! تقولُ : الكثيرُ فقطْ ! وتنفّس الصُعَداء [5] ، وقال : سبحانَ مَنْ يعلَمُ الأشياء .

وانتهينا إلى باب داره ، فقال : هذه داري . كم تُقدِّرُ ، يا مولايَ ، أنفقت على هذه الطاقة [6] ؟ أنفقت ، والله ، عليها فوق الطاقة ، ووراء الفاقة . كيف ترى صنعتها وشكلها ؟ أرأيتَ ، بالله ، مثلَها ؟ انظُرْ إلى دقائقِ الصنعة فيها ، وتأمّلْ حُسْنَ تعريجها ! فكأنّما خُطّ بالبِركار [7] ! وانظُرْ إلى حِذْقِ النجّار في صنعةِ هذا الباب ! أتّخذه من كم ؟ قلْ : ومن أين ؟ اعلَمْ . هو ساجٌ من قطعة واحدةٍ لا مأروضٌ ولا عفِنٌ ؛ إذا حُرِّك أنّ ، وإذا نُقِرَ طَنّ [8] . مَنِ اتخذه ، يا سيّدي ؟ اتخذه

---

١ المساعدة : الموافقة . حليلته : زوجته . الظعينة : المرأة المسافرة في الهودج ، يقصد امرأته أيضاً . طينته : من مستواه الاجتماعي . ابنة عمي لحا : ابنة عمي اخي ابي مباشرة . الأرومة : الأصل .
٢ أصابني بالصداع : اوجع رأسي (؟) .
٣ يتغاير : يغار بعضهم من بعض .
٤ السطة : الوسط ، الجوهرة الكبيرة (؟) . القلادة : العقد – يقصد في وسط المحلة .
٥ تنفس الصعداء : تنهد .
٦ الحنية أو القنطرة المعقودة فوق المدخل .
٧ البركار : اداة ترسم بها الدائرة (بيكار) = برجل .
٨ الساج : شجر كبير من شجر الهند . مأروض : أكلته الأرضة (بكسر الهمزة وفتح الراء) ، منخور . عفن ، متهرئ بالرطوبة . أنّ : أحدث صوتاً لثقله . نقر : ضرب باليد . طن : أحدث صوتاً متسقاً (ينقر الاناء حتى يعرف أمكسور هو أم سليم) .

أبو إسحقَ بنُ مُحَمَّدٍ البَصْريّ . وهو ، والله ، رجلٌ نظيف الأثواب ، بصيرٌ بصَنْعه الأبواب ، خفيفُ اليد في العمل . لله دَرُّ ذلك الرجل ! بحياتي، لا استعنت إلا بـه على مثله [1] ! وهذه الحَلْقة ، تراها ؟ اشتريتها ، في سوق الطرائف من عِمْرانَ الطرائفيّ ، بثلاثة دنانيرَ مُعِزّيّة . وكم فيها ، يا سيّدي ، من الشَّبَه [2] ؟ فيها ستةُ أرطال . وهي تدورُ بلَوْلَبٍ في الباب . بالله ، دوّرها ! ثُمّ انقُرْها وأبْصِرْها ! وبحياتي عليك ، لا اشتريتَ الحلقَ إلاّ منه ! فليس يبيعُ إلاّ الأعلاق [3] .

ثُمّ قَرَعَ البابَ ، ودخلْنا الدهليزَ ، وقال : عمّرك الله ، يـا دارُ ! تـأمّلْ ، بالله ، معارجَها ، وتبيّنْ دَواخلَها وخوارجَها ! وسَلْني : كيف حصّلْتها ؟ وكم من حيلةٍ احتلْتها حتى عقدتها [4] ؟ كان لي جارٌ يُكْنَى أبا سُليمانَ يسكن هذه المَحلةَ ، وله من المال ما لا يَسَعُه الخَزْنُ ، ومن الصامت ما لا يَحْصِرُه الوَزْنُ . مات ، رحمه الله ، وخلّف خَلَفاً أتلَفَه بين الخمر والزَمْر ، ومزّقه بين النّرد والقَمْر [5] . وأشفقتُ أن يسوقَه قائدُ الاضْطرار إلى بَيْعِ الدار ، فيبيعها في أثناء الضَجر [6] ، ويجعلُها عِرْضةً للخطر . ثم أراها ، وقد فاتني شِراها فأنْقطعُ عليها حَسَرات إلى يوم الممات . فعمدت إلى أثواب لا تَنِضُ تجارتُها ، فحَمَلْتُها إليه ، وعرَضْتُها

---

١ الدر : الحليب . لله دره : ما أحسنه ! لا استعنت إلا به على مثله : لا تصنع باباً إلا عنده . الحلقة : أداة معدنية تعلق في الباب ليقرع الباب بها . سوق الطرائف : السوق التي تباع فيها الأشياء النفيسة .

٢ معزية : نسبة إلى معز الدولة بن بويه ؛ ويظهر أنها كانت دنانير راجحة . الشبه : النحاس الأصفر .

٣ الرطل (بالفتح والكسر) اربعمائة وثمانون درهماً (راجع القاموس المحيط ٣ : ٣٨٥) = نحو ١٥٣٦ غراماً (راجع ، فوق ، ص ٦٠٠ ، الحاشية ٥ : يبدو أن الاوزان كانت مختلفة المقادير في الاماكن المختلفة) . اللولب مسمار مخروط خرطاً حلزونياً (برغي) . الاعلاق جمع علق (بالكسر) : الشيء النفيس .

٤ الدهليز : ممر يفضي إلى الدار . المعارج جمع معرج : المرقى ، المرقاة ، السلم . عقد البيت : ملكه .

٥ الصامت : المال من الذهب والفضة . الخلف : الذرية ، الأولاد . الزمر : سماع الغناء . النرد : لعبة الطاولة . القمر : المخاطرة في القمار .

٦ اشفق ، خاف ، خشي . الضجر : الضيق واليأس من الفرج .

عليه ، وساومته على أنْ يَشْتَرِيَها نَسِيَّةً ، والمُدْبِرُ يَحْسَبُ النَّسِيَّةَ عَطِيَّةً والمُتَخَلِّفُ يَعْتَدُّها هَدِيَّةً [1] . وسألته وثيقة بأصل المال ، ففعل وعقدها لي . ثم تغافلتُ عن اقتضائه ، حتى كادت حاشيةُ حاله تَرِقّ فأتيتُه فاقتضيتُه ، واستَمْهَلَني فأنظرته [2] ، والتَمَسَ غيرَها من الثياب فأحضرتُه . وسألته أن يَجْعَلَ دارَه رهينةً لديّ ، ففعل . ثم دَرَّجْتُه بالمعاملات إلى بيعها ، حتى حَصَلَتْ لي بجَدٍّ صاعد ، وبَخْتٍ مُساعِد ، وقوّة ساعد ؛ وربَّ ساعٍ لقاعد ! [3] وأنا بحمد الله مجدود ، في مثل هذه الأحوال محمود . وحَسْبُك [4] ، يا مولايَ ، أني كنت منذُ ليالٍ نائماً في البيت ، مع من فيه ، إذ قُرِعَ علينا البابُ . فقلتُ : مَنِ الطارق المُنْتاب ؟ فإذا امرأةٌ معها عِقد لآلٍ ، في جِلْدَةِ ماءٍ ورِقة آلٍ ، تَعرِضه للبيع . فأخذته منها إخْذَةَ خَلْس ، واشْتَرَيته بثمن بَخْس ، وسيكونُ له نفع ظاهرٌ وربح وافرٌ ، بعون الله ودولتك [5] . وإنما حدثتُك بهذا الحديثِ لِتَعْلَمَ سعادةَ جَدّي في التجارة ؛ والسعادة تُنْبِطُ [6] الماءَ من الحجارة . اللهُ أكبرُ ! لا يُنْبِئُكَ أصدقُ من نفسك ، ولا أقْرَبُ من أمْسِك ! اشْتَرَيتُ هذا الحصيرَ في المُناداة ، وقد أخرج من دور آلِ الفُرات وقتَ المُصادرات وزمن

---

١ لا تنفق تجارتها : (الملموح) لا تروج تجارتها ، كاسدة . نسية : ديناً . المدبر : المفتقر ، الشقي ، يظن ان النسية منحة . والمتخلف (المتأخر تجارياً) يظنها هدية . وعندي ، المدبر (بضم الميم وفتح الدال وكسر الباء المشددة) : المفكر بعواقب الأمور ، الداهية ، إنه يعتبر ان ما أعطاه ديناً كأنه منحه أو صدقه لا يهمه أيرجع أم لا . والمتخلف يظن أنه هدية لأنه لن يدفع ثمنه نقداً .

٢ وثيقة بأصل المال : سند بالدين . عقدها لي : تعهد لي فيها بالوفاء . الاقتضاء : المطالبة بالدين . رقت حاله : افتقر . أنظرته : أمهلته ، اجلت الدين .

٣ درجه بالمعاملات : جررته إلى البيع شيئاً فشيئاً . الجد والبخت : الحظ . ساعد : من اليد إلى المرفق ؛ بقوة ساعد : بجهد ونشاط ؛ رب ساع لقاعد مثل (فرائد اللآلي ١ : ٢٤٦) : قد يكون انسان في بيته بينما هنالك آخر يسعى له في خير .

٤ مجدود : محظوظ . حسبك : يكفيك .

٥ المنتاب (في القاموس) : الذي يأتي مرة بعد مرة . (وهي في رأيي هنا) : المفاجئ . لآل : جمع لؤلؤ جمع لؤلؤة . جلدة ماء : صاف كأنه في غشاء من ماء . الآل : السراب ؛ كناية عن الرقة والصفاء أيضاً . بدولتك : برعايتك .

٦ يجعلها تنبع .

الغارات [1] . وكنت أطلُب مثلَه منذ الزمن الأطول فلا أجد ؛ والدهر حُبلى ليس يُدرى ما يَلِد . ثم اتّفق أني حضَرت باب الطاق [2] ، وهذا يُعرَض في الأسواق ، فوزنت فيه كذا وكذا ديناراً . تأمّل ، بالله ، دِقّته ولينَه وصَنْعته ولَوْنه ! فهو عظيمُ القَدْرِ ، لا يَقَع مثلُه إلا في النَدْر ! [3] وان كنت سمعت بأبي عِمران الحَصيريّ ، فهو عمله ؛ وله ابنٌ يَخْلُفُه الآنَ في حانوته ، لا يوجد أعلاق الحُصُر إلا عنده . فبحياتي ، لا اشتريت الحُصُرَ إلا من دُكّانه ! فالمؤمن ناصح لإخوانه ، لا سيّما مَنْ تَحَرَّمَ بخوانه [4] .

ونعود إلى حديث المَضيرة . فقد حانَ وقتُ الظهيرة . يا غلامُ ، الطَسْتَ والماء . فقلت : الله أكبرُ ! ربما قَرُبَ الفَرَجُ وسَهُلَ المخرج ؟ وتَقَدَّمَ الغلام ، فقال : ترى هذا الغلام ؟ انه روميّ الأصل عِراقي النَشْء . تَقَدَّمْ ، يا غلامُ ، وَاحسُرْ عن رأسك ، وشَمّرْ عن ساقك ، وانضُ عن ذِراعك ، وافتَرَّ عن اسنانك ، وَأَقْبِلْ وَأَدْبِرْ . ففَعَلَ الغلام ذلك . وقال التاجر : بالله ، مَنِ اشْتَراه [5] ؟ اشتراه ، والله ، أبو العبّاس من النخّاس . ضعِ الطَسْتَ وهاتِ الإبريقَ . فوضعه الغلام ، وأخذه التاجر وقلّبه وأدار فيه النَظَرَ ، ثم نقره فقال : انظُرْ إلى هذا الشَبَهِ ، كأنّه جُذوة اللهَبِ أو قطعةٌ من الذهب ! شَبَهُ الشام وصَنْعَةُ العِراق ! ليس من خُلْقَانِ الأعلاقَ [6] ! قد عَرَفَ دُورَ الملوك ودارَها ! تأمّل حسنه ! وسَلْني متى اشتريتُه ؟ اشتريتُه ، والله ، عامَ المَجاعة ، وَادّخرته لهذه الساعة . يا غلامُ ، الإبريقَ [7] ، فقدمه . وأخذه التاجرُ فقلّبه ، ثم قال : وأنبوبُهُ

---

١ الحصير : السجادة . المناداة : البيع بالمزاد العلني . آل الفرات : أسرة وليت الوزارة للعباسيين ، نكبوا وصودرت أموالهم في أيام الخليفة المقتدر (ت ٣٢٠ ﻫ) الغارات : النهب (الفرهود بعامية أهل بغداد) .

٢ سوق ببغداد .

٣ نادراً ، قليلا جداً .

٤ أكل منه ...

٥ النشأة ، المربى . حسر : كشف . نضا عن ذراعه : نزع ثوبه عن ذراعه . افتر عن أسنانه : ضحك . الضمير في اشتراه تعود على الغلام .

٦ هو علق (بكسر العين) نفيس وليس بخلق (بفتح اللام) قديم بل هو جديد أيضاً .

٧ مفعول به لفعل محذوف تقديره (هات) .

منه ! لا يَصْلُحُ هـذا الابريق إلا لهذا الطَّسْت ، ولا يَصْلُحُ هذا الطَّسْت إلا مع هذا الدست [1] ، ولا يَحْسُنُ هـذا الدست إلا في هذا البيت ، ولا يَجْمُلُ هذا البيت إلا مع هذا الضيف . أرسلِ الماءَ ، يا غلامُ ، فقد حانَ وقت الطعام . باللهِ ، ترى هذا الماء ما أصْفاه : أزرقُ كعين السِنَّور ، وصاف كقضيبِ البِلَّوْر ! استُقِيَ من الفُرات ، واستُعمل بعد البَيات ، فجاء كلِسانِ الشمعة في صفاءِ الدمعة . وليس الشأن في السَقّاء ، الشأن في الإناء ! [2] لا يَدُلّك على نظافةِ أسبابه أصدقُ من نظافة شرابه .

وهذا المِنْديل ؟ سَلْني عن قِصّته ! فهو نَسْجُ جُرْجان ، وعمل أرّجان . وقعَ إليّ فاشتريته ، فاتخذت امرأتي بعضه سراويلا [3] ، واتخذتْ بعضه منْديلاً . دَخَلَ في سراويلها عشرونَ ذِراعاً ، وانتزعتُ من يدها هذا القَدْرَ انتزاعاً ، واسلمته إلى المُطَرِّز - فَي صَنعه كما تراه وطرّزه . ثم ردَدْتُه من السوق وخزنته في الصُّندوق ، وادّخرته للظِراف من الأضياف ، لم تُذِلّه عربُ العامّة بأيديها ، ولا النساء لمآقِيها . فلكل عِلْقٍ يوم ، ولكل آلة قوم ! يا غلام ، الخِوانَ فقد طال الزمانُ ، والقِصاعَ فقد طال المصاعُ [4] ، والطعامَ فقد كثُر الكلام .

فأتى الغُلامُ بالخِوان ، وقلّبه التاجر على المكان ، ونقره بالبنان ، وعجمه بالأسنان [5] ، وقال : عَمَّرَ اللهُ بَغدادَ ! فما أجودَ مَتاعَها ، وأظرفَ صُنّاعَها ! تأمّلْ ، بالله ، هذا الخِوان ! وانظُر إلى عَرْضِ مَتْنِه [6]

١ البيت ؛ وفي الأصل : المجلس الفخم ، المنصب . يقال دست الوزارة .

٢ السنور : الهر . كثيرون من أهل بغداد كانوا يفضلون الشرب من ماء الفرات لأنه أطيب من ماء دجلة ، مع ان بغداد مبنية على نهر دجلة مباشرة . البيات : ترك الماء في الآنية مدة الليل حتى يترسب ما فيه من عكر . السقاء : الذي ينقل الماء .

٣ المنديل : المنشفة . جرجان وأرجان مقاطعتان في فارس ، اشارة إلى جودة نسجه وجنسه . والسراويل مفرد سروال وشروال : ثوب للقسم الأدنى من البدن .

٤ الظراف : جمع ظريف . عرب العامة : البدو . القصاع جمع قصعة : وعاء يسكب فيه الطعام . المصاع : (الجدال ، الكلام) .

٥ على المكان : حالا . البنان جمع بنانة : رأس الاصبع . عجمه : عضه ليعرف قساوته .

٦ متنه : ظهره ، كناية عن أن ظهره عريض ومع ذلك فهو من قطعة واحدة .

وخِفَّةِ وزنه وصلابة عُوده وحُسن شكله ! فقلتُ : هذا الشكلُ ، فمتى الأكل ؟ فقال : الآنَ . عَجِّلْ ، يا غلامُ ، الطعامَ . لكنَّ الخِوانَ قوائمه منه .

قال أبو الفتح : فجاشَتْ نَفْسي ، وقلتُ : قد بَقِيَ الخَبْزُ وآلاتُه ، والخُبزُ وصفاته ، والحِنْطَةُ من أين اشتُرِيَتْ أصلاً ، وكيف أُكْتُرِيَ لها حَمْلاً ، وفي أيِّ رَحىً طُحِنَ ، وإجّانةٍ عُجِنَ ، وأيَّ تنُّورٍ سَجَرَ [1] ، وخبّازٍ استَأجَرَ ؛ وبقِيَ الحَطَبُ من أين احتُطِبَ ، ومتى جُلِبَ ، وكيف صُفِّفَ حتى جُفِّفَ ، وحُبِسَ حتى يَبِسَ . وبقِيَ الخبّاز ووصفُه ، والتِلْميذ ونعتُه ، والدقيق ومَدْحُه ، والخمير وشرحُه ، والملح ومَلاحتُه . وبقِيَت السُكُرّجات [2] مَن اتّخذها ، وكيف انتقدها ، ومَن عملها ؛ والخَلّ ، كيف انتُقِيَ عِنَبُه أوِ اشتُرِيَ رُطَبُه ، وكيف صُهْرِجَتْ مَعْصَرتُهُ واستُخْلِصَ لُبُّه ، وكيف قُيِّرَ حُبُّه ، وكم يساوي دنّه [3] . وبقِيَ البَقْلُ ، كيفَ احتِيلَ حتى قُطِفَ ، وفي أيِّ مبقلة رُصِفَ ، وكيف تُؤُنِّقَ (فيه) حتى نُظِّفَ [4] . وبقِيَت المَضيرةُ كيف اشتُرِيَ لَحْمُها ، ووُفِّيَ شَحْمُها ، ونُصِبت قدرُها ، وأُجِّجَتْ نارها ، ودُقَّتْ أبزارُها حتى أُجيدَ طَبْخُها وعُقِّدَ مَرَقُها . وهذا خَطْبٌ يَطُمّ ، وأمْرٌ لا يَتِمُّ ! [5]

---

١ الرحى : الطاحون . اجانة : وعاء كبير يعجن فيه . التنور : حفرة اسطوانية الشكل يخبز العجين فيها أو على أطرافها . سجر التنور : أشعل فيه النار .

٢ التلميذ هنا صبي الفران . ولا يزال معلم الفرن يدعى في بغداد إلى الآن أستاذ . السكرجات : الصحاف والاطباق التي يسكب فيها الطعام .

٣ الرطب : التمر . صهرج الحفرة : طلى أسفلها وجدرانها بالطين والكلس الخ . المعصرة في الأصل بكسر الميم . والصواب فتحها على انها اسم مكان لا اسم آلة ، فان الذي صهرج مكان العصر لا آلة العصر . الحب : الجرة الضخمة لها عروتان . قير الحب : طلي خارجه بالقار (الزفت) . الدن : وعاء طويل له عسعس (بضم العينين) أي ان أسفله مخروطي الشكل لا يثبت على الأرض ولذلك يجعلون له أداة من خشب يضعونه عليها .

٤ البقل : النبت ، الخضرة كاللوبياء والسلق الخ . المبقلة : المكان المعد لخزن أنواع البقل . رصف : وضع بعضه إلى جانب بعض ، أو فوق بعض .

٥ الابزار : أنواع من البزر تضاف إلى الطعام المطبوخ كالصنوبر والجوز والكزبرة ... الخ . المرق : ماء اللحم المغلي . عقد : خثر ، أصبح غليظاً سميكاً بفعل الغلي . خطب يطم : أمر يتعاظم ويتفاقم ، مصيبة كبيرة .

فقمت . فقال : أينَ تريدُ ؟ فقلتُ : حاجَةٌ أقْضيها . فقال : يا مولايَ ، تريد كَنيفاً يُزْري بربيعيِّ الأمير ، وخريفيِّ الوزير [1] ؟ قد جُصِّصَ [2] أعْلاه ، وصُهْرِجَ أسْفَلُه ، وسُطِّحِ سَقْفُه ، وفُرِشَتْ بالمرمر أرْضه ؟ يَزِلَ عن حائطه الذرّ فلا يَعْلَقُ ، ويمشي على أرضه الذُّباب فيَزْلَقُ ؟ عليه باب غيرانُه خَليطَيْ ساجٍ وعاجٍ ، مُزْدَوِجَيْن أحسنَ ازدواج [3] ، يَتَمَنّى الضيفُ أن يأكلَ فيه ! فقلت : كُلْ أنت من هذا الجراب ، لم يكنِ الكَنيفُ في الحِساب !

وخرجتُ نحوَ الباب ، وأسْرَعتُ في الذَّهاب ، وجعلت أعْدو [4] ، وهو يَتْبَعُني ويَصيحُ : يا أبا الفتح ، المَضيرةَ ! وظَنّ الصِبيانُ أن المَضيرة لَقَبٌ لي ، فصاحوا صِياحَه ! فرَمَيْتُ أحدَهم بحجر ، من فَرْطِ الضَّجَر . فلَقِيَ رجلٌ الحجرَ بِعِمامته ، فغاصَ في هامته [5] . فأُخِذْتُ من النِّعال بما قَدُمَ وحَدُثَ ، ومِنَ الصَفْع بما طاب وخَبُثَ . وحُشِرْتُ إلى الحبس ، فأقمت عامين في ذلك النَّحس [6] . فنذرت ألاّ آكُلَ مضيرة ما عِشْتُ ! فهل أنا في ذا ، يا آل هَمْدانَ ، ظالمٌ ؟ [7] .

قال عيسى بنُ هِشامٍ : فقَبِلْنا عُذْرَه ، ونَذَرْنا نَذْرَه ، وقُلْنا : قدماً جَنَتِ المَضيرةُ على الأحرار ، وقَدَّمتِ الأراذلَ على الأخيار .

---

١ يزرى بربيعي الأمير : يظهر ربيعي الأمير بجانبه حقيراً صغيراً . الربيعي والخريفي : مسكن الربيع ومسكن الخريف .

٢ جصص الجدار : طلاه بالجص (بالكلس) .

٣ يزل عن حائطه الذر : يزلق عنه النمل الصغير (لملاسته) . غيرانه (كذا بالأصل) فسرها الشارح : الغيران جمع غار أصله الاخدود بين اللحيين من الفم استعمله في الفواصل بين الواح الباب ... من خليطي ساج وعاج : أي من خشب هندي (اسود) مطعم (بتشديد العين) بالعاج (الابيض) . مزدوجين أحسن ازدواج : منسقين تنسيقاً جميلا .

٤ اركض .

٥ رأسه .

٦ أخذتني النعال ، أي أن الناس ضربوني بالنعال وصفعوني كثيراً ...

٧ في الأصل : همذان (بفتح الميم والذال المعجمة) والصواب : همدان (بسكون الميم وبالدال المهملة) وهذا اقتباس من قول عمرو بن براق الهمداني :

وكنت إذا قوم غزوني غزوتهم؛ فهم أنا في ذا — يا لهمدان — ظالم؟

– كَتَبَ بديعُ الزمانِ الهَمَذانيّ إلى ابْنِ أختهِ يُعَزّيهِ بأخيه ويَحُضّه على المُثابرة على تحصيل العِلْم :

كتابي ، وقد وَرَدَ كتابُكَ بما ضَمَّنْتَهُ من تَظاهُر نِعَمِ الله عَلَيْكَ وعلى وَالِدَيْكَ . فسَكَنْتُ إلى ذلك من حالِكَ ، وسألتُ اللهَ إبقاءكَ ، وأن يَرْزُقَني لِقاءكَ[1] .

وذَكَرْتَ مُصابَكَ بأخيكَ ، فكأنّما فَتَتَّ عَضُدي[2] وطَعَنْتَ في كَبِدي . فقَدْ كُنْتُ مُعْتَضِداً بمكانه[3] والقَدَرُ جارٍ لِشانه . وكذا المَرءُ يُدَبِّرُ ، والقضاء يُدَمِّر ، والآمالُ تَنْقَسِمُ ، والآجالُ تَبْتَسِمُ . واللهُ يَجْعَلُـهُ فَرَطاً[4] ولا يُريني فيكَ سُوءاً أبَداً . وأنتَ – أيَّدَكَ اللهُ – وَارِثُ عُمُرِه وسِدادُ ثَغْرِه ، ونِعْمَ العِوَضُ بقاؤكَ :

إنَّ الأشاء إذا أصابَ مُشَذِّباً مِنْهُ أغَلَّ ذُرىً وأثَّ أسافِلا[5] !

وأبوك سَيِّدي – أيَّدَهُ اللهُ وألْهَمَهُ الجَميلَ ، وهُوَ الصَّبْرُ ، وآتاهُ الجَزيلَ ، وهُوَ الأجرُ ، وأمْتَعَهُ بكَ طويلاً – فما سُؤْتَ بَديلاً . أنْتَ وَلَدي ما دُمْتَ والعِلْمُ شانُكَ ، والمَدْرَسَةُ مَكانُكَ والدَّفْتَرُ نَديمُكَ . وإن قَصَّرتَ ، ولا إخالُكَ ، فغَيْري خالُكَ ؛ والسلام .

– وكتب إلى أبي بكر الخُوارزميّ :

أنا لِقُرب الاستاذ – أطالَ اللهُ بقاءه (كما طَرِبَ النَّشْوانُ مالَتْ بـه الخَمْرُ) ، ومِنَ الارتياح للقائه (كما انْتَفَضَ العُصْفورُ بَلَّلَهُ القَطْرُ) ، وَمِنَ الامتزاجِ بوَلائه (كما الْتَقَتِ الصَّهْباءُ وَالبَارِدُ العَذْبُ) ، وَمِنَ

---

[1] (هذا) كتابي (أكتبه اليك) . تظاهر : توالي ، تتابع . فسكنت إلى ذلك من حالك : اطمأننت عليك . يرزقني لقاءك : يتيح لي أن أجتمع بك قريباً .

[2] فتتت عضدي : كسرت عظم ساعدي (كناية عن الألم من المصيبة النازلة) .

[3] كنت معتضداً بمكانه : عظيم الأمل بحسن مستقبله ، أرجو أن يكون في المستقبل (لي ولك) عوناً . والقدر جار لشانه : تنفذ أحكامه من غير أن يلقي بالاً إلى آمالنا (ونحن غافلون عما يخبئه لنا) .

[4] الفرط : المتقدم ، السابق (جعله الله ثواباً لنا مقدماً عند الله ليوم القيامة) . سداد (بكسر السين) ثغره : تقوم مقامه (في الأمور التي كان ينتظر منه أن يقوم هو بها ، لو كتبت له الحياة) .

[5] الاشاء جمع اشاءة : النخلة الصغيرة . التشذيب : قطع الأغصان اليابسة أو الزائدة . أغل ذرى : حمل (في أعلاه) حملا كثيراً . أث كثر ، التف ، كثف (إذا شذبت الأشجار انبسطت أغصانها وكثر ثمرها واشتد جذعها) .

الابتهاج بمرآه (كما اهتزّ تحت البارح [1] الغُصنُ الرّطبُ) — . فكيفَ نشاطُ الاستاذ لصديقٍ طوى إليه [2] ما بين قصبتَيِ العراق وخُراسان ، بل ما بين عتبتَيْ نيْسابورَ وجُرجان ؟ وكيف اهتزازه لضيف في بُرْدَة [3] جمّال . وجلدة حمّال :

رَثِّ الشمائِلِ [4] مُنْهَجِ الأثوابِ
(بكَرَتْ عليْهِ مُغيرَةُ الأعْرابِ [5]) .

وَهُوَ — أيدَهُ الله — ولي إنعامه ، بإنفاذ غُلامه [6] إلى مُستقرّي ، لأُفْضِيَ إليه بِسِرّي ، إن شاء الله تعالى .

٤ — رسائل أبي الفضل بديع الزمان الهمذاني (على هامش خزانة الأدب لابن حجّة الحموي) ، القاهرة (المطبعة الخيرية) ١٣٠٤ هـ ؛ الاستانة (مطبعة الجوائب) ١٢٩٨ هـ ؛ القاهرة (مطبعة هندية) الطبعة الرابعة ١٩٢٨ م ؛ (على هامش المقامات) ، القاهرة ١٣١٥ هـ .

كشف المعاني والبيان عن رسائل بديع الزمان (بشرح ابراهيم الاحدب) ، بيروت (المطبعة الكاثوليكية) ١٢٠٨ هـ ؛ ١٣٤٠ هـ (١٩٢١ م) .

مقامات بديع الزمان الهمذاني ، بولاق (المطبعة الأميرية) ١٢٩١ هـ ؛ قسطنطينية (مطبعة الجوائب) ١٢٩٨ هـ ؛ القاهرة ١٣٠٤ هـ ، ١٣٤٢ هـ (١٩٢٣ م) ؛ على هامش المقامات ، القاهرة ١٣١٥ هـ .

مقامات بديع الزمان الهمذاني (بشرح محمّد الرافعي) ، القاهرة (بلا تاريخ) ؛ (بشرح الشيخ محمّد عبده) بيروت (المطبعة الكاثوليكية) ١٣٠٦ هـ وطبعات أخر (حذفت من هذه الطبعات أشياء مُقذعة) ؛

---

١ البارح : الريح الحارة في الصيف (القاموس) !!
٢ طوى الأرض : قطعها ، سافر .
٣ البردة : الثوب ؛ جمال : راعي الجمال . الحمال : العتال (كناية عن رثاثة الثياب وعن الفقر) .
٤ الشمائل جمع شملة : ثوب يلف على البدن . منهج (بالبناء للمجهول) : متهرئ .
٥ بكرت ..... : غدا عليه قطاع الطريق من البدو فسلبوه ما كان يحمله من مال ومتاع . وهذا الشطر مطلع قصيدة للسري الرفاء (بتشديد الياء والفاء) .
٦ خادمه .

(بشرح محمد محيي الدين عبد الحميد) ، القاهرة (المطبعة الازهرية) ١٣٤٢ هـ (١٩٢٣ م) .

ديوان بديع الزمان الهمذاني (نشره عبد الوهاب رضوان ومحمّد شكري المكّيّ) ، القاهرة (مطبعة الموسوعات) ١٣٢١ هـ (١٩٠٣ م) .

•• الرسائل والمقامات : عبد الحميد ، بديع الزمان ، الحريري ، تأليف عمر فرّوخ ، بيروت (مكتبة منيمنة) ١٣٦١ هـ (١٩٤٢ م) ، الطبعة الثانية ١٣٦٩ هـ (١٩٥٠ م) .

بديع الزمان الهمذاني ، تأليف مارون عبّود ، بيروت (دار المعارف) ١٩٤٥ م .

بديع الزمان الهمذاني : تاريخه وأدبه ، تأليف مصطفى محمّد الشكعة ، ١٩٥١ م .

بديعيّات الزمان : بحث تاريخي تحليلي في مقامات بديع الزمان الهمذاني، بقلم فيكتور الكك ، بيروت (المطبعة الكاثوليكية) ١٩٦١ م .

يتيمة الدهر ٤ : ٢٤٠ – ٢٨٤ ؛ معجم الأدباء ٢ : ١٦١ – ٢٠٢ ؛ وفيات الأعيان ١ : ٦٨ – ٦٩ ؛ شذرات الذهب ٣ : ١٥٠ – ١٥١؛ أعيان الشيعة (١٩٦٠) ٨ : ٢١٤ – ٢٤٦ ؛ بروكلمان ١ : ٩٣ – ٩٤ ، الملحق ١ : ١٥٠ ؛ زيدان ٢ : ٣١٩ ،

Enc . Isl . (new ed) III 106 - 107 .

ابو الفرج الببّغاء

١ ـ هو أبو الفرج عبدُ الواحدِ بنِ نصرِ بنِ محمّدٍ النَّصيبيّ من أهلِ نَصيبين في جزيرةِ ابنِ عُمَرَ ، وكانَ يُعْرَفُ أيضاً بالمخزوميّ ولكن لم يكُنْ من بني مخزومٍ . أما لَقَبُه الببّغاءُ فلُقّبَ به لِلثّغة بالقاء كانت في لسانه ، ولذلك كان ابن جِنّيّ يسمّيه الفقّغاء بفاءين (وفيات ١ : ٥٣٥) .

وُلِدَ أبو الفرجِ الببّغاءُ في نَصيبينَ ، نحوَ سَنَةِ ٣١٥ هـ (٩٢٧ م) ، ولا نَعْرِفُ من أخبارِه شيئاً قبلَ اتّصاله بسيفِ الدولة (نحو سنة ٣٣٤ هـ = ٩٤٥ ـ ٩٤٦ م) ، فقد نالَ حَظوةً عندَ سيفِ الدولة وكان أكثرُ مُقامِه في

حَلَبَ . وربّما تنقّل بين حَلَبَ ودِمَشْقَ (حينما تكونُ دِمَشْقُ تحتَ حكمِ سيف الدولة) ، كما اتّفق له أن زارَ بغدادَ في ذلك الحينِ ولَقِيَ فيها المتنبّيَ ، حينما زارها المتنبّي (٣٥٠ هـ) بعدَ رجوعِه من مِصْرَ .

وبَقِيَ الببّغاءُ ، بعدَ وفاةِ سيفِ الدولة (٣٥٤ هـ) ، مُدّةً في حَلَبَ ثم سارَ إلى بغدادَ . ثم إنّه استقرّ في المَوْصِلِ ولكنّه ظلّ يتردّدُ على بغدادَ ، وقد كان فيها سنَةَ ٣٩٠ هـ (يتيمة الدهر ١ : ٢١٠) .

وكانت وفاةُ الببّغاءِ في أواخرِ شَعبانَ من سنة ٣٩٨ هـ (أوائل أيار – مايو ١٠٠٨ م) .

٢ – أبو الفرج الببّغاءُ شاعرٌ مُكثرٌ فخم الألفاظِ متينُ التركيب يميل إلى الصّنعة ولا يتكلّف فتأتي معانيه جياداً وصوره الشعريةُ جميلةً ، ثم هو مُعْجَبٌ بالمتنبّي يَطْبَعُ الشعرَ على غِرارِه أحياناً وعلى غِرارِ شعرِ البُحتريّ . وهو بارع في الوصف والخمر والغزل حسَنُ المديح والرثاء .

وأبو الفرج الببّغاء أديبٌ ناثرٌ جيّد الترسّلِ والسرْد ، غيرَ أنه لا يَبْلُغُ في ذلك مبلغَ أعلامِ عصره كبديع الزمان مثلاً . إنه أقرب في نثرِه إلى السليقة وأبعدُ عن التكلّف ، لذلك كان نثره سَهْلاً عَذْباً .

٣ – المختار من شعره ونثره

– قال أبو الفرج الببّغاء يصف رَكْضَ الخيلِ (في أثناء مديح) :

وكأنّما نَقَشَتْ حوافرُ خَيْلِـهِ للناظرين أَهِلّةً في الجَلْمَدِ [١] .
وكأنّ طَرْفَ الشمسِ مَطْروفٌ وقد جُعِلَ الغُبارُ له مَكانَ الإثْمِدِ [٢] .

---

١ – يصف الشاعر اقتدار الممدوح (سيف الدولة) على الغزو باستعارة تمثيلية مأخوذة من أثر حافر الخيل . الجلمد (الصخر الصلد) – كل حافر حصان ينقش هلالا في الصخر .

٢ إذا طرفت العين صعب عليها التفتح المستمر للرؤية بثبات ووضوح . إن الشمس كانت مطروفة بالغبار (الذي أثارته خيول سيف الدولة في الذهاب إلى الغزو) فهي لا تظهر باستمرار ولا تضيء بوضوح . وبما أن الشمس في مثل هذه الحال تكون أطرافها أقل لمعاناً ، فقد شبهها الشاعر بعين كحلت بالأثمد .

– وقال الببّغاء في الغزل :

ومُهَفْهَفٍ لمّا اكْتَسَتْ وَجَناتُـه   حُلَلَ المَلاحة طُرِّزَتْ بعِذارِه[1] .
لمّا انتصرتُ على عَظيمِ جَفائـه   بالقَلْبِ ، كان القلبُ من أنصاره[2] .
كَمُلَتْ مَحاسنُ وجهِهِ فكأنّما اقْـ   ـتَبَسَ الهلالُ النورَ من أنواره .
وإذا ألَحّ القلبُ في هِجرانِـــه   قال الهوى لي: لا بُدّ مِنْهُ فَدَارِه :

– وللببّغاء في وصف الربيع والخمر :

زَمَنُ الوَرْدِ أظرفُ الأزمـانِ ،   وأوانُ الربيعِ خيرُ أوانِ[3] .
أدركَ النَرْجِسُ الجَنيّ ، وفُزْنـا   منهما بالخُدودِ والأجفان[4] .
أشرَفُ الزَهْرِ زارَ في أشرفِ الدّهْـ   ـرِ ، فَصِلْ فيه أشرفَ الإخوان ،
وَاجْلُ شمسَ العُقارِ في يَدِ بدرِ الـ   ـحُسْنِ يَخْدِمْكَ منهما النَيِّران[5] .
وأدِرْها عَذْراءَ وَانْتَهِـزِ الـ   ـإمكانَ قبلَ عوائقِ الإمكان ،
في كؤوسٍ كأنّها زَهَرُ الخَشْـ   ـخاشِ فيه شَقائقُ النُّعمان[6] .
واخْتَدِعْها عندَ البِـزالِ بألْفـا   ظِ المثاني ومُطْرِباتِ الأغـاني[7] ،

---

١ المهفهف : النحيف الضامر الخصر . – لبست خدوده ثوباً من الجمال ثم بدأ عذاره (لحيته) بالظهور في ذلك الثوب كأنها طراز (علامة مزخرفة) .

٢ انتصرت بالقلب : استعنت بقلبي حتى ينصرني (يساعدني) على المحبوب ....

٣ الأوان : الحين (الزمن المناسب ، الموافق) .

٤ أدرك الثمر : نضج ، بلغ أحسن حاله . أدرك الزهر : نور كله وأصبح في أحسن حاله . الجني : الذي تم وصار بالامكان قطفه . منهما : من الورد (المقابل للخدود بلونه) والنرجس (المقابل للعيون للعيون بشكله) .

٥ اجل : أبرز ، أظهر . شمس العقار : الخمر . في يد بدر الحسن : في يد ساق جميل . يخدمك منهما النيران = تتمتع بالنيرين : بالشمس (بالنشوة من الخمر التي تشبه الشمس) وبالجمال من الساقي (الذي يشبه بالبدر) .

٦ أدرها : أسق (صحبك) الخمر . زهر الخشخاش أبيض اللون (كناية عن زجاج الكأس) وشقائق النعمان حمراء اللون (كناية عن لون الخمر) .

٧ اختدعها (اختدع الخمر : خادعها ، احتل عليها ، قاربها بالحيلة) عند البزال ؛ البزال (بضم الباء) : الثقب الذي يثقب في جنب الدن حتى تخرج منه الخمر . والشاعر يستعمل البزال مصدراً متعدياً : استخراج الخمر من الدن ، وليست هذه الصيغة بهذا المعنى في القاموس . اختدعها بالعزف على العود وبالاغاني (لأن الخمر تود أن تبقى مصونة في الدن لا تخرج منه) .

فَهْيَ أَوْلى من العَرائسِ ، ان زُفِّـــتْ ، بعَزْفِ النّاياتِ والعِيدان .

– وقال يَصِفُ بِرْكةً ثم يستطرد من وصف مائها إلى وصفِ كَـرَمِ الممدوح :

وقَوْراءَ كالفَلَكِ المُستديـ ـرِ تَروق العُيونَ بلألائها [١] ،
حَبَتْها البِحارُ بأمواجِها ، وسُحْبُ السماء بأنوائها [٢] .
كأنَّ تدفّقَ تيّارِهـــا يَداكَ تَفيضُ بنَعْمائها .
وجودُك أغزرُ من جَرْيِها ، وخُلْقُك أعذبُ من مائها !

– من رسالة كتبَ بها إلى سيفِ الدولة بعد غزوة ظافرة لسيف الدولة :

الرياسةُ – أيّدَ اللهَ سيّدَنا – حُلّةٌ مَوْموقة ومَرْتَبَة مَرْموقة [٣] يتَفاضَلُ الناسُ فيها بِقَدْرِ الهِمَمِ ويَنالونَها بِحَسْبِ مَراتِبِهم من الكَرَم ، فما تُدْرَكُ إلاّ بالسَّماح ، ولا تُملَك إلاّ بأطراف الرِماح .... فكلّ من أدركَها طلَباً واستحقَّها بأفعاله لقَباً – من غيرِ الدُّخولِ لسيّدِنا تحتَ شَرَفِ التَعَبُّدِ ، ورِقّ الإخلاصِ لا التودُّدِ – فقد حُرِمَ نَيْلَ الكمالِ وعَدَلَ عن الحقيقة إلى المُحال :

لأنّه الغايةُ القُصْوى التي عَجَزَتْ عن أنْ تُؤمِّلَ إدراكاً لها الهِمَمُ .
ما تَسْتَحِقّ ملوكُ الأرضِ مَرْتَبَةً في الفَضْلِ إلاّ له من فَوْقِها قَدَمُ ...

٤ – •• تاريخ بغداد ١١ : ١١ – ١٢ ؛ يتيمة الدهر ١ : ٢٠٠ – ٢٣٤ ؛ وفيات الاعيان ١ : ٥٣٤ – ٥٣٥ ؛ شذرات الذهب ٣ : ١٥٢ – ١٥٣ ؛ بروكلمان ١ : ٩٠ ، الملحق ١٤٥ ؛ زيدان ٢ : ٢٩٧ ؛ النثر الفنّي ١ : ٢٨٦ – ٢٩٣ ؛ ٢ : ٢٢٦ – ٢٤٢ ؛

Enc . Isl (new ed) I 845 - 6

الجوهريّ صاحب الصِحاح

١ – هو أبو نَصْرٍ إسماعيلُ بنُ حَمّادِ بنِ نصرٍ الجَوْهري ، وُلِدَ في

---

١ قوراء : مستديرة .

٢ النوء : المطر الشديد (في الأصل : النجم الذي يوافق طلوعه سقوط أمطار غزيرة) .

٣ موموقة : محبوبة . مرموقة : يتطلع الناس إلى الحصول عليها .

أوائل القرن الهجريّ الرابعِ في فاراب من بلاد الترك وراء نهر جيحون (ويقال لها الآن أطرار أو أترار) ؛ ولذلك يُقال له الفارابي أيضاً .

أخذَ الجوهريّ عن خالهِ أبي ابراهيم بن اسحق الفارابي (توفي سنة ٣٥٠ هـ) صاحب ديوان الأدب (وهو كتاب في اللغة يَقْرُبُ من أن يكونَ قاموساً) . ثمّ انه جاء إلى بغداد وسَمِعَ من أبي عليّ الفارسي ومن أبي سعيد السيرافي . وتنقّل بعدَ ذلك في البَدْوِ والحَضَر وزارَ ديارَ رَبيعةَ (شَماليّ العِراق) والحِجازَ ونجداً يأخُذُ اللغةَ عن البَدْوِ مُباشرةً وسؤالاً . بعد ذلك عادَ إلى المشرق يتكسّب بإقراء القرآنِ والتدريسِ وتعليمِ الخطّ ونَسْخ الكتب ويؤلّف في أثناء ذلك .

ووُسْوِسَ الجوهريّ في آخِرِ عُمُرِه فصَعِدَ إلى سَطْحِ الجامع في نيسابور وشَدّ إلى ذِراعيه مِصْراعَيْ بابٍ ثم قَذَفَ بنفسه من سطح الجامع مُحاولاً أن يطيرَ ، ولكنّه سَقَطَ فماتَ سنة ٣٩٨ هـ (١٠٠٨ م) في الأرجح .

٢ – كان أبو نصرٍ الجوهريّ إماماً في اللغة والأدب ، ألّف كِتاب « تاج اللغة وصِحاح [١] العربية » ، وهو قاموس بالمعنى المألوف . و « للصحاح » خاصّتان بارزتان : أولاهما أنّ الجوهري اقتصر في الأكثر على الألفاظ التي « ثبتت صحتها » عنده ، ولذلك سمّاه « تاج اللغة وصحاح العربية » . والخاصّة الثانية هي ابتكارُه لترتيبٍ قاموسيّ عاقلٍ . لقد رتّب الجوهريّ الكلماتِ في قاموسِه على الحرفِ الأخيرِ في الكلمة . فالبحث عن الكلمة في « الصحاح »

---

[١] لصحاح اللغة مختصر اسمه « مختار الصحاح » للرازي . والرازي هذا هو زين الدين محمد بن محمد بن أبي بكر ابن عبد القادر الرازي ، من أهل الري ، كان من علماء اللغة والنحو ومن ذوي الإلمام بعلوم القرآن والحديث وعلوم الأدب والتاريخ ومن البارعين في النثر والنظم . وللرازي هذا عدد من التآليف أشهرها « مختار الصحاح » الذي اقترن به اسمه في عالم المعاجم . اختصر الرازي « صحاح اللغة » وجرده من الشواهد ، وفرغ (بفتح الراء) من تأليفه سنة ٦٦٠ هـ (١٢٦٢ م) . ولعل الرازي قد أدرك أواخر القرن الهجري السابع . وقد طبع « مختار الصحاح » في بولاق سنة ١٢٨٢ هـ ثم طبع مراراً بعد ذلك . وطبعته وزارة المعارف المصرية (١٣٢٣ – ١٣٣٥ هـ) طبعة أشرف عليها محمود خاطر والشيخ حمزة فتح الله . وقد غير ترتيب هذه الطبعة فجعلت الكلمات على أوائل الحروف كما حذفت فحذف منها الألفاظ البذيئة (راجع « صاحب مختار الصحاح » لأحمد تيمور ، م م ع ع ٨ : ١١ تشرين الثاني ١٩٢٨ م ، ص ٦٤١ – ٦٦١ : ثم الصحاح ومدارس المعجمات العربية ، تأليف أحمد عبد الغفور العطار ، مصر ١٣٧٥ هـ = ١٩٥٦ م ، ص ٢٢٧ – ٢٢٩) .

يكون باتّخاذ الفعل المجرّدِ الثلاثيّ أساساً ، ثم يبدأ الباحث عنِ الكلمة بالبحث عن الحرف الثالث (الأخير) منها (ويسمّى الباب) ثم عن الحرف الأول منها (ويسمّى الفصل) ثم عن الحرف الثاني (الاوسط) . فكلمة «قرب» نجدها في باب الباء — فصل القاف ، و «نزل» نجدها في باب اللام — فصل النون . ومشتقّات الفعل الثلاثي تتبعه (نَجِدُ نازلة ومنزلة وتنزّل مع «نزل») . ولقد اتّبع الجوهري هذا الترتيب لأن الحرف الأخير من الفعل المجرّد أثبت في العادة من سائر أحرفه عند التقلّب في الصيَغ المختلفة ، فاللام في نزول ونزيل وتنزيل واستنزل ومنزل وفي تنازل الرجلان أثبت وأظهر من النون والزاي (وان كان عندنا نازلة ومنزلة — تتراجع فيهما اللام عن مكانها في آخر الكلمة) . وهذا الترتيب مفيد خاصّة في الافعال المعتلّة من مثل وعد ، وثق ، يقظ فان فيها عِدَةٌ ومَوْعداً وميعاداً وثِقَةٌ ومَوْثقاً وميثاقاً وإيقاظ وأيقاظاً واستيقاظ ؛ فالحرف الأخير فيها أثبت .

٤ — تاج اللغة وصحاح العربية ، تبريز ١٢٧٠ هـ ؛ (بتصحيح نصر الهوريني ، مصر (بولاق) ١٢٨٢ هـ ، ١٢٩٢ هـ ؛ القاهرة (المطبعة الشرفية) ١٣٠١ هـ .

مختار الصحاح ، اختاره زين الدين محمّد بن أبي بكر الرازي ، القاهرة (المطبعة الشرقية) ١٣٠١ هـ ؛ (بولاق) ١٣٠٢ هـ ؛ القاهرة (المطبعة الاميرية) ١٩٢٠ م .

•• الصحاح ومدارس المعجمات العربية ، تأليف أحمد عبد الغفور عطّار ، القاهرة (دار الكتاب العربي) ١٣٧٥ هـ (١٩٥٦ م) .

يتيمة الدهر ٤ : ٣٧٣ — ٣٧٤ ؛ دمية القصر ٣٠٠ ؛ معجم الأدباء ٦ : ١٥١ — ١٦٥ ؛ إنباه الرواة ١ : ١٩٤ — ١٩٨ ؛ بغية الوعاة ١٩٥ ؛ شذرات الذهب ٣ : ١٤٢ — ١٤٣ ؛ بروكلمان ١ : ١٣٣— ١٣٤ ، الملحق ١ : ١٩٦ — ١٩٧ ؛ زيدان ٢ : ٣٥٨ — ٣٥٩ ؛ Enc . Isl . (new ed) II 495 - 7 .

أبو العبّاس النامي

١ — هو أبو العبّاس أحمدُ بن محمّدٍ الدارميّ المِصّيصيّ النامي من أهل

المِصِّيصة ، وُلِدَ نحوَ سَنَةِ ٣١٠ هـ (٩٢٢ م) . ويبدو أنه قد زار العِراقَ في طلبِ العِلم ، فقد كانت له أمالِ أملاها في حَلَبَ وروى فيها عن أبي الحسنِ عليِّ بن سليمان الأخفشِ الأصغر وابن دَرَسْتَوَيْهِ وأبي عبد الله الكرماني وأبي بكرٍ الصولي وابراهيمَ بنِ عبدالرحمن العَروضي وعن أبيه محمدٍ المِصّيصي .

وكان النامي ذا حَظْوةٍ في بَلاط سيفِ الدولةِ بحَلَبَ ، وقد كانت له مع المتنبّي وقائع ومُعارضاتٌ في الأناشيد (إنشاد الشعر) . ولمّا غادرَ المتنبّي بَلاطَ سيفِ الدولةِ ، سَنَةَ ٣٤٦ هـ (٩٥٧ م) ، خَلَفَهُ فيه مُقَدَّماً على سائرِ الشعراء .

وكانت وَفاةُ أبي العبّاس النامي سنة ٣٩٩ هـ (١٠٠٩ م) في الأغلب .

٢ — كان أبو العبّاس النامي أديباً بارعاً عارفاً باللغة والأدب وشاعراً مُفْلِقاً من فحولِ شعراءِ عصرِه . ومَعَ أنّ شعرَ النامي مُثْقَلٌ بالكِنايات والتَوْرِيات خاصةً فاننا نَسْتَشِفُ منه صُوَراً شِعْرِيةً جميلةً ، ونَجِد فيه ألفاظاً حلْوةً وديباجةً رائقةً أحياناً . غير أنّنا نرى كذلك أثرَ شِعْرِ المتنبّي في كثيرٍ من مَقاطعه .

٣ — المختار من شعره

— قال أبو العبّاس النامي يفتخر بشعره :

أحقّـاً أنّ قـاتلَتي زَرودُ ... وأن عهودَها تلك العهودُ[١] ؟
وَقَفْتُ وقد فَقَدتُ الصبرَ حتّى ... تَبيّنَ مَوْقفي أني الفَقيد[٢] ،
وشكَتْ فيّ عُذّالي فقـالوا ... لِرَسْمِ الدار : أيكُما العميد[٣] ؟

١ — أصحيح أن زرود (التي أنا أحبها) هي التي قتلتني (أضنتني وأسقمتني بحبها) وأن عهودها لي هي تلك العهود (التي لا يفي صاحبها بها) .

٢ أطلت الوقوف (حتى ظننت) أنه لم يبق لي صبر . ولكن موقفي (المكان الذي كنت أقف فيه) أدرك أن صبري لم يفقد (بدليل أني صبرت طويلا على الوقوف هنالك) وإنما الفقيد (الذي قتله الحب) هو أنا .

٣ وعذالي : أعدائي وخصومي في الحب أو حاسدي على الحب شكوا في حالي وسألوا رسم الدار (المكان المهجور أو الخراب الذي أقف أندبه) : أأنت ، يا رسم الدار العميد ، (المعمود : المضروب بالعمود ، المصاب بالخراب) أم الشاعر (الواقف يندبك) هو الذي ذهب الحب بصحته وعقله؟

إليكَ صَدَعْنَ أفئِدَةَ اللّيالي وفيهِنّ السخائمُ والحُقود [1] ؛
فعِيدانُ الأراكِ لها عِظامٌ ، وأسقِيَةُ السِنانِ لها جُلود [2] .
وشِعرٌ لوْ عَبيدُ الشعرِ أصغَى إليه لظَلّ لي عبداً عَبيدُ [3] ؛
كأنّ لفِكْرِهِ نُشِرَ ابنُ حُجْرٍ ونُودِيَ من حَفيرَتِه لَبيد [4] .

– ابيَضّ شَعْرُ أبي العبّاس النامي كُلُّه إلاّ شَعْرَةً واحدةً ظَلّت سوداءَ ، فقال في ذلك :

رأيتُ في الرأسِ شعرةً بَقِيَتْ سوداءَ تَهْوى العُيونُ رؤيَتَها .
فقلتُ للبيض ، إذ تُروّعُها : باللهِ ، إلاّ رَحِمْتِ غُرْبَتَها .
فقَلّ لُبْثُ السوداءِ في وَطَنٍ تكونُ فيه البَيْضاءُ ضَرّتَها .

– وللنامي قصيدة في مديح سيف الدولة جاء في مطلعها :

أرَتْنا جَنَى العُنّابِ للوَرْدِ ظالماً ، ومن أقْحُوانٍ مُرْمَضٍ مُتَظَلّما [5] .
طوى البِنُ ديباجَ الخُدودِ ونَشّرتْ يدُ البَيْنِ وَشْياً للخدودِ مُنَمْنَما [6] .
تَقَسّمَتِ الأهواءُ قلبي كما غدا نَوالُ عليٍّ في العُلا مُتَقَسّما [7] .

---

١ – يا سيف الدولة ، ان نياقي شقت في سبيل الوصول اليك أفئدة اليالي (قلب الظلمات = شدة الظلام) ، وفي أفئدة الليالي أنواع الحقد علي (والعداوة لي) .

٢ قوائمها تشبه عيدان شجر الأراك (في نحولها ، كناية عن السرعة) وأسقية السنان (ما يسقيه سنان الرمح ، ما يسيل على سنان الرمح : الدم) لها جلود (جلدها أحمر ، كناية من أصلها الكريم) . – ولعل في ذلك كناية عن التعب .

٣ – لو سمع شعري عبيد بن الابرص (راجع الجزء الأول ١٢٤ – ١٢٧) لجعلني سيده في الشعر .

٤ كأن معاني شعري ردت امرأ القيس بن حجر إلى الحياة (ظن الناس أن شعري هو شعر امرئ القيس) أو شعر (لبيد بن أبي ربيعة) .

٥ ان المحبوبة قد برهنت لنا (بحالها) أن العناب (أطراف أصابعها المجملة باللون الأحمر قد جنت على الورد (على الخدود) – ان أصابعها غصبت اللون الأحمر من خدودها . ولكن هذا العناب الظالم للخدود يتظلم بدوره من الاقحوان (العيون) المرمض (بالبناء للمجهول) الذي آذاه الحر فذبل . ويرى المحبون أن العيون إذا ذبلت (نعست) تصبح جميلة وذات أثر في نفس المحب . وتتظلم الاصابع من العيون الذابلة أنها لا تستطيع أن تأخذ منها اللون الأحمر (!) أو أن العيون أشد تأثيراً في المحب من الخدود .

٦ البعاد أحال الخدود الحمراء صفراء ، ثم ترك البعاد أثراً على الخدود (من البقع الصفراء المخلوطة باللون الأحمر الأصلي للخدود فكأنه وشي (زخرف) على الخدود .

٧ أهواء (نزعات قلبي في الحب إلى فلانة وفلانة . فلانة) قسمت قلبي بينهن كما أن نوال (عطاء) علي (سيف الدولة) أصبح متقسماً في سبيل العلا والمجد .

ويومٍ كأجيادِ العَذارى حُليُّهُ فريدُ نَدىً في جيده قد تنظّما [1] ،
جلَوْنا بهِ وجهَيْ عَروسٍ وكاعبٍ على طِفْلِ زَهْرٍ قد بكى وتبَسّما [2] ،
وأخرسَ يُصْبينا بخمسةِ ألسُنٍ إلى أيْـها مُدّ البَنانُ تكلّما [3] ؛
لَدُنْ غَدْوَةٍ حتّى إذا الشمسُ وَدّعتْ مَغاربَها واستأذَنَتْها التَصَرُّما [4] ،
ثَوَيْنا كأنّا بعضُ أبناء قَيْصَرٍ غدا فيهِمُ سيفُ الأميرِ مُحَكّما [5] .
أطعتَ العُلا حتّى كأنّكَ عبدُها ، وإن كنتَ مَوْلاها وكنتَ لها ابْنَما [6] .
مكارمُ لا تَنْفَكّ تُتْعِبُ حاسداً يُؤخّرُه سَعْيٌ لها قد تَقَدّما [7] .
زَكَتْ فِكَري فيها وأيْنَعَ هاجسي فظِلْتُ على أهلِ القَريضِ مُقَدّما [8] .
ووَلّدَ شِعري فيكَ شِعْراً لِمَعْشَرٍ فكنتُ عَلَيْهِم مثلَ نُعْماكَ مُنْعِما [9] !

---

١ ويوم كأجياد (جمع جيد : أعلى الصدر) العذارى (الفتيات الشابات) : أبيض أملس (يوم يصلح للهو) . حليه : زينته ، يزينه . فريد ندى : قطرات ندى تشبه الفريد (اللؤلؤ) كناية عن أن ذلك اليوم من أيام الربيع لا يزال الصباح فيه يحمل قطرات الندى جامدة على الأغصان . في جيده : في جيد ذلك اليوم (في صباحه) تنظم : تشكل في كل مكان على الأغصان . – ويمكن أن نقرأ ؛ : في جيدهن تنظماً فنزيد في البيت استعارة جديدة .

٢ جلونا به : أبرزنا فيه ، أظهرنا (لمونا) . عروس وكاعب (خمر وساقية جميلة !) على طفل زهر : زهر في أول موسمه (في أول الربيع) . بكى (كناية عن وجود قطرات الندى فيه من أثر الصباح البارد) وتبسما : بدأ يتفتح .

٣ أخرس : (عود ، من خشب لا يتكلم في الأصل) . يصبينا : يميل بنا إلى الصبوة (الشوق إلى اللهو والغزل) بخمسة ألسن (خمسة أوتار) كلما مسست ببنانك (بأطراف أصابعك) وتراً منها تكلم بلغة غير لغات الاوتار الأخر (أحدث نغماً خاصاً به) .

٤ – من الصباح الباكر إلى قبيل مغيب الشمس .

٥ بقينا كأنا من قواد الروم الذين حكم فيهم سيف الأمير سيف الدولة (قتلهم) : أمسينا صرعى (سكارى) من الخمر !

٦ أطعت العلا (يا سيف الدولة) : أصبحت تعمل جميع الأعمال التي تتطلبها العلا منك . – وأنت مولى (سيد) العلا وابنم (ابن) لها : أنت العلا ! أنت صانع المعالي كلها .

٧ ان المكارم التي أتيتها تتعب الحاسد (الذي يريد أن يصنع مثل ما صنعت أنت) . ولكن الذي يؤخره عن ذلك أنك قد قمت بمساع في سبيلها منذ زمن بعيد .

٨ – هذه المكارم التي صنعتها أنت هي التي جعلت فكري (معانيّ الشعرية) تزكو : تكثر وتطيب (تسمو ، تبدع) . أينع هاجسي : نضج خيالي (صار صوراً شعرية جميلة) ؛ وهذا الذي جعلني أتقدم على سائر الشعراء .

٩ – وهنالك معشر يشتقون من معانيّ في شعري معاني لشعرهم ، فأنا أنعم عليهم بمعاني الشعر كما أنت تنعم عليهم بالعطاء .

٤ – •• يتيمة الدهر ١ : ١٩٠ – ١٩٧ ؛ وفيات الأعيان ١ : ٦٦ – ٦٨ ؛ شذرات الذهب ٣ : ١٥٣ – ١٥٤ ؛ أعلام النبلاء ٤ : ٦٩ – ٧١ ؛ بروكلمان ١ : ٩٠ ، الملحق ١ : ١٤٥ ؛ زيدان ٢ : ٢٩٨ .

أبو الرَّقَعْمَق

١ – هو أبو حامدٍ أحمدُ بنُ محمّدٍ الأنطاكيّ المَنْبوزُ[1] بأبي الرَّقَعْمَقِ ، وُلِدَ في أنطاكيَةَ . وبعدَ أن قضى في الشام مدّةً ذهب إلى مصرَ ، نحو سنة ٣٦٣ هـ لأنّه أدْرَك المُعِزَّ أبا تَميمٍ معَدّاً الذي انتقل إلى القاهرة سنة ٣٦٢ هـ ثم تُوُفّيَ فيها سَنَةَ ٣٦٥ هـ (أواخر ٩٧٥ م) . وتوفّي أبو الرقعمق في مصر في الأغلب ، سنة ٣٩٩ هـ (١٠٠٩ م) .

٢ – أبو الرَّقَعْمَقِ شاعرٌ مُحْسِنٌ مُجيدٌ فصيحُ الألفاظِ متين السَّبْكِ ، إلاّ أن الهَزْلَ والمُجون غلَبَا على شعره ؛ وهو يحتجّ لذلك بأنّ الهزلَ والسُّخْفَ والحُمْقَ والمُجون أنْفَقُ عند الناس وأقربُ إلى نفوسهم من الجِدّ والرَّصانة والعقل والأدب . ومِمّا يُسْتَغْرَب جِدّاً أنّه كانَ يأتي بالمُجون الفاضِح في مَطالعِ الأماديحِ في رجالِ الدولة الفاطمية ، كما فعَلَ في مديح الأميرِ تميمِ بنِ المُعزّ أو بالسُّخْفِ الواضح كما فعل في مديح الإمام الحاكمِ ، فبعد أن يقولَ مثلاً :

فلأمْنَعَنَّ حِمارتي سَنَتَيْنِ من علَفِ الشعيرِ ،

يَتَخَلّصُ إلى مديح الحاكم بأمر الله (أبي عليٍّ المنصورِ) مُشيراً إلى رِواية الشيعةِ في إيصاء الرسولِ إلى عليِّ بن أبي طالبٍ بالخلافة يومَ غديرِ خُمٍّ فيقولُ (اليتيمة ١ : ٢٨٤) :

لا والذي نَطَقَ النّبيّ بفَضْلِه يوم الغَديرِ ،
ما للامامِ أبي عليٍّ في البَرِيّة مِنْ نظيرِ !

---

١ المنبوذ (بالذال أخت الدال) : المتروك ، المهجور ، الذي خلعه قومه وتبرأوا منه . والمنبوز (بالزاي أخت الراء) : الملقب بلقب فيه استصغار أو احتقار . الرقعمق : ...

وفنونُ شعرِ أبي الرَقَعْمَق المديحُ والرثاء والهجاء والخمر والغزل . ومُعْظمُ مديحه في رجال الدولة الفاطمية : مدح المُعِزّ والحاكمَ بأمر الله ومدح جَوْهراً الصِقِلِيَّ – وهُوَ الذي فتحَ مصرَ باسم المُعزّ لدين الله الفاطمي ثم بنى مدينةَ القاهرة – والوزيرَ ابن كلّس[1] وسواهم .

٣ – المختار من شعره

– أعْجِبَ الثعالبيّ (اليتيمة ١ : ٢٦٩ – ٢٧٠) وابن خَلّكان (وفيات الاعيان ١ : ٧٠ – ٧١) بهذه القَصيدة لأبي الرقَعْمَق في أبي الفرج يَعقوبَ ابنِ كِلّسٍ :

قد سَمِعنا مَقالَه واعْتِذارَهْ وأقَلْناهُ ذَنْبَه وعِثارَهْ[2]

قال فيها يمدح ابن كلّسٍ ويُشير إلى سياسة الفاطميين في بَذْلِ المال :

لم يَدَع للعزيزِ في سائرِ الأر ضِ عَدُوّاً إلاّ وأخْمَدَ نارَهْ .

فلهذا اجْتَباهُ دونَ سِواهُ واصْطفاه لِنَفْسه واخْتاره[3] .

كلّ يومٍ له على نُوَبِ الدّهْ رِ وكرِّ الخطوب بالبذل غارَهْ :

هيَ فَلّتْ عن العزيزِ عِداه بالعَطايا وكَثّرت أنْصاره[4] .

هكذا كلّ فاضلٍ : يَدُهُ تُمْ سي وتُضْحي نَفّاعَة ضرّارَهْ .

– وله ، في تبرير ميله إلى السخف والمُجون في شعرِه ، قصيدةٌ نَظَرَ فيها إلى

---

١ أبو الفرج يعقوب بن يوسف يهودي من أهل العراق انتقل إلى الشام ثم إلى مصر واتصل بكافور الاخشيدي وأصبح ناظراً على أملاكه وشؤونه . ثم أسلم سنة ٣٥٦ هـ (في السنة التي مات فيها كافور) . ثم أنه اتصل بالفاطميين منذ نزولهم في مصر وأصبح وزيراً سنة ٣٦٥ هـ . وكانت وفاته سنة ٣٨٠ هـ . وكانت معظم مدائح أبي الرقعمق في أبي الفرج يعقوب بن كلس (وفيات الأعيان ٣ : ٣٩٣) .

٢ أقال الرجل عثار (بكسر العين) أخيه : أنهضه من عثرته (أعانه ، ساعده ، صفح عن هفواته وذنوبه) .

٣ اجتباه : قربه .

٤ فلت : هزمت .

قصيدة لأبي نواس في الخمر والمجون * :

كُفّي مَلامَكِ ، يا ذاتَ المَلامات ، فما أريدُ بَديلاً بالرّقاعات[1] .
كَأنّني ، وجُنودُ الصَفْع تَتْبَعُني – وقد تَلَوّتَ مَزاميرَ الرّطانات –
قِسّيسُ دَيْرٍ تلا مِزْمارَه سَحَراً على القُسوس بتَرْجيعٍ ورَنّات .
وقد مَجَنْتُ وعَلّمتُ المُجونَ فما أدْعى بشيءٍ سِوى رَبِّ المَجانات ،
وذاك أنّي رأيتُ العقلَ مُطّرحاً فجئت أهلَ زماني بالحَماقات[2] .
سَقْياً ورَعياً لأيّامٍ لنا سَلَفَتْ بالقَفْص قَصّرها طيبُ اللّذاذات[3] ،
إذ لا أروحُ ولا أغدو إلى وَطَنٍ إلاّ إلى رَبْعِ خَمّارٍ وحانات[4] ** !

٤ – ** يتيمة الدهر ١ : ٢٦٩ – ٢٩٥ ؛ وفيات الاعيان ١ : ٧٠ – ٧١ ؛ شذرات الذهب ٣ : ١٥٥ – ١٥٦ ؛ بروكلمان ١ : ٩١ ، الملحق ١ : ١٤٧ .

---

* لا أستزيد حبيبي من مؤاتاتي (الديوان ٢٤٩ – ٢٥٠) .

١ يلمح في شعر أبي الرقمق أن الصفع (ضرب بعض الرفاق بعضاً) كان من أسباب اللهو والمرح .

٢ الحمق والتبالد مع الوقاحة .

٣ القفص (بفتح القاف والفاء) : الخفة والنشاط (وسكنت الفاء لضرورة الشعر) . ولعلها : القصف (بفتح القاف وسكون الصاد) : اللهو ، وإن كانت اللفظة غير عربية (قا ٣ : ١٨٥ ، السطران ١٧ و ١٨) .

٤ غدا : ذهب في الصباح . راح : رجع (أو ذهب) في المساء . الربع : الدار ، المنزل . الخمار : بائع الخمر .

** لعل ابراهيم طوقان (ت ١٩٤١ م) نظر إلى بعض معاني هذه القصيدة لما نظم قصيدته : « .... يا شهر أيار يا شهر الكرامات ! » .

الفهرست الأبجدي لأعلام الاشخاص وللمدارك الأدبية

م = مكرر ، ح = في الحاشية

ا

ت

ث

ج

ح

غ

ف

ق

ك

ل

فهرست الكتب

المطبوعة أو التي وُصفت في هذا الكتاب أو كانت موضوع بحث ومناقشة أو إذا كان قد اختير منها نماذج

(يذكر عنوان الكتاب بعد تجريده من كلمة « كتاب » إلا إذا كانت كلمة « كتاب » جزءاً أساسيّاً في العنوان ، نحو كتاب سيبويه ، كتاب الحماسة . ومثل ذلك دواوين الشعر والكتب التي يبدأ عنوانها بكلمة « ديوان » ، نحو يوان الأدب ، ديوان الحماسة ، فهي تأتي تحت كلمة « ديوان » . ومثل ذلك أيضاً الكتب التي تبدأ بكلمة « رسالة ، رسائل » تأتي في الترتيب الأبجدي تحت هاتين الكلمتين . أما الكتب المذكورة عناوينها عرضاً أو الكتب المذكورة في قسم الخصائص الأدبية — رقم ٣ — فانّها لا تذكر) .

ذ

ر

ز

س

ن

هـ

و

ي

نخبة من دراسات وكتب للمؤلف

١ - دراسات قصيرة

١ - الحجّاج بن يوسف (الطبعة الثانية)
٢ - عمر بن أبي ربيعة (الطبعة الثانية)
٣ - عبد الله بن المقفّع (الطبعة الثانية)
٤ - الرسائل والمقدمات (الطبعة الثانية)
٥ - ابن الرومي (الطبعة اثانية)
٦ - أحمد شوقي (الطبعة الثانية)
٧ - ابن خلدون (الطبعة الثانية)
٨ - أثر الفلسفة الإسلامية في الفلسفة الأوروبية (الطبعة الثانية)
٩ - شعراء البلاط الأموي (الطبعة الثانية)
١٠ - الفارابيان : الفارابي وابن سينا (الطبعة الثانية)
١١ - أربعة أدباء معاصرون (الطبعة الثانية)
١٢ - خمسة شعراء جاهليون (الطبعة الثانية)
١٣ - بشّار بن برد (الطبعة الثانية)
١٤ - نهج البلاغة (الطبعة الثانية)
١٥ - اخوان الصفا (الطبعة الثانية)
١٦ - ابن باجّه (الطبعة الثانية)
١٧ - ابن طفيل (الطبعة الثانية)
١٨ - التصوف في الإسلام
١٩ - الفلسفة اليونانية في طريقها إلى العرب
٢٠ - موضوعات محللة في تاريخ الفلسفة الإسلامية
٢١ - أبو فراس

٢ — كتب ودراسات أخر

تاريخ الأدب العربي : الأدب القديم
(منذ مطلع الجاهلية إلى سقوط الدولة الأموية)
تاريخ الأدب العربي : الأدب المحدث
(منذ مطلع العصر العبّاسي إلى سنة ٣٩٩ هـ (١٠٠٩م)
تاريخ الأدب العربي : الأعصر العباسية
(من سنة ٤٠٠ هـ (١٠١٠ م) إلى الفتح العثماني)
تاريخ الفكر العربي إلى أيّام ابن خلدون
الفكر العربي في منهاج البكالوريا
تاريخ الجاهلية
الشابّيّ شاعر الحبّ والحياة
القومية الفصحى
التبشير والاستعمار في البلاد العربية (الطبعة الثالثة)
الاسرة في الشرع الإسلامي
عبقرية العرب في العلم والفلسفة
وثبة المغرب
أبو تمّام : دراسة تحليلية
أبو نواس
أبو العلاء المعرّي
حكيم المعرّة
العرب والفلسفة اليونانية
شاعران معاصران : ابراهيم طوقان وأبو القاسم الشابيّ
العرب والإسلام في الحوض الشرقي من البحر الأبيض المتوسط (ط ٢)
العرب والإسلام في الحوض الغربي من البحر الأبيض المتوسط

* * *

(الكتب الثلاثة التالية موضوعة حسب المنهاج الرسمي اللبناني)
المنهاج في الأدب العربي وتاريخه (للسنة الرابعة الثانوية)
المنهاج في الأدب العربي وتاريخه (للسنة الخامسة الثانوية)
المنهاج في الأدب العربي وتاريخه (للسنة السادسة الثانوية)

كتب منقولة عن اللغة الانكليزية

أصدقاء لا سادة

السيرة السياسية للمشير محمّد أيوب خان بقلمه ١٢٠٠

الطريق إلى النجوم

من تأليف فان در ريت وللي

(رئيس المرصد الفلكي في غرينيش) ٤٠٠

الإسلام على مفترق الطرق (الطبعة السادسة)

(من تأليف ليوبولد فايس – محمّد أسد) ١٥٠

الثقافة العربية في رعاية الشرق الأوسط

(من تأليف المستشرق جورج سارطون

مؤلّف كتاب : مقدّمة إلى تاريخ العلم) ١٥٠

• • •

1000 Das Bild des Frühislam in der arabischen Dichtung von der Higra bis zum Tode Umars, 1—23 d. H. (622-644 n. chr).

300 Qur'anic Arabic.

300 L'arabe coranique.

1200 On Public and Private Law in Islam, by Ibn Taimiyya (728 A.H. = 1328 C.E.). — Translated from the Arabic.